

كتاب  
قطف الزهور  
في  
تاريخ الدهور

تأليف  
يوحنا افندي ابيكار يوس  
عني عنه

طبعة ثانية

طبع في بيروت سنة ١٨٨٥

## فهرس الكتاب

وجه

١

الفتحة

٢

المتقدمة . في وصف التاريخ والجغرافية

### القسم الاول

في مالک قارة اسيا وشعوبها ودولها وما يتعلق بها وفيه ثلاثة عشر فصلاً

١٠

الفصل الاول . في مناخ اسيا وحواصلها وجبالها وحيواناتها

١٢

الفصل الثاني . في الخليفة والطوفان وتسعب الارض ثانية

الفصل الثالث في مملكة اشور وفيه خمسة ابواب

١٦

الباب الاول . في نينوى وبابل

١٨

الباب الثاني . في اخبار الملكة سميراميس

الباب الثالث . في ذكر الملك نيناس وولاية الملك مردنقول

٢١

وخراب مملكة اشور الاولى

٢٢

الباب الرابع . في ذكر بعض ملوك اشور

٢٦

الباب الخامس . في ديانة الاشوريين وفنونهم

الفصل الرابع في تاريخ العبرانيين وفيه سبعة ابواب

٢٩

الباب الاول . في ذكر ابراهيم وارتحال يعقوب واولاده الى مصر

الباب الثاني . في خروج بني اسرائيل من مصر تحت رياسة موسى

٣٢

واستيلائهم على ارض كنعان مع جدول قضائهم

٣٦

الباب الثالث . في ذكر جدعون وشمشون من قضاة الاسرائيليين

وجه

- ٤٠ الباب الرابع . في ذكر شاول وداود وسليمان
- ٤٥ الباب الخامس . في انقسام مملكة اليهود والاسر البابلبي مع جدول ملوك يهوذا واسرائيل
- ٤٩ الباب السادس . في تغلب ملوك مصر وسوريا على اليهودية واستيلاء الرومانيين عليها الى حين خراب اورشليم
- ٥٢ الباب السابع . في ذكر بعض انبياء اليهود وعيسى المسيح وتفرق اليهود في العالم
- ٥٥ الفصل الخامس في تاريخ الماديين والفرس وفيه ستة ابواب
- ٦١ الباب الاول . في بعض ملوكهم واحوال مهلاد كورش
- ٦٤ الباب الثاني . في اصل الاعجام وتدمير كورش مملكة بابل ومغازبه المشهورة وموته
- ٦٤ الباب الثالث . في ولاية كميز بن كورش
- ٦٨ الباب الرابع . في ولاية الملك داريوس وعمودارا الاول احد ملوك الفرس وابنه زركسيس
- ٧٢ الباب الخامس . في آكاسرة العجم
- ٧٥ الباب السادس . في الكلام على شامات العجم
- ٧٧ الفصل السادس في مملكة الصين وفيه بابان
- ٨٢ الباب الاول . في وصف بلاد الصين ومدنها واهلها وعوائدها
- ٨٢ الباب الثاني . في تاريخ مملكة الصين
- ٩١ الفصل السابع في تاريخ العرب وفيه ستة ابواب
- ٩١ الباب الاول . في جغرافية بلاد العرب
- ٩٢ الباب الثاني . في اصل العرب وصفاتهم وما يتعلق بهم
- ٩٦ الباب الثالث . في ذكر العرب قبل الاسلام

وجه

- ١٠٢ الباب الرابع . في ذكر دول العرب الاسلامية واولها دولة الصحابة  
 الباب الخامس في ذكر بني أمية  
 ١٠٦  
 الباب السادس . في ذكر الدولة العباسية  
 ١١٠  
 الفصل الثامن في تاريخ سوريا وفيه ثلاثة ابواب  
 الباب الاول . في جغرافية سوريا وسكانها الاولين  
 ١٢٢  
 الباب الثاني . في الدولة السلوقدية ومن خلفها الى هذه الايام  
 ١٢٥  
 الباب الثالث . في شعوب سوريا ومدائنهم الشهيرة مع ذكر الملكة  
 زينب المعروفة عند اليونان واللاتين زينوبيا وشي من اخبار  
 ١٢٨  
 لبنان  
 الفصل التاسع في تاريخ فينيقية وفيه بابان  
 الباب الاول . في اصل الفينيقيين وعوائدهم وادبائهم واكتشافاتهم  
 ١٣٥  
 الباب الثاني . في ذكر مدائن فينيقية ونجومها وتجارها وتقدمها ثم انحطاطها  
 ١٣٨  
 الفصل العاشر في الحروب الصليبية وفيه بابان  
 الباب الاول . في منشاء الحروب الصليبية الى نهاية اعمال التجريدة الثانية  
 ١٤٢  
 الباب الثاني . في ذكر الحوادث والوقائع التي جرت من بداية التجريدة  
 الثالثة الى نهاية التجريدة التاسعة التي هي ختام الحروب الصليبية  
 ١٤٦  
 الفصل الحادي عشر . في اسيا الصغرى  
 ١٥٤  
 الفصل الثاني عشر . في وصف بلاد الهند وتاريخها  
 ١٥٧  
 الفصل الثالث عشر . في باقي ممالك اسيا كبلاد الهند ويابان وارهينيا  
 ١٦٦

### القسم الثاني

في قارة افريقية ويشتمل على ستة فصول

١٧١

الفصل الاول . في جغرافية افريقية واهلها وهوائها



وجه

الفصل الثاني في تاريخ مصر وفيه احد عشر باباً

١٧٤

الباب الاول . في جغرافية مصر

الباب الثاني . في تاريخ مصر واهم الحوادث المتعلقة بفراعنتها من

١٧٦

سنة ٢٢٠٠ ق م الى خروج الاسرائيليين

الباب الثالث . في ولاية فرعون شيشق سنة ٩٩٠ ق م الى بداية

١٨٦

حكم الدولة البطليموسية سنة ٢٢٢ ق م

الباب الرابع . في تمدن المصريين القدماء وصنائعهم وعقائدهم وما

١٩٢

يتعلق بهم

الباب الخامس . في الدولة البطليموسية التي تغلبت على الديار

١٩٦

المصرية بعد الفراعنة

الباب السادس . في من تولى مصر من اوائل ظهور الاسلام الى

٢٠٠

الدولة الفاطمية

٢٠١

الباب السابع . في الدولة الفاطمية

٢٠٤

الباب الثامن . في الدولة الايوبية

٢٠٨

الباب التاسع . في الدولة المجرسية احدي فروع الدولة التركية

٢٠٩

الباب العاشر . في العائلة المحمدية العلوية وهي الخديوية المصرية

الباب الحادي عشر . في الثورة العربية ودخول الانكليز البلاد

المصرية وظهور الثورة السودانية وذلك مدة ثلاث سنين

٢١٤

من اواسط سنة ١٨٨٢ الى اواسط سنة ١٨٨٥

الفصل الثالث في تاريخ قرطاجنة وفيه بابان

الباب الاول . في وصف قرطاجنة وحروبها مع الرومان من

٢١٩

سنة ٨٤٠ الى سنة ٢٦٤ ق م

الباب الثاني . في الحروب بين قرطاجنة ورومية من سنة ٢٦٤ ق م الى

وجه

وقت خرابها الاول سنة ١٤٥ ق م ثم تجديدها ثانية وخرابها

٢٢١

الاخير سنة ٦٦٢ بعد المسيح

٢٢٤

الفصل الرابع . في بلاد الحبشة

الفصل الخامس في بلاد المغرب وفيه بابان

٢٢٦

الباب الاول . في جغرافية هذه البلاد واخبار شعوبها الاقدمين

الباب الثاني . في دخول المسلمين الى بلاد المغرب وافتتاحهم مدنها

واقاليمها وباقى ولاياتها مع ذكر بلاد تونس ودخولها تحت

٢٣٠

حماية فرانسا

٢٢٦

الفصل السادس في جزيرة مداكسكرو

### القسم الثالث

في قارقر اوروبا وفيه ثمانية عشر فصلاً

٢٤٢

الفصل الاول . في مقدمة هذه القارة وما يتعلق بها

الفصل الثاني في تاريخ سلطنة آل عثمان وفيه ستة ابواب

٢٤٥

الباب الاول . في جغرافية هذه البلاد ووصفها الحالي

الباب الثاني . في اصل تاسيس الدولة العثمانية وذلك من سنة ١٣٠٠

٢٤٩

بم الى وفاة السلطان مراد الثاني سنة ١٤٥١ بم

الباب الثالث . في قيام السلطان محمد الثاني وفتح القسطنطينية

وفي ما جرى بعد ذلك من الحوادث من سنة ١٤٥١ الى

٢٥٧

وفاة السلطان سليم الاول سنة ١٥٢٠

الباب الرابع . في الكلام على حكم سليمان الاول وفتح جزيرة رودس

وما حدث بعد ذلك من سنة ١٥٢٠ الى وفاة محمد الثالث

٢٦٢

سنة ١٦٠٢

وجه

الباب الخامس . في الكلام على حكم السلطان احمد الاول وما وقع له  
ولخلفائه من الحوادث من سنة ١٠٦٠٢ الى وفاة السلطان

٢٧٠

مصطفى الثاني سنة ١٧٠٢ ب م  
الباب السادس . في ما جرى من الامور والحوادث منذ خلافة

٢٨٢

السلطان احمد الثالث سنة ١٧٠٢ الى سنة ١٨٨٤  
الفصل الثاني في تاريخ اليونان وفيه ثمانية ابواب

٢٩٩

الباب الاول . في جغرافية هذه البلاد  
الباب الثاني . في اخبار الاعصر الخرافية واولاً في اصل نشأتها

٣٠١

وشعوبها الاولين

٣٠٥

الباب الثالث . في حرب طروادة ورجوع الهيراكليدية وحروبهم

٣٠٧

الباب الرابع . في جمهوريتي سباوطه واثينا

الباب الخامس . في ما جرى بين اليونان والفرس من سنة ٥٠٠

٣١١

تقريباً الى حين تولي فيلبس على مملكة مكدونية سنة ٣٦٠ ق م  
الباب السادس . في مملكة مكدونية وقيام فيلبس سنة ٣٦٠ ق م

٣٢١

الى موت اسكندر

الباب السابع . في ما حدث بعد موت اسكندر الى هذه الايام اي

٣٢٨

من سنة ٣٢٢ ق م الى سنة ١٨١٢ ب م

٣٢٢

الباب الثامن . في ذكر بعض شعراء اليونان وفلاسفتهم وطوائفهم  
الفصل الثالث في تاريخ الرومانيين القدماء وفيه ثمانية ابواب

الباب الاول . في تاسيس رومية واخبار ملوكها الاولين الى سنة ٥٠٩

٣٢٤

ق م حين اُقيمت الحكومة الفنصلية

الباب الثاني . في ذكر كوربولانوس واستيلاء الغالين على رومية

٣٢٩

وحروب قرطاجنة الثلاث

وجه

٢٤٢

الباب الثالث . في اخبار سلا وماربوس الى قتل يوليوس قيصر  
الباب الرابع . في حكم اوغسطس قيصر وامتداد السلطنة في ايامه مع

٢٤٧

ذكر الوسائط التي سببت لما هذه الشهرة والقوة

٢٥١

الباب الخامس . في تعداد امبراطرة الرومانيين وبعض اخبارهم

٢٦١

الباب السادس . في اخبار باقي قياصرة رومية الى انقراض السلطنة

الباب السابع . في انقسام الدولة الرومانية الى سلطنتين وانقراض

٢٧١

الغربية منها

٢٧٤

الباب الثامن . في عوائد الرومانيين القدماء وبعض اصطلاحاتهم

الفصل الثالث في اخبار ايطاليا وفيه بابان

٢٨٢

الباب الاول . في جغرافية ايطاليا

٢٨٦

الباب الثاني . في تاريخ ايطاليا ويتضمن بعض اخبار البندقية

٢٩٢

الفصل الرابع . في اخبار رومية . وبعض اخبارها

الفصل الخامس . في اخبار الدولة الرومانية الشرقية بعد انفصالها عن

السلطنة الغربية وذلك من سنة ٢٩٥ الى سنة ١٤٥٢ عبارة عن

٢٩٩

١٠٥٨ سنة

الفصل السادس في مملكة اسبانيا وفيه ثلاثة ابواب

٤١٤

الباب الاول . في جغرافية هذه البلاد

الباب الثاني . في تاريخ اسبانيا منذ منشأها الى ظهور فردينند وازابلا في

٤١٥

الجيل الخامس عشر للميلاد

الباب الثالث . في اخبار الملك فردينند والملكة ايزابلا والفتيش

الديني الذي حصل في ايامها وخروج المسلمين من اسبانيا

٤٢١

وحوادث اخرى الى سنة ١٨٧٤

٤٢٩

الفصل السابع . في وصف مملكة بورتوغال وتاريخها

وجه

الفصل الثامن في تاريخ فرنسا وفيه ستة ابواب

٤٣٤

الباب الاول . في وصف فرنسا الحالي

الباب الثاني . في اصل فرنسا وشعوبها القدماء واديانهم وعوائدهم  
وتغلب الرومانيين ثم الافرنك عليهم وتأسيس الدولة الاولى  
الملكية المعروفة بالميروفنجية سنة ٤٨١ بم ثم سقوطها وايقراضها

٤٣٦

سنة ٧٥٢

الباب الثاني . (تكراراً) في قيام الدولة الفرنسية الثانية وايقراضها وهي

٤٤٣

المعروفة بالكارلوفنجية من سنة ٧٥٢ الى ٩٨٧

الباب الثالث . في قيام الدولة الثالثة المعروفة بالكابيتانية وسقوطها

٤٤٦

من سنة ٩٨٧ الى سنة ١٧٨٩

الباب الرابع . في الثورة الفرنسية واسبابها وقيام الجمهورية الى

٤٥٩

الامبراطورية الاولى من سنة ١٧٨٩ الى سنة ١٨١٤

الباب الخامس . في قيام الامبراطورية الفرنسية الاولى وسقوطها

وارجاع الملكية وسقوطها ايضاً الى قيام الجمهورية الثانية

والامبراطورية الثالثة وذلك من سنة ١٨٠٤ الى سنة

٤٧١

١٨٤٨

الباب السادس . في قيام الجمهورية الثانية من سنة ١٨٤٨ الى ١٨٥٢

وقيام الامبراطورية الثالثة من سنة ١٨٥٢ الى ١٨٧١ وسقوطها

٤٧٧

وقيام الجمهورية الثالثة سنة ١٨٧١ الى سنة ١٨٨٤

الفصل الرابع (صوابه التاسع) في تاريخ مملكة الانكيز وفيه احد عشر باباً

٤٨٥

الباب الاول . في جغرافية انكيترا ووصفها الحالي

الباب الثاني . في اصل البريتانيين القدماء واصنافهم وديانهم وتلك

٤٨٨

الرومانيين على بلادهم الى سنة ٤٣٠ للميلاد

وجه

- الباب الثالث . في ذكر تملك الدولة السكسونية وحكم الدولة الدنياركية  
وذلك من سنة ٤٢٠ الى سنة ١٠٦٦ ٤٩٢
- الباب الرابع . في ذكر تملك العائلة النورمندية والعائلة البلاتاجينية  
من سنة ١٠٦٦ الى سنة ١٢٩٩ ٤٩٩
- الباب الخامس . في ذكر ملوك عائلة لانكستر وعائلة يورك من سنة  
١٢٩٩ الى سنة ١٤٨٥ ٥٠٨
- الباب السادس . في تملك العائلة الثيودرية من سنة ١٤٨٥ الى  
سنة ١٦٠٢ ٥١١
- الباب السابع . في تملك عائلة استوارف ٥١٦
- الباب الثامن . في ملوك بريتانيا العظمى من عائلة هانوفر ٥٢٢
- الباب التاسع . في ذكر مقاطعة ويلس اي غال ٥٢٠
- الباب العاشر . في تلميح اخبار اسكوتلاندا اي اسكوتسيا ٥٢٢
- الباب الحادي عشر . في تلميح اخبار ايرلاندا ٥٢٥
- الفصل العاشر في وصف مملكة البليك وتاريخها ٥٢٧
- الفصل الحادي عشر في وصف هولاندا المعروفة ببلاد الفلمنك وتاريخها ٦٢٩
- الفصل الثاني عشر في الممالك الجرمانية او السلطنة الالمانية وفيه اربعة ابواب  
الباب الاول . في وصف هذه البلاد واقسامها ٥٤٤
- الباب الثاني في اخبار الجرمانين القدماء وما حدث في ايام ملاطبتهم  
من سنة ٩١٢ مسيحية الى ظهور مرتينوس لوثيروس ٥٤٩
- الباب الثالث . في بعض اخبار مرتينوس لوثيروس والاضطراب الذي  
حدث في جرمانيا بسبب آرائه الدينية ٥٦٠
- الباب الرابع . في اخبار الامبراطور كارلوس الخامس المعروف بشارلكان ٥٦٧
- الفصل الثالث عشر في وصف سويسرا اي بلاد السويس وتاريخها ٥٧٤

وجه

الفصل الرابع عشر في بلاد النمسا اي اوستريا وفيه بابان

٥٧٨

الباب الاول . في وصف هذه البلاد

٥٧٩

"

الباب الثاني . في تاريخ بلاد النمسا

الفصل الخامس عشر في مملكة روسيا وفيه بابان

٥٨٤

الباب الاول . في وصف بروسيا واهلها

٥٨٦

الباب الثاني . في تاريخ مملكة روسيا

الفصل السادس عشر في تاريخ روسيا وفيه ستة ابواب

٥٩٢

الباب الاول . في جغرافية هذه المملكة

الباب الثاني . في اصل الروسيين وبتدأة مملكتهم وديانتهم وعوائدهم من

٥٩٥

قبل الميلاد الى سنة ١٤٦٢ للميلاد

الباب الثالث . في ما جرى منه تولى ايفان الثالث من سنة ١٤٦٢ الى

٦٠٠

"

سنة ١٥١٤

الباب الرابع . في ما حدث منذ وفاة ايفان الرابع وانقراض سلالة

٦٠٥

روريك الى ظهور بطرس الاكبر من سنة ١٥٨٤ الى سنة ١٦٨٢

الباب الخامس . في استيلاء بطرس الكبير واعماله العظيمة وما حصل

من المشاجرات والفتن في ايامه والحروب الى غير ذلك من سنة

٦١٠

١٦٨٢ الى سنة ١٧٢٥

الباب الخامس . (صوابه السادس) في ذكر ما حدث بعد موت بطرس

الكبير وانقطاع سلالة رومانوف وقيام الدولة الهولستينية من سنة

٦١٦

١٧٢٥ الى سنة ١٨٨٤

٦٢٢

الفصل السابع عشر . في وصف بلاد اسوج ونروج وتاريخها

٦٢٨

الفصل الثامن عشر . في وصف مملكة دنيمارك وتاريخها

القسم الرابع

في تاريخ اميركا وفيه تسعة فصول

- ٦٢٢ الفصل الاول . في وصف قارة اميركا واهلها القدماء
- الفصل الثاني . في اكتشاف اميركا من سنة ١٤٩٢ الى موت كريستوفورس  
٦٢٥ كولبوس سنة ١٥٠٦
- الفصل الثالث . في مداومة اكتشافات الاسبانيولين وسبب تسمية القارة  
٦٤٤ اميركا الى حين اكتشاف مكسيكو
- ٦٤٧ الفصل الرابع . في الاستيطانات الاوروبية
- الفصل الخامس . في البلاد المتحدة الاميركانية وفيه بابان  
الباب الاول . في وصف البلاد المتحدة وذكر الاسباب التي هيأت انفصالها  
٦٥٢ عن انكلترا
- ٦٥٥ الباب الثاني . في استقلالية البلاد المتحدة وحوادثها الى هذا اليوم
- ٦٦٢ الفصل السادس . في وصف بلاد مكسيكو وتاريخها
- ٦٦٨ الفصل السابع . في الكلام عن الهند الغربية
- ٦٧٢ الفصل الثامن . في اميركا الوسطى
- الفصل التاسع . في الكلام عن اشهر اقسام اميركا الجنوبية وفيه اربعة ابواب
- ٦٧٤ الباب الاول . في وصف اميركا الجنوبية وتعداد بلادها
- ٦٧٦ الباب الثاني . في جمهورية كولومبيا
- ٦٧٧ الباب الثالث . في سلطنة برازيل
- ٦٧٩ الباب الرابع . في بلاد بيرو



## القسم الخامس

وجه

- في اوسيانيككا او اوسيانيا وفيه ثلاثة فصول
- ٦٨٢ الفصل الاول . في الكلام على ماليزيا
- ٦٨٥ الفصل الثاني . في اوستراليا
- ٦٨٨ الفصل الثالث . في بولينيزيا
- ٦٩٥ جدول يتضمن ملخص الاختراعات والاكتشافات الكلية
- ٧٠٥ جدول تاريخي يتضمن اشهر حوادث العالم

## بِسْمِ اللَّهِ الْمُبْدِي الْمَعِيدِ

الحمد لله الواحد الجبار . المحجب عن ذوي البصائر والابصار . الذي  
له علم ما كان وما سيكون . في كل الدهور والقرون . اما بعد فاذا كان  
في فن التاريخ للانسان . فوائد عظيمة . ومنافع جسيمة . لانه ينبي عن  
احوال الممالك والبلدان . وحوادث ابناء الزمان . وما يتعلق بالحروب  
والوقائع . واختراع الفنون والصنائع . فضلاً عن انه لذيذ مقبول . لانه  
الآذان ولاناباه العقول . شرعت في تأليف هذا الكتاب . في فن التاريخ  
المستطاب . الذي لم يسبق بمثله بلغة العرب في هذا الباب . وضمت اخبار  
دول العالم . والآثار المتعلقة ببني آدم . منها ما استخرجته من المؤلفات الاجنبية .  
ومنها ما اقتطعت من امهات الكتب العربية . متجنباً فيه التطويل . قاصداً بذلك  
التقريب والتسهيل . لينطبع في ذاكرة المطالع . وآذان السامع . خبر مختصر .  
عن تاريخ البشر . ويكون للعامة ولشبان المدارس المأمّ عام . الى معرفة ما  
حدث في سالف الايام . من الامور التي تستحق الذكر والاهتمام . استغناء بهذه  
الصفحات القليلة . عن مطالعة المؤلفات الطويلة . آملاً ان يكون ذلك واسطة  
ووسيلة . لانهاض همة كل اديب بارع . للتقدم الى هذا الميدان الواسع .

والمبادرة الي انحاء ابناء الوطن . في هذا الزمن . بولفاتٍ سنوفية شافية .  
في فن التاريخ وعلم الجغرافية . ليكون قطر الشام . متقدماً عاماً بعد عام . في  
زيادة التقدم وكمال الانتظام . ولما تم جمعه . وطاب سمعه . سميت قطف الزهور  
في تاريخ الدهور . وقسمته الي خمسة اقسام بحسب اقسام الكرة الارضية يتضمن  
كل منها تاريخ دول كل قارة والى فصولٍ يتضمن كل منها تاريخ دولته منذ  
منشأها الي الوقت الحاضر . وانا التمس من اطلع عليه ؛ ونظر بعين البصيرة  
اليه ان يغض الطرف عما يرى فيه من الخلل والتقصير .  
ويسبل ذيل المعذرة على ما حذف عمداً او سهواً  
فان العصمة والكمال لله وحده  
وهو العليم الخبير



## المقدمة

### في وصف التاريخ والجغرافية

التاريخ قصة الجنس الشري ويتضمن ذكر الوقائع والاحبار المتعلقة بالتبائل والاقاليم منذ خليقة العالم ولولاه انطلمست اخبار الاولين وجهلت حوادث الملوك المماضين ولم يعلم شي من عوائدهم واصطلاحاتهم وعقائدهم . وقد قسم العلماء التاريخ الى ثلاثة اقسام كبرى . فالاول تاريخ الازمنة القديمة من عهد الخليقة الى افراض السلطنة الرومانية الغربية سنة ٤٧٦ لليلاد المسيحي وهو يتضمن تاريخ اليهود واشور وبابل والفرس والصين والهند ومصر وطوائف اليونان والرومان وذكر نهوضهم وسقوطهم وما يتعلق بعوائدهم واديانهم وحرورهم واحكامهم الى غير ذلك . والثاني تاريخ القرون المتوسطة من سنة ٤٧٦ الى سنة ١٤٥٣ حينما سقطت السلطنة الشرقية ودخلت الدولة العثمانية الى القسطنطينية . ويشتمل هذا القسم على ظهور الاسلام وامتداد سلطة اهل وشوكهم وعلى اخبار البياطرة وغزواتهم في اوروبا وعلى تاريخ التزامات الامراء وسلطنة شارلمان وانقسامها وقيام السلطنة الالمانية ومنازعات ملوكها مع احبار رومية وعلى الخصام والاختلاف الذي وقع بين الاحبار المذكورين وبين ملوك اوروبا وامرائها من جهة حقوق تسمية الاكليروس وتصرفهم وبتحوي

على تاريخ الحروب الصليبية وغيرها من الاضطرابات والوقائع التي حدثت في جهات اوروبا . واما الثالث فهو من سنة ١٤٥٢ الى يومنا هذا ويشتمل على الاكتشافات العظيمة كاميركا والهند وغيرها والاصلاح الديني الذي نبغ في المانيا وبلاد السويس وامتد الى اكثر الاقطار الاوروبية وعلى حروب فرانسوا و المانيا في زمن شارل كان و خلفائه وعلى الثورة الانكليزية التي حدثت في القرن السابع عشر واستقلالية اميركا وظهور نابوليون الاول ومغازيه الى غير ذلك مما لا يسعنا ذكره هنا . ولكننا لم نسلك في هذا الكتاب على هذا الترتيب العام نظراً لصعوبة مناولته في المطالعة لان القصد بالمطالعة هو الاستفادة والفكاهة معاً فلا يجدها القاري في مؤلف ترتبت صفحاته على النسق المذكور لانه يضطر في اكثر الاحيان ان ينتقل من قصة الى قصة ومن ذكر دولة الى اخرى بحسب وقوع الحوادث وتواريخها بدون ان يستوفي الكلام عليها الا بعد مطالعة الكتاب بأسره فلذلك فتحنا لكل دولة فصلاً مخصوصاً يتضمن اخبارها منذ منشأها الى الان تسهيلاً للمطالع

اما الجغرافية فعلم مداره هيئة الارض واقسامها وانواع اهلها ووصف مدنها وانهرها وجبالها واقاليمها وما يتعلق بجواصلها وغلاتها . فالتاريخ من شأنه ان يسجل الحوادث التي جرت والجغرافية من شأنها ان تثبتنا بالاماكن والبلدان التي حدثت فيها تلك الحوادث . واذ كانت بينهما علاقة كلية فلا بد من معرفتها ولو على سبيل الابهام وهذا هو المقصود من هذا المختصر وفي اثناء الكلام على اخبار الدول وما حدث فيها من التغييرات والحروب سندكر ان شاء الله اعمال بعض افراد الرجال الذين اتصفوا بالمعارف واشتهر فخرهم بين الناس وما ينسب اليهم من الاعمال الغريبة والاختراعات العجيبة . واذ كانت تواريخ الناس القدماء الذين عاشوا قبل الطوفان مجهولة الحال ولا يعلم المؤرخون شيئاً عنهم اذ لم يمتدوا الا في قسم صغير من اسيا فقط ضربنا عنهم صفحاتاً . وقبل ان تقدم في الكلام على اخبار الامم وتواريخ الممالك

والدول التي اشتهرت من بعد الطوفان الى هذا العصر يجب ان تذكر شيئاً من جهة الارض واقسامها وعدد اهلها وسكانها على طريقة مختصرة لاجل اتمام الفائدة فنقول

الارض جسم مستدير على شكل كرة وتنقسم الى يابسة ومياه فالمياه مشتملة على مقدار سبعة اعشار منها والباقي اية ثلاثة اعشار يابسة . وتنقسم اليابسة الى برين كبيرين شرقي وغربي فالشرقي يشتمل على اوروبا وافريقية واسيا والغربي على اميركا الشمالية والجنوبية

اما المياه فهي غمر واسع يسمى باسماء مختلفة بحسب اقسامها فالقسم الذي بين اوروبا واميركا يدعى الاقيانوس الانلاتيكي يبلغ عرضه من الشرق الى الغرب نحو خمسة الاف ميل واتهم الذي بين اميركا واسيا يقال له الاوقيانوس الباسيفيكي او المحيط وعرضه نحو اثني عشر الف ميل ثم الاوقيانوس الهندي وهو الواقع جنوبي اسيا ثم الاوقيانوس الشمالي حول القطب الشمالي وهو مغمر غالباً بالجليد ثم الاوقيانوس الجنوبي ثم البحر المتوسط او بحر الروم وهو الواقع بين اوروبا وافريقية . وهذه البحور جميعها متصل بعضها ببعض وقد سميت بالاسماء المذكورة لسهولة الحفظ والاستدلال . وفي العالم ايضاً انهر كثيرة تذكر البعض من اكبرها واشهرها كنهر النيل في افريقيا ونهر الكنك في بلاد الهند ونهر فولكا في اوروبا ونهر مسوري في البلاد المتحدة ونهر امازون في اميركا الجنوبية ونهر الدانوب اي الطونا وهو يخرج من باد في جرمانيا ويصب في البحر الاسود وفي كل هذه الانهر تجري سفن كبيرة مشحونة بالركاب والبضائع من جهة الى اخرى

وينقسم العالم الى اربعة اقسام كبرى يقال لها قارات اوها قارة اسيا وهي قسم متسع من الارض تشتمل على ممالك ومدائن كثيرة مسكونة من ام وطوائف وشعوب مختلفة وعدد سكانها سبع مئة وستون مليوناً تقريباً وذلك اكثر من نصف اهل العالم . واشهر شعوب هذه القارة الصينيون ثم الهنود اي

سكان الهند تم انتزحهم العرب ثم الاتراك ولم يملك متسعة في قارة اوروبا  
وسياتي ذكرهم منفصلاً

ثانيها قارة افريقيا وهي بلاد العبيد وتشتل على بلاد نوبيا والحسنة ومصر  
وغيرها وعدد اهلها نحو مئة مليون

ثالثها قارة اوربا وهي تنقسم الى جملة ممالك كبيرة كانكندرا وجرمانيا  
وفرانسا وقسم من المملكة العثمانية والمسكوب والنمسا وايطاليا وغيرها وفيها اكبر  
مدن العالم واحسنها وعدد سكان هذه القارة لا يزيد على ٢٠٠ مليون

رابعها اميركا وهي قارة متسعة جداً وفيها جملة جمهوريات كجمهوريات  
البلاد المتحدة والمكسيك وممالك كملكة برازيل والاملاك الانكليزية وغيرها  
واعظم هذه البلاد واشهرها الولايات المتحدة في اميركا الشمالية واهلها المعروفون  
بالاميركانيين الذين اشتهروا بالبحرية وجودة العقل حتى انهم يعدون بين  
شعوب العالم من الرتبة الاولى ويوجد في هذه القارة جملة مدائن كبيرة وجميلة  
واكثرها من نصف هذه القارة خال من السكان وعدد اهلها نحو مئة مليون

وبقي غير القارات المذكورة عدة جزائر في البحر المحيط تُعد كقسم خامس  
للعالم منها جزائر الاوقيانوس الباسيفيكي كجزيرة جافا وسومطرا وبورنيو واكبر  
جزيرة بين جزائر العالم جزيرة يقال لها اوستراليا سياتي الكلام عليها في محلها  
ان شاء الله تعالى وعدد سكان هذه الجزائر نحو ٢٠ مليوناً

اما الاديان في العالم فتقسم الى اربعة اقسام كبرى وهي وثنية ومسيحية  
واسلامية ويهودية كما ترى مجموعها في هذا الجدول

عدد اهل العالم بوجه التقريب

بحسب القارات		بحسب الاديان	
مليون		مليون	
٧٦٠	اسيا	٧١٥	وثنية
١٠٠	افريقيا	٢٠٠	باباوية
٢٠٠	اوروبا	٩٠	روم
٩٠	اميركا	١٢٠	بروتستانية
٢٠	جزائر اهر	١٤٠	اسلامية
		٥	يهودية
<hr/>		<hr/>	
١٢٨٠		١٢٨٠	

في اقسام رتب الجنس البشري ولغاتهم الاصلية

ومع ان العدد المذكور اعلاه جميعه من اصل واحد ترى بين الناس  
 اخلافاً وتفاوتاً عظيماً في اللون والشكل والطباع والعوائد . ويقسم الجنس  
 البشري باعتبار اللون الى ثلاثة اقسام وهي الابيض والاصفر والاسود  
 اما الابيض فنه تقريباً كل سكان اوررپا واميركا الشمالية ثم سكان غربي  
 اسيا وبعض اهالي اميركا الجنوبية وهذا القسم هو اعظم واشهر الاقسام المذكورة  
 واليه تنسب الرئاسة على باقي طوائف العالم . وهو ينقسم ايضاً الى عائلتين  
 كبيرتين هما السامية واليافثية نسبة الى سام ويافث ابني نوح فالعائلة السامية  
 تتضمن كل شعوب غربي اسيا كالعرب والفرس والترك والتتر واليهود  
 والكلدان والسريان الذين كانت منازلهم بقرب برج بابل بعد التبليل واستمروا  
 محافظين على معيشتهم في المرعى والجولان وهي العائلة التي اصطفاها الله سبحانه  
 ونعالي واختصها بالاعلانات الالهية وبقيت معرفته معلومة ومنهومة بين بعض



شعوبها زماناً طويلاً حتى انها من بعد فقد هذه المعرفة وتوغل شعوبها في العبادات الاصنامية كانت اصنامها اسمى من اصنام باقي طوائف العالم فانهم انتخبوا آلهتهم من الاجرام السماوية كالشمس والقمر والنجوم بينما كانت الهة غيرهم من دبابات الارض وصخور الحجر . اما العائلة الياثية فتتضمن كل الشعوب التي تكلم باللغات المعروفة بالهندية الجرمانية او الهندية الاوروبية كاللغة السنسكريتية وهي لغة مقدسة عند الهنود القدماء واللغة الزندية وهي من اللغات المقدسة ايضاً عند الفرس الاولين ثم اللغة السلاوية التي منها تشتق اللغات المسكوية والبولونية والسرية وغيرها . ثم اللغتين الالمانية والكلتية اي العائلة القديمة ثم اليونانية واللاتينية وغيرها . وهذه الشعوب الياثية لم تنق على حالها الاولى متفرقة في البوادي ومشتغلة بالملاهي ورعي المواشي كالشعوب السامية بل انعكف اكثرها على الزراعة واكتساب الصنائع والعلوم وانشاء العائر والابنية ففاقوا على باقي اخوانهم تمدناً وقوة وشهرة غير ان معتقداتهم الدينية كانت في رتبة ادنى من الساميين فانهم لتفرقهم وهجرهم مواطنهم وتوغلهم في البراري والقفار نسوا تلك المعارف الدينية المتصلة اليهم من نوح واولاده فاشركوا بالله بان عبدوا معه القوت الطبيعية والمناظر الرائقة التي كانت تترامى لهم كالرعد والحجر والنور والظلام وغير ذلك

اما القسم الثاني وهو الاصفر فيمتاز باصفرار البشرة التي هي اشبه بزيت الزيتون ولا يعلم الى من من اولاد نوح ينسب هذا الجنس من البشر على انه بالنظر الى المعارف والاداب هو ادنى جداً من القسم الاول مع انه كثير العدد ويتضمن كل شعوب اسيا الشرقية كالمغول الذين هم جنس من التتر ثم التتر والهنود واهل الصين وياپان وبعض شعوب روسيا في اوروبا وسكان شمالي اميركا المعروفين بالاسكيو وغيرهم

واما القسم الثالث وهو الجنس الاسود فتعني اشكاله عن الوصف . ومنه اكثر سكان اواسط افريقيا وجنوبها وسكان اميركا الاصليون الذين

وُجدوا قبل دخول الأوروبيين الى تلك القارة ثم سكان اوستراليا والجزائر  
المجاورة لها . وكان عدد كثير من هذا الجنس قد اتى وسكن في غرب اسيا  
وجنوبها كبايلونيا وبلاد العرب وكنعان وفينيقية ومصر واختلط مع العائلة  
السامية فنسخ من ذلك الاختلاط فروع عديدة . وهذا الجنس اقل تمدناً من  
الجنس المغولي وكثيراً منه في حالة التوحش التام وهم يعبدون الاصنام من  
الدرجة الدنيا كالحجوانات والدبابات والاشجار وكهنتهم من الصحرة اهل  
الخداع والنفاق الذين يضرون كثيراً بالشعب ويتصرفون في اموالهم ونفوسهم  
بزعمهم ان ذلك مما يصرف غضب الالهة عنهم

وقد قسم العلماء اهل العالم الى اربع مراتب وكل رتبة تتازعاً سواها  
بالمعارف والفنون فاصحاب الرتبة الاولى يقال لهم المتشورون والثانية المتمدنون  
والثالثة نصف المتمدنين والرابعة المتوحشون او البرابرة

اما المتشورون فهم الذين في اعلى درجة من التمدن والمعارف وعندهم  
انواع الكتب النفيسة والمدارس الكلية والابنية الفاخرة والمراكب البخارية  
والسكك الحديدية . واما المتمدنون فهم الذين عندهم نوعٌ من التنوير ولكنهم  
لم يصلوا الى درجة الكمال فلم العناية ومعرفة بالصنائع والمهن وبعض العلوم غير  
ان مدارسهم قليلة والعلوم فيها بسيطة حتى ان كثيرين منهم لا يتعلمون القراءة  
والكتابة ومنهم اهل الصين والهند والبعض الآخر من اهالي اسيا وافريقيا  
ولوروبا . واما نصف المتمدنين فهم الذين في الحال البربرية يسكنون في اكواخ  
من طين وليس عندهم معابد ولم عوائد غليظة ردية ومنهم اغلب العبيد في  
افريقيا وغيرهم من عشائر اسيا . واما المتوحشون فهم الذين يعيشون كالوحوش  
والبهائم بين الاجام والغابات ويقتاتون من الصيد بالقوس والنشاب ومنهم هنود  
اميركا وبعض العبيد في افريقيا وبعض سكان اسيا وجزائر الاوقيانوس

# القسم الاول

## في قارة اسيا وشعوبها ودولها وممالكها وما يتعلق بها الفصل الاول

في مناخ اسيا وحواصلها وجمالها وحيواناتها  
قد ذكرنا فيما سبق ان اسيا هي بلاد متسعة جداً تحتوي على مدن عديدة  
وشعوب كثيرة وبراير واسعة وتكلم عليها الآن باوضح بيان فنقول  
ان هذه القارة واقعة في الجهة الشرقية من الكرة الشرقية والهواء في  
جنوبها حار جداً واكثر اراضيها مخصصة بنمو فيها البن والفلفل والفسق واللوب  
والزيتون وقصب السكر والارز والموز والكافور والعود واللد وغير ذلك من  
الاصناف كالرياحين والنوابل والافيون والصبر والازهار البهجة ذوات  
الروائح الذكية وفي جنوبي هذه القارة مملكة الصين والهند والعجم والانراك  
والعرب

وفي اواسط اسيا جبال شامخة رؤوسها مغمورة بالثلج الدائم وهي من اعلى  
جبال الدنيا يبلغ ارتفاع بعضها نحو ستة اميال تقريباً . وفي شمال هذه الجبال  
اراضٍ باردة فيها سهول متسعة واهلها قبائل من التدر يتقلون من مكان الى  
مكان في طلب المرعى للجالم وخبولهم ومواشيمهم . وليس في تلك السهول المفرقة  
سوى قليل من المدن والقرى واكثر اهلها يسكنون في الخيام ويتنانون من لحوم  
مواشيمهم والبانها ويقتنصون الابل وحمار الوحش وغير ذلك من الحيوانات  
البرية في تلك النواحي والاقاليم

وفي هذه القارة اجناس كثيرة من الحيوانات التي تستحق الاعتبار كالابل في الغياض والكركدن على شطوط الانهر والاسد في البراري والسهول والتمر والفهد في الاجام . وفيها ايضاً اجناس هائلة يبلغ طولها ثلاثين قدماً او نحو خمس عشرة ذراعاً وانواع كثيرة من السعادين والقروذ في الاماكن الحارة وفيها ايضاً الخيول الحسان والجمال والهنج المستظرفة وغيرها من الحيوانات المختلفة لم نذكرها خوف الاطالة وفي الجهات الجنوبية من اسيا تحدث زواج عظيمة جداً فتعصف الاشجار احياناً . وحياناً تجف الارض وتيبس من قلة المياه فيحدث من جرى ذلك جوع شديد . وحياناً تاتي مع الرياح رياح عديدة من الجراد فتفسد الزرع وتبتلع كل نبات اخضر . وحياناً ياتي الوباء ويهلك الوفاً كثيرة من الناس . اما الآن فقد ضعفت قوة الامراض الوبائية اولاً بسبب اعناء ولاية الامور بالكورتبنا والتدابير الحسنة لحفظ الصحة العامة ثانياً بسبب تقدم الناس في هذا العصر الى درجة سامية من التمدن في المعيشة والرعاية

فرضي ما تقدم ان اسيا هي ارض العجائب والغرائب في تاريخها وجغرافيتها وانها اكبر اقسام الارض . فيها اعلى الجبال واكثر انواع الحيوانات والحيوانات وفيها تظهر احسن الفصول وسكانها اكثر عدداً من بقية القارات . وما يزيد بها اعشاراً وشرقاً انها هي الارض التي خلق الاسان فيها ومنها امتلأت الارض سكاناً وتفرقت في العالم وفيها حدثت اغرب الحوادث المتعلقة بتاريخ البشر وفيها ايضاً ولد اعجب واعظم الاشخاص الذين عاشوا في هذا العالم وفيها ظهرت الانبياء وانتشرت اكثر المذاهب الدينية وفيها ايضاً صنع الله القدير عجائبه العظيمة . وهي التي ارتقى اهلها في سالف الازمنة الى درجة سامية في الصنائع والمعارف بينما كان باقي اهل العالم ناعماً في قفر الجهالة والتوحش

## الفصل الثاني

### في الخليفة والطوفان وتشعب الارض ثانية

كان خلق العالم منذ نحو ستة الاف سنة وتفصيل حديثه مذكور ببارات راتنة واضحة في الاصحاح الاول من سفر التكوين

اما آدم وحواء فخلقهما الله عز وجل ووضعهما في بستان عدن الذي هو في القسم الغربي من اسيا بالقرب من نهر الفرات وقد كانا الشخصين الوحيدين في هذا العالم ولم يكونا يشعران بالوحدة لان الله كان معهما . ثم ولد لها اولاد وعلى تماذي الايام كثر نسلها جدا وابتنوا لهم قرى ومدنا في تلك الجهات المجاورة للفرات وسكنوها ولكنهم زاغوا اخيرا وارتكوا الشرور وتركوا عبادة الله حتى امتلات الارض ظلما منهم

ولما رأى الله ان شر الانسان قد كثر على الارض وان كل تصور افكار قلبه انما هو شرير قصد اهلاكهم وبادتهم بالطوفان ولم تكن تلك الدينونة التي نزلت بهم قصاصا لهم فقط بل موعظة وانذارا لجميع شعوب الامم في القرون المستقبلية ليعلموا بان الشر والويل يعقبان الخطية

وما يستحق العجب انه لم يكن بين تلك الطوائف المذكورة رجلا صالحا غير نوح فسر الله ان ينجيه مع عائلته من ذلك البلاء فاعلمه بقصده وامره ان يبني لنفسه فلكا ليعوم على الماء وان يدخل ذلك الفلك هو وبنوه وامراته ونساء بنيه ويدخل معه ازواجا من اجناس الحيوانات والديابات والطيور لكي يملأوا الارض ثانية بعد انام حكمه . ففعل نوح كما امره الله وبعد ان صاروا جميعا داخل الفلك انفتحت كوى السماء وانفجرت كل بياض النمر وغطت

المياه جميع الارض ومات كل ذي جسد كان يدب على الارض من الطيور والبهائم وجميع الناس واما الفلك فكان عائمًا بدون خطر على وجه المياه فهكذا انقطعت جميع الشعوب واندرست واصبحت الارض ثانية بعائلة واحدة من جنسنا البشري . وكان وقوع هذه الحادثة المخيفة بعد المخلقة بالف وست مئة وست وخمسين سنة . وكان حدوث الطوفان على راي الاكثرين في شهر تشرين الثاني وان الامطار كفت في شهر اذار وبعد ذلك جفت المياه وكان الفلك قد استقر على راس جبل عال في بلاد ارمينية يقال له اراراط لم يزل الى يومنا هذا . فخرج حينئذ نوح مع عائلته من الفلك ومنهم تشتتت الارض ثانية . اما الحيوانات فنفرقت الى كل الجهات وفي مدة اجيال قليلة ملات الارض

فانطلق بنو نوح مع عيالهم الى ارض شenaar الواقعة في جنوب جبل اراراط بالقرب من نهري الفرات ودجلة واستوطنوا هناك وكانوا يزدادون يوماً فيوماً حتى انهم في مدة مئة سنة بعد الطوفان صاروا شعباً عظيماً . وكان الى ذلك الوقت لم يزل اكثر اهل بيت نوح احياء فكانوا يخبرون اولادهم كيف طافت المياه وغطت وجه الارض وكيف اهلكت جميع الناس والحيوانات ما عدا الذين التجأوا الى الفلك وكان الذين بلغهم خبر الطوفان يخافون جداً ان يجلب شر البشر عليهم قصاصاً ثانياً نظير ذلك فاجمع رايهم على بناء برج عظيم لكي يتجأوا اليه وقت الحاجة ويتخلصوا به من الغرق والهلاك فشرعوا في تأسيسه على شاطئ نهر الفرات الى جهة الشرق واجتهدوا في قامته غاية الاجتهاد حتى رفعوه عن الارض مسافة ليست بقليلة وربما كانوا قاصدين مجهم ان يصلوا به الى الجو ومن هناك الى السماء ولكن مع كل اجتهادهم وتقدمهم في البناء كانت الشمس والنجوم لا تزال بعيدة عنهم كبعدهم عنها عند بداية مشروعهم في هذا العمل

فاتفق ذات يوم انه فيما كان هولاء الجهلة منهمكين في ذلك حدث

امرٌ عجيب يستحق الذكر وهو ان الله سبحانه وتعالى بلبل الستمم حتى لم يعد  
 يفهم احدهم كلام الآخر ومن الاختلاف في الفهم نتج الاختلاف في الاراء بين  
 الروساء والمرؤوسين

فهذه الحادثة العجيبة اقلقتهم وشوشت افكارهم حتى اضطروا ان يكفوا  
 عن بناء البرج والصعود الى السماء . ولما خاب املمهم وحبط عملهم تأسفوا  
 غابة الاسف على عدم نجاحهم وعزموا على الانتقال من هناك الى جولان في اقطار  
 العالم . والمظنون ان كل فرقة منهم من كانت تتكلم ببلغة واحدة تجتمعت  
 وانضم بعضها الى البعض وذهبت الى جهة معلومة من الارض . ودعي  
 اسم ذلك البرج برج بابل الى يومنا هذا

وقد سبق القول ان الارض تشعبت بعد الطوفان باولاد نوح وهم سام  
 وحام ويافث . وكان لياث هذا سبعة بنين

الاول جومر وهو الذي هاجر الى الشاطي الشمالي من البحر الاسود ومن ثم  
 تفرق نسله غرباً وسكوا في الجنوب الغربي من أوروبا وفي جزائر بريطانيا  
 واكثر الاوروبيين من نسله . وقد كان لجومر ثلاثة بنين الاول اشكناز ومحلته  
 الشاطي الجنوبي من البحر الاسود . الثاني ريفاث ومحلته شرقي اشكناز . الثالث  
 تجرمة ومحلته الجانب الشرقي من ريفاث

الثاني ماجوج ومحلته بلاد التتراي الشاطي الشمالي من بحر الخزر واكثر  
 سكان اواسط اسيا من نسله كالمغول . الثالث مادي ومحلته شمالي بلاد العجم .  
 الرابع ياوان ومحلته بلاد اليونان وباسم سي دانيال النبي اهالي هذه البلاد .  
 وكان لياوان هذا اربعة بنين الاول اليشة ومحلته هلاس وهي الولاية الجنوبية  
 الغربية من بلاد اليونان . الثاني ترشيش ومحلته كيليكيا في اسيا الصغرى في  
 الاناضول وباسم سميت مدينة ترسيس وذهب بعضهم الى ان من نسله من  
 سكن ايضاً في بلاد اسبانيا . الثالث كتم ومكانة عند شطوط بحر ايطاليا  
 وبلاد اليونان . الرابع دودانيم ومكانة البانيا اي بلاد الارناوط جنوباً من

مدينة تريسته ويطن ايضاً انه سكن في وادي مرسيليا في جنوب فرنسا .  
الخامس توبال ومحلّه بجوار ماجوج وبين البحر الاسود وبحر الخزر . السادس  
ماشك ومسكنه في جوار توبال وماجوج وقد سكن بعض نسله على شواطئ  
بحر البتليق ومنه تسلسل بعض المسكوبيين . السابع تيراس ولا يعلم محل  
سكنه والمظنون ان نصف اهل الارض من نسل يافث

واما حام فكان له اربعة بنين . الاول كوش وكان له ستة بنين ومحلّه  
غربي بلاد العرب وقد سكن اكثر نسله افريقيا ومنهم من سكن عند الشطوط  
الشمالية من خليج العجم وامتد شمالاً الى ما بين النهرين . ويطن ان اكثر اهالي  
افريقيا من نسله لانهم كانوا ينسبون اليه وان بنيه جميعاً سكنوا بلاد العرب  
وافريقيا ما عدا نمرود فانه سكن على الفرات وهو الذي اسس مدينة بابل .  
الثاني مصرام ومحلّه مصر ولذلك سميت مصر نسبة اليه وقد تفرع منه سبع  
قبائل الاولى لوديم ومحلها غربي مصر . الثانية عناميم وهذه كانت من القبائل  
الرحل . الثالثة لهايم سكنة جنوبي لوديم . الرابعة نتوجيم ومحلها على شاطئ  
البحر في الجهة الغربية من مصر والمظنون ان نبتون (اله البحر عند الاقدمين )  
ماخوذ منها . الخامسة قروسيم ومحلها مصر العليا . السادسة كسلوجيم ومحلها  
بين مصر وارض كنعان على شط البحر ومنها الفلسطينيين . السابعة كتوريم ومحلها  
جزيرة قبرس . الثالث فوط وقد سكن شمالي افريقيا ونسله المذكور مع كوش  
ولود . الرابع كنعان ومحلّه الارض المنسوبة اليه وهي هذه البلاد . وكان له اثنان  
الاول صيدون وهو الذي بنى المدينة المدعوة باسمه اي صيدا ويطن انها اقدم  
مدن العالم . والثاني حث . وقد خرج منه غير هذين الولدين تسع قبائل سكنت  
ارض كنعان الى ايام يشوع بن نون

واما سام فكان له خمسة بنين . الاول عيلام ومحلّه جنوبي بلاد العجم . الثاني  
اشور ومنه الاشوريون الذين كانوا مستعبدين لنمرود وكوش . الثالث ارفكشاد  
وقد توطن بين النهرين ومن نسله خرج ابراهيم خليل الله . وكان له ولد وهو



شالح الذي ولد عابر المأخوذ منه اسم العبرانيين وله فالح ويقطان وكان  
ليقطان اخي فالح ثلاثة عشر ولداً منهم قبائل بلاد العرب المخصبة وسكن  
الاسماعيليون بينهم . الرابع لود ومثله اللوديون ومعلم بر الاناضول . الخامس  
ارام ومحلة بين النهرين ولذلك سميت هذه الارض سهل ارام وكان له اربعة بنين .  
الاول عوص ومحلة عند راس خليج العجم . الثاني حول ومحلة عند مخرج نهر  
الاردن حيث يدعى باسمه . الرابع ماش وقد سكن الاناضول ايضاً  
فيتبين لنا ما تقدم ان اكثر اهالي اوروبا وشالي اسيا ايضاً من نسل  
يافت وان اهل اواسط اسيا من نسل سام واما اكثر اهالي افريقيا من نسل حام .  
واما بلاد اميركا وجزائر البحر فقد عمدت من اسيا وافريقيا بانتقال بعض  
الناس اليها وتوطنهم بها مارتن بيوغاز بيرين الذي يظن انه كان برزخاً  
وقد اكتشف بعض السياح المتأخرين على شاطئ الفرات تلة كبيرة من  
اللبن مجبولاً بالحمر مجففاً بالشمس والارحج ان هذه التلة من آثار خراب برج  
بابل الذي شرع به اولئك القوم بنوته من نحو اربعة الاف سنة

## الفصل الثالث

في مملكة اشور

الباب الاول

في نينوى وبابل

اشتهرت هذه الدولة بالدولة الاشورية نسبة الى اشور بن سام بن نوح  
اول ملوكها وكان من امرها انه عند تفرق الناس في العالم كما سبقت

الإشارة استوطن منهم جماعة في بلاد شنعار بالقرب من برج بابل وتمكوا فيها وكانت حارة الهواء ومخصصة التربة فكسوها بالمدن والقرى . ولما حسنت احوالهم وانتظمت امورهم اتحدوا وارتبطوا معاً وصاروا أمة مستقلة وكانت اول مملكة في العالم . وكان موقعها شرقي الدجلة يحدها شمالاً بلاد الارمن وغرباً ما بين النهرين وشرقاً بلاد مادي وجنوباً بابيلونيا وكانت وقتئذٍ منفصلة عن مملكة اشور . واول ملوك هذه الدولة اشور المذكور وباسمها دُعيت البلاد كما مر . وكان ملكاً مقتدرًا ذا شوكة عظيمة وهو الذي بنى مدينة نينوى سنة ٢٢٢٩ ق م وبنى لها سوراً منيعاً بلغ ارتفاعه ٥٠ ذراعاً واقام لوقايتها وصيانتها خمسة عشر برجاً طوّ كل منها مئة ذراع . قبل ان المدينة كانت كبيرة متسعة حتى لم يكن احد يستطيع ان يدور حولها مائتياً باقل من ثلاثين ساعة . وقد اكتشف احد السياح مؤخراً بين خرائبها بعض عاديّات مردومة واتصاوير منقوشة ومرسومة على التماثيل والاحجار فنقلت بعضها الى بلاد الانكليز وبعضها الى فرنسا وغيرها من البلاد الاوروبية

واما بابل عاصمة بابيلونيا فهي مدينة كبيرة شهيرة اعظم من بنوى انساءً واجملها رونقاً وحسناً بناها نمرود حفيد حام اي الابن السادس لكوش ابن حام الذي كان معاصراً لاشور المذكور . وكانت هذه المدينة قائمة في وسط سهلٍ فسيح وارضٍ مخصصة جداً يخرقها نهر الفرات جارياً في وسطها من الشمال الى الجنوب . ويحيط بها سوران عظيمان يبلغ محيطها ستين ميلاً وعرضها سعباً وثمانين قدماً بحيث تجري فوقها ست مركبات صفّاً واحداً وارتفاعها ثلثماية وخمسين قدماً وكان لها مئة باب من نحاس من كل جهة خمسة وعشرون باباً وكان لها ايضاً خمس وعشرون سوقاً تمر من جانب الى جانب شرقاً وغرباً وكذا شمالاً وجنوباً اي سوق ممتدة من كل باب الى ما يقابله في الجهة المقابلة وانقسمت المدينة بهذه الاسواق الى ٦٧٦ مربعاً بنيت البيوت حولها وفي وسطها احسن البساتين والمنتزهات . وكان في وسطها هيكل يعلى الاله اشور بين بتة

الملكة سميرامس الآتي ذكرها واقامت فيه تماثلاً من ذهب للصنم المذكور  
 علوه ٤٠ قدماً وكان من اعظم الهياكل واعلى من كل ما بناه البشر يبلغ  
 ارتفاعه ٦٦٠ قدماً وهو اعلى من اعظم الاهرام المصرية وقد وصفه هيرودوتس  
 المؤرخ اليوناني فقال انه كان مربع الشكل ومباحته من كل الجهات ٤٠٠  
 ذراع وفي وسطه برج عظيم يبلغ ارتفاعه سماية قدم . ويعلو هذا البرج سبعة  
 اراج علو كل واحد منها ٧٥ قدماً . وكان في البرج الاخير مسجد فيه مائة  
 من ذهب وفي البرج الاقل مسجد آخر فيه تماثيل من ذهب وشرب مائة  
 كرسي من ذهب يساوي ثمنها نحو ٢٢٤ مليوناً من الغروش وكان خارج هذا  
 المسجد مذبحان احدهما من ذهب يقدمون عليه الذبايح وهي من اناث الحيوانات  
 واما الاخر فكان عظيمًا جداً قد اعدوه لتقديم الذبايح المعتادة . وكانوا  
 يوقدون عليه كل سنة في عيد الاله المذكور ٢٠٠٠ اقة بخور

## الباب الثاني

### في اخبار الملكة سميرامس

وكانت الملكة سميرامس المقدم ذكرها زوجة الملك نينوس الذي كان  
 قد انفرده باستكار ملكة ا. اور واستولى على جميع الممالك الواقعة بين نهر  
 الهند والبحر المتوسط فتولت على الملكة بعد وفاة زوجها وبذلت الهمة في تحسين  
 مدينة بابل وترميمها فاقامت فيها الابنية العظيمة والماياكل المتظمة واستأنت  
 القصور والبساتين والترع والناظر وغير ذلك من المباني المزخرفة والمتزهات  
 البهجة

ومن العجائب ان هذه الملكة لم تكف بما كانت عليه من العظمة والجاه  
 وطيب العيش بل اهاجها الطمع الى الاستيلاء على باقي ممالك الدنيا فجمعت  
 جيشاً عظيماً وزحفت به على بلاد هندستان في الجنوب الشرقي من ملكة اشور



كان خليل الله عاش من العمر ١٧٥ سنة وتوفي في حبرون وهي المعروفة الان بمدينة الخليل ودُفِن بجانب زوجته سارة في مغارة المكفيلة وهي لم تنزل الى يومنا هذا ويقصدها كثير من السياح

واما اتحقى بن ابرهيم فرزق ولد بن وهما عيسو ويعقوب فاشترى يعقوب من اخيه عيسو بكوربته باكلة من العدس وبعد ذلك اكتسب من ابيه بالحيلة البركة التي كانت معدة لعيسو فصار هو الوارث للبركة والموعود عوضاً عن اخيه البكر. ورزق يعقوب اثني عشر ولداً وهذه اسماؤهم راوبين. شعون لاوي. دان. يهوذا. نفتالي. جاد. اشير. يساخر. زبلون. يوسف. وبنيامين. ومن هولاء تسلسلت اسباط بني اسرائيل الاثنا عشر. اما يوسف احد اولاد يعقوب فكان اخوته قد باعوه للاساعيليين فاخذوه الى مصر وباعوه عبداً سنة ١٧٢٩ ق م وبعد ما اقام ١٤ سنة في الاسر تقدم في باب فرعون طوطيس الثالث احد ملوك الدولة الثامنة عشرة كما سنين ذلك باكثر وضوح في الكلام على تاريخ مصر وكان الواسطة في حفظ حياة ابيه واخوته من الموت بالجموع. وفي سنة ١٧٠٦ ق م انحدر ابيه يعقوب مع اولاده الاثني عشر الى مصر وسكنوا هناك وتكاثروا حتى صاروا امة عظيمة. ومات يعقوب سنة ١٦٨٩ ق م ويوسف سنة ١٦٢٥

ولما توفي فرعون ملك مصر الذي كان يحب يوسف خلفه فراعنة آخرون لم يكونوا يعرفون الاسرائيليين فاساءوا اليهم وظلموهم وساموهم اعمالاً شاقة جداً وعاملوهم كالعبيد. وكان من جملة الفسادة البررية التي اجراها احد الفراعنة المذكورين مع العبرانيين اصداره امراً بان كل ذكر يولد لهم يُبَلَّغ حالاً في نهر النيل. وقصد في ذلك ان يقطع نسلهم لئلا يكثروا وتقوى شوكتهم على المصريين ويغتصبوا منهم البلاد

## الباب الثاني

في خروج بني اسرائيل من مصر تحت رياسة موسى  
واستيلائهم على ارض كنعان

وما زال بنو اسرائيل يكابدون المشقات والمتاعب حتى ولد موسى فجماعته  
امه في تابوت والقتة بين الحلفاء على حافة النهر ووقفت اخيه من بعيد لتنظر  
ما يكون من امره وبعد ذلك بقليل حدث ان ابنة فرعون جاءت الى النهر  
مع جوارها لتغتسل فرأته واستخرجته من التابوت ورقت له وقالت هذا من  
العبرانيين فمن لنا بمن ترضعه فقالت لها اخيه انا اذهب وادعو لك مرضعة  
من العبرانيات فقالت اذهبي فذهبت الفتاة وجاءت بامه فسلمتها ابنة فرعون  
الصبي فاخذته وارضعته ولما ترعرع انت به اليها واسلمته لها ونشأ عندها ودعت  
اسمه موسى وعلمته كل علوم المصريين وفنونهم التي كانوا قد امتازوا بها على  
باقي اهل العالم فانها اتقاناً جيداً . ولكنه مع ما كان عليه في بيت فرعون من  
الرفاهية والصولة لم ينس مشقات العبرانيين وتهداتهم متذكراً انهم اخوته  
فكان يشفق عليهم ويود خلاصهم

ثم اعطى الله موسى وهرون اخاه قوة من السماء على ان ياتيا فرعون  
ويطلبا اليه اطلاق العبرانيين من عبودية المصريين وجور فراعثهم ويصنعا  
العجائب امامه ليعلم بان هذا الطلب هو من الله . فخرجوا اليه وصنعا عجائب  
كثيرة وضربا المصريين بالضربات العشر المعلومة واحدة بعد اخرى فسلم  
فرعون اخيراً باطلاق سيدهم فساروا حتى انتهوا الى ساحل بحر الاحمر  
المعروف ببحر السويس الفاصل بين مصر وبلاد العرب ولكنه بعد خروجهم  
بقليل ندم على ما فعل فجمع فرسانه وجنوده وتبعهم ليعيدهم للذل والعبودية  
فامر الله موسى ان يضرب البحر بعصاه فاضربه فانفلق قسمين فعبروا على

اليابسة حتى انتهوا الى الشط الثاني ولما ادركهم فرعون أتبعهم وحاول ان يعبر وراءهم ولما صار في وسط البحر امر الله المياه ان ترجع كما كانت فانطقت على فرعون فغرق في البحر هو وكل جيشه وفرسانه ومركباته

وكان عدد العبرانيين الذين خرجوا من مصر تحت قيادة موسى نحو مليونين ونصف . وكان خروجهم منها في زمن منقطا الثاني احد فراعنة الدولة التاسعة عشرة بعد ان اقاموا فيها مدة ٢١٥ سنة وذلك من نزول يعقوب الى وقت خروجهم . وكان عمر موسى وقتئذ ثمانين سنة وكان على جانب عظيم من الحلم والتواضع والحكمة

وان قال قائل كيف جازمت بان الاسرائيليين اقاموا في مصر ٢١٥ سنة وموسى يقول ان اقامتهم كانت ٤٣٠ سنة وبوافقه على ذلك بولس بقوله ان الناموس الذي صار بعد ٤٣٠ سنة لا ينسخ عهداً قد سبق فتمكن من الله فنقول ان المراد في هذا القول اعتباراً من يوم تغرب ابرهيم في ارض كنعان وليس المقصود فيه التغرب في مصر وواقعة الحال تؤيد الخبر وهاك بيان ذلك

	سنة
من وصول ابرهيم الى بلاد كنعان الى ولادة ابنه اسحق	٢٥
من ولادة اسحق الى ولادة ابنه يعقوب	٦٠
من ولادة يعقوب الى نزوله الى مصر	١٣٠
مدة اقامة الاسرائيليين في مصر كما تقدم القول	٢١٥
	<hr/>
	٤٣٠

وان قال آخرا ان المدة الموحى بها من الله الى ابرهيم بالوعد هي اقصر من المدة المحكي عنها من موسى وبولس بثلاثين سنة فالجواب ان كلام الوحي لا يشير الى ذات ابرهيم بل الى نسله حيث يقول ان نسلك سيكون غريباً في ارض ليست لهم اربعاية سنة واما موسى وبولس فيشملان غربة ابرهيم ايضاً اذ بحسبان انه كان غريباً مثل نسله فاذا قد نقرر ذلك وجب علينا ان نحذف من الحساب

المتقدم ذكره الخمس والعشرين سنة المنسوبة الى غربة ابراهيم لحين ولادة اسحق فيكون الباقي ٤٠٥ سنين ولاجل التلخيص من فرق الخمس سنين نقول انه كان من عادة اليهود في تلك الايام ان نفظم اطفالها في نهاية الوقت الذي انتقلوا به من سن الطفولية الى سن الصبا اعني بعد مرور خمسة اعوام من تاريخ الولادة فرى اذا ما تقدم ان المدة التي حددها الله لابراهيم بيندئ تاريخها من ذلك اليوم الذي كان محفوظاً لاحتمال فطام الولد وعلى هذه الكيفية تكون الموافقة تامّة

وكان قصد الله في اخراج العبرانيين من مصر ان يذهبوا الى ارض كنعان التي وعد ان يملكهم اباها على لسان ابراهيم . وكان طريقهم على اطراف بلاد العرب التي هي شرقي بلاد مصر والبحر الاحمر . ولكي لا يضلوا عن الطريق اقام لهم عموداً من سعاب ليرشدوهم في مسيرهم بهاراً وعمود نارٍ يضيء لهم ليلاً في رحلاتهم . واذ كانت تلك البراري المتفرقة بلا نبات ولا ماء كان الله يقينهم بالماء عوض الخبز وبالسلوى عوض اللحم ويأتيهم بالماء من وسط الصخرة وقد اعانهم ونصرهم في محاربتهم لاهل عماليق

ولكنهم مع كل هذه المراحم لم يعتبروا احسانات الله فعصوا وتردوا عليه بانواع مختلفة وكثيراً ما تركوا عبادته وعبدوا الاصنام . وبينما كان الله معلناً ذاته لموسى على جبل سينا الزم الشعب هرون ان يصنع لهم عجلاً من ذهب ليعبدوه عوضاً عن الخالق الذي اخرجهم وانقذهم من عبودية المصريين بذراع رفيعة وقوة عظيمة

ولسبب مخالفتهم وتعدياتهم الكثيرة غضب الله عليهم وانتقم منهم اشد انتقام فامات بعضهم بالوباء وجعل الارض تفتح فاهها وتبتلع بعضهم واصلاً الاخرين عن الطريق اربعين سنة فتاهوا في برية بلاد العرب مع ان المسافة بين مصر وارض كنعان لا تبعد اكثر من مائتين وخمسين ميلاً وهي عبارة عن اثنتي عشرة مرحلة فقط وزد على ذلك انه لم يدخل الى ارض كنعان احد من ذلك



الجبل الذين خرجوا من مصر الآ يشوع بن نون وكالب بن يفتة والباقون ماتوا في البرية ولم يدخلها غير اولادهم واولاد اولادهم حتى ان موسى ايضا لم يسمح له بالدخول بل اراه تلك الارض الواسعة من راس الفسحة في جبل نبو وهناك مات ولم يعرف قبره الى هذا اليوم

ثم اقام الله للاسرائيليين بعد موسى يشوع بن نون فقادهم الى ارض الميعاد واخضع لهم اهل تلك البلاد وقتل ملوكها واحرق مدينها بالنار وقسم املاكها وارضاها على اسباط اسرائيل الاثني عشر. وبعد موت يشوع ارتد بنو اسرائيل عن الله وعبدوا الالهة الغريبة فسلط الله عليهم الفلسطينيين واسلمهم بيدهم فكانوا يضايقونهم ويذلونهم ويسبونهم وكانوا عندما يلتجئون الى الله ويصرخون اليه في وقت الضيق والشدة يشفق عليهم ويقوم لهم قوادا من ذوي الاهلية واللياقة في السياسة والحروب وكان بزيمهم بشجاعة وحكمة لكي ينفذهم من مصائبهم وشدائدهم ويكونوا ولاة امورهم. وتلقب هؤلاء القواد بالقضاة اذ كانوا يقضون ويحكمون بين الشعب. وذلك في المدة المتوسطة بين موت يشوع المذكور وقيام شاول الملك الاول وكانت سلطة هؤلاء القضاة اقل من سلطة الملك فلم يكن لهم سلطان ان ينظمو احكاما او قوانين جديدة بل كانوا يجامون عن الشرائع ويحافظون على حقوقهم وينظرون لكليات مصالحهم ويتفقون من المجرمين ولاسيما الذين يتوغلون في العبادة الوثنية. وكان عدد هؤلاء القضاة اربعة عشر واستمر حكمهم بحسب راي الاكثريين نحو ثلث مئة وعشر سنين وذلك من بعد موت يشوع بعشرين سنة الى تويج شاول الملك الاول والجداول الآتي يبين اسماءهم وتاريخ حكمهم

## جدول اسماء القضاة وتاريخ حكمهم

سنة ١٢٩٤ ق م	٠١	عثثيل بن قناز اخو كالب
١٢٢٦	٠٢	اهود بن جيرالنيايني
	٠٣	شجر بن عناة
١٢٩٦	٠٤	باراي بن اينوعم ومعه دبورة البية
١٢٤٩	٠٥	جدعون بن يواش ويقال له يربعل
١٢٠٦	٠٦	تولع بن فواة بن دودو
١١٨٢	٠٧	ياثير الجلعادي
١١٤٢	٠٨	يفتاح الجلعادي
١١٢٧	٠٩	ابسان من بيت لحم
١١٢٠	١٠	ابلون الزيلوني
١١٢٠	١١	عبدون بن هليل الفرعوني
١١٤٠	١٢	شمشون بن منوح
١١٨٢	١٣	عالي الكاهن
١١٤١	١٤	صموئيل النبي

## الباب الثالث

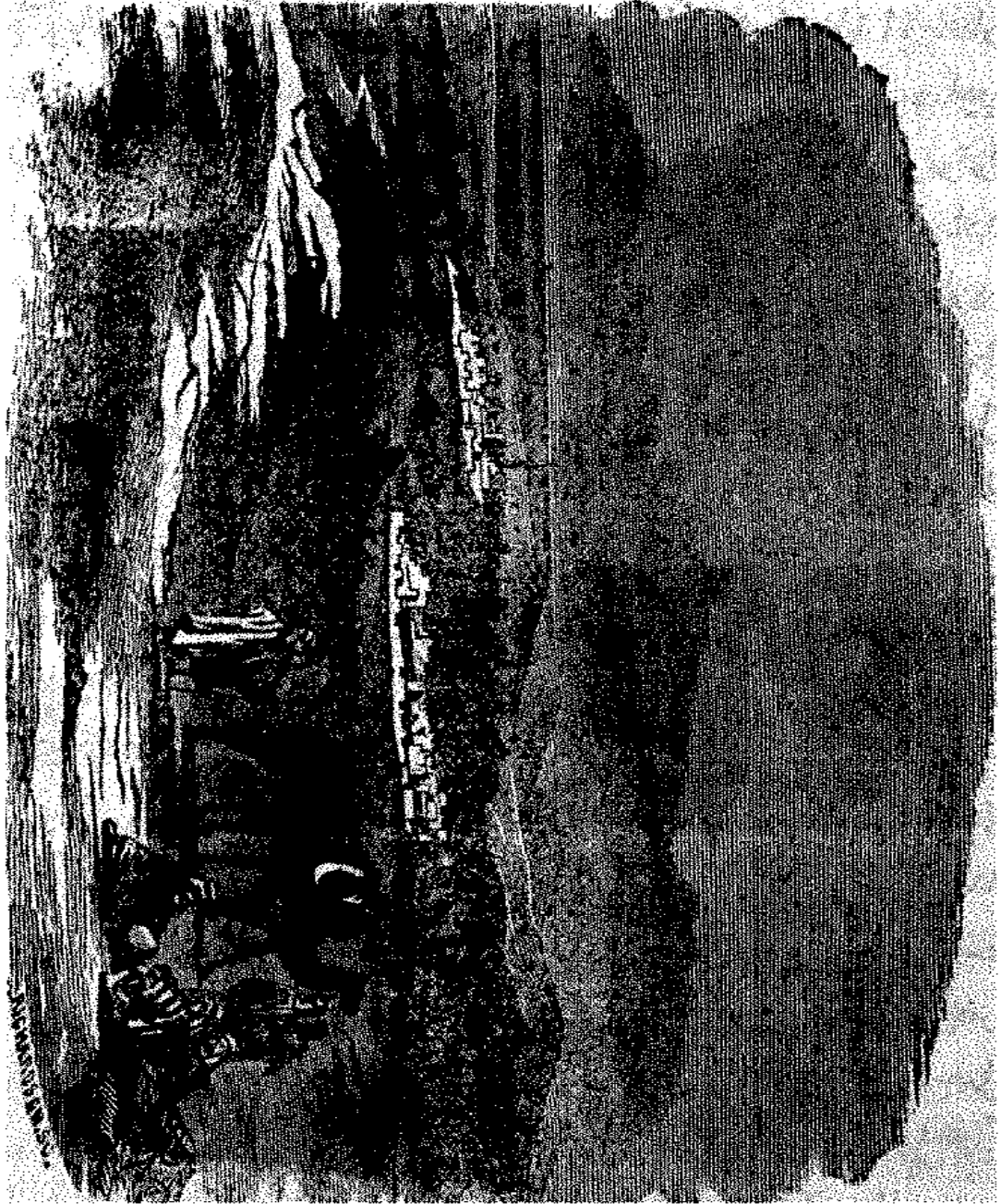
## في ذكر جدعون وشمشون من قضاة الاسرائيليين

وحيث كان بعض اولئك القضاة ذوي شجاعة وبأس رأينا ان نذكر بعض افعالهم تذكارا لهم فنقول انه في مدة قضاء جدعون اتي المديانيون بجيوش عظيمة وجموع كثيرة وضابطوا الاسرائيليين وحاصروهم مدة سبع سنين

واذلوهم كثيراً فأمر الله جدعون المذكور ان يتزل اليهم بثلاثمائة رجل فتل اليهم بهذا العدد وكان كل واحد منهم حاملاً بيده الواحدة جرة فارغة داخلها مصباحٌ وبالاخرى بوقاً فلما اشرفوا عليهم وجدوهم نياماً وهم في غاية الاطمئنان غير مبالين بشيء فأمر جدعون رجاله ان يكسروا جرارهم ويشهروا مصابيحهم ويسارهم ويوقوا بابواقهم ففعلوا كما امرهم فتناولوا المصابيح باليسار وبوقوا بالايمن ونادوا باعلى اصواتهم للرب ولجدعون فاتبه المديانيون من رقادهم نعتة وهم يظنون ان عسكر الاسرائيليين قد هجم عليهم ودهمهم فخافوا واضطربوا ونهضوا في الحال لا يعلمون ماذا يفعلون وكانوا يزاحمون بعضهم بعضاً على الهزيمة والفرار ويقتل كل منهم صاحبه وهو لا يعرفه واشتدت بينهم المعركة طول ذلك الليل حتى قتل بعضهم من البعض عدداً كثيراً وولى من بقي منهم الى بلاده غير مصدقين بنجاتهم

ومن اعظم قضاة اسرائيل واشهرهم شمشون الجبار وكان من اشد جبابرة العالم واقدرهم لم يات الزمان بمثله . ولم يفعل احد كفعله وما يستحق العجب ان سبب قوته كانت ناشئة من شعر راسه لانه كان اذا اطلق شعره تضاهي قوته قوة مئة رجل واذا حلقه تضعف ويصير كباقي الناس . ومن افعاله انه التقى يوماً باسد كاسر فقبض عليه وشق نصفين كما يشق الرجل الجدي وليس في يده شيء . والتقى يوماً بثلاثين رجلاً فقتلهم واخذ ثيابهم وامتعنهم . وفي ايام تغلبت الفلسطينيين على الاسرائيليين وضروا بهم فغضب شمشون من ذلك ونهض لقاومتهم والانتقام منهم . فامسك مرة ثلثماية ابن آوى واخذ مشاعل وجعل ذنباً الى ذنب ووضع مشعلاً بين كل ذنين في الوسط ثم اضرم المشاعل ناراً واطلقها بين زروع الفلسطينيين فاحرق الاكداس والزروع وكروم الزيتون . وقتل مرة منهم الف رجل بفك حمار من بعد ما قطع الوثق التي كان مقيداً بها وهي حبلان جديدان . ونزل يوماً الى غزة فأوحد عليه الفلسطينيون ابواب المدينة لكي يقتلوه عند الصباح ولما علم بذلك قام عند نصف الليل ونزع

مصراعي باب المدينة مع القائمتين والعارضة وحملها على كتفيه وصعد بهما الى  
 اسرنة بعيدة



غزة

وكان يمشون مع شدة بغضٍ للفلسطينيين ومواظبتهم على اضرارهم قد احب  
 امرأة منهم اسمها دلياة فكانت تظهر له الهبة والوداد وهي في الباطن عاملة على  
 اهلاكهم لان الفلسطينيين كانوا قد وعدوها بمبالغ وافرة لتقدمه وتعلم منه بماذا

تقوم قوته العظيمة فاخذت دابلة تملئة بانواع الخداع والحيل لكي يقر لها  
بهذا الامر فخذعها شمشون وقال لها انه اذا رُبط بسبعة اوتار طرية تذهب  
قوته فجزبت ذلك وربطته بسبعة اوتار ثم قالت له الفلسطينيون عليك  
يا شمشون وكانت فرسانهم كامنة عندها في البيت فقطع الاوتار كما يقطع قتل  
المشاقة اذا شم النار. ثم الحت عليه ثاية بتشد يد ان يعلمها الصبح فقال اذا  
اوثنوني بحبال جديدة لم تستعمل اضعف واصير كواحد من الناس. فربطته  
بحبال جديدة ونادته كالاول فقطع الحبال عن ذراعيه كما يتقطع الغلام  
الخيظ فاغناظت دليلة اخيراً وكررت عليه السؤال واذ لم يمكنه مخالفتها اخبرها  
بواقعة الحال ولما اكشفت لها الامر وعرفت باطن الطوية وان قوته قائمة  
باطلاق شعره وعدم رفع موسى على راسه لانه كان نذيراً لله من بطن امه ارسلت  
فدعت اليها وجوه آل فلسطين واوقفتم على الحقيفة واخذت منهم الفضة التي  
وعدها بها ثم جعلتهم في كهين وانامت شمشون على ركبها ودعت رجلاً خلق  
له شعره ففارقته قوته وبهذه الوسيلة اسلمته لاعدائه فاخذة الفلسطينيون  
واوثقوه بسلاسل من نحاس وقلعوا عينيه وسجنوه وجعلوه يطحن الشعير  
والحنطة. وابتدا شعر راسه يتبت بعد ان خلق فعادت اليه قوته كما كانت  
وصار من اشد الناس. وانفق في بعض الايام بينما كان الفلسطينيون مجتمعين  
يوم عيد الهم داجون وهم في غاية الفرح والحبور على اسر شمشون انهم دعوا  
شمشون من السجن ليلعب امامهم ويبسطهم فجاء الى القاعة التي كانوا مجتمعين  
فيها وكان البيت مملواً من الرجال والنساء وعلى السطح نحو ثلاثة الاف نسمة  
يتفرجون على لعبه وكان في وسط القاعة المذكورة عمودان كبيران كان البيت  
قائماً عليها فلما فرغ شمشون من لعبه قبض على العمودين المذكورين الواحد  
بيمينه والاخر بيساره وانحنى عليها بقوته من بعد ما استعان بالله فسقط البيت  
على من فيه وماتوا جميعاً فكان الذين امانهم بموته اكثر من الذين امانهم في  
حياته

## الباب الرابع

## في ذكر شاول وداود وسليمان

اذ لا يسعنا في هذا المختصر ان نستوفي كل اخبار ملوك اسرائيل ووقائعهم  
وحروبهم رأينا ان نذكر اعظمتهم واشهرهم على وجه الاختصار فنقول . لما نفر  
شعب اليهود من احكام القضاة اخذوا يسعون في اقامة ملك عليهم ليسوسهم  
ويدبر امورهم فاجتمع جمهورهم وقصدوا النبي صموئيل وكان يومئذ قاضياً ورئيساً  
عليهم والتمسوا منه ان يختار لهم ملكاً من لاهل الدراية والاستقامة فاشار عليهم ان  
يكفوا عن هذا الطلب واظهر لهم المظالم والمتاعب التي كانت الملوك تجربها في  
تلك الايام المظلمة . واذ كانوا لا يسمعون له ولم يقدم على ردهم انتخب لهم شاول  
بن قيس ومعه ملكاً عليهم سنة ١٠٩٥ ق م وهو اول ملوك اسرائيل . وكان

جميل الصورة طويل القامة محكم  
نحو اربعين سنة وكان في اول  
امره سالكا طريق الحكمة  
والاستقامة ممتازاً بمكارم الاخلاق  
والتقوى لكنه اخيراً تجبر وتكبر  
اذ اتخذ لنفسه وظيفة الكهنوت  
المحصورة في الكهنة فقط وعصى الله  
باسنقاته اجاج ملك عماليق  
واعفاه عن خيما الغنم والبقرة



كاهن عبراني يهبح ملكاً

خلاقاً لامر الله الذي كان قضى بتجربتها وقتلها

وكان في ايامه بين الاسرائيليين وباقي الشعوب المجاورة لم حروب متصلة

واجتمع الفلسطينيون يوماً لقتال الاسرائيليين فالتفاهم شاول بمجموع اسرائيل . وكان في معسكر الفلسطينيين شخص من الجبابرة الطغاة اسمه جليات طوله ست اذرع وكان متدرجاً بالحديد ومسلحاً بالاسلحة المانعة ووزن سنان ربحه احدى عشرة اقة . وكان ينزل كل يوم الى ساحة الميدان ويتهدد الاسرائيليين بالكلام ويستدعهم للمبارزة والقتال فيتأخرون عنه وبخافونه كما تخاف الشاة من الذئب ولم يزل على ذلك حتى اقبل على اسرائيل داود بن يسي من سبط يهوذا من مدينة بيت لحم وكان شاباً صغير السن يرعى الغنم لايه وكان مع صفرسه شجاعاً جسوراً فلما سمع صوت الفلسطيني استأذن من الملك شاول لمبارزته فاذن له بذلك فاسرع ونزل الى ميدان الحرب بشيء المعنادة ولم يكن مع داود سلاح سوى مقلع وخمسة احجار من زاط في كفه فلما رآه ذلك الجبار صاح عليه صيحة عظيمة واخذ يتهدده ويشتمه فلم يكثر داود بكلامه بل تقدم لاستقباله واخذ حجراً من كفه ووضع في المقلع وقال انت تاتي الي بالسيف والرمح وانا آتي اليك باسم رب الجنود ثم رم المقلع وقذفته بالحجر فارتز في جبهته وسقط على وجهه الى الارض فبادر داود اليه واستل سيفه وقطع به راسه فلما رأى الفلسطينيون ان جبارهم وعميدهم قد مات انهزموا وتفرقوا في اقطار النلا فتبعهم الاسرائيليون وقتلوا منهم عدداً كثيراً ثم رجع داود من الحرب ويده راس جليات فاكتسب بذلك فخرًا ومدحاً من جميع الناس وزوجه شاول بابنه وجماعة حامل سلاحه ثم حسده وابتل منه بالغيرة وصم على قتله فهرب داود من امام وجهه ولحق باهل فلسطين واقام عندهم اياماً ثم التجأ الى الجبال والكهوف وبقي على هذه الحال نحو ٢٤ سنة حتى قتل شاول مع ابنه يونانان في حروبه الاخيرة مع الفلسطينيين

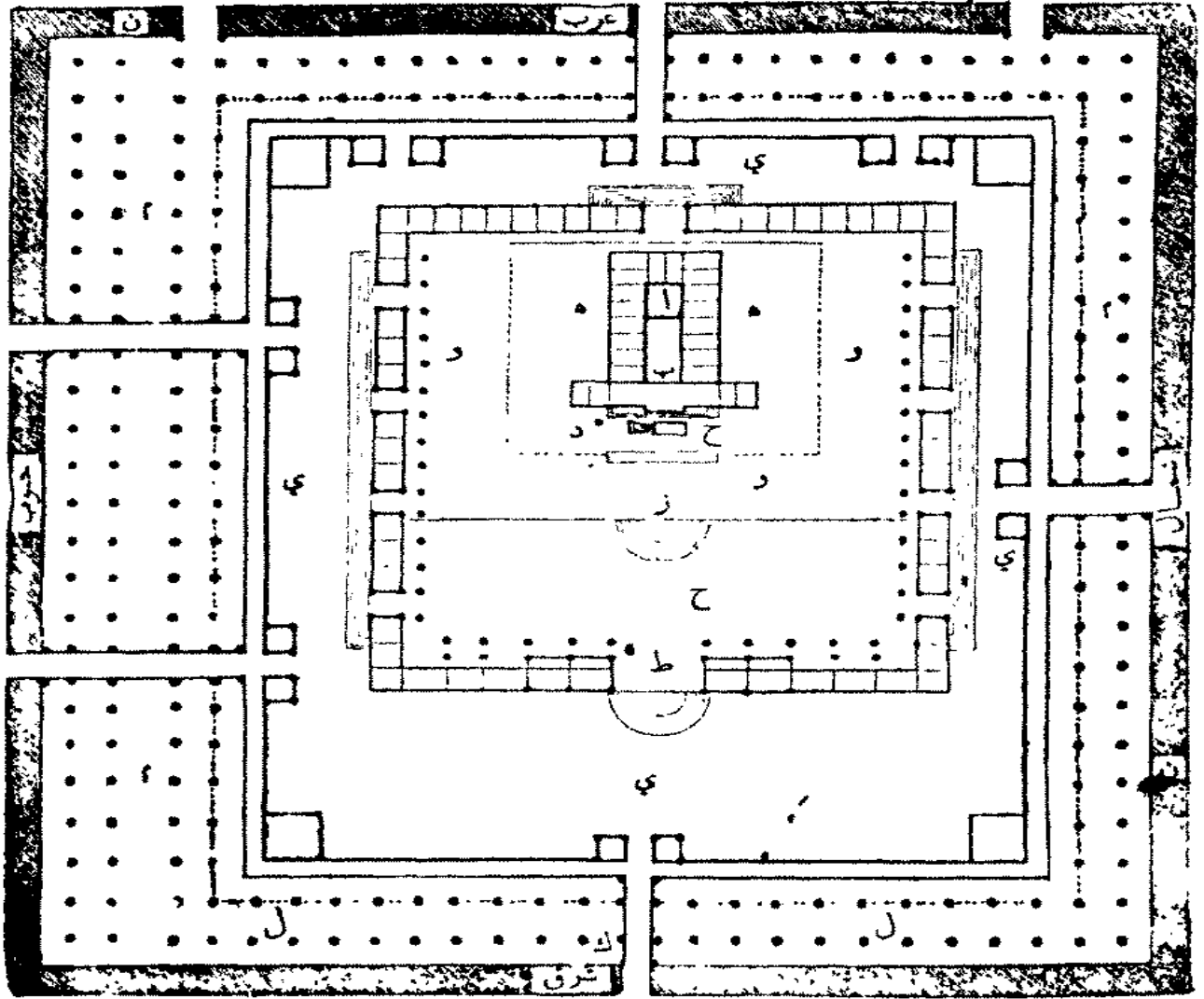
وبعد موت شاول اخنار شعب يهوذا داود المذكور ملكاً عليهم وكان ذلك سنة ١٠٥٥ ق م فساسهم سبع سنين وستة اشهر ثم انضم اليه جميع اسباط اسرائيل فتولى عليهم نحو ثلاث وثلاثين سنة وقاتل جميع الامم المجاورة له وظفر

هم واذلهم وضرب عليهم الجزية واعنتى باصلاح المملكة فهدبها وشيدها حتى بلغت الى درجة سامية من العظمة والفخار والشوكة والافتقار وجعل قصبة مملكته مدينة اورشليم . وكان داود على جانب عظيم من الحكمة والتقوى والصلاح مستقيماً مع الله فاحبه الله ووعدته انه يعطي الملك لسلوه من بعده وان المسيح ياتي من ذريته . وكان شاعراً فصيحاً وقد خلف ذكراً مؤيداً بنشائده الزبورية المطربة التي لا يزال اكثر الناس يستعملونها الى يومنا هذا في التسيجات الروحية ويشترك في الفاظها الرقيقة العذبة كل قلب نفي غير انه كان وقع في زلة فظيعة بقتله اوريا الحثي لاجل التزوج بامرأته فاورثه ذلك الحزن الشديد وتاب الى الله وقبل

ثم قام بالملك من بعد داود في بني اسرائيل ابنه سليمان وكان ملكاً مهيباً حكيماً ذا شوكة وثروة وفراصة وهو الذي بنى الهيكل المشهور في مدينة اورشليم لعبادة الله عز وجل وكان قد مضى على اليهود نحو اربعماية وثمانين سنة منذ خروجهم من مصر ولم يكن لهم مسجد فاعنتى ببنائه وانفق عليه اموالاً جزيلة وكانت اخشاباً من شجر الارز والسرو الذي استخيل من لبنان بواسطة حيرام ملك صور وزين الهيكل من داخله بانواع النقوش والمائيل الملبسة بالذهب بما لا يستطيع لسان القلم ان يصنعه او يحصي قيمة نفقته واستمر في بنائه نحو سبع سنين وكان الفراغ منه بعد الخليفة بثلاثة الاف سنة وقبل المسيح مائت سنة وحسب هذا البناء من عجائب الدنيا

وكان سليمان شاعراً مثل ابيه وله مؤلفات في الفلسفة الادبية وقضى كل مدة ملكه في راحة تامة مع الملوك حيرائه وكان محبوباً ومكرماً من الجميع ولكنه سقط بالعبادة الوثنية واتخذ لنفسه نساء كثيرة ما بين حرة وسرية وتزوج بنت فرعون ملك مصر وبنى لها على ما قيل القصر الذي في بعلبك ومدينة تدمر في البرية ثم ندم وتاب ورجع الى الله





## معنى الاشارات في هذه الصورة

ح	دار النساء	ا	قدس الاقداس
ل	رواق سليمان	هـ	دار الكهنة
ط	الباب الجميل	ب	القدس
ي	دار الامم	ج	مذبح المحرقة
ك	الباب الشرقي	د	مرحضة النحاس
م	الرواق السلطاني	و	دار اسرائيل
ن	الحائط الخارجي	ز	باب نيكانور

وما ذكر من امر فراسته انه بينما هو ذات يوم في مجسود دخل عليه  
امرأتان تتنازعان على طفل صغير تدعي كل امرأة منهما انه ولدها واذ كان  
الامر ملتبساً امر سليمان باحضار سيف وان يُقطع الطفل الى قطعتين ويُعطى  
لكلٍ منهما النصف لاجل فض هذا المشكل فلما رأت ام الطفل الحقيقية بريق



ارزلبان

السيف فوق رأس ابنتها تحركت عواطف قلبها بالشفقة والرافة وصرخت قائلة

لا تفعل يا سيدي ضرراً بالولد بل اعطه الى هذه المرأة الشريرة ودعه يجبا اما  
 المرأة الثانية فقالت بدون شفقة اني لا اريد الا حتي فليقطع الولد وانا آخذ  
 نصفه فلم حينئذ سليمان من تصرفها الام الحقيقية وامر باعطائها ابنها  
 واصل سليمان بلاد اليهودية الى درجة عليا من المجد فكانت ممتدة  
 الى حدود مصر وقسم من البحر الاحمر جنوباً وغرباً والى نهر الفرات شمالاً  
 وشرقاً . وكانت اليهودية يومئذ منقسمة الى قسمين . الاول اليهودية التي  
 استولى عليها الاسرائيليون في ايام يشوع وقسمها بينهم كما هو مذكور في سفره  
 والثاني اليهودية المفتوحة المتضمنة ممالك الشام وتدمر وبلاد الادوميين والعمونيين  
 والموابيين وغير قبائل عربية للجنوب والشرق . ولاجل تسهيل ادارة الاحكام  
 قسم سليمان هذه البلدان الى اثني عشرة ولاية واقام عليها اثني عشر والياً من  
 رجاله الامناء . وكان له ايضاً سفن بحرية كانت تسافر مع سفن الصوريين  
 الى شرقي افريقيا والبعض يقولون انهم وصلوا الى بلاد الاندلس  
 وتوفي سليمان لاربعة سنين من ملكه ودفن بجانب ابيه داود فهو لاهم  
 الملوك الثلاثة الذين استولوا على كل اسباط اسرائيل

## الباب الخامس

### في انقسام مملكة اليهود والاسر البابلي

وبعد موت سليمان تولى ابنه رحبعام سنة ٩٧٥ ق م وحسب انباء الله  
 السابق ما لبث في المملكة حتى انقسمت الى قسمين فانحاز الى بوربعام بن ناباط  
 عشرة اسباط اسرائيل واقاموه عليهم ملكاً واتخذوا مدينة السامرة كرسيّاً للملكم

وبني رحبعام بن سليمان ملكاً على سبطي يهوذا وبنيامين في مدينة اورشليم وما يليها . وكان السبب في ذلك اتباعه مشورة اصدقائه الاحداث ورفضه راي الشيوخ في مسألة الشعب ومعاملتهم بالرفقة واللين . وكانت اكثر ايامه حروباً مع بربعام وبني اسرائيل . وفي ايامه زحف شيشق ملك مصر الى اورشليم ونهب الهيكل

اما عدد الملوك الذين تولوا على اسرائيل فكانوا تسعة عشر ملكاً وكان اكثرهم يعبدون الاصنام واستمر ملكهم مدة مئتين واربعة وخمسين سنة الى ان زحف على الملكة شلشاصر ملك اشور سنة ٧٢١ ق م وحاصر السامرة واسر الاسباط العشرة مع ملكهم ونقلهم الى بلاده فكانوا مستعبدين في جوف اسيا وهكذا انقضت ملكة الاسباط العشرة وتلاشى امرهم ولم يسمع لهم خبر ولا ذكر بعد ذلك . ثم اتى ملك اشور بقوم من بلاده من قبيلة الكوفيين واسكنهم مدن السامرة عوضاً عن الاسرائيليين ومن هولاء نشأت طائفة السامرة

واما ملوك يهوذا فكان عددهم تسعة عشر ملكاً ما عدا عتليا ام اخزيا كما ترى بيان ذلك في الجدول الآتي وهم من ذرية داود وكان بعضهم من اهل القوي والصلاح كحزقيا ويوشيا الذي قتله نحو ملك مصر . وكانت حروبهم متصلة مع مصر واشور وملكة اسرائيل حتى التزم الملك احاز مرة ان يستدعي ثغلت فلاسر ملك اشور لمساعدته على ملكي الشام واسرائيل المتحددين عليه فاتي وخرب دمشق ثم ضرب الجزية على ملكي اسرائيل ويهوذا وبقي ذلك الى ان قام حزقيا فاعتنق اليهودية من نير الاشوريين وتخلص من غزو سنحاريب على اورشليم كما ذكر في تاريخ اشور . وفي ايام الملك يهوياقيم احد ملوكهم الذي كان قد دفع الجزية الى فرعون ملك مصر زحف نبوخذ نصر ملك بابل الى اورشليم سنة ٦٠٦ ق م وسبي جانباً من الشعب وهذا هو السبي الاول ثم بعد ذلك بثمان سنين زحف ثانية في ايام يهوياكين بن يهوياقيم

المذكور واسره مع رؤسائه وقسم من الشعب ونهب الهيكل وكل ما فيه من التحف النفيسة والواني الثمينة وهذا هو السبي الثاني ثم بعد ذلك بعشر سنين زحف نبوخذ نصر ثالثة في ايام الملك صدقيا كما مر وحاصر اورشليم فافتتحها واسره الى بابل بعد ان اذله وقلع عينيه واحرق المدينة والهيكل بالنار وسبي كل شعب يهوذا ما عدا المساكين والفقراء وهذا هو السبي الثالث والاخير وهكذا انقرض مجد هذه المملكة سنة ٥٨٨ ق م وكانت مدتها ٢٨٧ سنة بعد انفصال مملكة اسرائيل عنها

ولما استولى كورش ملك فارس على بابل اذن لليهود في اواخر حكمه ان يرجعوا الى بلادهم بعد ان اخذ عليهم عهداً انهم لا يخونون بل يكونون تحت الطاعة والانقياد خاضعين للاوامر الفارسية فرجعوا وبنوا الهيكل ومارسوا طقوس عبادتهم وكانوا تحت سلطة ملوك الفرس الى زمن اسكندر الكبير سنة ٣٣٠ ق م وذكر بوسيفوس المؤرخ ان اسكندر الكبير لما تقدم بجيشه نحو القدس ليفتحها انتقاماً لامدادهم اهل صور بالذخائر والعلوفات عند ما كان محاصراً المدينة ظهرت له ملاك في الطريق ويهدده على ما كان قصده من خراب اورشليم فخاف اسكندر وعدل عما كان صمم عليه وعند وصوله الى المدينة دخلها كزائر وسجد لاله اسرائيل في الهيكل وانحف الكهنة بهدايا فاخرة ثم تحول عنها قاصداً داربوس ملك الفرس

## جدول ملوك يهوذا واسرائيل

ملوك اسرائيل			ملوك يهوذا		
مدة	تاريخ	اسم الملك	مدة	تاريخ	اسم الملك
حكمه	حكمه		حكمه	حكمه	
	ق ٢		ق ٢		
٢١ سنة	٩٧٥	بربعام	١٧	٩٧٥	رحبعام
٢	٩٥٤	ناداب	٣	٩٥٨	ايام
٢٤	٩٥٢	بعشا	٤١	٩٥٥	آسا
٢	٩٣٠	ايله	٢٥	٩١٤	يهوشافاط
١	٩٢٩	زمرى	٨	٨٩٤	يهورام
١٢	٩٢٩	عمرى (بى مدينة السامرة)	١	٨٨٥	عزريا ام آخزيا
٢٢	٩١٨	اخاب	٦	٨٨٤	آخزيا
٢	٨٩٨	اخزيا	٤٠	٨٧٨	يواش
١٢	٨٦٦	يهورام	٢٩	٨٣٨	امصيا
٢٨	٨٨٤	ياهو بن نمشي	٢٢	٨١٠	عزريا او عزريا
١٧	٨٥٦	يهواحاز	١٦	٧٥٨	يوثام
١٦	٨٤٠	يواش	١٦	٧٤١	احاز
٤١	٨٢٥	بربعام الثاني	٢٩	٧٢٦	حزقيا
١٢	٧٨٤	فترة بدون ملك	٥٥	٦٩٧	منسى
٦ اشهر	٧٧٢	زكريا	٢	٦٤٢	آمون
١ شهر	٧٧٢	شلوم	٢١	٦٤٠	يوشيا
١٠ سنين	٧٧١	منحيم بن جاري	٢ اشهر	٦٠٩	يهواحاز
٢	٧٦٠	فقيها	١١ سنة	٦٠٩	يهوياقيم
٢٠	٧٥٨	فقيح	٢ اشهر	٥٩٨	يهوياكين
٩	٧٢٩	هوشع	١١ سنة	٥٩٨	صدقيا

## الباب السادس

في تغلب ملوك مصر وسورية على اليهودية واستيلاء الرومانيين  
عليها الى حين خراب اورشليم

وكان المصريون قد تغلبوا على اليهودية بعد موت اسكندر واستمرت  
شعوب اليهود تحت تساطعهم مدة طويلة ثم اتى بعدهم السوريون تحت راية  
انتيوخوس الرابع احد ملوك الدولة السلوقدية فافتتحوا البلاد واستخلصوها  
واسروا الاهالي واذلوا امة اليهود وجاروا عليها جوراً عنيفاً وقتلوا من الشعب  
خلفاً كثيراً فهرب من بقي منهم الى الجبال والبراري واقاموا فيها . ثم رحل  
انتيوخوس راجعاً بجيشه الى بلاده وكان قد اقام نائباً له على اورشليم رجلاً  
من قواده يقال له فيلكس وامره ان يلزم اليهود ويحبرهم على اكل لحم الخنزير  
وان يسجدوا لاصنامهم ويمتنعوا عن الختان وعن حفظ يوم السبت وان يقتل  
كل من خالف امره ففعل فيلكس كما امره سيده ويقال انه قتل خلفاً كثيراً  
من اليهود من كانوا لا يمثلون لهذه الاوامر . وفي سنة ١٦٦ ق م قام على اليهود  
قائدٌ جبارٌ يدعى مثنيا بن يوحانان الكاهن المكابي وهو اول من قام من  
المكابيين وانتصر لليهود وتولى امرهم ثم خلفه ابنه يهوذا فطرد السوريين من  
البلاد واستبد بالملكة ولما بلغ هذا الخبر مسامع انتيوخوس المذكور ملك  
سورية شق عليه ذلك واقسم انه لا بد من ان يحو آثار اليهود عن وجه  
الارض ويطلق اخبارهم فتجهز من يومه في جيش عظيم وسار قاصداً البلاد  
اليهودية فبينما هو في اثناء الطريق وقع من مركبه الى الارض فمات وارتدت  
عساكره راجعة الى بلادها . وكان القائد يهوذا بن مثنيا المذكور قد توفي

قتيلاً في معركة حدثت بينه وبين نيكوروس احد قواد الرومانيين وموته استولت ذريته على اليهودية وصاروا ملوكاً غير ان الفتن والحركات كانت لم تنزل قائمة في اطراف البلاد

وكان الرومانيون قد ارسلوا جيشاً لاقتتاح بلاد القدس تحت رياسة القائد بومي فحاصرها وفتحها بنحو اربعين سنة ق م ثم سلم زمامها الى رجل من بلاد آدوم يسمى انتيباتر وكان من عظماء اليهود واشرافهم ذا شجاعة وبأس وجعله نائباً للدولة الرومانية على المملكة اليهودية . وسنة ٢٧ ق م صدرت الاوامر من مجلس رومية بعزل انتيباتر المذكور عن ولاية احكام بلاد اليهودية واقام المجلس مكانه ابنه هيرودس الكبير . وهيرودس هذا هو الذي امر بقتل الاطفال في بيت لحم لكي يميت سيدنا يسوع المسيح له المجد الذي جاء في ملء الزمان مولوداً من مريم العذراء في مغارة بيت لحم وكان قد أنبى بهجته ملكاً لليهود .



مغارة الالاد في بيت لحم

وكان هيرودس هذا ملكاً مقبلاً مهيباً مظفراً ذا سطوة وشوكة وكان مع هذه الاوصاف خبيثاً عسوقاً متبرداً حتى انه قتل في مدة ولايته من الخلق ما لا يحصى الا الله سبحانه وتعالى وقد قتل ايضاً زوجته وثلاثة من اولاده وكان قد



اوصى ابنه بان يقتل بعد موته جميع من في السجون لكي يكون في كل بيت  
 عويل ونحيب بعده لثلاث نسر الناس وتبعه بفقده اما ابنه فلم يفعل ذلك  
 وكانت مدة ملكه سبعا وثلاثين سنة وله من العمر سبعون سنة وخلته ابنة  
 ارخلاوس الذي سمي نفسه هيرودس ايضا . وهكذا كانت ملوك اليهود  
 خاضعة للدولة الرومانية واستمر واعي مثل ذلك الى بعد صعود المسيح نحو  
 اربعين سنة ثم انهم عصوا وتمردوا وخرجوا عن الطاعة وامتنعوا من حمل  
 المخرج المرتب عليهم فلما في خبرهم الى قيصر رومية شق عليه الامر واستدعى  
 اليه في الحال القائد وسبسيانوس وكان من عطاء رؤسائه وامره ان يسير  
 بالعاكر والجنود الى بلاد اليهود فيستاصلهم ويحرب مدنهم ويهدم حصونهم  
 وقلاعهم فامثل وسبسيانوس امره وسار اليهم مع ابنه تيطس بالجيش الرومانية  
 فالتقاهم اليهود وحدث بين الفريقين معارك ووقائع هائلة كان اكثر الانتصار  
 بها للرومانيين . ثم سار وسبسيانوس بجنوده الى طبرية وجبل الجليل وبعث  
 الى اليهود يدعوم الى الصلح ويعدم بالجميل ان اطاعوه فلم يجبه اليهود الى  
 سوا له . وكان قد حدث بين اليهود في تلك الاثناء انشقاق وانقسام حتى آل  
 الامر بينهم الى حروب اهلية اضعفت شوكتهم وعجلت على خرابهم ودمارهم . وفي  
 ذلك الوقت ورد الخبر الى وسبسيانوس بوفاة نيرون قيصر فسار وسبسيانوس  
 الى رومية ليأخذ الملك لنفسه وولي ابنه تيطس مكانه لكي يقوم بحصار اورشليم  
 وعظمت الحروب والفتن بين اليهود واشتد حتى بعضهم على بعض  
 فاغنم تيطس تلك الفرص وهاجم اورشليم وحدث بينه وبين اليهود وقائع  
 هائلة قتل فيها من الفريقين خاق كثير وكان تيطس قد ارسل الى اليهود  
 مرات كثيرة يدعوم الى التسليم شفقة عليهم من الهلاك وهم يمتنعون وكثيرا ما  
 خاطبهم بنفسه مشافهة ووعدهم بالاحسان والنفو والجميل فلم يجد ذلك نفعا  
 بل كانوا يزدادون عصاة ويحييون بالشتائم والكلام المهين فغضب اخيرا  
 منهم وعزم على اعطامهم فشدد الحصار على اورشليم واحاط بها من كل الجهات

وقطع عنها الامداد فاشتد الجوع بين الاهالي ومات اكثر اليهود وكانوا  
ياكلون الجلود ولحوم الكلاب حتى اضطرت احدي سائهم ان تاكل ابنتها  
حيًا . وكان تيطس قد زاد في القتال والحصار وياشر بنفسه الحرب ونصب  
آلات القتال واقام ابراجًا من حديد وثعنها بالمقاتلين وتقدم تجاه المدينة بقوة  
ونشاط وهدم اسوارها وافتتحها عنوةً بعد مقاومة عظيمة وهلك في اثناء هذا  
الحصار من اليهود حسب قول يوسيفوس المؤرخ نحو الف الف نفس  
واحترق الهيكل والمدينة بالنار وجرى دم القتلى في الاسواق كالسواقى وكان  
عدد المسييين والاسارى سبعة وتسعين الفًا . وكان تيطس عند رحيله من  
القدس يلقى منهم في كل منزلةٍ للسباع والوحوش الضارية فتترقم والباقون  
يعبوا عبيدًا في رومية

وكان قد بقي جانب من اليهود في اورشليم فاخذوا يرمون المدينة بعد  
رحيل الرومانيين واقاموا منها جانبًا عظيمًا فادبركم فيما بعد الامبراطور  
ادريان الروماني فهدم ما كانوا قد جددوه من اسوار المدينة وبيوتها وجعلها  
مساحة واحدة على الارض فلعها وزعها ملحًا وبهذه الحروب انتهى خراب  
اورشليم وانقرضت دولة اليهود اجمع وتفرق شملهم وانتشروا في الاقطار ولم يبق  
لم بعدها قائمٌ وكان ذلك اتمامًا لما انذر المسيح رسالة حيث قال لا يبقى من  
هذه المدينة حجرٌ على حجر

## الباب السابع

في ذكر بعض انبياء اليهود وعجيء المسيح وتفرق اليهود في العالم

فلنرجع الان وتكلم قليلاً عن بعض انبياء اليهود الذين كان الله يكلمهم  
ليرشدوا الشعب وينهزم عن العبادة الاصنامية فمنهم النبي ايليا الذي اقام

ابن الارملة من الموت وكان نبياً عظيماً وهو الذي كانت تأتيه الغربان بالتوت وهو الذي نطق بغضب الله الذي كان مزماً ان يجلب على الملك اخاب الشير ونبأ بان الكلاب سوف تاكل جثة زوجته ايزابل وهو الذي انزل ناراً من السماء وابتلعت رجلاين من القواد مع عسكرها وهو الذي ضرب نهر الاردن بردائه فشقه واجتاز على اليابسة وهكذا سر به الله حتى انه نقله حياً الى السماء بركة من نار

ومنهم اليسع النبي الشهير الذي من جملة عجائبه انه عند ما لعن الاولاد الذين استهزأوا به ظهرت دبتان واقترستا منهم ٤٢ ولداً وبعد موت هذا النبي بشهر قليلة حدث انه وضع ميت في نفس المكان الذي كان قد دفن فيه فخالما مست جثة الميت عظام النبي نهض وعاش

ومنهم يونان النبي الذي ابتلعه الحوت وبقي في جوفه ثلاثة ايام ثم قذفه الى البرسالم ومنهم اشعيا وحزقيال وارميا الذين تنبأوا بالمصائب التي كانت مزمنة ان تأتي على اسرائيل ويهوذا . ومنهم دانيال الذي اخنصه الله بحكمة فائقة وكان قد أخذ الى بابل اسيراً في السبي الاول وبمساعدة الله فسر للملك نبوخذ نصر حلماً فقال نعمة في عينيه وسلطة على كل ولاية بابل وهو الذي فسر ايضاً لبلشاصر الملك ليلة الوليمة الكلمات المهمة التي كتبت على الحائط التي كانت تشير الى انقراض مملكة اشور وهو الذي طرح في جب الاسود بامر الملك داربوس المادي لتمسكه بديانة الله وعدم انكار ايمانه واذ لم يصبه ادنى ضرر اخرجته الملك من الجب وامر بطرح الذين كانوا قد وشوا عليه فزقتهم الاسود وقد ارتقى الى اعلى درجة سامية من الكرامة والمجد في زمن داربوس المذكور والملك كورش

اما نبوات هذا النبي فهي من اغرب واوسع من كل ما سواها لانها تتضمن انباء باحوال العالم عموماً وبجمال كنيسة الله في زمن اليهود والمسيح الى نهاية الزمان واشهر نبواته الوحي بعيسى المسيح وتعيين الوقت سبعين اسبوعاً اي ٤٩٠

يوماً باعتبار كل يوم سنةً فاذا اعتبرنا بداية هذه المدة من تاريخ صدور الأمر المذكور في نبوة عزرا ٢٥:٧ الذي كان بنوعٍ خصوصي لاجل اقامة الناموس والحكومة وتثبيتها لامن الاوامر الصادرة قبلاً من الملك كورش وداريوس لانها كانت لاجل بناء الهيكل فقط تكون المدة الى ميلاد المسيح ٤٥٧ سنة واذا اضفنا اليها ٢٢ سنة وهي المدة من ميلاده الى موته فيبلغ مجموعها ٤٦٠ سنة وهذا العدد يساوي المدة المعينة في نبوة دانيال

وذلك من خروج الامر بتجديد اورشليم

الى الوقت الذي فيه تصنع كفارة

الاثم ويوتى بالبر

الأبدي

## الفصل الخامس

في تاريخ الماديين والفرس

## الباب الاول

في بعض ملوكهم واحوال ميلاد كورش

انه اذ كان الماديون والفرس من نسل واحد ولغة وديانة واحدة وبين كل منها علاقة في الانساب وكانت بلادها متجاورة استصوبنا ان نضم هاتين الملكتين في فصل واحد ونتكلم فيهما كمملكة واحدة فنقول ان بلاد مادي المعروفة الان باذربيجان والعراق العجمي الواقعة جنوباً بين الجبال المحيطة ببحر الخزر كانت قديماً تحت حكم مملكة اشور واستمرت خاضعة لها الى سنة ٧٥٩ ق م عند ما نهض ارباسيس قائد جيوش سردنفول ملك اشور واتحد مع بيلديس وهاجما تلك الثورة التي تقدمت عند ذكر مملكة اشور واقسما البلاد

فبعد وفاة ارباسيس المذكور اقام الماديون عليهم ملكاً اسمه ديجوسيس وكان حكيماً عاقلاً يقضي بالعدل والاستقامة بين الجميع ولما استقر له الملك شرع في بناء مدينة عظيمة سماها اكبانا قيل هي همدان وجعل لها سبعة اسوار متينة وحصينة بنوع ان كل سور من هذه الاسوار لا يعلو عن الثاني الا بمقدار شرفو فقط وكانت تختلف هذه الشرف في الالوان ما بين ابيض واسود وازرق واحمر وارجواني وكان السادس من فضة والسابع من ذهب وداخل السور السابع كانت سراية الملك ديجوسيس المذكور وقد صنع بها محلاً حصيناً

لحفظ خزائنه وكنوزه واما الشعب فكان يسكن بين الاسوار . وحكم ديجوسيس  
 ٥٢ سنة من دون ان يقيم حرباً وكان مهيباً عند الجميع لانه لم يكن يتنازل  
 لمخالطة الشعب ومجالسة الكبار بل كان يتعاطى اشغاله على افراد وكانت  
 الدعاوي تعرض عليه بالورق فكان يقضيها ويرسلها بانأ الحكم عليها . وكان  
 له جواسيس في كل اطراف المملكة يلاحظون اعمال الرعايا ويقررون له عن  
 احوالهم . وجلس بعده على تخت الملك ابنة فراورت فاقام حروباً عديدة واخضع  
 لسلطته بلاد فارس وجملة ما لك من اسيا ثم اقام الحصار على نينوى ولكن مع  
 ضعف شعوبها في ذلك الوقت لم يتيسر له امتلاكها وقيل امام اسوارها مع  
 جانب عظيم من جنوده وكانت مدة ملكه ١٢ سنة

ثم تولى بعده ابنة كياسار وكان محباً للحرب اكثر من ابيه وهو اول من  
 شرع في ترتيب نظام العساكر فقسها الى فرق وصفوف كمشاة وخيالة ورماة  
 القوس فان هذا الترتيب لم يكن قبل ذلك بل كانت نخباط فرق العساكر  
 بعضها مع بعض عند الحرب

ومن اشهر انتصارات هذا الملك افتتاحه مدينة نينوى وقد اخذ بثراييه  
 من اهلها فاتم منهم واستعبدهم ثم جال بجنوده واستولى على شمالي ما بين  
 النهرين وجعل له مدخلاً الى اسيا الصغرى فاخضعها واذلها وازادها الى ملكه  
 ثم تقدم الى ما وراء نهر هاليس وحارب اللبيين وكان السبب في ذلك ان  
 قسماً من السكيثيين كانوا قد قصدوه ملتجئين اليه فقبلهم واحترمهم وعلى  
 الخصوص لما رأهم يحسنون رمي السهام فامرهم ان يعلموا اولاد مادي لغتهم مع  
 هذا الفن ووكّل اليهم مائدة الخاصة فكانوا يذهبون الى البرية في كل يوم  
 ويصطادون له من الطيور والغزلان ويصنعونها طعاماً له فانفق انهم خرجوا  
 يوماً كعادتهم ورجعوا من الصيد ولم ياتوا بشيء واذا كان كياسار سريع الغضب  
 عاملهم بقسوة شديدة فغضبوا منه وارادوا ان ياخذوا بثراهم فجاءوا باحد  
 الاولاد الذين وُكّل اليهم تعليمهم وتربيتهم وقطعوه وصنعوه طعاماً للملك كما

كانوا يصنعون بالصيد ووضعوه على مائدتهم وذهبوا حالاً الى بلاد ليديا واستغاثوا بملكها فاغاثهم ولما اكل كياكسار ومن عنده من ذلك الطعام المذكور وعلم بحقيقة الحال غضب غضباً شديداً وارسل بومئذ سفيراً الى ملك ليديا وكان اسمه آليات يطلب منه تسليم القوم فأبى وامتنع فخذ عليه كياكسار واضمر له سوء وزحف اليه بجند لينتقم منه ولما اقترب من تلك البلاد استقبله ملك ليديا بجيوشه وجنوده وانتشبت الحرب بينهم مدة خمسة ايام متوالية ولم يغلب احد . وفي اليوم السادس بينا كان القوم في اشد قتال انكسفت الشمس انكسافاً عظيماً وتحول نور النهار الى ظلمة دامسة حسبها كان اخبر عن ذلك طاليس الفيلسوف اليوناني الذي كان معدوداً من الحكماء السبعة وهو اول من اشتهر بين اليونان في علم الفلك والهندسة . ولما شاهد ملك مادي وملك ليديا تلك الحادثة الخيفة كفاً عن الحرب وعقدا صلحاً ولاجل تثبيت هذا الصلح وتأكيد عهد المحبة بين الطرفين زوج ملك ليديا ابنته بالامير اسنياج ابن الملك كياكسار وجعل وزيراً الدولتين جراحاً خفيفة في ايديهم وشربوا بالتبادل الدم الذي جرى منها علامة للارتباط والتحاب حسب عاداتهم في ذلك الزمان ثم رجع كياكسار الى بلاده ومات غيب ذلك وكانت مدة حكمه نحو اربعين سنة وخلفه ابنة اسنياج المذكور انفاً سنة ٥٨٥ ق م

وكان قد ولد للملك اسنياج ابنة اسمها مندان فلما كبرت زوجها بكبير ملك فارس وكانت مملكة فارس بومئذ خاضعة للماديين . فحدث بعد ذلك بايام قليلة ان اسنياج راي حلماً وهو ان الكرمة التي كانت في بستانه خرجت من قصر ابنته المذكورة وامتدت غصونها حتى انها ظلت كل اقاليم اسيا فتمض من فرائده خائفاً مذعوراً وعند الصباح استدعى اليه الصحرة وقص عليهم تلك الرؤيا فاجابوه ان ابنته مندان سئد ابناً يحكم على جميع ممالك اسيا ويستولي على مملكة مادي ايضاً فراعته ذلك وتأثر من هذا الكلام واستدعى ابنته من بلاد فارس وحجزها عنده قاصداً اعدام الطفل الذي يولد منها ولم

بعض الا اشهر قليلة حتى وضعت ولداً ذكراً فتحقق استياج كلام السحرة ودعا  
 اليه رجلاً من خواص قواده يقال له ارباغوس وكان يعتقد عليه في جميع  
 اموره وقال له اريد منك الان ان تاخذ هذا الطفل الصغير الى بيتك وتغمله  
 وتستر قتله ولا تخالفني في هذا الامر فتقدم ثم سلمه اياه وكانت امه قد البسته  
 ملابس فاخرة وثمينة فاخذه ارباغوس ورجع الى بيته حزينا كئيباً واخبر  
 زوجته بما كان من امر استياج بخصوص الولد فقالت له ماذا عولت انت ان  
 تعمل قال قد أجبرت على قتله وانا اخاف ان قتله بيدي اكون قد سفكت  
 دماً برياً لاسيما انني من اهل الولد والامر الاعظم من ذلك هو ان الملك استياج  
 قد تقدم في السن وليس له ولد يرث سرير الملكة من بعده الا ابنته مندان ام  
 هذا الطفل فلا شك انها ستقتلي انتقلما على قتلي ولدها ولكي اكون مطمئناً  
 من هذا القبيل فليجر هذا الامر على غير يدي ثم انه استدعى اليه احد رعاة مواشي  
 استياج وكان اسمه ميرانارات واسم زوجته سباكو التي معناها كلبة في اللغة المادية  
 وقال له قد امرني الملك ان اقول لك ان تاخذ هذا الطفل وتلقيه على اوعر  
 الجبال ليهلك ويموت واعلم يقيناً انك اذا ابقيته حياً سيميتك في الحال باشع  
 ميتة فاخذ ميرانارات الولد ورجع الى بيته وافترق ان زوجته ولدت في ذلك  
 اليوم ابناً ميتاً وكانت في قلق واضطراب عظيم عند ما استدعى ارباغوس  
 زوجها اليه اذ لم يكن له عادة ان يستدعيه فلما رجع اليها واعلمها بواقعة الحال  
 توسلت اليه ان لا يقتل الولد فقال لا بد من قتله لان ارباغوس سوف يرسل  
 اناساً ليكشفوا له الخبر فيقتلني فقالت له انا ادبر لك طريقة مناسبة ثقيلك من  
 هذا الخطر قال وما هي قالت اني قد ولدت ابناً ميتاً فخذه وضعه على بعض  
 الجبال ونحن نربي ابن مندان ابنة الملك استياج كابنتنا وبهذه الوسيلة لا يقدر  
 احد ان يقول لك انك خالفت امر ساداتك ويكون لنا بذلك حظ وافر  
 وشرف رفيع فاستصوب الراعي راي زوجته ودفع اليها الولد ووضع ابنة الميت  
 في سرير ذلك الامير الصغير مع كل ما كان عليه من الثياب النفيسة واخذه



الى جبل عالٍ والقاء هناك ورجع فاخبر ارباغوس بانته قد تم كل ما امره به فارسل ارباغوس من يعتد عليه ليتحقق ذلك ولما علم بموته امر بدفنه واما الامير الصغير فرثه سباكو زوجة الراعي ودعت اسمه كورش . فهذا هو الملك كورش المشهور الذي شاع ذكره في تلك القرون وتغلب على ممالك كثيرة وافتتح مدناً حصينة وهو كسرى الاول من ملوك الفرس

فنشأ كورش وانا نجيباً وكان يلعب مع اولاد تلك القرية التي ربي فيها فلما بلغ سن العشر اقلمه الاولاد رئيساً عليهم فكان يحكم بينهم ويحري اوامره عليهم ويقوم منهم حراساً على بلاطه الوهبي حسب عوائد الملوك ويختار منهم قواداً ونظاراً ويقدمهم الوظائف والمصالح وينظم بعضهم في زمرة جنود وعساكر واعوان وكان احياناً يامر على بعضهم بالضرب وبعضهم بالسجن ويقول قد حكمت بذلك وكان من جملة الاولاد غلام من اهل اشراف مادي فاتفق انه رفض بعض اوامر كورش فامر الاولاد ان يقبضوا عليه واخذ يغربه بالعصا ضرباً مولماً فذهب الغلام الى المدينة واخبر اياه بما فعل به ابن الراعي فغضب ابوه جداً واخذ ابنته واجتمع بالملك استباح وقص عليه تلك القصة واره اثار الضرب على اكتاف ابنته فبعث الملك رسولا يأتي له بمبشرات الراعي وابنته . فلما مثلا بين يديه قال الملك لكورش ناظراً اليه بعين الاحقار كيف تجاسرت ان ترفع يدك وتضرب من هو اعظم واشرف منك فاجابه كورش وقال يا مولاي اني لم افعل ذلك الا بالعدل والانصاف لانه كما لا يخفى على عظمتك ان اولاد القرية الذين كانت بينهم هذا السيد الشريف اقاموني ماسكاً عليهم لما كانوا يلعبون وفوضوا الي امرهم وكانوا كلهم يطعمون اوامري وانا انصف بينهم ولما كان هذا الغلام قد خالف شروط الترتيب والقوانين بعصيانه وعدم امتثاله لاوامري واحكامي قاصصته على مخالفتي فانذا كان ذلك ذنباً يستحق العقاب ايها الملك فما انا بين يدك من جملة العبيد فافعل بي ما تريد فلما سمع الملك هذا الكلام واحرق جيداً بالولد اندهش وحر من

سرعة جوابه وعدوبة كلامه وعرف انه ابن مندان ابنته لانه كان اشبه الناس  
 بها ولا سيما ان عمره كان موافقا لتلك الحادثة التي ذكرناها فلبث برهة لم  
 يتكلم ثم امر بادخال كورش الى البلاط واستدعى الراعي اليه وسأله على انفراد  
 من ابن اخذ الولد ومن استلمه فاجاب انه ابوه وان امه حية فتهدده بالكلام  
 فاقر الراعي بما كان واعاد عليه القصة من اولها الى آخرها ولما وقف استباح  
 على الحقيقة لم يحاسب على الراعي ولكنه غضب على القائد ارباغوس فامر حراسته  
 ان ياتوا به حالا فلما اتى قال له اعلمي الحقيقة ماذا فعلت بالولد الذي دفعته  
 اليك لتربيته فاقر ارباغوس بما كان ولم يكتم عنه شيئا خوفا من العقاب فسكن  
 الملك ارتعاشه وقال له ان الولد باق في قيد الحياة ثم قال يا ارباغوس  
 ان صنيعك هذا قد سرنى جدا لان ابنتي كانت قد عننتني على ذلك فندمت  
 على ما صدر مني واذ ذاك سأعنتي من الآن وصاعدا بتربيته وتمزيقه فارسل  
 ابنك الآن الى داري ليلعب معه وبوانسه وانت تعال في هذه الليلة ونهش  
 معي فاني اريد ان اقدم نقدة للآفة شكرا لهم لانهم رحومني وردوا علي  
 خيدي بالسلامة

فشكر ارباغوس الملك على ملاطفته له وارسل ابنته في الحال الى البلاط  
 وكان وحيداً وله من العمر ثلث عشرة سنة . فلما راه الملك امر الخدم بدمج  
 وان يقطعوا لحمه ويطبخوه ويحملوا منه الواأا مختلفة من الطعام ويضعوها  
 وقت العشاء امام ابيه ارباغوس وان يضعوا الراس والرجلين في سلة مقطرة  
 ويفردوها في ناحية لوقت الطاب فامثلوا امره ودمجوا الغلام وباشروا في امر  
 الولية وهياكل شيء فلما حان وقت العشاء اتى المدعوون ومعهم ارباغوس  
 وعند جلوسهم على المائدة قدموا الى استباح والباقيين الاطعمة المطبوخة من  
 لحوم الضان والطيور والى ارباغوس لحم ابنته فاكل وهو لا يعلم ولما فرغوا من  
 الطعام قال الملك كيف رايت هذا العشاء فاجابه انه سر به احسن سرور  
 فامر حينئذ الخدام ان ياتوا بتلك السلة ويضعوها امام ارباغوس فاحضروها

ووضعوها امامه فقال له الملك ارفع غطاءها فرفع عنها الغطاء واذا به يرى  
من داخلها بقايا ابنه فانكسر قلبه واقشعر جسمه وغاب عن الصواب ولكنه اظهر  
الجلد واخفى حزنه وغمته وقال ان كل ما صنعه الملك هو مقبول لديه ثم رجع  
الى بيته حزينا كئيبا ودفن عظام ابنه

وكان استياج قد صفع عن قتل كورش وارسله من ذلك اليوم الى اهله  
في بلاد فارس وكان ابواه كئيبين ومندان قد ظنوا انه مات فلما اشرف عليهما  
واخبرهما بواقعة الحال وكيف ربه سبا كوزوجة راعي البقر التي لم يزل يشكر  
فضلها ولا ينسى معروفها كل مدة حياته فرحا بسلامته . وكان كورش ينمو في  
القامة والقوة والنجاسة حتى صار من انجب شيان عصره وانبهم

## الباب الثاني

في اصل الاعجام وتدمير كورش مملكة بابل ومغازيه المشهورة

وموته

اصل شعوب الفرس من ذرية عيلام بن سام بن نوح وكانوا يدعون  
عيلاميين نسبة الى عيلام المذكور ولكننا لانعلم من امرهم شيئا واضحا الا بعد  
مضي نحو الف وثمانماية سنة من الطوفان وذلك من وقت ظهور الملك كورش  
المذكور

وكان ارباغوس المقدم ذكره يترقب الفرص لياخذ بثار من استياج  
الذي قتل ولده واطعمه من لحمه فاخذ يسعى في هلاكه ويدبر على انقراض  
مملكته بواسطة تهيج وزراء الدولة عليه بالدسائس الخفية فراسل كورش سرا  
وحثه على النهوض لاخذ بلاد مادي ووعده بالمساعدة والامداد واذا كان

يخاف من وقوع رسائله بين ايدي المحافظين والحراس وانكشف امره كان ياتي بالارنب ويشق بطنه بدون ان يجز صوفه ويضع الكتاب في جوفه ثم يخيطه ويلقيه في شبكة ويعطيه لاحد خدامه الذي يثق به حتى كل من براه لا يشك بانه من جماعة الصيادين ثم يامر ان يذهب به الى كورش على تلك الصورة

وكان كورش في تلك الايام قد عظم شأنه وارتفع مكانه واحترمه جميع اهالي فارس نظراً لجأته وعلو هيبته فلما وقف على رسائل ارباغوس اخذ يستميل قلوب عظماء الاعيان اليه ويحثهم وينهض همتهم ليوافقوه على قتال الماديين واستخلاص ملكة الفرس من حكمهم فاجابوه الى ذلك لانهم كانوا يريدون الاستقلال والتخلص من جورهم وظلمهم وفي ايام يسيرة انضمت اليه القبائل والطوائف واخذ يجمع الجيوش والعساكر حتى صار عنده جيش عظيم من الفرسان والشجعان

ولما بلغ الملك استياج ذلك الخبر ارتاب وخاف عاقبة الامر فارسل بعض معتمديه الى كورش يستدعيه اليه على سبيل الزيارة فاجاب كورش وقال لذلك الرسول ارجع الى مولاك وقل له يقول لك كورش انه سينورك عن قريب بالابطال والفرسان واعيان الفرس فلما وقف استياج على هذا الخطاب تحذر من ذلك اليوم فجمع الجيوش والجنود وجعل ضباط المشاة والخيالة تحت قيادة ارباغوس

واما كورش فانه بعد ذلك الكلام الذي كان قد ارسله الى الملك استياج بايام يسيرة زحف اليه بمجموعه وابطاله . فلما تقابل الجمعان واتشبت الحرب بين الفريقين فالعساكر الذين لم يكن ارباغوس اعلمهم بمقاصده حاربوا بشجاعة وبسالة بخلاف الاخرين فانهم تاخروا عن القتال وانضم بعضهم الى صفوف الاعناء . وكان ذلك يوماً عظيماً بين القوم اشتد فيه القتال واتسع المجال وسفكت الدماء وكان قد داخل الفرس الحماسة فقاتلوا بقوة ونشاط

وانعطفوا على اعدائهم فكسروهم وهزموهم بعد ان قتلوا منهم عدداً كثيراً واسروا  
 جمعاً كثيراً وكان من جملة الماسورين الملك استياج فبقي في اسر كورش الى ان  
 مات وكانت مدة ملكه ٢٥ سنة

وبعد وفاة استياج نبواً تحت ملك مادي ابنه كياكسار الثاني وهو  
 داربوس المادي خال كورش فكان كورش ملكاً على فارس تحت يده وقائد  
 جيوش كل بلاد مادي وكان صاحب الامر والنهي مكرماً ومهاباً عند  
 الجميع ولم يكن لداربوس من الولاية والسلطنة الا مجرد الاسم فقط وجميع  
 الامور بيد كورش

وكانت مدة ولاية داربوس على بابل نحو ستين وبعد وفاته اخنلس الملكة  
 رجل من اشراف بابل يدعى نابونادبوس وكان كورش ابن اخت داربوس  
 يومئذ ملتهياً في حروبه وافتتاحاته مالمك اسيا فلما اتصل اليه ذلك الخبر  
 حول وجهته نحو بابل ليشتم من ذلك الخنلس واحاط بها بجيوشه مدة ستين  
 ولم يقدر عليها لتحصينها بأسوار مرتفعة وقوية حتى كان هدمها او افتتاحها من  
 اصعب الامور وماذا تفعل الشجاعة او الأدوات الحربية كالنجنيق وغيره في سور  
 عرضة ثلثون قدماً او خمسون على قول البعض فكان السيل الوحيد للدخول  
 الى المدينة هو تحويل نهر الفرات عن مجراه فانه كان يمر في وسط بابل ويقسمها  
 الى شطرين . فاعتمد على هذا العمل سراً وامر بفتح ترع وخطبان كبيرة حول  
 المدينة ولما تمت اخنار وقتاً مناسباً لاتمام مقاصده فامر بفتح المنافذ التي بين  
 النهر والترع المذكورة آنفاً فتحولت كل مياه الفرات الى تلك الخطبان وصار  
 النهر ارضاً يابسة فدخلت عساكر الفرس وكورش في مقدمتهم بعضهم من  
 عند مدخل النهر والبعض من عند مخرجه منها وهموا على اهل المدينة بفتنة  
 وقتلهم فتكلموا عظيماً فكانت ساعة مهولة لم يعرف فيها صوت العدو من  
 صوت الصديق فاستولى كورش على المدينة وامتلكها واذ لم يكن لداربوس  
 المذكور اولاد ورث كورش من خاله ملكتي مادي وبابل وضمها الى ملكة

فارس وصارت هذه الممالك من ذلك الوقت مملكة واحدة تحت نسلط كورش .  
وظن أكثر المؤرخين القدماء ان افتتاح كورش مدينة بابل كان في زمن الملك  
بلشاصر غير انه قد ظهر وتحقق من الاكتشافات الحديثة انه بعد موت بلشاصر  
المذكور تناوب كرسي الملكة ابنة لابورا سوارخاد وحكم مدة سنة واحدة فلو كان  
كورش قد افتتح بابل في ايام بلشاصر لما سمح لابنه ان يملك بعده بل كان من  
باب اولي ان يقيم خاله داربوس ملكاً بعد افتتاح المدينة وهذه دلالة قوية  
تؤيد صحة ما اردناه

وكان الملك كورش موقفاً منصوراً في جميع وقائعه فاخضع الفريثيين  
وجميع البلاد التي بين النهرين وارمينيا وسورية واسيا الصغرى وجانباً عظيماً  
من بلاد العرب وضرب الخراج على ملوكها وولايتها وكان قد عبر بحيشه الجرار  
نهرَي دجلة والفرات وجعل معسكره في اقليبي خوزستان والعراق . ومن  
جملة انتصاراته العظيمة استيلاؤه على مملكة ليديا واذلاله ملكها كريسوس الذي  
كان افتتح جملة ولايات في اسيا

ولكن اذ لم يكن للانسان دوام ولو مهما ساد وظفر انتهت حياة كورش  
في حرب اقامها على السكيثيين المعروفين الآن بالترالقاطنين تجاه بحر الخزر  
فالقتله الملكة طوميريس بجيوشها وابطالها وحدث بين الفريقين قتال شديد  
قتل فيه ابن هذه الملكة وكانت الدائرة على الفرس فانهمزوا اقبج هزيمة وأسر  
منهم عدد كثير وكان من جملة المأسورين الملك كورش فقتله الملكة بولدها  
وكانت مدة ملكه ٢٠ سنة

### الباب الثالث

في ولاية الملك كميذ بن كورش وقد سى نفسه بجننصر الثاني  
ثم جلس بعد كورش على سرير الملكة ابنة كميذ وكان عانياً جداً جاني

الطبع سفاكاً للدماغ عديم الشفقة محباً للحروب وافتتاح الممالك مغرباً بشرب الخمر وما يجكي عنه انه طلب يوماً من احد ندمائه المسي بكراسبس على ان يجبره بما تقول الناس عنه فقال له انهم يدحون احكامك وحسن اوصافك ويرون انه لا عيب فيك الا الانهاك بالخمر ولولا ذلك لفضلوك على جميع الناس ثم اخذ ينصحه ويبين له الاضرار الناتجة من ادمان المسكرات فلما سمع كمييز كلامه غضب وطلب ان يوتي اليه بكية وافرة من الخمر فشرب منها مقداراً كثيراً ثم امر باحضار ابن بكراسبس وامره ان يتف في آخر القاعة وقال لايه اريد ان تعلم الآن ان كانت الخمر قد اضعفت بصري او غيبت فكري وارجفت يدي ثم طلب قوساً ونشاباً ورعى الولد بسهم في فواده فوق قتيلاً

وقد ذكرنا هذه القصة المحزنة واثبتها هنا اولاً لصحتها وثانياً ليتخذ القاري والسامع الامثلة المفيدة من جهة تعاسة تلك العصور المظلمة وسعادة هذه الايام المتنورة التي يبذل فيها الملوك غاية العناية والهمة في نجاح امور شعوبهم ورعاياهم ومعاملتهم لم كبنين وليس كعبد وهذه المعاملات الحسنة ليست ناتجة الا من نور الديانة التي تامر بان تعامل الناس كما نريد نحن ان يعاملونا

وكانت افكار كمييز ومقاصده متجهة نحو افتتاح بلاد مصر في زمن فرعون اماسيس وقد نقل المؤرخون في شان ذلك اخباراً مختلفة فبينما ان اماسيس المذكور كان قد تمرد على الدولة الفارسية وعصى عليها واستقل بالملكة بعد ان كان قد افتتحها الملك نبوخذ نصر الاول واقام عليها عمالاً ويقال ان الذي حماه على ذلك رجل يوناني اسمه فانيس كان قائد جيوش اماسيس وكان قد حدث بينه وبين مولاة نراع ونفور فحقد عليه وانتهز هذه الفرصة وقصد الملك كمييز واغراه بقتال اماسيس وافتتاح المملكة المصرية واثار عليه ان يخاطب ملك العرب ويطلب اليه المساعدة والامداد بجلب الماء الى العساكر في البرية التي كان مزماً ان يمر بها فارسل كمييز رسلاً الى ملك العرب يطلب اليه المعونة على قطع تلك القلوات الشاسعة وعاهدة بقسم انه

يكون له صديقاً واميناً كل ايام حياته فتعاهد الاثنان على ذلك وتحالفا على عدم الخيانة ونقض العهود وبعد ذلك جهز كميذ الجيوش وقادها بنفسه وزحف قاصداً الديار المصرية وارسل ملك العرب يومئذ كل الجمال الموجودة في مملكته الى البرية محملة زقاقاً مملوء ماءً

وفي اثناء ذلك توفي فرعون اماسيس ملك مصر وتولى مكانه ابنه سمانيتوس فلما بلغه قدوم كميذ اليه جهز جيوشاً لمقاومته فالتقى جيش الفرس وجيش مصر عند مصب النيل الشرقي في مكان يدعى سين واشتبك القتال بين الفريقين واشتدت بينهم الحرب وكان يوماً هائلاً قتل فيه من الطرفين عدد كثير فانتصرت الفرس انتصاراً عظيماً وانهمز الجيش المصري بخسارة جسيمة الى مدينة منيس فتبعهم كميذ بجيوش فارس الى هناك وحاصر المدينة وافتتحها عنوة بعد وقائع وهجمات هائلة وقبض على سمانيتوس وقتله وابنه معاً

وقال هيرودوتس في تاريخه اني رايت في الميدان الذي وقعت فيه الحرب الاولى عند مصب النيل الشرقي عظام الذين قتلوا في ذلك اليوم مكدومة من كل جهة فكانت جماجم الفرس لينة بهذا المقدار حتى انها كانت تثقب بوقع حجر صغير واما جماجم المصريين فكانت صلبة لا تكسر ولا بضربة حجر كبير فسالت عن السبب فقيل لي ان المصريين يخلقون شعور رؤوسهم وهم صفار السن فتشدد الحجمة وتصلب بواسطة حرارة الشمس واما الفرس فلم يعتادوا ذلك فبقيت جماجمهم ضعيفة لينة

واذ كان كميذ يعلم ان المصريين يعظمون الكلاب والهرر ويوقرونها ويعتبرونها كالهة امر بجمع كل الكلاب والهرر التي في تلك النواحي ووضعها في مقدمة العسكر عند حصاره بعض المدن المصرية فتوقف المصريون عن اطلاق نبالهم على الفرس خوفاً من ان يصيبوا احدي تلك الحيوانات المقدسة فتموت وليثوا في اماكنهم محنارين وكانت الفرس تتقدم عليهم رويداً رويداً والكلاب تنبع والهرار تنوء حتى دخلوا المدينة وتملكوها بدون مقاومة



ولما اخضع كميذ كل بلاد مصر قصد مدينة هابس التي فيها مدافن ملوك مصر فاخرج جثة الملك اماسيس من قبرها وهو الملك الذي كان متولياً على مصر عند ما تمض لمخاربه وبعد ان ضربها بالعصا وعاملها بكل نوع من الالهانة والتعير امر بطرحها في النار فاخرقت في الحال وكان ذلك مضاداً لعوائد الفرس والمصريين جميعاً . وكان قد نهب مدينة تيبس في بلاد الصعيد وهدم اراجها وهياكلها واحرق نقوشها وختم ذلك بذيغ الثور ايس الذي هو بحسب اعتقاد المصريين الاله المعظم وفرق لحمه على قواد عسكره فكان هذا العمل ما يعد عند المصريين من التعديات الكفرية ومن ذلك الوقت لم يكن افعال هذا الملك الا ذميمة قبيحة حتى انه تزوج باخيه وقتل اخاه سرديس ثم قتل زوجته المذكورة حيث كانت تدب اخاها الى غير ذلك من الامور الوحشية

وفي آخر ايامه في مصر حدثت فتنة عظيمة في بلاد فارس وهي ان النائب الذي كان قد اقامه كميذ وكيلاً عنه على الملكة في غيابه طمع في اخلاص الملك وعمد ان ينقله الى عائلته فاقام اخاه ملكاً وكان من السخرة واشبه الناس بسرديس اخي كميذ الذي قتله كما ذكرنا فبايعه الفرس وملكوه عليهم لثقتهم بانه ابن كورش اذ كان قد ادعى بذلك فلما بلغ كميذ هذا الخبر خرج من مصر بعد ان صيرها ولاية فارسية ودخل بلاد سورية واشرع قاصداً بلاد فارس فانفق يوماً انه وهو يركب جواده اندلق سيفه من غمده فجرحه في جنبه جرحاً بليغاً والزمه فراشه فمات بعد ايام قليلة بعد ان حكم مصر خمس سنين وكانت مدة ملكه سبع سنين ونصفاً

## الباب الرابع

في ولاية الملك داريوس وهو دارا الاول احد ملوك  
الفرس وابنة زركسيس

وكان قد تولى على تخت فارس ذلك الساحر المذكور الذي ادعى انه  
سرديس ابن كورش كما مر الا انه لم تطل مدته حتى اكشف امره وتحتق  
عند اكثر الاهالي ان تلك الدعوى كانت حيلة منه وان ولايته لم تكن الا مجرد  
خداع وطغيان فانفقوا على خلعها واجتمع ستة انفار من اكار اعيانهم منهم  
داريوس بن هيسنسب احد امراء تلك الولايات وهجموا على قصر الملك وقتلوا  
سرديس الساحر المغتصب ولم يحكم الا ستة اشهر فقط ثم اخلف هولاء الاعيان  
السة في من يتولى منهم زمان الملكة الفارسية فانفق رايهم اخيراً على ان يركبوا  
خيولهم عند الصباح ويقصدوا مكاناً معلوماً خارج المدينة وان الرجل الذي  
يصل حصانه اولاً يكون هو الملك وبهذه الوسيلة لا يقع بينهم نزاع . وكان  
لداريوس سائس نبيه ماهر فلما بلغه ذلك الخبر لبث حتى اظلم الليل ثم نهض  
وركب حصان مولاه واخذ معه جانباً من العشب والاطعمة التي كان الحصان  
يود أكلها وقصد ذلك المكان المذكور والتقاها هناك ثم جعل يجول نحوها  
بالحصان نارة من خلف ونارة من قدام واستمر على مثل مثل ذلك نحو نصف  
ساعة ثم نزل عن ظهر الحصان واطلقة على تلك الاطعمة فاكلها ثم ارتد راجعاً  
الى المدينة ولم يطعم الحصان شيئاً طول ذلك الليل . ولما كان الصباح ركب  
الامراء السة خيولهم حسب الشروط الذي وقع عليه الاتفاق وقصدوا ذلك  
المكان المهود الذي اكل فيه حصان داريوس تلك الاطعمة وعند وصولهم  
اليه رفع الحصان اذنيه وصهل فترجل حينئذ اصحاب داريوس الخمسة وخرروا

ساجدين عند قدميه وهنأوه بالمنصب الملكي واقاموه يومئذ ملكاً على سلطنة  
الفرس

وكان للملك كورش وابنه كميز قد حسنا هذه المملكة ووسعها ونظما  
امورها في اقل من عشرين سنة فلما اتسعت اقاليمها وتكاثرت مقاطعاتها قسمها  
داريوس الى عشرين كورة وصرف همة وعناية ليهدها اسباب الثروة والغنى  
بواسطة اتساع دوائر التجارة بين بلاد الفرس وباقي الممالك واقام داريوس  
حروباً كثيرة افتتح في احداها مدينة بابل ثانية لان اهلها كانوا قد تردوا  
وعصوا الفرس وكان افتتاح هذه المدينة بطريقة عجيبة احيالية وهي ان احد  
قواد جيوشه زوير احذق اهل زمانه وانبهم قطع يوماً اذنه وهشم وجهه  
بالجراحات وذهب الى بابل واستغاث باهلها من جور داريوس الذي كان  
يومئذ يحاصر المدينة فسالوه عن سبب ذلك فاخبرهم انه من جملة قواد  
الفرس وانه عند ما نصح داريوس ونهاه ان يرجع عن حرب بابل لانها  
حصينة جداً احقره وامانة بقطع اذنه وتهشيم وجهه وقد كاد يقتله فهرب ليلاً  
واقسم على نفسه انه لا بد له ان يسعى في اهلاك الفرس . فترحب به اهل بابل  
واقاموه قائداً على فرقة صغيرة . وكان زوير قد اتفق مع داريوس ان يرسل  
له في اول الامر طليعة مؤلفة من الف نفر من اوباش العجم وصعاليكها لتجسس  
على المدينة من احدى جهاتها وانه يخرج اليها ويحومها كلها ثم يرسل له في  
اليوم الثاني كتيبة اخرى تخنوي على التي مقاتل فيهلكها ايضاً ثم يرسل اليه في  
اليوم الثالث فرقة اخرى مؤلفة من اربعة الاف فيلقها برفقائها وبعد ذلك  
يهجم هو بنفسه على المدينة بجميع عساكره وابطاله هجمة واحدة فيسلبها اياها .  
ففعل داريوس كل ما اشار به زوير وكان البابليون عند ما راوا زوير  
قد فتك بطلائع الفرس في ثلاث وقائع متتابعة وقتل سبعة الاف نفر من  
الاعجم احبوه واتمنوه واقاموه رئيساً عاماً على جيوشهم وسلموه زمام محافظة  
المدينة فلما كان اليوم الرابع هجمت جموع الفرس على المدينة واحاطوا بها

فخرج اليهم زوير ولكنه عوض ان يقانهم ويصدهم فتح لهم الضريق للدخول  
 فدخلوا وامتلكوها على اهلون سبيل بعد ما حاصروها ستة عشر شهراً  
 ومن حروب داربوس ايضاً حربته مع السكيثيين الذين قتلوا الملك  
 كورش وبعد عدة وقائع هائلة ارتد راجعاً مهزوماً وقتل من عسكره عدد كثير.  
 ثم حارب بلاد الهند وافتتح منها جانباً. وكان هذا الملك قاسي القلب سفاكاً  
 للدماء وما يحكى عن فساقته انه فيما كان منجهازاً لقتال السكيثيين المذكورين  
 الزم رجلاً عاجزاً ان يقدم اولاده الثلاثة للعسكرية واذ لم يكن للرجل اولاد  
 غيرهم توسل اليه ان يبقي له واحداً منهم ليعينه على ضعفه وعجزه لانه كان فقيراً  
 جداً فاجابة داربوس قائلاً ما دام الامر كذلك يجب علينا ان نقتي لك  
 اولادك الثلاثة ليعولوك في ضعفك ثم امر واحد اتباعه بذيح اولاد ذلك الرجل  
 المسكين وان ياتي برووسهم الى والدهم

وكان داربوس قد ارسل جيشاً جراراً تحت قيادة دانيس وارنافريس  
 لمحاربة اليونان وبعد وقائع وحروب شديدة انهزما اقع هزيمة وفقد من عسكرها  
 نحو مائتي الف ولما بلغه خبر هذه الكسرة اشتد غضبه واخذ يجرد الجنود ويحيش  
 الجيوش ليقيم حرباً على اليونانيين وعلى المصريين الذين كانوا قد خاضوا طاعته  
 واظهروا العصيان وبينما كان مهتماً بهذا الامر مرض ومات سنة ٤٨٠ ق م  
 وبعد موت داربوس خلفه ابنه زركسيس وهو الملك الخامس من ملوك  
 فارس ومادي تبوأ تحت الملك عوض اخيه الاكبر ارطيزان وعند جلوسه على  
 كرسي السلطنة ارسل جيشاً الى الديار المصرية فاخضعها وعاقب ارباب التننة  
 عقاباً اليماً ولما انتادت مصر لحكمه جهز جيشاً عرمرماً مؤلفاً من مليونين من  
 الخيالة والمشاة وزحف بنفسه الى محاربة اليونان ليتم مقصد ابيه الذي كان  
 قد عول عليه واصعب معه بوارج كثيرة العدد واذ كان لا بد له ان يجتاز  
 وغاز الدردنيل الفاصل بين اسيا واوروبا الذي يبلغ عرضه مسافة نصف  
 ساعة تقريباً امر بصف مراكبه على شكل جسر بين البرين وربط بعضها ببعض

لاجل مرور العساكر فهاجت الامواج وكسرتها فساء الملك زركسيس ذلك الامر وامر بضرب الحجر لاجل عدم توقيده او امره وبعد مشقات عظيمة وحروب شديدة اخضع اكثر مدن اليونانيين ما عدا سبارتا واثينا فانها مع كل ضعفها وقلة عساكرها قاومتها اشد مقاومة لان شعبيها كان من اجمع الناس . ولما اقترب زركسيس من ليكوستوموس الذي ترجمته فم الذئب وهو معبر ضيق بين الجبل والبحر وصم ان يعبره اعترضه ملك سبارتا المدعو ليونيداس بستة الاف مقاتل وحاربة وقتك بعسكره فتكا عظيما وقتل منهم نحو سبعين الف نفر واذ كان عسكر الفرس كثير العدد لانه لانه لانه خافت جموع اليونان من عاقبة الامر فصرفهم ليونيداس الى اماكنهم وبقي هو مع ثمانية نفر ماسكا راس ذلك المضيق . المسمى ثرموبيلي واخيرا هلك هو ومن معه ولم يسل من جيشه الا رجل واحد فقط فذهب الى سبارتا واخبر اهله بما جرى على اصحابه

اما اتصالات زركسيس فلم تطل في بلاد اليونان فان اكثر مراكزه انكسرت في سلاميس وعساكره انهزمت في حصار مدينة بلاتيا فاضطر اخيرا الى ان يرجع مع من بقي معه من الجيش الى بلاد فارس وعند وصوله قتله اربطانيس رئيس حراسه وكان ذلك في سنة ٥٠٧ ق م

وبعد وفاة زركسيس تولى ابنة ارنكر زركسيس ثم تولى بعده داربوس قدمانس ثم غيره من الملوك ما لا يسعنا ذكرهم في هذا المختصر وبقيت ملوكهم تتوارث الملك الواحد بعد الاخر الى سنة ٤٢٠ ق م عند ما قام اسكندر المكدوني في حكم الملك داربوس الثاني فخاربه واستظهر عليه وتغلب على جميع البلاد والاقاليم الخاضعة للفرس كاسيا الصغرى وصور ومصر وانتهى الحال بداربوس انه في بعض حروبه مع اسكندر انهزمت الفرس وقتل منها خلق كثير وكانت هو من جملة المهزمين فاقتفى اسكندر اثره ليعلم خبره فوجده قتيلا وكان قائلة رجلا من اكابر قواده فحزن عليه اسكندر وتأسف على فقد

واقام له مسلات شهيرة في جملة اماكن تذكارا له . وبعد وفاة اسكندر وقعت بلاد العجم في نصيب سلوقس احد قواد جيوش اسكندر وصارت بعده في قبضة ذريته الى ان نهض الفرثيون وطردوا اليونانيين من بلاد فارس ومادي وتولى عليها نحو خمماية سنة

## الباب الخامس

### في اكاصرة العجم

وفي سنة ٢٢٠ مسيحية وثب رجل من الاعجم يقال له اردشير فهج الاهالي وحارب الفرثيين وطردهم واستقل بالملكة وهو اول الطبقة الساسانية ورأسها وهذه الطبقة هي الرابعة من ملوك الفرس المعروفين باكاصرة العجم واسم اردشير مركب من كلمتين فارسيتين احدها اِرْد بمعنى الغضب وثانيها شير اسم للاسد فسي الملك بهذا المركب ومعناه اسد الغضب

ثم تولى بعده ابنه سابور وهو غير سابور ذي الاكتاف الذي هو تاسع الاكاسرة بعد اردشير واسم بالفارسية شاپور بالشين مركب من شامخضر شاه بمعنى سلطان او ملك وبور بمعنى ولد يعني ولد السلطان فعريته العرب بلفظ سابور بالسین المهله . كان ملكا عظيما شديد البأس كثير المغازي والغارات ذا سطوة قاهرة حارب الديار الشامية واخضعها وحاصر مدينة انطاكية وكان بها يومئذ فاليريانوس احد قياصرة رومية فافتحمها عليه واسره وسار به الى بلاده وبقي في اسره الى ان فدى نفسه باموال كثيرة . واما سابور ذو الاكتاف فهو بعد سابور هذا بنحو اربعين سنة وانما سي ذا الاكتاف

لانه لما حارب عرب انجواز وظفرتهم كان كلما أسرا عرابياً يثقب كنفه ويدخل فيه حبلاً ليقوده فسي ذا الأكتاف وصار لقباً عليه وكان قد حارب الرومانيين من زمن مكسيمينوس الثاني الى زمن طيودوسيوس الأكبر ونجح في أكثر حروبهم . وما يدل على انتظام ملكة العجم وقوتها وشوكتها في ايامه انها استمرت منذ ولادته الى زمن وفاته مدة اثنتين وسبعين سنة ولم يحصل فيها فتن ولا نزاع ولا حروب

وتولى بعده جملة من الملوك الى سنة ٥٨٠ للمسيح تقريباً ومن هؤلاء الأكاسرة كسرى انوشروان وهو من اشهرهم واعظم ملوكهم كان ملكاً عادلاً عاقلاً مهيباً محسناً ومن كثرة عدله وشفقته على رعاياه من الظلم والعدوان امر بوضع سلسلة نافذة من سرايته الى الطريق وجعل فيها اجراساً فكان كل رجل مظلوم ياتي وبجرك السلسلة فتدق الاجراس فيعلم به ويامر باحضاره اليه وينصفه ولذلك كثر العدل والامان في ايامه . وهو الذي صادم الرومانيين واقام عليهم حروباً كثيرة واستولى على أكثر ولاياتهم في اسيا فهاجته الملوك وهادوه بالهدايا النفيسة وكان قد ورد عليه رسول قيصر امبراطور الروم بهدايا وتمح ثينة فظفر الى ايراء وحسن بنائه فاندش وتعجب وكان قد رأى فيه اعوجاجاً فسأل عن سبب ذلك فقال له بعض الوزراء ان عجزاً كان لما متزل بجانب هذا الاعوجاج فرغبها الملك في الثمن فابت بيعه ولم يفصها عليه وبقي الاعوجاج من ذلك على ما ترى . وكانت مدة حكم كسرى انوشروان نحو اربعين سنة وقيل أكثر

ثم تولى بعده ابنه هرمز وكان عاقلاً عادلاً كايه ينصف المحنير من الشريف ولا يجاني بالوجوه وكان قد صنع صندوقاً وجعل فيه شقاً ليلقي المتظلم قصته فيه وكان يختم قفل الصندوق بخانه لثلاث ايدى وزرائه وكان الحجاب ياخذون ذلك الصندوق في كل صباح ويلقونه على مفارق الطرق وينادون باعلى اصواتهم قائلين كل من له دعوى او كلام برفعة الى الملك

فليكتبه على رقعة ويلقيه في هذا الصندوق من هذا الشق . وفي السنة العاشرة من ملكه زحف اليه طيباريوس قيصر في ثمانين الف فارس فخاف هرمز من عواقب الامر واحضر اليه قائدا له بمملكة الري يقال له بهرام وكان شجاعا مقداما وبطلا هاما واعده لقتال اعدائه فاتصر جند طيباريوس على جند فارس في جملة وقائع ثم تصالحوا . وكان بهرام المذكور قد اتخذ له حزبا واعوانا من رجال المملكة حتى صار في صولة وسطوة عظيمة فخاف هرمز على ملكه من بهرام وحسب حسابه وجرى بينها قتال وكان الجند من حزب بهرام وكان ابرويز بن هرمز يومئذ مطرودا من ابيه مقيما باذربيجان فلما بلغه ضعف امر ابيه خاف من استيلاء بهرام على الملك فقصد اياه وامسكه وقلع عينيه ولبس التاج وجلس على سرير الملك وجرى مية وبين بهرام عدة وقائع واخيرا تغلب بهرام على اقطار المملكة ولبس التاج . واذ خاف ابرويز من ان بهرام بعيد والده الاعى ملكا موقتا الى ان يكون قد تمكن من الملك اتفق مع خواصه على قتل ابيه هرمز فخنقه وقصد ملك الروم موريكوس مستنجدا به على بهرام ولما اجتمع به واعلمه بوافعة الحال لامة قيصر على ما فعل بابيه اولاً وثانياً ولكنه انف من ان يرده خائبا فارسل ليجده جيشا جرارا ولم تزل الحرب بينه وبين بهرام ثلاث سنين متتابعة وانتهت بانتصار ابرويز على بهرام وعاد ملك الفرس الى ابرويز فانعم على عسكر الروم باموال جزيلة ثم اعادهم الى بلادهم بعد اقامة اربع سنين . واستمرت له بعد ذلك ولاية فارس ولكن الله قد اتقم منه على قتله ابيه تسليط ابنه شبرويه عليه فخلعه عن الاحكام وقتل جميع اخوته مجذور ابيه ثم امر به فالتى في جب عميق وعذبه بانواع العذابات الى ان مات وفي سنة ٣٠ مسجية تولى يزدجرد ملكا وهو آخر ملوك الفرس وفي ايامه افتتحت العرب بلاد العجم وقتل يزدجرد في الحرب واستولى المسلمون على البلاد العجمية مدة طويلة كما سيأتي تفصيل ذلك في الكلام على دول العرب



## الباب السادس

## في الكلام على شاهات العجم

وفي سنة ١٢٥٨ م دخلت التتر الى بلاد العجم وطردت دولة العرب منها وتولت مكانها عدة قرون . ثم في سنة ١٥٠٠ قام عليها ملوك من اهل فارس وتلقبوا بالشاهات اي السلاطين وكان اول هولاء الملوك الشاه اسماعيل الاول وهو من نسل العرب فتغلب على البلاد واسنولى عليها ٢٢ سنة . ومن اعظم هولاء الملوك الشاه عباس تبتوا سرير الملكة ١٥٨٩ فحارب الاتراك وظفر بهم مرارا عديدة ومنع البرتوكاليين من الاستيلاء على جزيرة اورموز في خليج العجم ومن افضل ملوك هذه العائلة الشاه حسين الذي هو آخرهم وكان مع ادارته وحسن تصرفه قليل الحظ من رعاياه جلس على سرير الملك سنة ١٦٩٤ الا انه لم يطل زمانه حتى اضطر الى ان يتنازل عن كرسي الاحكام لخصمه لانه يدعى محمودا ولكنه قبل ان يخلع نفسه عن تخت الملكة نزل الى الاسواق حافيا واخذ يطوف في شوارع اصبهان التي كانت يومئذ عاصمة البلاد وهو يصيح قائلا لا تخزنوا ايها الناس على فراقي عنكم لان الشاه محمودا هو اخبرمني وادري في تدبير اموركم واصلاح شأنكم لاسيا في ادارة الحروب وسياسة الاحكام . وكان اكثر سكان المدينة يمشون وراءه وهم يبكون ويتجمعون على فراجه . ثم في سنة ١٧٢٥ قام كولي خان وتناوب كرسي الملكة وسمى نفسه نادرشاه وكان جبارا عنيدا ظلما غشوما كثير الحروب والغارات وكان قد غزا الجهات الشمالية من بلاد الهند سنة ١٧٢٩ فتغلب عليها ونهبها وعاد منها بغنائم وافرة واموال متكاثرة وكان مبعضا من اكثر رعاياه لكثرة ظلمه وجوره فوثب

عليه يوماً جماعة من قومه وقتلوه وكانت مدة حكمه سبع عشرة سنة . وانفق في  
ايام كريم وكيل شاه انه حدث هياج واضطراب في المملكة واستمرت الحروب  
بين الاهالي نحو ١٥ سنة وذلك من سنة ١٧٧٢ الى سنة ١٧٩٤  
ثم تولى زمام المملكة بعده اغا محمد خان ثم فتح الله شاه ثم محمد شاه ثم ابنة  
نصر الدين شاه وهو الملك الحالي صعد على سرير السلطنة سنة ١٨٤٨ مسيحية  
وهو من افاضل ملوك العجم بوصف بحسن السياسة والتدبير والحمية لرعاياه  
وقد انشأ عدة مدارس كلية لدرس العلوم والفنون واكتساب المعارف والاداب  
لنجاح الاهالي وفي سنة ١٨٦٣ اذن بادخال السلك البرقي اي التلغراف الى  
اقطار بلاده

اما عاصمة دولة ايران الحالية فتدعى طهران وهي كرسي المملكة والملك  
قصر عظيم في مدينة اصبهان يقال له قصر الاربعين عموداً وكل عمود منها  
قائم على اربعة سباع من نفيس المرمر وفيه من النقر البديع وانواع الخف  
والصور المزخرفة ما يدهش النظر ويذهل العقل  
وهذه البلاد يجدها شمالاً بحر الخزر والمالك الروسية وبلاد النتر المستقلة  
وشرقاً افغانستان وبلوخستان وجنوباً خليج العجم وخليج اومان وغرباً تركيا في  
اسيا وعدد اهلها نحو ١٤ مليوناً

وقد فاق اهل هذه المملكة على ما سواهم من الناس في نسيج الحرير  
والصوف كالتخيل وشالات الكشمير والبسط والطنافس وفيها ابنية فاخرة  
وقصور عظيمة شاهقة ولكنها لا تقاس بتلك الابنية الهائلة التي كانت في ايام  
الملك زركسيس . وليس لاهل العجم في هذه الايام ميل الى الحروب وسفك  
الدماء كما جرت لهم العادة في الايام السابقة وذلك لانعكاسهم على المطالعات  
وانشغافهم بسرد القصص والايخبار المفيدة المكتوبة من عصور قديمة وهي في غاية  
الظرف والحسن ولهم ايضاً ولوع وذوق في نظم الشعر والنثر وقد اشهر منهم  
في هذه البلاد جملة من الشعراء كالحافظ الشيرازي والسعدي والفردوسي وغيرهم

## الفصل السادس

### في مملكة الصين

### الباب الاول

#### في وصف بلاد الصين ومدنها واهلها وعوائدها

هذه المملكة يحدها شمالاً بلاد سيبيريا الى روسيا في اسيا وشرقاً  
الاقويانوس الباسيفيكي وجنوباً بحر الصين والهند وغرباً افغانستان وبلاد التتر  
المستقلة . وهي بلاد واسعة جداً ذات املاك وافرة يتبعها بلاد كثيرة من بلاد  
المغول والمانشو وغيرها وعدد اهلها ٤٤٦ مليوناً منها ٤٢٠ في نفس سلطنة  
الصين و٢٦ في البلاد المجاورة مثل منشوريه وبلاد المغول وثبتت وغيرها  
التابعة السلطنة الصينية . وللصينيين شهرة عظيمة في بعض الصنائع كسج  
الحزير والقطن والكتان ولاسيما حذر العاج وعمل الخزف المعروف بالصيني  
وغير ذلك من الانواع

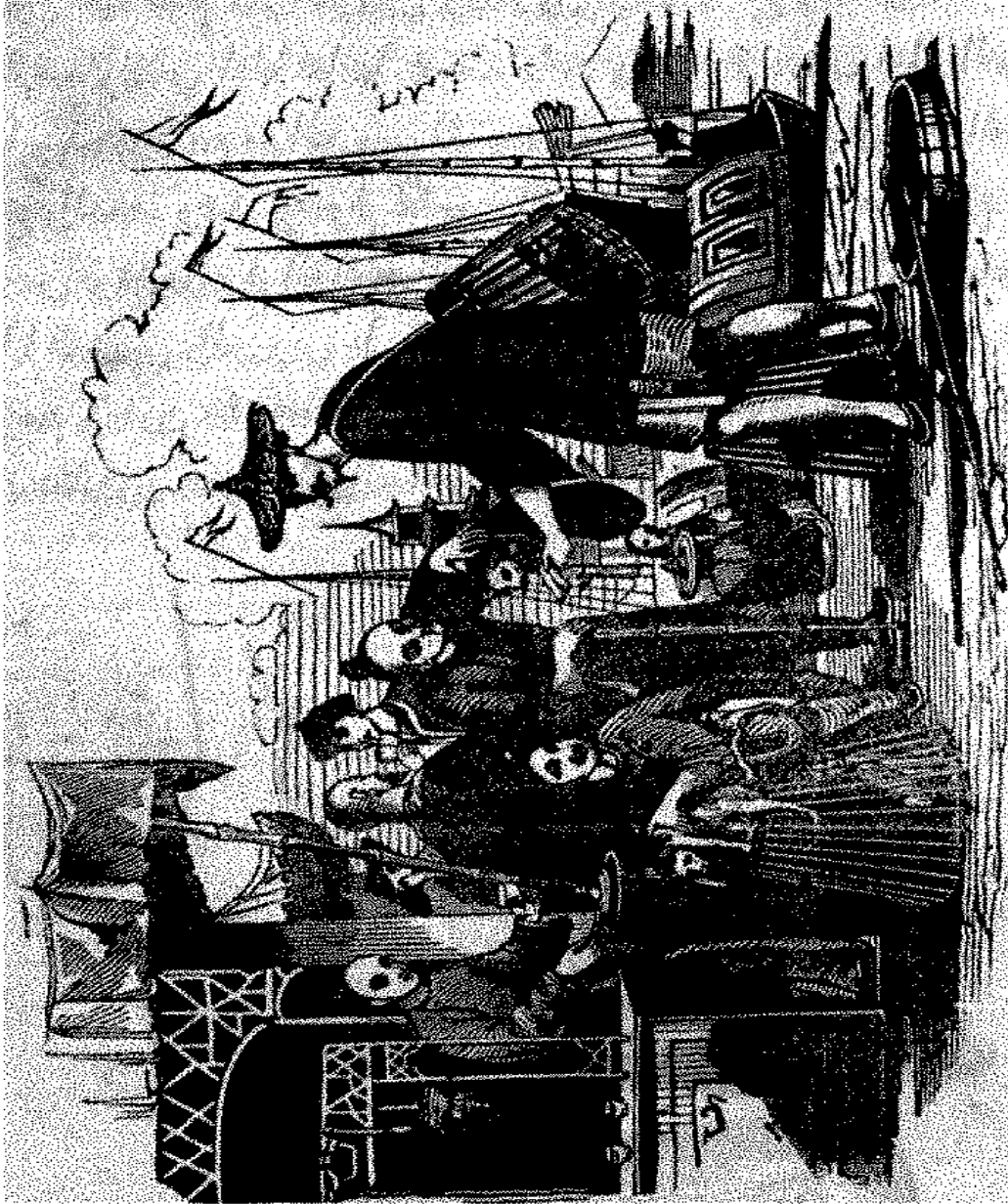
اما مدن بلاد الصين فمهما ناكين وكانت سابقاً عاصمة البلاد واما في  
هذه الايام فقد انحطت عن عظمتها القديمة لانتقال تخت الملك منها وعدد  
اهلها الآن نحو خمس مئة الف نسمة ومن غريب ابنيها البرج العظيم الذي  
انشاه بعض الملوك في مدة ١٩ سنة وانقته غاية الاتقان وهو مبني من الاجر  
ومحيط اسفله مئة وعشرون قدماً يعلوه تسع طبقات شاهقة وله من داخله

درج على شكل لولب يصعد فيه الى السطوح وخارج البرج ملبس بالخزف الصيني الملون . ثم مدينة باكين وهي قاعدة المملكة ودار اقامة السلاطين وعدد سكانها نحو مليونين وهي على شكل مربع مستطيل يحيطها سور ارتفاعه نحو مئة قدم وعرضه ثلثون قدماً بحيث تدور فوقه الحراس وهم راكبون خيولهم وفي جوانب هذا السور اثنا عشر باباً تعلوها ابراج لاقامة الحراس والمحافظين . وتنقسم هذه المدينة الى قسمين جنوبي وشالي اما القسم الجنوبي ففيه اكثر مساكن العامة واما الشمالي ففيه بلاط الملك وبساتينها وجنائنها التي هي في غاية البهجة وفي هذا القسم ايضاً كثير من النخيرات الصناعية والازهار اليبية والاشجار المختلفة . ومن مدنها ايضاً مدينة سنغغو وفي بعد باكين في الاتساع والحسن . وفي سنة ١٦٨٥ من الميلاد عثر بعض الالهاليين بالقرب منها على لوح من المرمر تحت الارض مكتوب عليه بالخط الصيني كلمات سر يانية فوقها صورة صليب فاجتهد العلماء في البحث عن معرفة هذه الكلمات فوجدوها منتحلة على اثنتين وستين علامة منقوشة بالحروف الصينية فتاملوها فاذا في عبارة عن رسالة تتضمن اصول دين النصرانية وعدة مسائل تتعلق بقوانين القسوس واسماء الملوك الذين كانوا سبباً في نشر هذه الديانة التي اظهرها في تلك الجهة دعاء من قسوس النساطرة سنة ٦٣ للمسيح وكانوا قد قصدوا هذه المملكة من بلاد العجم والشام وكان لهؤلاء الدعاة في بلاد الصين عدة كنائس . ثم مدينة كتون وهي بالقرب من البحر يسكنها قناصل الدول الاجنبية وعدد اهلها نحو مليون

نفس

واهل الصين بوجه الاجمال سود الشعور صفر الالوان صفار العيون واكثرهم يلبسون اقمصة طويلة اشبه شيئاً بالاتب ويتمنطقون باحزمة حريرية وينقلون سكاكين وخناجر في احزمتهم وهم على جانب عظيم من الغش والخداع ولم من العوائد والاصطلاحات الذميمة القبيحة ما تأنف منها السماع . منها انه اذا كان لاحد الوالدين عدة اولاد لا يقدر ان يقوم بمعاشهم يجوز له ان يلقبهم

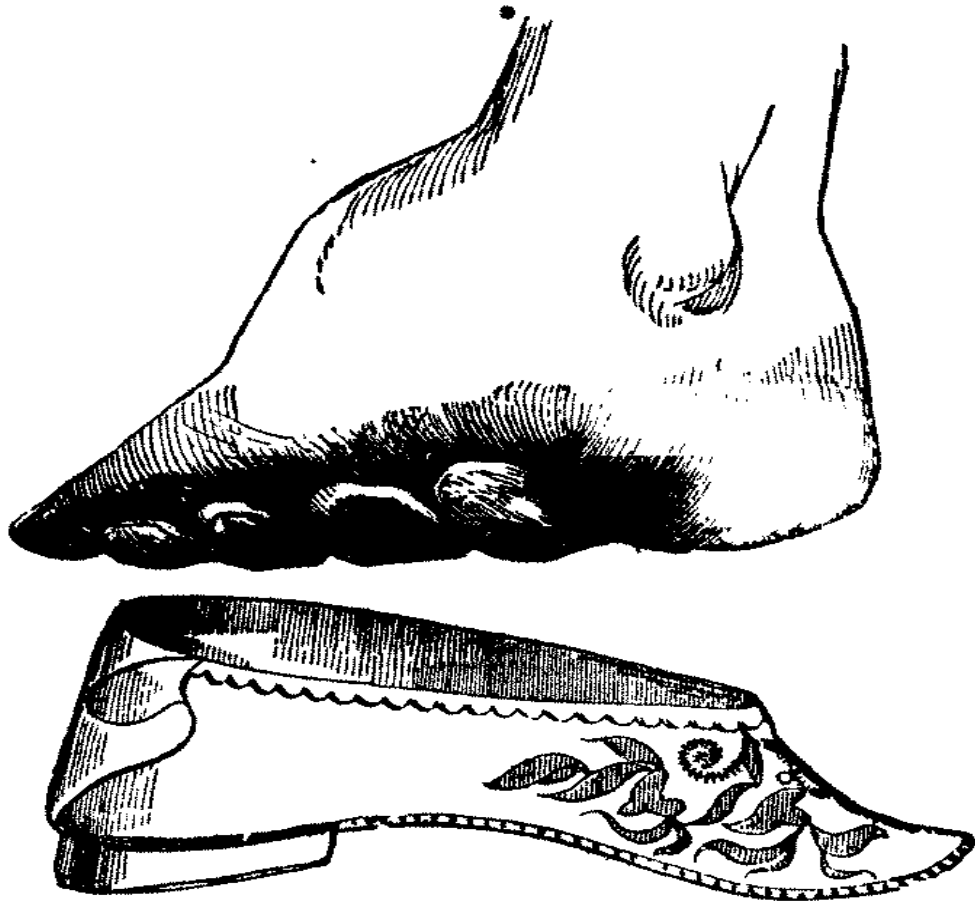
في النهر يتخاص منهم ولا يعترضه احد . ومنها انهم يأكلون لحوم الفار والجردان



مبيع الفار والجردان

ويبيعون الكلاب المائة جهراً في الاسواق . ومن عوائدهم ايضاً انه اذا اراد الرجل منهم ان يتزوج بصية يرسل رسولاً من قبله ليخاطب والديها بذلك فاذا قبلوا يخلصون عن ساعة ولادتها وولادته ليعرفوا في اي يوم وفي اية ساعة كانت ولادتها لمعرفة طالعتها فاذا وجدوا ان كل شيء موافق يرسل اليها

المخطيب بعض جواهر نفيسة على سبيل الخطبة حتى اذا كانت يوم العرس  
 ينصبون خيمة قدام دار العروس ويبدرون ارضها بالقمح ويدعون الاصحاب  
 والمعارف ويجلس اهلها بجانبها بحسب رتبهم ومقامهم ثم ينهض اهل العروس  
 جميعاً ويذهبون بهم مع العروس الى بيت العريس وبرشونهم في اثناء الطريق  
 بالقمح والشعير وعند وصولهم يجلسون العروس بجانب العريس فيقوم ذوو  
 العريس ويقدمون لهم الشاي والعرق والحلويات وعند انصرافهم يقدمون  
 الهدايا للعريس والعروس على سبيل النقوط. ومن عوائدهم انهم يجعلون شعور  
 رؤوسهم ويقفون منه خصلة في اعلاها فيجدلونها وبرخونها على ظهورهم. ومنها  
 انهم يستظفون اصفر ارجل النساء ولذلك يعلون قوالب من حديد ويضعون



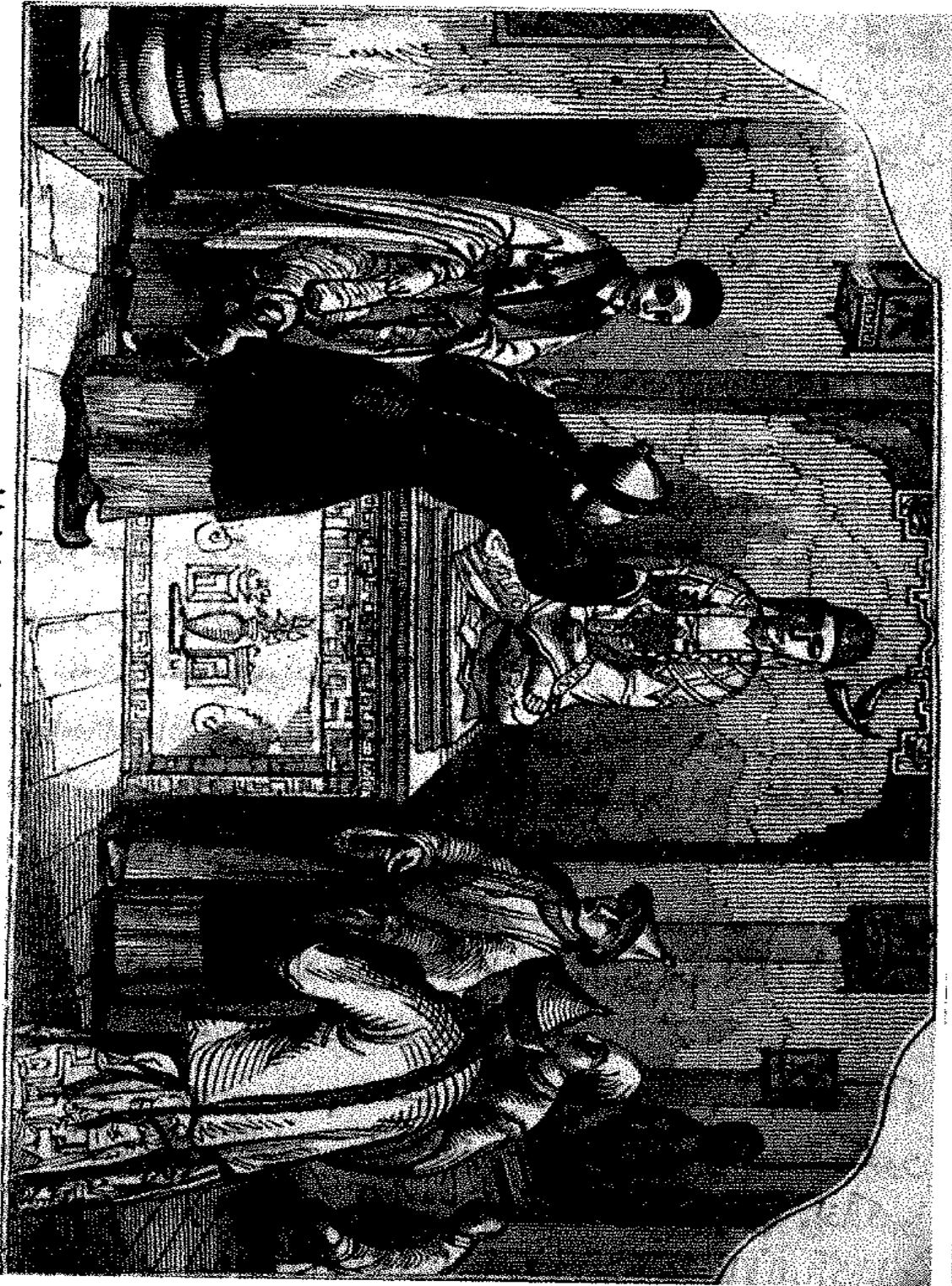
فيها ارجل البنات في صغرهن حتى اذا كبرن تكون ارجلهن صغيرة

وفي هذه المملكة كثير من الجبال الشاخنة والانهر الكبيرة المشهورة كثير  
 تاكيان الذي يصب في البحر الاصفر وهو يعد من اعظم انهرها يبلغ طوله ثلثة  
 الاف ميل وفيه تجري سفن كبيرة وصغيرة لخدمة الثقل . وفيها كثير من  
 الترع التي توصل المياه الى داخل البلاد لاجل سقي المزروعات ونقل  
 المحاصلات من جهة الى اخرى . وفيها جملة معادن منها الجص واللازورد  
 بلونون به الصيني واليشب والبلور والمغناطيس والزبيق والفضة . وفيها الماس  
 والزمرد والياقوت وغيرها من الحجارة الكريمة

ومن اشجارها الكافور وعود الند الذي يضاي في الصورة والارتفاع  
 شجر الزيتون ثم الشاي وهو من اشهر نباتها وافضلها ومن العجب انهم يقطفونه  
 ثلاث مرات في كل سنة وكيفية ذلك انهم يقطفون اولاً اغصانه ويضعونها  
 بقرب نار خفيفة حتى تجف قليلاً ثم يلفون ورقه ويجعلونه في صناديق من  
 رصاص ويرسلونه الى اوروبا وباقي الجهات . وقد بلغ مؤخراً معدل ما  
 يرسل منه الى الخارج وما ينقطع داخل البلاد سنوياً التي مليون اقة تقريباً .  
 ومن حاصلات الصين السمينة الحرير فانهم يعتنون بتربية دوده وهم اول من  
 اكتشفوه ومن عندهم خرج الى باقي الاماكن . وللصينيين اختراعات كثيرة لم  
 تعرف في البلاد الا فرنجية الا بعد ازمنة طويلة من وقت اختراعها مثل عمل  
 القرباس والمخزف والمطابع والبارود وغير ذلك مما يوجب لهم الافتخار  
 والمدح . وايراد السلطنة يبلغ من ٦٠ الى ٧٠ مليون ليرة انكليزية في السنة  
 واكثره يوخذ عيناً من حاصلات البلاد

اما لغاتهم فهي من اقدم اللغات ولما تغيرت عن حالتها الاصلية كما  
 يحدث غالباً في اكثر اللغات . واما كتابتهم فليس لهم حروف معتدة يكتبون  
 بها كما في سائر اللغات وانما لهم علامات واشارات اصطلاحاً عليها واذا كتبوا  
 ابتداءً وبالسطر من فوق ونزلوا به الى اسفل ناحية صدورهم خلافاً لباقي الكتابات  
 واما ديانتهم فهي الوثنية واعظمتها البوذية . ومن اصطلاحات كتبهم في

الاحنالات الدينية انهم يلبسون بدلات مختلفة ثم يوقدون الشموع ويعلقون



صم صيني، يستشيرون تقبل شروهم في اعمالهم

في اعناقهم المساجح ويحملون بايديهم الاجراس ويطوفون في المساجد والهيكل



والبعض منهم يمتنعون عن الزواج ويسكنون في صوامع منفردة عن الناس  
وعندهم كثير من القصص والتواريخ التي لا يوثق بها ولا يلقى بشأن المؤرخ  
ذكرها واعتمادها . ومن عوائدهم ايضاً انه مباح لهم ان يتخذوا لانفسهم ما شاءوا  
من النساء بشرط ان لا يكون للرجل اكثر من زوجة شرعية واما البقية  
فيعتبرون بمنزلة خادمات

## الباب الثاني

### في تاريخ مملكة الصين

ان هذه المملكة من اقدم ما لك الارض واعظمها وقد اختلف المحققون  
وارباب التاريخ في من اسسها فزعم الاكثرون انه فوهي الذي يظنونه نوحاً .  
وما يؤيد قدميتها كثرة ملوكها وقد عدّ المؤرخون دولها الى هذا اليوم فكانت  
اثنين وعشرين دولة حكمت في مدة اربعة الاف سنة . واما تاريخها فيبتدئ من  
سنة ٢٢٠٠ ق م وهو بالحقيقة من اسفم تواريخ الدنيا واطلها لا يعتد عليه نظراً  
لما يتضمنه من الخرافات والحكايات الغريبة البعيدة عن التصديق حتى لو  
شرع احد ان يستوفيه على وجه التفصيل لاستلزم عدة مجلدات كبيرة مع انه  
ليس بين اخبار ملوكها القدماء شيء يستحق الذكر الا الى زمن دولة تشاو  
التي استولت على السلطنة من سنة ١١٠٠ ق م الى سنة ٢٤٩ ق م . ومن ملوكها  
الامبراطور تشاوس جلس على الكرسي قبل المسيح بنحو الف سنة وكان مغرماً  
بالصيد والقنص وكان يصرف اكثر ايامه في الجولان بين الغياض والبساتين  
حتى انه كان اذا طارد غزالاً او ارنباً يتبعه ولا يميل عنه حتى يصيده . وكان  
كثيراً ما يدوس الاراضي المزروعة مع حواشيه وخدمه وقت الصيد وهو

غير مبالٍ بالاضرار الناجمة من ذلك حتى مقتنه شعبية وازدروا به واضر  
وزراء دولته التخلص من رياسته بقتله فخرضوا بعض الاتباع على ذلك . وكان  
في تلك النواحي نهر عظيم من عادة الملك ان يعبره في طلب الصيد فاعدوا  
له في بعض الايام قارباً مكسوراً من قعره ووضعوه له على الشاطي فلما حضر  
الملك ورآه استحسنه ثم نزل به هو واتباعه ولما صاروا في نصف النهر انفكت  
الواح القارب فسقط في الماء وغرق الملك ومن معه

وفي زمن تلك هذه الدولة ظهر كونفوشيوس العالم الشهير الذي كتب  
جملة تأليف في الدين والاداب والسياسة لم تنزل موجودة الى هذا اليوم  
ويعتبرها الصينيون اعتباراً عظيماً كأساس ديانتهم وآدابهم . ولولاها لما علم  
عند المتأخرين شيء من تاريخ الصين القديم . وكانت ولادة هذا الشخص سنة  
٥٥٠ ق م تقريباً من عائلة معتبرة فانصب على العلوم من صغره ولما بلغ سن  
الاربع والعشرين سنة انعكف على اصلاح عوائد بلاده فاخذ يحول بين  
ولايات السلطنة وينذر الناس بتعاليمه فالتصق به كثيرون وذاع صيته بين  
الجميع حتى دعاه ملك لو وسله وزارة مملكته فاصح شرائعها واصطلاحاتها  
وانى فيها اسباب التجارة والزراعة ولكن بما ان الملك كان مغرمًا بالملاهي  
واللذات نفر اخيراً من كونفوشيوس ولم يثبت في اتباع مشوراته الحكيمه  
فاضطر هذا الفيلسوف ان يترك دار الملك ويرجع الى اعتزاله مواظباً على  
الانذار والتعليم والتأليف . ومع كل احترام الناس له كان لين الجانب وديعاً  
ومتواضعاً الى الدرجة القصوى غير محب المال . وكان كونفوشيوس قريباً من  
عصر هيرودوتوس وبجسبها العلماء ابوي التاريخ ولكن الاكثريين يفضلون  
الاول على الثاني لانه ما عدا كتاباته التاريخية ترك لبلاده تعاليم اديية اثبت  
بنواتد كثيرة من وقت ما تو الى الآن

ومن ملوك دولة تسين التي خلفت الدولة السالف ذكرها من سنة ٢٤٩  
الى سنة ٢٠٥ ق م الملك سيهوانكي وعند جلوسه على تخت المملكة شرع في بناء

سور عظيم حول البلاد ليقبها من هجوم التتر ولم ينزل السور الى الآن يبلغ ارتفاعه ٢٠ ذراعاً وعرضه تسع اذرع وهو يشغل مسافة الف واربعماية ميل وعند فراغه من هذا السور ازداد تعجباً بنفسه وافتخر على من تقدمه من الملوك والسلاطين فاخذ يعامل الناس بالقساوة والجبروت . واذ كان يريد اطفاء خبر الاولين ومن سلفه من الملوك ويظهر للمتأخرين انه اول سلاطين الصين لم ير سبيلاً الى ذلك الا اعدام المورخين واتلاف قيود المملكة فامر احد الايام بدفن اربع مئة رجل من العلماء وهم في قيد الحياة ثم امر بحرق سائر الكتب والتواريخ التي في مكاتب المملكة . وبعد موت هذا الملك تولى ابنه مكانه وبموتها انقرضت دولتهم

ثم قامت دولة اخرى تعرف بدولة هان وذلك من سنة ٢٠١ ق م الى سنة ٢٢٤ للميلاد وفي كل مدة تملكهم لم يحصل للبلاد راحة من غزوات التتر المتكررة . ومن ملوك هذه الدولة الامبراطور فاني وقال البعض انه كوانك كان على غاية من الخفة والطيش يميل الى الملاهي والطرب منعكفاً على اللذات والسكر ولذلك كان يكره الموت ويود الحياة فاخذ يبعث وبتش عا يدفع عنه كاس الموت ولكنه بعد ان صرف زمناً طويلاً في الامتحانات المحالمة كتركيب المعاجين المتقوية واستخراج المشروبات المنعشة ادركته المنية فحباب سعية واخطاه الامل قبل انمام العمل

ثم خلفه ملك آخر كان مغرمًا بطلاعة التواريخ والاخبار ولذلك اهمل مصالح المملكة وانعكف مواظباً على الدرس والقراءة وكان وزيره يبغيضه ويتمنى هلاكه فاغتنم الفرصة وهجم عليه الشعب ليقنوا به فلما سمع الملك اصوات العصاة وهياجم بادر في الحال ونقلد سلاحه وخرج من المكتبة ليقف على حقيقة الخبر فوجد اكثر الشعب قائلين عليه يريدون هلاكه فلم ان سبب ذلك اشتغاله عن معاطاة الاحكام بالمطالعات الكثيرة ولما رأى نفسه عرضة للهلاك وانه لم يبق امكان للمدافعة ارتد الى مكتبته واضرم بها النار فاحترقت وكان عددها

تحو مشة واربعين الف مجلد ثم هم عليه الشعب فقتلوه  
وفي سنة ٦١٧ للمسيح جلس ملك آخريدي سيكويين وكان قد بنى لنفسه  
قصرًا عظيمًا من ابهج القصور المزخرفة واتقنه اتقانًا خارجًا عن حد العادة وطلّى  
حيطانه بباء الذهب وفرشه بانواع الفرش النفيسة والامتعة الفاخرة الزاهية فلما  
مات دخل ابنته الى هذا القصر فدهش من فرط حسنه وجماله وقال في نفسه  
ان هذا القصر ما يفسد عقول الملوك ويزيدهم تكبرًا وفتنة فامر باحراقه  
وجلس سنة ١٠٠٠ مسيحية على كرسي الملكة ملك شهير بالمعارف والاداب  
يدعى شوانكتسون وكان على جانب عظيم من الزهد والوداعة وكال الاستقامة  
وكان ذا حكمة وفراسة مطبوعًا على مكارم الاخلاق حريصًا ساهرًا على جلب  
الراحة للبلاد والعباد فاحبه رعاياه ومالوا اليه لتصرفاته وحسن سلوكه  
ومن جملة مزاياه الغربية انه كان ينام على بساط الارض بلا مثال ولا دنار  
ويربط في عنقه جرسًا حتى اذا تحول من جهة الى جهة وهو مستغرق في نومه  
يستيقظ برنين الجرس معتبرًا ذلك الوقت وقتًا مناسبًا لتيامه من النوم  
وسنة ١٢١٠ للمسيح زحف جنكيز خان ملك التتر والمغول بجيش  
عظيم على هذه الملكة وافتتحها بعد وقائع متعددة وهجمات هائلة واستولى على  
جانب عظيم منها وقام بعده ابن ابنه قوبلاي خان فاكل استفتاح البلاد وأسّس  
مدينة باكين وسمى نفسه خان الصين الكبير واستمرت البلاد في ايدي ذريته  
الى سنة ١٢٦٨ حين استخلصتها منهم العائلة المعروفة بدولة مينك . وكانت  
احكام التتر في كل مدة استيلائهم على الصين قاسية جدًا ومعاملة المغول بربرية  
لم تجعلها الاهالي الا بكرب شديد وقيل انه في مدينة واحدة نهض مرة ٤٠  
الف نفس من اهاليها وامانوا انفسهم بايديهم بغية التخلص من جور ظالمهم .  
وفي مدة تسلط هذه الدولة دخل البورتوغاليون اولًا الى الصين وذلك سنة  
١٥١٦ وفتحوا الباب لدخول باقي الدول الاخرى ثم تبعهم الالمنكيون سنة  
١٦٢٤ ثم الانكليز في ذلك القرن عينو ثم المسكوب ثم الفرنساويون والاميركانيون

ولكنهم لم ياخذوا مركزاً ثابتاً في تلك البلاد نظراً لفض الاهاالي مخالطة  
الاجانب . ومن سلاطين هذه الدولة الامبراطور شنكتنا جلس على سرير  
الملك سنة ١٥٢٢ وفي ايامه ظهر معدن من الحجارة الكريمة في تلك البلاد  
فقصدته الناس من جميع الدواحي واخذوا يشتغلون بحفره ونقطيعه وكان احد  
الناس قد جاء الى الملك ذات يوم ببعض فصوص ثمينة من ذلك المعدن فلما  
شاهدها التفت الى من حوله من الناس وراهم اياها ثم صاح عليهم باعلى صوته  
قائلاً لهم أظنون ايها الناس ان هذه الحجارة كريمة قالوا نعم انها كريمة وثمينة  
قال اذا كان الامر كما تزعمون فلا بد ان يكون لها نتائج مفيدة فاحبروني اذا  
ما هي فوائدها أستطيع ان تشبع جائعاً او تكسو عرياناً ثم امر بمعطيل ذلك  
المعدن وردمه وان يشغل اولئك الناس في عمل آخر اهم وانفع . فدام تسلط  
هذه الدولة الى سنة ١٦٤٥ حين طردها قبيلة من التتر المانشو المعروفة بدولة  
تانسينك وهي الباقية الى ايامنا هذه . ومن ملوكها الامبراطور كنجي من اعظم  
ولاة الصين سطوة وشوكة وفي ايامه دخلت الديانة النصرانية الى البلاد  
بواسطة مرسلين يسوعيين واذ كان يميل اليها اصدر امراً ملكياً سنة ١٦٩٢ بمنح  
به معلمها جملة امتيازات . وقد قرب اليه احد هولاء الاباء وجعله مستشاراً له  
فكان نفوذه عظيماً في البلاد . واجتهد اليسوعيون في تهذيب الناس وتعليمهم  
ونجحوا نجاحاً عظيماً في وقت وجيز والعالم مديون لهم لاجل معرفة احوال  
الصين الداخلية اذ كانت قبل ذلك مجهولة ويعد توفي كنجي سنة ١٧٢٢  
خلفه ابنه يون شينك وكان اذاك صغير السن فتسلم زمام السلطنة اربعة وكلاء  
وفي مدة وكالتهم سنوا سنة هي ان يمنع الحصان المولجين حراسة الحرم من  
الارتقاء والتوصل الى وظيفة من وظائف البلاد وكانوا قبل ذلك الوقت  
يرتقون الى اعلى المناصب ونقشوا تلك السنة على الواح من حديد وزن كل منها  
نحو اربع مئة افة والى الان يتمسك بها كل ولاة الصين اذ بواسطتها حصل من  
ذلك الوقت السلام والراحة في كل السلطنة . ولما بلغ يون شينك المذكور

سن البلوغ واستلم زمام الاحكام لم يعامل اليسوعيين كعاملية ايّ ولا سبب غير معلومة مقننهم وابعدهم عنه ثم نفاهم من العاصمة اولاً الى كتون ثم الى مكاو فقدت كل نتائج اتعابهم . وفي ايامه حدث زلزلة عظيمة في بلاد الصين لم يسمع بمثلا منذ خلقة العالم فهدمت اكثر بيوت باكين ومات بها نحو مئة الف نسمة وشمل الخراب والموت باقي الحدود المجاورة

ثم خلف يون شينك الامبراطور كيان لونك وكان سلطاناً عظيماً وحاذقاً حكيماً يود الاجانب ويميل اليهم اكثر من سلفائه وبعد موته جلس ابنه مكانه واذ كان غير اهل للاحكام خلع نفسه عن كرسي السلطنة واقام ابنه تاوكوانك مكانه سنة ١٨٢٠ وكانت البلاد في ايامه بلا راحة من جري الثورات الداخلية والاضطرابات الخاجية ولا سيما حرب الانكليز سنة ١٨٤٠ المعروفة بحرب افيون . وكان السبب في ذلك ان الحكم الصيني منع ادخال هذا الصنف الى بلاده واصدر امراً جازماً سنة ١٨٢٢ بمنع الانجار به اما الافرنج فلم يكونوا يعتبرون هذا التنبيه بل استمروا يتعاطون هذه التجارة خفية ولما اشتهر امرهم عند الحكومة ارسلت في الحال معتمدين من باكين الى مدينة كتون ووكلت اليهم استعمال ما يلزم لتبطل تلك التجارة فالتوا القبض حالاً على رجلين من ابناء البلاد ممن وقعت عليهم الشبهة في تهريب افيون وقتلوهما بحضور الافرنج ثم احاطوا بالنازل الافرنجية وهجموا عليها دفعة واحدة واخذوا منها ٢٠ الف صندوق من الصنف المذكور . فهذه الوسائط جعلت تجارة افيون تنحصر في الفرض البحرية حيث ترسي المراكب الحربية ولكن اذ كانت حكومة الصين متشبثة بانعام مقاصدها لم تغفل عن مراقبة اعمال تجار الافرنج واستمرت على مقاومتهم لمنع جلب افيون الى الاقطار الصينية فوقع بينها وبين الافرنج لذلك معركة في نهر كتون اشهرها بين بارجنين انكليزيتين وبين ٢٦ مركباً صينياً تحت رئاسة الاميرال كوان فكانت الدائرة على الصينيين فانسحبوا بعد ما حرق مركب من بوارجهم وغرق منها عدة سفن فعظم ذلك

الامر على مملكة الصين واصدرت امراً بابطال كل معاملة تجارية مع انكلترا وسعت في احراق البوارج الانكليزية وهي راسية في مينائها فالتزم حينئذ رئيسها ان يتجنأ الى قوة الاسلحة واشهر الحرب على الصينيين واحاط بمدينة كتون بالمراكب والعساكر وضايقها فاضطر الامبراطور عند ذلك ان يصرف ذلك المشكل بتأدية 7 ملايين من الريالات كتضمين على ما تكبدوه من الخسائر في اثناء الحرب وتنازل لهم عن جزيرة هون كونك وتعهد بارجاع المعاملات التجارية بين الامتين كما كانت سابقاً . ولكن اذ لم يف الامبراطور بهذه العهود عاجلاً اضطرت انكلترا ان تلزمه جبراً على اجرائها فارسلت عليه البوارج ثانية تحت قيادة السار هنري يوتنجر سنة ١٨٤١ فضرب مواينها واستولى على اكثرها فخاف الامبراطور من عواقب الامر وعقد صلحاً مع دولة انكلترا في السنة التالية تحت شروط معلومة وهي ان الدولتين تكونان في صلح وسلام مدى الدوام وان سلطنة الصين تؤدي الانكليز ٢١ مليون ريال في مدة اربع سنوات وان مواين كتون وآموي وفوشو ونيينكبو وموشنفاي تكون مفتوحة للتجارة الانكليزية وينصب فيها قناصل . وان جزيرة هون كونك تعطى عطاء مؤبداً الى جلالة الملكة فيكتوريا وخلفائها من بعدها وان المكاتبات بين الدولتين تكون على نسق المساواة وسنة ١٨٥٠ توفي تاو كوانك المذكور وجلس مكانه ابنه هيان فوبك فتواني عن القيام بحق العهود المذكورة وحاول من جهة حق دخول الانكليز الى داخل مدينة كتون فادى ذلك الى مناظرات عديدة بين الطرفين استمرت الى سنة ١٨٥٧ حينما وقعت حادثة السفينة الانكليزية المسماة ارواذا هاجمها بعض ضباط الصين ومزقوا رابتها وقبضوا على جانب من رجالها ظلماً وعدواناً ورفض الامبراطور بعد ذلك اعطاء الترضية للانكليز عن هذا الفعل الذميم فالتزمت انكلترا ان تشهر حرباً على الصين مرة ثانية واذ كانت صوامح فرانس التجارية وقتئذٍ ومخاماتها عن الاكليروس الكاثوليكي في تلك البلاد تستدعيان المداخلة اتحدت هاتان الدولتان وارسلتا قوة بحرية وبرية

تحت رياسة البارون كرو من قبل فرانسوا واللورد الجين من قبل انكلترا وذلك سنة ١٨٥٨ وبعد دخولهم الى تياتسين قهراً وهدمهم قلع مدينة تاكو التي على فم نهر ييهو عقدوا مع حكومة الصين معاهدة تشتل على ٥٦ بنداً منها ان يكون لسفراء فرانسوا وانكلترا حق السكن في مدينة باكين وان لا يكون مانع لجولان رعاياهم في كل اقطار السلطنة وتخصص تسع مدن غير المدائن التي كانت تخصصت بالمعاهدة الاولى لتكون موانئها مفتوحة لتجارتهم وان لا يصير ادنى تعرض للديانة المسيحية ولالبناء الكنائس او البيوت وغير ذلك من الشروط . فلما ثبتت الحكومة الانكليزية تلك المعاهدة وكان اخو اللورد الجين ذاهباً بها الى باكين سنة ١٨٥٩ ليستبدلها بالنسخة الصينية وجد ان الحكومة خصنت قلاع مدينة تاكو واقامت ايضاً حواجز لمنع مرور المراكب من فم النهر . وبينما كانت المراكب الانكليزية تريد ان تغتصب الدخول الى النهر اطلق الصينيون عليها النار من القلاع وضروا بها ضرراً جسيماً فعند ذلك وافاهم اللورد الجين والبارون كرو مرة ثانية سنة ١٨٦٠ بمراكب كثيرة واغتصبوا الدخول في النهر المذكور بعد ما هدموا الحصون المحامية ودخلوا متصرين الى مدينة باكين وحرقوا قصر الملك الصفي وعقدوا شروط الصلح وحصل اللورد الجين على تثبيت المعاهدة المار ذكرها . اما الامبراطور هيان فونك فانه هرب الى مانشوريا وهناك توفي بعد سنة وهو في سن الثلاثين ثم خلفه هيان فونك الامبراطور الحالي تشي سيانك ومعه المأساة جلس في ٢٢ آب سنة ١٨٦٢ وهو في سن الثلاث عشرة وفي ايامه تمكنت الحجة والالفة بينه وبين الدول الافرنجية وجعلوا بينهم روابط ومعاهدات باقامة السفراء والتواب بين الطرفين ولذلك ترى الآن سفراء المالك الاوروبية وكلاءها منتشرين في اكثر المدن الصينية ولا سيما في المواني البحرية ولا بد ان الصينيين يرون قريباً فوائد هذا التغيير لانفسهم ويحبتون بهذه الوسيلة اثمار الارباح المادية والادبية الناتجة عن هذا الاختلاط



## الفصل السابع

في تاريخ العرب

## الباب الاول

في جغرافية بلاد العرب

هذه البلاد يجدها شمالاً فلسطين وسورية وشرقاً العراق والجزيرة وخليج  
العمق . وجنوباً بحر الهند . وغرباً بوغاز باب المندب والبحر الاحمر وبوغاز  
السويس . واهلها اثنا عشر مليوناً . وهي خمسة اقسام اليمن والحجاز وتهامة ونجد  
واليمامة

اما بلاد اليمن فتقسم الى خمسة اقسام وهي حضرموت وشحر ومهرة وعمان  
ونجران . ومن اشهر مدنها مدينة صنعاء وهي قصبة البلاد ودار الامامة وكانت  
كرسي ملوك اليمن في الازمنة السالفة وهي ذات بساتين واشجار كثيرة وبها  
اثار لذبذة خصوصاً العنب وتقرب صنعاء معادن فحم الحجر . ومن مدن  
اليمن مدينة عدن ونجران وزيد ومدينة مخا وهي فرضة مشهورة على شاطئ البحر  
الاحمر ومحط تجارة اليمن وعدد اهلها ١٨٠٠٠٠ ومنها يجلب البن الذي تنسبه  
العامة الى مكة ويقولون له الحجازي ثم مدينة مارب وغير ذلك من المدن  
واما الحجاز فهو ما يلي البحر الاحمر من تهامة وسي حجازاً لانه حاجر بين  
نجد وتهامة . ومن مدنها مكة وجدة والمدينة وفيه الطائف الواقع في شرقي مكة  
وهو ابرد اقليم واجود مكان في الحجاز كثير النواكح والبساتين وفيه عيون

وجنات كثيرة . وفي جبال الحجاز عدة ولايات صغيرة لا يعيش سكانها في الخيام كباقي عرب السهول بل لهم مدن وقرى مبنية بالحجارة وهم يدافعون عن انفسهم بمحصون وقلاع صغيرة ومن هذه الولايات ولاية خيبر وهي على الشمال الشرقي من المدينة واهلها يهود مستقلون بانفسهم

واما تهامة فموقعها على شط البحر الاحمر بين اليمن جنوباً والحجاز شمالاً واما نجد فهي ما يتصل بالشام شمالاً والعراق شرقاً والحجاز غرباً واليهامة جنوباً وهي ارض واسعة عظيمة كثيرة الجبال والمدن والقرى مشحونة بالاراضي الالتزامية حتى ان اكثر مدنها قد تكون التزام شيخ يحكمها ويتصرف باهلها كما يشاء وارضها مخصصة الى الغاية يخرج منها سائر الفواكه خصوصاً التمر وبها تربى الخيول العظيمة ومن مدنها رياض وهي قصبة البلاد ذات سور وجنائن وبندر يجتمع اليها التجار من سائر الجهات للبيع والشراء وسكانها على اشد ما يكون من التعصب في المذهب الوهابي . ثم مدينة ايانا وهي التي نشأ بها محمد بن عبد الوهاب الذي انشأ هذا المذهب .

واما اليمامة فهي بين نجد واليمن وهي تتصل بالبحرين شرقاً والحجاز غرباً وتسمى العروض لاعتراضها اليمن ونجد

اما غلات بلاد العرب فمنها الحنطة والذرة والشعير والقوة والبن والفلفل والقطن والسنا مكي والباسم والعود والمر والبخور والمن والتمر وهذا الاخير هو اساس قوت اهل هذه البلاد . وفيها من الحيوانات الاسد والضبع والنمر والذئب والوعل والجواميس والفلزان والحمير والفردة والجمال والهنج والخيول وهي اجود خيول الارض موصوفة في الحسن والحنفة . والمعادن في هذه البلاد قليلة جداً وفي بعض الاماكن معادن حديد ونحاس ورمصاص . والعتيق واللؤلؤ في خليج فارس . واما الفنون فمجهولة في بلاد العرب والصنائع مهلهة وفن الموسيقى يكاد لا يعرف فلا يسمع هناك سوى اصوات الطبول والمزامير

## الباب الثاني

في اصل العرب وصفاتهم وما يتعلق بهم

ان العرب هم اقدم الامم من بعد الطوفان واشدهم بأساً واعزهم نفساً وهم فرقتان بدو وحضر اما البدو فهم سكان البراري والقفار الذين يعيشون من البان الابل والغنم ولحومها وينتقلون من مكان الى مكان في طلب العشب والمياه واما اهل الحضرة فهم سكان المدن والقرى . وكان بعضهم عصور ودول وقبائل ولم يكن دابهم الاً شن الغارة والغزو على الممالك حتى انهم غاروا على فراعنة مصر قبل المسيح بنحو النفي سنة واتصروا عليهم وتملكوا مصر الوسطى والسفلى وتولى منهم جملة ملوك في مدة ثلث مئة سنة وكانوا يدعون ايام دولتهم في مصر بالملوك الرعاة وهذا اقوى دليل وبرهان على قدميتهم وشدة باسهم في ذلك الزمان وقد استولت ملوكهم ايضاً على الشام والعراق واليمن ونجد والحجاز والبحرين واليامة كما سيأتي بيان ذلك في محله . وجميعهم ينقسمون الى اربع طبقات متعاقبة

الطبقة الاولى العرب العاربة ويقال لها البائدة اي الهالكة وكانوا شعوباً وقبائل كثيرة العدد كعاد وطسم وجديس وغيرها فانقضوا جميعاً واندرسوا ولم يبق من نسلهم احدٌ على وجه الارض

ثم الطبقة الثانية وهم العرب المستعربة من ولد فحطان الذين منهم التبايعه ملوك اليمن ويقال ان فحطان المذكور هو اول من تكلم بالعربية من اهل هذه الطبقة تعلمها من العرب البائدة الذين كان معاصراً لهم وكان ابنة يعرب بن فحطان من اعظم ملوك عرب اليمن

ثم الطبقة الثالثة وهم العرب التابعة للعرب المستعربة من ولد عدنان الذي هو من ذرية اسمعيل بن ابراهيم الذي اخلط مع العرب المستعربة ونشأ بينهم وربي في احبائهم وتزوج منهم وتعلم لغتهم العربية بعد ان كان ابوه اعجمياً ومن هذه الطبقة المناذرة ملوك الحيرة والعراق

ثم الطبقة الرابعة وهم العرب المستعجة ابي عرب هذا العصر الذين فسدت لغتهم على نمادي الايام والسنين بمخالطهم الاجانب واقراض ما كان لهم من الدولة والسطوة في الجاهلية والاسلام وبقي خلفهم الى الآن وهم طوائف عديدة وشعوب كثيرة يسكنون الخيام ونجولون في البراري المنفرة واشهرهم عرب صخر وعذرة

ومن صفات العرب الشهامة والنجدة وحفظ العهود والزيام والافتخار بشدة الباس وعلو الهمة كاتتصارهم على الاعداء وكسب الغنائم ومن اطلع على اشعارهم استدل على احوالهم واخبارهم. ومن صفاتهم ايضاً المحافظة على شرف ناموسهم وعرضهم فكان عدوهم الموت اسهل من العار والفضيحة ولفرط احترازهم ومحاماتهم عن شرف العرض توصل بعضهم على ما قيل الى عادة ذميمة ومكروهة جداً كدفن البنات بالحياة التي هي من اقبح العوائد وافظها فبنهم من كان يفعل ذلك تجنباً للعار ومنهم من القلة والفقر فكان الرجل منهم اذا وُلدت له بنت واراد ان يبقياها في قيد الحياة السهبا جبة من صوف او شعر وجعلها ترعى له الابل والغنم في البادية وان اراد قتلها تركها حتى اذا بلغت من العمر تسع سنين يقول لامها طيبها وزينها حتى اذهب بها الى زيارة اهلها فيذهب بها الى الصحراء حيث يكون قد خضر لها بيراً وعند وصوله بها الى ذلك المكان يدفعها من خلفها ويلقيها في اليد ثم يهيل عليها التراب ويذهب الى حال سبيل

ومن صفات العرب ايضاً السخاء والكرم والضيافة للقريب والغريب . وكان منادي عامر بن الطفيل العامري بنادي في سوق عكاظ هل من

جائع فنطعمه أو خائف فنؤمته أو راحل فحمله . وكان أيضاً عبد الله بن جدعان يذبح في داره كل يوم جزوراً وينادي مناديه من اراد اللحم فليؤى بابن جدعان فلا عجب إذا ما يحكى عن حاتم الطائي وكعب بن مامة وأوس بن حارثة ومعن بن زائدة من الاخيار والقصص في الكرم والجود

وما يحكى عن فراستهم وحناقتهم انهم كانوا يستدلون بأثار الاقدام والحوافر استدلالاً عجيباً فيعرفون قدمي الشاب من الشيخ والرجل من المرأة والغريب من المتوطن وكان اذا هرب منهم هارب او دخل عليهم سارق اتبعوا آثار قدمه حتى ظفروا به

وكانوا على انواع مختلفة في المذاهب والاديان وكان لهم آلهة واصنام كثيرة فعبد بنو حمير الشمس وبنو كنانة القمر وبنو لخم وجدام المشثري وبنو طي سهيلاً وبنو اسد عطار وبنو ثقيف اللات والعزى

وكان للعرب قديماً شهرة عظيمة في الفصاحة والبراعة ونظم الشعر وهم تشرّب الامثال الى يومنا هذه وكانوا يجتمعون في اوقات معلومة معينة يبيعون ويشترون ويتناخرون ويتناشدون الاشعار التي تدل على ايامهم ووقائعهم التاريخية وعلى ما كان عندهم من العوائد والاصطلاحات فيجتمع كل سنة بسوق عكاظ ساداتهم وملوكهم وقوادهم وقبائلهم ويجلسون في مكان معلوم ثم يقوم الشاعر من بينهم ويصعد الى محل مرتفع وارباب المجلس جالسون في مراتبهم فينشدون نفايس اشعارهم ومتى فرغ من انشاده قام غيره من الشعراء وانشد ما عنده وهكذا الى النهاية . وكان للناطقة الديباني التقدم في هذا الاجتماع فكان ينصف بينهم ويفضل بعضهم على بعض . ومن اجود اشعارهم واشهرها المعلقات السبع التي اعنوا بها وكتبوها وزركشوها بحروف الذهب على المنسوجات الحريرية وعلقوها على الكعبة في مدينة مكة وقد اعنت علماء الاسلام بشرحها وذلك لما فيها من الفصاحة والبلاغة والصناعة الشعرية ومن تأمل في قصيدة عنتره بن شداد العبسي التي يقول فيها

اذا بلغ الفطام لنا وليدٌ      نخرّ له اعاديننا سجودا  
فمن يقصد بداهية الينا      يرى منا جبايرة اسودا  
ويوم البذل نعطي ما ملكنا      ونملا الارض احسانا وجودا

عرف شجاعة العرب ونخوتهم وكرم اخلاقهم وعلو همتهم . ومن اطلع على قصيدة  
السموأل التي منها

تعيرنا انا قليلٌ عديدنا      فقلت لها ان الكرام قليلُ  
وما ضرنا انا قليلٌ وجارنا      عزيزٌ وجار الاكثيرين ذليلُ  
فنحن كماء المزن ما في نصابنا      كهامٌ ولا فينا يعد بجيلُ  
وننكر ان شئنا على الناس قولهم      ولا ينكرون التول حين نقولُ  
وما خدت نارنا دون طارقٍ      ولا ذمنا في النازلين نزيلُ  
واسيافنا في كل شرقٍ ومغربٍ      بها من قراع الدارعين فلولُ  
معودةٌ ان لا نسل نصالها      فتغمد حتى يستباح قتيلُ

استدل ايضا على احوالهم اذ اكثر اشعارهم على هذا النسق

## الباب الثالث

### في ذكر العرب قبل الاسلام

وكانت مملكة العرب منقسمة الى دول متفرقة وملوك كثيرة العدد ومن  
اعظم دولها في ذلك الزمان التبابعة ملوك اليمن واول من ملك منهم قحطان  
بن عابر بن شالح بن ارفكشاد بن سام بن نوح وكان ملكه قبل المسيح بنحو الفتي

سنة ثم ملك بعده ابنه يعرب وفي السنة الاولى من ملكه غزا بلاد الحجاز فتغلب عليها واسر عدة من ملوكها وضرب عليهم الخراج ثم فوّض ولاية البلاد الى اخيه جرهم ورجع الى بلاده ظافراً منصوراً وكان يعرب مغرماً بالبهاء وهو اول من ابتدأ بعمارة المدن في اليمن وكانت مدة حكمه ٢٢ سنة ثم ملك بعده ابنه يشجب ثم ابنه عبد شمس الملقب بسبا وكان ملكاً ظافراً مقتدرًا كثير المغازي والحروب غزا غزوات كثيرة وافتتح مدناً حصينة وحمل السبايا الى بلاد اليمن وكانوا عدداً كثيراً ولذلك قيل له سبا وهو الذي اغار على بابل وفتحها وفيه يقول الشاعر

لقد ملك الآفاق من حيث شرقها الى الغرب منها عبد شمس ن يشجب  
سعى بالحياد الاعوجية والفتنا \* الى بابل في مقنب بعد مقنب

وكان ملكه خمساً وثلاثين سنة ثم ملك بعده عدة ملوك لا يعلم لهم اخبار ولا وقائع ولذلك ضربنا عنهم صفحاً واكتفينا بذكر اشهرهم فمنهم الملك شمريرعش وهو في الحقيقة من اعظم ملوك هذه الدولة جلس على سرير الملكة سنة ٨٠٠ ق م كان جباراً مقتدرًا كثير الغارات والمغازي قصد بلاد الشرق في جيش مؤلف من نحو ثلاث مئة الف مقاتل فدخل ارض العراق ثم ارتحل طالباً بلاد الصين وجعل طريقه على بلاد فارس فتغلب عليها وافتتح المدن والحصون ودخل مدينة السغد فهدمها وخرّبها فقبل لها بالفارسية شمر كند اي شمر اخرجها ثم اعيد بناؤها فبقي عليها ذلك الاسم لكنهم تصرفوا فيه فقالوا سمرقند وهي من المدن المشهورة في تلك البلاد وقد وجد في بعض قصورها المنهدمة عمود مكتوب عليه بالحميرية هذا ما بناه شمريرعش لسيدة الشمس

ولما استخلص شمريرعش بلاد فارس سار طالباً بلاد الصين فخاف ملكها من خبر قدومه وارتيك في امره وكان له وزير من اعقل الناس فقال له انا افدي هذه المملكة بنفسي واكفيك شر هذا الملك وجنوده

فقال قد فوضت هذا الامر اليك فافعل ما تريد فجدع الوزير انفة وسار  
طالباً الملك شمر بعرش وكان بينه وبين المدينة مسافة ست مراحل ولما  
اشرف عليه تامل بين يديه واعلمه بنفسه وشكا اليه ظلم الملك وقال قد فعل بي  
ما ترى على غير جنابة تستحق ذلك وخفت ان يقتلني فخرجت اليك هارباً  
وارجو ان يكون افتتاح هذه الملكة عن يدي فسر معي وانا صميت لك بذلك .  
فاغتر شمر بعرش بكلامه وبما رآه من جدع انفة وانقاد له فتمض مجيشه وسار  
معه الوزير فقادهم في تلك الففار على طريقة غير مستقيمة حتى دخل بهم في  
فلاوات معطشة مهلكة بعيدة عن الماء فاجهدهم العطش وهم يجردون في طلب  
الماء ولا يدركونه حتى هلكوا جميعاً وهلك شمر بعرش والوزير ايضاً وكانت  
مدة ماك شمر بعرش المذكور سبعة وثلاثين سنة . وقام بالملك بعده ابنه ابو مالك  
وبموت انتقل الملك من ذريته الى ولد اخيه كهلان وتولى منهم جملة ملوك ثم رجع  
الملك الى ذرية شمر بعرش وكان آخر ملوكهم سيف بن ذي يزن الذي استخلص  
الملكة من ايدي الحبشة بمساعدة الملك كسرى انوشروان بعد ان كانوا قد  
استولوا عليها نحو سبعين سنة وكان ذلك بعد المسيح بخمسة مئة وستين سنة  
ومن ملوك العرب ايضاً الغساسنة ملوك الشام اصلهم من اليمن ثم انتقلوا  
الى نواحي الشام ونزلوا على ماء يقال له غسان فاشتهروا به حتى غلب اسمه  
عليهم فقيل لهم آل غسان ثم تغلبوا على الشام وتلكوها فكان اول ملوكهم جثنة  
بن عمرو واخرهم جبلة بن الابهيم وهو الذي بنى مدينة جبلة بين طرابلس  
واللاذقية وسماها باسمه وكان قد اسلم في زمن عمر بن الخطاب عند افتتاح  
الشام فسار الى مكة يريد الحج بمايتين وخمسين نفراً من اصحابه فلما قرب من  
المدينة قلد اعناق خيله بتلائد الفضة والذهب ووضع تاجه على راسه ولما بلغ  
عمر بن الخطاب قدومه التفاهه بوكب عظيم ورفع مقامة حتى كان يوم  
الطواف فيبنا جبلة يطوف بالبيت اذ وطى رجل من بني فزارة طرف ازاره  
فانخل عنه الازار فغضب جبلة من ذلك ولطم النزازي لطمة هشم بها انفة



فتعان به الرجل وانطلق الى عمر ودمه يسيل على وجهه وشكا اليه حالة .  
فقال عمر لجيلة انت في خيرة اما ان يطمك هذا الرجل كما لطمته او  
تفتدي اللطمة منه بالمال فقال جيلة لعمر أ فلا يُفضل عندكم ملك على سوقة  
قال كلاً بل كلاهما في الحق سواء فغضب جيلة من ذلك وصبر الى الليل  
فاجتمع بغلمانهم وخرج بهم حتى لحق بالشام ثم سار من هناك الى قيصر واقام  
عنده فتشعبت اولاده في تلك البلاد وتسموا بالارناوط  
ومن ملوك العرب ملوك بني كندة الذين منهم امرئ القيس الشاعر المشهور  
وهو صاحب المعلقة التي يقول في مطلعها

قفا نيك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل  
وهي من افصح كلام العرب وايضا يذكر فيها بعض قصص واخبار تتعلق  
بوقائع حاله الخصوصية وقد اشتهرت بين الناس بهذا المقدار حتى ضرب  
بها المثل دون غيرها فيقولون اشهر من قفا نيك وذلك لما فيها من التشبيهات  
المتنوعة والمعاني البديعة المختزعة . وكانت بنو أسد وهي قبيلة من كندة قد قتلت  
اباه في خبر مشهور فخرج الى قيصر ملك الروم يستعين به ويستنجده على قتال  
القوم فلم ينجده ومات في اثناء الطريق عند رجوعه من القسطنطينية بقرب  
جبل يقال له عسب وكان ذلك سنة تسع وثلاثين وخمسمائة للمسيح

ومن ملوك العرب ايضاً ملوك العراق الذين اولهم مالك بن فهم واخبرهم  
المنذر بن النعمان بن المنذر بن ماء السماء الذي حاربه خالد بن الوليد واخذ  
منه مدينة الحيرة وكانت المناذرة يومئذ عمالاً للاكاسرة على عرب العراق كما  
كانت ملوك غسان عمالاً للقيصرة على عرب الشام . ومن اشهر ملوكهم جذيمة  
الابرش صعد على سرير الملكة بعد المسيح بثلاثين سنة وكان مسكنه الحيرة  
وهي بلدة قديمة على ساحل البحر بقرب الكوفة وكانت منزلاً لملوك العراق  
في تلك الايام . وكان جذيمة المذكور ذا شوكة وبأس وهو اول من اوقد الشع  
وانصب المجانيق للحرب وجي الاموال وكان بينه وبين عمرو بن الظرب ملك

الجزيرة عناق عظيمة فاستظهر عليه جذية بعد حروب طويلة وقتله وماتت  
بعده ابنته الزباء واسمها نائلة وكانت تسكن على شاطئ الفرات وقد بنت لها هناك  
مدينة وقصراً عظيماً وكانت عاقلة اديبة فاجعت على اخذ الثار من جذية  
بايها فارسلت اليه مع احد قوادها تخطبه لنفسها وتقول له انها امرأة لا يليق  
بها الملك وانها تريد ان تضيف ملكها الى ملكه فطمع في ذلك واستشار  
وزراءه في هذا الامر فوافقوه جميعهم الا وزيره قصير بن سعد فانه قال له  
ايها الملك لا تفعل ولا تغتر بكلامها وما ارادت بذلك الا لتخدعك وتأخذ بنار  
ايها منك فلم يلتفت جذية الى كلامه واستشار ابن اخيه عمرو بن عدي فوافقته  
على ذلك فاستخلفه على المملكة وركب يومئذ في جماعة من خواصه وسار اليها  
ومعه وزيره قصير المذكور فلما اشرف عليه قبضت عليه وقتلته وهرب قصير  
حتى اتى عمراً ابن اخت جذية واخبره بما كان وحرصه على اخذ الثار

ثم ان قصيراً قطع انفه واذنيه ولحق بالملكة المذكورة ودخل عليها  
واخبرها ان عمراً اتهمه بقتل خاله ففعل به ذلك ولم يزل يجدها بالكلام  
حتى اطمانت له ثم طلب منها ان تاذن له بالاقامة عندها فاذنت له وقدمته  
على جميع علمائها وصارت ترسله الى اليمن والحجاز بمال للتجارة فياتي الى عمرو  
فياخذ منه ضعف المال الذي معه ويشترى به الخبز والديباج والبرجد  
والياقوت ويأتي به اليها الى ان تمكن منها وصار عندها بمنزلة عظيمة فسلبت  
مفاتيح الخزائن وقالت له خذ ما احببت منها فاخذ جانباً عظيماً من ماها واتى  
عمراً وقال له قد علمت ما عليّ وبقي ما عليك قال وما هو قال الرجال  
بالصناديق فانخب عمرو من فرسانه الف رجل والبسم السلاح واتخذ معه  
الف صندوق وجعل يسير بهم ولم يزل كذلك حتى اقترب من قصر نائلة  
ومدينتها فامر جماعة فتأهبوا بسلاحهم ودخلوا الى الصناديق وقفلوها من  
داخل ووضعت الخدام الصناديق على ظهور الجمال وربطوها بالحبال حتى  
لا يشك كل من يراها انها قافلة ثم سبقهم قصير الى المدينة وكان ذلك وقت

العصر ودخل عليها وحياها بالسلام وقال لها قد اتيتك ابنتي الملكة بتجارة عظيمة واهوال جسيمة بما لم يات احد قط بمثله فصعدت الى سطوح القصر وجعلت تنظر الى الجمال وهي تدخل المدينة فانكرت مشيها وجعلت تقول

ما للجمال مشيها وثيدا أجنلا يجملن ام حديدا

ام صرفانا باردا شديدا

فقال قصير في سره بل الرجال جئنا قعودا

ثم امرت بالصناديق فأدخلت قصرها وقت المساء وقالت اذا كان الغد نظرنا الى ما اتينا به فلما تنصف الليل فتحت الرجال الصناديق وخرجت وفي ايديها السيوف فهجموا على القصر وقتلوا جميع من كان فيه من العلمان والجواري وكان لثلاثة سرداب في ناحية من قصرها قد اعدته لحوف يجلب بها للخروج من المدينة وكان قصير يعرفه ووصفه لعمره فسار اليه فلما احست بالامر بادرت الى ذلك السرداب وكانت قد رات عمرا وهو يطالبها فصت سما كان في خاتنها ومانت من وقتها وساعتها وغتم عمرو المدينة واطافها الى مملكته وانتقل بموت خاله جذيمة المذكور ملك العراق اليه والى ذريته من بعده

وللعرب حروب مشهورة اعظمها حرب البسوس التي هاجمت بين بني بكر وتغلب بسبب قتل كليب بن ربيعة سيد القبيلتين المذكورتين وكان من خبرها ان رجلا من بني جرم يقال له سعد قصد ديار بني تغلب ونزل على البسوس خالة حساس ابن عم كليب وكان للجري ناقة اسمها سراب فوجدها كليب ترعى ذات يوم في حاه فرماها بسهم فجرحها وجاءت الناقة الى صاحبها مجروحة فصرخ بالويل فلما سمعته البسوس صاحمت واذلاه لانه نزيلها فاتصر حساس لخاله وقصد كليباً وهو منفرد في حاه فطعنه بالرمح فقتله وهرب ولما شاع امر كليب في القبيلة نهض اخوه المهمل وكان من جبابرة

العرب لينتقم من بني بكر فشير للحرب واجتمعت اليه فرسان تغلب وجرى بين القبياتين عدة وقائع يطول شرحها كان اكثر النصر فيها للمهلل وما زالت الفتنة بينهما نائرة حتى انتهى الحال بقتل جساس فعند ذلك كف المهلل عن القتال ورجل الى اليمن ليظفي جرة الحرب بعد ما كانت قد دامت على قول الاكثرين مدة اربعين سنة

ومن حروب العرب ايضاً حرب سباق الخيل بين بني عيس وفزارة بسبب السباق بين داخس فرس قيس بن زهير سيد بني عيس والغبراء فرس حذيفة بن بدر سيد بني فزارة واختلفوا بسبب هذا السباق فثارت الحرب بينهم واشتدت وطالت سنين كثيرة ثم اصطلمت عيس وفزارة وانفرد قيس عن بني عيس وساح في الارض حتى انتهى الى عمان فتتصر بها ومات

## الباب الرابع

### في ذكر دول العرب الاسلامية

وسنة ٦٢٢ للمسيح ظهر في مكة محمد بن عبد الله صاحب الشريعة الاسلامية فدعا العرب الى الاسلام وعبادة الخالق لانهم كانوا على ضلال يعبدون الاوثان ولا يعرفون الحلال من الحرام ويصرفون اوقاتهم بالحروب والغارات وارتكاب المعاصي فشق عليهم ذلك الامر واستعظموه وجمهروا عليه وحاربوه فنصره الله عليهم فقهر جبارتهم وفرسانهم وكسر اصنامهم واوثانهم ثم فجع التتوحات الجليلة وتغلب على بلاد العرب

وتولى امر الاسلام بعد محمد ابو بكر الصديق سنة ٦٣٢ بعد الميلاد وكان من سادات بني هاشم واشرافها وفي اول خلافته ارتد عدة قبائل من العرب

عن الاسلام وأظهروا الخلاف والعصيان فقاتلهم واتصر عليهم وادخلهم تحت  
الطاعة والانقياد ولما تمهدت له البلاد العربية شرع في المغازي والفتوحات  
فارسل الامير خالد بن الوليد المدعو سيف الله و ابا عبيدة بن الجراح في  
جيش عظيم لافتتاح المالك والبلدان وفي مدة قصيرة افتتح خالد جانباً من  
بلاد العم وتغلب ابو عبيدة على اطراف سورية بعد ان كسر جيشاً عمرماً من  
جنود الرومانيين كان قد ارسلها الملك هرقل للدفاع والحماية عن تلك  
البلاد واختلف المؤرخون في وفاة ابي بكر فمنهم من قال انه مات مسوماً  
وقال آخرون انه اغتسل في يوم شديد البرد فمحم خمسة عشر يوماً ولما حضرته  
الوفاة عهد بالخلافة الى عمر ثم توفي سنة ثلاث عشرة للهجرة الموافقة لسنة ٦٢٥  
مسيحية وكانت مدة خلافته سنتين وثلاثة اشهر

وتولى بعده عمر بن الخطاب سنة ٦٢٤ وكان من احسن الناس سيرة  
وعداً موصوقاً بالزهد والاستقامة بويع بالخلافة يوم وفاة ابي بكر وقال في  
اول خطبته يا ايها الناس ما فيكم احد اقوى عندي من الضعيف حتى آخذ  
الحق له ولا اضعف عندي من القوي حتى آخذ الحق منه وهو اول من سمي  
امير المؤمنين وكان اول شيء امر به عزل خالد بن الوليد عن قيادة الجيش  
وولي مكانه ابا عبيدة بن الجراح وكانت همة متجهة الى الغزوات والحروب وفي  
ايام خلافته فتحت بلاد العم وانهمز كسرى بزجرده واحصى بملك الاتراك ثم فتحت  
الشام وبعليك وحلب وانطاكية والقدس وجميع مدن فلسطين وانتهى الامر  
اخيراً انه افتتح الديار المصرية على يد عمرو بن العاص بعد قتال شديد .  
وكان بالاسكندرية مكتبة يونانية شهيرة مشتملة على عدد كثير من الكتب التاريخية  
وانواع العلوم والآداب القديمة فكتب عمرو بن العاص الى عمر بن الخطاب  
بذكر له هذه المكتبة ويستشيره فيها فاجابه عمر ان يبعثها اولاً فان وجد فيها  
ما يوافق نص القرآن فلا حاجة بها وان كانت تضاده فاعدامها اولى فلما

وقف عمرو على هذا الخطاب احرقها بقامها<sup>(١)</sup> واستمر عمر بن الخطاب في خلافته الى آخر سنة ٦٤٤ وفيها طعنه رجل يقال له ابولؤلؤة وهو يصلي في المسجد بجرج في خاصرته وتحت سرتيه وكانت مدة خلافته عشر سنين وستة اشهر وثمانية ايام

وكان هذا الخليفة بكان عظيم من العدالة شديد الحرص في حماية الدين وحقوق الخلافة فقال ذات يوم وهو يخاطب على المنبر ايها الناس من راس منكم في اعوجاجاً فليقومه فقام رجل من وسط الجماعة وقال والله لو راينا فيك اعوجاجاً لقومناه بسيفونا فقال الحمد لله الذي جعل في هذه الامة من يقاوم اعوجاج عمر بسيفه

وتولى بعده عثمان بن عفان توفي ايامه امتدت فتوحات الاسلام الى بلاد المغرب وكان قد وقع بين المسلمين اختلاف وانقسام من جهة عثمان ونفر اكثر الناس منه حتى كادت تضرم بينهم نيران الحروب وسبب ذلك انه كان قد ولي قوماً من افاريه واهل بيته على المحافظات والاقاليم الاسلامية من لا يصلحون للرياسة ولا لهم معرفة في امور السياسة . وكان قد عزل ابا موسى الاشعري احد اعيان الصحابة عن ولاية البصرة وولى عوضاً عنه خاله عبد الله بن عامر ثم عزل عمرو بن العاص عن ولاية مصر وولى مكانه عبد الله بن ابي السرح اخا عثمان من الرضاة فهاج اعيان الشعب من جرى ذلك وحقدوا عليه ورفعوا راية الخروج عن طاعته واجتمع به الاشراف والسادات وطلبوا منه ان يعزل لم كاتبة مروان وعبد الله المذكور عن ولاية الديار المصرية فاجابهم الى ذلك باتفاق الامام علي وعزل لم عبد الله عن ولاية مصر وولى

ان هذا الخبر ماخوذ عن مورخين افرنج وعرب منهم الشيخ احمد المقرئ في الشهر اذ يقول في المجلد الاول من كتاب تاريخ الخطاط والاثار صفحة ١٥٩ ان حريق مكتبة اسكندرية من عمرو بن العاص كان باشارة من عمر ابن الخطاب ولكن المتأخرين من المورخين انكروا وقوع هذه الحادثة وناقضوها ببراهين وادلة مستطيلة والله اعلم بالحقيقة

عليها محمد بن ابي بكر وكتب له امراً بالولاية فاخذ محمد الامر وتوجه يومئذ الى مصر في نفر من قومه فبينما هم في الطريق اذا بعبد علي هجين آتياً من ورائهم وهو محمد في مسيره فقالوا له الى اين انت قاصد قال الى العامل بمصر قالوا هذا عامل مصر يعنون محمد بن ابي بكر قال بل العامل الآخر يعني عبد الله بن ابي السرح ففتشوه فوجدوا معه كتاباً بختم عتقان يقول له انه اذا جاء محمد بن ابي بكر ومن معه وقالوا بانك معزول واروك كتابي فلا تقبل واحتل في قتلهم وابطل كتابهم واستقر في مأموريتك فلما وقف محمد بن ابي بكر على هذا الكتاب اندهش وحار ورجع في الحال بن معه الى المدينة وجمع اعيان الصحابة واوقفهم على ذلك الخطاب فازداد حنتهم على عثمان ودخلوا عليه وسالوه عنه فاعترف بالختم وخط كاتبه وحلف بالله انه لم يامر بذلك ولا عنده اطلاق هذا الامر فطلبوا منه ان يسلمهم كاتبه مروان لينتقموا منه فابي وامتنع ثم عظمت الفتنة وتحزب الناس واشهروا السلاح وهجم على داره جمهور من الشعب منهم محمد بن ابي بكر واحاطوا بها وصموا على قتله وبعد ان حاصروه اياماً قليلة كسروا ابواب القصر ودخلوا عليه وقتلوه سنة ٢٥ من الهجرة وكانت مدة خلافته اثني عشرة سنة الا اثني عشر يوماً ومكث ثلاثة ايام ولم يدفن (١)

ثم جلس بعده على سرير الخلافة علي بن ابي طالب سنة ٦٥٥ بويح بالخلافة يوم قتل عثمان ولما سالوه البيعة قال لاحاجة لي في امركم فاخناروا لكم رجلاً غيبي ومها اخترتموه رضيت به واكون وزيراً خيراً من ان اكون اميراً فابوا الا مبايعته ثم انهم بايعوه وجعلوه خليفة عليهم . وكان الامام علي من الفرسان المشهورين والابطال المعدودين وهو ابن عم محمد وصهره وزوج ابنة فاطمة وكان قد وقع بسببه بين الاسلام اختلاف ومنازعات من جهة ترتيب الخلافة بعد محمد فاهل السنة يعتبرون ان هذا الترتيب الذي جرى لغاية خلافة الامام علي كان على حق والشيعه يقولون ان علي بن ابي طالب كان الاحق

(١) عن ابي اعين المطوع في الاستبصار جلد اول صفحة ١٧٩

بالتقدم في الخلافة وكل فرقةٍ تورد دلائل وبراهين تؤيد مدعاها  
وكانت مدة خلافة الامام علي كلها عبارة عن تكميل فتوحات وغازي  
فازدادت احكامه وامدت ولايته بافتتاح ملكة العجم وجميع بلاد مصر والعرب .  
وكان كسرى يزدرج قد نهض لاسترجاع بلاده ولكنه لم ينجح بشروعه لان  
القبائل والشعوب التي كانت قد تعصبت له خذلته وتركته وبغا كان عازماً  
على الهزيمة والفرار خائفاً خادماً وقتله . وكانت خلافة علي خمس سنين  
الآ ثلاثة اشهر وسبب موته انه وثب عليه جماعة من الخوارج فضربه احدهم  
بسيف في جبهته فات كما سيأتي بيان ذلك في ترجمة معاوية بن ابي سفيان  
راس الدولة الاموية وتولى بعده ابنه الحسن بن علي بن ابي طالب فحكم نحو  
سنة شهورة ثم جاءت دولة بني أمية .

## الباب الخامس

### في ذكر بني أمية

كان هولاء القوم وبنو هاشم حياً واحداً يتبنون لعبد مناف وهم من اشراف  
عرب قريش وساداتها الا ان بني أمية كانوا اكثر عدداً من بني هاشم واوفر  
رجالاً وكان لهم قبل الاسلام شرف وفخر فلما مات عثمان بن عفان وهو الخليفة  
الثالث من بني هاشم اختلف الناس على خلافة علي بن طالب لانه من آل  
هاشم ورجعوا الى امر العصبية الطبيعية التي لا تفارق الانسان الا ان عساكر  
علي كانت في ذلك الوقت اكثر عدداً لتوطيد كرسي الخلافة فلم يكن سبيلاً  
لبني أمية او غيرها من طوائف العرب ان تفتصب الخلافة منه ولكن لسبب  
كثرة حروب الخارجية مع الانشقاقات والتجزيات الداخلية ضعفت شوكة



بني هاشم فنهض معاوية بن ابي سفيان الاموي في طلب الرياسة والاخذ بثار  
 عثمان بن عفان من علي بن ابي طالب مع ان علياً لم يكن له شركة في قتله  
 ورفض حتى علي للخلافة فوافقه على ذلك جماعة من الاشراف والاكابر من  
 جناتهم عمرو بن العاص الذي كان يومئذ عاملاً في مصر وبايعوه بالخلافة  
 وجرت بين علي ومعاوية وقائع هائلة يطول شرحها قتل فيها الوف كثيرة  
 من القواد والفرسان واكابر الاعيان ثم تهادنا وافترقا وكان قد هاج غضب  
 اية الاسلام وامرائها في مكة وغيرها من البلاد واثمد حنقهم بسبب هذه المشاحنة  
 والفتنة العظيمة وذكروا اصحابهم واخوانهم المنتولين وقالوا لو قتلنا اكابر القواد  
 لارحنا منهم العباد وانقذنا الامة الاسلامية من هذه البلية فاتدب لهذا العبد  
 ثلاثة اشخاص وهم عبد الرحمن بن ملجم وعمرو بن بكر والبرك بن عبد الله  
 فقال ابن ملجم انا اكفيكم علياً وقال البرك انا اكفيكم معاوية وقال ابن بكر  
 انا اكفيكم عمرو بن العاص وتواعدوا لسبع عشرة تمضي من شهر رمضان فقتل  
 ابن ملجم علياً كما تقدم واما البرك فوثب على معاوية تلك الليلة وضربه بالسيف  
 فاخطاه فامسكوه فقال لمعاوية اني ابشرك فلا تقتلني قال بماذا فقال رفيقي  
 قتل علياً هذه الليلة فقال كيف ذلك فاخبره بواقعة الحال فقتله معاوية  
 واما ابن بكر فجلس تلك الليلة يتربص عمرو بن العاص فلم يخرج من منزله  
 وبعد موت علي قويت شوكة معاوية وانحطت منزلة الحسن بن علي فخلع  
 الحسن نفسه من الخلافة خوفاً من العواقب وانفقت الجماعة على بيعة معاوية  
 فبايعوه في منتصف سنة احدى واربعين من الهجرة

ولما استقام الامر لمعاوية وتمدن من سرير الخلافة جعل كرسي مملكة بمدينة  
 الشام وامتدت احكامه على مصر والحجاز وخرسان وسائر اقطار الاسلام . ثم  
 نهض لمحاربة الرومانيين وافتتاح مدينة اقسطنطينية ويقال انه غزاها  
 خمسة اعوام متتابعة في جموع كالجراد المنتشر فكان يقصدها في زمن الصيف  
 ويرجع عنها في فصل الشتاء ولم يتمكن منها . وكان احد ايوام بين ١٠١٠ دعو

كلنيكيوس من مدينة هيلوبوليس قد اخترع حراريق نارية مركبة من النفط والقطران والكبريت وجاء بها الى التسططينية ومن عجيب خواصها انها كانت اذا اشتعلت لا تطفأ<sup>١</sup> واذا مست الخشب اشعلته في الحال واعدمته واذا القيت على عسكر اهلكته وفي المرة الاخيرة من هذه الغزوات خسر معاوية جميع مراكبه وجيوشه بواسطة هذه الحراريق واضطرت ان يتحوّل عن المدينة رغماً وقهراً بعد ان عقد صلحاً وتعهد لملك التسططينية ان يدفع له خراجاً عن ثلاثين سنة . وكانت مدة خلافة معاوية المذكور نحو عشرين سنة ومن افاضل ملوك هذه الدولة عبد الملك بن مروان جالس على سرير الخلافة سنة ٦٩٢ مسيحية وهو اول من ضرب السكة الاسلامية سنة ٧٦ هجرية وبالغ في تخليص الذهب والفضة من الغش فكانت الهبيرة والخالدية واليوسنية اجود نقود بني امية وكانت مدة حكمه ثلاث عشرة سنة

ثم تولى بعده ابنه الوليد بن عبد الملك وهو الذي بنى الجامع الكبير بدمشق المشهور بالجامع الاموي وكان في جانب الجامع كيسة للصارى تعرف بكيسة مار يوحنا فهدمها الوليد وادخلها في الجامع . وفي ايام هذا الخليفة امتدت فتوحات الاسلام الى داخل افريقية وتوغلت جيوشها في سهولها وصحاريها وانصلت غزواتها الى جبل الاطلس واخضعت قبائل المغاربة الكائنة على الشطوط البحرية واستولت على مدنها وقلاعها وادخلت اهلها في الديانة الاسلامية واخافت قلوب الناس بقوة سطوتها وغاراتها . ولما تهتد لها تلك الديار علقتم املها بافتتاح بلاد الاندلس اي ملكة اسبانيا المجاورة لها وشرعت في الاستعداد للتغلب على سواحل اوروبا الكائنة تجاه شطوط افريقية فجندت الجنود وجهزت المراكب وقصدت تلك النواحي والاطراف ولكنها بعد حروب كثيرة ارتدت راجعة الى الوراء بدون فائدة وما زالت تترقب الفرص من وقت الى وقت حتى حدث بعض اضطرابات داخلية في اسبانيا بين ملوكها واشرافها ففتحت الباب لدخول الاسلام اليها كما سنبين ذلك في تاريخ تلك

الامة لان ذلك من متعلقاتها . اما هنا فنقول بانه في اوائل القرن الثامن اذ  
 كان موسى بن نصير عاملاً على بلاد المغرب من طرف الوليد بن عبد الملك  
 والملك رودريك والياً على اسبانيا عبر قوم من اشراف الاسبانيين الى افريقية  
 واتوا موسى وطلبوا منه ان يقيم حرباً على الاندلس ويستم من ملكها رودريك  
 الذي كان اغضب تاج الملك بدون حق . فاجابهم موسى الى طلبهم من  
 بعد ما استأذن الوليد في ذلك وارسل طارق بن زياد وهو قائد من قواد  
 العرب بجمهور من الابطال والفرسان لافتتاح تلك البلاد فسار بهم الى تلك  
 الاطراف ورسا بسفنه تجاه جبل الفخ الذي تسمى باسمه ابي جبل طارق الى  
 يومنا هذا . وكان الكونت جوليان احد اشراف اسبانيا من جملة اخصام  
 رودريك وذا سطوة وصولة فاتخذ سراً مع المسلمين وسهل لهم مساعيمهم فاستولى  
 طارق على المدينة التي على حافة الجبل المذكور ثم احرق جميع سفنه بالنار  
 ليقطع امل عسكره من الرجوع قبل الغلبة والانتصار فاشتبك حينئذ القتال  
 بينه وبين الاسبانيين وحدث بينهما عدة وقائع بسيطة الى ان دهمه ملك  
 اسبانيا بتسعين الف مقاتل فالتحمت الحرب بينهم في مكان يقال له سهل نهر  
 كودالت وذلك يوم الاحد قبل غايه شهر رمضان بيومين سنة ٩٢ للهجرة  
 وكان يوماً مهولاً انتشب فيه القتال عند طلوع الفجر وكانت لرائح الثبات  
 والنشاط تلوح على اوجه الفريقين مع ان عدد الاسبانيين كان اربعة اضعاف  
 عدد العرب وكانت عساكر الاسلام اكثرها من المغاربة فتجلدت وصبرت  
 وقانلت قتالاً فوق طاقتها فاجتأت عساكر الاسبانيين الى الهرب والفرار بعد  
 ان قتل منها مقتلة عظيمة وغرق ملكها رودريك في النهر ولما بلغ موسى بن  
 نصير خبر هذا الانتصار تجهز بجيش جرار وسار بنفسه الى تلك الديار وجال  
 بجنوده تجاه مدينة طليطلة التي كانت يومئذ عاصمة المملكة فافتتحها وملكها وما  
 زالت الاسلام تنفتح المدن والحصون حتى انها في اقل من خمسين سنة استولت  
 على جميع اقطار اسبانيا وصارت المملكة في قبضة ايديهم لامشارك لهم فيها ولا

منازع ما عدا جبال استوريا التي التجأ اليها الامير بيلاجيوس احد رجال العائلة الملكية مع جمهور عظيم من اتباعه فعصوا فيها واستقلوا بانفسهم . وكان حكم الاسلام ممتداً من البحر المتوسط الى جبال البرن الواقعة على شمالي البلاد . ومع كل ذلك لم يكتفِ المسلمون بهذه الانتصارات العظيمة بل تقدموا وقطعوا تلك الجبال المذكورة ودخلوا تخوم فرنسا قاصدين ان يتلكوها ويستولوا على باقي ممالك اوروبا فاستعد لتألمهم الملك كارلوس مارتل خوفاً من غائلتهم واتقاهم بعسكراً عديداً بالقرب من مدينة طور وبعده وقائع هائلة من الجانبين ظفر ملك فرنسا بهم وشتت تنلهم وقتل منهم على ما ذكر مورخو الافرنج نحو ثلاث مية الف نسمة وانهزم المسلمون ومن ذلك الوقت ضعفت شوكتهم في تلك البلاد ولم يعد يكتفهم ان يثيروا حرباً ثانية على تلك الجهات الشمالية . وكانت مدة خلافة الوليد بن عبد الملك تسع سنين وتولى بعده اخوه سليمان ثم غيره وكان آخر خلفاء هذه الدولة مروان بن محمد بن مروان فحكم نحو خمس سنين ومات قتيلاً سنة ١٢٢ هجرية الموافقة لسنة ٧٥٠ مسيحية وبوته ظهرت الدولة العباسية فكان عدد خلفاء هذه الدولة اربعة عشر

## الباب السادس

### في ذكر الدولة العباسية

وكانت دولة الاسلام دولة واحدة في ايام الخلفاء الاربعة وبنى امية من بعدهم لاجتماع عصية العرب ثم ظهر من بعد ذلك امر الشيعة من سلالة العباس عم محمد فادعوا بان لهم حقاً بالامامة ووافقهم على ذلك حزب كبير من الناس في ايام مروان آخر خلفاء بني امية . فكان الامويون يضعون على

ثيابهم اشارةً بيضاء هو العباسيون علامة سوداء واما الفاطميون الذين ينسبون الى علي وفاطمة فانهم كانوا قد تنازلوا عن حقوقهم في الرياسة والتلك والتصقوا بالامور الدينية وانعكفوا عليها واشتهروا بالتقوى والصالح بين الناس وامتازوا عن الخزيين المذكورين بسماة خضراء ولما كثرت التحزبات والانقسامات واشتدت العداوة بين الحزب الاسود والحزب الابيض انتهى الامر بمجدوث حرب بين مروان والعباس الملقب بالسفاح الذي هو اول ملوك الدولة العباسية فكانت الدائرة على بني أمية فقتل مروان المذكور ولم يسلم من ذرية بني أمية غير رجل واحد يقال له عبد الرحمن فهرب الى بلاد الاندلس فترحب به الاهالي واحترموه وتبواً هناك تحت قرطبة سنة ٧٥٦ وتولت ذريته من بعده ما ينوف على مئتين وخمسين سنة . ثم اغتصب الخلافة بعدهم بعض امراء المغرب وانحصرت ولايتهم في مقاطعة غرناطة وضعفت شوكتهم شيئاً فشيئاً الى ان انقرضت احكامهم من تلك البلاد سنة ١٤٨١ كما سيأتي الكلام عليهم في تاريخ اسبانيا

وتبواً السفاح سرير الخلافة سنة ٧٥٠ للمسيح وكان رجلاً شجاعاً مهيباً عالي الهمة محبوباً من جميع الناس وكان مسكناً بالحيرة واستمر بالملك الى ان توفي بعد اربعة اعوام من حكمه وتولى بعده اخوه المنصور ابو جعفر وكان رجلاً كريماً الاخلاق موصوفاً بالذكاء والفراصة وهو الذي بنى مدينة بغداد خوفاً من ثورة الاعناء عليه بالكوفة فشرع في بنائها وكتب الى بلاد الشام وطبرستان والكوفة والبصرة في طلب الصناع والفعلة واختار جماعة من اهل الامانة والمعرفة بالهندسة ممن يعتمد عليهم لمباشرة هذا العمل فخطها وامر بجفر اسمها فاقامت المدينة وجعلها المنصور دار الخلافة وكانت اول مدينة عظيمة في مملكة الاسلام وكان عدد سكانها على ما قيل نحو مليونين . ومات المنصور سنة ٧٧٥ للمسيح بعد ان حكم مدة عشرين سنة وتولى بعده ابنه المهدي بن المنصور عشر سنين ثم ابنه الهادي بن المهدي وكانت مدة حكمه سنة وثلاثة

اشهر ثم قام بالخلافة بعده اخوه هرون الرشيد بن المهدي جلس على سرير  
 الخلافة سنة ٧٨٦ للمسيح وكان هذا الخليفة من اشهر وافضل ملوك هذه الدولة  
 عاقلاً مهيباً عالي الهمة موصوفاً بالحلم وحسن التدبير راوياً للاخبار والتواريخ  
 يحب الشعر والشعراء ويميل الى اهل العلم حتى قيل انه لم يجتمع على باب ملك  
 او سلطان من الشعراء والعلماء والندماء ما اجتمع على بابهِ وكانت دولته من  
 اعظم الدول الاسلامية واكثرها وقائع واجلها رونقاً امتدت فيها التجارة  
 واتسعت دوائر العلوم والاداب في جميع البلاد وكتبت الكتب التاريخية  
 والادبية وترجمت المؤلفات الفلسفية والعلمية من اللغة اليونانية الى العربية  
 وتنافس الكتاب في ترجمتها وكتابتها . وفي مدة حكمه كان على فرانسوا الملك  
 كارلوس الكبير المسي شارلمان وكان بينهما مودة والفة وكان الرشيد كثيراً ما  
 يكاثبه ويهاديه ومن جملة ما اهداه شطرنجاً ثميناً وساعة تسمية من مخترعات  
 بلاد الشرق وانواعاً كثيرة من البنور التي لا توجد في البلاد الافريقية  
 وارسل له ايضاً مفاتيح كنيسة القيامة في القدس مع امر لنوابه ان يعاملوا الروار  
 الذين ياتون لزيارة الاراضي المقدسة احسن معاملة

ومن مناقب هذا الخليفة انه كان انيساً ودعيماً الى الغاية غير محتجب عن  
 اصحاب الدعاوي والحاجات محافظاً على جلب راحة رعاياه وكان يطوف في  
 اكثر الليالي متخفياً في اسواق بغداد وشوارعها ليتوقف على احوال الناس  
 فاذا رأى احداً منهم مظلوماً اعانه وانصفه قيل ان امرأة دخلت عليه يوماً  
 وشكته له عن الاضرار والخسائر التي لحقت بها بمرور جيوشه في اراضيها  
 فاجابها الرشيد قائلاً لقد جاء في الحديث الشريف انه من عادة العسكر ان  
 يضر بالاراضي عند مروره بها للغزو والجهاد فيجب على اصحاب الاملاك ان  
 تحتمل اضرارهم وتقوم بخدمتهم فقالت له على النور وقد قيل ايضاً ان الملوك  
 التي تسخ بظلم رعيتهما تجلب خراباً على مملكتهما فاستحسن الرشيد خطابها وامر  
 الخازن ان يدفع لها من بيت المال اضعاف خسائرها . وكان الرشيد قد

استوزر يحيى بن خالد البرمكي عند جلوسه على تخت المملكة وكان يحيى قبل  
المخالفة كاتبه ونائبه فنهض باعباء الدولة اتم نهوض واظهر رونق المخالفة وكان  
كاتباً بليغاً اديباً ليبياً موصوفاً بالجود والكرم وفيه يقول القائل

لاتراني مصافحاً كف يحيى اني ان فعلت ضيعت مالي  
لو يس الخيل راحة يحيى لسمحت نفسه ببذل النوال

وكان ولداه جعفر والفضل ابنا يحيى من كرماء الناس وكان الرشيد يميل الى  
جعفر اكثر من اخيه الفضل لسهولة اخلاقه وفصاحة لسانه فجملة وزيراً ثانياً  
بعد ابيه يحيى وقدمه على جميع خواصه وعظماؤه حتى انه كان يستشيرهُ في جميع  
اموره واحواله ولا يفعل شيئاً الا باطلاعه ورايه

قيل صنع الرشيد وليمة عظيمة ذات يوم وزخرف مجالسه واحضر ابا  
العقاهية الشاعر وقال له صف لنا ما نحن فيه من نعم هذه الدنيا فقال  
الشاعر

عش ما بدا لك سالماً في ظل شاهقة التصور  
فقال الرشيد احسنت ثم ماذا فقال  
يسى عليك بما اشبهت لدى الروح ابو البكور  
فقال حسن ثم ماذا فقال

فاذا النفوس نفعتم في ظل حشيرة الصدور  
فهناك تعلم موقناً ما كنت الا في غرور

فبكى الرشيد فقال جعفر بن يحيى لابي العقاهية ارسل اليك الخليفة لتسره  
فاحترته فقال الرشيد دعه فانه رانا في سرورٍ ونعيمٍ عظيمٍ فكره ان يزيدنا منه  
وكان الرشيد يحب جعفرًا حباً عظيماً ومن فرط حبه له زوجه باخيه العباسية  
بشرط ان لا يقع بينه وبينها ما يقع بين الرجال والنساء وذكر المورخون ان  
هذه الزيجة كانت لرفع الحجاب بينها وبين جعفر في حضرة الرشيد على المائدة .  
ويقال ان جعفرًا قد خان هذا العهد وتزوج بها سرا وكان كثير من

حساده ومبغضيه قد وشوه الى الخليفة وذكره بالبيع حتى مقتله ونفر منه ثم قتله بعد ذلك وقبض على ابيه واخوته واهله وكانوا خمسين نفرًا فحبسهم وقتلهم واستوزر بعد جعفر الفضل بن الربيع ولكنه ندم اخيراً على ما فعل

وكان الرشيد مع كل هذه الاوصاف والمناقب ذا شجاعة وبأس لا يبالي بالمخاطر والاهوال ويقال انه اتصرف في ثمان حروب حضرها بنفسه وقاتل فيها قتالاً حسناً. وكان قد ارسل رافع بن الليث حكمداراً على اعمال خراسان فبوصوله اليها خلع الطاعة واظهر العصيان ولم يكنف بذلك بل اغار على مدينة سمرقند واقتحمها وقتل عاملها وملكها فلما بلغ الرشيد هذا الخبر ساءه جداً وخرج الى قتاله وعند وصوله الى مدينة طوس من اعمال خراسان مرض مرضاً شديداً ولما زاد عليه الحال التفت الى وزيره الفضل وقال

احين دنا ما كنت اخشى دنوه رمتني عيون الناس من كل جانب  
فاصبحت مرحوماً وكنيت محمداً فصبراً على مكروه مرّ العواقب  
سأبكي على الحب الذي كان بيننا وانذهب ايام السرور الذواهب

ثم مات ودفن هناك وكانت وفاته سنة ١٠٩ للمسيح وتولى بعده ابنة الامين وما يحكى عنه انه كان ضعيف الراي منهكاً بالذات والملاهي مدمناً الخمر مشتغلاً بولائه ومسراته غير ملتفت الى امور الخلافة وكان قد وقع بينه وبين اخيه المأمون فتنة وعداوة فتحزب مع المأمون كثير من العساكر وقواد الجيوش وجرى بين الاخوين حروب ووقائع بطول شرحها قتل فيها الامين وكانت مدة حكمه نحو اربع سنين وتولى بعده اخوه المأمون فكان رجلاً شجاعاً مهيباً موصوفاً بالحذاقة والادب متخلقاً بجميل الاخلاق مشغوفاً بطاعة التواريخ والسير وكان له مشاركة في كثير من العلوم والفنون ولا سيما في علم الافلاك والنجوم وكان ديوانه مشحوناً بالعلماء والشعراء وارباب الانشاء ويقال انه عند جلوسه على سرير الخلافة جمع مكتبة عظيمة من الكتب اليونانية المفيدة وامر بترجمتها الى اللغة العربية من جملتها كتاب اقليدس في فن الهندسة لامتداد



المعارف بين الناس حتى فاق على ابيه وامتاز في انتشار الفوائد والآداب وكان مع هذه الاوصاف والصفات من ارباب الغزو والفتوحات فهو الذي غزا بلاد صقلية في اوروبا وتغلب عليها وافتتح جزيرة كريت وغيرها من مدائن الشرق التي كانت تحت تساط الرومانيين واستمر بالخلافة نحو عشرين سنة الى ان توفي وقام بالخلافة بعده المعتصم بالله فاستخدم في بابه نحو خمسين الف نفر من الاتراك التتارية لمحافظة الثغور والحدود الاسلامية وكانوا يزدادون في العدد والقوة يوماً بعد يوم الى ان قويت شوكتهم وصار يخشى من باسهم وسطونهم وصاروا على نمادي الايام اصحاب النهي والامر فكانوا يقتلون ويؤاؤون من شاءوا من الولاة والعمال حتى لم يعد للخليفة في ايامهم من الحكم الا مجرد الخطبة والاسم وجميع الامور في ايديهم كما كانت في ايدي المالك في الديار المصرية واستمر الحال على مثل ذلك الى ايام المعتضد بالله سنة ٨٩٢ للمسيح حينما وقعت المفاسد والفتن في الدولة العباسية وضعفت شوكتها بعد ذلك الغز والافتقار وما زالت في انحطاط وسقوط حتى تضعفت اركانها واخذت نظامها وفقدت اكثر املاكها ولم يبق للملوكها من الولايات والممتلكات غير بغداد واطرافها وتغلب عمالها على اكثر اقطارها فحل محل الطاعة واغضبوا الاحكام بطريق التعدي والعدوان وصاروا دولاً متفرقة وولاً متعددة فكانت خراسان وما وراء النهر لابن سامان وذر بنه وبلاد البحرين للقرامطة والبن لابن طباطبا واصبيهان وفارس لبني بويه والاهواز وواسط لمعز الدولة وحلب لسيف الدولة وديار مصر لاحد بن طولون وغيره من الدول والملوك الذين تغلبوا عليها ايضاً واستقلوا باحكامها في ازمة مختلفة كالاخشيديين والفاطميين والايوبيين والمالكيين الجراكسة كما سياتي الكلام على دولهم وملوكهم مفصلاً في ذكر تاريخ مصر وما زالت احوال الدولة العباسية في انقسام واختلال الى ان ظهرت الدولة السلجوقية وكانت مساكن اهلها فيما وراء نهر الفرات في مكان يبعد عن بخارا مسافة عشرين فرسخاً وكانوا شعوباً كثيرة وطوائف عديدة وهم قوم من

جنس الاتراك التتارية وتلقبوا بالسلاجوقية نسبة الى جددهم سلجوق من بلاد تركستان  
ولما عظم شأنهم واشتهر بين الناس حاكم قصدوا بلاد خراسان بم جيش جرار  
سنة ١٠٢٧ مسيحية تحت راية طغرل بك خفيد سلجوق وهو اول سلاطينهم وجرت  
لم مع ولاة خراسان حروب يطول شرحها فاخضعوا الدولة الغزنوية التي  
كانت قصبها مدينة غزنة اي افغانستان ثم تغلبوا على خوارزم وطبرستان  
وغيرها من ممالك الشرق وخلاصة الامر انهم استظفروا على كثير من البلاد  
ثم امتلكوا نيسابور احدي قواعد خراسان واتسع لهم الملك واقتسموا البلاد ثم  
ملكوا بغداد والعراق سنة ١٠٥٧ في زمن خلافة القائم بامر الله ولكنهم لم  
يتعرضوا له بسوء وبعد هذه الفتوحات دعا طغرل بك نفسه امير الامراء وتزوج  
ابنة الخليفة المذكور وجعله نائباً له في بغداد كباقي العمال والنواب ثم توفي  
طغرل بك سنة ١٠٦٣ وقام بالسلطنة من بعده ابن اخيه الب ارسلان وهو  
اسم تركي معناه شجاع اسد فاخضع بلاداً كثيرة ثم قام بعده ابنه ملك شاه ابن  
الب ارسلان ففتح الولايات والاقاليم واتسعت عليه المملكة وملك ما لم يملكه  
احد من ملوك الاسلام فامتدت مملكته من شطوط بلاد الصين الى نواحي  
القسطنطينية وخطب له على جميع منابر الاسلام . وكان لملك شاه المذكور ابن  
عم يدعى سليمان وهو الذي اسس ولاية قونية السلجوقية سنة ١٠٧٨ التي دعيت  
عاصمها بعد ذلك بمدينة نيقية وكانت هذه الولاية تتضمن كل بلاد اسيا الصغرى  
تقريباً مع كيليكيا وارمينيا وكانت يومئذ حلب والشام وانطاكية والموصل جميعها  
ولايات سلجوقية مستقلة . وفي ايام هذه الدولة جاءت طوائف الافرنج الصليبية  
الى الاراضي المقدسة وكانت اكثر حروبهم ووقائعهم مع هذه الدولة . وسنة  
١١٧١ تغلبت الدولة الايوبية الكردية على الاقطار المصرية والشامية ثم بعد  
ذلك بعشرين سنة نهض احد خانات خراسان بمجوش كثيرة واستخلص جميع  
المالك السلجوقية فانقضت واضمحلت وكانت مدة ايامها نحو ١٥٦ سنة وذلك  
من سنة ١٠٢٨ الى سنة ١١٩٤ وفي زمانها كانت الخلافة باقية في بغداد تعاطى

الامور الدينية فقط ولم يكن لها ادنى سطوة في الامور السياسية  
وعند نهاية احكام الدولة المذكورة ظهر جنكيزخان الشهير وهو من  
قبائل المغول فاضع كل البلاد الاسلامية ومن ذريته قام هولاءكو ملك  
التتر وزحف بمايتي الف مقاتل الى العراق ففتح بلاد الري واصبهان وهذان  
واستولى عليها ثم قصد مدينة بغداد سنة ١٢٥٨ فحاصرها وافتتحها وقتل المستعصم  
بن المستنصر وهو آخر الخلفاء العباسيين ببغداد وامر بنهب المدينة فخرج  
النساء والصبيان يستغيثون به فداستهم العساكر وماتوا جميعاً وكانت مصيبة  
عظيمة على المسلمين لم يسمع بمثلا قط ويقال ان الذي اُحصي ذلك اليوم من  
القتلى الف الف وست مئة الف نسمة وان يكن هذا النقل من مبالغة المورخين  
الاقدمين فلا اقل من كونه يفيد ارب الخسارة كانت جسيمة جداً ونهبت  
عساكر التتر من قصور الخلفاء وخزائنها اموالاً وذخائر لا تُعد ولا تحصى والقوا  
جميع كتب العلم في نهر دجلة وكانت عدداً عظيماً وانتقل منصب الخلافة  
ببغداد من بني العباس الى ملوك التتر من ذلك اليوم وكان عدد من تولى  
من العباسيين بمدينة بغداد من يوم بويج للسفاح الى ان قتل المستعصم سبعة  
وثلاثين واستولى التتر بعد ذلك على سائر الممالك الاسلامية وبجهم انقضت  
العائلة العربية الملكية واستمرت الحكومة بايديهم الى نحو سنة ١٢٥٠ مسيحية  
حين جاءت دولة الاتراك من آل عثمان فتدعت من ايديهم المملكة واستولت  
عليها شيئاً فشيئاً حتى اخضعت بلاد العراق واستولت على الشام والحجاز واليمن  
ومصر والمغرب واسيا الصغرى وبعض اطراف اوروبا كما سيأتي بيان ذلك  
في محله ان شاء الله تعالى وما زالت البلاد باقية تحت تصرفها وخاضعة  
لقوانينها واحكامها الى هذا اليوم

جدول الدول الاسلامية العربية واسماء ملوكها وتواريخ احكامها  
من ابتداء ظهور الاسلام

اسم الخليفة	تاريخ التملك	تاريخ التملك
	بعد المسيح	بعد الهجرة
الخلفاء الراشدون في مكة	٦٣٢	١١
	٦٣٤	١٣
	٦٤٤	٢٤
	٦٥٥	٢٧
	٦٦١	٤٢
بنو أمية فاعده ملوكهم الشام	٦٦١	٤٢
	٦٨٠	٦١
	٦٨٣	٦٤
	٦٨٤	٦٥
	٦٨٥	٦٦
	٧٠٥	٨٧
	٧١٥	٩٧
	٧١٧	٩٩
	٧٢٠	١٠٢
	٧٢٤	١٠٦
	٧٤٣	١٢٦
	٧٤٤	١٢٧
	٧٤٤	١٢٧
٧٤٤	١٢٧	

جدول الدول الاسلامية العربية واسماء ملوكها وتواريخ احكامها  
من ابتداء ظهور الاسلام

اسم الخليفة	تاريخ الملك بعد المسيح	تاريخ الملك بعد الهجرة
العباس الملقب بالسفاح	٧٥٠	١٢٢
ابو جعفر المنصور	٧٥٤	١٢٧
المهدي	٧٧٥	١٥٩
الهادي بن المهدي	٧٨٥	١٦٩
هرون الرشيد	٧٨٦	١٧٠
الامير	٨٠٩	١٩٤
المأمون	٨١٢	١٩٨
المعتصم بالله	٨٢٢	٢١٨
الواثق بالله	٨٤٢	٢٢٨
المستعصم بالله	٨٤٧	٢٢٢
المستنصر بالله	٨٦١	٢٤٧
المستعصم بالله	٨٦٢	٢٤٨
المعتز بالله	٨٦٦	٢٥٢
المهتدي بالله	٨٦٩	٢٥٦
المعتد بالله	٨٧٠	٢٥٧
المعتضد بالله	٨٩٢	٢٧٩
المكتفي بالله	٩٠٢	٢٩٠
المقتدر بالله	٩٠٨	٢٩٦
القاهر بالله	٩٢٢	٢٢٠
الراضي بالله	٩٢٤	٢٢٢

بنو العباس قاعدة ملكهم بغداد

جدول الدول الاسلامية العربية واسماء ملوكها وتواريخ احكامها من ابتداء ظهور الاسلام

اسم الخليفة	تاريخ التملك	
	بعد المسح	بعد الهجرة
المتقي بالله	٩٤٠	٢٢٩
المستكفي بالله	٩٤٤	٢٢٣
المطيع لله	٩٤٦	٢٢٥
الطائع لله	٩٧٤	٢٦٤
القادر بالله	٩٩١	٢٨١
الظاهر بالله	١٠٢١	٤٢٣
المنتدي بالله	١٠٧٥	٤٦٨
المستظهر بالله	١٠٩٤	٤٨٧
المسترشد بالله	١١١٨	٥١٢
الراشد	١١٣٥	٥٢٠
المتقي امرا لله	١١٣٦	٥٢١
المستجيد بالله	١١٦٠	٥٥٥
المستضيء بنور الله	١١٧٠	٥٦٦
الناصر لدين الله	١١٨٠	٥٧٦
الظاهر بالله	١٢٢٥	٦٢٢
المستنصر بالله	١٢٢٦	٦٢٣
المستعصم بالله	١٢٤٣	٦٤١
	الى	الى
	١٢٥٨	٦٥٧

تابع بني العباس

خلفاء الفاطميين في مصر			خلفاء قرطبة في الاندلس		
اسم الخليفة	هجري	مسيحية	اسم الخليفة	هجري	مسيحية
عبد الله	٢٩٧	٩٠٩	عبد الرحمن	١٢٩	٧٥٦
(١) الفاطم ابو القاسم	٢٣٥	٩٢٦	هشام	١٧١	٧٨٧
	٢٣٤	٩٤٥	الحكم	١٨٠	٧٩٦
	٢٤٢	٩٥٢	عبد الرحمن	٢٠٧	٨٢٢
المعز لدين الله	٢٦٥	٩٧٥	محمد	٢٢٨	٨٥٢
العزير بالله ابي النصر	٢٨٦	٩٩٦	المنذر	٢٧٢	٨٨٥
الحاكم بامر الله	٤١٢	١٠٢١	عبد الله	٢٧٦	٨٨٩
الظاهر لاعزاز دين الله	٤٢٨	١٠٢٦	عبد الرحمن	٣٠٠	٩١٢
المستنصر بالله	٤٨٧	١٠٩٤	الحكم	٣٥٠	٩٦١
المستعلي بالله	٤٩٥	١١٠١	هشام	٣٦٦	٩٧٦
الامر باحكام الله	٥٢٥	١١٣٠	محمد المهدي	٣٩٧	١٠٠٦
الحافظ لدين الله	٥٤٤	١١٤٩	سليمان المستعين	٤٠٠	١٠٠٩
الظافر باعداء الله	٥٥٠	١١٥٥	محمد المهدي ثانية	٤٠١	١٠١٠
الفاتر بنصر الله	٥٥٥	١١٦٠	هشام من جديد	٤٠٣	١٠١٣
العاضد لدين الله	الى	الى	حمود العلوي	٤٠٦	١٠١٥
	٥٦٧	١١٧١	القاسم	٤٠٨	١٠١٧
			بيحي	٤٠٩	١٠١٨
			هشام	٤١٨	١٠٢٧
			الى	الى	
				٤٢٢	١٠٣١

(١) هؤلاء الثلاثة استقلوا  
 باحكام بلاد الغرب  
 قبل افتتاح الديار  
 المصرية

## الفصل الثامن

في تاريخ سورية

### الباب الاول

في جغرافية سورية وسكانها الاولين

هذه البلاد يحدّها شمالاً آسيا الصغرى وشرقاً نهر الفرات وبلاد العرب وجنوباً فلسطين وقسمٌ من بلاد العرب وغرباً بحر الروم وانقسمت قديماً الى قسمين سورية وفلسطين ولكن عند استيلاء الرومانيين عليها بمدة يسيرة قبل المسيح اطلقوا على التسمين اسم سورية ولما افتتحها المسلمون سنة ٦٣٢ للمسيح لقبوها ببلاد الشام. وكانت تدعى في سالف الازمنة باسماء مختلفة منها ارض كنعان نسبةً الى كنعان بكر حام بن نوح التي انقسمت البلاد بين اولاده الاحد عشر بعد التبليل ثم دعيت بعد ذلك ارض اسرائيل نسبةً الى بني اسرائيل الذين امتلكوها واستقلوا بها وطرّدوا الكنعانيين منها. ثم قيل لها ايضاً الاراضي المقدسة لان الله عز وجل اتخاها واصطفاها لشعبه وخصها لعبادته ولا سيما ان المسيح ظهر فيها بالمحسد وفيها تم عمل الفداء فحق لها ان تدعى بهذا الاسم وكان يقال لها ايضاً ارض الميعاد بالنظر الى وعد الله لابراهيم انه سيعطيه اياها ولنسبه من بعده. ولا يخفى ان هذه الالقباب المذكورة لم تكن تُنسب وتطلق على جميع بلاد سورية بل اخصت بالجهات الجنوبية فقط واما الجهات الشمالية فكانت مسكناً للفينيقيين

وفي ايام ابراهيم والاباء الاولين كانت فلسطين منقسمة بين قبائل وافخاذ



من طوائف الكنعانيين فكان الفينيون والقرزيون والقدمونيون يسكنون الاراضي الشرقية من نهر الاردن وكان الحثيون والقرزيون واليبوسيون والاموريون يسكنون غربي النهر في الاماكن الجنوبية المرتفعة واما الكنعانيون الاصليون فكانت موطنهم في اواسط البلاد وهي محدودة من شاطئ البحر الى نهر الاردن وكانت مساكن الجرجاشيين واقعة على شرقي بحيرة جنيسارت المعروفة الآن ببجيرة طبرية واما الحويون والجلبليون فكانوا يسكنون تجاه الشمال بين ربوع لبنان الجنوبية

وفي ايام موسى عند ما قارب الاسرائيليون الدخول الى ارض كنعان لم يكن حدث تغيير يذكر بين القبائل القاطنة يومئذ في الجهات الغربية من نهر الاردن غير انه كان شرقي النهر ثلاثة منازل لم تكن معروفة قبلاً وهي ارض باشان الواقعة في الشمال شرقي بحيرة طبرية ثم ارض جلعاد في الوسط ثم ارض مواب في الجنوب شرقي بحر الميت اي بحر لوط . وبعد استيلاء الاسرائيليين على تلك البلاد اقسموها فيما بينهم بالقرعة فكان سهم سبط يهوذا وبنيامين وشمعون ودان واقعا في الاراضي الجنوبية التي سميت بعد ذلك باليهودية نسبة الى ملكة يهوذا عقب انفصالها عن العشرة الاسباط وكان سهم افرايم ونصف سبط منسى ويساكر ممتداً في الاراضي المتوسطة المعروفة بالسامرة وسهم زبولون ونفتالي واشير في الاراضي الشمالية التي يقال لها الجليل واما راويين وجاد ونصف سبط منسى الثاني فكانت منازلهم في عبر الاردن في ارض باشان وجلعاد التي عرفت فيما بعد باسم يبرية

اما الاراضي الواقعة على شطوط البحر فسكنها الفلسطينيون والفينيقيون والموابيون والعمونيون والمديانيون والادوميون والعماليقيون واما الفلسطينيون مع انهم كانوا قاطنين في سوريا في ايام الاء القدماء فليسوا بكنعانيين بل نزلاء غرباء والمرجح ان اصلهم من مصر جاءوا الى هذه البلاد وقاتلوا الحويين فتغلبوا عليهم وطردهم وسكنوا مكانهم وامتدت منازلهم من مدينة يافا الى غزة

وبقيت البلاد في ايديهم عدة قرون وكانوا اشداء الباس وانجهمت قوتهم دائماً لمصادمة بني اسرائيل بعد دخولهم الى ارض كنعان وكثيراً ما حاربوهم . واما الفينيقيون فمع انهم من بني كنعان لم يجارهم بنو اسرائيل وكانت ايامهم معهم في صلح وسلام واذ اشتهر هؤلاء القوم في الازمنة القديمة بالتجارة والغنى وشدة الباس وتقدموا في انواع الفنون والصنائع على غيرهم من الناس ولا سيما ان تاريخهم هو من التواريخ المهمة قد افردنا لهم فصلاً مخصوصاً لاجل زيادة المعرفة في اخبارهم وتفصيل احوالهم . واما بنو موآب وبنو عمون فهم من ذرية ابنتي لوط ابن اخي ابراهيم سكنوا الاراضي المجاورة شرقي الاردن بعد ما طردوا اهلها منها وكانوا من القوم الجبابرة العتاة . واما المديانيون فهم من ذرية مديان بن ابراهيم الرابع من زوجته الثانية قطورة وكانوا مجاورين المواييب ومخدين معهم في حروبهم ومغازيهم وقد انفرز منهم جماعة وسكنوا شرقي البحر الاحمر وعندهم اخنبا موسى عند ما هرب من مصر . واما الادوميون فهم من نسل آدوم او عيسو بن اسحق اخي يعقوب وكانت منازلهم في جبال سعير الممتدة على شرقي وادي عربة بين بحر لوط وخليج عيلان وعند سبي اليهود الى بابل اتى الادوميون وسكنوا في الجهات الجنوبية الشمالية من اليهودية ومن ذلك الوقت سميت تلك الاماكن ادومية اي بلاد الادوميين . واما العالقة فهم من نسل عماليق بن حام وكانت مواطنهم في الاودية التي في اسفل جبل سيناء ثم انتقلوا منها وسكنوا في حدود فلسطين الجنوبية وكانوا من اشد الناس عداوة لبني اسرائيل ولم معهم جملة وقائع وحروب وبداولة الايام تمكن بنو اسرائيل منهم وبددوا شملهم واطفأوا خبرهم . فجميع هذه القبائل المقدم ذكرها انقرض اكثرها في زمن الاسرائيليين وبعضها اندرس بعد سبي اليهود الاخير

## الباب الثاني

### في الدولة السلوقدية ومن خلفها الى هذه الايام

وبعد توفي الاسكندر دخلت سورية تحت حكم سلوقس وهو اول ملوك الدولة السلوقدية واحد قواد جيوش الاسكندر الاربعة الذين اقتسموا بينهم كل البلاد التي اخضعها سيدهم ورئيسهم . فتحكم سلوقس عقب وفاة الاسكندر على بلاد مادي و بابلونيا ثم طرد من تلك البلاد سنة ٢١٥ ق م بواسطة مقاومة انتيفونوس احد القواد الاربعة الذي كان سهمة في اسيا الصغرى فهرب الى مصر مستعصماً ببطليموس فاعانه على محاربة انتيفونوس وانتصر عليه في موقعة عظيمة جرت بينها في غزة سنة ٢١٢ ثم رجع الى بابلونيا فقبلته الاهالي بفرح وسرور ثم ضم الى ولايتي ولاية اشور ومادي فصار ملكاً على الولايات الثلاث ولما قويت شوكة اخضع بلاد فارس وكل اسيا العليا وسار من هناك الى الهند لاجل استخلاص البلاد التي كان قد تغلب عليها الاسكندر فالتقاء ملكها ساندروكوتوس بست مئة الف مقاتل و عدد كبير من الافياء ولكنه لم يقع بينها حرب لان ملك الهند كان قد خاف سطوته فعقد معه صلحاً تحت خمس مئة فيل اعطاه اياها حتى انسحب عنه وعند رجوعه الى بلاده جهز جيشاً عظيماً وسار بنفسه الى قتال انتيفونوس المذكور سنة ٢٠١ ق م فاتصر عليه وقتله و اضاف مملكته الى بلاده وكان من جملة ولاياتها سورية و فرجيية وارمينية وما بين النهرين ومدينة انطاكية وهو الذي دعاها بهذا الاسم تذكراً واعباراً لابي الذي كان اسمه انطيوخوس وجعلها كرمي مملكته

ويقال ان سلوقس كان متزوجاً ب ابنة ديمتريوس بوليوكريت احد

ملوك اسيا الصغرى وكانت جميلة المنظر فاحبها انطيوخوس ابنة وتعلق بها  
تعلقاً شديداً حتى مرض ولزم الفراش وكان الطبيب يتعجب من عدم تقدمه  
للصحة مع كل المعالجة التي كان يستعملها له فلما وقف اخيراً على حقيقة الخبر  
اعلم اباه سلوقس بواقعة الحال وان مرض ابنة ناتج من شدة غرامه بابنة  
ديمبريوس المذكورة فمن فرط محبته بابنة تنازل له عن زوجته وزوجه بها  
ومن ملوك الدولة السلوقدية انطيوخوس الثالث او الكبير الذي غزا  
الديار المصرية واسر ملكها واساء كثيراً الى اليهود في اورشليم وجوارها لسبب  
تمنعهم عن ان يذبحوا للاصنام فقتل منهم عدداً كبيراً . وقام اخيراً بين اليهود  
رجالان من المكابيين وها متانياس ويهوذا فخاريا جيوش انطيوخوس وكسراه  
واستقلاً بانفسهما على مملكة اليهودية ولما اتصل الخبر بانطيوخوس استشاط  
غضباً وبينا كان زاحفاً على اورشليم ليتقم من اليهود وقع عن مركبته فمات  
وهذه هي المدة التي فيها كانت سورية في ازهى وايهى رونق لانها بعد ذلك  
ضعفت شوكتها وانحطت منزلتها وصارت ملحقمة بغيرها وكثيراً ما تفرعت  
وانقسمت . واستمرت تحت احكام الدولة السلوقدية الى سنة ٦٤ ق م حين اتى  
الرومانيون واستولوا عليها الى نحو سنة ٦٣٨ للمسيح ثم افتتحها المسلمون ومن ثم  
صارت مركزاً للخلفاء الدولة الاموية التي جعلت تحت كرسيتها في مدينة الشام  
ثم انتقلت من بعدهم الى الخلفاء من بني العباس واستمرت تحت قبضة احكامهم  
الى سنة ٨٢٢ حين دخلت تحت تسلط بني طولون الذين كانوا حكاماً في مصر  
من طرف الدولة العباسية واستقلوا فيها مدةً وبقيت تابعة لهم الى سنة ٩٠٥ حين  
انقلبت الدولة الطولونية عن تختها وقامت مكانها الدولة الفاطمية فصارت  
سورية من جملة ملحقاتها وتوابعها الى سنة ١٠٧٨ حين جاءت الدولة السلجوقية  
التركانية وتغلبت على البلاد العربية الشامية الى سنة ١١٤٠ وفي مدة الدولة  
السلجوقية انت طوائف الافرنج المعروفة بالصليبية وذلك سنة ١٠٩٨ وطردها  
المسلمين من بعض جهات البلاد واستولوا على انطاكية والقدس وصور وطرابلس

اما الشام وحلب مع باقي البلاد الداخلية فاستمرت في ايدي المسلمين وفي مدة اقامة الصليبيين في الديار الشامية كانت حروبهم مع المسلمين متصلة بدون انقطاع ولا انفصال تارة توخذ منهم القدس والبلاد المجاورة لها وتارة يسترجعونها كما سيأتي بيان ذلك مفصلاً في الكلام على الحروب الصليبية الى ان طردوا اخيراً سنة ١٢١٠ في زمن دولة المماليك فصارت سورية من ذلك الوقت تابعة لدولة مصر وبقيت خاضعة لاحكامها الى سنة ١٤٠٠ حينما افتتحها تيمورلنك المغولي الشهير ثم رجعت بعد ذلك الى سلطة دولة المماليك المصرية واستمرت في ايديهم الى سنة ١٥١٧ حين اتى السلطان سليم الاول من بني عثمان فاستخلصها منهم ونزع احكامهم ومن ذلك الوقت صارت سورية تابعة للدولة العثمانية ما خلا بعض مدائن وجيزة حيث تظاهرت فيها العصاة تارة في زمن الامير فخر الدين المعني سنة ١٦٢٥ وتارة في زمن احمد باشا الجزائر البشناقي المشهور في الظلم والعدوان الذي ذاقته الناس في مدة حكمه ٢٨ سنة عذاباً شديداً .

وسنة ١٧٩٩ اتى الفرنسيون من مصر لافتتاح الديار الشامية تحت قيادة الجنرال نابوليون بونابارت فاستولوا على غزة وعسقلون ويافا وغيرها ثم وصلوا الى عكا فحاصروها مدة فقاومهم احمد باشا الجزائر براً والادميرال سروليم سدني سميت الانكليزي بجرماً فانصرفوا عنها بعد ان كادوا يمتلكونها ثم في سنة ١٨٢١ الى ارهيم باشا قائد الجيوش المصرية في زمن السلطان محمود وحاصر عكا التي كانت يومئذٍ مركز الولاية الشامية وافتتحها بعد ما حاصرها ثمانية اشهر وقبض على واليها عبد الله باشا وارسله الى مصر وشرع في تحصينها وتحصين باقي المدن الشامية وما زالت تحت تصرف احكامها الى سنة ١٨٤٠ حين استرجعتها الدولة العلية بمساعدة انكلترا وغيرها من الدول الاجنبية ولم تنزل الى الآن باقية تحت تسلطها وفي سنة ١٨٦٠ اصطلت نار الفتنة في جبل لبنان بين النصاري

والدروز فامتد شرارها الى مدينة دمشق وهاج جهلة المسلمين على المسيحيين  
القاطنين بينهم فقتلوا منهم على ما قيل ما ينوف على الالاف ونهبوا بيوتهم وسلبوا  
امتاعهم فكانت مذجة هائلة وربما كانوا افنؤهم عن اخرهم لولا توسط الامير  
عبد القادر الجزائري الذي ارسل رجاله الى كل شارع وزقاق وخلص  
كثيرين واتي بهم الى منزله افواجا افواجا فكان ذلك داعيا للثناء عليه من  
كل لسان على الارض . وكان الوالي يومئذ في الشام فلم يلتفت الى توقيف  
الهاج كانه راض بما حدث فجازته الدولة بالقتل عند قدوم فواد باشا للتحقيق  
وجرت المصاين بتعويض ما فقده واحسنت ببناء البيوت المهدمة وارجعت  
الراحة في وقت وجيز . واما فتنة الجبل فقد ذكرت عند ذكر لبنان

### الباب الثالث

في شعوب سورية ومدنها الشهيرة مع ذكر الملكة زينب المعروفة  
عند اليونان واللاتين بزينوبيا وشي من اخبار لبنان

اما شعوب سورية فهي ممترجة من اجناس كثيرة يعسر تاصيلها والمرح  
انهم من نسل مختلط اي عربي وتري وتركي وفارسي واوروبي والادبان فيها  
كثيرة فانه ما عدا المذاهب النصرانية ومذهب الحكومة فيها جملة طوائف قلما  
توجد او تعرف في باقي ما لك العالم كالدروز والمناولة والنصرية والاماعيلية  
والسرة . وفيها ايضا قبائل كثيرة من عرب البادية شرقي سورية وجنوبها  
الذين الى الآن مع كونهم من تبعة الدولة العلية لا يزالون بعيدين عن الطاعة

والانقياد وكثيراً ما يتظاهرون بالتمرد والعصيان وقلما يوجد بينهم أمنٌ وسلام وهم جموعٌ وقبائل كثيرة متفرقة لو صار الالتفات الى اخضاعهم وتهذيبهم لشأ عن ذلك فوائد عظيمة للسلطنة لانه فضلاً عن تقدمهم بالمعرفة والتمدن ونجاح البلاد بالمكاسب والغنى ترداد الملكة قوةً وسطوةً اذ يمكنها عند الحاجة ان تقيم منهم نحو ثلاث مئة الف مقاتل برسم المحافظة والحمامة

ومن مدن هذه البلاد مدينة انطاكية وهي من اشهر واعظم مدنها القديمة بناها سلوقوس سنة ٣٠٠ ق م وفيها ولد لوقا الانجيلي وبها سميت النصارى مسيحيين اولاً ومن مدنها ايضاً دمشق وهي قديمة من عهد ابراهيم سكنها ملوك غسان وفي سنة ١٤ للهجرة افتتحها عمر بن الخطاب تحت قيادة خالد بن الوليد ونقل بنو امية تخت الخلافة اليها سنة ٦٣٤ مسيحية وقد تكرر ذكرها في التوراة في جملة اماكن تحت اسم ارام . وفي هذه المدينة كان ابتداء بولس العجيب الى الديانة المسيحية وفيها كانت تصنع قديماً الاسلحة الفاخرة المشهورة كالسيوف والحراب والخنابجر وغيرها واما الآن فقد فقدت منها هذه الصناعة لان تيور لك نقل الى بخارا جميع صناعات هذه المهن والصناعات ولم يزل لها شهرة الى الآن في نسيج بعض الاقمشة الحريرية وفي شغل الصدف الملبس على الخشب المعروف بعرق اللولو

ومنها تدمر والافرنج يسمونها بالميرا اي محل النخل . قيل بناها الملك سليمان بن داود وقد انكر بعضهم صحة هذا الخبر مستشهداً بكلام المورخ يوسيفوس حيث يقول ان سليمان مد حدود مملكته الى اماكن بعيدة واخذ تدمر وحصنها بالاسوار وسماها تدمر فلو لم تكن تدمر حيث هي مدينة كبيرة متجربة لما همَّ سليمان امتلاكها . ومع ان هذه المدينة قد اندرست وليس لها وجود الآن فان خربها واثارها القديمة تدل على عظمتها السالفة . ومن ملوك تدمر اودينانوس زوج زنوبيا الشهيرة فانه في اول امره كان مساعداً لسابور ملك الفرس عند استنحاحه بلاد سورية سنة ٢٥٦ للميلاد ولكنه اتحد اخيراً

مع الرومانيين وسعى في طرده من البلاد . فلما وقع الامبراطور فالريان في ايدي الفرس طلب اوديناتوس ان يعقد صلحاً مع سابور فلم يستجب طلبه ودعاهُ سابور خائناً فاغناظ اوديناتوس من ذلك وخرج على سابور وجاربه وقهره على شطوط الفرات ثم استظهر ايضاً على بعض قواد الرومانيين الذين كانوا قد جاهدوا بعصيان ضد السلطنة في ايام الامبراطور غلينوس ونكس مشروعاتهم . فلاجل مكافاته على تلك الصداقة لقبه غلينوس رئيس كل الولايات الشرقية ولكن لم يقبل اوديناتوس ذلك اللقب والزم الامبراطور ان يقر له بالشراكة في السلطنة فجعله شريكاً له سنة ٢٦٤ وبعد ثلاث سنين توفي قتيلاً

وبعد موت اوديناتوس تبوأ تحت الملك زوجته زنوبيا وانفردت بزمام الاحكام وجددت كثيراً من القصور والابنية العظيمة حتى صارت مدينة تدمر في ايامها جنة من جنان الدنيا وامتدت حدود مملكتها من ساحل بلاد صور والشام الى نهر الفرات والعراق وكانت قوة الجنان نادرة الزمان تختب على العساكر والابطال وتحضر معهم الى ساحة الحرب والتال فقويت شوكتها واشتهرت صولتها ودعت نفسها ملكة الشرق ولما بلغ مسامع اورليان قيصر ان مملكة تدمر كادت تفوق مملكته عظيمة وغنى داخله الحسد فاخذ يستعد لمحاربتها وحضر الى الشام بجيش جرار وكانت هي ايضاً قد زحفت بجيوشها لقتاله فانتشبت بينهما نار الحرب بقرب انطاكية فانتصر عليها نصره عظيمة ثم صدمها مرة اخرى بالقرب من مدينة حمص فانتنت راجعة الى تدمر فتبعها الى هناك وضيق عليها الحصار ومنع عنها الامداد وبعد عدة وقائع افتتح المدينة عنوة واسر زنوبيا واخذها الى رومية وعوضها عن مملكتها قصراً عظيماً واقام لها نفقة لتعيش بها مدة حياتها

وكان اورليان لما فتح تدمر سنة ٢٧٢ للميلاد قد ترك فيها عدداً قليلاً من العساكر برسم المحافظة فقتلهم الامالي ولما اتصل باورليان هذا الخبر شق عليه



فعاد راجعاً الى تدمر وقتل اهلها ونهب المدينة ثم رممها بعد ذلك بمدة قصيرة ولكنها لم ترجع قط الى رونقها وبهاءها الاول ومن ذلك الوقت اخذت في الانحطاط شيئاً فشيئاً حتى انه لم يبق في هذه الايام من تلك المدينة العظيمة سوى رسوم دارسة واطلال بالية وبعض اكواخ حقيرة مكان تلك الحصون الشاهقة والمراعش والقصور المبهجة المزخرفة والمزينة باجمل اعمال البشر

ومن مدن سورية ايضاً مدينة بعلبك التي كانت تدعى هليوبوليس اي مدينة الشمس وكانت من اعظم الابنية القديمة ولاسيما هيكلها الكبير الذي بناه انطونيوس بيوس احد قيصرة رومية سنة ١٤٥ بعد المسيح وكان قد حوّلته الملك قسطنطين الى كنيسة مسيحية وقد بقي رونقها وبهاءها زماناً طويلاً واما في هذه الايام فلم يبق الا خرابه وبعض اعمدة عظيمة منتصبة لا يقدر على اقامة مثلها من الملوك الا من كان صاحب ثروة وبأس . ثم استولى على بعلبك ابو عبدة بن الجراح احد فواد عمر بن الخطاب ثم افتتحها تيمورلنك سنة ١٤٠١ وفي سنة ١٧٥٩ حدث زلزلة عظيمة هدمت الجانب الاعظم منها . ومنها مدينة حلب الشهباء وهي قديمة العهد مبنية في رية خالية من الاشجار ياتي ماؤها من مكان شمالي المدينة يبعد نحو ثلاث ساعات ويكثر في غياضها شجر النستق ومن ابنيها المشهورة قصر قديم يقال له سراية بني جنبلاط كان لاسلاف المشايخ بني جنبلاط الذين هم من اعيان مناصب جبل لبنان وقد هدمت الزلازل اماكن كثيرة من هذه المدينة وقتلت اناساً كثيرين ولاسيما الزلزلة التي حدثت سنة ١٨٢٢ فانه قد مات بها نحو عشرين الف نفس

ومنها بيروت احدى مدن فينيقية الذي ولد فيها سانخونيانون المؤرخ الشهير صاحب المؤلفات في ديانة الفينيقيين والمصريين والرسائل النافعة في الطبيعيات وغيرها وقد ترجم بعضها الى اللغة اليونانية في القرن الثاني بعد المسيح ولم يبق منها الا بعض جواشي وقطع طبعت على حداثها سنة ١٨٢٦ وقد ظن البعض ان هذا المؤرخ كان معاصراً للملكة سيراميس وقال آخرون

انه كان في عهد موسى ومنهم من جعله قبل المسيح بالف يوميتين سنة وقيل ست مئة فقط . وما يُعرف من اميريوت انه وقت تملك الرومانيين البلاد الشرقية قصدوا جماعة منهم وسكنوها في زمن الملك اوغسطس قيصر الذي اعطاهما كل حقوق المدن الرومانية الاصلية وسماها جوليا فيلكس على اسم ابته وفي اربيل الثالث بعد المسيح اشتهر فيها مدرسة لعلم الفقه فكانت تأتي اليها التلاميذ من مصر وبلاد اليونان ولقيت يومئذ بمدينة العلماء . وقد تناول هذه المدينة كل من استولى على فينيقية من الاشوريين والفرس واليونان والرومان والمسلمين . وفيها بعض اثار تدل على قدميتها وقد دخلت في القرون المتاخرة تحت ايدي الامراء التنوخية والامراء بني معن والامراء بني شهاب ولم فيها ابنة تعرف باسمهم الى الآن .

واما جبل لبنان الممتد من شرقي طرابلس الى مرج ان عامر فكانت سكانه قديماً على حسب نص الكتاب المقدس من طوائف الحويين والجبليين ثم خصه يشوع بن نون لسبط اشير من بني اسرائيل ولكنه لم يتيسر لم ان يمتلكوا منه الا جانباً فقط وكانت بعض اقاليمه في مدة حكم اليهود تحت تساط الفينيقيين الذين كانوا ياتون منه بمخشب الارز والسرو وغير ذلك ويتاجرون فيها . وقد تناول هذا الجبل قديماً امم كثيرة لم تزل اثارهم فيه الى هذا اليوم فانه وجد في بعض قرى جبل الشوف صنم مصري وصنم اشوري ونقود ضرب الدولة السلوقدية ونقود رومانية وعربية . ويوجد منقوشاً على صخور نهر الكلب بعض القائل والكتابات تدل على غلبة المصريين القدماء وولاية الاشوريين ويوجد ايضاً في دير القلعة وغير جهات رسوم واثار رومانية واعمدة وقنوات عظيمة دالة على الامم الذين استولوا عليه . وكان لاهالي هذا الجبل شوكة قوية في اوائل النصرانية حتى انهم كانوا ينجدون قباصرة الروم سنة ٦٩٤ للمسيح ارسل الامبراطور يوستنيان اثنين من قواده مع جيش عظيم لقصاص اللبنانيين لانه كان قد طلب امدادهم في حروبه ببلاد الغرب فلم ينجده

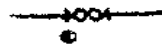
فحاربوا جيشه وكسروه وقتلوا قواده فسموا مرّدة وهم امراء المردة وكانت بداية ولايتهم تحت هذا اللقب من سنة ٦٠٠ للمسيح وسنة ٨٢٠ اقبل الامير تنوخ الملقب بالمنذر من اطراف بلاد العرب في قبيلة تنوخ وهي اسم لثلاث قبائل من نصارى العرب وتوطن بعشائره في نواحي لبنان الخالية من السكان وبنوا فيها القرى وسكنوها وكان الامير تنوخ يحكم فيما بينهم وبنوه من بعده الى سنة ١٦٢٢ حين انقرضت السلالة التنوخية . وسنة ١١٢٠ كان قد جاء الامير معن الابوي مع عشيرته الى الشوف ونزل في صحراء بعقلين واظهر مودة عظيمة لآل تنوخ امراء العرب وانفرد بولايات الشوف واستمر اميراً وحاكماً مدة ٢٠ سنة الى ان مات وهو جد الامراء المعنية واليه ينسبون واستمرت احكام الشوف في ايدي الامراء من بني معن الى ان انقطعت سلالتهم سنة ١٦٩٧ وكان آخر من تولى منهم الامير احمد . ثم تولى من بعده الامراء آل شهاب وكانوا جميعهم ينفادون الى طاعة وزراء الدولة العلية المنتصين على ابناء صيدا وكان الوزير يولي منهم من يشاء وهم بولون ويعزلون على القطائع والاقاليم من شاءوا من المشايخ والامراء . والشهابيون هم من شرفاء العرب وينسبون الى بني قريش كانوا قد حضروا قديماً الى هذه الديار وسكنوا وادبى التيم فنصر بعض كبارهم واخذوا مركزاً في لبنان

ومن افاضل حكام لبنان الذين اتصفوا بالادارة والسياسة الامير بشير الشهابي كان رجلاً مهيباً فطناً تناول ولاية لبنان من ابن عمه الامير يوسف وهو في سن الثانية والعشرين وكان السبب في انتخابه حاكماً سوء تصرف الامير يوسف المذكور وظلمه في البلاد على ما قيل واستمر الامير بشير في ولايته الى سنة ١٨٤٠ حين استولت الدولة العلية على سورية فخرج من البلاد مع من يلوذ به الى جزيرة مالطة وذلك لسبب عدم تسليبه عند ما دعوته الى التسليم ثم توجه الى القسطنطينية وتوفي هناك وتولى مكانه الامير بشير قاسم وكان المذكور لا يعتبر مناصب البلاد ولا يحسب حسابهم ويقال انه كان بسياً

الادب في مجالسهم ويتفوه بكلام تكرهه اسماهم فكهوه واضمروا له سوءه  
فحاصروه في دير القهروبي تحت الحصار الى ان حضر السيد عبد الفتاح اغا  
حماده بامر المشير في بيروت واخرجه من دير القهرو وحضر به الى بيروت  
ومن هناك انقضت احكام الامراء الشهابيين في جبل لبنان. واذ كانت الفتنة  
قد اتسعت بين الدروز والنصارى في تلك الايام قسمت الدولة العلية احكام  
البلاد الى شطرين فاقامت قائمقاماً نصرانياً على النصارى في القسم الشمالي  
وقائمقاماً درزياً على الدروز في القسم الجنوبي

وسنة ١٨٦٠ تعاظمت الفتنة وكثر الفساد بين النصارى والدروز في  
لبنان حتى آل الامر لوقوع حرب اهلية بين الطرفين وكانت النتيجة ردية على  
النصارى بسبب اختلافهم وعدم انضمامهم وانقيادهم بعضهم مع بعض ففتكت بهم  
الدروز في مذبحتي حاصيا وراشيا الواقعتين في ٣٠ و٢١ ايار من السنة  
المذكورة ثم في حصار زحلة ونكبة دير القهرو التي قتل فيها نحو ٦٠٠ شخص  
ذبح اليد وهم محصورون في دار الحكومة حيث كانوا التجول لصيانة انفسهم فكثر  
الويل وعظم الشر وتقاطر الناس الى بيروت فارسل الباب العالي فواد باشا  
ليهد الامور ويتقم من المذنبين وارسلت فرانسبا باختيار الدولة العلية ورضاها  
عشرة الاف جندي للمحافظة ومنع التعدي عند الاقتضاء وكذلك باقى الدول  
الافرنجية منها من ارسل مراكب حربية ومنها من ارسل نوأبأ لاصلاح الحال  
وتهدد الامور وبعد اجراء ما يلزم اجراؤه من التحقيق ونفي كثيرين من مشايخ  
الدروز الى بلغراد وغير اماكن لاجل اشتراكهم في تلك الفتنة استحسننت الدولة  
باتفاق الدول على وضع نظامات جديدة لهذا الجبل وهي ان تتحول احكامه  
الى ادارة محلية لا يكون لولاية سورية دخل بها تحت مناظرة مشير بن الطائفة  
النصرانية من غير اهالي الجبل ليكون متصرفاً به ويشاور رأساً الباب العالي  
فتوجهت المتصرفية لعهد دولتلو داود باشا الارمني فاقام باموريتو حق القيام  
واستمر بالولاية ست سنين وفي مدة احكامه حدثت الفتنة الكرمية نسبة الى

يوسف بك كرم الذي قيل انه رئيسها ومثيرها واستمرت نحو اثني عشر شهراً  
ولكنه اضطر اخيراً ان يخضع ويسلم نفسه بواسطة فرانسوا وانتهى به الحال بنفيه  
من البلاد. وبعد قيام داود باشا من لبنان حضر مكانه صاحب الدولة نصري  
فرانكو باشا سنة ١٨٦٩ فتولى زمام لبنان وقام باعباء الاحكام كما يجب وفي  
اوائل سنة ١٨٧٢ توفي وتنصب عوضاً عنه دولتورستم باشا وهو ايطالي الاصل  
مشهود له في حسن السياسة والاستقامة فحكم الجبل عشر سنين واستراح الاهلون  
في كل مدة حكمه ثم خلفه صاحب الدولة واصه باشا سنة ١٨٨٤ وهو المتصرف  
الحالي



## الفصل التاسع

في تاريخ فينيقية

### الباب الاول

في اصل الفينيقيين وعوائدهم واديانهم واكتشافاتهم

انه لا يعلم بالتحقيق اصل هذا الشعب غير انه من نحو اربعة الاف سنة  
اخذت سواحل بحر الروم نعر بسكان جاءوا اليها من بلاد الشرق ولكن

من اين جاءوا وكم كان عددهم ومن هم السكان الذين كانوا قبليهم لانعرف من ذلك شيئاً ولا نعلم ايضاً حقيقة الاسم الذي عرفوا به في الاصل ولكننا نعلم انهم اشتغلوا نحو النفي سنة في هذه السواحل وبنوا فيها المدن والحصون وفاقوا من سواهم في الفنون والصنائع وانفردوا بالشوكة والبأس وصاروا من اشهر القبائل وشاع ذكرهم في اقطار العالم

ولقبوا بالكنعانيين نسبة الى كنعان بن حام بن نوح كما يشير الى ذلك التاريخ الموسوي ثم لقبوا بالفينيقيين وهو اسم يوناني غلب عليهم فان لفظه فينيكيس التي نسبتوا اليها انما هي اسم النخل في اللغة اليونانية او بالبحري للتمر وهي تدل في الاصل على اللون لا الجوهري اي على لون اسمر مائل الى الاحمر كلون ثمر النخل في بعض احواله وهي ما يضا اسم لرداء ارجواني كان الفينيقيون يلبسونه. وكان النخل في تلك الايام كثيراً جداً في فينيقية حتى صارت صورة هذه الاشجار رمزاً الى الاهالي والبلاد فكانوا يصورونها على نقودهم. ويقال ان تجارهم اختلفوا كثيراً مع اليونان وحملوا الى بلادهم اثمار الفينيقيين اي النخل برسم التجارة فغلب عليهم هذا اللقب ثم على بلادهم الى ان اصبح اخيراً يدل على لونهم المائل الى الحمرة. ويظن الاكثرون ان هذا اللون كان لون الفينيقيين الحقيقي وذلك مما يؤيد القول بانهم كانوا من اصل حار او افريقي. وكانوا من اعظم الشعوب تمدناً ومن اشهر قدماء الامم وكان تجارهم من اغنى الناس حتى قيل انهم لغناهم كثرت عندهم الفضة وانقلتهم في اسفارهم فكانوا يضعونها في الزنايل ويتخذونها لتعديل المراكب عوضاً عن الرصاص

وهم الذين اخترعوا بناء السفن واول من سافروا بحراً وكانت تجارة العالم البحرية في ايديهم. وقد ارسلت ملوكهم جماهير عديدة الى اماكن بعيدة من الارض ليستوطنوها ويعمروها وبذلك انتقلت اثار صنائعهم وامتدت دائرة لغتهم ومعارفهم الى جميع الجهات. وقد اجمع راي الاكثرين على انهم هم الذين اعطوا اليونان والرومان احرف كتابتهم واقدم علومهم. ومن العجب انهم مع

قدمتهم وكثرة فزوعهم في جهات مختلفة من العالم قد تلاشوا وانقضوا من  
 زمانٍ طويلٍ ولم يبقَ لنا من آثارهم إلا القليل  
 أما صنائعهم فكانت متنوعة وكانوا يصيغون كل أنواع الحلي من الذهب  
 والفضة وغير ذلك من أنواع النقوش والزينة والمعادن والعاج وينسجون



عشروت الهة السورين والفينيقيين

اجناس الاقمشة فان الانسجة الفينيقية كانت ذات شهرة ورواج في كل العالم  
 وقيل انهم اول من اخترعوا عمل الزجاج . اما عوائدهم فكانت ذميمة وقبيحة  
 فكانوا يحبون الفخمة والترفة ويحترقون الغريباء . وقد تنبأ الانبياء على صور  
 عاصمتهم بالتهديد الهائل والخراب وتم ذلك فيها فيما بعد عند ما كانت في ابعج

رونقها واعظم سطوتها واقنندارها . واما ديانتهم فكانت وحشية بربرية ايضا  
كبعث عوائدهم فكانوا يعبدون الاصنام والمنحوتات ومن اعظم آلامهم بعل  
ويدعى مولوك ايضا اي اله الشمس . واشهر ما قدموا لهذا الاله الذبايح  
البشرية من الاولاد الصغار فكانوا يطرحونهم احياء على ذراعيه المحترقين بالنار .



مولوك اله بني عمون عند الفينيقيين

وكان ذلك الاله مصنوعاً من نحاس وله راس عجل مكلّ بناج ملكي  
وذراعه ممدودتان كأنه مستعدّ لاحتضان من يقدم له . فكانوا يضرمون تحته  
ناراً مهلكة الى ان يحمى فيلقوا الولد التعميس المحظ على ذراعيه فلا يلبث ان  
يموت لشدة الحرارة فيا لها من قسوة بربرية

## الباب الثاني

في ذكر مدائن فينيقية وتخومها وتجارتها وتقدمها ثم انحطاطها  
ان التاريخ الموسوي يبين لنا ان صيدون اي صيدا كانت في تلك الايام



اقصى حدود فينيقية شمالاً وغزة اقصى حدودها جنوباً وان عيالا كثيرة من  
الاهالي الاصليين امتدت في داخلية البلاد الى نواحي فلسطين الجنوبية  
وسكنت في جبال اليهودية وفي السهول المجاورة بحيرة لوط والاردن ولم  
يزالوا ساكنين في تلك الجهات الى ان حاربهم بنو اسرائيل وطردوهم في زمان  
يشوع بن نون وتملكوا اراضيهم ولم يعد لهم ذكر بعد ذلك كقبائل ممتازة . واذ  
كان الفلسطينيون قد اخذوا من ايام ارهم وربما قبلة بزاحون الفينيقيين  
المستوطنين في الجهات الجنوبية حتى ازاحوهم عن مواطنهم وابعدوهم بالتدرج  
نحو الشمال الى دور عند جبل الكرمل كان يلزمنا ان نجعل اول حدود  
فينيقية الجنوبي من جبل الكرمل واما من جهة الشمال فان موسى لم يذكر الا  
صيدون ولكن ذلك لا يحدد تخيم الشمالي لان صيدون كانت في تلك الايام  
عاصمة كل الامة . واما باقي قبائل الفينيقيين الذين كانوا مقيمين شمالي صيدون  
فربما كانوا ضعفاء لا يستحقون الذكر الخاص ومن ثم دخلوا تحت اسم صيدون العام  
واما تخوم الفينيقيين الى جهة الشرق وان تكن غير معروفة تماما فليس  
لنا دليل على انها امتدت الى مسافة اكثر من عشرين الى ثلاثين ميلا عن  
شاطئ البحر . فبناء على ذلك تكون الملكة الفينيقية التي اشتهرت بهذا المنذار  
قدما قد انحصرت في رقعة ضيقة من الارض ممتدة من سواحل البحر الى قاعدة  
الجبال من جهة الغرب

ففي هذه الرقعة الضيقة بنيت جميع تلك المدائن الشهيرة التي خاضت  
سفنها جميع البحار . اعني عكا واكريب التي يقال لها اليوم الزيب وصور  
وصرفند وصيدون وبيروت وجبيل والبتون وعرقا وارواد وجبله وزمرة  
وسيت ومدنا اخرى كثيرة قد فقدت اسمائها الاصلية وسميت باسماء يونانية  
ورومانية كطرابلس واللاذقية وغيرها واعظم هذه المدائن واقواها ووسعها تجارة  
مدينة صور فانها كانت اقواها واغناها وهي وحدها التي نعلم بعض ابناء ملوكها  
كحيرام الذي كان بينه وبين الملك داود وولده سليمان عهود ومواصلات .

ولم تكن فينيقية جميعها لملك واحد بل كان لكل مدينة منها ملك خصوصي والمرجح ان الجميع كانوا خاضعين لمجلس واحد عمومي كما هو جارٍ الآن في الاتحاد الالماني على انه لم يكن للموكها سلطة مطلقة نظراً لسطوة اشرافها وكنيتها والذي اوصل فينيقية الى هذه الدرجة من التقدم والشهرة اولاً وجودها على شاطئ البحر ووجود مواني متعددة فيها . ثانياً اشتغال الامم المجاورة لها بحروب متصلة بحيث لم يكن لهم فرصة لزراحتها في تجارتها . ثالثاً لفئة خصب اراضيها التي لم تكن تكفي عدد سكانها فاضطروا ان يهتموا بامر معيشتهم في الاماكن الخارجة عن بلادهم وكان ذلك موضوعاً لابرازهم وواسطة اغنائهم وساعدهم على ذلك احتياج البلاد المجاورة لهم الى ما كان عندهم من انواع اصناف التجارة نظراً لتأخير تمدنهم وهكذا غنيت في مدة وجيزة واغنت مدناً كثيرة حتى لم يبق في مجاورة بحر الروم فرضة او ملكة الا وصل اليها اهل فينيقية وليس ذلك فقط بل امتدوا الى البحر المحيط ودخلوا جبل طارق ووصلوا الى بلاد الانكليز وسموها ارض القصدير بعد ان مروا بايطاليا وفرنسا واسبانيا فاتسعت بذلك تجارتهم وكثر غنائهم ثم امتدوا ايضاً الى البحر الاحمر وتوسعوا مع اهل مصر والخليج العربي واسيا الصغرى حتى الى الهند هذا اذا تذكر الامم المجاورة لهم التي انقادت طبعاً للتجارة معهم . فكانت فلسطين تدهم بالحصائد الزراعية مثل اصناف الحبوب والزيت والخمر . وبابل بانواع المنسوجات من القطن والحبر والصوف والكتان . وقرطاجنة بالذهب والفضة وانواع المعادن الثمينة . وبلاد روسيا واليونان بالنحاس وانواع المعادن الثقيلة . وكبدوكيا واسيا الصغرى بالخبول وانواع المواشي . والهند والعرب بانواع الجواهر واللاقي والعاج والعطريات والاقاوية والانسجة الثمينة . والخلاصة انه لم يبق صنف من الاصناف المهودة بتلك الازمة الا وادخلوه بتجارتهم ولاسيما مدينة صور لانها كانت اما لتلك المدائن واعظمها سطوة وغيى ومجداً فمن المعلوم انه بوجود وسائط كهذه للتقدم والغيى عظمت صور ونمت

وزهت وسميت ام الجور وكثرت سكانها وشعوبها بهذا المقدار حتى ضاقت بها البلاد فاضطر اكثرهم للخروج الى جهات مختلفة وسكنوها وفي مدة قصيرة ظهرت منهم ثلاث مدن وهي اوتيك وكاديشة وقرطاجنة . ومن ذلك الحين اخذت تجارة صور تحول شيئاً فشيئاً الى مدينة قرطاجنة . وما زالت صور بحالة التراجع والنمو الى ان زحف اليها شلمنصر ملك اشور سنة ٧٣٤ ق م فحاصرها مدة خمس سنوات ولم يتلکها وما برحت في عظمتها وسطوتها الى زمن نبوخذنصر عند ما دم فينيقية سنة ٥٧٢ ق م وفتح جميع مدنها في مدة قصيرة الا مدينة صور فانها ثبتت نحو ثلاث عشرة سنة تحت الحصار ولكنها اخيراً خضعت لعدوها . ثم بعد ذلك استولت الفرس عليها وعلى جميع جهات فينيقية وكان كثيرون من الاهالي يهاجرون من بلادهم ويقصدون قرطاجنة . وما زالت على هذا الحال الى سنة ٢٢٢ ق م حين جاء الاسكندر المكدوني وفتح فينيقية وحاصر صور حصاراً شديداً مدة سبعة اشهر وخرب الجانب الاعظم منها وقتل وباع كثيرين من اهاليها . فمن ذلك الوقت ضعفت شوكتها ولم تعد تقدر على منازعة قرطاجنة من الجهة الواحدة والاسكندرية الناشئة حديثاً من الجهة الاخرى . فاخذ متجرها يتنازل ويتقهقر ويتقل رويداً رويداً الى هاتين المدينتين . وبعد موت الاسكندر اقسام قواده الاربعة ما لكه المتسعة فكانت فينيقية تابعة للولاية البطليموسية المصرية ولكنها من ذلك الزمان لم تعد تنمو وما زالت في انحطاط وهبوط من وقت الى آخر حتى وصلت الى الدرجة المعروفة بها الآن ولم يبق من اكثر تلك المدن العظيمة الشان كصور وصيدا وجبيل والبترون وغيرها سوى رسوم دارسة وابراج دائرة واسوار منهدمه وقرى خيرة من بقايا تلك الامة الشهيرة التي تلاشت وانقضت فسبحان من يغير ويقلب الاحوال ولا يعترى ملكه تغيير ولا زوال

## الفصل العاشر

### في الحروب الصليبية

### الباب الاول

#### في منشأ الحروب الصليبية الى نهاية اعمال التجريدة الثانية

ان السبب في اثار تلك الحروب رجل اسمه بطرس الناسك كان متزوجاً وذا اولاد ولكن لاسباب لا يعلمها الا الله ترك عائلته وترهب وانفرد سائحاً متنسكاً وبعد مدة التصق ببعض الزوار كانوا ذاهبين لزيارة الاراضي المقدسة في فلسطين فزار مدينة القدس وهناك اخذته الحمية على ان يسعى في استخلاص تلك الاماكن من ايادي المسلمين فبرجوعه الى ايطاليا اجتمع مع البابا اوربانوس الثاني وخطبه في ذلك باسطة امامه حالة المسيحيين الشقية في الشرق فوافقه البابا على افكاره وعزم في الحال على اتخاذ الوسائط المتنضية لانمام هذا المشروع فامر بطرس ان يجول في اقطار البلاد منادياً ومبشراً للشعوب بانقاذ النصارى واستخلاص اورشليم من ايدي المسلمين فاخذ بطرس يجول من مكان الى آخر منذراً ومحرّكاً قلوب الناس للاشتراك في هذا العمل . فاجتاز من ايطاليا الى فرنسا والى اكثر جهات ممالك اوربا رارعا بين الجميع هذه الافكار ومهيماً اياهم للنهوض والقيام وفي اثناء ذلك عقد البابا اوربانوس عدة مجامع في ايطاليا وفرنسا وطرح فيها هذه المسئلة امام جمهور الحاضرين منهضاً همهم للمبادرة والاستعداد

في هذا المشروع . ولجل ترغيبهم في ذلك وتشيطهم اشهر انعامات خصوصية لكل من يشترك في هذا الامر . فكان الانعام الاول ابطال التاديبات القصاصية المفروضة بقوانين ثقيلة على الخطاة الذين بذهباهم الى بلاد فلسطين كانوا يعفون عن ثقل وصرامة قوانين التوبة التي كانوا ملتزمين بممارستها . الانعام الثاني ان المحاربين الصليبيين يعفون من دفع الفوائد . الانعام الثالث ان كل من يصدر منه اغصابات غير عادلة نحو جنود الصليبيين يكون تحت الحرم الكبير الاناثيا . الانعام الرابع ان جميع الصليبيين وافراد عيالهم مع كل نوع من ارزاقهم وامتعهم يكونون تحت حماية الكنيسة الجامعة والرسولين بطرس وبولس . فتمض حينئذ احد الاساقفة وطلب من البابا انه يكون اول من يجاهد في هذا السيل فسلمه البابا راية الصليب وتبعه جملة من رؤساء الدين ومن عامة الناس ورسوا جميعاً على صدورهم صورة الصليب بلون احمر وجعلوا هذه الاشارة على الاسلحة والالوية والرايات والبند ومن ذلك الوقت سما صليبيين وحرورهم دعيت الحروب الصليبية

قال بعض المورخين اللاتينيين انه في اثناء المناداة بهذه الحروب وتجهيز الناس للدخول فيها ظهرت عدة عجائب في السماء وعلى الارض منها تساقط بعض النجوم من السماء ظهر بانتقالها علامة حمراء دموية في جوانب الافق ومنها ظهور عمود ناري على شكل حربة ذات حددين يقرب الشمس . ومنها انه شوهد في الجو صور مدن وعساكر وخيول واسلحة وفرسان مرسومة بالصليبان ومنها انه كان يرى في مدة ستة ايام متوالية على اثواب المسيحيين صليبان من نور مطبوعة على ملابسهم بطريقة عجيبة بحيث لا يمكن لاحد ان يحوها بالماء ولا بالنار . فهذه المناظر التي كانت تراءى لم شدت عزائمهم وجعلتهم لا يتوقفون عن السفر وكانوا يستعدون من يوم الى يوم حتى بلغ عددهم ثلاث مئة الف مقاتل

فعند ذلك ارتحلوا في اثناء سنة ١٠٩٦ للميلاد طالبين القسطنطينية

وكانوا اجناساً عديدة وفرقاً كثيرة من الايطاليين والفرنساويين والنساويين وغيرهم من سكان اوروبا . وكان بطرس الناسك المقدم ذكره وهو متوشح بشوبه الرهباني قائداً للفرقة الاولى فسار بهم عن طريق المانيا وهونكارييا وبلغاريا . فكانوا ينهبون ويخطفون من سكان المدن والسواحل وهم سائرون فوثب عليهم الاهالي وقتلوا منهم عدداً كثيراً وبعد ان قاسوا اهوالاً شديدة انتهوا الى القسطنطينية وكان ملكها يومئذ يدعى الكسيوس كومنينوس فاذن لهم ان يقيموا في المدينة الى ان يحضر رفاقهم

وقد اصاب الفرقة الثانية ما اصاب الفرقة الاولى في الطريق وقتل منها عددٌ وافرٌ بسبب تعدياتهم ولكنهم وصلوا اخيراً الى القسطنطينية وانضموا مع البقية فكان عدد من سلم معهم مئة الف مقاتل فنقلهم الملك الكسيوس المذكور في مراكبه الى سواحل اسيا ولما انتهوا اليها التقمهم عساكر الاسلام في نواحي نيقية واحاطوا بهم وقتلوهم قتالاً شديداً فاستظفروا عليهم وتكلموا منهم واستولوا على مزاربهم وذخائرهم ولم ينجُ منهم الا القليل فهكذا كانت نهاية الواقعة الاولى

اما بطرس الناسك فكان قد رجع الى القسطنطينية قبل حدوث هذه المعركة متشكياً من عدم انتظام الصليبيين وعدم طاعتهم وانقيادهم الى روسائهم ولكن لما بلغه هذه الاخبار المحزنة اقسم بانه لا يرجع قط عن عزمه حتى يشاهد حرباً صليبية ثانية

فلما بلغ اهالي اوروبا ما حل باصحابهم من النكال حزنوا جداً وتحركت عزائمهم على اخذ النار وازالة الذل والعار والاستيلاء على تلك الديار فتجهز منهم جيشٌ جرار تحت راية غودافروادوك بربانت وبوليون . ورافقة اخواه اوستاس وبودوين وغيرها من القواد المشاهير منهم روبرتس اخو فيلب ملك فرانسوا وروبيرتس دوك نور مندبا وغيرها من الذوات . وساروا قاصدين القسطنطينية واستمروا في طريقهم الى ان وصلوا اليها بعد ان فقد

منهم جانب عظيم بسبب الامراض والجوع وفتك اهالي البلاد التي كانوا يرون فيها . ومن هناك اجازوا الى شطوط اسيا وعند وصولهم الى نيقية التفتهم جيوش الاسلام ووقع بينهم عدة معارك شديدة انتصرت فيها طوائف الافرنج فاستولوا على المدينة ثم تقدموا بمجموعهم الى انطاكية فاخضعوها وتملكوها بعد هجمات هائلة ووقائع متعددة ولما دانت لهم ولاية تلك الاطراف ملأوها بالجنود والفرسان وزحفوا بياقي ابطالهم الى القدس فحاصروها واستفتحوها سنة ١٠٩٩ للميلاد بعد حروب شديدة وصدقات رائعة وجعلوها دار ملكهم

وبعد استيلائهم على اورشليم بثمانية ايام نودي باسم غودافرو ملكا على فتوحات فلسطين الا انه لم يمض عليه اكثر من خمسة عشر يوماً حتى وافاه سلطان مصر بعسكر جرار فالتقاه غودافرو عند عسقلان بجيوش الصليبية فكسره وشتت شمله . ومن ثم اخذ الصليبيون في توسيع دائرة فتوحاتهم فحاصروا جميع المدن الكائنة على الشطوط البحرية وتغلبوا عليها كدينة اللاذقية وطرابلس وصيدا وصور وعكا وحيفا ويافا وعسقلان وغيرها فكانت حدود افتتاحاتهم شمالاً الاسكندرونة وجنوباً ديار مصر ولم يبق في يد الاسلام سوى حمص وحماه والشام وحلب مع بعض القرى الصغيرة

وسنة ١١٠٠ توفي غودافرو المذكور وخلفه اخوه بودوين الاول الذي كان والياً على أرفا فحكم ببساله ونشاط الى ان ادركته الوفاة سنة ١١١٨ فخلفه ابن عمه بودوين الثاني الذي كان والياً على ولاية أرفا في زمن بودوين الاول واستمر حكمة الى سنة ١١٢١ ثم أُسر في حرب مع الاتراك وبقي اسيراً عندهم جملة سنين الى ان انقذه امير أرفا . ثم تولى بعده الامير فولك انجو وهو صهره زوج ابنته فحكم ١٢ سنة ومات بعد سقطة عن فرسه . ثم خلفه ابنه بودوين الثالث وامتدت ايام ولايته عشرين سنة وفي مدة احكامه ضعفت شوكة الافرنج وقلت سطوتهم واستظهر المسلمون عليهم في حروبهم المتواترة واسترجعوا منهم أرفا وبعض الاماكن الاخرى . فاستغاث بودوين المذكور باهالي اوروبا وطلب

منهم المساعدة والامداد فامدوهُ بِنَجْدَةٍ عَظِيمَةٍ تَحْتَ قِيَادَةِ كُونَرَادِ التَّالِثِ  
مَلِكِ جَرْمَانِيَا وَلُوِيْسِ السَّابِعِ مَلِكِ فِرَانْسَا سَنَةَ ١١٤٧ لِلْمَسِيْحِ وَهَذِهِ هِيَ التَّجْرِيْدَةُ  
الثَّانِيَةُ

وَقَبْلَ قَدُوْمِ مَلِكِ فِرَانْسَا بِأَيَّامِ سِيْرَةٍ وَصَلَ مَلِكُ جَرْمَانِيَا إِلَى فِلَسْطِيْنِ  
فِي حَالَةٍ يَرْتِي لَهَا إِذْ كَانَ قَدْ تَلَفَ أَكْثَرَ مِنْ نِصْفِ جَيْشِهِ فِي الطَّرِيْقِ بَعْضُهُمْ  
بِالْجُوعِ وَالْمَرَضِ وَبَعْضُهُمْ بِالسِّيفِ فِي الْمَعَارِكِ الَّتِي أَتَارَهَا عَلَيْهِمُ الْإِعْدَاءُ فِي إِثْنَاءِ  
الطَّرِيْقِ فَلَمَّا بَلَغَ سَوَاحِلَ سُورِيَةِ وَأَفْتَتْهُ مَوَاصِبُ الْإِسْلَامِ وَفَتَكَتْ بِعَسَاكِرِهِ  
فَانْتَسَبَ مَعَ بَاقِي جَيْشِهِ وَبَيْنَمَا كَانَ رَاجِعًا لَتَقِي بِلُوِيْسِ السَّابِعِ وَجُنُوْدِهِ الَّذِينَ  
وَصَلُوا فِي حَالَةٍ أَحْسَنَ مِنْ حَالَتِهِ فَالْتَقَتُهُمُ الْإِتْرَاكُ فِي نَوَاحِي إِطَّاكِيَّةٍ وَانْتَسَبَتْ  
بَيْنَهُمْ نِيْرَانُ التَّنَالِ مَدَّةَ أَيَّامٍ وَكَانَتْ الدَّائِرَةُ عَلَى الْمَلِكِ لُوِيْسِ وَجُنْدِهِ فَانْقَلَبَ  
رَاجِعًا بِبَقِيَّةِ قُوَادِهِ وَجِيُوشِهِ وَنَزَلُوا فِي السَّفِينِ وَسَارُوا إِلَى الْقُدْسِ وَانضمُّوا إِلَى  
العَسَاكِرِ اللَّاتِيْنِيَّةِ مَعَ بَقَايَا العَسَاكِرِ الْجَرْمَانِيَّةِ تَحْتَ رَايَةِ مَلِكِهَا كُونَرَادِ الْمَذْكُورِ ثُمَّ  
زَحَنُوا إِلَى دِمَشْقِ النَّصْرَانِيَّةِ بِقَصْدِ الْإِسْتِيْلَاءِ عَلَيْهَا أَمْلًا بِأَنَّهُمْ مَتَى تَمَكَّنُوا مِنْهَا يَفُوزُونَ  
بِالْإِتْتِصَارِ النَّصْرَانِيَّةِ فَتَمَّتْ هِيَ ثَوْرَاتِ إِعْدَائِهِمُ الْمُتَابِعَةَ وَتَهْدِمُ أَرْكَانَ سُلْطَتِهِمْ . وَكَانَ  
الْوَالِيُّ عَلَيْهَا يَوْمئِذٍ وَقَائِدُ جِيُوشِهَا الْإِمِيرُ أَيُّوبُ مَقْدَامُ الدَّوْلَةِ الْإِيُوبِيَّةِ وَجَدَهَا  
فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَيْهَا أَقَامُوا عَلَيْهَا الْحَصَارَ وَنَصَبُوا عَلَى أَبْرَاجِهَا الْمَجَانِيْقَ وَالْأَلَاتِ  
وَنَازَلُوهَا مَدَّةَ طَوِيلَةٍ بِدُونِ نَتِيْجَةٍ وَلَا فَائِذَةٍ وَلَمَّا يَسَّوْا مِنْ اسْتِخْلَاصِهَا انْكَفَوا  
عَنْهَا رَاجِعِينَ فَهَذِهِ كَانَتْ أَعْمَالُ التَّجْرِيْدَةِ الثَّانِيَّةِ

## الباب الثاني

ذِكْرُ الْحَوَادِثِ وَالْوَقَائِعِ الَّتِي جَرَتْ مِنْ بَدَايَةِ التَّجْرِيْدَةِ الثَّلَاثَةِ  
إِلَى نِهَايَةِ التَّجْرِيْدَةِ التَّاسِعَةِ الَّتِي هِيَ خَتَامُ الْحُرُوبِ الصَّلِيْبِيَّةِ  
فَضَعُفَتْ شُوْكَةُ الصَّلِيْبِيِّينَ فِي فِلَسْطِيْنِ وَتَرَعَزَعَتْ دَعَائِمُ مَلِكْتِهِمْ بِسَبَبِ



انكسار العساكر الافرنجية وتشتت شملهم ولكن مع كل ذلك لم يكفوا عن مواظبة الحروب والغارات وحفظ مراكزهم الى سنة ١١٧٤ حين توفي بودوين الرابع وبعد وفاته نهضت امه سيبيللا وتزوجت برجلٍ ذميمة الاخلاق فيج السيرة الا انه كان جميل الصورة وجعلته ملكاً على اورشليم فساء هذا الامر جداً في اعين الامراء ووزراء الدولة الصليبية فنرا اكثرهم وخلعوا الطاعة واظهروا الخلاف والعصيان وكان من جملتهم الكونت ريموند الذي لسبب عدم تحويل تاج الملك اليه دخله الحسد فخان ابناء وطنه وكتب الاعداء سرا منفضاً همتهم على الحروب وافتتاح البلاد على ما قيل

ففي اثناء هذه الحوادث والتقلبات الداخلية ظهر عدو آخر للصليبيين وهو صلاح الدين الابوي سلطان مصر وكاف شاباً شجاعاً وبطلاً متداماً وقد اسس في مصر مملكة جديدة بعد اقراض الدولة الفاطمية فلما كثرت تعديبات الافرنج على قوافل المسلمين واهانتهم اياهم وتهددهم بافتتاح مكة والمدينة وتبعضهم عن اعطائهم الترضية اللازمة فاجت حمية الاسلام واشتد حنقهم فنهض صلاح الدين من مصر بثمانين الف مقاتل قاصداً فلسطين وجعل طريقه على مدينة طبرية فلما اشرف عليها احاط بها وحاصرها فوافاه ملك القدس بجيوشٍ كثيرة للمدافعة والمحاماة عنها لانها كانت من اهم مراكز البلاد وهناك التقى العسكران والنجم الجيشان فاجت الارض بالعساكر وكانت معركة دموية هائلة استمر القتال فيها بين الفريقين نحو يومين كاملين وكانت الدائرة على الصليبيين فانقلبوا راجعين على الاعقاب طالبين النجاة بعد ان فقد منهم نحو ثلاثين الف مقاتل ووقع الملك اسيراً مع خواصه واكابر روسائه في ايدي المسلمين وعند نهاية الحرب قتل صلاح الدين ٢٣٠ رجلاً من اعيان الافرنج الماسورين وهكذا اصبحت البلاد بدون راس ومدبر في قبضة المتصر

وبعد هذه الحادثة بغو ثلاثة اشهر زحف صلاح الدين بجيوشه على مدينة القدس ونازلها ولم يكن فيها سوى الملكة وقليل من الجنود مع نحو ١٠٠ الف

رجل كانوا قد التجأوا اليها بسبب الثورة المذكورة واذ لم تستطع الملكة الثبات اكثر من اسبوعين ولا سيما ان افكارها كانت مضطربة من جهة اسر زوجها اضطرت اخيراً الى التسليم تحت شروط معلومة وقع عليها الإتفاق بين الفريقين وهي ان جميع طوائف الافرنج واللاتينيين يخرجون من المدينة ويرحلون بعياهم وانقالم وتكون لهم الحماية فيصلون آمنين الى سواحل سورية او مصر وان كلاً من الاهالي يعطي صلاح الدين مبلغاً معلوماً فدية عن حياته والذي لا يقدر على ذلك يبقى كعبدٍ واسير . ولكن صلاح الدين اظهر من علو الهمة والكرم والشفقة والرحمة ما لا مزيد عليه لانه كان يرضى من الفقراء والمحتاجين بما تيسر عندهم حتى انه اطلق سبيل ٢٠٠٠ رجل بدون فدية . وعند مقابلته الملكة اظهر من الرقة واللفظ وكرم الاخلاق ما لا يوصف وكان يعزبها بكلامه وبدموعه معاً ويوزع الاحسان على ارامل وايتام القتلى وسحح للتولجيت على المستشفيات ان يقولوا في المدينة سنة اخرى للملاحظة المرضى والعاجزين والاعناء بهم وكان حدوث ذلك سنة ١١٨٧ للميلاد

فخرج المنفيون من اورشليم وكانوا تائبين في اراضي سورية يلتمسون لانفسهم المعونة والمساعدة وكثيراً ما كانوا يطردون من نفس اخوتهم المسيحيين بتوبيخات مرّة . وقد توجه اناس من هولاء المنكودي المحظ الى النظر المصري فحرّكت احوالهم التعيسة قلوب المسلمين للشفقة عليهم وآخرون سافروا بجرّاً الى اوربا حاملين اخبار ما اصابهم من الدواهي والنكبات

وسنة ١١٩٠ اقامت التجربة الثالثة تحت راية فيليب ملك فرانسوا والامبراطور فريدر بكوس ملك جرمانيا وريكاردوس الاول ملك انكلترا الملقب بقالب الاسد وغيرهم من الامراء فنهضوا جميعاً وقصدوا بلاد فلسطين بمئتي سفينة مشحونة بالعاكر والمهات وعند وصولهم الى صور وهي المدينة الوحيدة الباقية يومئذ في ايدي الصليبيين تقدموا منها الى مدينة عكا الحصينة وحاصروها غير مبالين بالاطار المهددة بهم . فاستمر القتال بين الفريقين نحو سنتين وخسر

الجمعان عدداً كثيراً من عساكرها ولكن لما اشتد القتال والمحصار على المسلمين وانقطع عنهم الامداد ونفذت ذخائرهم سلموا اخيراً تحت هذه الشروط وهي انهم يعطون الافرنج ٢٠٠ الف ريال من الذهب ويسلمونهم الف وخمس مئة اسير من عامة الصليبيين ومئة اسير من الاشراف كانوا في سجنهم وان يردوا لهم خشبة الصليب التي أخذت منهم في حرب طبرية . فتسلم الافرنج عكا في ١٢ تموز سنة ١١٩١ بعد ان كان فقد منهم نحو ٢٠٠ الف رجل بين قتيل وجريح ومريض وغريق وكان عدد المحاصرين نحو ٦٠٠ الف مقاتل

ثم بعد افتتاح عكا عزم ريكاردوس ملك انكلترا على حصار عسقلان التي هي على مسافة مئة ميل من عكا فزحف اليها ولما اشرف عليها وافاه الملك صلاح الدين بثلاث مئة الف مقاتل وانقضت بينها حروب هائلة لم يسمع بمثلا في الايام السابقة وكانت الدائرة على عساكر المسلمين فانهمز صلاح الدين بعد مقتلة شديدة فقد فيها من جيشه نحو اربعين الف نفر من شجعان العسكر وفاز الملك ريكاردوس بالنصر والظفر واستولى على عسقلان وباقي مدن اليهودية . اما صلاح الدين فالتجأ الى مدينة القدس وحصن قلاعها وابراجها وملاها بالعساكر والجنود وكان فصل الشتاء قد دخل وبسبب قسوة البرد توقفت الحروب بين الفريقين . وفي بداية فصل الربيع زحف ريكاردوس بجيشه على القدس التي كانت جل قصده وغاية اريه فهاج الاهالي واعتراهم الخوف والرعب عند قدوم هذا الجبار فاقام المحصار على المدينة وضيق عليها من كل الجهات ولكنها لم يلبث طويلاً حتى انسحب عنها اذ وجد صعوبات كثيرة في افتتاحها وكانت عساكره قد ضمرت من الحروب ومشقات الاسفار

وفي خلال ذلك زحف صلاح الدين في ستين الف مقاتل لاستخلاص مدينة يافا وعند ما اوشك ان يفتحها وافاه ريكاردوس فحاربة وهزمه . ثم ان ريكاردوس وصلاح الدين بعد هذه الحادثة اخذا بالمراسلات والخبايرت في شان الصلح وترك هذه الحروب المهلكة . وكان اول شيء طلبه ريكاردوس

تسليم القدس وفلسطين وترجيع خشبة الصليب فرفض صلاح الدين هذا الطلب ولم يسمح بتسليم فلسطين . ثم وقع الاتفاق على توقيف الحرب ثلاث سنين وانه في اثناء هذه الهدنة يسمح للمسيحيين ان يزوروا القدس في اي وقت ارادوا بدون دفع جزية وان يُهدم قلعة عسقلان وان يافا وصور والبلاد الواقعة بينها تبقى بيد الافرنج . فبعد اتمام هذه المعاهدة سافر ريكاردوس الى اوروبا وبعد ذلك بقليل توفي صلاح الدين وقام بالسلطنة مكانه اخوه سيف الدين . وسنة ١٢٠٢ جهز البابا سلاستينوس الثالث تجريدة رابعة ولكنها انحصرت اعمالها في محاربة ملك الروم في القسطنطينية فتغلب عليه اللاتينيون وامتلكوا منه المدينة وبقيت تحت تصرف احكامهم مدة ٥٧ سنة .

وسنة ١٢١٦ تجند في اوروبا تجريدة خامسة مولفة من مجر وجرمانيين فاجتازوا البحر وجاءوا الى مدينة عكا ونزلوا فيها . وكان حكام سورية يومئذ اولاد سيف الدين المذكور فقاوموهم اشد مقاومة ولم يدعواهم يتقدمون ثم وقع بين الافرنج انشقاقات واختلافات فرقتهم وسببت هلاكهم فرجع ملك المجر الى بلاده وتوقفت حركة الجنود الصليبية الى ان اتاها نجدة في السنة الثانية نحو ٣٠٠ سفينة مشحونة بالمهمات والرجال فشددت عزائمهم ومكنتهم في الانتصارات ولكن لاسباب غير معلومة تركوا بلاد فلسطين وتوجهوا الى الدبار المصرية فاستظفروا على بعض اقاليمها واستولوا على دمياط وحصنوا اسوارها وكانت الاهالي تخافهم ونهاهم حتى انهم طلبوا اليهم ان يعقدوا معهم صلحا تحت شروط مرضية للصليبيين ولكنهم رفضوها ولم يجيبوا عليهم . واستمروا منتشرين على شواطئ النيل حتى اضعفهم الزمان وقلة الوسائط فاضطروا ان يتنازلوا للمصريين عن تلكاتهم في مصر ليسمحوا لهم بالرجوع الى فلسطين

وسنة ١٢٢٨ تجهزت التجريدة السادسة تحت قيادة فريدريكوس الثاني ملك المانيا الذي كان قد نذر على نفسه من مدة طويلة ان يتنضم لمساعدة الصليبيين ونجدهم ولكن بسبب ابطائه وتاخره حرمة البابا غريغوريوس

التاسع فاغناظ فويدريكوس من هذه المعاملة واستعد لمقاومة البابا المذكور فذهب اليه الى رومية وإهائه وإذلة ثم الزمه ان يخرج من رومية قهراً . وكان في اثناء ذلك قد تولد بين المسلمين بلبلة وانقسامات مع امراءهم والمتقدمين فدم فاضطر الملك الكامل ناصر الدين ابن سيف الدين والي مصر ان يعقد معاهدة مع الملك فريدريكوس المذكور فارسل يستدعيه اليه واعداً اياه باعطاء اورشليم . فنهض فريدريكوس باربين الف مقاتل الى عكا ومنها الى القدس بدون ان يعارضه معارض ولا ينازعه منازع . وبعد ذلك عقد بينه وبين المسلمين عهداً وهي ان القدس ويافا وبيت لحم والناصرية وتوابعها تكون في ايدي المسيحيين وتحت تصرف احكامهم وان كلاً من الامتين المتحاربتين يسمح لها ان تمارس فروض مذهبيها وسننه بكل حرية وبدون معارضة

اما عامة الصليبيين فلم يسروا باعمال فريدريكوس ولم يقبلوا شروطه ومعاهداته السلمية لانهم كانوا يعتبرونه محروماً ومرفوضاً من قبل الكرسي الروماني ولذلك رفضوا طاعته . ولما دخل بطريرك اللاتينيين الى القدس لم يرض ان يحضر احتفال تويجه فحيثئذ مد فريدريكوس يده واخذ التاج عن قبر المسيح ووضعته على راسه وبعد ذلك بدة عاد راجعاً الى بلاده

تم في سنة ١٢٢٩ تجند لمساعدة الصليبيين بسبب ثورات ومقاومات اعدائهم تجريدة سابعة مولفة من انكليز وفرنساويين تحت قيادة بعض الاشراف . فسبق الفرنسيون الى سورية وحاربوا جملة حروب كان الاستظهار فيها للمسلمين . وفي السنة الثانية حضرت العساكر الانكليزية وكان قائدها الامير كورنوال وعند ما وجد هذا الامير ان تملكات الصليبيين وحقوقهم المنوحة بموجب عهود وشروط من المسلمين عن يد ملك جرمانيا قد نقضت ورُفضت وان اخصامهم قد سلكوا معهم مسلك الجور والعدوان اسرع في قيام الحرب على المسلمين . واذ كان السلطان يومئذٍ مشتغلاً في محاربة اخيه في دمشق عقد صلحاً مع الامير المشار اليه وتنازل له عن القدس وبيروت والناصرية وبيت لحم

وجبل نابور وقسم كبير من الاراضي المجاورة  
 هذا وبينما الصيبيون في ارغد عيش وسرور باسترجاع الاراضي المقدسة  
 دهمتهم مصيبة اخرى لم تخطر قط على بال وهي ظهور جنكيزخان الذي اشتهر  
 بين الاكراد في ذلك الزمان . فانه اقام الحرب على ساق وقدم بين طوائف  
 العرب والترك والعجم فازعج تلك البلاد واقام بغاراته العباد فتراكضت الشعوب  
 والقبائل مهزومة من امام وجهه ومن جملتهم شعوب خوارزم الذين احاطوا  
 بسورية وتغلبوا عليها وفتكوا باهلها ولم يرحموا شيخاً ولا امرأة ونهبوا بيت المقدس  
 وكادت غاراتهم تصل الى الديار المصرية . وبقي الخوارزميون في سورية ولم  
 تقدر عساكر المسلمين والمسيحيين على ردهم الى سنة ١٢٤٧ حين قهرهم وكسروهم  
 الملك المظفر سلطان مصر بقرب الشام وطردهم الى تخومهم ومواطنهم التي على  
 شطوط بحر الخزر

واذ كان الصليبيون لا يزالون في ضنك عظيم تحركت غيرة لويس التاسع  
 ملك فرنسا عليهم فنهض اولاً لتجديدهم بعدة سفن مشحونة بالمهمات والادوات  
 العسكرية الحربية مع خمسين الف مقاتل وقصد اولاً مصر سنة ١٢٤٩ للبلاد  
 وهذه هي التجربة الثامنة فوصل الى دمياط وامتلكها ومنها تقدم الى جهة  
 القاهرة ولكن قبل بلوغ اماله انقضت عساكره بالمرض والجوع فوقع هو مع  
 من بقي من جيوشه اسيراً في ايدي الاعداء وبقي في اسرهم الى ان فدى نفسه  
 وسار بباقي رجاله الى فلسطين ومن هناك توجه الى اوروبا . وبعد ذلك  
 بنحو ١٥ سنة زحف الملك الظاهر بيبرس البندقداري احد سلاطين دولة  
 المماليك التركية بمصر بجيش جرار على بلاد فلسطين وكانت الافرنج قد  
 ضعفت قوتها فاخضع مدينتي صفورة وازوت ووقع بالمسيحيين وقتل منهم واسر  
 عدداً كثيراً ثم قصد مدينة انطاكية فحاصرها وامتلكها وقتل منها نحو اربعين  
 الف رجل واسر مئة الف نسمة وساقهم الى البلاد المصرية في حالة الذل  
 والويل

ولما اتصلت هذه الاخبار المحزنة الى مسامع شعوب اوروبا ساءهم ذلك  
 جداً فنهض ثانية لويس التاسع ملك فرانسوا المقدم ذكره وخرج من بلاده  
 بجيش عظيم وقصد لولاً شطوط افريقية ليستقم من التونسيين قبل مسيره الى  
 فلسطين لانهم كانوا قد اقلقوا وازعجوا امنية البحر بتواتر غزوات مراكزهم  
 الفرصانية وسلبوا اكثر الذخائر والمهمات التي كانت ترسل من اوروبا اسعافاً  
 الى فلسطين حتى انهم كانوا يدون المصريين بالخيال والرجال . فحاصروا مدينة  
 قرطاجنة وضيق عليها وهزم جيوشها وافتتحها ولكنه توفي في اثناء ذلك مع  
 جانب من جيشه في وسط تلك الرمال المحرقة من جراء امراض وبائية اصابهم  
 وكان ذلك سنة ١٢٧٠ وهذه هي التجربة التاسعة والاخيرة للصليبيين

فانحصرت اخيراً فتوحات الصليبيين في مدينة عكا حصنهم الوحيد مع  
 بعض المدن المجاورة ولكنهم لم يلبثوا الا قليلاً حتى وافاهم الملك الناصر محمد  
 بن قلاوون في جيش من مائتي الف مقاتل وضايقهم في مرج ابن عامر ومن بعد عدة معارك اظهر فيها الصليبيون من  
 البسالة والشجاعة ما لا مزيد عليها استظهرت عليهم اخصامهم بكثرة العدد  
 واستولوا على مدينة عكا وقتلوا اكثرهم واسروا منهم جانباً عظيماً ثم استولوا على  
 جميع اقطار سورية ومن ذلك الحين انفتحت اخبار الصليبيين من بلاد فلسطين  
 لانهم كانوا قد تلاشوا وانقضوا وكان عدد من مات وقتل منهم في هذه الحروب  
 من باب التقريب نحو ٣٠٠٠٠٠ فسبحان المبدي المعيد الدائم والفاعل  
 ما يريد

## الفصل الحادي عشر

### في اسيا الصغرى

اسيا الصغرى المعروفة الآن ببر الاناضول موقعها على اطراف بحر الروم الى جهة الشمال الشرقي، يحدّها شمالاً البحر الاسود وغرباً بوغاز القسطنطينية وبحر مرمر وشرقاً سورية وما بين النهرين وارمينية . ومعظم طولها من الشرق الى الغرب ستاية ميل وعرضها اربع مئة ميل بخرقها عدة سلاسل جبال منفصلة عن جبل الثور وجبل قوقاس . وهي الآن قسم من المملكة العثمانية واكثر سكانها من المسلمين واشهر مدنها ازمير وهي مولد هوميروس الشاعر اليوناني المشهور وقاعة تجارة بلاد المشرق

وكانت تنقسم قديماً الى اثني عشرة مملكة صغيرة وهي ميسيا وليديا وكاريا وليسيا وبيثينيا وبلفونيا وبنس وبغلييا ويسيديا وكيليكيا وفرجيحة وكبدوكية ومن اعظم هذه الاقسام مملكة ليديا اشهرت قبل المسيح بنحو ٨٠٠ سنة واول ملوكها على ما قيل هوارديس قام سنة ٦٩٧ ق م واخر ملوكها كريسوس وكان اغنى ملوك عصره وقد اشهر في الغنى بهذا المقدار حتى ضرب به المثل الى الآن اذ يقال فلان غني ككريسوس وكان جلوس هذا الملك على سرير الملك سنة ٥٥٩ ق م وفي ايامه ضم الى مملكته جميع البلاد الواقعة غرباً من نهر هاليس الذي يقال له الآن قزل ارمق وكان مجلسه مشهداً للفلاسفة واهل العلم . قيل زاره مرة صولون الفيلسوف الشهير فاراه كريسوس جميع خزانته



وتخفيه وقصوره من باب الكبرياء ليهجة ودهشة وقال له من تظن اسعد  
الناس غيري . فاجابه صولون لا يدعى احد سعيداً الا من دامت سعادته الى  
آخر حياته . وقد اصاب ذلك الفيلسوف فيما قاله لان كريسوس لم يتمتع بعد  
ذلك زماناً طويلاً بغناه وسعادته لان كورش ملك الفرس لما زحف لمحاربة  
الاشوريين اتحد كريسوس معهم على حرب كورش فانكسر وبات محصوراً في  
مدينة سارديس قسبة مملكته فأتى كورش وحاصر المدينة وفتحها سنة ٥٤٨ ق م  
واسر كريسوس ولما مثل بين يديه امر بايقاد انون من نار وان يطرحوا  
كريسوس فيه ولما دنوا به من الاتون تذكر كريسوس ما قاله له صولون  
فصرخ بصوت عال يا صولون يا صولون يا صولون . اما كورش فلما سمع  
صراخه استحضره وسأله عن السبب فاخبره بما كان . فاعجبت كورش حكمة  
صولون فعفا عنه وابقاه عنده معزاً مكرماً . ومن ذلك الوقت صارت ليديا  
مع قوم كبير من اسيا الصغرى تابعة للملكة الفرس حتى اتى اسكندر الكبير  
فاتصر على ملوك الفرس واستولى على اكثر املاكهم في اسيا

وبعد وفاة اسكندر صار الجزء الاكبر من هذه البلاد تابعاً لملكة سورية  
في زمان تملك الدولة السلوقدية وفي اثناء ذلك استقلت بنس التي كانت من  
اعمال ليديا واخذت في التقدم والنمو جملة سنين . وفي عصر تلك ميتريدات  
السابع ملكها اليوناني اكتسبت شهرة عظيمة لانه كان على جانب عظيم من  
الحذق والدراية والبأس . وكان من اشد الناس عداوة للرومانيين فحاربهم  
جملة سنين وانتصر عليهم في جملة وقائع ولكنه قهر اخيراً من الرومان سنة ٦٤  
ق م وانضمت مملكته مع باقي ولايات اسيا الصغرى الى املاك الملكة الرومانية  
وبقيت تابعة قيصرية رومية والقسطنطينية الى القرن الحادي عشر للميلاد  
حين استولت الدولة السلجوقية على الاقسام الجنوبية الشرقية من هذه البلاد .  
وعند انقراض هذه الدولة في اواخر القرن الثالث عشر جاء الاتراك العثمانيون  
من بلاد التراك الكائنة على نواحي بحر الخزر واستولوا على جانب عظيم منها

تحت راية السلطان عثمان الغازي ومن ابتداء سنة ١٤٨٦! صارت كل هذه البلاد تابعة سلاطين آل عثمان . هذا ومع كل الثورات والحروب التي انتشرت في اسيا الصغرى ازدادت البلاد نمواً وشعباً وإقيم فيها عدة مدن شهيرة منها افسس في ليديا التي لم تزل اثارها باقية الى الآن تشهد على عظمتها وهي على مسافة بعض ساعات من جنوب مدينة ازمير يقصدها كثير من الناس المشاهدة . وكان في هذه المدينة هيكل عظيم الشان حُسِب من عجائب الدنيا السبع نظراً لغرابته وعظم بنائه وكان مخصصاً لعبادة الآلهة ديانا اي ارطاميس اليونانيين وبقي هذا الهيكل في بجهته وروثقه الى سنة ٢٥٦ ق م حين قام رجل من افسس واضرم فيه النار فاحترق عن اخره وكان قصدهُ بذلك ان يترك لنفسه ذكراً مؤبداً وقد ضرب به المثل حيث يقال ان الرجل الذي لا يقدر على صنع قفص خنير حرق هيكلاً عظيماً . وكانت هذه الحادثة يوم ولادة اسكندر المكدوني

ومن مدن اسيا الصغرى كولاسابيس وطرسوس التي ولد فيها بولس الرسول وكانت في قديم الزمان مساوية في العلوم لمدينة اثينا ومناخرة لمدينة اسكدرية وليست الآن الا قرية صغيرة . ثم مدينة برغامس وثياتيرا التي يقال لها الآن اق حصار وسرديس قصبة ملكة ليديا . وفيلادلفيا ولاودكية المذكورة في الاسفار المقدسة وتروادة وغيرها . اما برغامس التي يقال لها الان برغاما فكان فيها قديماً مكتبة معتبرة تحتوي على ٢٠٠ الف مجلد نقلها الملك انطونيوس الروماني والملكة كليوباترا الى مصر . وفيها ايضاً ولد جالينوس الطبيب الشهير

## • الفصل الثاني عشر •

### في وصف بلاد الهند وتاريخها

هذه البلاد هي قسم كبير من قارة اسيا وتشتمل على قبائل عديدة  
منشرة في كل اقطارها ولكل قبيلة ولاية وحكام مستقلة بذاتها اشبه بدول  
اوروبا وعدد سكانها ٢٠٠ مليون منهم ١٥٩ مليوناً تحت نسلط الانكليز  
و٤ مليوناً في حالة الاستقلال

وقد اختلف المعلومون من جهة تسمية هذه البلاد هندياً فزعم البعض انها  
نسبت هكذا نسبة الى نهر الهند والسند وهما كلمتان معناهما باللغة السنسكريتية  
الازرق نسبة الى لون مياهه وقال آخرون ان اسم هند متخذة من كلمة ايندو  
ومعناها قمر. وذهب بعضهم ان هذه التسمية مقتبسة من كلمة هندو بالفارسية  
ومعناها الاسود نسبة الى سواد اهلها ولكن قلما يوثق في صحة هذا الاقتباس  
لانه يصعب التصديق بان امة من الامم تتخذ لنفسها اسماً ولقباً اجنبياً والاجدر  
بها ان تطلق على ذاتها لقباً مأخوذاً من نفس لغتها. والجغرافيون يقسمون الهند  
الى قسمين اي هندستان والهند الصينية اما الاول فهو اعظم واشهر وعليه يتعلق  
مدار الكلام واما الثاني فما كان مجاوراً لبلاد الصين ويتضمن ثلاث ممالك  
صغيرة وهي بورما وسيام وكوشين مما لا يسعنا الكلام عنه

وفي هندستان انهر عظيمة وجبال مرتفعة ورياض واسعة وهي جيدة التربة  
كثيرة المحاصيل والاشجار واكثر اشجارها نافعة مفيدة وثمارها لذيدة ولاسيما ما

يسمونه مانكو وانا ناس فانه على ما قيل لا يوجد الذ منها في العالم . و يوجد في هذه البلاد حيوانات كثيرة مختلفة الاجناس ولا سيما الفيل فهو عندهم كالجمل عند العرب . ومن وحوشها الضارية النمر ويكثر هذا الحيوان في نواحي بنكالا على شواطئ نهر الكنك وهو من اشرس واجسر الكواسر حتى انه يهجم احيانا على الفارس ويخطفه عن ظهر فرسه وكثيرا ما يسطو على الاسد . ثم الكركدن وهو ذو قرن كبير شديد القوة يسطو على الاسد والنمر عند الحاجة اما مدن هندستان فمن اشهرها مدينة كثير وهي قسبة بلاد كثير المشهورة بعمل الشالات . ثم مدينة لاهور قسبة بلاد لاهور الواقعة بين الهند وافغانستان والعجم . ومدينة سورات وهي اقدم مدن الهند . ومدينة احمد اباد ومدينة الله اباد ومدينة كلكتة وهي قسبة بلاد الهند وكري الحكومة الانكليزية وعدد سكانها نحو ٢٥٠ الف نسمة ومدينة بومي وهي فرضة حصينة تملكها الانكليز سنة ١٦٣٩ وعدد سكانها ١٧٠ الفاً وغيرها من المدائن وللهند اليد الطولى في بعض الصنائع والحسابات الدقيقة واليهم تنسب الارقام الهندية المستعملة في العربية . ولهم عنائد قبيحة وخرافات دينية كثيرة والديانة العامة بينهم هي عبادة الاوثان على المذهب البرهي نسبة الى برهم الاله العظيم عندهم الذي منه جاء ثلاثة آلهة على زعمهم الاول برهما وهو الخالق والثاني فيشنو وهو الحافظ . والثالث سيفا وهو المملك وتصنع اصنام هذه الالهة غالبا على هيئات هذه الصورة ولبها اربعة اوجه واربع اذرع باربع ايدٍ في يده الاولى جزء من الفيدا وهو كتابهم المقدس وفي اليد الثانية ملعقة وفي الثالثة مسبحة وفي الرابعة اناء فيه ماء التطهير . ولفيشنو ايضا اربع اذرع باربع ايدٍ في يده الاولى بوق صدي وفي الثانية الحلقة التي عند ادارتها تخرج منها نار مآكلة لا يمكن مقاومتها وفي الثالثة هراوة وفي الرابعة غصن حندقوق . ولسيفا ايضا اربع اذرع باربع ايدٍ في الاولى صولجان وفي الثانية جبل يوثق به المذنبين اما اليدان الاخرى فان فارغان وله عين ثالثة في جبهته وله حيات





قد ابطال الحكم الانكليزي هذه العادة القبيحة ولم تعد تجرى الا خفية او في الاماكن التي ليست تحت حكم الانكليز

اما تاريخ الهند فهو من اسم التواريخ مشحون بالخرافات والاقاويل البعيدة عن التصديق مما لا يهمل القاري معرفته . وكان قد غزا هذه البلاد سيزوستريس احد فراغة مصر وتغلب على بعض اقاليمها واخذ منها غنائم وافرة . ثم غزتها بعده الملكة سميراميس ثم قصدها داريوس همناسب ملك فارس واستخلص منها جملة ولايات ثم افتحها اسكندر المكدوني بمئة وعشرين الف مقاتل واستولى على جانب عظيم منها . وكان قصد هذا الملك الجبار ان يتوغل بجيشه في اقطار هذه الملكة ويستخلص جميع ولاياتها وملحقاتها فلم يوافقه جنده على ذلك فالتزم ان يرتد راجعا .

وقد غزا هذه البلاد ايضا المسلمون . اولاً سنة ٤٦ للميلاد ثم سنة ٧١١ في خلافة الوليد واستولوا على بعض ولايات السند . وكان القائد على جنودهم شاب يقال له محمد قاسم وكان جميل الصورة قوي الجنان ولم يكن معه سوى ستة الاف فقط من الرجال المعتادين على خوض المعارك فكان يلتقي بهم صفوف الهنود ويشنت عليهم . وحيثما اتصرا عرض على الاهالي قبول الاسلام فمن اسلم سلم ومن امتنع وكان عمره فوق السبع عشرة قُتل اما النساء والاولاد فكانوا يستعبدون

وما يستحق الاستغراب انه في احدى وقائع محمد التقاه مرة الهنود بالقرب من مدينة حيد اباد في خمسين الف مقاتل تحت قيادة رئيسهم الراجا ظاهر فاشتبك بينهم القتال ومع قلة عدد المسلمين استظفروا على الهنود وقتل الراجا وابنه ودخل المنهزمون الى المدينة وحاصروا فيها تحت رياسة ارملة ملكهم وبقوا محاصرين حتى فرغ زادهم وساءت احوالهم من شدة الحصار ولما يسوا من السلامة اجتمعوا بنسائهم واولادهم فودعهم ثم احرقوهم بالنار خوفاً من وقوعهم في ايدي الاعداء وبعد ذلك خرجوا من المدينة وهجموا على صفوف المسلمين

فالتفاهم محمد قاسم بابطاله وفرسانه ولم تكن الا جولة حتى افناهم كلهم وقبض على ابنة ملكهم الراجا ظاهر وكانت من الحسان وارسلها هدية الى امير المؤمنين فلما ثبات بين يديه اعجبته وطلب ان يتزوج بها فقالت له اعلم ايها الامير اني لا استحي ان اكون لك زوجة لان قائد جنودك الذي ارسلني اليك قد اساء معي الادب وفعل بي ما لا يليق فغضب الوليد من قبيح فعل محمد واصدر امراً بان يوتي به اليه ملفوقاً بجلد ثور ومخيطاً عليه فعند وصول الامر الى المعسكر قبض على محمد قاسم وارسل الى الخليفة على الوجه المذكور وفي اثناء الطريق فارقت الحياة وعند وصول الجثة الى بغداد استدعى الوليد الاميرة الهندية واراها ما حل بمقتصبها ففرحت وانتهجت ثم اخبرت الخليفة بان جميع ما حدثته به في شان محمد قاسم لم يكن له صحة ولكنها فعلت ذلك لتنتقم منه وتاخذ بثار ايها ووطنها فتعجب الخليفة من امرها وازدادت رغبته فيها وبعد موت القائد المذكور تجمعت طوائف الهنود وتعصبوا بعضهم مع البعض وحاربوا المسلمين واستخلصوا منهم جميع املاكهم وطردهم من بلادهم

وسنة ٩٦٧ للميلاد غزت الاعجام بلاد الهند مرة اخرى تحت راية سويكتاجي حاكم ولاية كندهار التي هي ولاية فارسية وعاصمتها غزنة فاتصر على ملك لاهور واستولى على جملة مدائن وصنها الى اراضي افغانستان وبعد موته خلفها لابنه محمود الغزنوي سنة ٩٩٧ ولما تمكن من الولاية حدثته نفسه بالاستقلالية والخروج عن طاعة الاعجام فعصاهم وحاربهم واستقل بولايته وكان ملكاً عالي الهبة شديد الباس غيوراً على دين الاسلام غزا الهند اثنتي عشرة مرة وغنم منها غنائم كثيرة وقتل من اهلها عدداً عظيماً وحمل ثروتها وسكانها الى غزنة حيث كان يباع الاسير بقيمة ريال . وبعد انتصارات عديدة توفي محمود المذكور سنة ١٠٢٠ وكانت مدة ملكه ٢٥ سنة ونقل خلفاؤه كرسي السلطنة من غزنة الى لاهور وجعلوها عاصمة افغانستان . ثم خلف العائلة الغزنوية العائلة الغورية واشهر ملوكها محمود الغوري وفي ايامه ايضاً امتدت فتوحات الاسلام في الهند



ثم قصد الهند شعوب المغول واخصهم تيمورلنك وخلفاؤه . واشهر ملوكهم محمد باير زخف على هندستان سنة ١٥٠٥ وبعد ما اخضع كندهار وكابول ودلهي واغراسس سلطنة الهند المغولية وبقيت في ايدي ذريته الى سنة ١٧٦٠ اما مدة ولاية المسلمين في تلك البلاد من زمن محمد الغزني الى انقراض دولة المغول فكانت ٢٥٠ سنة وعدد ولايتهم ٦٥

ومن اشهر ملوك المسلمين من العائلة المغولية الملك اورنزيب كان رجلاً ايساً شجاعاً ذا دراية وسياسة وكان مع هذه الاوصاف دينياً ورعاً زاهداً كثير الصلاة والصوم استولى على هذه المملكة من سنة ١٦٦٠ الى ١٧٠٧ وتغلب على كل اقاليمها وجعلها ولاية واحدة وبعد وفاته استولى نسله عليها مدة خمسين سنة وفي ايامهم غزا نادرشاه ملك الفرس تلك البلاد فاضرب باهلها ضرباً جسيماً وسلب اموالهم حتى قبل انه خرج منها بنحو عشرة ملايين من الليرات الانكليزية ما عدا الجواهر والامتعة الثمينة التي لم تكن اقل قيمة من المبلغ المذكور . وكان المستولي وقتئذ على الهند من ذرية اورنزيب محمد شاه فاستدعاه نادرشاه اليه بعد ان كان قد استولى على تلك الغنائم واجلسه على كرسي المملكة بحضور اشرف الهنود وعظماهم . ثم التفت بعد ذلك الى الحاضرين وقال لهم اعلوا اني راحل عنكم الى بلادي فيجب عليكم ان تكونوا في طاعة ملككم ولا تخالفوا له امراً وليكن عندكم معلوماً اني قد صرت لكم من الآن وصاعداً محباً وصديقاً فاعتدوا على كلامي هذا وتحققوه وكان في اثناء خطابه لهم ابصر على راس محمد شاه جوهرة ثمينة من نفيس الماس ( وهي المعروفة بالكوهينور التي هي الآن في قبضة ملكة انكلترا ) فاعجبته وطع في اخذها فجعل يؤكد لهم مزيد صداقته واستعداده لمساعدتهم ولكي يعلمهم واتقن بكلامه اراد ان يثبت ذلك العهد بعلامة ظاهرة حسب عوائد الشرق فترع عامته عن راسه ووضعها على راس محمد شاه بعد ان اخذ عن راس محمد شاه عامته ووضعها على راسه فكان ذلك التبادل نهاية سلبه

وكان اول من دخل من الافرنج الى بلاد الهند البورتوغالين سنة ١٤٩٨ وهم الذين اكتشفوا راس الرجا الصالح ودعوه بهذا الاسم وفي اقل من خمسين سنة صار لهم املاك واسعة ومدائن كثيرة في بلاد الهند ثم امتدوا الى اطراف السند وصار لهم عدة مراكز تجارية في بنكال ولكنهم اذ لم يحسنوا السلوك مع الاهالي مقتوهم واشهروا لهم الاذية والضرر. ولما انضمت البورتوغال الى اسبانيا سنة ١٥٨٠ وكانت يومئذ اسبانيا مضطربة الاحوال من جهة املاكها الاميركانية اهلته الالتفات الى حفظ املاكها الهندية فكان ذلك من اقوى الاسباب لخسرتها اياها تدريجاً

ثم بعد البورتوغالين دخل الفلمنكيون الى الهند في بداية القرن السابع عشر واستولوا على بعض شطوطها واستخلصوا من البورتوغالين سيلان وكوشين ونيفا بانام وغيرها لكنهم التزموا اخيراً ان يتنازلوا عن اغلب تلكاتهم الى الانكليز الذين دخلوا تلك البلاد من بعدهم

اما بداية دخول الانكليز دخولاً حقيقياً فكان سنة ١٦٠٠ حين تشكلت شراكة تجارية للتجارة في الهند الشرقية وكانت اول اقامتهم في سورات. وفي سنة ١٦٤٠ سمح لهم احد ولاة الهند بقطعة ارض تبلغ مساحتها خمسة اميال مربعة فابتنوا لهم فيها مركزاً ثم اشتروا من والٍ اخر بعض اراضٍ واقاموا فيها عدة مراكز وسكانت هذه المراكز اشبه بمخانات لوضع بضائعهم ومتاجرهم وذخائرهم الحربية لانهم كانوا دائماً يحفظون على انفسهم حذراً من غزوات الاهالي والافرنج الاجانب. ولا مر يريد الله حدث في اواسط القرن السابع عشر ان ابنة الشاه جهان في مدينة دلي احترقت وهي بالقرب من النار فارسل الشاه يطلب طبيباً من الانكليز فارسلوا له جراحاً ماهراً فعالجها حتى شفيت فسأله ابوها ان يطلب منه ما يريد ليكافئه على خدمته فطلب اليه امرأ باعطاء الرخصة للشراكة ان توصل تجارتها الى كل اقطار السلطنة بدون ان تدفع عليها رسماً ثانياً خلاف المدفوع في سورات وان ياذن لها

ايضاً بانشاء مراكز جديدة . فصادف هذا الطلب مزيد القبول وصدرت الاوامر باجرائه من ذلك اليوم . وسنة ١٦٦٢ وهب الشاه جهان المذكور كارلوس الثاني ملك انكلترا جزيرة بومبي فتنازل عنها الى الشراكة تحت مبلغ معلوم فنقلوا اليها من سورات وجعلوها مركزهم الاكبر بعد ما اقاموا فيها حاكماً انكليزياً

ومع ان الفرنسيين لم يدخلوا الهند الا بعد الانكليز بخمسين سنة فانهم في وقت قريب استلموا فيها املاكاً وكانت قوتهم وسطوتهم تفوقان قوة ونفوذ الانكليز في اول الامر اذ انهم قهرهم اكثر من مرة واخذوا منهم بعض املاكهم وبقيت في ايديهم مدة حتى استرجعوها فيما بعد . وكان للفرنساويين مزيد الاعتبار ونفوذ الكلمة بين الاهالي اكثر من غيرهم من الافرنج لانهم كانوا يتدخلون في امورهم الداخلية ويتواسطون فض مشاكلهم ويتحزبون في اغراضهم فكانت الاهالي تودهم وترغب في مصاحبتهم ولكن بعد ملاقات الانكليز للهنود في حرب بلاسي واستظهارهم عليهم بثلاثة الاف مقاتل تحت قيادة الرئيس كلايف بينما كان عدد الهنود خمسين الفا ارتفع شأنهم بين الاهالي ووقعت هيبتهم في قلوب الجميع فكان نجمهم في صعود بينا كان سعد الفرنسيين في هبوط وسقوط ولاسيما بعد انتصارهم عليهم في ١٢ ك ٢ سنة ١٧٦١ واسرهم حكمدارهم موسيولالي واستيلائهم على بونديشيري عاصمة مدتهم التي ارجعوها لهم عقب وقوع الصلح . فمن ذلك الوقت تناقصت السطوة الفرنسية في بلاد الهند واخذت شوكة الشراكة الانكليزية تتقوى شيئاً فشيئاً حتى استولت على الجانب الاكبر من بلاد الهند وصارت ذات اهمية عظيمة . فما اضاعته انكلترا في القرن الثامن عشر من املاكها الاميركانية استعاضته في الوقت ذاته من بلاد الهند ولكن بعد مشقات كثيرة ونفقات وافية لان القنف الداخلية كانت بلا انقطاع وعصيان الاهالي كثيراً ما زرع اركان الشراكة واستمرت حكومة الهند في ايدي الشراكة الى سنة ١٨٦٠ حين استلمت

زامها الحكومة الانكليزية وهي الآن في يدها وتحت تصرف احكامها وابرادها السنوي يعادل ابراد انكلترا الذي يجاوز سبعين مليون ليرة انكليزية

## الفصل الثالث عشر

### في باقي مال ك اسيا

كان كلامنا في ما سبق على اشهر دول اسيا وما لكها واذ وجد ايضاً عدّة مال ك في هذه القارة راينا ان تعرض لذكرها بوجه الاختصار فنقول . من جملة هذه المالك طوائف السكثيين اقاموا في الجهة الشمالية من اسيا وكانوا شعوباً متوحشين انصفوا بالقوة وشدة الباس ولاسيا رمي النبال وقد توغلت جموعهم في جهة الجنوب وافتتحوا عدّة مال ك في تلك الاطراف واستولوا عليها وقد اجتهد كثير من ملوك اوروبا واسيا ان يدخلوا هؤلاء القوم تحت الطاعة والانقياد فاقاموا عليهم حروباً كثيرة ولم ينجحوا . ومن هذه الامة تكونت مملكة الفرثيين التي امتدت سطوتها فيما بعد الى بلاد فارس وغيرها من المالك واستمر حكمها نحو خمس مئة سنة وذلك من سنة ٢٥٠ ق م الى سنة ٢٥٠ بعد المسيح

وعلى توالي الايام سميت اراضي السكثيين بلاد التتر وهم شعوب كثيرة متفرقة ولكنهم ليسوا احسن حالة ما كانوا عليه في الايام السابقة وهم ينتسمون الآن الى ثلاثة اقسام . القسم الاكبر منها في الاقسام الشمالية من اسيا وهو تحت نسلط المسكوب وطوائف متعددة يجولون بين تلك البراري الشاسعة وليس

لما من امرهم تاريخاً يذكر والقسم الاوسط تحت حكم الصين واما القسم الاصغر  
فدو حرية واستقلال لا يتسلط عليه احد وهو المعروف ببلاد التتر المستقلة  
وامهله من قبائل مخنانه وكل قبيلة منها يتسلط عليها امير جنسها واما ديانهم  
فمنهم مسلمون وشيعة يضاھون العجم مذهباً

وقد اشتهر من رجال هذه البلاد جملة اشخاص يستحقون الذكر منهم ترموجين  
الذي سمي جنكيزخان من قبيلة المغول كان ابوه حاكماً على بعض قبائل  
تتريه عند شاطي نهر سلتيكما يبلغ عددها ٢٠ او ٤٠ الف عائلة وبعد وفاة ابيه  
سنة ١١٦٤ اظهرت الرعايا العصيان فنهض جنكيز لخاربتهم وهو يومئذ ابن  
١٢ سنة واخذ يخضعهم شيئاً فشيئاً حتى تغلب عليهم جميعاً فعظم امره واكتسب  
شهرة عظيمة ونودي باسمه خاناً على المغول والتتار وسمي جنكيز خان الذي  
تفسيره خان الخانات ومن جملة حروبه انه غزا بلاد الصين الشمالية وافتتحها ثم  
زحف بسبع مئة الف مقاتل من المغول والتتار على بلاد الاسلامية فاخضعها  
وخرّب مدنها وامتدت غزواته من ولايات العم الغربية الى شطوط نهر الفولكا  
واقصى سواحل بحر الخزر. وكان جنكيزخان المذكور اشد قسوة من سبقة  
وخلفه من الملوك الظالمين وما يحكى عنه انه امر مرة بقتل مئة الف رجل من  
اسراه في يوم واحد وينسب اليه هلاك ١٤ مليوناً من الجنس البشري الذين  
قتلوا بحروبه وغاراته المتتابعة. وقام بعد جنكيزخان اولاده الاربعة فحاربوا  
مالك اسيا وافتحوها تقريباً واوصلوا فتوحاتهم الى قسم كبير من اوروبا ولاسيا  
كولي خان حميد جنكيزخان فانه كان قد اكمل افتتاح الصين وقرض  
منها فضلات العائلة الملكية الصينية ثم بنى مدينة باكين وجعلها عاصمة المملكة  
واخضع بنكال وتبيت وضرب على اهلها الخراج. ومن ذرية جنكيزخان  
الملك هلاكو الذي قلب سلطة الخلافة الاسلامية وخرّب مدينة بغداد ثم  
غيره من الملوك الذين اخضعوا كثيراً من البلاد الاوروبية بواسطة قواد  
جيوشهم ولكن لم يمض كثير حتى ان تلك القواد خلعت طاعة ملوكها واستقلت

في الولايات التي افتتحتها ورفضت العبادة الاصنامية وعوائد المغول والدينيين  
القبيلة واعتمدت الديانة الاسلامية

ومنهم ايضاً تيمورلك اي تيمور الاعرج ولد في مدينة القش بالقرب من  
سمرقند من اعمال بخارا سنة ١٣٣٦ وكان نسبة متصلاً بمجنكيزخان من النساء  
ولما اشتهر امره اقام عمة والياً على احكام القش وسار لافتتاح الممالك واخذ  
حيثما يتقدم شيئاً فشيئاً حتى ساد واستولى على كثير من الاقطار . سنة ١٣٧٠  
سعى نفسه خاناً واخضع مدينة خوارزم وقشغر وجميع اطراف اسيا شرقي بحر  
الخزر ثم تغلب على بلاد ابران وما يليها ومنها تحول الى روسيا فنهب مدينة  
ازوف وهدمها ثم زحف بجيوشه الى الهند واجتاز السد وحارب الملك محمد  
الرابع تحت اسوار مدينة دلي فهزموه وامتلك المدينة مع باقي الولايات التابعة  
لها ثم قصد بلاد سورية سنة ١٤٠٠ وافتتح حلب والشام وسائر المدن الشامية  
واستخلصها من يدي سلطان مصر ثم سار الى بغداد سنة ١٤٠١ فحاصرها وهدم  
ابراجها ووقع باهلها . ولما تهدت له ولايات تلك البلاد نهض لمحاربة بني  
عثمان فحاربهم واستولى على امصارهم وقواعدهم واسر السلطان بيازيد في حرب  
دموية جرت بينهما في انقرة سنة ١٤٠٢ وسجنه في قنص من حديد ومن هناك  
حول وجهة الى الشرق قاصداً بلاد الصين بمئتي الف مقاتل ولكنه مات على  
الطريق سنة ١٤٠٥ ومن اعماله القبيحة انه امر باحراق مدن كثيرة منها الشام  
وبغداد ودلي وفي هذه المدينة امر بمخنق مئة الف من الاسرى وغير ذلك من  
الاعمال الفظيعة

ومن ممالك اسيا مملكة يابان على الجهة الشرقية من بلاد الصين هي  
مجموع جزائر في الاوقيانوس المحيط اعظمها جزيرة نيفون وعدد سكان هذه  
المملكة نحو ٢٦ مليوناً وهم في الاصل صينيون هاجروا بلادهم في الازمنة السالفة  
بسبب مغازي التدر وجور المغول واستوطنوا في هذه الجزائر ولذلك يشبهون  
اهل الصين في الهيئة والعوائد والدين . ومن اعظم مدنها مدينة يدو وهي قاعدة

السلطنة وليس ليومها الا طبقة واحدة او طبقتان فقط بسبب الزلازل وميناؤها غير عميق لا يمكن للسفن ان ترسو الا على بعد خمسة فراسخ ومحيط ببلاط السلطان جدران من الحجر وخنادق وقناطر توضع وترفع عند الحاجة ومحيط ذلك البلاط خمسة فراسخ كل فرسخ مسير ساعة وبها ديوان طولة ست مئة قدم وعرضه ثلاث مئة ولها برج مربع سقته من خشب الارز والكافور وهو مزين بشعايف مذهبة وتصاوير مزخرفة وفرشة منحصر في حصر يضاء مزينة بالفرش والمساند المشغولة بالذهب

واهل يابان بوجه الاجمال حسان المنظر وعندهم سهولة في حركاتهم وبنيتهم قوية ليسوا بالطوال ولا بالقصار ولونهم يضرب الى الاصفرار واهيانا يميل الى السمرة ونساء اكابهم لا يتعرضن للهواء والشمس من غير قناع . واوصاف الاهالي بوجه العموم تمتاز عن غيرها من الناس بعيونها فان شكل عين الواحد منهم يبعد عن الاستدارة فتكون العين مستطيلة صغيرة في الراس واجنان عيونهم مشقوقة شقا عميقا واهدانهم اعلى من مكانها المعتاد عند غيرهم . واغلبهم عريض الراس قصير الرقبة غليظ الانف كانه مجدوع وشعورهم سوداء كثيفة برافة وهم يحلقون نصف شعر رؤوسهم والباقى يرفعونه الى وسط رؤوسهم على شكل العنبرية (الشفطية) بخلاف الصينيين ويتأرون في اسفارهم بمازر ضخمة من ورق مدهون بالزيت . وتحينهم عبارة عن انحنائهم عدة مرات كالركوع . ويحملون في ايديهم المراوح ويفتحون بشدة تدقيهم في النظافة . ومن عوائدهم انهم يحرقون اجسام الموتى من اعيانهم ويشهرون عيدا يسمى عيد المصابيح كما يقع ذلك في بلاد الصين ولكنهم يضيفون اليه زيارة القبور في اوقات معلومة . والامر مجهول هل عرف الاقدمون شيئا عن احوال هذه الملكة ام لالان التوارنج لا تفيدنا عنها شيئا وبقي وجودها مجهولا للناس الى سنة ١٤٠٠ للمسيح حين اكتشفها الاوروبيون ولكن اذ لم يسح للاجانب ان يدخلوها الا حديثا كانت معرفتنا بها قليلة . والظاهر انه قد دخل هذه البلاد مؤخرا بعض

التنوير لان ملكها شارع الآن في تحسين حالها واصلاحها وملتفت جداً الى ترقية اسباب المعارف والصنائع فيها وقد استجلب عدة معلمين ومهندسين من اميركا وفرنسا لفتح المدارس ونظم المعامل على اختلافه صنوفها وغير ذلك من الامور المتعلقة بنجاح البلاد

ومن ممالك اسيا ايضاً ارمينية وكانت في الازمنة القديمة مملكة عظيمة الشأن يتدي تاريخها من بعد الطوفان زمن يسير مؤسسها يافث بن نوح ومن اشهر ملوكها الملك هايكوس ثم ارمانياك ثم ارمايوس ثم آرام ثم الملك ابكاربيوس المعروف بالايجر الذي كان في عصر المسيح واستمرت هذه المملكة في زهوها وعزها نحو الف سنة ثم تغلب عليها الماديون والفرس ثم اسكندر الكبير وبعد وفاته تسلط عليها السريان الى ان تغلب عليها وزير اطيوخوس الكبير اللذان قاما على ملكها وخلصا طاعته وعصياه سنة ٢٢٢ ق م قسما المملكة بينها الى قسمين فالتقسيم الواحد كان يدعى ارمينية الكبرى والآخر ارمينية الصغرى. وبعد ذلك بزمان تسلط عليها الرومانيون والحكم سنة ١٥٢٢ مسيحية ثم تسلط عليها آل عثمان ولم تزل خاضعة لهم الى الآن

ومن هذه الممالك تركيا في اسيا وسياتي ذكرها منصلاً ان شاء الله تعالى عند ذكر دولة آل عثمان في اوروبا. وفي قارة اسيا ايضاً عدة ممالك غير هذه لم تعرض لذكرها لعدم شهرتها كمملكة سيام وكوشن وبرهمن وكابول وبلوخستان وغيرها من البلاد التي لا تتم معرفتها. وفي الاقسام الشمالية من اسيا تسكن طوائف من التتر التي يجولانها بين تلك البراري المتسعة في تلك القرون الماضية لم تترك لنا تاريخاً واضحاً واما الآن فهي تحت تسلط دولة المسكوب



# القسم الثاني

في قارة افريقية

## الفصل الاول

في جغرافية افريقية واهلها وهوائها

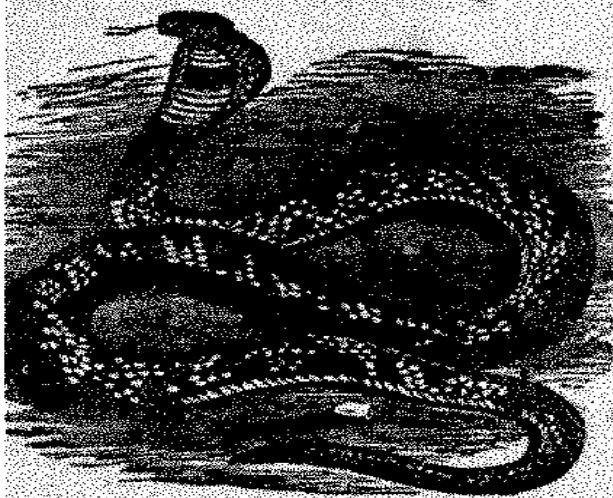
هذه القارة احد اقسام العالم الخمسة تبلغ مساحتها نحو ربع مساحة كل الارض مجدها شمالاً بحر الروم والاقويانوس الانلاتيكي وشرقاً برزخ السويس والبحر الاحمر والاقويانوس الهندي وجنوباً الاقويانوس الجنوبي وغرباً الاقويانوس الانلاتيكي وكانت قبل فتح برزخ السويس ووصل البحر الاحمر ببحر الروم متصلة بقارة اسيا براً واما الآن فقد اصحبت جزيرة مكنتفة بالماء وهذا البرزخ اصحى خليجاً بعد ما كان قد شرع كثيرون في فتحه قبل المسيح بست مئة وعشر سنين ولم يتم هذا العمل العظيم حتى شرع فيه صاحب الحزم والهمة الخواجا فردينند دي ليسبس الفرنساوي بنفقة شراكة عمومية وذلك بعناية حضرة خديوي مصر وانتهى فتحه سنة ١٨٦٩ بحضور محفل عظيم من الملوك والامراء الاوربيين وهو يعد الآن من اهم واعظم الاعمال البشرية التي جرت

في الدنيا واصبح العالم الغربي متصلاً بالعالم الشرقي على اسهل واقرب طريق  
بعد تلك المسافة الشاقة والمدى الطويل

ولا يخفى ان في هذه القارة بلاداً كثيرة مجهولة الحال لا تُعرف على وجه  
الحقيقة وذلك لعدم امكان وصول ارباب الاكتشافات اليها نظراً لمخاطرها .  
وقد اجتهد كثيرون من السياح على معرفة اقاليمها واحوال اهاليها والوقوف  
على اراضيها المجهولة فقصدها من بلاد بعيدة وتوغلوا في بطون اراضيها فمهم  
من مات مريضاً ومنهم من مات قتيلاً ولذلك يُعتبر اغلب اهالي هذه القارة  
اقل تمدناً من سكان سائر القارات

ولكن سنة ١٨٦٦ ارسلت الحكومة الانكليزية الدكتور لفنستون السائح  
الافريقي الشهير لاجل اكتشاف باطن افريقية الى الجنوب من خط الاستواء  
ولاجل الوقوف على التجارة بالعبيد . ومن ذلك الوقت لم يظهر خبر عن  
السائح المذكور الى ان ذهب رجل اميركاني في طلبه اسمه ستانلي سنة ١٨٧٢  
وبعد سفر طويل وجده مريضاً في اوجيبي وكان قد فرغ زاده وماله فبقي  
عنده مدة من الزمان وسافرا سوية في بحيرة تانكنيكا . ثم رجع ستانلي وبقي  
لفنستون يجول في تلك الاراضي الواقعة بين خط الاستواء وعشرين درجة من  
العرض الى الجنوب . وقد ظهر الى الآن من اسفاره ان البلاد التي في تلك  
النواحي مرتفعة عن البحر ارتفاعاً عظيماً ومشعونة بالبحيرات والانهار التي يستقى  
نهر النيل اليها . وقد وجد التجارة بالعبيد هناك على شر حاله وبناء على ذلك  
ارسلت الحكومة الانكليزية حديثاً السير بارتل فريبر الى سلطان زنجبار الذي  
يتعاطى شعبة هذه التجارة الفظيعة وبعد مناظرات طويلة عقدت معه عهداً على  
ابطالها كما انها سمعت في ابطالها في بلاد مصر وغير اماكن من سواحل افريقية  
حتى يمكن القول ان الاتجار بالعبيد صار على وشك الزوال تماماً . وقد مات  
لفنستون بعد ذلك بسنين قليلة وكثير تردد ستانلي وغيره الى باطن افريقية  
وعرف كثيراً من امورها بما ستاتي بفوائد حجة للدين والدنيا

اما هواء هذه القارة فهو حار جداً نظراً الى وضعها الطبيعي وهي قليلة الامطار والاشجار والجبال . واما صحاريها ورسومها فكثيرة جداً ويعسر المرور فيها وفي بعض الاماكن تهب ريح السموم وهي مضرّة جداً ولا سيما للحيوان والنبات . وفي اواسط افريقية كثير من الحيوانات البرية والوحوش الضاربة



كالاسد والنمر والفهد والضبع والفيل والكركدن اي وحيد القرن والزرافة . وفي اجامها انواع من القرود والحيات العظيمة منها البواء وهو جنس كثير الضرر يبلغ طوله عشرين ذراعاً . وفي صحاريها كثير من النعام وانواع الابل والغزلان . وفي مجرياتها وانهرها التمساح

انعى من افاعي مصر السامة

وفرس البحر وفيها ايضاً اجناس عديدة من الطيور المختلفة

اما عدد سكان هذه القارة فيبلغ تقريباً مئة مليون نفس منه سوادان وبرابرة واقباط وحبشة وغيرهم . وفي الصحراء الشمالية الكبيرة كثيرة من قبائل العرب الرّحل يجولون من مكان الى مكان بجملهم وخيولهم في طلب الغزو والمرعى كما في بلاد العرب . والديانة العامة هي الاسلامية وبين السودان مذاهب مختلفة من العبادة الاصنامية . ومع ان اللغة العامة هي العربية توجد لغات كثيرة متنوعة في اواسط القارة

والمرجح ان اهل هذه القارة هم من نسل حام بن نوح الذي اتى وسكن ارض مصر بعد بناء برج بابل وما يؤيد ذلك قرب مصر الى بلاد شنعار ورغبة مصرايم ابنة ان يسكنها ويؤسس فيها مملكة

وتنقسم هذه القارة الى عدة ممالك منها الديار المصرية التي اشتهرت قديماً

أكثر من سواها من الممالك بالمعارف والفنون كما سيأتي الكلام عليها في الفصل الآتي . ثم بلاد المغرب ويقال لها أيضاً بلاد البربر كتونس وطرابلس والجزائر ومراكش وغيرها ثم بلاد النوبة والحبيشة والسودان في أواسط القارة وغيرها من الأقاليم مما لا يسعنا ذكرها في هذا المختصر



## الفصل الثاني

في تاريخ مصر

### الباب الأول

في جغرافية مصر

يحدُّ هذه البلاد شمالاً البحر المتوسط وشرقاً البحر الأحمر وخليج السويس وجنوباً بلاد النوبة وغرباً الصحراء وبلاد رقة وهي على شكل وادٍ بكتنفه جيلان شرقي وغربي يغلظها نهر النيل من الجنوب الى الشمال ويصب في البحر المالح بقرب مدينتي دمياط ورشيد وهو نهر عظيم يصلح لركوب السفن يفيض مرة في كل سنة في مدة معينة تقريباً بين ١٥ حزيران وأواسط ايلول فيبتدي النهر يزيد قليلاً قليلاً في مدة ثلاثة اشهر وفي ٥ اب تفتح الترع وتجري فيها المياه وتنتد الى داخل الاراضي البعيدة وتسقيها . ثم من تشرين الاول يبتدئ ينقص الى آخر ايار ولولاهُ لكانت ديار مصر في حالة تعيسة لقلة الامطار لانه لا يقع بها مطراً في الارياض والقرى الجرية ونادراً في الجهة الجنوبية وقد وصف

هذا النهر بعض الشعراء فقال

كان النيل ذو فهمٍ ولبٍ      لما يبدو لخير الناس منه  
فيا تي حيث حاجتهم اليه      ويضي حين يستغنون عنه

وانقسمت مصر قديماً الى ثلاثة اقسام كبرى . الاول مصر العليا اي الصعيد المتصل ببلاد النوبة التي قسم كبير منها تابع احكام مصر وكانت قاعدتها مدينة ثيبة . ثم مصر الوسطى التي كانت عاصمتها مدينة منفيس الواقعة بقرب اهرام الجيزة تجاه مدينة القاهرة الحالية وقد اضمحت الان خراباً بعد ان كانت من اشهر مدائن العالم وكري الفراغة في ذلك الزمان . ثم مصر السفلى المعروفة باسم دلتا وسميت دلتا لانها اذ كانت منحصرة بين جدولين من النهر شرقاً وغرباً والبحر شمالاً صارت مثلثاً فاشبهت الحرف الرابع في اللغة اليونانية Δ وسميت باسمه . وكانت عاصمة هذا القسم مدينة هليوبوليس انمحت وبنيت على اساساتها مدينة الاسكندرية ويتبعه ايضاً مدن اخرى شهيرة لا يسعنا تبيانها اما تربة هذه البلاد فتعد من الدرجة الاولى في الخصب ومحاصيلها كثيرة اخصها القطن والحنطة والفول وقصب السكر وهي بالاجمال بلاد غنية جداً . اما عدد سكانها فيبلغ نحو ستة ملايين ويسكنها كثير من الاجانب والديانة الغالبة فيها الاسلامية وبنيتها القبطية . وعلى راي المؤرخين ان الاقباط هم المنصرون من ذرية الامة المصرية القديمة واكثرهم يسكنون بلاد الصعيد ونوبة واغلبهم تجار وساسة وكتبة . واما لغتهم فقد تلاشت واندثرت في اواسط القرن السابع عشر ولم يبق من اثارها الا بعض كتب فقط قل من يفهمها وهم الان يتكلمون باللغة العربية ولم بطربرك كرسية مدينة جرجاء يدعى البطريرك الاسكندري والاورشليمي . وما زال القبط في هذه الايام على طريقة العهد القديم من جهة الختان

وفي هذه البلاد تأسست الرهبنة اولاً . فانه بسبب الاضطهاد الذي اثاره الامبراطور ديسوس على المسيحيين في القرن الثالث فر كثير منهم الى البراري

للتخلص من جور الحكام وكان من جملة النازحين رجل يقال له بولس من مدينة ثيبة انفرد بذاتيه وانعكف على العبادة والاصوام فحسب اول من ظهر فيه روح الرهبة . ولكنه ظهر في اوائل القرن الرابع رجل آخر يدعى انطونيوس فبنى دبراً وجمع فيه اناساً من كانوا يميلون للاعتزال عن العالم ونظم لهم قوانين للسلوك بموجبها ولذلك سمي بابي الرهبان . ثم ان هذه الطريقة اخذت في الامتداد حتى اتصلت الى فلسطين وسورية بواسطة احد خلفاء انطونيوس وبالتدرج عمت اكثر عالم النصرانية

## الباب الثاني

في تاريخ مصر واهم الحوادث المتعلقة بفراعنتها من سنة  
٢٢٠٠ ق م الى خروج الاسرائيليين<sup>(١)</sup>

اما اخبار مصر القديمة وفراعنتها فمحاطة بظلمة كثيفة وقلما يوثق بها

(١) انه اذ لم يتفق علماء التاريخ حتى الآن من جهة بداءة التاريخ المصري بعسر علينا تعيين تاريخ ما لاعصرو الاولى غير اننا نقول انه اذا سلمنا بسلسلة تتابع الدول المصرية على ما جاءه يونانيو المورخ المصري وبالكنايات المبروغرافية المنقوشة على الاثار القديمة التي يظهر انها توافقه نضطر ان نرجع كثيراً الى وراه التاريخ الدارج الذي يجعل مجيء المسيح ٢٢٤٨ سنة بعد الطوفان والمدة من الخليفة الى المسيح ٤٠٠٤ سنوات فلا يخفى ان التاريخ الجاري قائم على مجموع انساب مختلفة ذكرت التوراة خاصة في سفر التكوين مستخرج من اعمار البطاركة ولكنه امر معلوم ايضاً ان كل درجات الانساب لم تكن ضرورية الذكر في جداول اليهود كما يتضح من سلسلة نسب المسيح في لوقا ص ٢٦:٢ حيث يذكر قينان مع انه قد اهل ذكره في التكوين وكما يظهر ايضاً من ترتيب متى عمود نسب المسيح اذ يجعل المدة من ابراهيم اليو ثلث مرات ١٤ جيلاً . ثم اذا حسبنا المدة الفاصلة بين الطوفان وولادة ابراهيم من مواليد واعمار البطاركة العشرة

للاختلاف الواقع في عدد اسماء ملوكها وتواريخها . اما اسماء الملوك وعدد سني تسلطهم على رواية مانيتو المورخ المصري فلم تكن جميعها متتابعة بل كان ملوك كثيرين في عصر واحد منهم من كان مستقلاً باقليم ومنهم من كان منفرداً بقطاعه اخرى ودُعوا جميعهم فراعة جمع فرعون وهي كلمة مصرية اصلها فاراه ومعناها نور الشمس . وقد عد المورخون دولها قبل فتوح الاسلام فكانت نحو ثلاثين دولة فالدولة الاولى كانت قبل المسيح بنحو ٢٢٠٠ سنة واول ملوكها منتر المسمى بالتوراة مصرايم فكان معتبراً بين شعبه ومهيباً عندهم حتى انهم قدموا له العبادة كاله وهو الذي بنى مدينة منفيس وحول النيل عن مجراه الاصلي واصلح احوال الرعية بتحسين الزراعة ونظم القوانين والاحكام وكانت مدة حكمه نحو ٦٢ سنة . وتلك بعده ابنة اثوثيس ويقال انه تولى على مصر العليا او الصعيد مدة ٣٠ سنة في ايام ابيه وحكم بعده ٢٧ سنة وهو الذي شرع في تزيين مدينة منفيس وتحسينها وبنى فيها الهياكل والقصور المشيدة وفي ايامه كانت الدولة الثانية والثالثة متسلطتين على بعض اطراف المملكة . وذكر مانيتو انه في حكم فرعون فيخوس الملك الثاني من الدولة الثانية تعين الثور ايس الها في منفيس وبعد موت فيخوس المذكور تولى بوسيريس الذي بنى مدينة ثيبة في بلاد الصعيد المدعوة الان لقصراي الكبحاج وجعلها تحت الملك وكانت من اعظم مدائن مصر في الزمان القديم

اما الدولة الرابعة فكان سربر ملكها في مدينة منفيس . ومن مشاهير

المتسلطين من سام ( تك ١١: ١٠ الى ٢٦ ) نجدها حسب النسخة العبرانية لا تتجاوز ٢٥١ سنة حال كون النسختين السامرية والسبعينية تتفقان بجمل تلك المدة ٩٤٢ سنة . فبناء على ذلك لا يمكن الاعتماد على تلك السلاسل السمية ولا اعتبارها جداول اصلية لتاريخ العالم العام لان النبي مومي لم يقصد فيها ضبط تاريخ عمومي للخليفة ولا ان يحدد زمن الطوفان بالنسبة الى الزمن الذي عاش هوفيو بل قصد ذكر ملخص نسب الملخص الموعد به . ولكن مع كل ذلك قد استنسبنا ان تتبع في هذا الكتاب التاريخ الماخوذ عن الجداول الموصوية زنتفق مع من اخذنا عنهم اقوالنا

فراءتها الملك شوري ومنقاري وسوفيس الاول ثم سوفيس الثاني وهو اخو  
سوفيس الاول ثم الملك شوفو واخوه نوشوفو وها اللذان بنيا الهرم الاكبر في  
ارض الجيزة وملكا معا كما يظهر من كتابة اسميهما المنقوشة على بعض حجارة  
الهرم المذكور وقد وجد فيه مدفنان لها وها غرفتان متقاربتان في جوانب  
ذلك الهرم واما الملك منقاري فقد وجد اسمه في الهرم الثالث وتابوته الآن بين  
الآثار القديمة في مدينة لندن

واما فراغة الدولة الخامسة فكانوا تسعة ملوك اشهرهم أسركيف وشافري  
ونفراكريس اما الملك شافري فهو الذي بنى الهرم الثاني ولكن نُسب الى  
سرس الثاني نخطا

ومن ملوك الدولة السادسة الملكة نيكاتوريس وكانت من اجل نساء  
عصرها حسنا واشهرهن فضلا وكالا قيل كان لها اخ قتله بعض رجال دولتها  
بغضا وحسدا فاحنالت عليهم الى ان جذبتهن الى قصر لها تحت الارض بقرب  
النيل بداعي وليمة اعدتها لهم فلما نهوا بالاكل والشرب امرت بان ينساب  
عليهم ماء النهر ففرقوا جميعا

وفي ايام الدولة الثانية عشرة صارت مصر مملكة واحدة في دار ملك  
واحدة وهي مدينة ثيبة التي كانت تخنا لاحدى الدول واول من استقل بالملكة  
وتغلب على باقي ولاياتها اوسيرطاسن الثالث من ملوك الدولة الثانية عشرة  
والبعض يظنون انه سينوستريس ولكن اليونان يطلقون اسم سينوستريس  
على رمسيس الثاني احد ملوك الدولة التاسعة عشرة كما سيأتي البيان . والى هذا  
الملك ينسب تاسيس مدينة الكرنك في بلاد الصعيد وافتتاح بلاد الحبشة  
والعبيد . ثم خلفه عامونتهي الثالث الذي اقام الابنية العظيمة في اقليم اليوم  
ورسم عليها اسمه وكانت مدة ملكه اربعا واربعين سنة

اما ملوك الدولة الثالثة عشرة والرابعة عشرة فلا يوجد لها اخبار صريحة  
حتى ان جميع مولفات المورخين قد خلت من ذكر اخبارها وتفاصيل احوالها .



وأما الدولتان الخامسة عشرة والسادسة عشرة فاصلها من مدينة ثيبة التي كانت تحت حكمها وكان آخر ملوك الدولة السادسة عشرة يدعى طياوس وفي أيامه كانت اغارة الملوك الرعاة على مملكة مصر وهي الدولة السابعة عشرة العربية المعاصرة للدولة السابعة عشرة المصرية الملكية

ان افتتاح الرعاة بلاد مصر هو حادثة كثيرة الاهمية في التاريخ المصري وقد وقع الاختلاف بين المؤرخين واهل التحقيق من جهة هؤلاء القوم فبعضهم يجعلهم من الامة العبرانية وبعضهم يقول انهم من اهل فينيقية ولكن هذه النصوص لا تطابق هيئة اشكالهم المرسومة على الاثار المصرية لانهم كانوا يصورن على الاعداء والصخور كشعب موسومة اجسادهم بالوشم الازرق ومنتخبين مجلود غنم فهذه الاشارات تدل على امة عربية لا على شعوب عبرانية او فينيقية ولا سيما ان دولتهم كانت تسمى هيئك سوس في اللغة المصرية اي الملوك الرعاة لان لفظة هيئك كانت تستعمل عند قدماء المصريين بمعنى الملك ومعنى سوس الرعاة فاذا زيد عليها واو وقيل سوسو كانت بمعنى العرب . وخلاصة الكلام فيهم انه في زمن الملك طياوس احد ملوك الدولة السادسة عشرة جاء الى مصر طوائف مختلفة تحت راية الوليد بن دومغ وهو الذي يسى عند اليونان سلاطيس فحارب مصر السفلى والوسطى وتغلب عليها بعد هجمات كثيرة وحروب هائلة ولما استقر بالولاية احرق المعابد والهياكل وبنى القلاع والمحصون وشحنها بالعساكر ومهمات الحرب خوفاً من هجوم المصريين وغيرهم من الطوائف الاجنبية على البلاد وجعل مدينة منفيس تحت الملكية وانتقل ملك مصر الى الملوك الرعاة ما عدا بلاد الصعيد فانها بقيت مستقلة تحت حكم العائلة الملكية المصرية في مدينة ثيبة التي هي دار الفراعنة . وفي ذلك الوقت كان في الديار المصرية مملكتان وهما مملكة الفراعنة ومملكة الملوك الرعاة المتغلبين في منفيس . وكان المصريون بكرهونهم وينفرون منهم لنفساوتهم وكثرة جورهم واحترام الديانة المصرية واستمرت احكام البلاد في ايديهم نحو ٢٦٠ سنة وقال بعضهم ٥١١ سنة ويصعب

تعيين وضبط تاريخ مدقق لتلك الاعصار الاولى لعدم اتفاق المؤرخين في ذلك ولعل الاول هو الاصح وما زالت البلاد تحت تسلطهم حتى استخلصها منهم فرعون اموسيس بعد وقائع وحروب متعددة

وتولى بعد اموسيس المذكور ابنة امنوفيس الاول نحو سنة ١٨٠٠ ق م وهو راس الدولة الثامنة عشرة فاعاد كرسي المملكة في منفيس واستقل باحكام مصر مع مضافاتها ولواحقها . وفي ايامه وجد كثير من صور الخيول منقوشة ومرسومة على الحجارة والصخور والمظنون ان هذه الحيوانات لم يكن لها وجود قبل دخول الرعاة الى مصر ولكن هم الذين ادخلوها لانها لو كانت موجودة قديماً لكان لا بد من نقشها مع باقي الحيوانات التي كانت الاهالي تعني رسمها وقد كثر هذا النوع من الحيوانات في تلك البلاد حتى صارت التجار تستجلبه من الديار المصرية الى الاقطار الشامية في ايام الملك سليمان بن داود . وما يستحق ان يذكر انه وجد في هذه الايام تابوت والدته هذا الملك ومن داخله قلادة وسلسلة من الذهب مع سيف وتاج عليه تماثلان من الذهب وهو الآن محفوظ في بيب الاثار القديمة ببولاق وبالجملة قد تحسنت مصر في ايام هذا الملك وسرت الناس باحكامه . ومن اثار هذا الملك الرواق الشهير الموجود في هيكل الكرنك الذي هو من ابداع الابنية القديمة ولم يزل الى الآن اسمه مرسوماً على الفناطر القريديية التي بنواحي ثيبة وصورته في قاعة التصاوير الملكية بالصعيد ومجاذبه ملكة حبشية ومن ذلك يستدل على ان المصريين كانوا يتزوجون بالسودان

ومن ملوك هذه الدولة فرعون طوطيس الثالث ملك سنة ١٧٥١ ق م وكان من عظام ملوك الدولة الثامنة عشرة لانه فتح مدناً كثيرة اكثر من جميع سلفائه ومن جملة اثاره المسلة التي نقلت الى الاسكندرية والمسلة التي هي الآن في القسطنطينية واخرى في رومية مكتوب عليها اسمه وله ايضاً اثار اخرى عظيمة منها الرواق الملكي الموجود في الكرنك وصورته هنالك ايضاً . وهو الذي بيع

يوسف الى مصر في ايامه على ما يُظن وفسرّاة احلامه المذكورة في الاسفار الموسوية وتقدم في بابه تقدماً عظيماً حتى صار صاحب الحُلِّ والربط وقد اختلف المؤرخون من جهة شخص فرعون يوسف من هو من الفراعنة فزعم البعض انه كان من الملوك الرعاة الذين تغلبوا على مصر واسم الريان بن الوليد المعروف عند اليونان باسم ابي فاس وقال احد المتأخرين ان هذا الزعم لا يصح نظراً لتقدم عهد تلك المدة والاصح ان دخول يوسف الى مصر كان بعد انقراض دولة الرعاة . ويؤيد ذلك كلام مانيشو المؤرخ اذ قال في كلامه على مهينة منب وعاش بها يوسف وتسلط على البلاد في زمن اقدر واعظم فراعنة الملكة الجديدة بعد نفي الرعاة وخروجهم من البلاد . ثم من قصة يوسف المذكورة في التوراة نرى ان مصر كانت في ذلك الوقت مملكة مستقلة بذاتها وان استعدادات فرعون واهلياطاته في سني المجاعة يتضح منها ان رياسته كانت ممتدة على كل بلاد مصر كما يتضح من كلام يوسف لآخوته بقوله لم ان الله قد جعلني ابا لفرعون وسيدا لكل بيته ومسلطاً على كل ارض مصر . والمعروف من التواريخ ان دولة الرعاة عند ما استظهرت على الديار المصرية لم تغلب على كل اقطار المملكة بل على اسافلها واربافها فلو فرضنا ان ذلك الملك كان من طائفة الرعاة كما توهمه اكثر المؤرخين لما قال ليوسف اني جعلتك مسلطاً على كل ارض مصر لان احكامه لم تكن ممتدة على كل ارض مصر بل كانت محدودة من شطوط بحر الروم الى اطراف بحر السويس ما عدا بلاد الصعيد التي هي اكبر اقسام مصر واعظمها . ومن كلام فرعون ليوسف حيث يقول ان علمت انه يوجد بين اخوتك احد يحسن الرعي فاجعلهم رعاة وروساء على مواشي يستدل على انه لم يكن بين عبيد فرعون من يحسن تربية المواشي ولذلك اخار الملك اخوة يوسف ليس فقط لمهارتهم بل ليعلموا المصريين تلك الصناعة . فلو كان فرعون من ملوك العرب الرعاة لوجد في قومه من العرب او العالقة من هم اخبر وادري من اخوة يوسف

بسياسة المواشي فينتضح مما تقدم ان فرعون يوسف لم يكن من ملوك العرب او  
العائلة بل كان من العائلة المصرية

ومن ملوك الدولة الثامنة عشرة امنوفيس الثالث الملقب عند اليونان  
بالممنون وهو من اشرف فراعنة هذه السلسلة وله صيت عظيم في الاقطار المغربية  
قيل انه لم يكن من جنس المصريين بل انه اغضب الملكة ونسلط عليها بما اخلت  
مع احد الفراعنة بالزيجة وما يؤيد ذلك ان قبره الذي في مدينة ثيبة منفرد  
عن قبور باقي الفراعنة . وكان قد ادعى لنفسه الالهية وانشأ هيكلًا على ميسرة  
النيل تجاه ناحية ثيبة وقد تخرب الآن وانهدم ولم يبق من اثره الا الصنم الكبير  
وهو عبارة عن صورة هذا الملك

وكان المصريون يعبدون هذا الصنم ويعتقدون انه كل ما اشرقت



كاهن مصري

الشمس يسمع منه صوت . فكان الناس  
يتأثرون من ذلك ولا يعلمون السبب  
وظن بعض الرومان واليونان ان مصدر  
هذه الاصوات كان من اثر الندى في الليل  
وانه عند شروق الشمس وارسال اشعتها  
اليه يسمع منه هذا الصوت . ان الرارة  
في الحجر غير ان الامتحان في هذه الايام  
كشفت الحجاب وذلك ان السير  
كردنرويلكسون الانكليزي لما اتى  
للمفرجة على هذا الصنم وجد في جوفه حجراً

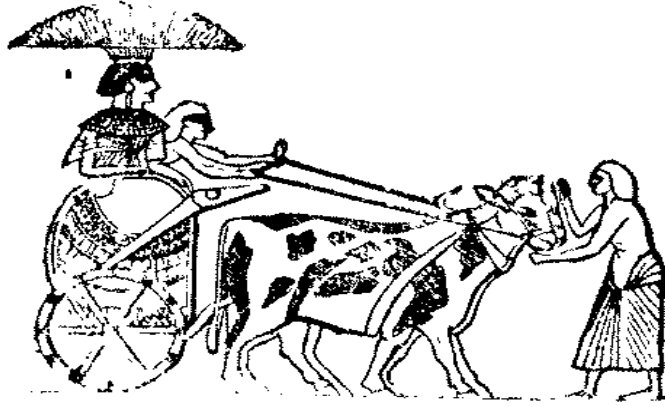
اذا ضرب به سُمع له طنين وتكتكة . فكان الكاهن يدخله في وقت السحر  
بحيث لا يراه احد من الشعب ويقرع صدر الصنم بذلك الحجر وكان الكهنة  
يفعلون ذلك لاجل خداع امتهم بهذه الاحتيال ويجعلونهم يصدقون بالوهية  
الصنم المذكور وبقيت اكاذيبهم مستترة اكثر من ثلاثة الاف سنة حتى جاء

ويلكسون المذكور وكشف حجابها وخزعاتها المسترة

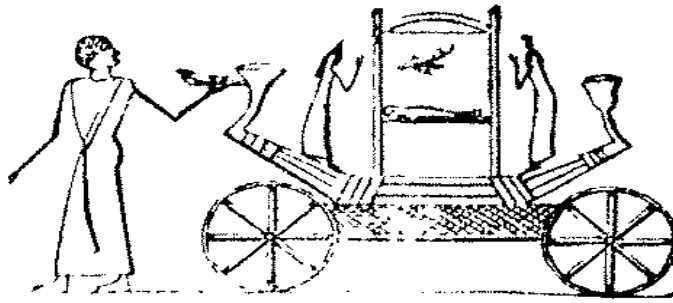
ومن أشهر فراعنة مصر الملك رمسيس الثاني المشهور عند اليونان باسم سينوستريس وهو الملك الثالث من فراعنة الدولة التاسعة عشرة وكان ملكاً عظيماً ظافراً كثير المغازي والغارات قد ملأ مشارق الأرض بصيت فتوحاته وأرهب مغاربها بهيبة بأسه وسطواته ولم يكن احد قبلة من ملوك مصر عبر البحر الأحمر فجهز عمارة عظيمة نحو أربع مئة سفينة حربية وتغلب على سواحل هذا البحر وعلى جزائر بحر الهند . وامتد ملكه من نهر الكنك في اسيا الى نهر الدانيوب اي الطونه في اوروبا وكان كلما فتح قطراً واستولى على مملكة من الممالك شيد فيها هياكل واثاراً تدل على نصراته وفتوحاته وابقى فيها فرقة من الجنود المصرية ليستوطنوا فيها وينشروا بها ديانتهم وعوائدهم لتكون علامة ظاهرة لتخليد ذكره على مر الايام ورسم على تلك الاثار كيفية عبوره الى هاتيك البلاد ونقش تاريخ استيلائه على ممالك الدول ولم يزل بعضها باقياً الى الآن

وقد اقام سينوستريس في مصر هياكل عديدة من اموال الغنائم التي سلبها من الامم حتى لا يكاد يوجد في وادي النيل اثر من الابنية القديمة الا وما بالاسد رسة رشا ما يلزم من الجسور والقنابر والتمج والخلجان لينة البلاد ورفع الاراضي المنخفضة التي يفسدها فيضان النيل بحيث لا يكون للماء سلطة عليها وبالجملة قد وصلت مصر في ايامه الى اقصى درجات الرفعة والمجد وزهت ايضاً بالعلوم والفنون وهو الذي قسم المملكة الى ست وثلاثين ايالة واقام على كل ايالة نواباً لاجل جمع الجزية وهو الذي رسم صورة الخاتمة على ما قيل وصور فيها صورة المدن التي افتتحها ليبين لاهل مصر عظم ملكه واتساعه . وكان فيه تيه وتعظيم حتى انه كان اذا ركب في موكب لزيارة المعابد او التنزه ياتي ببعض الملوك الذين كان قد اسرهم ويلبسهم ثيابهم الملكية ثم يربطهم كالخيل اربعة اربعة ليحروا المركبة . ولكن بعد رجوعه من ذلك

الموكب كان يكرمهم ويحسن اليهم . بثس الكرامة والاحسان بعد تلك المعاملة



مركبة مصرية بعجلتين



مركبة مصرية بأربع عجلات

وذكر المؤرخون انه لما استولت دولة الفرس على مصر كان في رواق  
الصومر الملكية بمدينة ثيبة بالصعيد صورة سينوستريس فلما راها داريوس  
ملك الفرس اراد ان يضع صورته في هذا الرواق فوق صورة سينوستريس  
المذكور فغضب رئيس الكهنة المحافظ على تلك الصور من قصد الملك داريوس  
وقال له بكل جسارة لا يجوز لاحد من الملوك ان يعلو على رمسيس الأكبر  
من ساواه في المآثر والأعمال العظيمة فلم يغضب داريوس من كلامه بل  
اجابه قائلاً انه ان عاش عمر سينوستريس ليتمددت ويفعل لمصر من المنافع  
ما فعله هذا الملك العظيم حتى لا يكون دونه في الشهرة ورفعة المقام . وعاش  
سينوستريس عمراً طويلاً وكانت مدة حكمه على ما رواه مانيتو المؤرخ ٦٢

سنة وقال يوسفوس<sup>٤</sup> 76 سنة وكان قد عي في آخر حياته وقتل نفسه يده  
والسياح في ايامنا هذه برون اسمه وتاريخ حروبه ونصراته مصورة ومنقوشة على  
حيطان القصور والهياكل والاعمدة في النوبة والكرنك وثيبة  
وتولى بعده ابنة مننطا الثاني سنة ١٥٠٠ قبل الميلاد ولهذا الملك ابنة  
وماثر كثيرة في الديار المصرية وكانت مدة حكمه تسع سنين وعلى راي بعض  
المدققين المتأخرين انه في ايام هذا الملك خرج بنو اسرائيل من مصر تحت  
رياسة موسى سنة 1٤٩1 ق م بعد معجزات كثيرة . وما يدل على صحة كون  
هذا الملك هو نفس فرعون الخروج هو انه مات عن ابنة يقال لها طوسير  
وان قاصر يعرف بمننطا الثالث فتولت البنت قبل اخيها لقصوره وتزوجت  
برجل من الامراء يقال له صفتا مننطا ومعناه عبد النار وكان زوجها  
يحكم عنها بالنيابة فجلوس هذه الملكة بعد موت ابيها على كرسي الملكة وزواجها  
برجل ليس هو من بيت الملك مع كثرة العائلة الملكية من ذرية جدها  
سينوستريس الذي كان قد خلف نحو عشرين ولداً ذكراً تدل دلالة قوية  
على وقوع حادثة عظيمة مهولة انقضت بها ذكورهم وهي غرق فرعون وقومه .  
ومن العجب ان قدماء المصريين يكتفون جاذبة غرق فرعون وينكرونها  
بالكلية خوفاً من الفضيحة والعار في القرون المستقبلية . ولا عجب من كتمان  
المصريين هذه الحادثة لاننا نجد في هذه الايام المنورة من ينكرها ايضاً اذ  
ينسبون انفلاق البحر الى حادثة طبيعية وهي المد والجزر الدوريان . وان قال  
قائل كيف يمكن ان يكون مننطا الثاني هو ذات فرعون الذي غرق في البحر  
الاحمر حال كون قبره الان بين قبور الملوك الباقية بالصعيد في الجهة  
المعروفة بباب الملوك فنقول ان ذلك ليس يبرهان قاطع لتأييد الاعتراض  
لان وجود القبر لا يدل على وجود مقبور فيه فكثيراً ما نرى مشاهد ومدافن  
في اماكن مختلفة على اسم انبياء وانحفاص مشهورة ومدفنهم الحقيقي في غيرها من  
البلاد فانه يجوز ان يكون فرعون هذا قد بنى لنفسه مدفناً في حياته حسب

العادة التي كانت جارية بين ملوك ذلك العصر ولم يدفن فيه . وعلى فرض انكار هذه العادة فقد تقدم ان مورخي المصريين لم يذكروا شيئاً من هذه الحادثة بقصد اخائها في العصور المستقبلية فلا يستبعد ان يكونوا قد بنوا له قبراً لاثبات دعواهم بهذا الانكار وتحميل من يراه على تكذيب هذه الواقعة

## الباب الثالث

في ولاية فرعون شيشق سنة ٩٩٠ ق م الى بداية حكم الدولة  
البطليموسية سنة ٢٢٢ ق م

ومن مشاهير فراعنة مصر الملك شيشق الاول وهو راس الدولة الثانية والعشرين واول ملوكها تملك نحو سنة ٩٩٠ ق م وكان سريره بمدينة بسطة بالشرقية المعروفة الان بتل بسطة الذي هو بقرب الزقازيق وهو الذي هرب اليه يوربعام بن ناباط ملك اسرائيل مستغيثاً به فنهض قاصداً اورشليم بالف ومثي مركبة وستين الف فارس وحوارب رحبعام بن سليمان ملك يهوذا وكان في جيشه قوم من السودان والحبيشة فافتتح مدن يهوذا ونهب خزائن بيت المقدس وخزائن بيت الملك واخذ اتراس الذهب التي عملها سليمان ثم عاد الى مصر . وتاريخ هذا الفتح لم يزل مصوراً على حيطان هيكل الكرنك العظيم ومكتوباً عليه يهوذا ملكي اي مملكة يهوذا تحت قبضة يدي مع صور كثيرة من الاسرى الذين اسرهم في حربه ومغازيه وعلى صدورهم اسم جنسهم وبلادهم . وقد حكم هذا الملك ٢٢ سنة

وخلفه ابنه اوسرخان الاول وهو المعبر عنه في التوراة بالملك زارح الحبيشي



حارب ملكة يهوذا بنحو مليون من النفوس وثلاث مئة مركبة حربية فسار ملك يهوذا للملاقاة واصطفت جنود الفرقيين في وادي صند فالتى الله الرعب في قلوب المصريين فهربوا جميعاً والمراد بالحبشة في التوراة هم المصريون ومن معهم من الجنود الاجنبية الحبشية . وكانت مدة حكم هذا الملك خمس عشرة سنة . اما باقي ملوك هذه الدولة فقلما نعلم من انبائهم شيئاً . وقد وجد على بعض الاعمدة في مقبرة ابيس بالقرب من منفيس اسماء ملوكها وكيفية جلوسهم على الكرسي واحد بعد الآخر وهم

شيشق الاول	تكلات الاول
اوسرخون الاول ابنه	اوسرخون الثالث
هرشاسب ابنه	شيشق الثالث
اوسرخون الثاني	تكلات الثاني
شيشق الثاني	

ومن فراغنة مصر الملك سباقرن وهو راس الدولة الخامسة والعشرين السودانية الحبشية التي كانت قد استولت على الديار المصرية سنة ٧١٤ ق م . ثم تولى بعده اخوه سواخوس وهو المذكور في التوراة باسم سوا الذي استغاث به نرش ملك اسرائيل الى نيناسر ملك اشور . ثم الملك بنده طهران وكان ملكاً عظيماً ظافراً ذا شوكة وباس . وهو الذي زاد تحسين الهيكل الذي بناه في جبل البركل في بلاد الحبشة ووسعه وزخرقه وازاد ايضا قاعة عظيمة الى هيكل مدينة آبو في ثيبة حيث اخبار غلباته على الاشوريين في ايام سنخاريب عند ما غزا الديار المصرية . وقد وجد في هذه الايام في آثار مدينة آبو تمثال هذا الملك منقوشاً عليه انه حكم الحبشة ومصر وجميع مدن افريقية وكانت مدة حكمه خمسا وعشرين سنة وبه انتهت حكومة دولة الحبشة من بلاد مصر

ومن فراغنة مصر الملك بساماتيكوس الاول الذي يسميه هيرودوتوس

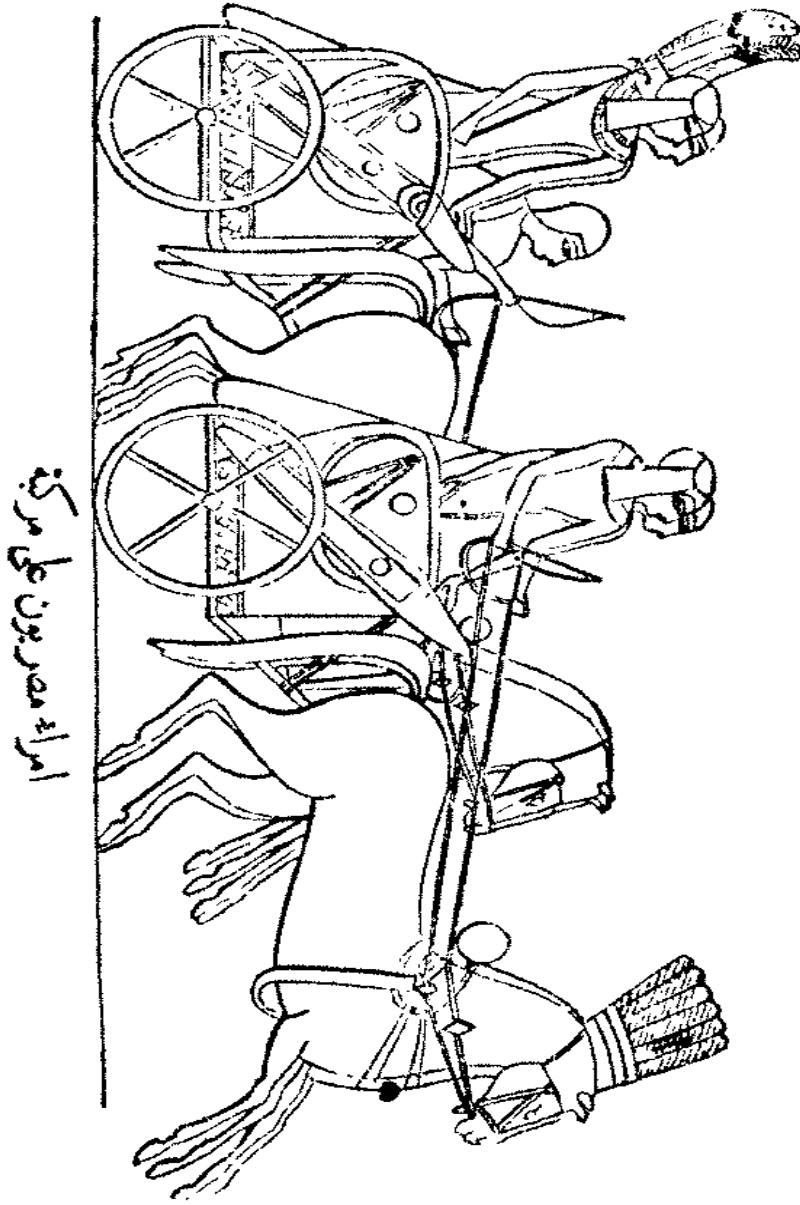
ابساميس وهو راس الدولة السادسة والعشرين كان ابتداء ملكه قبل المسيح بست مئة واربع وستين سنة وكانت مملكة مصر قد انقسمت قبل هذا الملك بين اثني عشر قائداً من عظمائها فطرد القواد المذكورين واستقل بالملكة وكان رجلاً حاذقاً محمود السيرة وتعتبر مدة ملكه مدة مهمة للغاية اذ في زمانه انتهى الابهام والالتباس التاريخي واشرقت شمس المعرفة الحقيقية في التاريخ المصري . وفي ايام هذا الملك شاع استعمال الكتابة بالاحرف الالهية واتسى بين الناس علم الكتابة المصورة وصارت مصر مملكة واحدة منتظمة قصبها مدينة منفيس وفي ايامه بلغت بلاد مصر درجة سامية في المدن والمعارف والغنى لانه اعنى بتحسينها وتنظيمها ووجد معاهدات تجارية بينه وبين اليونان واهل صور وسهل اسباب الاخذ والعطاء حتى صارت مصر مركزاً لتجارة الامم . وكان قد اتخذ من اليونان عسكرياً وجعل منهم قواداً وروساء وقادهم اسنى المناصب وخالف في ذلك عوائد من تقدمه من الفراعنة وبهذه الوسيلة ازدادت جنود مصر غيظاً وحقاً عليه . وقيل انه لما حارب فلسطين جعل جنود اليونانيين في المينة وترك للمصريين الميسرة التي كانت علامة الذل والاهانة فغضب المصريون من جراء ذلك وحقد اكثرهم عليه وارتم منهم جماعة الى مصر . ولهذا الملك اثار كثيرة في الديار المصرية من الابنية المزخرفة والاعمدة الجميلة في ثيبة والكرنك وقد زيد الهياكل باحسن النقوش واجملها وكانت مدة ملكه نحو ٥٤ سنة

ثم تولى بعده ابنة نحو سنة ٦١٠ ق م وكان كاييه له عناية واهتمام بتحسين احوال الرعية وتوسيع دائرة التجارة وهو الذي شرع في ايبال نهر النيل بالبحر الاحمر بواسطة ترع طولها ٩٦ ميلاً واكنه بعد ما اهلك مئة وعشرين الف نسمة من قومه في هذا العمل تركه غير كامل . وكان ملكاً مظفراً افتتح ممالك كثيرة واستولى على اكثر مدائن اسيا وانتصر على ملك بابل وعند رجوعه عزل يهوياحاز بن يوشيا ملك اورشليم وولى مكانه اخاه الياقيم

وضرب على شعب يهوذا خراجاً يدفعونه له في كل عام وهو مئة وزنة من الفضة ووزنة من الذهب واخذ يهوياحاز معه الى مصر اسيراً وفي ايام الياقيم المذكور تولى نبوخذ نصر الاول ملكاً على بابل فجهز الجيوش والعساكر وحرف الى اورشليم وملكها واسترد ما كان اكتسبه نخو من بلاده وانقطع حكم فرعون على اورشليم وخسر كل ما كان افتتحة من المالك والمدن في اسيا وكانت مدة ملكه على رواية هيرودوتس ست عشرة سنة وعلى رواية مانيثوس ست سنوات والاول اصح واشهر

ثم قام بعده ابنه بساماتيكوس الثاني سنة ٥٩٤ ق م ومات في السنة السادسة لملكه بعد رجوعه من فتوحاته في الحبشة وخلفه ابنه ابريس المدعو ايضاً فرعون حفرع وهو المذكور في ارميا. ٢٤: ٢٠ ومن اعماله انه جهز جيشاً عظيماً لمحاربة اسيا فحاصر صيدا وصور واخضع جميع بلاد فينيقية وفلسطين وفي ايامه حدث انقسام في المملكة وقتت وحروب كثيرة وفي اثناء ذلك زحف نبوخذ نصر ملك فارس في جيش عظيم الى مصر ففتحها بعد حصار طويل وهدم هياكلها وارجعها ووقع فرعون حفرع في يد فامر بشنقه . ثم رجع نبوخذ نصر الى بلاده واستخلف على مصر رجلاً من اعيان المصريين يقال له اماسيس فاقام بامرها اتم قيام ثم تورد اخيراً على الدولة الفارسية واستقل بالمملكة المصرية واخضع لحكمه جزيرة قبرس وكانت مدة ملكه ٤٤ سنة . وتولى بعده ابنه بساماتيكوس الثالث وفي ايام هذا الملك زحف كمبيز بن كورش ملك فارس سنة ٥٢٥ قبل الميلاد بالجيوش والعساكر لافتتاح مصر بسبب عصيان اماسيس على المملكة الفارسية فتغلب عليها بعد حروب كثيرة ووقائع مهولة وقبض على بساماتيكوس والزمه ان يشرب مقداراً كثيراً من دم الثيران ففعل ذلك به كالم ومات وخضعت لكمبيز بعد ذلك كل بلاد مصر وصارت مقاطعة فارسية وتوالت عليها نواب الفرس كما مر في ترجمة كمبيز عند ذكر ملوك فارس

وسنة ٤١٣ ق م كره المصريون حكم الفرس عليهم ونشروا من عبوديتهم

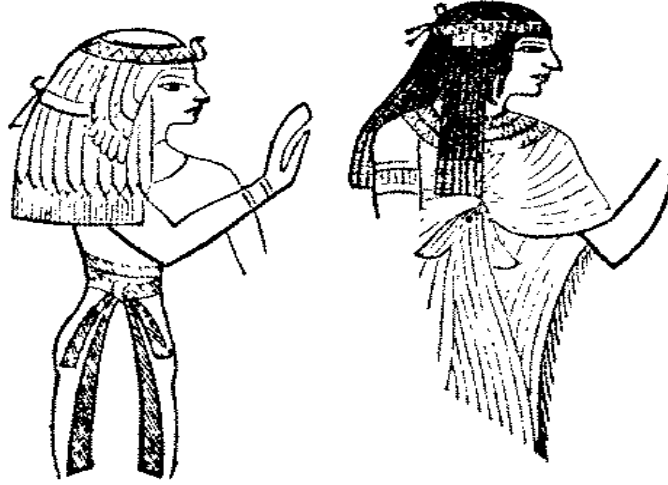


امراء مصريون على مركبة

فعصوهم مرة اخرى في السنة العاشرة من حكم داريوس نوثوس ملك فارس ونالوا حريتهم وكان الملك ارتزر كسيس قد شرع في الاستعدادات اللازمة لاسترداد مصر فات قبل ان يقيم حرباً . ثم قام بعده ابنه داريوس الثالث او دارا اخوش سنة ٣٥٨ ق م وفي السنة العشرين من حكمه جهز جيشاً عرمرماً وسار قاصداً الديار المصرية وعند وصوله اليها جرى بينه وبين المصريين



وذكر هيرودوتس، انهم كانوا يحلقون شعر اجسادهم كل ثلاثة ايام ولم يسمح لهم ان يلبسوا الاثوباً من كتان وكانوا يغتسلون بماء بارد مرتين في النهار ومرتين في الليل . اما الاراضي فكانت كلها للملك والكهنة والمحاربين واما الحراثون فلم يكونوا الا كالأجري يشتغلون لغيرهم كالمستعبدين



مقانع شعر كانت كثيرة الاستعمال عند نساء المصريين القدماء  
وكانت لغتهم من اعجب اللغات لانها لم تكن تكتب باحرف هجائية بل  
باشارات مستعارة من الاشباح الطبيعية وهي على نوعين الاول يشير الى اصوات  
يدل عليها ببعض النقوش من التصاوير المختلفة . والثاني تحت هيئة اشباح

تدل على جلٍ مخصصة . وانحصر هذا النوع في رساء الكهنة فقط وبقي هذا  
القلم مجهولاً بين الناس حتى اهتدى الى معرفته الحاذق الشهير المعلم شبليون  
الفرنساوي سنة ١٨٢٢ مسيحية

## الباب الخامس

في الدولة البطليموسية التي تغلبت على الديار المصرية  
بعد الفراعنة

انه بعد موت اسكندر الكبير تولى الملكة المصرية الدولة البليموسية ووقعت  
في نصيب سوطير بن لاغوس حين مقاسمة مالك اسكندر سنة ٢٢٢ قبل الميلاد  
ويقال انه كان ابن فيليس ابي اسكندر من بعض جواريه . وكان سوطير  
المذكور وهو بطليموس الاول يعرف اعنيار مصر ومقامها وكان حاذقاً عادلاً  
محباً للعلوم وهو الذي اتخذ الاسكندرية داراً للملك وجمع فيها المكتبة المشهورة  
وانشأ بها مدرسة عظيمة وجدد مدناً كثيرة وفتح الترع المردومة واعنى باتساع  
التجارة واصلاح امور الزراعة والفلاحة وازدادت الملكة في ايامه غنى وعلماً  
وتمدناً . وكان قد جهز جيشاً وارسل من قبله قائداً للتغلب على الديار الشامية  
فافتحها واستولى عليها واستطال ذلك القائد على اليهود واسر منهم نحو مئة  
الف نفس وساقهم الى مصر وجار على من تخلف منهم بفلسطين جوراً عنيقاً  
وتفرغ بطليموس في آخر ايامه لتنظيم الملكة فشرع في تميم الهياكل  
والتصور والمباني العظيمة فمنها ضريح اسكندر الكبير الذي لا يعرف الآن

محل وجوده ومنارة الاسكندرية وغيرها وكثرت في ايامه التجارات والمخاطبات مع الامم الاجنبية وبهذا تمكنت دولته وامتدت صولته مع انه سكن الاسكندرية وجعلها كرسي مملكته ابنى مدينة منفيس على حالها لانها دار السلطنة رسماً ومقر سرير الاحتفالات الملكية لا يلبس الملك التاج الملكي الا فيها فكانت بمنزلة مصر القاهرة الآن بالنسبة الى الاسكندرية وكان فيها الهيكل الكبير المشتمل على الشعائر الدينية . وعاش هذا الملك متمتعاً بالسلم والراحة الى ان بلغ الثمانين من عمره ثم مات لتسع وثلاثين سنة من ملكه .

ثم قام بعده ابنه بطليموس الثاني الملقب فيلادلفوس ابي محب اخيه بهكما لانه كان يبغض اخوته وكان ملتفتاً لتوسيع دائرة العلوم والفنون وانواع الصنائع وقد اكثر من تحصيل الكتب وجمع منها عدداً كثيراً اضافها الى المكتبة التي انشأها ابيه وفي السنة العاشرة من ملكه اطلق اسرى اليهود من مصر ورد الاواني الذهبية الى بيت المقدس وحياتهم بانية من الذهب مرصعة بانواع الجواهر الثمينة عليها صورة ارض مصر والنيل وامرهم بتعليقها في مسجد الهيكل . وكانت اللغة اليونانية في ايامه قد امتدت الى اقاصي ممالك الارض فامر بترجمة التوراة العبرانية الى اللغة اليونانية لمنفعة اليهود القاطنين بمصر الذين لم يفهموا اللغة العبرانية وكانوا كثيري العدد لان زهوة بلاد مصر جلبتهم الى هناك وسميت الترجمة المشار اليها الترجمة السبعينية لان مترجميها كانوا سبعين نفرًا وكان قد امر الكاهن مانيثو المصري بتأليف تاريخ مصر باللغة اليونانية فجمع هذا المؤلف تاريخية من الدفاتر الرسمية والاوراق القديمة المحفوظة في الهياكل والمعابد المصرية . وقد ورث هذا الملك من ابيه ممالك كثيرة غير الديار المصرية كملكته القيروان وسواحل بر الشام وبلاد العرب وجزيرة قبرس وجزائر بحر الروم فاقتنع بها ولم يطمع في المحروب والفتوحات كباقي الملوك بل اقتصر على محافظة مملكه وانعكف على اعمال ومقاصد جسيمة ذات منافع وفوائد كاستكشاف طرق البحار بالاسفار والوقوف على حقيقة



منيع النيل وارسل سفنًا ايضاً لاستكشاف سواحل الحبشة والبلاد السودانية وخلف بطليموس الثاني ابنة بطليموس الثالث الملقب الكريم وكان ابتداء حكمه سنة ٢٤٦ ق م واتبع خطوات ابيه وجده فسامه شعبه اورجينييس ابي المحسن الى شعبه وكان كثير الحروب والفتوحات وامتد حكمه الى نهر الفرات والجزيرة والعراق والى اقليد خوزستان واذربيجان وهو الذي ارجع الامة المصرية التي كان كميتر قد اخذها من مصر وفي اثناء حروبه لاطيوخوس ملك سورية نذرت زوجته برنيقي نذرًا وهو انه عند رجوع زوجها من غزواته تقف شعر راسها للزهرة فلما رجع ظافرًا غائمًا وقت نذرها فجزت شعرها ووضعته في هيكل الزهرة الا انه لم يضر الا زمان يسير حتى فقد من الهيكل فحاف الحراس من جراء ذلك على نفوسهم من الملك واستعظمو هذا الامر. ولما بلغ الملك الخبر استشاط غضبًا وامر باحضار الحراس اليه عازمًا على قتلهم فدخل عليه بعض المنبهين وكان متقدمًا في بابه وقال له قد بلغني فقد شعر الملكة من الهيكل وانبت اليك لاءك حقيقة هذا الامر وهو ان الزهرة قد نالت شعر الملكة الى السماء ووضعته بين النجوم فلما سمع الملك كلامه سر بذلك وصرخ عن ذنب الحراس. ومن ثم حسب شعر الملكة برنيقي من جملة صور النجوم. وكانت وفاة الملك المذكور سنة ٢٢٢ ق م

اما بطليموس الرابع وهو ابن الثالث المسى فيلوباتراي محب ابيه فحكم من سنة ٢٢٢ الى سنة ٢٠٥ ق م وكان قاسياً دمويًا محبًا للبدخ معاطًا باتباع وحواش خداعين مارقين ومن جملة قبائحهم انه اثار اضطهادًا شديدًا على اليهود في جميع مملكته وقتل ارسينوي وهي اخنثه وزوجته معًا ثم مات محترقًا مردولاً من جميع رعيته. وخلفه ابنة بطليموس الخامس الملقب ايفانيس ومعناه الماجد حكم من سنة ٢٠٥ الى سنة ١٨١ وسار سيرة ابيه في المظالم والعدوان وارتكب من المآثم والقبائح ما ليس للناس طاقة على احتماله وقيل انه سئل يوماً من ابن ندفع اجور العساكر فاجاب كيف تخاطبوني بهذا السؤال اما تعلمون ان

اموال احبابنا هي اموالنا واستمر على فظائعهم وقيامهم الى ان مات مسومًا .  
وهكذا ما زال هولاء الملوك يتولون الملك الواحد بعد الآخر حتى قامت  
الملكة كليوباترا الشهيرة بالجمال والقبائح

وكانت الملكة المذكورة قد تزوجت اخاها بطليموس ديونيسيوس في  
سن السبع عشرة سنة وهو في سن الثلاث عشرة وذلك سنة ٥٢ ق م . وكانت  
قد صهت ان تقبض على زمام السلطنة وتستقل بنفسها فلم يوافقها على ذلك  
الذين اقبلوا اوصياء على زوجها فقاوموها وابعدها فالتجأت الى اوغسطس  
قيصر الروماني فتظاهر في القضية كمتصلحٍ بينها وبين زوجها . وسنة ٤٧  
ق م تزوجت اخاها الثاني ولم يكن قد اتي عليه احدى عشرة سنة من العمر  
فاقيم ملكًا على مبرر بامر قيصر اربع سنين ثم مات مسومًا على ما قيل . واذ  
كان للرومانيين نوع من السلطة الادبية على البلاد المصرية بحسب وصية  
اسكندر الثاني وهو الملك العاشر من الدولة البطليموسية بان تكون مصر  
ملحقة برومية بشرط ان تكون ملكها منها . فبعد توفى اوغسطس المذكور  
استدعى كليوباترا القائد انطونيوس احد الشركاء في الدولة الرومانية ان  
توافيه الى طرسوس حيث كان مزعمًا ان يذهب لمحاربة بروتوس الروماني .  
فاجابته الى ذلك وسارت قاصدة تلك الاطراف حتى وصلت الى اياالة صلفقة  
ومن هناك ركبت نهر كراسو وهو نهر طرسوس واجتازت النهر في سفينة  
مذهبة ارجوانية الفلاح والاسرار وكانت الملكة مزينة بالفخر ما عندها من  
التياب الثمينة والجواهر النفيسة ومعطرة بانواع العطور الذكية فكانت امواج  
النهر توج طرفًا بالنسيم على نغمت العود والدفوف والقبائير وروائح العطر  
والبخور تعبق وتفوح منها الى سائر النواحي حتى امتلأت شواطئ النهر من رباها .  
ولما اجتمع انطونيوس بها تعجب من فرط حسنها وجمالها فادخلها الى محلة الملكي  
وكان قد هياها من الويعة الفاخرة ما يكمل عن وصفه اللسان ومن ذلك  
الوقت اخذ حبا منه كل ماخذ حتى سلبت عقله واخذت بجماع قلبه بحيث

لم يعد له صبرٌ على مفارقتها فاقامت معه اياماً وبعد ذلك جلبته معها الى الاسكندرية وهناك تزوجته . واذ كان لا يستطيع مفارقتها ولا يقدر ان يتخلص من اسرها لهما نسي وظيفته والقيام بموريتيه  
 وكان لانطونيوس زوجة اخرى يقال لها او كافيّة وهي اخت القائد اوكتافيوس شريك انطونيوس في الرياسة الرومانية فلما تزوج كليوباترا حصل الشقاق والاختلاف بين القائدين . فاستعد اوكتافيوس لمقاومة انطونيوس والانتقام منه ففصد الديار المصرية بمجنودٍ كثيرة فافتتحها بعد حروب هائلة يطول شرحها . ولما شعر انطونيوس بالغبلة طعن نفسه بخنجر فمات .  
 واما كليوباترا فبعد ان افرغت جهدها في ان تسلب عقل اوكتافيوس وتاسره بمجالها ولم تنجح صممت النية على قتل نفسها خوفاً من ان تبيت اسيرةً فيذهب بها الى رومية في حالة الذل والهوان فامانت نفسها شرميتة . وقد اختلف المؤرخون في طريقة قتلها فمنهم من زعم انها شربت سماً وقال اخرون انها كانت احضرت ثعباناً صغيراً سماً اخفته في وعاء لوقت الحاجة فلما كان ذلك اليوم جلست على سرير ملكها ووضعت تاجها على راسها وعليها ثيابها وزينتها وفرقت خدمها وجواربها ثم فحمت الوعاء الذي كان فيه الثعبان ووضعتة على ثديها فلعسها فانت من وقتها وساعتها وانقرض ملك اليونانيين بهلاكها وكان ذلك سنة ٢٠ ق م . وكانت مدة حكم الدولة البطلموسية نحو ٢٩٤ سنة

## الباب السادس

في من تولى مصر من اوائل ظهور الاسلام الى الدولة الفاطمية

ولما انقرضت دولة اليونان استولى على مصر الرومان واقامت البلاد

تحت تصرف احكامهم نحو سبع مئة سنة فكانت تحسب ولاية من الولايات الرومانية حتى استفتحها عمر بن العاص في خلافة عمر بن الخطاب سنة ٦٤٠ للبلاد واقام بها عمر المذكور واليا ٧ سنين ثم عزل في خلافة عثمان بن عفان وتولى بعده عبد الله بن ابي السرح ثم غيره من العمال الى ان انتهت الخلافة الاسلامية الى بني امية فكانوا يرسلون لها عمالاً من طرفهم مدة خلافتهم وكان جملة من تولى بالنيابة عنهم بمصر ستة وعشرين نفرًا في مدة مئة واحد عشر سنة . وكانوا يسون عمال خراج مصر وقيم الواحد منهم اشهرًا ثم يعزل ويتولى غيره . ثم جاءت بعدهم الدولة العباسية واستمرت مصر تابعة لها الى سنة ٨٦٨ حينما قام فيها احمد بن طولون وتغلب عليها وصار سلطانًا وكانت مدة سلطنته ست عشرة سنة وشهرين وخلفته ذريته من بعده واستمر الحكم في ايديهم ٢٧ سنة وهي المعروفة بالدولة الطولونية . ثم عادت نيابة العباسية بمصر في خلافة المكتفي فتولى منهم احد عشر نفرًا . وجاءت بعدهم الدولة الاخشيدية التي منها كافور الاخشيد وكان حبشيًا اسمر اللون تسلطن سنة ٩٦٥ فاقام ستين واربعة اشهر وخلفه بالملك ابو الفوارس احمد بن علي بن الاخشيد فاقام سنة واحدة وبقرضت الدولة الاخشيدية ثم جاءت بعدهم الدولة الفاطمية ونذكر شيئًا من اخبار ملوكها على وجه الاختصار

## الباب السابع

### في الدولة الفاطمية

عدد خلفاء هذه الدولة اربعة عشر كما مرَّ بيانه في جدول الخلفاء عند الكلام على دول العرب فمنهم ثلاثة ظهروا وماتوا في بلاد المغرب واحد عشر بمصر . واول هولاء هو المعز لدين الله بن المهدي عبيد الله المغربي تولى

احكام الغرب بعد موت ابيه المنصور سنة ٩٥٣ للمسيح ثم استفتح الديار المصرية واستخلصها من الدولة الاخشيدية سنة ٩٦٧ بواسطة قائده جوهر الصقالي الذي بنى فيها مدينة القاهرة بامر المعز فدخلها المذكور سنة ٩٧١ ومن ذلك الوقت صارت بلاد مصر والغرب ملكة واحدة

وفي نسب هذه العائلة اقوال كثيرة فمن الناس من رفع نسبهم الى فاطمة بنت الرسول ومنهم الى حسين بن محمد القداح وكان القداح رجلاً مجوسياً واخباره معروفة ومعلومة عند اكثر المؤرخين . وكان المعز عادلاً منصفاً في الرعية غير انه كان شيعياً وامتد حكمه من حلب الى بلاد المغرب الى مكة كما امتدت احكام الخلفاء العباسية في ايامه من بغداد وسائر ممالك المشرق الى العراق واعمالها واستمر المعز بالخلافة نحو اربع سنين ثم توفي سنة ٩٧٥ للمسيح ومن هولاء الخلفاء الحاكم بامر الله وهو الخليفة الثالث من بني عبيد بمصر بويح بالخلافة بعد موت ابيه العزيز سنة ٩٩٦ وكان في اول امره فاضلاً عادلاً مستقيماً الاحوال ثم تغيرت اطواره وزاد في الظلم والجور في حق الرعية وصار يامر باشياء تفعلك منها الناس فمنها انه اجنار يوماً بجمام الذهب فسبح فيها ضحج النساء فامر ان يسد عليهن باب الحمام فسدوه عليهن حتى متن في الحمام كلهن . ومنها انه امر ان لا يسبح احد زيباً ولا عنباً ثم امر بحرق الكروم وقطعها فقطع منها شيء كثير ثم نهى الناس عن اكل الملوخية والقرع وعلل ذلك بان معاوية بن ابي سفيان كان يميل الى الملوخية وان عائشة بنت ابي بكر كانت تميل الى القرع . ثم انه امر يقتل الكلاب فقتل نحو ٢٠ الف كلب في يوم واحد . وكان قد امر النصارى بلبس الازرق واليهود بلبس الاصفر وكانوا قبل ذلك في زي واحد يلبسون المآزر العسائية ثم اسكن اليهود في حارة زويلة ويهددهم بالقتل ان لم يدخلوا في الاسلام فخافوا منه واسلم منهم عددٌ غفيرٌ ثم امرهم بالرجوع الى اديانهم فازداد منهم في يوم واحد سبعة الاف نفر ثم امر بهدم معابدهم ثم امر باعادتها لهم . ومن اعماله القبيحة انه امر بقتل العلماء

والادباء ثم ادعى الالهة وكتب له باسم الحاكم الرحمن الرحيم وكان الجهال اذا  
راوه يقولون له يا واحد يا احد يا محبي يا مميت ثم ادعى علم الغيب فكان يقول  
ان فلانا قال في بيته كذا وكذا واكل كذا وكذا ودخل له كذا وكذا وكان  
ذلك باتفاق اعدده مع العجائز اللواتي كنَّ يدخلن الى بيوت الامراء وغيرهم  
ويخبرنه بما جرى . وكان هو واسلافه يدعون الشرف ويقولون انهم من ذرية  
علي بن ابي طالب وفاطمة بنت النبي وكان الحاكم بامر الله يذكر ذلك كثيرا  
على المنبر في كل جمعة . وكان قد امر الرعية انه عند ما يذكر الخطيب اسمه على  
المنبر تقوم الناس صفوفًا اعظامًا اذكروه واحترامًا لاسمه واصدر امرا الى  
سائر نوابه في المملكة ان تفعل هكذا حتى في مكة ايضا وكان اكثر الناس  
في مصر اذا راوه خرُّوا وسجدوا . فلما طال الامر على الناس وتزايد جورُه في  
حتى الرعية اخذت اخته سيدة الملك في تدبير الحيلة على قتله وكانت من اذكي  
واعقل نساء عصرها وكان الحاكم كثيرا ما يهددها بالقتل فخرجت في بعض  
الايام الى دار الدير سين الدين بن دواس فاخملت به واعلمته بنسبها  
وقالت له انت ثم ما يجري من اخي في سفك الدماء وخراب البلاد وقد صم  
على قتلك وقتلي فقال وما الحيلة في امره فقالت الراي عندي ان ترسل له  
غلاما يتلوه عند خروجه الى جبل المقطم فانه كثيرا ما ينفرد بنفسه هناك  
واذا قتل تكبرن انت المدير بدولة والده ووزيره فاتفقا على ذلك ومضت سيدة  
الملك الى قصرها وفي الغد خرج الحاكم على عادته وانفرد بنفسه في الجبل  
المذكور فبعد ان دواس الى عشرة من اعييد السود واعطى كل واحد منهم  
خمس مئة دينار واعلمهم كيف يقتلونه فساروا من وقتهم واخفوا في تلك  
الدواحي حتى ابصروه مقبلا وحده وليس معه احد فهموا عليه وقتلوه وكانت  
مدة خلافته خمسا وعشرين سنة وشهرا واحدا ومن العجب ان في هذه الايام  
قوماً يعتقدون انه حي ويحلفون بغيبته ويزعمون انه لا يد ان يظهر مرة ثانية  
ويدين العالم

وفي ايام المستنصر بالله وهو الخامس من خلفاء هذه الدولة حدثت الجماعة العظيمة التي لم يسع بمثلها من قديم الزمان حتى اكل الناس بعضهم بعضاً فكان الكلب يباع بخمسة دنانير والقط بثلاثة دنانير واشتد الغلا وعظم البلا على الناس حتى صودف احياناً ان الكلاب كانت تدخل الدور وتاكل الاطفال وهم في المهود وآبائهم وامهاتهم ينظرون اليهم ولا يستطيعون النهوض لانقاذهم من شدة الجوع وكان الرجل احياناً يسرق ابن جاره ويذبحه وياكله ولا ينكر ذلك عليه . وكان في مصر حارة بها عشرون داراً كل دار يساوي ثمنها نحو الف دينار قيل انها بيعت كلها بطبق خبز فدعيت من ذلك اليوم بحارة الطبق . وخرجت امرأة ذات يوم الى السوق وبيدها عقد من الجواهر فقالت من ياخذ مني هذا العقد ويعطيني عوضه قمحاً فلم تجد من ياخذه منها ثم التفت الى العقد وقالت اذا كنت لا تنفعني وقت الحاجة فلا حاجة لي فيك والتمته على الارض غضباً وانصرفت . ويقال ان الوزير ركب بغلته يوماً واتى الى دار الخلافة فلما نزل عنها اخذها غلامه واكلوها . وكان الرجل يمشي من جامع طولون الى باب زويلة ولا يرى في وجهه انساناً الا نادراً . واقام المستنصر في الخلافة الى ان مات وكانت مدة خلافته ستين سنة واربعة اشهر ولا يعلم في الاسلام خليفة ولا سلطان تولى هذه المدة غيره . واستمرت ملوكهم تتناوب الملك واحداً بعد آخر حتى انقرضت دولتهم في زمن العاضد بالله سنة ١١٧١ للميلاد وهو آخر ملوكهم حين ظهرت الدولة الايوبية الكردية فتكون مدة الخلافة الناطية المصرية ٢٠٥ سنوات

## الباب الثامن

### في الدولة الايوبية

ان اصل هذه الطائفة من بلاد اذربيجان بنواحي الكرج وهم اكراد

كانوا في خدمة محمود بن زنكي صاحب الديار الشامية فارسلهم الى مصر في بعض اشغال له فاقاموا بها مدة وقويت شوكتهم هناك واحببهم الناس نظراً لوداعتهم وحسن سلوكهم ولما استقامت امورهم وامتدت صولتهم قتلوا وزير العاضد بالله باتفاق الاهالي وتولى منصب الوزارة منهم اسد الدين شيركوه اخو ايوب ابن عم صلاح الدين فقام بالوزارة نحو شهرين ثم مات واستوزر بعده صلاح الدين ولما تمكن بالوزارة قطع اسم العاضد من الخطبة بمصر واعمالها واستقل بولاية الاحكام سنة ١١٧١ فات العاضد غماً وقهراً ودانت بعد ذلك لصلاح الدين احكام الديار المصرية وانفرد بملكها ثم استولى على الديار الشامية وأخذ القدس من الافرنج . وكان رجلاً شديداً الباس عالي الهمة مسعوداً في حروبه ومغازيه وهو الذي بنى قلعة الجبل واقام سور القاهرة وكان في ايام الخلفاء الفاطميين مبنياً باللبن وازال جند مصر من العبيد والصقالبة والروم والارمن وشناترة العرب وغيرهم من الطوائف التي كانت في الزمن القديم واستخدم عدة عساكر من الاكراد والترك وبالجملة لم تر مصر في ملوك الاسلامية قبلة مثله في الشهرة والفتوحات وكانت مدة سلطنته ثلاثاً وعشرين سنة . ومن سلاطين هذه الدولة الملك العادل سيف الدين اخو الملك صلاح الدين وكان في ايام اخيه صلاح الدين قد استولى على عدة ولايات وطالت ايامه في السعادة الى ان ملك الديار المصرية وهو الرابع من ملوك مصر من بني ابوب ومن الحوادث في ايامه انه جاء وباء عظيم بمصر سنة ١٢٠٠ وهلك خلق كثير من الاغنياء والفقراء وجاء عقيب ذلك غلاء شديد واشتد الجوع في البلاد ورحل كثير من الاهالي الى الشرق والغرب وكان الفقراء يأكلون لحوم الكلاب والحيوانات وينبشون القبور ويأكلون جيف الاموات واتصل امرهم اخيراً الى خطف الاطفال في الاسواق من امهاتهم فكانوا يذبحونهم ويشوونهم ويأكلونهم جهاراً في الاسواق والشوارع ويقال ان امرأة دخلت يوماً على الملك وهي خائفة مرعشة فسألها عن حالها فقالت اعلم يا مولاي اني



قابلة وان قوماً استدعوني في هذا الصباح لاوُلد امرأة فذهبت معهم ولما كان وقت الفطور قدموا لي صحناً فيه طعام كثير اللحم غير انه لا يشبه اللحم المعروف فانكرته ولم تقبل نفسي عليه ثم وجدت بنتاً صغيرة هناك فاخليت بها وسالته عن ذلك اللحم فقالت البنت ان فلانة السمينه دخلت لتزورنا فذبحها ابي وها هي معاقه ارباً في هذه الخزانة فاقشعر جسي من هذا الخبر وجمت في الحال الى تلك الخزانة وفتحها على حين غفلة فوجدتها مملوءة من لحم تلك المرأة التي ذكرتها لي البنت فاحللت حتى خرجت من تلك الدار وجمت اليك لاعلمك بذلك وهذه قصتي فتعجب سيف الدين من كلامها وارسل معها من هم على تلك الدار واخذ من فيها وهرب صاحب المنزل وبقي مخفياً حتى اصلى امره مع محافظ المدينة بدفع ثلاث مئة دينار فدية عن نفسه

وكان كثير من الذين اعتادوا اكل لحم بني آدم يصيدون الناس باصناف الخيل والمخادعة فكانوا يستجلبونهم الى بيوتهم بانواع الملاعب فيذبحونهم وياكلونهم فوقع مرة في اشراك هؤلاء القوم ثلاثة من مشاهير الاطباء احدهم خرج معهم ولم يرجع واما الثاني فان امرأه اعطته درهين على ان يذهب معها الى مريض فصدق كلامها وسار معها فلما توغلت به في الازقة ومضايق الطرق استفاق على نفسه وعلم بالحيلة فخاف وامتنع عنها وصاح عليها وشتمها فتركته وهربت واما الثالث فان رجلاً استدعاه الى زيارة مريض واطمعه بالاجرة فذهب معه وما زال يسير به من مكان الى مكان حتى ادخله داراً خربة فارتاب الطبيب منه وتوقف في وسط الدرج وكان الرجل قد سبق وطرق الباب فخرج اليه رقيقه وهو يقول له هل مع هذه العاقه حصلت على صيد ينفع فخاف الطبيب عند سماعه هذا الكلام وخفق قلبه وايقن بالهلاك وكان في حائط ذلك الدرج كوة تشرف على اسطبل فالتى نفسه منها فجاء في وسط الاسطبل فقام اليه صاحب الاسطبل وقال له من انت ومن تكون فخاف خوفاً شديداً وكم امره عنه خوفاً منه ايضاً فقال له الرجل صاحب الاسطبل لا تخف قد

علمت حالك فاني تيقنت ان اهل هذا المتزل يذبحون الناس بالاحتيال  
والخداع والحمد لله على سلامتكم ثم اخرجته من ذلك المكان وسار معه حتى  
اوصلته الى السوق ولولا هذا الاتفاق لملك واقطع خبره . وكانت مدة سلطنة  
الملك العادل سيف الدين تسع عشرة سنة

ثم تولى بعده ابنه الملك الكامل محمد وكان جليلاً مهيأً وهو صاحب  
الفروايت الكثيرة مع الطوائف الصليبية بثغر دماط وكان الافرنج لما استولوا  
على دمياط ونواحيها قد حصنوا اسوارها وشيدوا حصونها وارجعها خوفاً من  
هجوم المسلمين فارسل هذا الملك الكتب والرسائل الى سائر النواحي والاطراف  
يحث الاسلام وينهض غيرتهم الى الحضور لدفع الافرنج عن البلاد ونادى في  
القاهرة بالنفير العام فاجتمع اليه بمصر شعوب كثيرة من جميع الجهات بنوف  
عدد هم على مئة وخمسين الف مقاتل فزحف بهذه الجموع ونزل تجاه المنصورة  
فالتقت الافرنج وجرى بين الفريقين من القتال ما لا يسع هذا المختصر بيانه  
فانهزم الافرنج وارتدوا الى دمياط وحاصروا فيها وكانوا قد صموا على  
الرحيل فارسل الملك الكامل يقول لملك الافرنج ارسل لنا رهائن منكم حتى  
نكف عن قتالكم بشرط ان ترحلوا من البلاد ونحن ايضاً نرسل لكم رهائن  
لتكونوا مطمئنين من غوائنا عند التسليم فارسل له ملك الافرنج عشرين سيداً  
وارسل الملك الكامل ابنه صالح نجم الدين مع جماعة من الامراء الى ملك  
الافرنج فعند ذلك سلمت الافرنج دمياط الى المسلمين واطلق كل من  
الفريقين ما عده من الاسرى

واستمرت هذه الدولة الى سنة ١٢٥٠ مسيحية وعدد ملوكها تسعة انفار اولهم  
الملك صلاح الدين المذكور آنفاً واخرهم الملكة شجرة الدر زوجة الملك الصالح  
الايوبي وكانت هذه الملكة نادرة زمانها ذات عقل وحزم ومعرفة بسياسة  
الاحكام فتسلطنة لحسن سيرتها وجودة تديرها وكان وزيرها والقائم بتدبير  
احوالها الامير معز ابيك التركاني ولا يعلم في المسلمين امرأة ارتقت الى سرير

الملك غيرها فاقامت بالسلطنة مدة ثلاثة اشهر ثم خلعت نفسها عن تخت الملكة وتزوجت بالامير ايك المذكور واقامته مائًا مكانها وهو اول ملوك الدولة الجركسية بالديار المصرية

## الباب التاسع

### في الدولة الجركسية احدى فروع الدولة التركية

كانت بداية هذه الدولة من سنة ١٢٥٠ واستمرت الى سنة ١٥١٧ وعدة ملوكها سبعة واربعون اولهم الملك المعز ايك المذكور واخرهم الملك الاشرف طومان باي وكانوا يلقبون بمماليك الدولة الايوبية الكردية ليمتازوا عن المماليك الجرجية وكان الملك الصالح الايوبي قد اصطفاهم لخدمته فكان لهم التقدم والامتياز في ايامه وهو ايضا الذي انشا المماليك الجرجية الذين تقلدوا زمام احكام مصر بامر الدولة العثمانية بعد هذه الدولة كما سياتي خبرهم واسكنهم بالقلعة التي كانت بالروضة على نهر النيل وكان عددهم نحو الف مملوك وكان لهم مساح على شطوط النهر مشحونة بالعدد والسلاح ومهات الحرب ولهذا كانوا يسمون بالمماليك الجرجية

ومن اشهر ملوك الدولة الجركسية الملك الظاهر بيبرس تولى زمام الملك سنة ١٢٧٧ كان شجاعا مقداما كثير المغازي والغارات متصفا بالفراسة وحسن التدبير وفي ايامه كانت اكثر سواحل الديار الشامية في ايدي الصليبيين فسار اليهم وحاربهم واستخلص منهم مدنا كثيرة بعد ان مكثت الحرب بينهم مدة طويلة واستمرت احكام القطر المصري تحت تصرف هذه الدولة الى زمن

السلطان سليم الاول بن بايزيد العثماني فاستخلصها منها سنة ١٥١٧ ومن ثم صارت تحت حكم دولة آل عثمان فكانت ترسل اليها النواب والحكام الى سنة ١٧٦٥ في ايام السلطان مصطفى الثالث فانه قطع من مصر الحكومة الباشاوية وولاها للمالِك الجبرية المقدم ذكرهم بشرط ان يجمعوا الاموال السلطانية وما بقي منها بعد المصاريف الميرية يرسل نصفه في كل عام الى الاستانة والنصف الثاني يرسم المالِك على سبيل الرواتب واقام بينهم نائباً من وزرائه لاجراء اوامره في تلك الاطراف . وكان بكوات المالِك يصرفون المال على انفسهم ويدعون انهم صرفوه على التصليحات والتربيات ويرسلون في كل سنة دفتر المصاريف للدولة مسدداً عن يد الوزير المذكور الذي لم يكن في مصر الأعلى سبيل الصورة . وكان حكمهم قاسياً جافياً من غير قاعة يظلمون الرعية ولا يباليون بنجاح البلاد وكان كبيرهم المعتد عليه يسكن مدينة القاهرة ويلقب بشيخ البلد . ثم انهم عصوا بعد ذلك وتمردوا وخرجوا على الدولة في زمن السلطان سليم الثالث واستمروا في العصيان والظلم والطغيان الى سنة ١٧٩٨ حين حضر نابوليون بوناپارتي باربعين الفا من الجيوش الفرنسية الى مصر فحاربهم وقهرهم وفرّهم في اقطار الصعيد والحجاز واستمرت احكام البلاد في قبضة يده مدة ثلاث سنوات الى ان استخلصتها الدولة العثمانية بمحالفة وانكثرت سنة ١٨٠١ واقامت عليها والياً حسب الايام السابقة وبقيت على تلك الحالة نحو ثلاث سنين حتى تولى عليها محمد علي باشا

## الباب العاشر

في العائلة المحمدية العلوية وهي الخديوية المصرية

ان راس هذه العائلة هو محمد علي باشا واصلة من مدينة قوالة من



محمد علي پاشا خديوي مصر

بلاد الارناوط جاء إلى مصر مع العساكر السلطانية الذين حضروا من بلاد  
الترك لمحاربة الفرنسيين فقاتل مع من قاتل واشتهر بالشجاعة في تلك  
الحروب حتى ارتقى في مدة قصيرة الى رتبة قائم مقام ثم ساعدته الاقدار الى ان  
تقلد زمام احكام الديار المصرية سنة ١٨٠٤ فضرب عليه مال معلوم يدفعه في  
كل سنة الى الباب العالي . ولما تمكنت احكامه في تلك الاطراف سار السيرة  
المرضية وعدل في الرعية وبدا في العمار ونظام الملاحة وجلب اليها الضباط  
الفرنساوية لاجل ترتيب التعليمات العسكرية وبنى السفن الحربية واصحح احوالها  
وسير الامن والامان في كل مكان ورفع فيها اعلام المعارف والعلوم وتفرغ الى  
نقدمها حتى اخرجها من ذلك الظلام وصارت تعد اقليماً من البلاد الافرنجية .  
وكان هذا الخديوي مع علو شأنه ورفعة مقامه انيساً وجليماً حسن التدبير  
بصيراً بعواقب الامور مقتصداً في تدبير مصاريف حكومته وكان له هبة عظيمة  
في قلوب الناس حتى لم يجسر احد ان يتحرك ادنى حركة بخلاف الحق  
والاستقامة ولذلك لم يكن احد من جنوده يتجاسر ان يتعدى على احد فانتشر  
العدل والامان في ايامه ورأت الناس من احكامه ما لم تره ولم تسع به . وكان  
قد افتتح الديار الشامية عن يد ابنه ابراهيم باشا الشجاع المشهور بسبب سوء  
تصرف عبد الله باشا والي عكا وكثرة جوره وظلمه للاهلين واستمرت احكامها  
في قبضة يده من سنة ١٨٢٢ الى سنة ١٨٤٠ حين حضرت العساكر العثمانية  
والبورج الانكليزية واستخلصتاها منه . ومن اعماله العظيمة انه افتتح بلاد  
السودان وضربها الى بلاد مصر بعد ان اقام فيها الحكم والولاية وبهذه الوساطة  
انفتح باب التجارة للخاص والعام وزادت اسباب الثروة وانفتح باب لدخول  
التمدن والنور بين تلك القبائل . وصرف محمد علي باقي عمره بالعز والجاه الى  
ان جاوز الثمانين من عمره فاعتراه مرض سوداوي فتنازل عن معاطاة  
الاحكام ثم مات بعد سنة وكانت مدة حكمه نحو خمس واربعين سنة  
وتولى مكانه بعد تنازله ابنه ابراهيم باشا سنة ١٨٤٨ وكان عالي الهبة شديد

الباس مستكلاً جميع الصفات الحربية والسياسة . وفي ايام ابيه كان قائد الجيوش المصرية واليه يرجع تدبير امورها فسلك مسلك ابيه واحسن المعاملة بين الرعايا . وكانت مدة ولايته الديار المصرية احد عشر شهراً وتوفي بداء الاسهال في اليوم العاشر من شهر تشرين الثاني سنة ١٨٤٨ وهو ابن ٦٢ سنة وتولى بعده ابن اخيه عباس باشا فاقام بالولاية نحو خمس سنين وهو الذي شرع بانشاء التلغراف والطريق الحديدية من مصر الى الاسكندرية . ثم تولى بعده عمه محمد سعيد باشا سنة ١٨٥٤ فكان جواداً كريماً وهو الذي انشأ طريق المنشية وغرس فيها الاشجار وجعلها من احسن المنتزهات . وكان قد شرع بوصول البحر الاحمر ببحر الروم بواسطة شراكة فرنساوية سنة ١٨٦٠ غير ان هذا العمل المهم لم ينجز الا في ايام خلفه سنة ١٨٦٩ وكانت مدة ولايته نحو تسع سنين

اما انشاء ترعة السويس فقد حسب من اعظم اعمال العصر ومن اكبر الفوائد للتجارة لانه قصر المسافة من اوربا الى الهند نحو ٢٧٥٠ ميلاً وسهل الاتصال بين الغرب والشرق حتي صار ممكناً للانسان ان يدور حول الارض في مدة ٨٠ يوماً . اما طول تلك الترعة من السويس الى بورت سعيد فهو ٨٨ ميلاً وبلغت نفقتها نحو ١٠ ملايين ليرة انكليزية والآن اي في سنة ١٨٨٥ قد قرراي اصحاب الاسهم على توسيع تلك الترعة لاجل سرعة سير السفن فيها والمظنون انه سيصير الشروع في ذلك حالاً

ثم تولى بعده ابن اخيه اسمعيل باشا ابن ابرهيم باشا جلس على سرير القاهرة في ١٨ ك ٢ سنة ١٨٦٢ وعند انفراده بالحكومة بذل جهده في تحسين البلاد واصلاحها ومن جملة مشروعاته الخيرية ايبصال التلغراف والطرق الحديدية الى بلاد السودان وادخال مجاري المياه لمصر واقامة المنارات في البحر الاحمر لوقاية السفن من الاخطار واصلاح الطرق والترع وتأسيس معامل الورق والسكر وهو الذي بنى مدينة الاسماعيلية وانشأ بها البساتين والقصور الجميلة .

وفي أيامه صار فتح ترعة السويس المار ذكرها فاستدعى من الاقطار الافرنجية جميع الملوك والعظماء لمشاهدة نجاز هذا العمل واعد لهم كل ما يلزم من مزيد الاحترام والاعتبار فحضر بعضهم الى دعوة حضرته والذي لم يمكنه الحضور ارسل احد نوابه مكانه فاستقبلهم احسن استقبال وكان قد اعد لهم وليمة عظيمة فانشرحت صدورهم بما شاهدوه من حسن ترتيبه ونظامه . ومن اعماله المستحقة الذكر انه ارسل السار صموئيل باكر القائد الانكليزي الى اواسط افريقية في فرقتين من العساكر المصرية والوف من البغال والجمال لاكتشاف اراضيها الشاسعة ولكي يخضع كل القبائل المتوحشة لافتح طريق التجارة ولا يطل الانجار بالعيد وهو الذي اقام مجالس مخنطة في القطر للقضاء والحكم في الدعاوي التي بين الاجانب والرعايا . ومن اعماله ايضا انه قرّر وراثه الحكم من بعده في عائلته الخصوصية اي لابنه البكر ثم لابن ابنه حسب الطريقة الاوربية خلافاً للطريقة التي كانت جارية وهي انتقال الارث للاكبر في العائلة ولكن كل تلك الاصلاحات والتحسينات لم توازي الاضرار التي نتجت من سوء صنيعه باستقراض الاموال من الافرنج وتكثير الديون على الحكومة بارباح باهظة حتى بلغ الفائض السنوي في وقت ما على الاوراق المالية المصرية ٢٥ في المئة . اما المبلغ الذي اقترضه في مدة ١٣ سنة من حكمه فبلغ مع فائضه تسعين مليون ليرة انكليزية وفائضه السنوي اربعة ملايين وخمس مئة الف ليرة انكليزية وهو نحو نصف ايراد الملكة . واذ لم يعد في مقدرة الحكومة القيام بايفاء ما يطلب منها وخوفاً من ازدياد الشرلو في اسماعيل باشا مطلق التصرف على المالية المصرية اتفقت دول اوربا على نزع تلك السلطة من يده واقامة معتمدين اوربيين لاجل مراقبة المالية وحصر الايراد والخرج فوق الانتخاب على رجل انكليزي ورجل فرنساوي كنواب الامتين صاحبي الدين الاكثر فاستلما زمام المالية وقاما باعباء ماموريتها احسن قيام فساء ذلك اسماعيل باشا نظراً لانحطاط سلطته وهبوط قدره وحاول الغاء ذلك الترتيب وتلك المراقبة الاجنبية فلم



يتفجع شيئاً لانه كان قد تقرر في عقول فرانسوا وانكلترا وغيرها ان  
اعادة السلطنة اليه تؤدي الى خراب البلاد خراباً كاملاً واذ راوه غير مبالٍ  
لمشوراتهم ومرغوباتهم ومصراً على مقاومتهم اتفقوا جميعاً على عزله من منصبه  
فاسترخصوا الباب العالي في ذلك وخلصوه في بداية سنة ١٨٧٩ ونفوه من  
البلاد واقاموا ابنه توفيق باشا مكانه وهو الخديوي الحالي موصوفاً بالزهد  
وحسن الطوية محباً لشعبه وخير البلاد

## الباب الحادي عشر

في الثورة العراقية ودخول الانكليز بلاد مصر وظهور الثورة  
السودانية وذلك مدة ثلاث سنين من اواسط سنة ١٨٨٢  
الى اواسط سنة ١٨٨٥

لما كانت قلوب الاهالي امتلأت بغضاً للافرنج بسبب نفوذهم وسيادتهم  
واستيلائهم على الوظائف الكبرى والمربيات العليا اخذت الجرائد الوطنية تلجج  
بهذا الامر وتنهض همة الشعب للتخلص من الافرنج والاستقلال في البلاد فاغتم  
فرصة ذلك احمد عرابي باشا ناظر الجهادية المصرية وهو مصري الاصل كان  
قد ارتقى الى تلك الرتبة العالية بواسطة اجتهاده وعلو همة وتظاهر بالعصيان  
على الحكومة الخديوية بعد ان كان انحاز اليه القسم الاكبر من قواد العساكر  
بسبب انقطاع الحكومة عن صرف مرتباتهم اشهرًا عديدة فجاهر بالتمرد ورفض  
الطاعة وتبعه حزب كبير ليس فقط من متوظفي الحكومة بل من الاهالي ايضاً  
فكان مقداماً للثورة ورئيسها فهددته دولتا انكلترا وفرنسا وامرته ان يكف  
عن غيبه وغروره فاي الاستماع وسد آذانه عن مشورات نوابها لا بل انه زاد

أصراراً في عزمه وإظهار استعدادة لمقاومتها فأرسلنا أسطولها إلى ميناء الإسكندرية وتهديدناه بالضرب فأخذ يحصن القلاع ويجهز للدفاع فهاج أوباش المسلمين ضد الأفرنج في مدينة الإسكندرية في ١١ حزيران سنة ١٨٨٢ وقتلوا منهم أكثر من مئة شخص وشاع بين الجميع أن عرابي باشا هو الذي أثار تلك الفتنة ولكنه لم يثبت عليه ذلك بنوع جلي فتعاطم الأمر وكثر الخوف عند الأجانب أوريين وسوريين سواء وأخذوا يهجرون الديار المصرية وبذهبون إلى أوطانهم فكان عدد الذين نزحوا نحو ٦٠ ألفاً

ولما كانت طمع عرابي باشا لا يزال مزبناً له الحال في مداومة المقاومة وكانت سياسة أنكلترا تستدعي توقيف الثورة وإعادة السيادة الخديوية كما كانت ليس فقط حفظاً لطريق الهند الذي هو من أهم الأمور عندها ولكن منعاً لدخول جنود الفرنسيين كما كان أشار سابقاً غامبتا أحد رجال سياسة فرنسا فتصعب طريق الأنكليز للشرق في قبضة يد دولة قوية كفرنسا اعتمدت الوزارة الأنكليزية على توقيف الثورة بالقوة الجبرية ودعت فرنسا إلى مشاركتها في ذلك فابت ولم تقبل . حينئذٍ أطلق الأسطول الأنكليزي قنابله على قلعة الإسكندرية في أواسط شهر تموز من السنة نفسها وفي أقل من ١٢ ساعة هدمها كلها ولجأ عرابي وجماعته إلى الفرار بعد أن أحرقوا قسماً كبيراً من المدينة حيث تسكن الأفرنج والسوريون وتحصن مع جنوده في كفر الدوار . فانزل الأنكليز قسماً من الجنود استلموا زمام المدينة وما مضى ٢٠ يوماً حتى احتشد في الإسكندرية وفي السويس نحو ٢٠ ألفاً من الجنود الأنكليزية تحت قيادة السار كارنت ولسلي وإذا رأى المذكور أن مهاجمة الأعداء من جهة كفر الدوار كثيرة الخطر نقل القوات العسكرية إلى الأسماعيلية حيث كانت جيوش الهند معنثة وضرب عرابي وقواته في تل الكبير حيث كان متحصناً مع ثلاثين ألفاً من الجنود فهزمه في ١٤ أيلول وبدد شمل عساكره وسير الجيوش إلى القاهرة فدخلوها في اليوم الثاني واستلموا القلعة وقبضوا على عرابي وجماعته ونادوا بسيادة الخديوي وبعد

ان حاكمهم وابتدوا خيانتهم عفا عن قتلهم ونفوسهم الى جزيرة سيلان  
 وبينما كانت الثورة العرابية قائمة في مصر نهض رجل من عرب جنوبي  
 افريقية اسمه محمد احمد لقب نفسه بالمهدي وجمع حوله جيوشاً من الناس وتقدم  
 بهم الى البلاد السودانية التي تحت تسلط خديوية مصر فحارب بعض الاماكن  
 وتملكها ونهب اهلها فارسلت الحكومة المصرية عسكرياً تعزيراً للحامية تلك  
 الاماكن تحت قيادة هيكس باشا الانكليزي فكسره المهدي ومزق صفوفهم بعد  
 ان قتل منهم عدداً غفيراً وكان من جملة القتلى القائد الانكليزي المشار اليه . ثم  
 ان المهدي ارسل فرقة من جنوده الى السودان الشرقية فاستولوا على عدة  
 مقاطعات مصرية حتى اقتربوا من سواكن التي هي على شواطئ بحر الاحمر  
 فأرسلت فرقة جنود من مصر لمقاومتهم تحت قياد باكر باشا الانكليزي ولما  
 تقابل الفريقان في ساحة القتال ارتد المصريون الى الوراء منهزمين من غير  
 قتال فقتل منهم في ذلك اليوم نحو ثلاثة الاف ولم ينجُ الا القليلون مع قائدهم  
 باكر باشا فعند ذلك تحمست الدولة البريطانية وقاية للمصالح المصرية وجاهرت  
 بمقاومة الاعداء فارسلت فرقة تحت رياسة الجنرال كراهام وضربت العرب  
 ضربة هائلة وقتلت منهم اكثر من ٦٠٠٠ شخص ثم عادت العساكر الى القاهرة  
 بعد ان اقاموا في سواكن حامية كافية لردع المهاجرين

وكانت انكثرا قد اشارت على الحكومة المصرية ان تتخلى عن البلاد  
 السودانية وتسلمها عن مصر تخفيفاً للمصاريف والمسئولية وقررت على جعل  
 تخومها وادي حلفا فاذعنت الى ذلك وقبائنه الا انه لما كانت المراكز السودانية  
 مملوءة من الحامية المصرية وهي في خطر من هجمات المهدي ولم يكن في استطاعة  
 الحكومة ان ترسل جنوداً لانقاذ تلك النقاط المتعددة بسبب ارتباكها السياسي  
 والمالي وقع الاستحسان على ارسال غوردون باشا الانكليزي الذي كان  
 حكاماً سابقاً على السودان على رجاء ان يصلح الاحوال اذا امكن ويسحب  
 العساكر المصرية من تلك الانحاء فذهب الى الخرطوم وحاصرها نحواً من سنة

ولكنه لم يستطع ان يكبح هياج الاعداء لا بالنفوذ ولا بالقوة فاعتمدت الدولة  
البريتانية على ارسال جنود انكليزية لانقاذه من مكان حجره لانه اصبح غير  
قادر على التخاص فارسلت في خريف سنة ١٨٨٤ عشرة الاف جندي تحت  
رياسة الجنرال لورد ولسلي الذي افتتح الديار المصرية سنة ١٨٨٢ ولما وصلوا  
الى مقربة من الخرطوم فاجأهم جنود المهدي والتحم بينهم قتالان شديدا  
كانت الدائرة فيها على السود فانهزموا بعد ان قتل منهم نحو خمسة الاف  
رجل . وبينا كان الانكليز متصرفين وموملين سرعة دخولهم الى الخرطوم  
وردت اخبار سقوط تلك المدينة ودخول الاعداء اليها وقتلهم الجنرال  
غوردون فحبطت امانتهم وخابت مساعيهم واشتد الخطب عليهم اذ لم يكن  
ممكنًا لهم استخلاص المدينة في الحال لقله عددهم وتكاثر اعدائهم فبن اسوار  
تلك المدينة المحصنة

وكان السبب في سقوط الخرطوم خيانة بعض القواد المصريين من كان  
يركن اليهم غوردون باشا كل الركون واخصهم رجل يقال له فرج باشا ولم  
نجد بداً من ذكر اسمه ليكون محفوظاً في التاريخ على توالي الثرون وكان  
غوردون ينشد بلسان حاله

كل الامور اذا ضاقت لها فرجٌ لكن اموري اتاها الضيق من فرج  
وكان غوردون باشا يعز هذا الرجل لما ظهر له فيه من حسن الاستعداد فرقاه  
من درجة الى درجة حتى اوصله الى رتبة الباشاوية وكان يعتمد عليه ويظنه  
صادقاً مخلصاً بينما كان هو عدواً خائناً يرسل الاعداء سرا ويدبر على تسليمهم  
المدينة . ولما تحقق ان الانكليز صاروا على مقربة من الخرطوم وهم فائزون  
اظهر ما كان مكدونا وابان ما كان مخني وفي ٢٦ من شهر كانون الثاني سنة  
١٨٨٥ فتح ابواب المدينة للاعداء بينما كان غوردون باشا مستكناً في قصر  
الحكومة فدخلوها من غير مانع وعلت اصواتهم وضجائهم في الشوارع وهجموا  
على المسيحيين والافرنج القاطنين هناك فقتلواهم ولما خرج غوردون باشا ليتحقق

سبب ذلك الهياج لاقوة باطلاق الرصاص فوق قتيلاً وهكذا انتهت حياة هذا البطل الشهير

اما الانكليز فلم يعد ممكناً لهم التقدم على الخرطوم لاستغلالها نظراً لغائهم واذ كان فصل الربيع قد دخل ومياه النيل نقصت لم يبق سبيل لتعزير قوتهم الحربية واستحضار الجيوش من القاهرة على الخصوص لان الحاربة في تلك الديار الحارة في زمن الصيف لا يمكن انماها فصبوا حينئذ على توقيف الحرب وتاجيلها الى فصل الخريف القادم فرجعوا الى الورا واخذوا لانفسهم مراكز في جوار دنقلة وطلبوا الامداد من حكومتهم وكان ذلك امراً معيباً

ولما كانت الخطة التي سلكها اللورد ولسلي قائد الجيوش الانكليزية في توجيه هذه الحملة عن طريق النيل عوضاً عن طريق سواكن الى بربر هي خطة غير مستقيمة تقرر عدم استوائها قبل معرفة النتيجة عادت الحكومة الانكليزية الى رأي العموم الاول وبعثت التجريدة الجديدة عن طريق سواكن فعينت اثني عشر الف مقاتل لهذه الحملة تحت رئاسة الجنرال كراهم ليسيروا الى بربر لاعانة زملائهم في الخريف وشرعت في وضع سكة حديد بين سواكن وبربر لابد انها تاتي بفوائد كثيرة في المستقبل ولكن في هذه ايضا لم يحصل المرغوب لانه بعد ان حلت الجيوش في سواكن وضربوا الاعداء وابعدهم عن جوار المدينة وشرعوا في وضع السكة الحديدية صدرت لهم اوامر الوزارة بتاركة القتال والعودة والتاهب لمحاربة الروسيين في جهة افغانستان والله اعلم بما سيكون

اما سياسة الوزارة الانكليزية في الديار المصرية فكانت خالية من الصواب وبمغزل عن الروية والسداد ولذلك اورثت الامة خسران المال والرجال وجلبت عليها العار والوبال وجعلت الناس ينسبون اليها المكر والدهاء والطع في ضم البلاد الى باقي املاكها مع ان ذلك لم يكن من مقاصدها حسب ما صرحت واوضحت فاذا كان ما قررته هو ما تنويه حقيقة فتكون

ارتكبت افطع الاغلاط ويكون ضربها الاسكندرية ودخولها الفطر وتداخلها  
 في ادارة الاحكام المحلية وضربها العرب من جهة سواكن اول مرة ثم رجوعها  
 عنها في الحال وارسالها غوردون باشا الى المخرطوم ثم ارسالها حملة النيل  
 لاجل تخليصه وضرب سواكن ثاني مرة والشروع في مد السكة الحديد الى  
 بربر ثم العدول عن ذلك جهلاً صِرْفاً لا بتركة الجهلة من الناس

## الفصل الثالث

في تاريخ قرطاجنة

### الباب الاول

في وصف قرطاجنة وحروبها مع الرومان من سنة ٨٤٠  
 الى سنة ٢٦٤ ق م

وكانت قرطاجنة مدينة عظيمة من اشهر مدن افريقية القديمة والحديثة  
 وكانت مبنية بقرب خليج سبي اخيراً بخليج قرطاجنة نسبة اليها المعروف الآن  
 بخليج تونس. وكانت في تلك الاعصار تتحلى كعروس على ما سواها من المدائن  
 نظراً لابنتها الجميلة ومراحها العظيمة ومناظرها المبهجة الزهية. وكان السبب  
 في بنائها انه لما قتل بيكاليون ملك صور رئيس الكهنة اسرباس زوج شقيقته  
 ديدون طمعا به وذاختره هربت ديدون المذكورة بعد قتل زوجها من  
 ظلم اخيها وجوره مع عدد كثير من اكابر بيت ايها واعيانها ومعها ذخائر  
 واموال بعلمها الى نواحي افريقية الواقعة تجاه سيسيليا واتاعت من اهالي تلك  
 النواحي ارضاً واسعة واسست مدينة بالقرب من تونس ودعت اسمها قرطاجنة

اي الجديدة وذلك بمساعدة البعض من امالي تلك البلاد وغيرهم من الفينيقيين الذين كانوا هناك . ووضعت أسس هذه المدينة على حسب قول بعض المؤرخين سنة ٨٧٨ قبل الميلاد وقال آخرون سنة ٨٤٠ وظهر البعض انها بنيت في ايام يواش ملك يهوذا سنة ٨٤٦ وهو اصح الاقوال واشهرها . وكان جارباس احد ملوك تلك الاطراف قد خطب ديدون صاحبة قرطاجنة لنفسه وذلك بعد ما تغلب على مدينتها فابت وامتنعت لانها كانت قد آلمت على نفسها انها لا تزوج برجل على بعلمها المتبول في صور فلما راي عدم ميلها الى الزواج اراد ان يقتصبها قهراً فاضطرها الحمال الى ان حرقت نفسها بالنار وانتهت على هذه الصورة . فهذه بداية واصل مملكة قرطاجنة التي صارت فيما بعد من الممالك العظيمة بل بالبحري من اقوى واقدر ممالك تلك الازمنة واغناها وقد ارتقت الى اعلى درجة في العظمة والاقطار حتى كادت تهدم بشوكها وسطوتها اركان قواعد الدولة الرومانية كما سياتي بيان ذلك

اما مدينة قرطاجنة فكانت اولاً مدينة تجارية وقد ورث اهلها من ابائهم محبة التجارة فكانوا منعكفين ومثابرين على الاخذ والعطاء وما زالوا في ازدياد ونمو حتى وصلوا الى درجة ابائهم اهل مدينة صور في الغنى والجاه وفاقوهم بانساع دائرة الحكومة واشتهروا بين الممالك وتكونت منهم دولة عظيمة . وكانت حكومتهم في اول الامر حكومة ملكية ثم تحولت الى حكومة جمهورية تحت رئاسة رجلين من اعضاء المجلس العالي كانوا يفصلان المشاكل ويدبران امور الدولة ويجريان الاحكام التي لم يكن يرذن باجرائها الا بعد مصادقة المجلس الكبير الذي كان مؤلفاً من ثلاث مئة عضو وقيل من ست مئة . اما شعب قرطاجنة فكان مختلف الاجناس غير ان اصلهم من فينيقية وما يؤيد ذلك ان لغتهم كانت اشبه باللغة الفينيقية والعبرانية واقرب اليها حتى في الديانة ايضاً وكانوا موصوفين بالطبع وحب المكاسب . وقد انطقت عنا اخبارهم وتفاصيل احوالهم نظراً لاختلاف ديانتهم وشرائعهم عن اديان وعوائد اليونان

وغيرهم من الامم المجاورة فكانوا يكتفونها عنهم خوفاً من غائلهم لانهم كانوا شعباً غريباً ووحيداً في تلك الجهات ولم يبق لنا من توارخهم الا بعض آثار نقوش وغيرها ومنها يعلم ان تجارتهم كانت على نوع ما تجارة صورية وخالصة الكلام فبهم انهم وسعوا تجارتهم جناً حتى فاقت تجارة الاسكندرية لكثرة المعادن التي اكتشفها ابائهم في اسبانيا ووجود المحاصيل الكثيرة فيها وفي البلاد المجاورة لها . وما زال اهل قرطاجنة في نجاح واقبال حتى امتدت سطوتهم الى اكثر شمالي افريقية كاقليم تونس وطرابلس الغرب وغيرها من مالک البربر ثم افتتحوا جزائر البليار وجزراً كبيراً من جنوبي اسبانيا وسردينيا وكورسيكا وما لظنة ثم انتهى بهم الحال الى ان تغلبوا على سيسيليا وكان افتتاحهم لهذه الجزيرة سبباً لانتشاب الحروب الهائلة بينهم وبين الرومانيين كما سيأتي خبره

## الباب الثاني

في الحروب بين قرطاجنة ورومية من سنة ٢٦٤ ق م الى وقت

خربها الاول سنة ١٤٥ ق م ثم تجديدها ثانية وخربها

الاخير سنة ٦٩٢ بعد المسيح

وكان السبب في انتشاب الحروب بين ملكة قرطاجنة ودولة الرومانيين هو ان قوماً من سكان جنوبي ايطاليا كانوا قد التجأوا الى الرومانيين واستغاثوا بهم على هيروماك سرقوسا في سيسيليا فانتدب اهل قرطاجنة لنجدة ملك سرقوسا وكان الرومانيون قد ارسلوا جيشاً عظيماً لتلك الاطراف فاتصروا وتغلبوا على جيشي سرقوسا وقرطاجنة معاً . فدخل ملك سرقوسا خوف من اهل قرطاجنة ان تطمع في بلاده وتستولي عليها بعد ذلك فقطع مع الرومانيين



عهداً املاً انه بمساعدتهم له يطرد جيوش قرطاجنة من اطراف بلاده فاجابه الرومانيون الى ذلك ومن ثم شبت نيران الحرب بين المملكتين ولم يكن الرومانيون قبل ذلك الوقت قد امتدوا الى خارج ايطاليا ولم تكن لهم قوة بحرية اصلاً . وكانت مملكة قرطاجنة يومئذ في زهوة عظيمة وقوة بحرية واذ كان الرومانيون لا يستطيعون مقاومة اهل قرطاجنة بدون قوة بحرية بنوا نحو مئة سفينة وحاربوا التوم وانتصروا عليهم وغنموا منهم ٥٠ مركباً ثم زادوا عدد مراكبهم حتى بلغت ٢٠٠ سفينة وانتصروا على القرطاجنيين ثانية واستخلصوا منهم ٦٠ مركباً واستولوا على جزيرة كورسيكا وسردينيا . ثم تقدموا الى نواحي افريقية ونزلوا على مدينة قرطاجنة تحت رياسة القنصل ريغولوس واقاموا عليها الحصار حتى كادوا يتكونها لولا مساعدة اهل اسبارنة الذين قد امدوا اهل قرطاجنة بجيش تحت راية القائد كساتيب فانكسر الرومانيون واسر قائدهم ريغولوس فارسله اهل قرطاجنة الى رومية لكي يعرض على دولته شروط الصلح . فذهب وعند وصوله الى رومية اقنع الحكومة الرومانية بعدم قبول المصالحة وان طلب قرطاجنة هذا صادر عن عجز وضعف ثم عاد الى قرطاجنة كي لا يناقض قوله فقتلوه وهكذا انتهت الحرب الاولى التي دامت مدة ٢٢ سنة

وكانت مدة الصلح بين المملكتين المذكورتين نحو ٢٢ سنة وعند نهاية هذه المدة قام هنيبال بن هلكار رئيس جيش قرطاجنة في الحرب الاولى وحاصر احدى مدن اسبانيا التي كانت متمخزة مع الرومانيين مدة سبعة اشهر ولما اشتد حصارها احرقها اهلبا بالنار خوفاً من وقوعها في ايدي الاعداء ثم تقدم هنيبال المذكور بجيوشه الى داخل البلاد وقطع جبال الالب حتى توصل الى شمالي ايطاليا وحارب الرومانيين في وسط بلادهم وانتصر عليهم في جملة وقائع وذبج منهم عدداً لا يحصى وقيل انه ارسل اربعة ربوع من خواتم ذهب نزعها عن اصابع القتلى . وبقي هنيبال نحو ١٢ سنة في ايطاليا ولكنه لم ينجح اخيراً النجاح

التمام نظراً لعدم الإمداد . وفي أثناء ذلك جهز الرومانيون جيشاً عرمرماً تحت راية القائد المشهور المدعو شيبو وكان يلقب بالافريكاني فرحف بجنوده واستخلص جميع املاك قرطاجنة في اسبانيا ثم ركب السفن وتقدم الى سواحل قرطاجنة فلما رأى اهلها الاخطار المهددة بهم ارسلوا من فورهم يستدعون القائد هنيبال ان يرجع حالاً ليجدتهم فارتد راجعاً بعد مشقات ومتاعب لا توصف وكان قد فقد جانباً عظيماً من جيشه في تلك الحروب الخارجية . فالتقى هذان البطلان في مرجٍ واسع من سهول افريقية وشبت بين العسكريين نيران القتال وكانت الدائرة على عساكر قرطاجنة فانهمزمت اقع هزيمة بعد ان قتل منها عددٌ عظيم . ثم انعقد الصلح بين الطرفين بشرط ان القرطاجنيين يسلمون جميع جزائر البحر المتوسط مع سبيليا واسبانيا وجميع مراكبهم ما عدا عشرة منها الى الرومانيين وانهم لا يثيرون بعد ذلك حرباً الا باذن رومية وهكذا كانت نهاية الحرب الثانية التي دامت مدة ١٧ سنة

فاستمر الحال بين قرطاجنة ورومية في صلح وسلام من سنة ٢١٠ الى سنة ١٤٩ ق م حين شبت الحرب الثالثة بينها . وكان السبب في ذلك هو ان ملك نوميديا التي هي الآن جزء من بلاد الجزائر كان بيته وبين رومية محاللة وعهود فاخلس بعض الولايات التابعة لاحكام قرطاجنة فقام عليه القرطاجنيون وحاربوه فاستشاط الرومانيون غضباً من جرى ذلك بزعمهم ان هذا العمل من باب التعدي من اهل قرطاجنة على شروطهم المعقودة وصمموا على محاربتهم وخراب المدينة عن آخرها فجنّدوا الجنود وارسلوها الى تلك الاطراف تحت قيادة القائد شيبو المذكور آنفاً فحاصر المدينة وافتتحها بعد حرب اربع سنين ثم احرقها بالنار وكان ذلك سنة ١٤٥ ق م

وسنة ١٢٠ ق م جلب اليها غراكس الروماني شعباً غربية فرموها وسكنوها ثم جدّد عمارها اوغسطس قيصر ولكن ليس في نفس مكانها الاول وهكذا بمدة يسيرة نمت قرطاجنة الجديدة نمواً عظيماً حتى صارت من اشهر

مدن افريقية الرومانية ومن ثم استولى عليها الفنداليون سنة ٤٣٩ للمسيح  
وسنة ٦٩٣ افتتحها العرب وهدموها عن آخرها وما زالت خراباً الى يومنا هذا  
ولا يرى من بقاياها العظيمة غير رسوم دارسة واثار بالية وخرابها الآن يبعد  
من مدينة تونس مسافة ثلاث ساعات الى الشمال الشرقي

## الفصل الرابع

### في بلاد الحبشة

هذه البلاد واقعة في الجهة الشرقية من قارة افريقية ومحدودة شمالاً ببلاد  
النوبية وشرقاً بالبحر الاحمر وغرباً ببلاد الشلوك وجنوباً بسلسلي جبال متشعبة  
من جبال القمر يخرج منها عدة انهر متفرعة من بحر النيل الازرق والايض  
تر فيها وتسقي اراضيها . وعدد اهليها نحو اربعة ملايين دُعيت قديماً باسم ايشيوبيا  
واشملت ايضاً على بلاد النوبية مع باقي الولايات والاقاليم الواقعة في داخل  
افريقية . واول من قصدها واستوطنها قوم من بلاد العرب لا يعرف احد  
عنهم شيئاً خصوصاً لقدميتهم وتقادم عهدهم . وكان قسم كبير من هذه البلاد  
يدعى سباً ومنه انت ملكة سبا على ما يُظن الى اورشليم لزيارة الملك سليمان  
الحكيم . ويقال ايضاً ان الملك الذي تناوب كرسي ملكة الحبشة من نحو  
ثلاثين سنة من هذا العهد هو من سلالة هذه الملكة المذكورة

وكانت اهالي هذه البلاد في الايام السالفة على دين اليهود ثم دخلت اليها  
الديانة المسيحية في اواسط القرن الرابع فتصرت الملكة كنداكة مع جميع رعاياها  
ثم امتدت النصرانية الى بلاد النوبية في القرن السابع بواسطة القبط الذين  
التجأوا الى هناك عند ما افتتح المسلمون ديار مصر . ولكن عند دخول الملك  
الظاهر بيبرس اليها في القرن الثالث عشر قويت فيها شوكة المسلمين واتشريت

ديانتهم هناك . واما اهل الحبشة فلا يزالون متدينين بديانة مسيحية ممزوجة  
بعمائد وطقوس اخرى وبطبريركم يسمى من قبل بطبريرك القبط في مصر  
وكانت العادة الجارية في هذه البلاد ان ينفوا اكابر امراءهم الى جبل يسمى  
جشن وهذا الجبل في غاية الارتفاع وهو منتصت على هنة متساوية من جميع  
الاطراف حتى انه لم يستطع الصعود عليه او النزول عنه الا بواسطة السحب  
والتدلي بالحبال . وكان هولاء المنفيون يسكنون في اكواخ دنية على قمة هذا  
الجبل ولا يباح لهم بالنزول الا في وقت مماتهم وكان عموم الاهالي عند موت  
الملك ينتخبون احد هولاء الامراء ليخلفه على الكرسي وفي الجهات العربية شمالي  
بلاد النوبة جنس من العبيد يسمون الغلا يشبهون القروذ في صورة وجوهم  
وهم طوائف متوحشة ليس لهم مساكن ياوون اليها بل يصرفون حياتهم في صيد  
الافعال والنعام ويرقدون بين الاحراش كالبهائم وقد وصفهم بطليموس تحت  
اسم اليفتوفاج وستروفيوثاج وها كلمتان يونانيتان معناها اكلو الافعال واكلو  
النعام . فكادت الحبش في الازمنة القديمة تصيد هولاء القوم كما يصيد الناس  
الوحوش الصارية ولكن من جرى حروب الحبش مع القبائل المحيطة بهم  
ضعفت شوكتهم فكابدوا مشقات ومضرات كثيرة من جرئ مهاجمات الغلا  
وغاراتهم عليهم

وكانت هذه البلاد في الاجيال المتوسطة مقسومة الى عدة ولايات كل  
ولاية منها تحت سلطة شيخ او امير واستمرت على مثل ذلك الى ان صعد  
على سرير ملكها الملك ثيودورس الذي كان على جانب عظيم من الشجاعة  
والبطش فاخضعها جميعها لسلطته المطلقة ولكنها عصته اخيراً اظلم وشدة جور  
على الاهالي لانه كان يحملهم احمالاً ثقيلة لا طاقة لهم على حملها . وكان الجهل قد  
اعى بصيرته وغير اطواره حتى انه لم يعد يقدر العواقب وانتهى به الحال الى  
انه قبض على جماعة من مرسلي الانكليز وغيرهم من سياح الافرنج والقاهم تحت  
الترسيم بدون ادنى جنابة واستمروا في اسره زمناً طويلاً وقد خاطبته الحكومة

الانكليزية مراراً عديدة في اطلاق سبيل الأسرى المذكورين، وهو يرفض ويمتنع حتى اضطرها الامر اخيراً الى ارسال جيش لمحاربتهم تحت قيادة اللورد ناير مواب من اثني عشر الف مقاتل منهم اربعة الاف من العساكر الانكليزية الاوربية وثمانية الاف من عساكرها الهندية فوافته هذه الجيوش سنة ١٨٦٨ الى مدينة مجدلا وهي كرسى ملكتهم فقاتلوه بقرب هذه المدينة وكسروا جيشه وفرقوه وخاف الملك ان يسي اسيراً فاخرج غدارة من حزامه واطلق الرصاص في فمه فوق قتيلاً وهكذا انتهت حياته . وبعد ان دخل الانكليز مجدلا امر اللورد ناير بدفن الملك فدفن باحفال عظيم ثم اتى بابو وكان عمره نحو ثمان سنين فعامله معاملة حسنة تليق بعيال الملوك واصحبه معه الى انكلترا وبهذه الوساطة تخلص القوم من اسر الحبش . ومن اراد ان يعرف أكثر عن تاريخ الحبش وعوائدهم فعليه بمطالعة تاريخ الحبش تاليف الخواجا ثيوفيلوس ولد ميرالماي المطبوع في مطبعة المعارف في بيروت

— ١٥٩ —

## الفصل الخامس

في بلاد المغرب

### الباب الاول

في جغرافية هذه البلاد واخبار شعوبها الاقدمين

هذه البلاد يحدها شمالاً الاوقيانوس الاثلاثيكي وبجر الروم وشرقاً بلاد مصر وجنوباً الصحراء وغرباً الاوقيانوس الاثلاثيكي . وهي تنقسم الآن الى اربع

ولايات اصلية . الاولى مراكش وقاعدتها مدينة مراكش ومن اشهر مدن هذه الولاية بعد مراكش فاس ومكناس ومقدور وطنجة وثنان وسلا وتيفالالت ومكناسة . الثانية الجزائر ومن اشهر مدنها قسطنطينة ومسفرة وبونة او عنابة . الثالثة تونس وقاعدتها مدينة تونس ومن مدنها الاصلية بيزرته والقيروان وقابس وهي ثانية القيروان وبها منار مشهور . الرابعة طرابلس وهي تنقسم ايضاً الى ثلاثة اقسام الاول طرابلس وقاعدته مدينة طرابلس ثم متران وقاعدته مرزوق ثم بلاد برقة وقاعدتها درنة ومن مدنها المشهورة اوجيلة وسيوة . ولكل قسم من هذه الولايات اربع ولاء وحكام منفردون بسياسة احكامها . اما اصحاب مراكش فهم اعظم واشهر من باقي ارباب الولايات ولذلك يطلق عليهم لقب سلطان لا استقلالهم وامتيازهم على غيرهم واما ولاية طرابلس وتونس فيقال لهم باي وهو عندهم من اعظم الالقاب بعد اسم السلطان واما صاحب الجزائر فكان يقال له داي عند الافرنج . وعدد سكان بلاد المغرب نحو ٢٠ مليون نسمة واكثرهم على دين الاسلام وبينهم كثير من اليهود وقليل من النصاري

ويخترق هذه البلاد من الشرق الى الغرب سلسلة جبال اطلس وتقسها الى قسمين متميزين فالارض الواقعة في الجهة الشمالية معتدلة الهواء ولا سيما الاراضي المروية بالمياه فانها في غاية الخصب واما الارض الواقعة تجاه الجنوب المساة بلاد الجريد فهي براري واسعة موحشة وليس بها الا سهول محرقه مشوية بالملح عرضة لحرارة الشمس تقربها الرياح والوحوش وعلى الخصوص الجراد الذي ياتيها ويغطي اراضيها واما جبل اطلس فهو مرتفع وفاصل بين فاس ومراكش وفي جوانبه غابات كثيرة مملوءة بالاشجار . وفي هذه البلاد جميع النباتات الموجودة في اوربا الجنوبية ولو كان اهلها يعتنون بها حتى الاعضاء لزادت عن ذلك وفيها كثير من شجر النخل والزيتون والنارج والموز والتين والتوت والبلوط والعنب وقصب الكسر وفيها انواع من الوحوش الضارية كالسباع

والضباع والافاعي المضرة والعقارب وغير ذلك من الاجناس وفيها كثير من الخيول الحسان والهنج المستظرفة ويقال ان بعض هذه الهجن يمكنه ان يقطع في يوم واحد ستة وثلاثين فرسخًا من الارض

ان معرفة الاقدمين كانت قليلة من جهة الاقاليم والاراضي الممتدة من مصر الى جنوب المحيط وبلاد البربر فكانوا يعبرون عنها باسماء مختلفة ولم يكونوا يطلقون اسم افريقية الا على بلاد مصر وما جاورها من الاقاليم لان معرفتهم كانت محصورة في الاراضي الشمالية المعروفة الآن بالبلاد المغربية ولذلك لم يطلقوا عليها اسم افريقية الا في زمن الدولة القرطاجنية وأطلق هذا الاسم اولاً على مملكة قرطاجنة فقط ثم اخذ يمتد يوماً بعد يوم حتى عم جميع ممالك القارة وصار لقباً لها

وقد اختلف المؤرخون والعلماء في اصل سكان هذه البلاد فزعم بعضهم ان اصل المغاربة من اسيا نزحوا من بلادهم في الازمنة القديمة وقصدوا بلاد افريقية وجلّوا في شمالها وابتنوا لهم فيها منازل ومساكن وقال آخرون هم من عرب اليمن وقيل من بني غسان وذهب بعضهم الى انهم اخلاط من بني كنعان وعاليق . وكان السبب في رحيلهم الى تلك البلاد غزوات بعض الملوك الذين افتتحو بلادهم وثقلوا عليهم فانهزموا من امامهم وقصدوا الديار المصرية وعند وصولهم اليها منعهم ملوكها عن التزول بجوارهم فرحلوا عنهم وانتشروا في ساحات البلاد المغربية فترل بعضهم على السواحل البحرية ونزل البعض في الجهات الداخلية وسكنوا في تلك الاماكن واستوطنوها وشيدوا فيها القرى والمدن وتكونت منهم مع تنادي الزمان جملة قبائل وعشائر كصنهاجة ومغرا وزناتة وغيرهم من البطون والافخاذ . وما يدل على ان اصلهم من بني كنعان وآل فيبقيه بعض كتابات قديمة منقوشة على بعض الاثار القديمة باللغة الفينيقية منها هذه العبارة ( نحن الذين انهزمنا من امام يشوع بن نون المقتصب ) وهذا يقرب من العفل لانه عند رحيل بني اسرائيل من مصر وقدمهم الى

ارض كنعان وافتتاحهم تلك البلاد لا بد ان كثيرين من سكانها رحلوا منها واستوطنوا في تلك الجهات التي نحن بصددنا وربما كان هناك بعض القبائل المتبررة القديمة العهد فاخلطوا بعض ببعض وتكونت منهم مع تبادلي الازمان جملة عشائر وقبائل

وسميت بلادهم قديماً بلاد البربر قيل لها ذلك حسب زعم بعضهم لخشونة اصوات اهليها وبربرة لسانهم غير المفهومة ولكن ليس ذلك فقط بل الارجح لكونهم في مبدا امرهم كانوا في غاية الوحش والتبرير حتى انهم على ما قيل كانوا يأكلون لحوم الحيوانات نيئة ويقتاتون من عشب الارض كباقي الوحوش وكانوا يبرقدون على بساط الارض ايضاً حلو . ولكنهم مع تداول الايام اخذوا ينتقلون من حالتهم الوحشية الى حالة احسن واصح وهكذا بانضمامهم ضمن مدائن وقرى خرجوا شيئاً فشيئاً عن حالتهم المتبررة وبالتدرج ارتبطوا مع باقي الشعوب بروابط اسرعت تدنهم على نوع ما وعماً قليل شديدو المدن العظيمة وابتنوا لهم سفناً وصاروا اصحاب سطوة واقتدار واستمرت البلاد تحت نسلطهم عدة قرون وكانت مدينة قرطاجنة من اعظم واشهر مدائنهم ولشهرتها وسطوتها قد افرزنا لها فصلاً مخصصاً باخبارها ووقائنها

وما زالت البلاد في ايديهم وتحت تصرف احكامهم الى ان افتتحها الرومانيون بعد حروب ووقائع كثيرة قد ذكرنا اشهرها في اخبار قرطاجنة . وكان كلما تقدم الرومانيون في فتح البلاد ترحل القبائل من امامهم وتلجج الى الجبال والاماكن الوعرة بحيث لا يقدر الرومانيون ان يتوصلوا اليهم وهي القبائل المعروفة الآن عند الافرنج بالنوميديية واما باقي السواحل كبراكش والجزائر وغيرها فكان يطلق عليها اسم موريتانيا وعلى سكانها اسم مور فخصوا للرومانيين واخناطوا معهم واعترفوا ديانتهم وسنة ١٧ لهيلاذ قام احد البرابرة المدعو تاكفراس واستمال قلوب الناس اليه وجعل يحرضهم على العصيان وتخليص البلاد من نير السلطة الرومانية فاجابته الى ذلك اكثر الاهالي



وحاربوا الرومانيين واستمرت الحروب بينهم نحو سبع سنين ولكنهم لم ينجحوا  
 وسنة ٤٢٧ للميلاد نشر يوفيفاس الوالي الروماني علم العصيان ضد  
 العاصمة وخرج عن طاعة دولته وتعلقت اماله بالاستقلال على البلاد المغربية  
 فارسل الى الفنداليين الذين كانوا يومئذ سكان الاندلس في اسبانيا يلتمس  
 منهم المساعدة والامداد على بلوغ غايتهم فاجابهم جنساريك الى ذلك وقصد  
 افريقية بثمانين الف مقاتل وعند وصوله الى تلك السواحل اخذ يفتح المدن  
 والاقاليم ويضيقها الى احكامه فلما راي يوفيفاس ان القوم الذين كان يامل  
 مساعدتهم قد صاروا له من جملة الاعداء والاصنام ندم على ما فعل واضطر  
 ان يدافع عن نفسه خوفاً من الغلبة ولكنه بعد جملة وقائع انكسر وتفرق جيشه  
 وتبدد واستولى الفنداليون على تلك البلاد واستمرت تحت قبضة ايديهم الى  
 زمن الامبراطور جوستينيان حينما ارسل جيشاً عرهم سنة ٥٢٥ للميلاد تحت  
 رياسة القائد بليساريوس وافتتحها ومن ذلك الوقت انقرضت الامة الفندالية  
 ولم يعد لها ذكر

## الباب الثاني

في دخول المسلمين الى بلاد الغرب وافتتاحهم مدنها واقاليمها  
 وباقي ولاياتها

اما قوة الدولة الرومانية بعد انقسامها الى سلطنتين شرقية وغربية فاخذت  
 تضعف شيئاً فشيئاً بعد تلك السطوة والهيبة العظيمة اذ لا يخفى ان كل مملكة  
 انقسمت على ذاتها لا تثبت ولا تدوم . وكان العرب يومئذ في نجاح عظيم فانهم  
 بعد ما فتحوا سورية ومصر وجهوا افكارهم نحو هذه البلاد فقصدها عمرو بن

العاص والي مصر بجيش جرار سنة ٦٤٤ فقطع بلاد النوبة وفتح برقة وما جاورها من الاقاليم وكان قد حدث في غيايه ثورة في الاسكندرية الزمتة بالرجوع الى الديار المصرية لتهدد القلاقل والفتن في تلك الاثناء توفي عمر بن الخطاب وتولى مسند الخلافة بعده عثمان بن عفان فعزل عمرو بن العاص عن ولاية مصر وولى مكانه عبد الله بن سعد فزحف هذا الوالي الى بلاد المغرب وحارب القائد غريغوار رئيس جيش الروم فكسره ومزق شمل عسكره وفتح تونس وطرابلس وكثيراً من المدن والبلدان ثم تقدم نحو قرطاجنة وارسل الى اهلها يقول لهم انه استعد ان يتحول عنهم ويترك لم باقي البلاد التي فتحها بشرط ان يدفعوا له مليونين ونصفاً من الدنانير فاجابوا طلبه ودفعوا له المال وهكذا اثني راجعاً الى مصر تاركاً جميع فتوحاته

فلما بلغ هذا الخبر حكومة القسطنطينية استعظمت ذلك المبلغ الذي دفعه رعاياها في الغرب للمسلمين فخذت على عماها واتهمتهم بالخيانة وصممت على الانتقام منهم وسنة ٦٦٣ للميلاد ارسل الامبراطور قسطنطس الثاني الى والي المغرب يطلب منه مبلغاً على قدر المبلغ الذي دفعه الاهالي للمسلمين فلم يجبه الوالي الى هذا الطلب واتحد سراً مع معاوية بن ابي سفيان راس الدواة الاموية على فتح البلاد واستخلاصها من ايدي الرومانيين وانه يكون مساعداً له في الباطن فاغتم معاوية هذه الفرصة وارسل جيشاً تحت قيادة معاوية بن خديجة وعبد الله بن الزبير لفتح بلاد المغرب ففتحها نجاحاً عظيماً وكسرا الجيوش الرومانية . وسنة ٦٦٦ ارسل جيشاً اخر لنجدة الجيش الاول ثم ارسل في سنة ٦٧٠ نجدة اخرى تحت راية الامير عقبة بن نافع ففتح هذا الامير كل البلاد الشمالية من الشرق الى الغرب الاقصى وفتح كل بلدة مسكونة في تلك الجهة ومهد باقي الاقطار وسنة ٦٧٥ بني في حرش غاص بالوحوش الكاسرة مدينة القيروان فصارت من ذلك الوقت مقراً ومركزاً لولاية الاسلام على البلاد المغربية وازدهرت داراً للعلوم ومقصداً للطلاب .

واخيراً حصره في تلمسان وقتله

فاستولى على المملكة بعده اخوه خير الدين المشهور باسم بربروس واخذ بشار  
اخيه ثم رتب احوال المملكة ونظم امورها واذ كان يخاف من هجمات الاسبانيولين  
وغاراتهم على بلاده استعان بالسلطان سليمان الثاني ودخل تحت ظل حمايته  
فامده بالجيوش العثمانية . ثم سلمه رياسة العمارة البحرية وجعله قبطان باشي على  
مراكبه الحربية وكان بربروس قد اضمر ان يفتح جميع بلاد الغرب ويقدمها  
خدمة للسلطان في مقابلة جميله وعند ما شرع في هذا الامر اضطربت اشراف  
ايطاليا من سطوته واتحدوا مع شرككان امبراطور اسبانيا على حربه فحاربه  
شرككان وقهره وبدد جيشه وسلم زمام البلاد للموكها الاصليين

وسنة ١٥٧٤ للميلاد جهز السلطان سليم الاول جيشاً عربراً وارسله مع  
عمارة بحرية تحت قيادة سنان باشا لفتح تونس وباقي بلاد المغرب فافتتحها  
من الاسبانيولين ثانية بعد حروب ووقائع هائلة ومن ذلك اليوم صارت جميع  
البلاد ما عدا مملكة مراكش خاضعة للدولة العثمانية . وكانت الجزائر قد استقلت  
نوعاً سنة ١٥٨٥ واستمرت كذلك الى سنة ١٨٣٠ حين حاربتها دولة فرانسوا  
بسبب تعدي اهلها على السفن الفرنسية وعلى حقوق سنتها ورعاياها المقيمين  
فيها فافتتحت في اول الامر جانباً منها وكان اعظم مقاومتها في هذه الحروب  
الشيخ محيي الدين الحسيني الذي طلب منه اهالي الجزائر جلاء مراراً ان يملك عليهم  
وكان بابي الملك تزهداً فعند ما ضايقهم الفرنسيون قصدوا اجباره على ان  
يتسلطن عليهم اما هو فبقي مصرّاً على عدم قبوله فتمددوه بالقتل ان لم يقبل فما  
قبل بل اعطاهم ابنة عبد القادر و اشار عليهم ان يجعلوه سلطانهم فبايعوا عبد  
القادر المذكور في الملك وهو من مشاهير هذا العذر في الشجاعة وعلو الهمة  
فقاوم الفرنسيين اشد مقاومة وكانت بينه وبينهم مواقع وحروب كثيرة لا يسعنا  
ضيق المقام التعرض لذكرها ثم سلم اخيراً في ٢٢ كانون الاول سنة ١٨٤٧  
للميلاد بعد ان حاربهم مدة ست عشرة سنة . ثم ارسلوه الى فرانسوا وبقي هناك

الى سنة ١٨٥٢ حين اعنته نابوليون الثالث من الاعتقال وعين له مرتباً سنوياً يدفع اليه من خزينة الدولة فاتي وسكن دمشق ولم يزل قاطناً بها الى ان توفاه الله .

واما بلاد تونس فكانت كالديار المصرية على نوع من الاستقلال تحت مال معلوم تدفعه سنوياً الى الدولة العثمانية الى ان كانت سنة ١٨٨١ ادخلها فرانس تحت حمايتها واشهرت سيادتها عليها عنوة واقتداراً غير انها ابقت سياستها في ايدي اهاليها وواليها الحالي يقال له سيدي علي باشا اخا محمد صادق باشا الوالي السابق ويلقب بالبابي وهو مشهور بحسن الادارة وعلو الهمة

وعدد اهالي هذه البلاد يبلغ ٣ ١٠٠ ٠٠٠ نسمة وعاصمتها مدينة تونس عدد سكانها ١٢٥ الفاً اكثرهم مسلمون وليس لهذه البلاد شهرة عظيمة في التجارة واكثر وارداتها الاقمشة الانكليزية وقد بلغت قيمتها سنة ١٨٨٢ نحو ٤٤ مليون قرشاً واما صادراتها فنحو ١٩ مليوناً تقصر في بعض اصناف من محصولاتها كزيت الزيتون والاسفنج والبلح والبقول والسمك والملح والصوف والطربوش اما البلاد الوحيدة التي حفظت استقلاليتها من سنة ١٥٥٩ الى هذه الايام فهي مراكش وهي من اشهر واعظم الاقسام المتقدم ذكرها واستقلالها استقلال حقيقي دون غيرها من ممالك بلاد المغرب وسلطانها الحالي يقال له السيد محمد بن عبد الرحمن وهو من افاضل الناس بوصوف بالوداعة والمزايا الحميدة

واخيراً حصره في تلمسان وقتله

فاستولى على المملكة بعده اخوه خير الدين المشهور باسم بربروس واخذ بشار  
اخيه ثم رتب احوال المملكة ونظم امورها واذ كان يخاف من هجمات الاسبانوليين  
وغاراتهم على بلاده استعان بالسلطان سليمان الثاني ودخل تحت ظل حمايته  
فامده بالجيوش العثمانية . ثم سلكه رياسة العمارة البحرية وجعله قبطان باشي على  
مراكبه الحربية وكان بربروس قد اضمر ان يفتح جميع بلاد الغرب ويقدمها  
خدمة للسلطان في مقابلة جميله وعند ما شرع في هذا الامر اضطربت اشراف  
ايطاليا من سطوته واتحدوا مع شرككان امبراطور اسبانيا على حربه فحاربه  
شرككان وقهره وبدد جيشه وسلم زمام البلاد للموكها الاصليين

وسنة ١٥٧٤ للميلاد جهز السلطان سليم الاول جيشاً عرماً وارسله مع  
عمارة بحرية تحت قيادة سنان باشا لفتح تونس وباقي بلاد المغرب فافتتحها  
من الاسبانوليين ثانية بعد حروب ووقائع هائلة ومن ذلك اليوم صارت جميع  
البلاد ما عدا مملكة مراكش خاضعة للدولة العثمانية . وكانت الجزائر قد استقلت  
نوعاً سنة ١٥١٥ واستمرت كذلك الى سنة ١٨٣٠ حين حاربتها دولة فرانساً  
بسبب تعدي اهلها على السفن الفرنسية وتلى حقوق سنتها ورعاياها المقيمين  
فيها فافتتحت في اول الامر جانباً منها وكان اعظم مقاومتها في هذه الحروب  
الشيخ محيي الدين الحسيني الذي طلب منه اهالي الجزائر جلاء مراراً ان يملك عليهم  
وكان بابي الملك ترهداً فعند ما ضايقهم الفرنسيون قصدوا اجباره على ان  
يتسلطن عليهم اما هو فبقي مصرّاً على عدم قبوله فتهددوه بالقتل ان لم يذبل فما  
قبل بل اعطاهم ابنة عبد القادر و اشار عليهم ان يجعلوه سلطانهم فبايعوا عبد  
القادر المذكور في الملك وهو من مشاهير هذا العذر في الشجاعة وعلو الهبة  
فقاوم الفرنسيين اشد مقاومة وكانت بينه وبينهم مواقع وحروب كثيرة لا يسعنا  
ضيق المقام التعرض لذكرها ثم سلم اخيراً في ٢٣ كانون الاول سنة ١٨٤٧  
للميلاد بعد ان حاربهم مدة ست عشرة سنة . ثم ارسلوه الى فرانساً وبقي هناك

الى سنة ١٨٥٢ حين اعتقه نابوليون الثالث من الاعتقال وعين له مرتباً سنوياً يدفع اليه من خزينة الدولة فاتي وسكن دمشق ولم يزل قاطناً بها الى ان توفاه الله

واما بلاد تونس فكانت كالديار المصرية على نوع من الاستقلال تحت مال معلوم تدفعه سنوياً الى الدولة العثمانية الى ان كانت سنة ١٨٨١ ادخلتها فرانساً تحت حمايتها واشهرت سيادتها عليها عنوةً واقتداراً غير انها ابقت سياستها في ايدي اهاليها وواليها الحالي يقال له سيدي علي باشا اخا محمد صادق باشا الوالي السابق ويلقب بالباي وهو مشهور بحسن الادارة وعلو الهمة

وعدد اهالي هذه البلاد يبلغ ٣ ١٠٠ ٠٠٠ نسمة وعاصمتها مدينة تونس عدد سكانها ١٢٥ ألفاً اكثرهم مسلمون وليس لهذه البلاد شهرة عظيمة في التجارة واكثر وارداتها الاقمشة الانكليزية وقد بلغت قيمتها سنة ١٨٨٢ نحو ٤٤ مليون قرشاً واما صادراتها فنحو ١٩ مليوناً تنحصر في بعض اصناف من محصولاتها كزيت الزيتون والاسفنج والبلح والبقول والسمك المملح والصوف والطربوش اما البلاد الوحيدة التي حفظت استقلاليتها من سنة ١٥٥٩ الى هذه الايام فهي مراكش وهي من اشهر واعظم الاقسام المقدم ذكرها واستقلالها استقلال حقيقي دون غيرها من ممالك بلاد المغرب وسلطانها الحالي يقال له السيد محمد بن عبد الرحمن وهو من افاضل الناس بوصوف بالوداعة والمزايا الحميدة

## الفصل السادس

### في جزيرة مداكسكر

لا يخفى ان في قارة افريقيا عدة جزائر متفرقة منها واقعة على شرفها ومنها على غربيها اما الجزائر الواقعة على الجهة الشرقية فمنها جزائر كومورو وسكانها نحو ٣٠ الف نسمة اكثرهم من العرب والمسلمين . وجزيرة يوربون التابعة احكام فرانسوا وعدد اهلها ٦٥ الف نفس وجزيرة موريتوس وملقائما التي هي تحت نسلط الانكليز وجزيرة سومطرا او غيرها . واما الجزائر الواقعة على غربي القارة فمنها جزيرة مدابرا وجررالراس الاخضر وهذه جميعها تحت حكم البرتوغال . ثم جزيرة القديسة هيلانة التي بيد الانكليز وجزائر كناري او الخالدات المختصة باسبانيا وغيرها ولكن اذ كانت جزيرة مداكسكر اعظمها جميعها في الاتساع وعدد الاهالي راينا ان نذكر شيئاً عنها قبل الانتقال من هذه القارة ان جزيرة مداكسكر واقعة في بحر الهند للجهة الجنوبية الشرقية من قارة افريقية وتحسب قسماً لقربها اليها مع انه يفصلها عنها خليج موزامبيك الذي مضيق عرضه ٢٠٠ ميل . ومساحة هذه الجزيرة فسحة فان طولها من الشمال الى الجنوب ٩٥٠ ميلاً ومعدل عرضها ٢٥٠ ميلاً على انه في بعض الاماكن يبلغ ٢٥٠ ميلاً فعلى ذلك تعادل مساحتها مساحة مملكة فرانسوا تقريباً

اما عدد سكانها على ما ذكره الجغرافيون فخمسة ملايين وهم شعوب وقبائل مختلفة متفرقون بين جبالها وسهولها وديانتهم وثنية اذ لم يوجد بينهم من يهدمهم ويرشد لهم معرفة الخالق . واما الآن فقد دخلت الديانة المسيحية الى هذه الجزيرة دخولاً عجيباً بواسطة مرسلين انكليز ولاتينيين وغيرهم واخذت تعاليم الانجيل

تنشر بينهم وتمتد حتى ان عدد المسيحيين الان يبلغ نحو ٢٠٠ الف نفس من  
 حملتهم الملكة الحالية ووزراؤها وذوو الرتب والمناصب . وهذا التغيير العجيب  
 تم في مدة خمسين سنة فقط . والمأمول انه في وقت قريب ثلاثي الديانة  
 الوثنية من هذه الجزيرة وتنشر معرفة الخلاص بين جميع شعوبها  
 اما هواء هذه الجزيرة فعلى الاغلب حار وفي بعض الاماكن تشتد الحرارة  
 الى درجة غير محتملة بحيث تكون قتالة للاوربيين القادمين من بلاد باردة  
 واما فصولها فتختلف عن باقي الفصول المألوفة للناس اذ لا يكون فيها سوى  
 فصلين فقط وهما الشتاء والصيف

فصيفها يتدئ من شهر تشرين الثاني وينتهي في نيسان والشتاء من ايار  
 الى نهاية تشرين الاول . واما تربتها فجيذة الى الدرجة القصوى وتاتي بتناج  
 عظيمة اخصها الارز وهو المعول عليه في ماكولات الاهالي ويرسل منه جانب  
 الى الخارج برسم التجارة ولو كان لاهلها زيادة خيرة ومعرفة في امر الزراعة لكانت  
 البلاد في نجاح اكثر مما هي عليه الان . ومن مستغربات اشجار هذه الجزيرة شجرة  
 يقال لها شجرة السياح وهي اشبه بشجرة الموز ومن خواصها انه يوجد في اسفل كل  
 غصن منها ورقة ملتفة على شكل الكيس تبعاً فيها مياه المطر فيستعين بها  
 المسافرين في اسفارهم . قال بعض السياح كنت مسافراً ذات يوم في مداكسكر  
 فوصلت الى غابة متسعة فيها كثير من هذه الاشجار واذ كنت عطشاً انا اخذ  
 احد غلماي رحماً وطعن به غصن شجرة منها فخرج ماء عذب بارد مقدار ١٥٠  
 درهماً فشربت وارويت ظمائي وسرت شاكرًا

وفي هذه الجزيرة بعض المعادن كالنحاس والحديد والرصاص والتصدير  
 الزئبق وغير ذلك ولكن لم يستخرج منها الى الان غير الحديد فقط . وبها انهر  
 ع . ية وجبال شامخة ارتفاع بعضها نحو ٩٠٠٠ ذراع . ومن اعظم مدنها مدينة  
 اتاناناريو وهي عاصمة الملكة ومقر كرسي الحكومة . وعدد سكانها نحو ٨٠ الف  
 نسمة . ومدينة تاماناف وهي اسكلة بحرية كثيرة التجارة واهلها نحو ٢٠٠٠ نفس



اما شعوب هذه الجزيرة فينقسمون الى قسمين كبيرين . الاول يقال لهم شعوب السفولان وهم يشبهون العبيد في اللون والعوائد يسكنون غربي جبال الجزيرة . والثاني شعوب المالاكاز او المالباز ومنها قبيلة الهواز التي سادت على باقي قبائل الجزيرة سطوة وشوكة والتي منها العائلة الملكية الحاضرة . ولذلك يطلق على حكومة مداكسر حكومة المالاكاز وعلى شعبها شعب المالاكاز . والمظنون ان هذا الجنس خرج في الاصل من شبه جزيرة ملقا او ملايا في الهند الشرقية وانتشروا في عدة اماكن اخصها جزائر المحيط فان اغلب الاهالي منهم . ويمتاز هذا الجنس بشدة اسمرار البشرة وبطول الشعر وتدليه وسواده وبخامة الانف وتفرطه وبكبر الاعين ولعانها

اما عوائد اهالي مداكسر فقيحة ويكفيها ان تقول انهم عبدة اصنام فليستنج القارئ ما وراء ذلك من الصفات . ومن عوائدهم الوحشية عملية احياناً يسونها طنجينا اي عملية كشف السحر استعمالها في القضايا الواقعة فيها الشبهة على بعض الناس من جهة كونهم يستعملون السحر او لم يداخلة في فتنة سياسية او ميل نحو النصرانية . وكان اعتقاد العامة في صدق هذه العملية بهذا المقدار قويا حتى ان الابرياء المتهمين في الشكايات المذكورة فضلاً عن كونهم يخضعون ويسلمون بصحة تلك العملية كانوا يطلبون ان تجرى عليهم برغبة شديدة لتبرير انفسهم امام الشعب مع ان الاكثرين منهم كانوا يموتون من مخاطرها وتموت براءتهم معهم . اما كيفية تلك العملية فانهم كانوا ياتون بالشخص المتهم امام رئيس الطنجينا ( ويقال له اللاعن ) فيضع في فيه ثلاث قطع من جلد دجاجة ليبلعها بدون مضغ ثم يطعمه قليلاً من الارز المغفل وبعد ذلك ياتي بجوزة من السم فينحمت منها قليلاً في عصير موزة ويسقيها للمتهم ثم يضع يده على راسه ويندئ بهذه الصلاة قائلاً اسمعي اسمعي واصفي جيداً يا ابنها الراءانا مانكو<sup>(١)</sup> انت بيضة مستديرة من عمل الله انت التي تنظرين وليس لك

(١) اي المنتشة او الفاحصة

اعين انت التي تسمعين وليس لك اذان انت التي تحيين وليس لك فم اسمعي  
اذا واصفي جيداً يا ايها الرايمانامانكو . ثم يطيل الكلام في تلك الصلاة التي لم  
نقف الا على ما ذكرناه منها وغاية قصدهم بهذه الاستغاثة للنجينا ان نخلص  
احوال المتهم وتظهر ذنبه فان كان برياً تجعله يستفرغ ما ابتلعه من جلد  
الدجاجة صحيحاً كما كان ولكن اذا كانت المعدة قد هضمها ولم يخرج التي شيئا  
منها يحسبون ذلك دليلاً واضحاً على ذنب المتهم فيبتدئون حينئذ بضربه  
ضرباً بالياً حتى يموت ثم يدفونه في حالة الذل والاهانة وفوق كل ذلك  
يضبطون جميع املاكهم ويغرمون اقاربه . وكان عدد الذين يموتون بهذه المينة  
الشيعة ثلاثة الاف شخص كل سنة ولكن هذه العادة قد بطلت الآن بواسطة  
دخول الديانة المسيحية

اما تاريخ هذه الجزيرة فجهول ولا يعلم كيف او اي متى سكنها الناس  
ومع انه كان للعرب والمغاربة صلة قديمة معها في التجارة لم يسمع عنها شيء الا  
في الجيل الثالث عشر من ماركو بولو النيسباني الذي اشهر في سياحه  
الطويلة في اسيا وافريقية فانه يسميها ماغاستر مع انه لم يدخلها . واول من  
زار هذه البلاد لورنس الميدا حكمدار بورتوغار في الهند فانه مر عليها وهو  
متوجه الى محل ماموريتو سنة ١٦٠٥ . وقد حاول البورتوغاليون مراراً عديدة  
اخضاع هذه الجزيرة وامتلاكها فاستولوا على بعض سواحلها ولكنهم اخيراً طردوا  
منها

وكان الفرنسيون قد اجتهدوا ان يضموها الى املاكهم في افريقية واستعملوا  
جملة وسائل الى ذلك فلم تجدهم نفعاً لانهم حصلوا على مقاومات شديدة من  
الاهالي ومن الانكليز ايضاً الذين مع انهم جيران في اوربا لم يسروا بقومهم في  
افريقية واسيا . ففي سنة ١٦٤٤ قدم الى تلك الجزيرة جماعة من الفرنسيين  
واستوطنوا في بعض اطرافها . وسنة ١٧٧٤ ارسلت فرانس الكونت بنياوسكي  
ليقيم هناك بعض مراكز حربية فذهب في جيش عديد وعند وصوله الى تلك

الجهات اظهر العصاة على الحكومة طبعاً بالاستقلال فبعثت دولة فرانساً فحاربتُه وقتلته . وسنة ١٨١٥ تملك الفرنسيون بعض مراكز على الشواطئ الجرية لكنهم التزموا اخيراً ان يتركوها بسبب قيام الاهالي عليهم . وفي اثناء ذلك وقع الاتفاق بين دولتي انكلترا وفرنسا ان تعزلا كلناهما عن استملاك شيء من اراضي الجزيرة وان يتركاهما لاهلها

وسنة ١٨٥٥ استحصل رجل فرنساوي يدعى لامبر رخصة من الملكة رانافالونا الاولى لاقامة معمل للسكر شراكة بينه وبينها . فبسبب هذه الشراكة صار له وسيلة للتردد على العاصمة والتعرف بوزراء الحكومة . ثم اتصل بعد ذلك بمعرفة الامير راكوتو ولي العهد فكان يشرح له عن التجارة ووسائلها الفنى الناتجين من اصلاح الزراعة وتحسين احوال البلاد فانقضا ذات يوم سرّاً على اقامة شراكة لاجل هذه الغاية ووعداً الامير راكوتو بانه عند جلوسه على سرير الملك يعطي لامبر اراضي كثيرة للزرع وحفر المعادن وغير ذلك من الامتيازات التي من شأنها ان تجلب المكاسب وتصلح امور البلاد . فلما تولى الامير راكوتو زمام الملكة لقب راداما الثاني والتقى به جملة من الاجانب واحاط به اصحابه الاقدمون ممن كانت تحلوه عشرتهم فانعكف على الملاهي واللذات واهمل عهده مع لامبر فكان يطالبه ويلزمه ويشدد عليه في ذلك حتى التزم اخيراً ان يجري ما وقع عليه الاتفاق فاصدر اوامره باعطاء لامبر قسماً كبيراً من الاراضي واذن له باستخراج المعادن وضرب النقود وعمل الطرقات والترع وغير ذلك من الامور التي اجراها على غير رضى وزرائه واركان دولته

وفي السنة الثانية من حكمه حدثت ثورة في البلاد قتل بها هذا الملك وخلفته الملكة رازوهرينا وعند جلوسها توقفت الحكومة عن اجراء اوامر الملك السابق واعلنت للفرنساويين بانها لا تقبل ولا تسلم بتلك الموافقة السرية التي جرت بغير معرفة روسائها فتشكى الفرنسيون من تلك المعاملة واقاموا الحجة على حكومة مداكسكرو ولجبت فرانساً الكومودور دوپيري ان يقصد

الجزيرة ويسعى في تحصيل مطالب رعاياها فذهب اليها بثلاث قطع حرية  
واخذ يتهدد الحكومة وأكدته لم يستطع ان يجري بالفعل تلك التهديدات نظراً  
لما يعده من الموافقة الواقعة بين فرنسا وانكلترا من جهة اعتراضها عن المداخلة  
والاغتصاب . ولكن اذ كان لا بد من صرف القضية على وجه من الوجوه  
ارسلت حكومة مداسكر سفراء الى فرنسا وانكلترا في اواخر سنة ١٨٦٢  
وهناك انفضت هذه المسئلة بالزام الحكومة ان تدفع للفرنساوين مليون فرنك  
مقابلة لاسقاط دعواهم

ثم خلف هذه الملكة المذكورة الملكة رانا فالونا الثانية في اول نيسان سنة  
١٨٦٨ وتزوجت في ٢ ايلول من السنة المذكورة وتزوجت بالصدر الاعظم  
في ١٩ شباط سنة ١٨٦٩ وتعدت مع زوجها في ٢١ الشهر المذكور  
من قسيس وطني انجيلي يسمي اندرياميلو وفي تلك السنة  
امرت الحكومة بان تلاف الاصنام وهيكلها من  
اقليم ايميرينا الذي هو اعظم اقليم  
في تلك البلاد ومقر  
اقامة الحكومة

# القسم الثالث

في قارة أوروبا

## الفصل الأول

في الكلام على هذه القارة وما يتعلق بها

ان قارة أوروبا اصغر القارات ومساحتها ربع مساحة اسيا تقريباً وثالث مساحة افريقية ولكنها مع ذلك هي اعظم وأشهر من باعتبار الغنى والقوة والمدن ولا سيما في المائر وامتيازات الصنائع والعلوم وهي قسم من نصف الكرة الشرقي يفصلها عن اسيا جبال اورال وعن افريقية بجزر الروم او المتوسط لتوسطه بين القارتين وبوغاز جبل طارق الذي يفصل أوروبا عن افريقية بواحد وعشرين ميلاً وهي محدودة غرباً بالاقيانوس الاثلاثيكي وشمالاً ببحر الثلج الشمالي

اما عدد سكانها فيبلغ ٢٠٠ مليون تقريباً وتنقسم شعوبها الى اربعة اقسام اصلية الاول الشعوب الجرمانية وهم سكان جرمانيا وبريتانيا واسوج ونروج ودينارك وهولاندا وبلجيوم . الثاني الشعوب السكثية وهم أكثر سكان روسيا وبعض سكان النمسا . الثالث الشعوب التتارية وهم الاترك واهل شمالي روسيا .

الرابع الشعوب الذين هم من ذرية الرومانيين القدماء الذين اختلطوا بالقبائل الشمالية التي تغلبت على المملكة الرومانية القديمة وانتشرت في اقاليمها واستوطنها وهم اهل ايطاليا وفرنسا واسبانيا وبرتغال . وفيها ايضا اجيال اخر كالروم والارمن واليهود ممن لا يمكن وضعهم في مصاف الرتب المذكورة لانهم اصليون غير متسلسلين من قبائل اجبية ولغاتهم باقية الى الآن كما هي بلا تغيير

وتنقسم اوربا الى قسمين كبيرين شمالي وجنوبي اما الشمالي فهو شديد القساوة في البرد ويتضمن بلاد المسكوب واسوج ونروج والبلاد الجرمانية ودينبارك وهولاندا وبلجيوم وسويسرا وفرنسا وبريتانيا واما القسم الجنوبي فهو معتدل الهواء يتضمن البرتغال واسبانيا وايطاليا وبلاد اليونان وتركيا وسوف ياتي الكلام على كل دولة منها بالتفصيل والدين الغالب في هذه القارة هو النصرانية

ولا يخفى ان اهل هذه القارة هم من نسل جومر بن يافث بن نوح الذي هاجر الى شواطئ البحر الاسود وتوطن في تلك النواحي ومن هناك تفرق نسله غربا كما تقدم القول في بداية الكتاب عند ذكر تفرق بني نوح . والمظنون ان بلاد اليونان هي اول قسم سكنته الناس في اوربا من نسل ياوان بن نوح اذ يوجد بعض دلائل تشير الى كثرة عددهم في زمن موسى عند اخراجه بني اسرائيل من مصر وهم من اقدم شعوب الدنيا واول شعب برع وتقدم بالمعرفة والفنون ثم خلف اليونان في اتقان المهن والصنائع الرومان الذين تغني شهرتهم عن وصفهم ثم برابرة الشمال الذين منهم اكثر الممالك الاوربية الحالية

ومع ان قارة اوربا لم يدخلها الناس الا بعد تشعب اسيا وافريقية وكان ينبغي ان يكون اهلها متاخرين عن باقي القارات سواء كان في الغنى والمعارف ام في الهيئة الاجتماعية فزاهم بعكس ذلك قد فاقوا وامتازوا عليهم في كل نوع

من انواع التقدم وليس ذلك الا من اجتهادهم وفرط انصباهم على مطالعة الاخبار والسير لاكتساب المدن والمعرفة بواسطة التمرن والاقدام على عظام الامور في الاكتشافات والاختراعات المادية والعلمية التي من شأنها ان ترقى الانسان ثروةً وفهماً وترفعه الى حالة سامية . ولا يمكن التسليم بان وسائط الاوربيين التي اوصلتهم الى هذه الدرجة الرفيعة كانت اكثر من الوسائط الموجودة في قارتي اسيا وافريقية بل بعكس ذلك نجد عند المقابلة ان الوسائط في هاتين القارتين ولاسيما في اسيا هي اكثر جداً مما يوجد في تلك الرقعة الصغيرة فان اراضيها اوسع واخصب جداً وفيها انتشرت المعرفة والنور وعلى الخصوص معرفة الاله الخالق التي هي اساس كل نور وفيها جال رجال الله مندرين وواعظين وفيها نشأت اعظم ممالك العالم كملكه اشور ومصر وغيرها ومنها انتشرت الصنائع والعلوم الى الديار الاوربية وغير ذلك مما كان يجب ان يجعلها افضل من اوربا في الغنى والمعرفة والمدن وحسن الحال . واغرب من ذلك ان تقدم اوربا لم يتبدئ قليلاً الا في القرن الثاني عشر والثالث عشر وقبل ذلك لا يشتمل تاريخها الا على اخبار غزوات وانقسامات وحروب لم تأتيا بادنى فائدة . والاوربيون انفسهم يقرون ان تجارتهم لم تتعش واحوالهم الداخلية لم تحسن نوعاً الا بعد رجوع الصليبيين من الشرق حيث اكتسبوا عوائد وفنوناً آلت جداً لتقدم بلادهم ولاسيما في الزراعة والتجـر الذي قبل ذلك الوقت كان ميتاً فيما بينهم . واما تقدم اوربا الحقيقي فلم يتبدئ الا في القرن الخامس عشر اذ منه ابتدأت الاكتشافات والاختراعات المنيدة والاصلاحات المجيدة كصناعة الطبع وصب الاحرف واختراع الابرة المغنطيسية التي سهلت اسفار البحر وبواسطتها اكتشف اماكن غير معروفة ثم اختراع البارود والاسلحة النارية ثم اكتشاف راس الرجا الصالح والسلوك فيو الى الهند ثم اكتشاف قارة اميركا وافتتاح بلدانها ثم اصلاح حالة حكومة المالك بواسطة قرض حكومة الالتزامات الامر الذي جعل للدول

الكبيرة استقلالاً ووظاماً جيداً . ثم الاصلاح الديني الذي قلب هيئة العالم وسياسته الى غير ذلك من الامور الكبيرة التي ثبتت سيادة الشعوب الاوربية فان كانت اوربا قد جعلت على هذا النور والتقدم في برهة ٤٠٠ سنة فقط فلا تيأس اسيا وافريقية من امل الوصول الى تلك الحالة اذا جدنا في التشبه بها



## الفصل الثاني

في تاريخ سلطنة آل عثمان

### الباب الاول

في جغرافية هذه البلاد ووصفها الحالي

هذه المملكة قسم واسع جداً من سطح الكرة الارضية واملاكها ممتدة في ثلاثة اقسام من الكرة قسم في قارة اوربا وقسم في اسيا والثالث في افريقية وكل قسم من هذه الاقسام بخوي على اراضٍ مخصبة واسعة واقاليم عامرة شاسعة وانهر ومجيرات وجبال شاهقة واودية وهضاب وبطاح واكثر اقاليمها جيدة الهواء كثيرة النباتات والمعادن والحيوانات المختلفة وعدد اهلها نحو ثلاثة واربعين مليوناً كما في الجدول الاثني . والديانة الغالبة فيها الاسلامية ولكنة يوجد فيها ايضا كثير من النصارى من تبعة الدولة.



عدد سكان السلطنة

عدد

في اوربا

عدد

في املاكها الخاصة	٤٤٩٠٠٠٠	
رومي الشرقية وهي اباله تحت حكم اداري محلي	٨١٥٩٤٦	
بشناق وهرسك {	١١٥٨٤٤٠	
الحال فيهم النمساويون	١٦٨٠٠٠	
سنجق بني باذار	١٦٨٠٠٠	
بلغاريا وهي امرية تدفع مالا معلوماً	١٩٩٨٩٨٣	٨٦٣١٤٠٠

في اسيا

عدد

املاكها الخاصة	١٦١٢٢٩٠٠	
ساموس وهي امرية تدفع الجزية للسلطنة	٤٠٠٨٩	١٦١٧٣٠٠٠

في افريقية

عدد

ولاية طرابلس الغرب	١٠١٠٠٠٠	
مصر تحت سيادة الدولة بما فيه البلاد السودانية	١٧٥٧٧٠٠٠	١٨٥٨٧٠٠٠

٤٢٣٩١٠٠٠

بيان ذلك

عدد الاهالي في املاكها الخاصة	٢١٦٢٣٠٠٠
عدد الاهالي في الامريات التي تحت حمايتها	٢١٧٥٨٠٠٠
	٤٢٣٩١٠٠٠

اما القسم الاول فيجدهُ شمالاً روسيا واستريا وجنوباً بلاد اليونان وشرقاً البحر الاسود وبحر مرمر وبوغاز الدردنيل وبوغاز القسطنطينية وغرباً البحر المتوسط واستريا وبلاد البندقية . وهذا القسم يقسم الى اربعة اقسام كبرى الاول القسطنطينية وما يتبعها من السناجق والاقضية الثاني الرومي الشرقية وهي تحت حكم اداري خصوصي الثالث اميرية بلغاريا وهي تحت حماية الدولة تدفع مالا معلوماً سنوياً لها والرابع بلاد الهرسك والبشناق مع سنجق بني بازار الذي دخلته العساكر النمساوية حسب قرار معاهدة برلين سنة ١٨٧٨ وهي الآن تحت حكم الدولة النمساوية مؤقتاً واما سربيا اي بلاد السرب ورومانيا اي الهلاخ والبغدان فقد صارتا مملكتان مستقلتان كل واحدة منها يملك عليها ملك مخصوص تحت قوانين ونظامات خاصة بها وقررت استقلاليتها في مؤتمر برلين الذي التأم سنة ١٨٧٨ وعدد سكان السرب بحسب عد سنة ١٨٨٢ اربع مائة وثمان مئة وعشرة الاف نفس وعاصمتها مدينة بلغراد واكثر اهاليها روم كاثوليك . واما عدد سكان رومانيا فخمسة ملايين وثلاث مئة وستة وسبعون الفا منهم اربعة ملايين ونصف مليون روم ارثوذكس تابعين الكنيسة الشرقية والباقيون من اديان متنوعة اكثرهم اسرائيليون

واما القسم الثاني اي املاكها في اسيا فيجدهُ شمالاً البحر الاسود وبحر مرمر وجزء من بلاد كرجستان وجنوباً بحر الروم وخليج العجم وبادية الشام وبلاد العرب وشرقاً بلاد العم وغرباً بحر مرمر وبحر الروم ايضاً وبوغاز الدردنيل والقسطنطينية . وقد يقسم ايضاً هذا القسم الى ستة اقسام كبرى . الاول اسيا الصغرى المعروف ايضاً ببر الاناضول . الثاني ارمينية . الثالث كردستان الرابع الجزيرة الواقعة بين نهري الفرات ودجلة . الخامس العراق العربي . السادس سورية وفلسطين ويقال لها ايضاً بر الشام

واما القسم الثالث من املاكها في افريقية فهو ولايات مصر وطرابلس الغرب وقد مر ذكرها في محله واما تونس فقد صارت تابعة لفرنسا . وكل من

هذه الاقسام المذكورة يتضمن ولايات ومدائن عديدة . رعاصمة هذه السلطنة مدينة القسطنطينية وتعرف الآن باسلامبول وهي من احسن مدن الدنيا موقعا واجملا مركزا مبنية على سبع تلال من اطراف اوربا وعدد سكانها نحو ٧٠٠ الف وكانت قديما تعرف باسم بيزنتية نسبة الى بانيتها الاول بيزنس ولما حل فيها الملك قسطنطين الكبير الذي تولى على سلطنة الرومانيين الشرقية جدد بناءها وانشأ فيها القصور الفاخرة وجعلها تخت امبراطوريتها فسميت من ذلك اليوم باسمه . والثاني تنقسم باعتبار وضعها الى اربعة اقسام الاول المدينة الكبيرة القديمة . والثاني الغلطة . والثالث البوغاز . والرابع اسكودار . اما القسم الاول فهو اجمل وابهج الجميع لكثرة ما فيه من الابنية الجميع والقصور الفاخرة المزخرفة العظيمة والجموامع الكبيرة ذوات المنارات الشاهقة . وفي هذه المدينة نحو ٢٥٠ جامعا اكثرها من الرخام واعظها وابهجها جامع اجيا صوفيا الذي بناه الامبراطور بوسنينيانوس كيسة للنصارى طوله ٢٧٠ قدما وعرضه ٢٤٠ قدما وهو من احسن واظرف الابنية القديمة التي بقيت من اثار هذه المدينة ثم ان المالك العثمانية تنقسم الى ولايات يتراسها ولاية والولايات تنقسم الى سناجق يتراسها متصرفون والسناجق الى قضاة يتولاها قائمقامون والاقضية الى نواح يسوسها مدبرون وكنا نود ان نذكر اسماء الولايات والسناجق بالتفصيل لكن راينا ان ذلك لا يوافق حالة المستقبل نظرا للتغيرات التي قد يمكن للباب العالي ان يدخلها فيها بحسب ظروف الوقت واحواله

اما حكم الدولة العثمانية فمن النوع الملكي المطلق غير ان الاحكام الآن تجري بواسطة المجالس لاجل نظام امور السلطنة وسياسة الرعايا واعضاء هذه المجالس من افراد الوزراء الموصوفين بالذكاء وحسن الرأي والتدبير . ومع ان اراضي هذه السلطنة واسعة ومغصبة وفيها وسائط الثروة لا يكثرث اهلها كما ينبغي في اتقان الزراعة ولا يلتفتون الى تقدم الصنائع والفنون والعلوم فيجناجون الى جلب اغلب لوازمهم من البلاد الاجبية ولذلك لا يتقدمون

في الثروة كما انهم يتمتقرون في التمدن غير ان ذلك التهامل قد ابتداءً الآن  
 بزول وبداء النور بسطو على الظلمة . اولاً بواسطة اتبناه الاهالي وثانياً بواسطة  
 المشروعات الخيرية والمطابع والمدارس التي تأسست في هذه الايام في العاصمة  
 وباقي انحاء السلطنة العثمانية لافادة الرعايا من جميع الطوائف . فهذه الوسائط  
 من اقوى اسباب التهذيب والنجاح والمامل انه بهمة الدولة العلية وعنايتها  
 سترتقي البلاد الى درجات سامية من التقدم وانفلاح اذ تعادل البلاد الاوربية  
 التي لم تصل الى ما وصلت اليه من الحالة الراهنة الآن الا بعد ان حدثت في  
 المسيل الذي نوهنا عنه آنفاً

اما قوة هذه الدولة العسكرية فتعد من الطبقة الاولى ويمكنها ان تخرج  
 الى ميدان القتال عند الحاجة ما يزيد عن ٦٠٠ الف جندي مع الف وخمس  
 مئة مدفع ورجالها يعدون من الابطال الصناديد وقد اشتهروا في البسالة  
 واتحام المخاطر واحتمال مشقات الحرب ولكن عمارتها البحرية ضعيفة بالنسبة  
 الى الدول الكبيرة نظيرها

هذا ولما كان الوقوف على اخبار هذه الدولة العظيمة الشأن وسلاطينها  
 العظام من الامور التي تستحق ان تخلد في بطون التاريخ مدى الازمان راينا ان  
 نذكر شيئاً من نوادر اخبارهم وما لهم من التوحات المشهورة وذلك على وجه  
 الاختصار فنقول وبالله التوفيق

## الباب الثاني

في اصل تاسيس الدولة العثمانية وذلك من سنة ١٢٠٠ ب م

الى وفاة السلطان مراد الثاني سنة ١٤٥١ ب م

ان اصل سلاطين آل عثمان من التركمان الرجل من طائفة التتر

الاغوزية وينتهي نسبهم الى يافث بن نوح وكان مبدأ ظهورهم انهم جاءوا من نواحي خوارزم سنة ١٢٢١ للميلاد ونزلوا بجبال طوروس والتفوا بسلاطين قونية السلجوقيين الذين كانوا يوثقون مستولين على اسيا الصغرى وارمبيا وبلاد كرجستان فدخل بعض رؤسائهم في خدمة علاء الدين السلجوقي سلطان قونية ومن حملهم سليمان شاه وكان اميراً على نيرة وهي مدينة قريبة من بحر الخزر وبعد موته نزل ولده الامير ارطغرل مدينة سرغونة ومعه من التركان عدة عشائر وكان اميراً عليها مدة اثنتين وخمسين سنة وكان خاضعاً لسلاطين قونية وبعد موته خلفه عليها ولده الامير عثمان سنة ١٢٩٦ للميلاد وهو الذي اقام دعائم الدولة العثمانية واسسها في الاناضول سنة ١٢٠٠ مسجدة على ما بقي من اثار الدولة السلجوقية التي اندرست سنة ١٢٤٤ للميلاد. وبعد اندراس تلك الدولة ودمار سلاطينها استقل من كان تحت نسلها من الامراء وتناصبوا المالك فيما بينهم فكان نصيب الامير عثمان منها جزءاً من مملكة بورصة وبعض بلاد بر الاناضول فتولى احكام البلاد المذكورة وقرر لها قواعد وتنظيمات. وفتح هذا السلطان فتوحات كثيرة واستولى على اقاليم شهيرة واتم بالغازي لشجاعته وكثرة فتوحاته ومغازيه. ولما استقام امره وتمكن من السلطنة نقل كرسية الى مدينة بفي شهر واقام بها وكان مع شجاعته كريماً حتى كان لا يسك شيئاً ولم يترك عند موته من جميع الاموال والتحف الثمينة التي استعوز عليها في حروبه ومغازيه سوى بعض ملبوسات وامتعة لا تذكر من جملتها سجة كان يحملها دائماً يقال انها لم تنزل موجودة في بيت التحف في القسطنطينية. وكانت مدة ولايته سبعة وعشرين سنة

وتولى بعده ولده اورخان سنة ١٢٢٦ فسلك مسلك ابيه في الحروب والغزوات ووسع نطاق الملك بفتوحات جديدة ففتح مدينة بورصة وانشأ فيها ابنة جميلة ونقل اليها كرسى ملكه. وكانت جيوش ابيه مزللة من فرسان التركان ولم يكن لهم معرفة بالضبط والربط العسكري ولا انتظام حال في

القتال فاستصوب السلطان اورخان ترتيب عساكر جهادية لاجل تأييد سلطته والاستعانة بها عند الحاجة فحدث وفاق الانكشارية . ثم وسع دائرة هذا الوجود ابنه السلطان مراد الاول ثم اكل نظامه وحسن ترتيبه السلطان مراد الثاني ابن السلطان محمد الاول وما زال الانكشارية في التقدم والازدياد حتى امتازوا عن جميع الوجودات العسكرية بالشجاعة ونفوذ الكلمة فخافت السلاطين اخيراً سطوتهم اذ اصبحوا ارباب الحل والربط في دولة آل عثمان يتصرفون كيفما شاءوا في الاحكام ويسلكون مسلك الرياسة والعنفوان ويعزلون من ارادوا من السلاطين والوزراء واستمروا على هذه الحال الى زمن السلطان محمود الثاني حينما قرضهم بالكلية ودمر وقاتمهم واقام مكانهم العساكر النظامية كما ستقف عليه في محله ان شاء الله تعالى

ولما نقل السلطان اورخان كورسي الملك الى مدينة بورصة اخذ في الاهتمام والاستعداد لافتتاح مدن جديدة فجهز الجيوش وجند الجنود وهاجم بلاد اليونان فافتتح اكثر بلدانها وعامل اهليها بالشفقة والرحمة حتى ان كثيراً من النساء الروميات اللواتي فقدن اولادهن ورجالهن في تلك الحروب كز يستغثن به ويقعن على قدميه ويطلبن منه المساعدة فكان يلاظهن بالكلام وينعم عليهن بما يسر خواطرهن فالت اليه قلوب الناس وما زال يتقدم ويمتد في فتوحاته حتى اشرف على خليج القسطنطينية وبوغاز غليبولي

وكانت يومئذ الامبراطورية الرومية في حالة الانحطاط الكلي واركانها متزعزعة ولا سيما بسبب الحروب الداخلية التي حدثت فيها بين سنة ١٢٤١ و١٢٤٦ في زمن وكالة يوحنا كيتاكوزين الذي كان نائباً للامبراطور يوحنا باليولوغوس مدة حداثته فكان ذلك داعياً لدخول الدولة العثمانية الى بلاد اوربا . وذلك ان النائب المذكور لما رأى نفسه مبغوضاً ومرفوضاً من طوائف الروم استعان عليهم بال عثمان فامدوه واتصروا له عند دخوله اوربا وبهذه الوسيلة استولوا على جملة حصون وبلدان في تلك الجهات . ثم في سنة ١٢٥٩

ب م اجناز الامير سليمان ابن السلطان اورخان بوغاز شتى قلعة وفتح مدينة غلبولي التي هي مفتاح القسطنطينية ثم توفي في عنفوان شبابه سنة ١٢٦٠ فحزن عليه ابوه السلطان اورخان حزناً عظيماً ومن فرط حزنه استولت عليه الغموم والأمراض ولم يمكث بعده إلا زمناً يسيراً وتوفي تلك السنة نفسها

وبعد وفاة السلطان اورخان خلفه ولده السلطان مراد الاول سنة ١٢٦٠ وكان من شجعان الرجال مجاهداً في انتشار دين الاسلام وكان عند جلوسه على كرسي الملك انه فتح مدينة ادرنة ثم اقليمي السرب والبلغار سنة ١٢٦٥. وفي نحو سنة ١٢٨١ مسيحية كان في بر الاناضول جملة امراء من الاتراك لم يزالوا باقين في حالة الاستقلال فحاربهم واخضعهم. وكان قد خطب لابنه بايزيد ابنة امير كرميان رغبة في اكتساب محبة ولاية اسيا الصغرى والاتحاد معهم فزوجه بها وبهذه الوساطة استولى على مقاطعة كرميان وغيرها من الولايات ثم على مدينة كوتاهيا التي وهبها امير كرميان الى ابنته عند زفافها.

وسنة ١٢٨٦ اخضع لسلطنته معظم مقاطعتي مكدونيا وبلاد الارناوط. ثم في سنة ١٢٨٨ نهض اهل السرب والفلاخ واهل دلماطيا والمجر والبلغار وحمزبوا جميعاً عليه قاصدين بذلك تعطيل فتوحاته وتوقيفه عن التقدم فحاربهم هذا السلطان وشتت شملهم وفرق جموعهم غير انه في اثناء جولانه في ساحة القتال وثب عليه عسكري بلغاري كان مستتراً بين القتلى وطعمته بنحجر في احشائه فقتله وخلفه ابنة السلطان بايزيد الاول سنة ١٢٨٨ وكان على جانب عظيم من الشجاعة وقد تعود مناساة الخطوب ومشقات الحروب فتبع خطوات ابيه في الغزو والجهاد. وكان اول امر شرع فيه افتتاحه الممالك التركية الصغيرة التي كانت مستقلة في جهات الاناضول. ثم افتتح ايلات الرومي ومكدونيا والبلغار. وبعد هذه الانتصارات صم على افتتاح مدينة القسطنطينية واخضع المالك الافرنجية فرحف بجيش عظيم الى نواحي اوربا واستولى على مدينة سالونيك ثم شن الغارة على بلاد المجر واتصر على جيش الافرنج في وقعة عظيمة

حدثت في ٢٨ من شهر ايلول سنة ١٢٩٦ ثم حول وجهته نحو القسطنطينية وشرع في حصارها . وكان امبراطورها يومئذ مانوئيل باليولوغوس فاضطرب وبعث الى من جاورة من الملوك يطلب اليهم المساعدة والامداد على حرب المسلمين وكان بايزيد قد خاف من اتحاد ملوك النصارى وتحزيم عليهم فعقد مع الروم صلحاً على عشرين سنين بشرط ان يدفعوا له كل سنة ثلاثين الف ريال وان يجعل في القسطنطينية قاضياً من قضاة الاسلام وان يبني بها مسجداً للمسلمين . غير انه لم يمكث الا قليلاً حتى خرق شروط تلك الهدنة وعاد الى حصار القسطنطينية ثانية وضيق عليها حتى كاد يفتحها . ولكن لما بلغت قدوم تيمورلنك بعساكر التتر على ملكته وافتتاحه كثيراً من بلدانها اضطرب وعظم الامر عليه فالتزم ان يرفع الحصار عنها وقفل راجماً بياقي جيشه ليدافع عن بلاده فالتقى بتيمورلنك في سهل بقرب مدينة انقره في ٢٠ من شهر تموز سنة ١٤٠٢ فاشتبك بينهما القتال من الصباح الى الغروب وكان يوماً هائلاً اكثر فيه القتلى من الطرفين حتى صارت الارض كلون الارجوان من دماء الفرسان وكانت النصره لتيمورلنك فهزم جيوش الاتراك وقبض على السلطان بايزيد وسجنه في قفص من حديد وما زال في حبسه الى ان توفي في ٩ من شهر اذار سنة ١٤٠٢

وكان تيمورلنك قد صم على افتتاح القسطنطينية والاستيلاء على الممالك الرومية ولكنه لما تعسر عليه عبور البوغاز نظراً لعدم وجود السفن ترك تلك البلاد ورجع الى بلاده بعد ان افتتح الديار الشاميه واكثر الممالك الشرقية . وبعد وفاة السلطان بايزيد وقع الخلاف والشقاق بين اولاده ودامت بينهم المنازعة نحو احدى عشرة سنة وكان ولده الامير عيسى قد وضع يده على جميع البلاد الواقعة بالقرب من انقره وسينوب والبحر الاسود فوثب عليه اخوه الامير محمد فقتله واستولى على تلك الاقاليم واما اخوها سليمان الاول فاخناره آل عثمان ان يكون سلطاناً عليهم في اوربا فباعوه بالخلافة مكان ابيه بايزيد



وكان فاتر الهمة ضعيف الرأي منهمكاً بالملاهي واللذات وكان اخوه الامير موسى يترقب فرصة لكي يفتك به فانقضَّ عليه ذات يوم وهو راقد في فراشه وطعمته بجنجر في صدره فقتله وكان ذلك سنة ١٤١٠ للميلاد ثم اقتسم السلطنة مع اخيه السلطان محمد الاول . وسنة ١٤١٢ وقع بينه وبين اخيه محمد المذكور خصام ونفور افضى بهما الى القتال فتحاربا وكانت الدائرة على الامير موسى فولى هارباً فتبعه فارس من فرسان اخيه السلطان محمد وقبض عليه وتثله وجاء براسه الى اخيه . وبعد ذلك انفرد السلطان محمد الاول بالسلطنة وصفت له الايام وانت اليه رسل ملوك الافرنج والروم مقدمين له التهاني بالنيابة عن ملوكهم فاحترمهم واکرمهم ثم شرع في تهيد الامور وعند الصلح مع الدول الاجنبية وقوى معهم روابط المحبة والاتحاد وردَّ الى الامبراطور ماثييل جميع ما كان اخذه منه اسلافه من الحصون والولايات . وبالجملة كان سعيد الطالع عادلاً كريماً شفوفاً على الرعية وهو اول من شرع في ترتيب العساكر البحرية وفتح مدينة ازميز ونقل كرسي السلطنة الى ادرنة ( ادريانوبل ) واعاد رونق السلطنة ووسع نطاقها ونظم امورها وجعلها على امن اساس بعد ذلك الخراب الذي اصابها من وقائع تيمورلنك ملك التتر واستمر عزيزاً جليلاً الى ان ادركته الوفاة

وقام بالملك بعده ولده السلطان مراد الثاني سنة ١٤٣١ فقام بتديير السلطنة اتم قيام وكان محباً للغزو والفتوحات لكي يوسع سلطنته واول امر وجه فكره اليه فتح القسطنطينية فقام بمقتي الف مقاتل وحاصرها حصاراً شديداً تقاومه اهلها اشد مقاومة ولما يئس من فتحها رفع عنها الحصار وارتد راجعاً الى املاكه في اسيا لتسكين نيران الفتن التي اضر بها الروم في تلك النواحي وبعد موت الامبراطور ماثييل اذن السلطان لخليفته يوحنا باليولوغوس ان يستولي على القسطنطينية وفرض عليه جزية معلومة يدفعها لخزنته في كل سنة وشرط عليه ان يتنازل له عن جميع البلاد خلا القسطنطينية وضواحيها .

فبذلك استولى السلطان مراد على جميع القلاع والحصون الباقية تحت تصرف الروم على سواحي البحر الاسود وسواحل الرومي ومملكتي مكدونيا وثيرساليا واستخلص ايضاً جميع المدن والبلاد التي داخل برزخ كورنثوس وما زال يتقدم في فتوحاته حتى داخل بلاد المورة . فلما ذاع في اوربا خبر فتوحات الاتراك ارتعدت فرائص الممالك الافرنجية خوفاً من ضياع النسطنطية وتقدمهم على باقي الممالك النصرانية فنهض البابا اوجينيوس وشرع في عند تحالف بين الدول الافرنجية لاجل مقاومة المسلمين فتصدى لذلك لادسلاس ملك المجر وبولونيا وتقدم بعساكره تحت قيادة رئيسهم يوحنا هونيادس الشهير وانضم اليهم جمهور من المجاهدين الفرنسيين والجرمانيين وصدمو الاتراك في معركتين عظيمتين واستظهروا عليهم حتى اضطر السلطان مراد ان يعقد معهم صلحاً وينسحب . وكان ذلك في سنة ١٤٤٢ . فلما سكنت تلك الفتن والفلاقل تنازل هذا السلطان عن كرسي السلطنة الى ولده محمد الثاني الملقب بالفاتح وانقطع في داره منفرداً عن الناس وانكف على العبادة فانتهز الملك لادسلاس تلك الفرصة لفسخ الهدنة المذكورة وتقدم ثانية لمحاربة الاتراك بعد ان حرّض ملك القرماني على مقاتلتهم

ولما رأى السلطان مراد هذه الاحوال خاف من عواقب الامور واضطراً ان يعود الى الملك ثانية فجهز جيشاً عرمرماً وسار لمصادمة الافرنج فتلاقى الفريقان في ١٠ من شهر تشرين الثاني سنة ١٤٤٤ تجاه مدينة فارنا على سواحل البحر الاسود فشبت بينها نيران القتال وثبتت جيوش النصراني امام صفوف المسلمين في تلك المعركة الهائلة وقاومت الجيوش العثمانية اشد مقاومة مع انهم كانوا اقل عدداً منهم بسبب انسحاب معاضديهم الفرنسيين والجرمانيين الذين كانوا قد رجعوا الى بلادهم بعد الانتصار الاول . ولكن حمية لادسلاس ملك بولونيا وشجاعته المخالفة من التبصر حملته على اقتحام مواكب الاعداء فقتل في ساحة المعركة وبوته انهزمت جنوده وتفرق شملهم فاخذ هونيادس قائدهم

يجمع شتيت العساكر ويحرضهم على الرجوع والنبات فلم ينجح لان الرعب كان قد استولى عليهم وكان عدد قتلاهم عشرة الاف نس  
ثم ان السلطان مراد الثاني بعد هذه النصر تنازل عن الملك ثانية الى ابنه السلطان محمد الثاني وعاد الى افراده كالاول . واذ لم ترض الانكشارية<sup>(١)</sup> بذلك اضطر ان يعود الى السلطنة وعاد ايضا الى ما كان عليه من حب الغزوات وقام بجيوشه وبقدم نحو بلاد الارناوط . وكان رجل يدعى يوحنا كاتريو حاكما بالارث على قسم صغير من تلك البلاد فلما رأى قدوم السلطان بالعساكر الجارة لمحاربتة خاف سوء العواقب وعند معة صلحا وعاهده على دفع الجزية وانه ينفاد لجميع اوامره بشرط ان يبقىة في ولايتة وان يكون من جملة عماله فاجابة السلطان الى ذلك بعد ان اخذ اولاده الاربعة رهينة عنده فاخناط ثلاثة منهم بما اليك السلطان حتى صاروا لا يمتازون عنهم في العوائد والملابس . واما الرابع وهو اصغرهم المسمى جورج فارتقى في باب السلطان الى درجة سامية بسبب ذكائه وشجاعته ثم اسلم بعد ذلك ولقب باسكندر بك وصرف معظم ايامه في الحروب في خدمة الدولة العثمانية ولكنه ندم اخيرا على ما فرط منه في محاربة الطوائف المسيحية فارتد الى مذهب الاصلى ومن ذلك الوقت صار من اكبر الاضداد والمقاومين للدولة العثمانية فهيج اهالي البلاد وحرضهم على محاربتها . وكان السلطان مراد قد ركب على قسطنطين امير المورة وباقي الاقاليم المجاورة تلك البلاد فاخضعهم ورتب عليهم الخراج وجرت على اثار ذلك حروب كثيرة بينة وبين الارناوط والمجر الى ان توفي بداء النقطه

(١) ان لفظة انكشارية مستعملة بحسب الدارج ولكن لا معنى لها والكلمة الاصلية

هي بكجري ومعناها عسكر جديد

## الباب الثالث

في قيام السلطان محمد الثاني وفتح القسطنطينية وفيما جرى  
بعد ذلك من الحوادث من سنة ١٤٥١ الى وفاة السلطان

سليم الاول سنة ١٥٢٠

وقام باعباء السلطنة بعد موت السلطان مراد الثاني ابنه السلطان محمد  
الثاني الملقب بالفاتح سنة ١٤٥١ م وكان هذا السلطان من اشهر سلاطين  
آل عثمان موصوفاً بالشجاعة وقوة الجنان وعلو الهمة وقد قال فيه بعض  
واصفيه

تاج الملوك محمد من دوخت      هام الملوك من العدا سطوانه  
فخر السلاطين العظام وبابه      شرف الالام رفيعة درجانه  
يجلوسه طالب الزمان وقد صفت      اوقاته واستسعدت ساعاته

وكان ابوه السلطان مراد قد اوصاه قبل وفاته ان يوجه معظم افكاره نحو  
افتتاح القسطنطينية فكانت اماله متعلقة بالحروب والغزوات وتوسيع دائرة  
السلطنة . وكان اول امر وجه فكره اليه افتتاح القسطنطينية والاستيلاء على  
الاقطار الرومية حسب وصية ابيه فاخذ يجهز لحصارها . وكان يومئذ على  
القسطنطينية الامبراطور قسطنطين دراغاسيس ابن الامبراطور عمانوئيل فلما  
بلغه هذا الخبر انزعج وتائر وارسل اليه بلاطفه بالكلام فطرد رسله وجعل يبني  
حصوناً وابراجاً على جهات بوغاز القسطنطينية ثم بعث اليه سفارة ثانية يقول  
له ان بناء هذه القلع والحصون ما وراءها الا الخصام وجيوش الشر والحرب  
فان لم تحملك اليهود والمواثيق على عقد الصلح بيننا فذاك اليك وقد فوضت  
امري الى الله تعالى فان هداك وعطف قلبك كان ذلك غاية المراد وان  
كان قد قضى لك بفتح القسطنطينية فلا مرد لتضاء احكامي والا فلا ازال

ادافع عنها بكل طاقتي وجهدي الى اخر نسمة من حياتي .  
 فلم يلتفت السلطان محمد الى ذلك المقال بل استمر على ما كان عليه من  
 الاستعداد واخذ الاهبة للحرب في تجهيز العساكر والاستعدادات بخلاف  
 الامبراطور قسطنطين فانه كان يطلب المعونة والامداد من الدول الافرنجية  
 ويعدهم كاسلافه يضم الكنيسة الرومية الشرقية الى الكنيسة الرومانية الغربية .  
 فسراً البابا هذا المخبر لانه كان يتناهأ وارسيل له نجدة من عساكر ماوك الافرنج  
 فلم يجد ذلك نفعاً اذ لم يكن للروم اهتمام بهذه الحرب وذلك لكرهتهم صم  
 الكنيستين معاً ومن جرى ذلك وقعت الغضة في قلوبهم لملكهم قسطنطين  
 وتحاول عنه وكانوا يزعمون ان الله سوف يخذلهم ويسمح بخراب المدينة وسقوط  
 الامبراطورية ودمارها لسبب مشروعه في ضم الكنيستين الى كنيسة واحدة وان  
 المدافعة والمحاماة في هذا الامر ليستا بحموديتين وقد وافقهم على هذه الافكار  
 احد وزراء الدولة العظام وهو الدوك ثوناراس فانه قال باعلى صوته احب  
 الي ان ارى في القسطنطينية تاج السلطان محمد من ان ارى فيها اكليل البابا  
 وهكذا زاد فتور همتهم وتخلي اكثرهم عن حماية المدينة حتى لم يبق بينهم من يدافع  
 ويحامي عنها الا نحو عشرة الاف رجل ما بين روم ولا تينييف انحصر فيهم  
 رجاء العاصمة

هذا وبينما كانت هذه الامور تجري في القسطنطينية واذا بالسلطان محمد  
 الفاتح اقبل عليهم بجيش جرار يبلغ ٢٢٠ الفاً في شهر نيسان من سنة ١٤٥٢  
 وكان مصحوباً بعارة بحرية مؤلفة من ٢٠٠ سفينة فتدل بجيشه حول المدينة  
 وحصنها من كل الجهات وبعث الى الامبراطور قسطنطين يطلب اليه ان  
 يسلم المدينة تحت شروط ثقيلة مذلة فابي وصم على الجهاد الى النهاية . فشدد  
 السلطان الحصار وعين اليوم ٢٩ من شهر ايار للهجوم على المدينة وفي عشية  
 ذلك اليوم جمع الامبراطور قسطنطين اعيان الامراء والقواد ومن يلوذ به من  
 اكابر الروم الذين علمهم الاعتماد واخذ يجرضهم على القتال والثبات لعلمهم

يفوزون وبعد خطابٍ مستطيل اخذوا بالبكاء والعيول وعانق بعضهم بعضاً بقصد الوداع ثم قصدوا الاسوار وتحصنوا فيها ولما كان ذلك اليوم المهول هجمت عساكر آل عثمان على الاسوار وكان قسطنطين قائماً في وسط المعركة قائداً للجيش يشجعهم ويُقاتل كأحد الجنود فاستمر على ذلك مدة طويلة ولما ايس من الظفر وايقن بالهلاك تجرد من اللحية الذهبية واتقى نفسه بين صفوف الاعداء فقتلوه ولم يعرفوه وموتوا انتهى القتال. فدخلت جيوش الاتراك المدينة ونهبوها واسروا اهلها واحرقوا بعض ابنتها ومكاتبها

ولما عزم السلطان محمد النائح على ان يجعل القسطنطينية مقر سلطنته رخص لكل من اراد الرجوع اليها من الروم ان يبقى على دينه رغبةً في عمارها لكن لما كان ذلك غير كافٍ لزمها وتحسينها امر بجمع نحو عشرة الاف عائلة من ولايات مختلفة لياتوا اليها ويسكنوها وولى على الاروا بطربركا واعطاه عصا البطاركية وخاتنها حسبما جرت به عادة الفياصرة في الازمنة السالفة وقسم باقي المدينة من كنائس ومعابد بين النصارى والمسلمين وجعل لكلٍ من الفريقين حدوداً لا يتعداها الاخر واستمر الحال على ذلك ستين سنة حتى قام السلطان سليم الاول فنسخها وابطلها

وكان السلطان محمد بعد استنجاح القسطنطينية بثلاث سنين قد وجه همة الى افتتاح جزيرة رودس فنهدد اهلها وطلب منهم الخراج فاجابه رئيسهم يوحنا دولستيك ان فرسان هذه الجزيرة لم يملكوها الا بشجاعتهم واعانة الله تعالى لا بعناية احد من الملوك وما انا مستعد للمدافعة عنها الى النهاية الا انه عرض للسلطان ما شغله عن محاربتها وذلك ان البابا كالكستوس الثالث اخذ يبحث ملوك الطوائف المسيحية ويجرضهم على محاربة الدولة العثمانية . فلما بلغ السلطان محمداً هذا الخبر نهض بئته وخمسين الف مقاتل وحاصر مدينة بلغراد سنة ١٤٥٦ وضيق عليها راءً ومجرأ حتى كاد يفتحها. فاخذت احد رهبان القديس فرنسيس غيرة شديدة وصار يبحث المسيحيين ويجرضهم على المدافعة

عن تلك المدينة فاستمال نحو اربعين الفاً من العساكر النمساوية وقادهم بنفسه الى يوحنا هونيادس قائد جيش المجر فاضرباً بالسفن العثمانية بواسطة هذه النجدة وفقد اكثرها . واستمر السلطان محمد نحو اربعين يوماً وهو يكرر الهجمات على المدينة المذكورة بلا فائدة ثم ارتحل عنها بعد ان قُتل من جيشه عددٌ عظيمٌ . واما هونيادس المذكور فخرج جرحاً بليغاً مات به . وكان هذا السلطان بعد هذه الغزوة قد زحف على ولاية اثينا سنة ١٤٥٦ للميلاد ففتحها سنة ١٤٥٨ فتح اقليم السرب الذي كان قد رده السلطان مراد الثاني الى امراء هذا الاقليم سنة ١٤٤٤

وفي اثناء ذلك وقع الختام والنزاع بين الملك توما والملك ديمتريوس باليولوغوس وهو اخو امبراطور الروم لجهة ملكة المورة التي كانت تحت حكمها وكانا يدفعان الخراج عنها للسلطان فخارب توما شريكه ديمتريوس وهزموه فطلب ديمتريوس المساعدة من السلطان على خصمه توما وزوجه ابنته ليستميله اليه فقبلي دعوته وانجده على توما المذكور فولى هارباً من تلك البلاد اما السلطان فحمله الطمع بعد ذلك على استخلاص المملكة من ايدي ديمتريوس فنفاه الى بعض الاديرة واستولى على المورة ما عدا بعض حصون كان توما قد سلمها قبل فراره للبابا واهالي البندقية

وسنة ١٤٦١ استولت الدولة على طرابزون وهي المملكة الوحيدة التي كانت باقية من اثار السلطنة الشرقية وفتحت ولاية سينوب واتي بصاحبها داود كوموين اسيراً الى القسطنطينية فقتله السلطان محمد حيث اتهمه بمراسلات خفية مع ملك العجم وكان ذا ثمانية اولاد فامر بقتلهم ايضاً . وسنة ١٤٦٣ تملك على اقليم بوسنيا وشن الغارة على ولايات الفلاخ والبغدان والصقالبة . وسنة ١٤٧٠ فتح جزيرة اغريوز من اعمال البندقية بعد ان اوقع باهلها وقتل اكثرهم . ثم استولى على بلاد الارناوط باسرها . وسنة ١٤٨٠ صم على افتتاح جزيرة رودس فارسل لها عمارة بحرية مشحونة بمئة الف مقاتل تحت قيادة ميشطس

باشا الذي هو من العائلة الباليولوجية الامبراطورية وكان قد اعتنق الديانة الاسلامية بعد فتح السلطان محمد الثاني مدينة القسطنطينية فحاصر الجزيرة المذكورة ثلاثة اشهر بدون نتيجة ثم ارتحل عنها . وكان هذا السلطان العظيم لا تنكح هتة ولا تنتر عن الفتوحات وشن الغارات فجهز سنة ١٤٨١ جيشين عظيمين احدهما لمحاربة جزيرة قبرص تحت قيادة احد وزرائه وقاد الثاني بنفسه لقتال العجم وبينما هو في اثناء الطريق ادركته الوفاة فات هديته ازناكيد في تلك السنة بنفسها وكانت مدة ملكه احدى وثلاثين سنة

وقد أعقب ولدته بايزيد وجم فقام بالسلطنة بعده البكر منها وهو بايزيد الثاني سنة ١٤٨١ وكان شاعراً اديباً محبباً ومواظباً للدرس وكان قد اغار على الديار المصرية لاستخلاصها من ايدي المالك المجرسية ولكنه بعد حرب شديدة وقعت بينه وبين قايتباي سلطان مصر عند جبل امان في قرمان قفل راجعاً الى بلاده بدون فائدة . ثم قصد بلاد اوروبا سنة ١٤٨٦ واستولى على جانب من بلاد البغدان وغيرها من اقاليم تلك الاطراف . وسنة ١٤٩٧ زحف على بلاد بولونيا فوقع بها واستولى على جانب عظيم منها . ولم تخل السلطنة في ايامه من المشاجرات والفتن الداخلية وذلك لانه كان له خمسة اولاد خرج اثنان منها عن طاعته واقفلا راحته وراحة البلاد فالتزم الى قتلها . وكان ولي عهده الامير احمد فاتر الهمة ضعيف الراي يجب الانفراد والوحدة فاذا كانت الانكشارية تكرمه وتميل الى اخيه الامير سليم فعاهدوه بالملك ودعوه الى السلطنة فاجتاز بوغاز القسطنطينية سنة ١٥١١ مسجبة بعشرين الف مقاتل لاستخلاص المملكة من يد ابيه فحاربة ابوه وهزمه ولما خابت مساعيه قصد بلاد القرم فاقام بها رهة ثم قصد القسطنطينية ثانياً مجموع وافرة وجرى بينه وبين ابيه عدة وقائع ولما اشتد الحال على السلطان بايزيد خلع نفسه عن السلطنة وعهد بها اليه وطلب منه ان ياذن له في الذهاب الى مدينة ادرنة ليقم بها باقي ايامه



فلما قبض السلطان سليم الاول على زمام الملك سنة ١٥١٢ امر بقتل اخويه الباقيين وكان لاختيه احمد ولدان فالتجأ احدهما الى بلاد العجم والاخر الى سلطان مصر فطلبها عمها من ملكي تلك البلاد فابا تسليمها فكان ذلك داعياً لافتتاح باب الحرب فتجهز السلطان سليم الاول عند ذلك لحرب العجم وزحف اليهم سنة ١٥١٤ بجيش جرار فالتقى الفريقان تحت اسوار مدينة طوروس فاقتتلا قتلاً شديداً ودامت المعركة ساعات طويلة وكانت الدائرة فيها على الاعجم فولوا الادبار واركبوا الى الفرار بعد ان قُتل منهم عددٌ عظيمٌ وقتل من آل عثمان اربعون ألفاً حتى عدوا ذلك اليوم الذي انتصروا فيه من الايام المشومة ثم ارتدوا على الاعقاب وكان السلطان سليم قد صم على ان يشن الغارة على بلاد العجم ثانياً فمنعه الانكشارية عن ذلك

وسنة ١٥١٦ اغار السلطان سليم على ممالك مصر بجيش عدده ١٥٠ الف مقاتل فخرج الغوري سلطان مصر لمحاربتو فالتقى به في مهبل مدينة حلب واشتبك بينهما القتال فانهمز الغوري واستولى السلطان سليم على حلب ودمشق سنة ١٥١٧. ثم حدثت معركة ثانية بالقرب من مدينة غزة انهزمت فيها جيوش المماليك ثم تجمعوا على بعد ستة اميال من القاهرة تحت قيادة سلطانهم طومان باي الذي تولى بعد الغوري الذي مات باثناء معركة حلب فوافقهم السلطان سليم الى هناك وقانلم وفرق جوعهم وقبض على طومان باي المذكور وشنقه واستولى على الديار المصرية وبعد ما اصلى حالها اقام بها نائماً ورجع الى القسطنطينية واخذ في تكثير المهات والاستعداد للحروب وغزوات جديدة وفي اثناء ذلك ادركته الوفاة وكانت مدة ملكه نحو ثمان سنين

## الباب الرابع

في الكلام علي حكم سليمان الاول وفتح جزيرة رودس وما حدث  
بعد ذلك من سنة ١٥٢٠ الى وفاة محمد الثالث

سنة ١٦٠٢

انه في نفس السنة التي مسح فيها شارلكان (وهو كارلوس الخامس)  
امبراطوراً جلس السلطان سليمان علي كرسي السلطنة سنة ١٥٢٠ والافرنج  
يسمونه سليمان الثاني حاسين سليمان ابن السلطان بايزيد الاول سليمان الاول.  
وبما ان هذا السلطان من اشهر سلاطين آل عثمان نظراً لتوحاه وعلو همته  
وطول مدة حكمه رأينا ان توسع قليلاً في اخباره فنقول انه كان سلطاناً رفيع  
القدر موصوفاً بالحكمة والحزم وقد اشأ قوانين جديدة بها ضبط سلطنته  
واحسن سياستها وقسم مملكته الى عدة ولايات واقام في كل ايالة فرقة من  
العساكر للمحافظة ورتب مع غاية الاتقان جميع ما يلزم لضبط العساكر ونظم  
ايضاً منوالاً جديداً لدخل الدولة وخرجها واقام فيها جملة ابنية فاخرة فازدادت  
شوكة الدولة في ايامه وتحسنت احوالها جداً

ولم يكن السلطان سليمان دون الملكتين العظيمين معاصريه في العظمة  
والبطش فانه كان بارعاً كشارلكان في السياسة والمعرفة ومعادلاً لفرنسيس  
الاول ملك فرنسا في القوة والتجماعة. ولما صفاته الوقت وراق وكانت فرنسا  
اسبانيا والمانيا وابطاليا جميعاً مضطربة بالمنازعات من حيثية ولاية ميلان  
وظهور لوثيروس وغير ذلك من الخصومات والانشقاقات اغتم السلطان  
سليمان فرصة هذه الامور وزحف بعسكر جرار سنة ١٥٢١ على بلاد المجر واقام  
المحاصر على مدينة بلغراد وكانت من اعظم ثغورهم الحصينة فاستولى عليها ومع

ان هذه النصره فتحتم له الباب للتقدم في اوروبا انثنى راجعاً وصم على افتتاح جزيرة رودس فارسل اليها ٢٠٠ الف مقاتل مع عمارة بحرية مؤلفة من ٤٠٠ سفينة تحت قيادة صهره وييري باشا فاقاموا عليها الحصار ولم يكن فيها يومئذ من العساكر الا ستة الاف وست مئة من الفرسان وجات شفاليرية ماري يوحنا المدعويين انصار بيت المقدس وكان قائدهم اذ ذاك يسي شفاليردي ليل آدم وكان من شجعان ابناء زمانه موصوفاً بالذكاء والحزم فعظم عليه الامر وارسل من يومه يستعين بالامبراطور شركان وفرنسيس الاول السالف ذكره ويطلب اليهما المساعدة والامداد فلم يجيباه الى هذا الطلب بسبب المنازعة الواقعة بينهما. وكان البابا ادريان السادس قد حثها على المدافعة والحمامة عن تلك الجزيرة فلم يلتفتا الى كلامه. فاستمر الحصار عليها نحو ستة اشهر واظهر رئيسها ليل آدم المذكور في اثناء هذه المحاصرة من البسالة والثبات ما لا مزيد عليه حتى كلفت همة الانكشارية وبما كانوا قد عولوا على الانسحاب اتاهم السلطان سليمان بنفسه وشدد الحصار وانقض عزائم الجيش بالوعد والوعيد وضايق المحاصرين من كل جهة غير مبال بخسران الرجال فاضطر اخيراً رئيس تلك الجزيرة ان يسلم بعد ان امست الجزيرة خراباً فتعجب السلطان سليمان من شجاعة هذا الرجل وثباته فاحترمه ومدحه على شهامته وسلاة على مصيبتيه واجابه الى الشروط التي كان قد عرضها عليه وهي ان تبقى الكنائس على حالها وان يكون للنصارى الصيانة والحرية في دينهم وان لا يتكلفوا الى دفع شيء مدة خمس سنين ثم انسحب ليل آدم من الجزيرة وتبعه ٤٠٠٠ من اهل رودس فاعطاهم البابا مدينة وبتيرة فاقاموا فيها الى ان نقلهم الامبراطور شركان سنة ١٥٢٠ الى جزيرة مالطة فنسبوا اليها وصارت من ذلك العهد دار اقامتهم الى ان استخلصها منهم بونابارت وهو آت الى مصر سنة ١٧٩٨

وبعد ما فرغ السلطان سليمان من هذه الحرب رجع الى القسطنطينية سنة ١٥٢٧ ووجه جيشاً يبلغ عدده ٢٠٠ الف مقاتل وزحف به على بلاد الجزائر

فالتقاء ملكها لويس الثاني بثلاثين ألف مقاتل فقط ولعدم معرفته بإدارة الحروب قلد بولس طوموري احد اساقفة بلاده قيادة الجيش وسار معه لمصادمة الاتراك فالتقى بهم بازاء مدينة موهاكر واشتبك القتال بين الفريقين فكانت واقعة عظيمة قُتل فيها الملك لويس وهلك أكثر من عشرين ألفاً من جنوده وانهمز الباقون واستولى السلطان سليمان على الحصون والقلاع الواقعة على الجهة الجنوبية من تلك المملكة ثم قفل راجعاً الى القسطنطينية مخوفاً بالظفر والغنائم. وبعد موت الملك لويس المذكور وقع النزاع بين قائد جيوشه المسي يوحنا زابولي وبين الارشودوك فرديند ملك بوهيميا من جهة ولاية مملكة المجر فتحزب السلطان سليمان الى زابولي وانجده على بلوغ مراده وضرب عليه مالا معلوماً يدفعه في كل سنة للدولة العثمانية واعانه على استخلاص عدة مدائن من فرديند

وسنة ١٥٢٩ خرج السلطان سليمان من القسطنطينية بمئة وعشرين ألف مقاتل واربع مئة مدفع لحرب النمسا وعند وصوله الى مدينة فيينا عاصمة المملكة نصب خيامه بالقرب منها واقام عليها الحصار ولم يكن عند النمساويين سوى عشرين ألف مقاتل واثنين وسبعين مدفعاً فقاتلوا اشد قتالاً حتى كان في يأس. فمهدت قوة الانكشارية بعد هجمات متعددة ولما رأى السلطان ذلك تحوّل عن المدينة. وسنة ١٥٢٢ خرج السلطان بما يقرب من عشرين ألف مقاتل لمحاربة بلاد السرب فافتتح في طريقه اربع عشرة قلعة واستولى على اكثر حدود بلاد النمسا ثم رجع الى القسطنطينية. وسنة ١٥٢٣ عقد صلحاً بين ملوك اوروبا ثم وجه عساكره لمحاربة العجم وافتتاح مدينة بغداد تحت قيادة ابراهيم باشا الصدر الاعظم فافتتح تبريز وبغداد. وسنة ١٥٢٤ خرج السلطان بنفسه بالعساكر تابعاً اثر الصدر الاعظم حتى انتهى الى تبريز ومنها سار الى بغداد ثم اثنى راجعاً الى القسطنطينية وهناك وشواله على وزيره ابراهيم باشا المذكور فامر بقتله. وانعم على خير الدين باشا المشهور عند الافرنج باسم بربروس اي ذي

التيجة الحمراء برياسة العارة الجيرية وارسائه لافتتاح ولاية تونس فافتتحها بعد حصار شديد غير ان هذا الفتح لم يطل امره الا زماناً يسيراً لان الملاحسن صاحب تونس كان قد التجا الى الامبراطور شركان واستعان به على استخلاص بلاده فاجابه الى ذلك وارسل جيشاً الى تونس وضرها واسترجعها له ثم خرجت من يده ايضاً وقد ذكر ذلك باكثر بيان في تاريخ الغرب فراجعته هناك . وسنة ١٥٢٨ دخلت العارة الجيرية تحت قيادة بربروس المذكور في الارخبيل الرومي واستولت على عدة جزائر لجمهورية البنادقة بعد ان شتمت عمارتهم . ثم في نحو الوقت ذاته بعث السلطان سليمان فرقة من الجنود الى شواطئ بلاد العرب لمنع فتوحات البرتوغال فاستولت على اراضي عدن وبعض اليمن وفي اثناء ذلك حدث مصيبتان عظيمتان في التوسطنطينية شغلنا بال السلطان جداً وهما مرض الطاعون وحرقة كلبه احرقت نحو نصف التوسطنطينية فتعطلت اشغالة الحربية لاهتمامه في جبر النكبات التي نتجت عنها

ومع ما كان عليه السلطان سليمان من علو الهمة والاصناف الحميدة فرط منه امر مذموم في التاريخ وهو اغتصابه تاج ملكة الجرج بطريقة غير مناسبة من ابن يوحنا زابولي . وبيان ذلك ان فرديند ملك بوهيميا كان قد صم على استرجاع ولايته من زابولي ملك الجرج واستعد لمخارته فخاف زابولي من عواقب هذا الامر ووقع في حيرة اذ رأى نفسه مضطراً الى الاستعانة بالسلطان سليمان فانفق سراً مع خصمه فرديند على انه يكفيه شره وان يستولي على الملكة بعد موته وكان قصده بذلك ان يريح نفسه من الفلاقل والحروب الملكة لانه كان شيخاً مسناً ولم يكن له ولد فاجابه فرديند الى ذلك ولكن لما بلغ اعيان ملكة الجرج هذا الخبر ساءهم جداً واجمعوا على منع وقوع ممالكهم تحت يد ملك غريب وحلوا ملكهم زابولي على التزوج بالاميرة ابزابلة بنت ملك بولونيا فأعقب منها ولداً وجعله ولياً . وعهده ولم يلتفت الى الاتفاق الواقع بينه وبين

الملك فردينند ثم مات بعد ان اناط بكفالة ابنه ونيابة الملكة زوجته واستف فارادين . فغضب فردينند من هذه الحادثة وارسل يطلب من الملكة ايزابله تسليم الملكة وعرض عليها اقليم ترانسلفانيا وهو الاردل لتتكت به هي وابنها فرفضت هذا الطلب فازداد غيظه وارسل عسكرياً لمحربها واستخلاص الملكة ولما رأت ايزابله انها غير قادرة على مقاومتها ارسلت رسولا الى السلطان سليمان تلتبس منه المساعدة والامداد على عدوها فاجاب طلبها وبعث جيشا الى بلاد المجر ثم صار هو بنفسه في جيش اخر وعند وصوله الى هناك كانت الفرقة الاولى قد فتكت في الاعداء واتصرت عليهم . فاغتر السلطان سليمان باستخلاص الملكة لنفسه واستسهل الامر اذ كانت بيد طفل تحت وصاية امراة واستف فدعا ذات يوم الملكة ايزابله مع ابنها الفاصر وسائر اشراف الملكة لوليمة اعدها لهم في معسكره وعند حضورهم اليه هجمت فرقة من جنوده على مدينة بودين تحت الملكة واستولوا عليها بدون معارض ثم قبض على الطفل واهه وافرز لها اقليم الاردل وبعض المقاطعات واستولى هو على باقي بلاد المجر وولى وزيرا من طرفه على تلك البلاد .

وسنة ١٥٤٢م مع فردينند مدة اجلا خمس سنوات بشرط ان هذا الامير يدفع له جزية سنوية قدرها ثلاثون الف دوقه . وسنة ١٥٠٧م زحف هذا السلطان الى بلاد العجم واستولى على بلاد شروان وباقي بلاد كردستان بعد ان دامت الحرب سنتين . وسنة ١٥٦٥م ارسل عمارة بحرية لاقتناح جزيرة مالطة تحت قيادة مصطفى باشا وبعد حصار شديد وهجمات متعددة ارتد هذا الوزير راجعا من غير طائل بعد ان فقد من جيشه نحو عشرين الفا . ومات السلطان سليمان في اثنا حروبه مع المجر سنة ١٥٦٦م وله من العمر ٧٦ سنة . وكانت مدة سلطنته ٤٦ سنة فحزن عليه الناس حزنا شديدا ورثاه الشعراء بكل لسان فمن ذلك مرثية المفتي ابي السعود التي يقول في مطلعها  
أصوت صاعقة ام نغمة الصورِ فالارض قد ملئت من نقر ناقورِ

ومنها

ام ذاك نبي سليمان الزمان ومن قضت اوامره في كل مامور  
 ومن ومن ملاً الدنيا مهابة وسخرت كل جبار ونهور  
 وبالجملة نقول ان السلطان سليمان كان سلطاناً عظيماً لم يقم بين سلاطين  
 آل عثمان اعظم منه حتى ان جميع اهل الارض كانت ترعد فرائضهم عند استماع  
 اسمه وكان مع ذلك قد وقع منه خطأ كانت نتائجه غير حسنة على الدولة  
 العثمانية لانه منذ تاسيسها كان الامراء الذين هم من فخذ السلطان يتودون  
 العساكر ويحكمون الاقاليم التي كانت اقطاعاتهم فامر السلطان سليمان بابطال  
 هذه العادة فاتي ذلك الدولة فيما بعد بالضعف والخسران فان اولاد  
 السلاطين اذا اخذوا ينشأون في ظل القصور والرفاهية بعيدين عن حركات  
 الجيوش ودمدمة اصوات المدافع وقرقعة السلاح زالت عنهم عوائد اسلافهم  
 الحربية وبعد ان كانت دولة آل عثمان مؤسسه على الفتوحات اخذت في  
 الانحطاط والتهقرى

وقام باعباء السلطنة بعد السلطان سليمان ولده السلطان سليم الثاني سنة  
 ١٥٦٦ ولم يكن كايه بل كان محباً للذات والملاهي . وفي ايامه استخلصت بعض  
 مدن بلاد الين وجزيرة قبرص وغيرها من الولايات . وكانت مشيخة البندقية  
 قد اتحدت مع البابا وملك اسبانيا على حرب الدولة العثمانية وبعد عدة وقائع  
 بحرية مهولة انتصرت العساكر الافرنجية انتصاراً عظيماً فكانت عند الافرنج  
 افراح عظيمة وصنعوا تذكارة لتلك العلبة عيداً يعيدونه في اليوم السابع  
 والعشرين من شهر تشرين الاول ولما بلغ السلطان ذلك الخبر امر تجهيز  
 عمارة لمحاربة القوم وفي غضون ذلك ارسلت مشيخة البندقية تعذراً اليه وتطلب  
 منه الصلح على وجه آتلى الى شرف السلطنة فاجابها الى ذلك واقف الحرب  
 ثم مات بعد ذلك وكانت مدة ملكه ثمان سنين . اما الفتوحات التي تمت في  
 ايامه فكانت بتدبير كبير ووزراءه الذي كان متخلفاً باخلاق السلطان سليمان

وبعد موت السلطان سليم دخل ولده الامير مراد الثالث القسطنطينية وقام مكان ابيه سنة ١٥٧٤ وليس لهذا السلطان من المناقب التي تستحق الذكر كاسلافه وكانت مدة ولايته ٢١ سنة ولم يجر فيها سوى بعض حروب مع العجم ويقال انه كان مغرمًا بطلاعة التاريخ والشعر وكانت وفاته سنة ١٥٩٥

وصعد بعد موته على سرير السلطنة ولده السلطان محمد الثالث وكان له ١٩ اخًا فلما تبوأ السلطنة امر بقتلهم جميعًا وكان لايه عشر نساء حبلى فامر باغراقهن في البحر . وفي تلك الاثناء حدث في القسطنطينية مجاعة فامر بطرد الروم منها . وفي غضون ذلك خرج الامير ميخائيل صاحب الفلاخ عن طاعة الدولة العثمانية واجتمع معه ملك النمسا وبلاد الاردل فبعث السلطان محمد بجيش تحت قيادة فرهاد باشا الصدر الاعظم فكسره الافرنج كسرة هائلة وفقد من جيشه خلق كثير فقتل السلطان فرهاد باشا وولى مكانه سنان باشا وكان شيخًا مسنًا وبعث به لمحاربة المتحزبين فجاهد سنان باشا بما عنده فلم ينج بل كسره القوم كسرة هائلة عند نهر الدانوب وقتلوا من جيشه خلقًا كثيرًا فارسل له السلطان نجدة اخرى فصادفت ما صادفته الجيشان السابقان فعزل السلطان اذ ذاك سنان باشا ونفاه ثم بعد قليل امر برحوعه من النفي واعاده الى الصدارة فاتار على السلطان ان يخرج بنفسه للحرب فخرج السلطان من القسطنطينية سنة ١٥٩٦ بجيش غدير قاصدًا بلاد المجر وحاصر مدينة ارلو ففتحها وكان ملك المجر قد بعث الى ملك النمسا وحكومة الاردل وصاحب الفلاخ والبغدان يطلب منهم المساعدة والامداد فانضموا اليه بجيوش كثيرة وبينما كان السلطان ممد قاصدًا بعسكره قلعة ثانية دهمة المتحالفون بجيوشهم واحاطوا به من كل جانب وشبت بينهم نيران الحرب ودامت النهار بطولها الى ان دخل الليل فانفصلوا واصبحوا اليوم الثاني متحاربين ايضًا فاتصر جيش الافرنج وهبوا على خيام السلطان ونهبوها بعد ان كان انتقل الى خيمة الوزير



ابن جنفال في الجانب الاخر. ولما راي هذا الوزير ما حل بجيش المسلمين من  
 الفشل نهض واخذ يشجع العساكر وهم بهم وخرق صفوف الاعداء واعمل فيهم  
 السيف فانكسرت جموع الافرنج كسرة هائلة وفقد منهم خلق كثير ثم عاد  
 السلطان الى القسطنطينية. وسنة ١٦٠٢ ورد للسلطان من محافظ نخجوان كتاب  
 ماله ان شاه العجم نهض عهود الصلح واسر محافظ تبريز فجهز السلطان جيشاً  
 كبيراً وارسله تحت قيادة نصوح باشا وفي اثناء ذلك توفي وسياتي خبر هذه  
 التجربة في الباب الآتي. وقد احب السلطان محمد الثالث العلوم والصنائع  
 ورغب في ترقية اسبابها ورواج سوقها وكان عادلاً مستقيماً غير ان الدولة  
 ضعفت في ايامه نظراً لثرد العساكر وعدم انتيادها

## الباب الخامس

في الكلام على حكم السلطان احمد الاول وما وقع له ولخلفائه من  
 الحوادث من سنة ١٦٠٢ الى وفاة السلطان مصطفى الثاني

سنة ١٧٠٢ ب هـ

انه بعد وفاة محمد الثالث تبوأ كرسى الخلافة انه السلطان احمد الاول  
 ولم يكن له من العمر سوى ١٥ سنة. ولم يتسلط قبل ذلك في مثل هذا السن  
 احد من سلفائه. وكان له اخ يسي مصطفى فلم يتنا ان يقتله كما جرت عادة  
 بعض اسلافه. وبعد ارتقائه مسند الخلافة بيضعة اشهر توفي وزيره الاول فلم  
 يتم عوضاً عنه من الوزراء المقيمين بدار الخلافة بل بعث الى مراد باشا  
 بكر بليك المقيم بمصر وكان شيخاً مسناً ذا دراية وحذق وامانة خارقة العادة  
 فحضر واستلم زمام منصبه الرفيع وبعد ان استقر السلطان على كرسى الخلافة  
 اخذ في انمام ما كان قد شرع فيه والده من حرب الاعجام واصدر الاوامر في

التجهيزات اللازمة وإرسال جيشاً عظيماً تحت قيادة محمد باشا فانتصر على العثمانيين في اول الامر ولكنه نوانى اخيراً وعاد من غير طائل فغضب السلطان عليه وإراد قتاله ثم عفا عنه بواسطة ام الوزير . وكان قد ارسل تحت قيادة علي باشا جيشاً لمحاربة الجرجات في اثناء الطريق فعين مكانه محمد باشا المذكور . وكان السبب في فتح هذه الحرب لاطائل تحته . ثم سعى مراد باشا بين السلطان والجر في الصلح على مدة عشرين سنة وتبركت الحرب بين الدولة والامبراطور رودولف سلطان المانيا تحت شرط ابطال دفع الغرامة التي كانت دولة النمسا تدفعها سنوياً للدولة وانه من ذلك اليوم فصاعداً تكون التجارير التي ترسل من انسلطان الى الامبراطور المذكور حاوية على شعائر الوداد والاعتبار المتبادل ككتابة الاخ لاخيه وان يقام سفراء من الطرفين في عاصمة كل من الدولتين وجرت العادة على ذلك من ذلك اليوم ثم عقدت مثل هذه العهود مع دولة فرانسوا وكان ذلك سنة ١٦٠٦ ب م

تم سعى السلطان احمد في قطع دابر البعثة الذين عصوا على الدولة في ايام والده وایامه ايضاً منهم حسين باشا الذي كان والياً على الحبشة وقره سعيد وجان بولاد حاكم الاكراد والامير فخر الدين الذي كان حاكماً على جبل لبنان وغيرهم من الخوارج فبعث بمراد باشا مع جيش عظيم فبدد شهرهم وقبض على بعضهم وقتلهم واسترجع منهم ما كانوا استلموه من البلدان بطريق التعدي والطغيان . وفي بداية سنة ١٦١١ امر السلطان مراد باشا ان يقود الجيوش لمحاربة الاعجام فامثل امر سيده كرهاً واخذ نصوح باشا اول معاون حرب معه وكان مراد باشا لا يؤمل بعظيم فائدة من هذه الحرب ولذلك سار مسيراً بطيئاً فبعث نصوح باشا برسالة سرية الى السلطان احمد بها يقول له ان مراد باشا نظراً لشيوخته لم يعد يصلح لركوب الاخطار ومشقات الحروب وبها لم للسلطان انه هو يكون اصلح لمثل ذلك اما السلطان فاذا كان يجب مراد باشا لاماته ونشاطه بعث اليه برسالة لطيفة العبارة وضمها رسالة نصوح باشا وفوض

اليه ان يفعل به ما يشاء ولما وقف مراد على الرسالة المشار اليها استخضر نصوح باشا واطلعه عليها وعلى رسالة مولاها فارعدت فرائص نصوح باشا عند ذلك على ان مراد باشا عاملة معاملة الاب لولده وقال له انني قد طعنت في السن ولا عدت اصلح حسب زعمك لركوب الاخطار وها انني قد تنازلت لك عن مناصبي السياسي والحربي معاً وولجته قيادة الجيش وكتب الى السلطان بذلك وانسحب الى بلاد ديار بكر حيث قضى باقي ايامه ومات هناك بعد هذه الحادثة ببضعة اشهر وله من العمر ٧٩ سنة . اما نصوح باشا فتقدم لمحاربة الاعجام واستظهر عليهم وقهرهم واستولى على تبريز فهرب الشاه عباس والنجباء ببعض الجبال وارسل يطلب الصلح فاجابه نصوح باشا الى ذلك بعد ان اشترط عليه ان يصير ذكر اسم السلطان في خطبة جوامع بلاد العجم وان الدولة الفارسية تدفع مصاريف الحرب وتقوم بترجييع الخسارة التي احدثتها في بلاد السلطنة العثمانية . فعلى هذا الوجه تمت المصالحة وانسحبت العساكر الشاهانية من تلك البلاد غير انه في سنة ١٦١٦ تكث شاه العجم تلك العهود ولم يفسر بالشروط ففتحت الحرب ثانية بين الدولتين واستولت الجيوش العثمانية على بعض القلاع بعد حصار شديد ثم تاخرت من كثرة الثلوج والبرد وهلك منهم جانب عظيم وبالجملة كانت هذه التجربة مشومة على الدولة واعنى السلطان احمد كثيراً بامر الحرمين واصلح مآثر كثيرة بمكة والمدينة وارسل هدية لقبير النبي فصيّن من الماس قيمتها على ما قيل ثمانين الف دينار فوضعا فوق الكوكب الدرّي وهو مسمار من الفضة تجاه وجه النبي في الجدار . وكان لا يفتقر عن عمارة المساجد وفعل الخيرات ومن اثاره في القسطنطينية الجامع المعروف باسمه له ست منارات حسنة الوضع . ولما حضرته الوفاة وكان عمره ٢٠ سنة جمع اليه كبار دولته وشيوخها واوصى بالملك من بعده لاختيه مصطفى لان ولده عثمان كان قاصراً فاقام القوم بحق الوصية وبايعوا اخاه المذكور فكان قاصر العقل فاترا الهمة لا يصلح لان يقود زمام دولة عظيمة

الشان كدولة آل عثمان اذ كان قد تربى في ظلال القصور بين الترفه والتنعيم فلما رأى اركان الدولة عدم اهليته وكفاءته حجزوا عليه واقاموا مكانه ابن اخيه عثمان الثاني فكانت مدة خلافة مصطفى المذكور ثلاثة اشهر ونضعة ايام فاستبشر الناس عندما نبأ كرسى الملك السلطان عثمان المذكور ولم يكن له من العمر اذ ذاك سوى ١٢ سنة لكنه كانت تلوح على وجهه علامات الفراسة والشجاعة وحسن الطالع . وكان الصدر الاعظم محمد باشا قد خرج بحيث جرار لمحاربة العجم في خلافة عمه مصطفى فرجع بطلب من ارباب الدولة عندما قصدوا خلع مصطفى وتولية عثمان وبعد ان استقر الحال للسلطان عثمان قاد الوزير المشار اليه الجيش ثانية سنة ١٦١٩ لمحاربة العجم ونجح في هذه التجربة ككل النجاح واستخلص من الاعجام كل الاملاك التي كانوا قد اختلسوها . وكان السلطان عثمان يظن انه ما من امر يكسب المرء والدول فخراً سوى الحروب والمغازي . وقد فتحت له التنادير نافذة لاتمام مرامه وذلك ان صاحب بلاد الاردل احب ان يوسع نطاق املاكه بافتكاك بعض الاقاليم من النمسا فعرض على السلطان عثمان افكاره من هذا القبيل وحسن له الامر واعداً اياه بفتح بلاد اوستريا ودخوله منصوراً الى وسط فيينا فاغتر السلطان وقصد محاربة بولونيا اولاً تمهيداً للماربة فاصدر الاوامر بتجهيز الجيوش والمهمات وقبل ان يخرج من القسطنطينية امر باحضار اخيه محمد اليه وخفيه امامه لانه كان يخشى من ان يجلس الملك مدة غيابيه . وكان لما حضر الامير محمد بين يدي اخيه وعرف باطن الامر انه قال له بالله عليك يا اخي لا تدخل في دمي ولا تجعلني خصمك يوم القيامة وانا اقنع منك برغيف في كل يوم وشربة ماء فا كان الجواب الا الامر بخنقه فخنق بين يديه ففار الدم من مخربه الى ان وصل الى عمارة السلطان ويقال ان اخر كلامه قاله لاهيه سلط الله عليك من لا يرحمك ولا يخشاك فكان الامر كذلك

ثم خرج عثمان بثلاث مئة الف مقاتل واهل البولونيون فلم يكن عندهم

سوى مئة الف يقودهم اولاد يسلاص ابن ملك بولونيا فالتقى العسكران عند حدود الملكتين المنجارتين وشبت بينهما نيران الحرب فقاتل البولونيون قتال الاسود وصدموا جيوش آل عثمان صدمات قوية فكسروهم كسرة مهولة ثم حدث بين الفريقين معركة اخرى فاز فيها البولونيون ايضاً فاضطر السلطان عمان الى عقد صلح غير مرض ثم قفل راجعاً الى القسطنطينية سنة ١٦٦١. وفي تلك السنة جلد البحر الفاصل بين القسطنطينية واسكودار من شدة البرد وكان الناس يرون من اسكودار الى القسطنطينية فوق الجليد

وكان قد شاع ان السلطان عمان عزم على السفر الى الشام بنية الحج وكان ايضاً يرغب في تدمير وفاق الانكشارية لان تلك الزمرة كانت قد طغت وتجبرت واصبحت صاحبة الحل والعقد فهاجت العساكر ووقعت الفتنة من جراء ذلك واخرج المفتي فتوى ان السلاطين لا يتكفون للحج ويعتوا الى السلطان ببعض الشيوخ ليعلموه بالمركز العسر الذي باث فيه فلم يلتفت الى مقاوم بل طردهم متهدداً اياهم وقائلاً بغيظ شديد اني ساعق هؤلاء المردة العناة وادمر وجاقهم وذلك بعد ان استحكم اثمهم. فرجع هؤلاء واخبروا الانكشارية بما كان فهاجوا وماجوا وهجموا دفعة واحدة على صرح السلطان حيث كان قد التجأ اليه الصدر الاعظم وباقي المشيرين وطلبوا بلجاجة ان يعطى لهم الصدر الاعظم وبعض المشيرين واذ لم يجب طلبهم اخذوا يطلقون المدافع على القصر الملكي ويزيدون هيمانا فخرج الصدر الاعظم الى قدامهم املاً ان يبرد غيظهم ولكن لما رآه خطفوه واماتوه حالاً ثم طفقوا ينادون باسم مصطفى الاول الذي كانوا قد نزلوه وهجموا على بيت سجنه واخذوه ومضوا به الى الجامع وبايعوه. ولما درى السلطان عمان بذلك خرج من قصره واتي الى مكان المبايعة فلما رآه الانكشارية صرخوا باعلى صوتهم ليتزل عمان عن الملك ويسجن مكان عمه فمضوا به الى السجن وبعد ايام قليلة خنقه الصدر الاعظم الجديد فاث كما امات اخاه قبل ذلك باربع سنين. قال الشاعر

وما من يدٍ إلا يد الله فوقها وما ظالم إلا سبلى باظلم  
ولما بلغ العجم قتل عثمان وإعادة مصطفى للخلافة ثانية وضعوا ايديهم ثانية على  
أكار البلاد والأمالك التي فتحها السلطان سليم كبغداد والبصرة وغيرها وقام  
نواب الدولة في الأماضول وسوريا ومصر وجاهروا بالعصيان بحجة طلب ثار  
السلطان عثمان فلما رأى أرباب الدولة والساكر سوء عاقبة فعلهم المعلوم ندموا  
على ما فعلوا وصمموا على خلع مصطفى ثانية ولما دلم بذلك خلع نفسه بعد حكم  
سنة وأربعة شهور فاعيد الى سجنه سنة ١٦٢٢

فبايعوا بالخلافة مكانه السلطان مراد الرابع ابن السلطان أحمد الأول  
وكان عمره اذ ذاك ١٥ سنة ومع ذلك كان ذا عقل ثاقب تلوح عليه علامات  
الشجاعة وقوة الجنان والقلب وحسن المستقبل وكانت الدولة يومئذٍ باحياجٍ  
عظيم الى رجلٍ في الدياقة والكفاة لادارة مهامها اذ باتت في خطر عظيم من  
سوء ادارة سلفيه وتمرد الانكشارية والعصيان في الداخل وفي الخارج وكانت  
الخزينة في عسر وضيق وكان ملك العجم قد انتهر فرصة هذه الارتياكات فعاد  
ووضع يده على الاملاك التي كانت الدولة قد فتحها من بلاده واخذ خانات  
التمر ايضاً في وادي القرم وازوف يتعدون على حدود الدولة ويوقعون فيها  
السلب والنهب وبالجملة يقول ان السلطان مراد عندما نبأ مسند الخلافة  
كان في مركزٍ صعب جداً لاسيما وهو صغير السن فاخذ يسعى في سد الاختلال  
الواقع من كل الجهات فابتدا اولاً في استئصال دابر العصاة الذين كانوا سبباً  
لقتل اخيه عثمان وبردع تعديت التمر وعصيان وكلاء الدولة في اسيا واقام  
حرباً شديدة مهولة مع دولة العجم سنة ١٦٢٤ كانت عاقبتها مشومة فامر السلطان  
بقتل قائد جيش هذه التجريدة وفي اثناء سنة ١٦٢٥ عرضت دولة العجم الصلح  
على الدولة فارتضت بذلك ولو على وجهٍ غير مرضٍ لما لكي تفرغ لسد باقي  
الاختلالات. وسنة ١٦٢٧ مات الشاه عباس ملك العجم وتولى مكانه ولده الشاه  
مرزا وكان حديث السن غير اهلٍ لمنصب مهم كهذا. فاغتم السلطان مراد

هذه الفرصة وبعث سنة ١٦٢٨ بجيش عظيم تحت قيادة الصدر الاعظم لحرب الاعجام واسترجاع الاملاك التي خسرتها الدولة فلم يجده ذلك نفعاً وخابت مساعي الوزير وناخرت الاعلام العثمانية وفقد من جيشها خلق كثير ولما كان الوزير الاعظم قد طعن في السن وتعب من مشقات الحرب ولم يعد له استطاعة على تحملها صرف قصارى جهده في اقناع سيده بعقد الصلح مع الاعجام فقبل السلطان بذلك وعقدت شروطه وما كالم التسلیم بكل التتوحات التي افتتحتها دولة العجم. وكان الامير فخر الدين المعني حاكم جبل لسان قد اظهر التمرد والعصاة على الدولة فارسل السلطان جيوشاً لمحاربتة فقاومها اشد مقاومة واذ وجد ان لامناص له منها طلب الامان واتى بنفسه الى القسطنطينية يطالب العفو من السلطان فحصل عليه لانه كان رجلاً مهياً وعلى جانب عظيم من الحذق والدراية واخذ السلطان واده ووضعه في المدرسة السلطانية في بورصة. ولكن بعد قليل اتقاد السلطان الى وساوس ارباب ديوانه فامر بمخنق الامير فخر الدين سنة ١٦٢٢. وسنة ١٦٢٤ زحف السلطان لمحاربة العجم وبعد معارك ومحاصرات افتتح مدينة روان وارسل وفداً الى العاصمة ليجل خبر انتصاره ولما عاد الى القسطنطينية وجد ان اعلامه كانت قد ركست في اوربا وان خان التتر نهض بفرقة من الكوزاك واستولى على مدينة ازوف بالقرب من البحر الاسود. ثم عاد الاعجام واستولوا من جديد على مدينة روان التي فتحها فارسل السلطان الصدر الاعظم محمد باشا لمحاربتهم واسترجاع المدينة سنة ١٦٣١ واخفى غيظه لجهة خان التتر واذ لم ينجح محمد باشا استدعاه السلطان الى العاصمة وخنته سنة ١٦٢٧ وسنة ١٦٢٨ ذهب بنفسه لمحاربة الاعجام بثلاث مئة الف مقاتل وحاصر مدينة بغداد اياماً طويلة وافتتحها عنوة بعد ان هلك نحو ٢٠ الفاً من جيش العجم ونحو ثلث جيشه وعاد الى القسطنطينية تاركا كبير وزراءه للخبايرات بشأن الصلح. وسنة ١٦٢٩ تقرر شروطه تحت ارجاع مدينة روان لدولة العجم وإيفاء بغداد لدولة آل عثمان وإقيم فيها وزير وقد اكثر

الناس من نظم الاشعار في فتحها فن ذلك قول بعضهم  
 خليفة الله مراد غزا قلعة بغداد فارداها  
 وعندما حاصرها جيشه اندك للاسفل اعلاها  
 هذا ما جرى في ايام هذا السلطان من الفتوحات والحروب واما ما وقع  
 من الحوادث فمنها تعطيل الفهوات ومنعه شرب التبغ والافيون وقتله اصحاب  
 المناسد من القواد والجيوش واصلاح حال المالية حتى امست الدولة في ايامه  
 في يسر وانتظام لا مزيد عليها هذا وبينما كانت الدولة في تقدم وتؤوي وزهو  
 كانت صحة السلطان مراد تتاخر يوماً فيوماً لافراطه بشرب الخمر ولم تطل  
 ايامه حتى توفي في الاول من شهر اذار سنة ١٦٤٠ بعد ان ملك ١٧ سنة و١٤  
 من العمر ٢١ سنة

ولم يبق يومئذ من سلالة آل عثمان سوى الامير ارهيم اخي السلطان  
 مراد فخلعه سنة ١٦٤٠ واه من العمر ٢٠ سنة على انه كان بون عظيم بينه وبين  
 اخيه مراد فكان ضعيف الراي والعزم قلما يلتفت الى سياسة المملكة وكان عنده  
 من السراري على ما قيل الف وخمس مئة وكان يقسم بينهم مداخل الولايات  
 وكان زمام الدولة ونصيبها في يدي امه ومصطفى باشا كبير الوزراء فاخذ  
 يسعى هذا الوزير في اشهار سلطنة سيده بفتوحات جديدة فارسل جيشاً لمحاربة  
 خان التتر واسترجاع مدينة ازوف وبعد ان ملك خلق كثير استولت الدولة  
 على المدينة المذكورة ١٦٤٢ وبعد ذلك بثلاث سنين استولت ايضا على بعض  
 جزيرة كريت ولكن لما كانت اجراءات هذا السلطان غير مرضية واعماله  
 مكروهة نفر منه اركان ديوانه ثم اجمع رايهم فخلعوه وفي ثالث يوم من خلعه  
 خنقوه مع وزيره محمد باشا

وكان قد اعتقب ولداً واحداً ولم يكن له اذ ذاك من العمر الا سبع سنين  
 غير كاملة فبويع مكان ابيه تحت اسم محمد الرابع . وكانت الدولة يومئذ في  
 ارتباك عظيم مزعزعة الاركان وحسادها واعداؤها كثيرين وكانت المالية من



جهة في عسر وضيق ومن جهة اخرى كانت العساكر غير منقادة لاولياء امورها واصبح وكلاء الدولة في الولايات غير مباينين في تنفيذ اوامرها فمن جرى هذه الاحوال نبغت الفتن وكثر الفساد ونقوى الضعفاء على الوزراء والاكابر فكان الوزير يتولى اياماً ثم يُعزل او يفتى او يُقتل وهكذا من سنة ١٦٤٨ الى ١٦٥٧ كانت ايام دولته في تعكير . ومع ان السلطان محمد كان لم يزل صغير السن لم يفتر عن البحث هو وامه على رجل فيهِ اليافعة والاهلية لان يتسوا مسد الصدارة فعند اخيراً بما كان يتناه باخذه كوبرلي محمد باشا وكان رجلاً مسناً حاذقاً ذا اخبار لان طول الايام كان قد علمه ما لم يعلمه غيره وحالما استلم عنان مامورته شرع في سد الخلل الذي كان قد اوقع الدولة في الانحطاط وصرف قصارى جهده في استئصال عروق المصرة وفي برهة قصيرة نظم مهام السلطنة وضبط الاحكام على احسن نظام وعادت الى سطوتها وروعتها الاولين واراد هذا الوزير ان يجعل حكم سيده ذا شهرة واعشار فاخرجته من عالم ظلال القصور الى عالم الشهرة وجيز جيتاً واثار على السلطان ان ياخذ قيادته ويذهب به الى دلمانيا لمحاربة اهل البندقية . فذهب السلطان الى مدينة ادرنته ليستلم قيادة الجيش سنة ١٦٥٨ واقام محمد باشا بنصبه في العاصمة . وبعد وصول السلطان ببضعة شهور الى ادرنته حدثت ثورة عظيمة في نواحي حلب والموصل بدسيسة ابرهيم باشا واليها وذلك ان رجلاً ادعى انه ابن مراد الرابع وسى نفسه بايزيد زاعماً انه نجا من القتل عندما أمر بقتله وعقدته جمهور غفير فبعث محمد باشا بجيش صغير لمحاربة ذلك المدعي زوراً ولاطفاء نار الثورة فانكسر الجيش ولم يثبت فاضطر الى اعادة الجيش الذي ذهب به السلطان الى ادرنته وارسال كل قوة الدولة لاختاد نار العصاة فانهمزم المدعي المذكور وتمزق جمعه وتفرق ثم قبض عليه في الاسكندرية مع ابرهيم باشا الذي كان السبب في ذلك وقتلا وعادت الراحة الى الدولة وذلك سنة ١٦٦٠ . وكانت جمهورية البندقية والشجاع راكوتزكي صاحب ترانسلفانيا من اشد اخصام الدولة

تلك مجراً وهذا برآفاخذ محمد باشا يتأهب للخروج بالجيوش لمحاربة راکوتزكي المذكور فدهمت الوفاة في مدينة ادرنة سنة ١٦٦١ وحزن السلطان حزناً لفقدته فاقام مكانه ابنة احمد فاضل باشا وكان كاييه في الذكاء والمحدث فسلک مسلكه في تحسين امور الدولة ونجاحها ونحمت العساكر العثمانية في مبدا الامر في ترانسلفانيا والجر وما جاورها من البلدان ولكن اخيراً انتصر عليهم القائد النمساوي العام موتيکو کوليو سنة ١٦٦٢ فاجعوا جميعاً على عقد الصلح وقبل الامبراطور ليوبولد ذلك بزيد الفرج سنة ١٦٦٥

وكان السلطان محمد الرابع قد جعل دار اقامته من سنة ١٦٥٨ مدينة ادرنة كما كان قد اثار عليه وزيره السابق فتذمر اهل العاصمة من غيابه منها واطهروا عثم الرضا فانار عليه وزيره احمد بالرجوع اليها فعاد ولم يلبث الا اياماً قلائل حتى عاد الى مكانه بحجة طلب الصيد والتقص لانه امسى بخشي صدر المسددين كما غيروا قدلاً بسلفائه. وسنة ١٦٦٨ ذهب احمد باشا الصدر الاعظم الى كريت لانجاز امر الحرب هناك وافتتاح ما كان باقياً في ايدي المشيخة البندقية فارسلت المشيخة المذكورة نستعين بدول الافرنج فانجدهم الفرنسيون والمانا وسائر دول ايطاليا وفرسان مالطة فلم يات كل ذلك بادنى فائدة بل فتح العثمانيون الجزيرة بعد حرب شديدة وبعد ان اقام الصدر الاعظم فيها المحافظين ونفى ما كان قد تهدم من حصونها وارجعها فقل راجعاً باقي الجيش الى العاصمة سنة ١٦٧٠

وسنة ١٦٧٢ فتحت الحرب ثانية في المانيا وبولونيا ودامت الى سنة ١٦٧٥ وكانت نارة لهم وطوراً عليهم وفي السنة نفسها توفي الوزير احمد فاضل واه من العمر ٤٧ سنة بعد ان حكم ١٥ سنة الامر الذي لم يجر قبل ذلك العهد في الدولة العثمانية فحزن السلطان لفقدته لانه كان من افضل الوزراء الذين قاموا في دولة آل عثمان الى ذلك العصر واطالت بعد حيوة هذا الوزير لتحسن حال الدولة جنأ فخلقه فره مصطفي باشا ولم يكن في السطوة دون سلفه على انه

كان بينه وبين ذاك بون عظيم في الحذق والدراية فوقع بينه وبين كوزاك او كرينية نثور افضى الى حمل السلاح فطلب هولاء الاعانة من دولة روسيا فلبت دعوتهم ووقعت الحرب سنة ١٦٧٨ ففاز الكوزاك والروسيون على آل عمان ولما بلغ السلطان محمد ذلك خرج بنفسه الى ساحة القتال فلم يات ذلك بالمرغوب ولما رأى وزيره تلك الحال خامرهُ الخوف والوجل وكان القيصر الروسي قد عرض عليه الصلح فقبل به حالاً

وبعد هذه الخسارة اخذ الصدر الاعظم في استعدادات كلية لمحاربة امبراطور المانيا ولما كانت سنة ١٦٨٢ خرج السلطان مع مصطفى باشا من القسطنطينية الى ادرنة ليجتمعها هناك بالجيش ومن هناك قاد مصطفى باشا العساكر وتقدم دفعة واحدة واقام الحصار على مدينة فينا قبل ان يبد الطريق بفتح الحصون التي قبلها. ولما وصل هذا الخبر الى الامبراطور ليوبولد اضطرب كثيراً وارسل من بومه يسأل البابا ان يطلب الى سوياسكي ملك بولونيا ان يتجدد معه على عدوهم العام ولما رأى البابا ابنوسات الحادي عشر الخطر الذي كان محققاً باكر الدول النصرانية من سطوة آل عمان حَسَّ سوياسكي المذكور وغيره من امراء المانيا ان ينضموا يداً واحدة لدفع البلاء فاجاب الجميع استدعاء البابا واخذوا يجتمعون جميعاً للدفاع. وكان الصدر الاعظم مصطفى باشا يشدد الحصار ويرمي المدينة بالقتال والنار المهلكة وكان اهلها لا يعرفون النوم ولا الراحة فكانوا يصرفون النهار بالحرب والمدافعة وفي الليل يرمون ما قد تهدم من الاسوار فاستمر الحال على هذا المنوال الى اليوم اثاني عشر من شهر ايلول سنة ١٦٨٢ اذ اقبلت طلائع سوياسكي وقد انضم اليه جماهير غفيرة من اقطار المانيا كبافاريا وسكسونيا وغيرها وهجموا دفعة واحدة على صفوف العساكر العثمانية واشتبك بينهم قتال مهول دام من الصباح الى المساء حتى تخضبت الارض بالدماء وتغطى كبد السماء من الدخان وقد فعل سوياسكي وجموعه فعلاً تكل عنها صناديد الرجال وقاومت العساكر العثمانية

مقاومة الاسود ولكن اضطر اخيراً مصطفى باشا ان يطلب الفرار وتشتت جيشه في تلك البراري والوهاد بعد ان هلك منه خلق كثير. ولما عاد مصطفى باشا الى بلغراد اخذ الناس وقواد العساكر يتدمرون عايمه ويطلبون قتله اذ كان هو السبب في ذلك الانهزام فامر السلطان بقتله واقبم مكانه قره ارهيم باشا وسنة ١٦٨٤ اشهرت مشيخة البندقية ودولة النمسا الحرب على الدولة ودامت الحرب بينهم الى سنة ١٦٨٦ وكان النصر فيها دائماً للافرنج فتكدر ارباب الدولة جداً من ذلك. واذ كان السلطان محمد مغرمًا بالصيد صارفًا اكثر اوقائه فيه غير ملتفت الى صالح الدولة وتدير مهامه من الشعب والعساكر واجمعوا على عرله فاخرجوا فتوى وخاموه عن الملك ووضعوه تحت الترسيم ما قاموا مكانه اخاه السلطان سليمان الثاني سنة ١٦٨٧ فكان مدا حكمه مشوشًا من داخل ومن خارج وكانت الاعلام العثمانية منكسة دائماً في البندقية والنمسا ولما راي السلطان تلك الحال والاضطار المهدقة بالدولة بعث الى حكومتي النمسا والبندقية يطلب اليهما الصلح فلم تجيباه الى طلبه فاضطر الى دفع القوة بالاقوة وعزم ان يقود الجيش بنفسه ولما وصل الى بلغراد خاف ان يتقدم اكثر من ذلك لجهله فن الحرب فولج قائلاً خلافة سنة ١٦٨٩ فكسره الافرنج وشتوا جيشه

وتولى الصدارة يومئذ مصطفى باشا كويبرلي المشهور وكان قد ورث من جده وايه اجراءاتها الحربية والسياسية فاخذ قيادة الجيش وانتصر على النمسا سنة ١٦٩٠ وسنة ١٦٩١ واستخلص منها بلغراد وغير اماكن كانت قد رجمتها على الدولة قبل ذلك ومن جهة اخرى كانت الاعلام العثمانية فائزة ايضاً في البندقية وفي اثناء ذلك توفي السلطان سليمان بعد ان حكم ثلاث سنين وتسعة اشهر

وخلفه اخوه السلطان احمد الثاني سنة ١٦٩١ وفي نفس هذه السنة صار مصطفى باشا بالجيش للحرب مع النمسا فقتل في المعركة وانهزم الجيش وتشتت

بعد ان هلك منه ٢٨ ألفاً . وسنة ١٦٩٢ حدثت حريقه هائلة في النمسططينية  
احرقت ربع المدينة . وسنة ١٦٩٣ ارسلت الدولة جيشاً لمحاربة النمسا فلما بلغ  
ذلك قائد جيش النمسا رفع الحصار عن مدينة بلغراد ورجع عنها على انه لم  
يُعتد صلح بينهما وبقي جيش الدولة محافظاً هناك وفي السنة التي بعدها مرض  
السلطان ومات وكانت مدة سلطته اربع سنين

وتخلف مكانه الساهدان مصطفى اثاني بن السلطان محمد الرابع سنة ١٦٩٥  
وكان محباً للعلوم والمعارف وعلى جانب عظيم من الرقة والحدق وكان اول امر  
باشرة في نفس تلك السنة افتتحة جزيرة ساقس من البندقية وبعد هذه الغلبة  
سار بجيش قليل لمحاربة النمسا على انه لم يحن ادى ثرة في هذه الحملة بل عادت  
عليه بالخسارة وهكذا كان الحال ايضاً في السنة التي بعدها في محاربة المسكوب  
فزار الروسيون واخذوا مدينة ازوف . وكانت دولة فرانس مع باقي الدول  
المتحابة ساعية في غضون ذلك في تهديد طريق الصلح فسعى سفير اكتوبرا  
وهولاندا لدى الباب العالي في ترقية اسبابه فلم تصادف مساعيتها قبولاً في  
اول الامر بل اصر السلطان على الحرب والانتقام من دولة النمسا ولكنه بعد  
واقعة سنة ١٦٩٧ وعدم نجاح العساكر العثمانية على النمسا قبل بالصلح فاعتدت  
شروطه في مدينة كرلويينز بين الدولتين عن يد معندي الدول الاجنبية  
وحصل فيها هدنة متاركة السلاح بينها على مدة ٢٥ سنة . واما القيصر الروسي  
فلم يقبل الا بهدنة سنتين فقط وتم ذلك في ٢٦ كانون الثاني سنة ١٦٩٨ وبعد  
انعقاد الصلح المذكور هاجت العساكر والناس بسيرة وقاموا على السلطان  
وخلعوه عن السلطنة وقتلوا المنفي الكبير . وكانت مدة سلطته نحو ثمان سنين  
ومات في السنة التي بعدها سنة ١٧٠٢

## الباب السادس

في ما جرى من الامور والحوادث منذ خلافة السلطان احمد

الثالث سنة ١٧٠٢ الى سنة ١٨١٤

انه عندما تولى السلطان احمد الثالث مسند الخلافة سنة ١٧٠٢ كان السلام منشراً في كل اطراف السلطنة الامر الذي ندر وقوعه منذ تاسيس الدولة العثمانية وكانت يومئذ الحرب قائمة على ساقٍ وقدم بين القيصر الروسي وكارلوس الثاني عشر ملك السويد واستمرت الى سنة ١٧٠٩ حين انكسر اخيراً كارلوس المذكور في معركة بانتوفا وفاز عليه بطرس الاكبر فانهمزم ودخل حدود الدولة العلية ونزل في بندر. فامر السلطان وقائد ان يكرم غاية الاكرام وان تكون مصاريفه ومصاريف كل تبعته من خزينة الدولة. اما كارلوس فاخذ يطلب من السلطان نجدة لتتال القيصري فلم يجبه الى ذلك نظراً للمعاهدة التي كانت بين الدولتين فكثرت سوات في بلاد الدولة مداوماً الالحاج عليها لمحاربة روسيا واذ كان له في بلاط السلطان شهرة عظيمة وكانت ام السلطان تميل اليه وتلقبه بالاسد اعتمدت الدولة اخيراً على اجانة طابعه واشهرت الحرب على روسيا سنة ١٧١١ وارسلت جيشاً عظيماً تحت قيادة محمد باشا البلطجي فاشتبك القتال بين الطرفين عند نهر بروث وبعد كفاح شديد تقهقر جيش القيصر وامسى الامبراطور في خطرٍ مبین ولو لم تدارك الامر زوجته كاترينا بمجدقها ودرايتها لاصبح زوجها اسيراً فعقدت الصلح مع الوزير الاعظم تحت شرط ترجيع مجرازوف الى الدولة وهدم الحصون التي على سواحل هذا البحر وعدم مداخلة روسيا فيما يخص الكوزاك وان تعهد الملك كارلوس بحرية الرجوع الى بلاده وبعد المصادقة على هذه العهود من الطرفين ارسل الوزير يعلم السلطان بالنتيجة فغضب وامر بعزله

وسنة ١٧١٤ فتحت الحرب على البندقية واذ كانت هذه المشيخة في ضعفٍ من كثرة الحروب لم تستطع منازعة الدولة زماناً طويلاً فاستولت العساكر العثمانية دفعةً واحدةً على ولاية المورة سنة ١٧١٥. وكانت المشيخة المذكورة قد استغانت شارل السادس امبراطور المانيا فلي دعوتها ونعت الى الدولة العلية يطلب منها ان ترسل معتمداً من طرفها الى حدود بلاد المجر لاجل الخابرة معه لجهة جمهورية البندقية وان ابنت عن ذلك فانه مستعد ان يشهر الحرب عليها. فلم تجب الدولة هذا الطلب بل ارسلت على الفور الصدر الاعظم بيته وخمسين الف مقاتل لمحاربة المانيا فوافاهم ثمانون الفاً من عساكر الالبان تحت قيادة الامير اوجين والتقى الجيشان عند كارلوهيتز حيث كان عند بين الدولتين المتحاربتين معاهدة الصلح منذ سنة ١٧١٠ والتم القتال بين الفريقين فكانت الدائرة على عساكر آل عثمان وقتل الوزير الاعظم وكل الفراد الاواين وفتح الالمان مدينة تيمسفار بعد حصار شهرين ودخلت الملائخ تحت نسلطهم. وكانت الدولة قد ارسلت عمارتها بحراً لمحاربة البندقية وفتح جزيرة كورفو فخسرت ايضاً ولكن مع كل هذه الخسائر جددت الحرب سنة ١٧١٧ فكانت ايضاً تعيسة عليها اذ خسرت فيها مدينة بلغراد. ولما بلغت هذه الاخبار ديوان السلطان فتح المخابرات بشأن الصلح سنة ١٧١٨ وكان يطمع في عند الصلح مع كل من دولة المانيا وجمهورية البندقية على حدته فاجاب الامير اوجين بان الامبراطور شارل لا يفتح المخابرات الا تحت شرط عند الصلحين سوية تحت نظره واردف هذا الطالب بان يعطى له ما عدا مصاريف الحرب ومدبنتي بلغراد وتيمسفار اقليما بوسنيا والسرب الواقعان في الجهة اليمنى من نهر الدانوب والملائخ من حدود بغداد الى نهر دنيستر وان ترجع المورة الى البندقية فعظمت هذه المطالب على السلطان احمد وفضل فقد التاج على التسليم بشروط مجلبة للعار. فتدخلت اخيراً دولتنا انكلترا وهولاندا في فض الخلاف وصار القرار على ان يبقى في يد كل من الدولتين الاملاك التي تكون في يدها عند امضاء

المعاهدة وان تبقى اباة المورة للدولة

وسنة ١٧٢١ حدث حريقه مهولة في النسطنطبية احقرت نحو ربعها .  
 وسنة ١٧٢٦ توفي الشاه حسين ملك العم مقتولاً وحدث ثورة عظيمة في بلاده  
 فاغتنمها الدولة ودخل جيشها بلاد العم واستولت على بعض املاكها . وفي  
 تلك الاثناء اتصر الشاه طهماسب على اعداء ابيه وغلب جلوسه على سربر الملك  
 ارسل يطلب من السلطان ترجيع الاملاك التي كان استولى عليها واذا لم يلتفت  
 الى ذلك الطلب غار الاعجم على تبريز واستولوا عليها . فلما راي الناس  
 والاكثارية عدم مبالاة السلطان بامور الدولة تمردوا واجتمع قوم من العصاة  
 وقتلوا الوزير وخاعوا السلطان عن كرسيه وقام بعده باعباء السلطنة السلطان  
 محمود خان الاول بن السلطان مصطفى الثاني سنة ١١٣٠ ففرق في الرعايا  
 واقتفى اثار اجداده بالغزو والجهاد فخارب الاعجم في حملة مواضع واكن بدون  
 فائدة عظيمة وحارب ايضاً روسيا والمانيا عدة سنوات وبعد وقائع كثيرة اجري  
 معها صلحاً مع هدنة اجلها ٢٧ سنة اما شروط الصلح مع المانيا فهي ان ترجع  
 للدولة بلغراد مع اقليبي السرب والفلاخ وان يكون الحد الفاصل بين الدولتين  
 نهر انداوب واما الشروط مع روسيا فهي ان لا يكون لها مراكب حرية  
 او تجارية في البحر الاسود وبحر ازوف بل تستخدم لتجارتها مراكب اجبية وان  
 تهدم قلعتها في ازوف وان ترجع بعض البلاد التي استولت عليها في زمن الحرب .  
 وهكذا انتهى الحال وزال الشقاق والاختلال وعظم السلام في السلطنة الى ان  
 توفي السلطان محمود في ١٣ كسنة ١٧٥٤

وتسلطن بعده اخوه السلطان عثمان الثالث وكان يجب الانفراد لا يبالي  
 في تدبير مهام الدولة واصلاح امور العباد ولم يكن لهذا السلطان شيء من  
 المناقب المحسنة وكانت مدة حكمه ثلاث سنين ونصمًا ثم توفي سنة ١٧٥٧ .  
 وخلفه السلطان مصطفى الثالث ابن السلطان احمد الثالث في السنة المذكورة  
 وكان سلطاناً عظيماً موصوفاً بالعدل واعلم فاخذ حالاً في تنظيم احوال



السلطنة وسلك احسن سلوك مع الوعايا وكان يعتمد على وزيره محمد راغب باشا الموصوف بحسن السياسة والتدبير وهو صاحب الجامع والمكتبة الوقفية الشهيرة المعروفة الان باسمه في مدينة النسططينية. ولكن لم تطل ايام هذا الشهم اذ توفي سنة ١٧٦٨ وبعد موته شبت نيران الحرب بين الدولة وروسيا وخرج السلطان للحرب سنة ١٧٦٩ فكان طالعا مستوما جدا عليه فخر شوكرم والبغدان وقسا من الفلاخ ولم تكن السنة التالية اقل شوما من التي قبلها اذ احترقت عمارة الدولة بالقرب من جزيرة ساقس وانهمز خان القرم عند نهر بروث وانكسر الصدر الاعظم ايضا عند شواطئ النهر المذكور وخسرت الدولة مدينة بندر وعدة جزائر في الارخيل . وفي الوقت نفسه تحرك اليونان في المورة والارناوط ايضا بدسيسة روسيا واخذوا يستعدون لخلع نير الطاعة للدولة. ونهض ايضا علي بك من المالك واخذ مصر و اراد الاستقلال بها. وحكم ايضا الشيخ ظاهر العمر على جانب من سوريا مستغلا فامست الدولة في مركز صعب جدا ومع ذلك لم تندهمة السلطان مصطفى واستمر يناضل قوة العدو ويازعه على الدايوب حتى عزم ان يقود الجيش بنفسه ولكنه شعر في تلك السنة بهبوط في قواه وكان يتزايد يوما فيوما حتى شعر شرب حلول الاجل فاستدعى اليه اخاه عد الحميد واوصاه بولده سليم (الذي حكم فيما بعد تحت اسم سليم الثالث) ثم توفي في ٢١ ك ٢ سنة ١٧٧٤ وله من العمر ٥٨ سنة وجلس بعده اخوه السلطان عد الحميد سنة ١٧٧٤ وكان محمود السيرة سليم السريعة يجب الصلح والسلامة وكان له اذ ذاك ٥٠ سنة من العمر قضى ٤٤ منها في عالم السجن فلم تكن فيه الاهلية لادارة مهام السلطنة لاسيا في تلك الحالة التي افضت اليها بعد كثرة الحروب والفتاقل من داخل ومن خارج وكان سلفه قد باشر التجهيزات لمحاربة الدولة الروسية فامر بانجازها وازديادها وبعث بالصدر الاعظم مع ٤٠٠ الف مقاتل فالتح القتال بينهم وبين الجيوش الروسية فلم يتصرفوا عليهم لقلته تدبيرهم وانحصروا في شومله ووقعوا في صعوبة كابية

ولم يعد لهم منها منفذ إلا بالصلح فعدت شروطه سنة ١٧٧٤ واخصها استقلال التتروفتج ابواب كل ابحر الدولة السفن الروسية ومع ذلك كلولم تنفع دولة روسية بل كانت تتعدى من حين الى حين على حدود الدولة حتى انها اغارت على القرم واستوات عليها وكان السلطان عدو الحميد يتجمل تلك التعدييات بهرارة عظيمة زماناً طويلاً وهو غير قادر ان ياتيها بالعلاج الشافي ولما رأى ان كل املاك دولته ما وراء الدانوب وقعت في قصة الاجاب شرع في استعدادات جديدة للحرب وبينما كان مهتماً على القيام وافته المنية في ٧ نيسان سنة ١٧٨٩ تاركاً لابن اخيه السلطان سليم السلطنة في اسوأ حال.

فلم اتبوا السلطان سليم الثالث مسند الخلافة هم حالاً لنشل الدولة من تلك الحالة السيئة التي افضت اليها من سوء ادارة سالفه وبعث بالعساكر المجهزة لمحاربة الجيوش الروسية والنساورية فالتقى الفريقان في البغدان وصدموا بعضهم بعضاً مدة شهرين فكانت الدائرة على جيوش الدولة وغنم الاجانب غنائم كثيرة واستولوا على قلعة بلغراد وايالتي الفلأخ والسرب فتداخلت حينئذ روسيا وانكلترا بين ليوبولد امبراطور جرمانيا والدولة في شان الصلح وقرر الترار فيه بان يصير ارجاع بلغراد وكل الاراضي التي فتحها النمسا خلا شوكريم لحد نهاية الحرب مع روسيا وتعينت ساقية كزارما حداً فاصلاً بينها وكان ذلك سنة ١٧٩١ . اما روسيا فكانت لا تزال مقيمة الحرب على قدم وساق وقد حاصرت قلعة اسمعيل وهي من اهم حصون الدولة العلية وامنعها وبعد حصار شديد فتحها فتداخلت ايضاً الانكليز وروسيا وانهموا النزاع والحرب وحملوا روسيا ان ترجع للدولة كل الاماكن التي فتحها خلا اوكرآكوف والاراضي الواقعة بين نهري بوغ ودينسدر حيث اقامت الملكة كاترينا الثانية مدينة اودسا سنة ١٧٩٢ وبعد هذا الصلح حدث فرح عظيم في القسطنطينية على ان الاخبار لم تكن سارة من جهة مصر وسوريا

ثم سعى السلطان سليم في ترقية اسباب تقدم بلادهم وعمرانها وارسل يطلب

من فرانساهندسين ومعلمي صنائع وضباطاً الى غير ذلك فبعثت له بجانب عظيم على ان علاقاته الحية معها تكدرت سنة ١٧٩٨ حين دخل الفرنسيون مصر عن غير علم الدولة واقاموا فيها الى سنة ١٨٠٠ فالتزمت حينئذ ان تشر ضدّها السلاح واخرجتها من اراضيها المصرية بمعاذته انكلترا وفي اول اذار سنة ١٧٩٩ فتحت عمارنا الدولة وروسيا السبع الجزر التي كانت لجمهورية البندقية وكانت فرانساهندسين مستولية عليها منذ سنة ١٧٩٧. وهذه هي المرة الاولى والاخيرة التي اتحد فيها هاتان الدولتان وفي ٢١ اذار من سنة ١٨٠٠ صار الاتفاق بين الدولتين المشار اليهما في صيرورة الجزر المذكورة حكومة مستقلة خاضعة للسلطنة العثمانية تحت اسم جمهورية السبع الجزر

وبعد رجوع بوناپارت من مصر عند سنة ١٨٠٢ معاهدة صلح مع الدولة العلية ولما ارتقى الى منصب الامبراطورية بهت سفيراً الى الدولة لكي تعرفه امبراطوراً فتاخرت من جرى تهديدات روسيا وانكلترا ولكن لما بلغها حدى انتصاراته على النمسا وروسيا في اوستراينز سنة ١٨٠٥ عرفته اخيراً سنة ١٨٠٦ ووجدت مع فرانساهندسين علاقات الوداد ووافقتها على محاربة روسيا فكان ذلك داعياً لتعكيرها مع انكلترا التي كانت تسعى في ملاشاة شوكة نابوليون . ولكن لم تستطع انكلترا ان تمنع السلطان سليم عن محاربة المسكوب لان جيوش هذه الدولة كانوا قد تجاوزوا الحدود ودخلوا الفلاخ والبغدان خلافاً للعهد فاضطر السلطان ان يحافظ على بلاده ويدافع عن حقوقه فجهز الجيوش وارسلها تحت قيادة الصدر مصطفى باشا شاي ومصطفى باشا البيردار الى الاقليمين المذكورين فضربوا الروسيين ومنعوا تقدمهم على الاراضي العثمانية

وكان السلطان سليم يرغب ان يلاشي وجاه الانكشارية ويقم . . . . .  
عسكراً على الطريقة الامريجية لانهم كانوا قد زرعوا اركان السلطنة بعصيانهم وعدم انقيادهم وكان قد نظم في العام الماضي بعض الفرق من النظام الجديد فهاج الانكشارية من جراء ذلك واثاروا في المدينة شغباً عظيماً وغيب ان

اعترضوا عصبة واحدة طففوا يتعدون على الاهالي ويقتلون من وقعت ايديهم عليه واخيراً خلعوا السلطان سليم واقاموا مكانه السلطان مصطفى الرابع خفيد السلطان عبد الحميد في ٢٠ ايار سنة ١٨٠٧

فلما جلس السلطان مصطفى على كرسي الخلافة امر بالقبض على اخيه محمود وعلى السلطان سليم وحجزها في مكان واحد خوفاً من شرهما. وحدث في نفس السنة التي تولى بها ان نابوليون الاول فاز على الامبراطور الروسي وعند معاهدة تياسيت فبدأ خلع عقدت هدنة بين الدولة العلية وبين روسيا وانسحب العسكران كل الى بلاده. وعند رجوع الصدر الاعظم ومصطفى باشا اليرقندار الى القسطنطينية سعياً في ارجاع السلطان سليم الى كريت لانهما كانا من حزبه فاحس بذلك السلطان مصطفى وبعث ابناً خفقوا السلطان سليمان واتوه به مخنوقاً ثم ارسل من يفعل مثل ذلك باخيه محمود. فلما بلغ الخبر مصطفى باشا اليرقندار بعث من خلص محموداً بعد ان اوشك ان يقع في ايدي مطارديه واتى به الى بيته وهناك بسلامته فشكره محمود على جميل صنيعه وارسل في الحال جماعة قبضوا على اخيه مصطفى وهو في داره وحجزه في المكان الذي كان هو فيه وتبوأ تحت الخلافة مكانه وذلك سنة ١٨٠٨ وهو السلطان محمود الثاني وجعل مصطفى باشا اليرقندار المذكور صدرًا اعظم

وكانت الدولة يومئذ في مركز صعب جداً لم تصل الى مثله منذ تاسيسها فسلم ادارة مهامها الى وزيره مصطفى باشا المشار اليه معتدلاً عليه كل الاعتماد فقام بتديريها اتم قيام واخذ يسعى في استئصال اهل البغي والشر ووضع قوانين ونظامات جديدة توافق روح العصر فابغضه الانكشارية وكثيرون من الناس واضروا له السوء الى ان هجموا ذات يوم عليه في بيته واضرموا فيه النار فهلك ذلك الرجل المعتبر المحب الاصلاح. ثم هجموا على دار السلطان وارادوا ان يفعلوا ما فعلوا بالوزير وان يتزلوه عن السلطنة ويرجعوا السلطان مصطفى فلما رأى ديران الشورى ان بقاء السلطان مصطفى في قيد الحياة يكون سبباً للفتن

والفلاقل خفقوه عن غير رضى السلطان محمود وبادروا لاطفاء نار الفتنة التي  
اضرمها الانكشارية فضايقوهم ثم طلبوا لهم العفو من السلطان فعفا عنهم  
الى حين

وكانت يومئذ العساكر الروسية تتقدم الى جهة نهر الدانوب مسرعة  
فبعث السلطان جيشاً عظيماً لمصادمتهم فلم يقدر ان يوقف مسيرهم فطالبت  
فرانسا ان توسط امر الصلح بينها فرفض السلطان محمود مداخلتها لانه نائر  
جداً من الشروط السرية التي عقدها نابوليون مع اسكندر الروسي في تيلسيت  
التي من شأنها اقتسام دول اوروا فيما بينها من جلثها بلاد الدولة العلية  
واستمر في مقاومة الروسيين ومحاربتهم ولكن من غير فائدة واستولى الروسيون  
على مدينة شومنه وعلى عدة مراكز حسنة وضايقوا العساكر العثمانية اشد مضايقة  
وبينما كانت المتائب محيطة بالدولة من كل جهة اذا بطالع سعيد بزغ في افئها  
وذلك ان نابوليون الاول كان قد اشهر الحرب على روسيا سنة ١٨١٢ وسار  
اليها بجيوشه الجرارة فالزم ذلك روسيا ان تسحب اكثر جيوشها من حدود  
الدولة وعقدت في ١٦ ايار سنة ١٨١٢ مع الباب العالي صلحاً موافقاً جداً  
للدولة العثمانية

فاغتم السلطان فرصة هذا الصلح لتسكين التورات في ولايتي بغداد  
وابدين وغيرها ولا تمام مشروعاته الحسنة فصرف قصارى ثمنه في ذلك الشأن  
مدة الثمان السنين التي دام فيها الصلح . وسنة ١٨٢١ تحرك اليونان في المورة  
وجاهروا بالعصيان على الدولة وكانوا يهجمون بمراكبهم على سواحل البحر فيقتلون  
ويسلبون ويرمون الفتن في جميع الاطراف فشقى ذلك على الدولة وارسلت  
العساكر لردعهم وادخالهم في حيز الطاعة فشبت الحرب بينها وقامت على ساق  
وقدم وبعث الباب العالي الى محمد علي باشا والي ولاية مصر يامرهُ ان يرسل  
جيشاً لمحاربتهم فارسل ولده ابرهيم باشا المشهور بخمسة وعشرين الف مقاتل مع  
عمارة بحرية ولما وصل الى المورة انضم بجيشه الى جيش الدولة وزادت نيران

الحرب شوباً ولما آيس الأروام من النجاة ونوال الاستقلالية استنجدوا بالدول الأوروبية فبادرت دولنا فرانساً وإنكلتراً الى توسط امرهم لدى الدولة ولما لم يجب السلطان محمود سؤلها أرسلنا عمارتيها وانضمت اليها العمارة الروسية وعد وصولها الى ميناء نافارين بعثوا جميعاً الى ابراهيم باشا يطلبون اليه ان يوقف الحرب فاجاب انه لا يتدر على ذلك إلا بأمر من السلطان فعند ذلك دخلوا ميناء نافارين واطلقوا النار على عمارتي الدولة ومحمد علي باشا فاحرقوها وكان ذلك في ٦ تموز سنة ١٨٢٧ ولما بلغ ذلك الخبر السلطان محموداً اضطر الى اجابة سؤل الدول المتحدة وامضى الشروط التي عرضت عليه بخصوص ابطال الحرب واستقلال الأروام

وفي وسط هرج هذه الحروب اصدر السلطان محمود امراً بتدمير وجات الاكشارية فهجمت عليهم العساكر المستجدة والاهليون في العاصمة وباقي الولايات وبادوهم عن آخرهم وارناج الناس من جورهم والدولة من اتقالم . وفي تلك الاثناء غير السلطان محمود لبسة ونزع العمامة والجمعة وتزبي بالزبي العثماني الحالي وبالطربوش الصغير ولم يبالي باقوال المعارضين

وسنة ١٨٢٩ زحفت العساكر الروسية لمحاربة الدولة عند شواطئ الدانوب وسار جيش الى جهة اسيا فارسلت الدولة عسكراً لمصادمةهم فتغلقت عليهم الجنود الروسية وكسرت في سيلستريا وشومله وامتولت عليهم ثم كسرت أيضاً كسرة اخرى عند كالينشوفا وقطعت مضيق اللكان واستولت على ادرنة واخذت تهدد العاصمة وكادت جنود روسيا التي قصدت جهات اسيا قد استولت على القرص وبايزيد وطراق قلعة وارزروم ولما بلغت كل هذه المصائب السلطان محموداً اضطر جناً وهذه المرة الاولى التي فيها خامر قلبه الاضطراب والخوف على انه اظهر الثبات وقوة الجنان والقلب في وسط تلك الاخطار المحدقة به وبدولته فتدخلت أيضاً الدولة الانكليزية في انهاء تلك الشرور المملكة وسلم السلطان محمود بكل الشروط التي طلبت منه وفي الثاني من شهر

ايلول سنة ١٨٢٩ حررت معاهدة الصلح في مدينة ادرنة وماآها التسليم باستقلالية الاروام التامة والتنازل عن اقليم السرب لعائلة اورينوفيتش المستولية الى الآن وعن اقليمي الفلاخ والبغدان اللذين انضما سنة ١٨٦١ الى امرية واحدة تعرف بامرية رومانيا واستولى زمام احكامها البرنس شارل الاول من عائلة هوهنزولرن الالمانية سنة ١٨٦٦ بحق توريثها لمن يعقبه وهي تدفع مالا معلوماً للدولة في كل سنة كبلاد مصر وعن بعض الجزائر الواقعة عند فم نهر الدايوب والشاطي الايمن منه . اراض في اسيا مع غرامة حرب قدرها ١٠ ملايين فرنك . واما عقيب مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨ فرومانيا وسربيا صارتا ملكتان مستقلتان كما سبقت الاشارة عند وصف جغرافية هذه البلاد

وربما استغرب القاري كيف ان الدولة التي سادت على اغلب ممالك العالم والفت الرعب في قلوب جميعهم لم تستمر في نموها وتقدمها حتى التزم سلاطينها ان يرضخوا الى شروط نظير هذه والحال اذا نظر الى هذا الامر بعين خالية من الغرض بحق الاستغراب من وجه آخر وهو كيف امكن هذه الدولة ان تتحمل كل تلك الصدمات الشديدة والمقاومات المريعة من اعدائها في اوربا واسيا وافريقية مع عدم فتور الخلل في داخلها بسبب اصحاب الغي والفساد مع ما اوقعت وجاق الانكشارية من الخلل ولم تنزعج اركانها بل استمرت في سلك الثبات العجيب ولم تستطع قوة او سبب اخر ان يثنيها . فهذا اعظم برهان على عظمتها وقوتها

وسنة ١٨٢١ عندما كانت الدولة العلية خارجة من لمحج تلك الحروب المملكة جهز محمد علي باشا والي مصر ولده ابرهيم باشا بثلاثين الف مقاتل لافتتاح الاقطار الشامية انتقاماً من عبدالله باشا والي عكا فسار اليها واستولى عليها واستمرت احكامها في يده نحو تسع سنين وكانت مدة خلافة السلطان محمود ٢١ سنة وهو اعدل وارحم من سلفه من سلاطين آل عثمان وجلس بعده على سرير السلطنة ولده السلطان عبد المجيد خان سنة ١٨٢٩

وكان عادلاً حليماً مطبوعاً على مكارم الاخلاق . فاول امره باشرة استخلاص الديار الشامية من ايدي الحكومة المصرية ثم اخذ بعد ذلك في اجراء ما كان قد شرع فيه جناب والده من الترتيبات والتنظيمات على مقتضى الشرع والقوانين السياسية لرفع المظالم وراحة البلاد وردع اصحاب البغي والفساد واصدر امراً شريفاً مبيناً به اصول التنظيمات التي فاضت بها مراحة الشاهانية نحو الرعية وامر بنشره في اقطار السلطنة العثمانية ليجيئ الجميع به علماً وهو المعروف بالتنظيمات الخيرية . فانتعشت ارواح الرعايا مجلس هذا السلطان واستبشروا به وفي مدة حكمه انتشبت الحرب بين الدولة العلية والدولة المسكوية وهي المعروفة بحرب القرم وسببها انه كان قد وقع اختلاف بين طائفتي الروم واللاتين في القدس من عدة سنين بسبب كيسة التيامة وبعض الاماكن المقدسة فكانت كل طائفة منهما تدعي لنفسها حق الرياسة والتقدم على الاخرى باستلام مفاتيحها ثم اخذت هذه المسئلة تتعاضم بينهما وتند يوماً بعد يوم الى ان آل الامر الى النزاع والجدال في سنة ١٨٥١ فوقع الباب العالي في حيرة وارتباك من جهة تسكينها واخذت بارها لان روسيا كانت تحمي عن حقوق الروم وفرنسانتصر لللاتين فتدخل سفير انكلترا اللورد ستراتفورد دي ريدكليف في صرف هذا المشكل ورسم ترتيباً موافقاً لائتلاف الملتين المتخالفتين فقبلته فراسا واما روسيا فلم تقبله لان مقصدها الوحيد لم يكن مقتصراً على محاماة حقوق اكبروس الروم بل كان لها غايات اخرى طالما كانت تجتهد على نوالها وترقب النرص لاستحصاها وهي ابعاد الدولة العثمانية من قارة اوروبا والاسنيلا على اقاليمها وولاياتها فانتهز الامبراطور نقولانك المنازعة فرصة مناسبة لنوال بغيته وبلغ اريو فارسل الامير منشيكوف الى القسطنطينية سنة ١٨٥٢ لمقابلة السلطان عبد المجيد خان بعد ان كان بعث جيشاً يبلغ ١٤٤ الفاً الى نهر الدانيوب ليكون مستعداً لوقت اللزوم والحاجة . فلما وصل الامير منشيكوف الى القسطنطينية رفض مواجهة فواد باشا وزير الخارجية ودخل راساً على الحضرة الشاهانية وصحبه سفير روسيا



واعرض له طلب الامبراطور نقولا في المسئلة المتعلقة بالاماكن المقدسة ثم قال  
له ان الامبراطور يطلب ايضاً ان جميع الروم الذين من تبعة الدولة العلية  
يكونون تحت ظل حمايته من الآن وصاعداً استناداً على احد بنود معاهدة سنة  
١٧٧٤ المعقودة في كوجك فيدرجي وان بطرك الروم القسطنطيني وباقي اساقفة  
الطايفة يكون انتخابهم وتغييرهم منوطاً به وان الشكاوي والدعاوي التي تصدر  
عليهم من جهة تصرفاتهم وسلوكهم تعرض راساً اليه لينظر فيها . فاستعظم  
السلطان هذه التطلبات ورفضها لانها مخلة بناموس السلطنة ومعايرة للاصول  
وقوانين الدول فانثى الامير منتيكوف راجعاً من حيث اتى واعلم الامبراطور  
نقولا بواقعة الحال فاستشاط غضباً واصدر امراً الى العساكر التي ارسلها الى  
اطراف الدايوب ان تعبر نهر البروث وتستولي على تلك الاطراف فاجتازت  
النهر وشنت الغارة على امارات الفلاخ والغدان ما استولت عليها في اليوم  
الثالث من شهر حزيران . ولما تخلى الباب العالي قدوم ذلك الجيش الى  
اطراف بلاده علم ان مقاصد روسيا في تطلباتها لم تكن الا وسيلة لاشتهار الحرب  
فجهز جيشاً وارسله الى تلك الحدود تحت قيادة عمر باتا المجري لردع الروسيين  
ولما تاكدت الدول الاوروبية بغية روسيا ومقاصدها بادرت انكثرا  
وروسيا والنمسا الى عقد جمعية للظفر في اجراء الوفاق بين الدولتين وارسلت  
كل دولة منها معتدلاً من طرفها الى مدينة فيينا حيث وافاهم سفير من طرف  
روسيا واخر من طرف الدولة العلية وعند واهناك اجلسا في ٢١ تموز سنة ١٨٥٢  
لم يات بالمرغوب . فلما لم يعد سبيل للصلح اشهر الباب العالي الحرب اشهاراً  
نهائياً وصدى سليم باشا العساكر الروسية في اسيا وانتصر عليهم في عدة مواقع  
بينما كان عمر باشا يهاجمهم في اوروبا حيث كسرهم بالقرب من اولتيتزا وفاز  
عليهم عند قلنفاط واماكن اخرى . واما الغارة الروسية التي كانت في البحر الاسود  
تحت قيادة الاميرال ناشيفوف فصدمت الغارة العثمانية عند سينوب في  
٢٧ ت ٢ واستظهرت عليها بعد حرب شديدة فانلقتها وكانت مولفة من سبع

فركانات وباخرين وثلاثة مراكب حربية  
 اما انكلترا وفرنسا فاذا تيقنا سوء نتائج هذه الحرب انتصرتا لمعونة السلطان  
 واعلنتا الحرب على روسيا في ١١ اكتوبر سنة ١٨٥٣. ولما كانت اوائل سنة ١٨٥٤  
 ابتدانا في نقل رجالها ومهماتهما الى ساحه الحرب واتسبكتا في التمال واما باقي  
 دول اوربا فكانت معافضة على الحيادة  
 وكانت الدولة الانكليزية قد ارسات عمارة حربية الى بحر بلتيك تحت  
 قيادة الاميرال نابار فاستولت على قلعة بومارستود الخمس عمدة بقيت  
 من شهر آب تم على جزيرة الابد وكبها لم تدر على استخلاص القاعة نظراً  
 لحصاتها. واذ كانت سانسبول اعظم قوات روسيا التي يعول عليها في البحر  
 الاسود وجنت انكلترا وفرنسا قواها لانناحوا والامتلاء عليها فارسلنا في ١٤  
 ايلول فرقا من عساكرها يبلغ عددها ستين الفا وكان اكثرهم فرنساويون  
 فنزلوا في بوبانوريا وفيما كانوا يتقدمون الى سانسبول صادتهم العساكر  
 الروسية. وكان الفرنسيون تحت قيادة المارشال سنت ارنو والانكليز  
 تحت قيادة اللورد راكلان فاقتتل الفريقان اقتتالا شديداً الى ان دارت  
 الدائرة على الروسيين فانكسروا عند نهر الماء. واما العساكر الروسية فكانت  
 اذ ذاك تحاصر مدينة سيلستريا ولم تدر على اخذها فخرجت العساكر العثمانية  
 من المدينة واقتحمهم فانتصرت عليهم وفرقتهم فذهبوا عن المدينة خائبين وانضوا  
 الى اخرين وقصدوا القرم لنبذة حصار قلعة سانسبول التي اليها وجت روسيا كل  
 قوتها من مهمات وعساكر وذخائر. واما جيش الانكليز ففعلت فوارسهم فعل  
 الاسود الصوري اذ صادوا جيشاً عرمرماً من الروسيين عند بالاكلافا وفازوا  
 بهم فوزه خلدت لهم ذكراً جميلاً بعد ما فقد منهم خلق كثير ثم ان الروسيين  
 المحاصرين في انكرمان وعددهم ستون الفا خرجوا من مكان حصارهم واقتحموا  
 العساكر العثمانية والانكليزية والفرنساوية ودارت بينهم معركة شديدة الخسران  
 على الفريقين انجلت بانهمزام الروسيين وازومهم حصن المدينة ولم يكن حينئذ في

طاقة الدول المتحدة استلام سباستبول مع انهم كانوا يزيدون قواتهم الحربية ويكثرون هجماتهم وقنابرهم ولم يقدروا على استخلاص تلك القلعة او ان يمنعوا المساعدات التي كانت تاتيها من داخل البلاد

وانقد قاست العساكر المتحدة ولا سيما الانكليز في شتاء سنة ١٨٥٤ وشتاء سنة ١٨٥٥ اهل الآوشدائد بكل اللسان عن وصفها وتعدادها فان الامراض والوجاع قد اخذت في العساكر كل ماخذ واهلكت كثيرين هذا فضلاً عن الجوع والتعرض لبرد تلك البلاد والاشجرة المنتنة التي كانت تتصاعد من جثث القتلى والحيوانات

اما سردينيا فكانت يومئذ تحت حكم فيكتور عمانوئيل مظلة الحرية وهي ايضاً هيأت جنودها للحرب وانضمت الى الجنود المتحدة فارسلت ٥٠٠٠٠ مقاتل بعدما تعهدت لها انكثرا بدفع مبلغ مليون ليرا على سبيل الاعانة واشتهرت رجالها في تلك المعامع بالشجاعة والثبات

وفي خلال ذلك توفي الامبراطور نيقولا في ٢ اذار سنة ١٨٥٥ وجلس واده اسكندر الثاني مكانه وفي اليوم الثامن من شهر ايلول من السنة المذكورة حدثت واقعة هائلة بين المسكوب والعساكر المتحدة كانت الدائرة فيها على الروسيين واستولت جيوش فرانس على قلعة ملاكوف بسائر لامزيد عليها واذ لم يعد للروسيين استطاعة على حفظ مراكزهم تركوا سباستبول في مساء ذلك النهار وعولوا على الهزيمة والفرار ودخلت العساكر المتحدة الى القلعة وامتلكتها فانفتحت حينئذ مخابرات الصلح وعقدت جمعية في باريز في ٢٥ شباط سنة ١٨٥٦ حضرها اثنان من طرف كل دولة من الدول الست المتحابة وهي انكثرا وفرنسا وتركيا والنمسا وروسيا وسردينيا وفي ٣٠ اذار امضيت شروط الصلح متضمنة ٢٤ بنداً مجلدة لكل من الدول المشار اليها اخصها ان الدولة العلية يكون لها الامتيازات التي لباقي دول اوروبا من جهة القوانين والتنظيمات السياسية وانها تكون مستقلة في ممالكها كغيرها من الدول الافرنجية وان البحر

الاسود يكون بمغزل عن جولان مراكب حرية فيه من اي جنس كان ما عدا روسيا وتركيا فان لها حقاً في ادخال عدد قليل من المراكب الصغيرة الحربية لاجل محافظة اسآكلها وان لا يكون لتركيا ولا لروسيا ترسختات بحرية حرية على شواطئ البحر الاسود الى غير ذلك من الشروط وهكذا انسجت العساكر الى مواطنها وانتمت الحرب التي لم يكن لافتتاحها داع سوى المطامع والعبات

وفي نهاية مدة السلطان عبد المجيد خان حدثت الحرب اللبنانية في اوائل سنة ١٨٦٠ بين طائفتي النصارى والدروز كما مر في اخبار سورية . وفي شهر حزيران سنة ١٨٦١ توفي السلطان عبد المجيد وخلته اخوه السلطان عبد العزيز خان فقام باعباء السلطنة على احسن منوال وسلك سلوك ابيه في الاصلاح وترقية اسباب التقدم والنجاح وسعى في تاسيس المعامل والمدارس والمطامع وانشاء الطرق الحديدية في البلاد العثمانية فحصلت الرعايا في ايامه على مزيد المنونية واسمجت السلطنة في امن ورفاهية خالية من الارتباكات واثقلاقل والحركات الى ان كانت سنة ١٨٦٧ فحدثت فتنة في جزيرة كريت استمرت نحو سنتين ولولا تعصب اليونان لاهل الجزيرة المذكورة وامدادهم اياهم بالذخائر والتفودلما استلزم الامر كل ذلك الوقت لاختضاعهم

ثم في سنة ١٨٧٥ ثارت نيران الفتن في اقاليم الدولة العربية اي الهرسك والبشناق والجبل الاسود وبلغاريا وكان السبب في ذلك ظاهراً ظلم الحكام العثمانيين وعدم معاملتهم المسيحيين بالرفق والانصاف ولكن باطن الامر على ما يظن كان بسبب دسايس روسيا ووعودها الاهلين بالمساعدة في تحصيل استقلاليتهم فالتزمت حينئذ الدولة ان ترسل عساكرها لاختضاع تلك البلاد الثائرة فلم نصب نجاحاً واخيراً تظاهرت روسيا علناً في مقاومتها واثمار الحرب عليها فجندت الجنود وزحفت بها على الاراضي العثمانية واصطلت نيران الحرب بين الفريقين نحواً من سنتين واطهرت الجنود الاسلامية من شدة الجنان ما لم

يخطر على بال انسان خاصة في حصار بلافنا الذي كلف روسيا عددًا غديرًا من الجنود وروساء الجنود ولكن لما كانت الكثرة تغلب الشجاعة لم يهد ممكنًا لعثمان باشا وجنوده ان يداوموا الدفاع وهم محصورون في بلافنا بدون مؤن وذخائر فالتزموا ان يسلموا للروس ومن ذلك الوقت انحل عزم باقي الجيش العثماني واخذ الروس يتقدمون شيئًا فشيئًا الى ان وصلوا الى مقرته من القسطنطينية فحينئذ تظاهرت اكلترا لمقاومتهم وادخلت عيارها الى ميها العاصمة وتوعدتهم بالضرب ان لم يكفوا عن التقدم فتوقفوا عن ذلك ما عتد الصلح بين روسيا وتركيا وأحيل الى الدول الكيرة النظر في تسوية الخلاف الواقع بين الدولتين المتحاربتين لجهة تحرير الاقاليم المار ذكرها فعتد مؤتمر في مدينة برلين سنة ١٨٧٨ حضره نواب الدول المار ذكرها تقر فيه صلح الهرسك والشياق ونفي بازار مؤقتًا عن المملكة العثمانية ووضعهم تحت حكم دولة النمسا وان الجبل الاسود يكون مستقلاً وان روملي الشرقية تكون تحت حكومة ادارية محاية مستقلة يتولاها حاكمًا ينصبه الباب العالي وان القرص وناطوم في اسيا تكونان للروس الى غير ذلك من الشروط وهكذا انتهى النزاع بين الدولتين وصمت نوابا الامتين وعاد التحاب وانتهى التفاضب

وفي اثناء تلك الثورات والحروب نهض بعض وزراء الدولة وخاعوا السلطان عبد العزيز عن سرير ملكه وسعوا في قتله في وسط قصره واقاموا مكانه اخاه السلطان مراد فلم يستقم امره في سدة الخلافة لانحراف صحته وبعد نحو ستة اشهر قام مكانه اخوه السلطان عبد الحميد وذلك في ٢١ آب سنة ١٨٧٦ فاخذ في الحال ان يسي في تحسين ما كان قد تفت وتناظيم ما كان قد فسد وبعد توقيع الصلح مع روسيا شرع في تحقيق مثل السلطان عبد العزيز وجازى المدنيين بما استحقوا وهو الآن صارف قصارى جهده في ترقية اسباب تقدم الاهالي ونجاحهم ساعياً في تحسين مالية الدولة وتثبيد اركانها ولما كانت اكلترا تخشى دخول الروسيين الى اسيا الصغرى اي بالاناضول

خوفاً من امتداد سطوتها في اسيا وتمدها الهند الشرقية عقدت مع الدولة العثمانية عهداً اشترطت فيه مدافعة الروسيين معها عند الاقتضاء ورددعم عن الدخول الى الاناضول وفي مقابلة هذا التعهد تنازلت تركيا لانكثرا عن جزيرة قبرس في اواسط سنة ١٨٧٨ ليس على سبيل التنازل بل ليكون مقرراً لجنودها وذخائرها الحربية وقت الحاجة. وبما ان الدولة العثمانية كانت تستغل من الجزيرة المذكورة ايراداً سنوياً بحاكمي المئة وتلاثين الف ليرا انكليزية تعهدت انكثرا بدفع ذلك للجزينة الدولة كل سنة ما دامت مقيمة في الجزيرة

## الفصل الثاني

### في تاريخ اليونان

### الباب الاول

#### في جغرافية هذه البلاد

انه كثيراً ما تشهر بلاد وناقي العالم بفوائد كثيرة مادية وادبية ولئن كانت في عين الناظرين اليها ضيقة الاملاك وقليلة الاعتبار. فان بلاد اليونان التي نحن في صدها كانت بلاداً صغيرة قليلة المساحة ومع ذلك قد بلغت في الاعصار السالفة الى اعلى درجات الجهد والفخر ادياً ومادياً. فاشتملت على القسم الجنوبي من بلاد آل عثمان في اوروما وبلاد الروم والمورة مع عدة جزائر مجاورة

للاراضي المذكورة . اما حدودها فكانت الى الشمال ايليريا المعروفة الان  
بوسنيا اي البوشناق وميسيا العليا وهي الان بلاد السرب وشرقاً ثراقيا وهي الجزء  
الشرقي من الرومي والارخيل الرومي وجنوباً بحر الروم وغرباً خليج البندقية  
وقد انقسمت هذه البلاد طبيعياً الى اربعة اقسام كبرى وكل من هذه  
الاقسام انقسم ايضاً الى اقسام صغار قائمة على حدتها . القسم الاول الشمالي وهو  
يشمل اقلبي ابيروس وئساليا وها الان من املاك الترك باوروبا . الثاني  
مكدونية وهو الجزء الشمالي من بلاد الارناوط والجزء الغربي من بلاد الرومي  
ومن مدنها فيليبي وئسالوبيكي وقاعدتها بلأ وهي وطن اسكندر بن فيليس  
المكدوني الشهير وهذه ايضاً من املاك الترك في اوروبا . الثالث بلاد اليونان  
الاصلية وقيل لها هلاس المسماة الان بلاد الروم . الرابع بايويسوس المسماة  
بشبه جزيرة المورة وكان تابعاً لها خلاف هذه الاقسام جزائر الارخيل الرومي  
التي كانت وقتئذ زاهية خضراء وليست قاحلة كالآن وجزائر البندقية وجزيرة  
كديا اي كريت وكان لليونانيين منازل في اسيا الصغرى وسيساليا وابطاليا  
واماكن اخر

اما الآن فتتخصر المملكة اليونانية بالنسم الثالث من الاقسام المار ذكرها  
وبجدها بلاد الترك شمالاً ومن باقي الجهات البحر المتوسط وعدد سكانها يبلغ  
نحو مليون ونصف وقصتها مدينة اثينا التي لا تزال مستقلة على اثار تشهد على  
عظمتها القديمة وبراعة اهلها وحقاقتهم لاسيا في فني النقش والتصوير واحسن  
جزرها جزيرة سيرا . اما هواؤها فمجيد وارضها مخصبة . واهلها موصوفون  
بالنباهة والذكاء والشجاعة ولكنهم لم يصلوا بعد الى اعلى درجات التمدن . وقد  
انقسم تاريخ هذه البلاد قديماً الى قسمين احدهما يتضمن تاريخ الازمنة المجهولة اي  
من اول نشأتها الى حين هاجمها الفرس في زمن تملك داربوس بن هستاسب  
سنة ٤٩٠ ق م وسميت ايضاً الا عصر الخرافية والثاني منذ مهاجمة الفرس الى  
فقدانها عنان الملك وخضوعها للرومان

## الباب الثاني

في اخبار الاعصر الخرافية واولاً في اصل نشأتها وشعرها  
الاولين

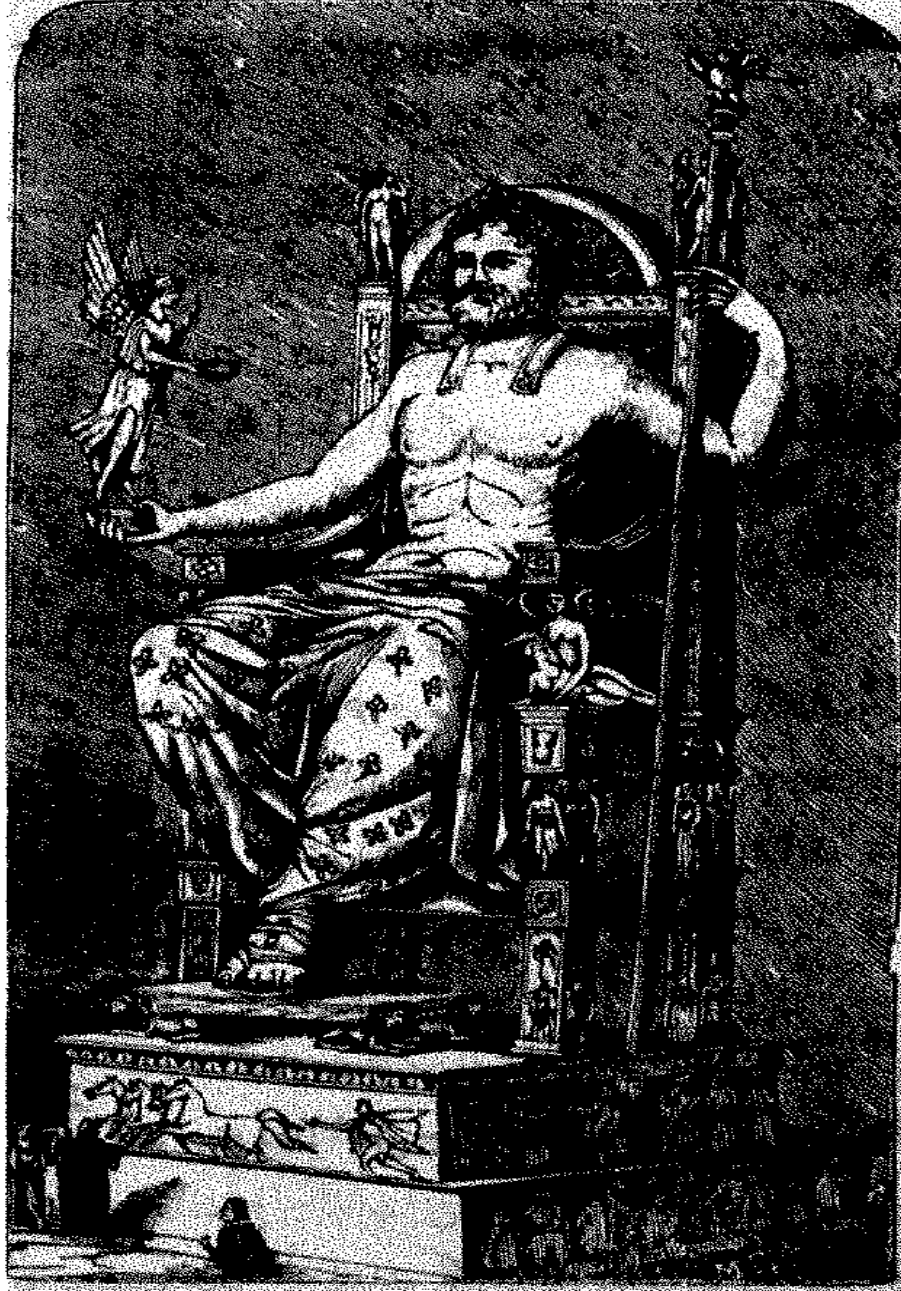
ان بدء تاريخ اليونانيين ككثر التواريخ القديمة مغتني بظلمة كثيفة وممزوج  
بامور كثيرة خرافية وقلما يوثق بما قيل في كتب المورخين في هذا الشأن .  
قيل ان اصل اليونانيين من نسل باوان بن يافت بن نوح وهذا يقرب كثيراً  
ما نصه هيرودوتوس لجهة اصل اليونانيين . وكانوا قديماً متوحشين عدي  
التمدن برعون المراتي ويعلمون الارض ويسكنون الكهوف والاكواخ ويكتسبون  
بجلود الغنم ويقتاتون بالبقول والجذور وقيل انه لما علمهم فلاسفوس اكل  
اللوط قدموا له اكراماً الهياً وجعلوه في مصاف الالهة

وفي تلك الاثناء وافي بلادهم قوم من فينيقية قيل لهم التيتانيون وكان  
ذلك يقرب عصر ابرهيم فاخلطوا بالاهالي الاصليين وعنهم اخذ اليونانيون  
جملة معارف فخرجوا عن حالتهم المتبررة . ومن ثم تعلموا ايضاً عبادة الهة  
الفينيين كاوراس وساتورنوس وهو زحل عند العرب وزفس او جوبيتير اي  
المشتري واصل هولاء الالهة نشر قد اشتهروا في امري ما من الامور . وعما قليل  
ادخل اليونانيون هولاء التيتانيين في مصاف الهتهم اذ كانوا يقدمون لمن اشتهر  
منهم اكراماً عظيماً بعد موته وهذا اصل خرافات اليونانيين من جهة الالهة

اما التيتانيون فانشأوا جملة مدائن صارت فيما بعد ممالك صغيرة . من  
اقدما مدينة سيسيوم عند خليج ليباتو كان وضع اساساتها في عصر حران جد  
ابرهيم الخليل اي نحو سنة ٢٠٨٩ ق م . ومدينة ارغوس ايضاً أسست سنة  
١٨٥٦ ق م وذلك في اواخر ايام ابرهيم وقد ذكر اسم ملك من ملوكها اسمه  
اوغييس عاش سنة ١٧٩٦ قبل الميلاد وكان التيتانيون كثيري الغزوات



والحروب فتلاشوا وانقضوا  
وبعد انقراض هؤلاء التبتانيين رجع اليونانيون الى حالتهم القديمة ويقولوا



صورة زفس نحت فيدياس الشهير

على ذلك نحو ٢٠٠ سنة الى ان وافى بلادم رجل مصري يدعى كروبس  
ومعيتو قوم من بلاده وذلك سنة ١٥٥٦ فاستولوا على اراضي انيكا وانشأوا فيها

اثنتي عشرة مدينة فكان ذلك بداية ملكة اثينا. وتزوج ككروبس المذكور بابنة ملك تلك البلاد ثم خافه في الملك بعد موته وكان يومئذ سكان تلك المملكة لم يزالوا اثنتين متفرقين بعضهم عن بعض فجمعهم في اثني عشرة قبيلة او جمهوراً وعلمهم زراعة الكرم والحطة والزيتون وسن شرائع للزيجة وطفوساً لاحفالات الدفن لاسيا محكمة او ديوان اربوس ، اغوس الذي اشتهر فيما بعد اشتهاراً كلياً . قيل واهد موت ككروبس خلفه في الملك على اثينا رجل اسمه امفكتيون فحمل باقي المالك الصغار الكائنة يومئذ ان يقبلوا عهداً فيما بينهم لاجل منفعتهم العمومية فاجابوه الى ذلك وكانت المدن التي دخلت في هذه المعاهدة ترسل بواباً الى الديبل الذي كان يعتمد مرتين في كل عام في مدينة ثرموبوليس ودعي ذلك الاجتماع بالمشورة الامفيكتونية . ونحو سنة 1006 اتى قسماً من بلاد اليونان يدعى بيوتيا رجل فينيقي يدعى كدموس وبنى قلعة عظيمة سماها كادمه حيث بني بعد حين حولها مدينة ثيبة اليونانية وهو الذي ادخل معه حروف الهجاء وفن الكتابة . وكان اليونانيون اولاً يكتبون سطرًا من اليسار الى اليمين ثم سطرًا من اليمين الى اليسار وهم جراً فانتشرت هذه الفنون في بلاد اليونان ومنها الى سائر بلاد المغرب

وكان لليونانيين الندماء عقائد خرافية مصحكة كثيرة لا يسعنا ضيق المقام ابرادها الا اننا نذكر شيئاً من ذلك . فمنها انهم عدواً كثيراً من الالهة وقالوا انهم ذكور واثاث ولدون ويولدون ونسبوا اليهم السلطان على الامور الارضية ووصفهم بجميع الاوصاف والمزايا الشريفة الا قبول الموت والنفاء . وكان اذا اشتهر احد من الناس بصفات حميدة او ذميمة او باعمال غريبة من كل نوع قدموا له بعد موته احتراماً دينياً وسموه نصف اله وسموا بهذا الاسم ايضاً بعض فحول البشر الذين حسبهم ولدوا من اله وبشر معاً . واقدم الالهة حسب زعم اليونانيين هو الذي تسمى عندهم سيروس اي الملك . قيل كان له ولدان احدهما اسمه ساتورنوس فتزوج بشقيقته اوبيس ونسبت ايضاً

جدة لانها كانت ام اكثر الالهة والابن الثاني تيتان وهو البكر فاعطى الملك  
 لاختيه ساتورنوس على شرط ان يأكل جميع اولاده الذكور لكي يرجع الملك  
 بعد حين الى نسل تيتان ففعل كذلك حتى ولدت امراته جويتيراي المشتري  
 واخته يونون واخاه نبتون فاخذتهم ولم يأكلهم والدهم. وهي ثم تغلب جويتير على  
 ابيه واخلس الملك من يده وطرده ثم قسم الملك بينه وبين اخويه فاخذ لنفسه  
 القسم العلوي المعبر عنه عندهم بالسماء واعطى سلطان المياه والابحر الى اخيه  
 نبتون وسلطنة القسم السفلى اى جهنم لاختيه اوتون ثم دنا نسه ملك اواله الالهة  
 والبشر. وما عدا هولاء كان لهم الهة للجبال والسهول والحدود والزراعة والاثار  
 للحرب وللصالح للرياح وللعواصف للصنائع وللعلوم والهنون للحجبة وللغضة للزنا  
 وللنكاح وللخمر وهلم جرا. ولليونان خرافات كثيرة من هذا القبيل لو اردنا  
 ذكرها جميعاً لطال بنا المجال

ومن جملة حوادث العصور الخرافية الاسرار الايلوسينية التي اخترعها  
 ابركنيوس ملك اتكا اكراماً للالهة سيريس التي اقيمت مرة واحدة في كل  
 خمس سنين في مدينة ايلوسيس في شهري آب وابلول وكان لا يؤذن بدخول  
 احد اليها الا بعد صلوات وذبايح عديدة للالهة وتطهير الجسد والتعهد بمحفظ  
 الاسرار المزمع ان يتسلها. ومنها ايضا اختراع الملاعب الاولمبية التي اقيمت  
 مرة واحدة في كل اربع سنوات في مدينة اولمبية في المورة اكراماً لجويتير.  
 والملاعب البيثكية التي اقيمت في مدينة نيا في المورة كل سنتين اكراماً لهرقول  
 احد انصاف الالهة وذلك لقتله سبعة عظماء في الغياض بقرب المدينة المذكورة.  
 ومنها ايضا الملاعب البرزخية التي اقيمت في برزخ كورثوس كل اربع سنين  
 اكراماً لنبتون اله البحار. واعظم كل هذه الملاعب هي الاولمبية التي كان يجري  
 فيها نوع من المغالبة والمصارعة والمسابقة. وكان الغالب في هذه المجاهدات  
 يكمل باكليل من اغصان الزيتون الاخضر ويكرم اكراماً لامزيد عليه. وكان  
 من اراد المجاهدة فيها يعد نفسه لها بامتناع عن الاطعمة الغليظة وانواع

المسكرات وعن كل ما يضعف الجسم والى هذا اشار الرسول بولس في الاصحاح التاسع عدد ٢٤ و٢٧ من رسالته الاولى الى اهل كورنثوس . وهم الذين ابتدوا بتقسيم الوقت الى اولمبيادات والاولمبياد هو مدة اربع سنوات وفي هذا العصر ايضا بني الهيكل المشهور لاولون في المورة

## الباب الثالث

### في حرب طروادة ورجوع الهيراكليدية وحرورهم

ان هذه الحرب على ما جاء من اخبار اليونانيين هي من اشهر حروبهم القديمة ومعظم حوادثها ماخوذة عن اشعار هوميروس الشاعر اليوناني المشهور ولا ريب ان كثيراً منها حكايات لا يوثق بصحتها . واسباب هذه الحرب هي انه كان لعص ملوك سارطه التابعة لمملكة المورة ابنة بديعة الحسن والجمال اسمها هيلانة وكانت اشهر ساء عصرها حسناً فزوجها ابوها مينيلاس ملك لاكونيا وميسينيا تحددت بعد ذلك انه اتى سارطه باريس (او اسكندر) بن بريام وهو ملك قسم عظيم من اسيا الصغرى قاعدته مدينة طروادة الشهيرة وذلك في القرن الثاني عشر قبل الميلاد فآكرمه مينيلاس اكراماً لا مزيد عليه وبعد ان اقام في بلاطه مدة من الزمان كافاه على جميل صنيعه وضيافته بطفيان زوجته هيلانة فاخذها وفرّ هارباً بها بعد ان اخذها مالا جزيلاً واتى بها مدينة والده طروادة . فلما علم مينيلاس بذلك شقّ عليه الامر جداً واخذ الفلق والضحج فبعث الى ملوك اليونانيين واكابرهم بدعوم ان يسعفوه في الانتقام من باريس فاجابوه الى ذلك وجهزوا جميعاً نجدة عظيمة لمحاربة طروادة تحت امره اغامنون اخي مينيلاس وملك ميسان وكورنثوس وسيسيون وجهزوا عمارة يبلغ عددها ١١٨٦ سفينة وركب فيها نحو ١٠٠ الف مقاتل وكان الجميع تحت قيادة اغامنون المار ذكره واخيه مينيلاس . ومن جملة الابطال الذين اشتهروا في هذه

الحرب اشبل وصاحبه باتروكل وديوميد ملك ارغوس واجاكوس والحكيم  
متور ويلوس وعولس صاحب الحيل والتداير وغيرهم . واما اهل طروادة  
فكانوا تحت قيادة هكتور الشجاع بن ابريام ملك طروادة وفي معارضة اخيه  
باريس وسريدون وايباس الفاضل . فنجح اليونانيون المتحالفون اولاً نجاحاً  
عظيماً الا انه وقع بعد حين بينهم شقاق فحسروا ما كانوا قد ربحوه ولكنهم اخيراً  
فازوا بافتتاح طروادة بعد حصار دام عشر سنين فنهى المدينة وخربوها  
واحرقوها وقتلوا بريام واولاده وسبوا عائلته وكان ذلك نحو سنة ١١١٤ ق م  
وهي تساوي عصر بفتاح احد قضاة بني اسرائيل وبعد ذلك بنحو ثمانين سنة اتى  
بعض اليونانيين اهل طروادة وشيدوا كولوية وما بقي من مملكة بريام انضم  
الى مملكة ليدا

وبقرب هذا العصر اي نحو ١٠ سنة بعد فتح طروادة شبت بين اليونان  
حرب شديدة سميت حرب الهيراكليدية وسبها هو ان الهيراكليديين امن نسل  
هركول ( الذين كانوا قد طردوا من بلادهم في المورة من رجل اسمه اوربستي  
جاء اغاممنون ومنيلاس رجعوا معهم احدى القبائل اليونانية التي انضمت  
لجندتهم وداربوا اليونانيين اخصامهم واستولوا على مسيني ولاكونيا التي قاعدتها  
سبارطه وطردها الاخائيين الذين التجأوا الى بعض المقاطعات التي بقي لقبهم  
عليها وهي اخائية . ومن ثم اقتسم الهيراكليديون البلاد التي فتحوها الى ثلاثة اقسام  
وهي ارغوليدة ومسيني ولاكونيا

وكان اهل لاكونيا يمسدون المسيبيين نظراً لحسن موقع بلادهم وجودة  
اراضيها وكانوا يترقبون وقوع سبب ما يتخذونه حجةً لمجارتهم والاستيلاء على  
بلادهم الى ان وقع بعض الاسباب فيما بينهم فتبعت بينهم حروب شديدة دامت  
عشرين سنة وكثيراً ما كاد المسيبيون يهدمون اركان دولة السبارطيين الى ان  
فاز اخيراً هولاء باهل مسيني وفتحوا بلادهم وطردهم منها فالتجأوا الى اركاديا  
ومنها اقلعوا تحت رياسة ابني رثبهم اريستومون الى سيبيليا واستولوا على مدينة

زانكليا ودعوها مسين ولم يزل الاسم عليها الى الآن ثم حارب السبارطيون  
مملكة اثينا فلم يتصرفوا عليها ومن ثم صار لسارطه واثينا التقدم على ممالك بلاد  
اليونان وسبأتي الكلام على كليهما في ما يأتي

## الباب الرابع

### في جمهوريتي سبارطه واثينا

ان مدينة سبارطه كانت قاعدة لأكونيا التي هي قسم من اقسام المورة  
وموقعها في الجهة الجنوبية الشرقية من شبه جزيرة المورة ويلبها من جهة الشمال  
مملكة ارغوس واركاديا ومن جهة الغرب مسيني ومن الشرق والجنوب البحر  
المتوسط. قيل ان مابها الملك لكديون وكان عائشاً في الجيل الخامس عشر  
ق م وبعد رجوع الهيراكليديه واستيلائهم على لاكوبيا وارغوس ومسيني كما تقدم  
الكلام ملك على لاكوبيا ابنا اريستوديم وكان اسم الاول اوريسثين والثاني  
بروكليس وبعد وفاتهما بنيت مملكتها منسومة الى قسين واولاد كل منهما  
يحكمون عليها ودام الحال على هذا المنوال نحو ٩٠٠ سنة وكان بين ملوك  
الفسمين استفاقات ومخاضات كثيرة في غضون تلك المدة

ونحو سنة ٨٤٤ ق م توفي بوليدبكتوس احد ملوك الفسمين المار ذكرها  
بلا عقب ناركا زوجته حلي وكان له اخ اسمه ليكورغس شهير بين اليونانيين  
فراودته امرأة اخيه طالبة ان يتزوج بها ويستبد بالملك من بعد اخيه وانها  
تهلك الجنين اذا قبل ان يفعل ذلك. اما ليكورغس فكره ان يرتكب هكذا  
امراً قبيحاً منكرًا وعندما وضعت امرأة اخيه ذكراً اهتم بتربيته كل الاهتمام  
ودعاه ملك سبارطه الشرعي وكان يدبر مهام امور دولة ابن اخيه بالنيابة  
ولكن اذ حصل نفور بينه وبين امرأة اخيه كره ان يبقى على تلك الحال فسافر  
ليكورغس الى جزيرة كريت ومن ثم الى اسيا الصغرى والى مصر لكي يدرس

علوم تلك البلاد وشرائعها وفي مدة غيابها حدثت في سارطه شخصيات وفتن كثيرة وجاهر كثيرون بالعصيان على الملك وشرائع الملكة . فعث الشعب يطلبون من ليكورغس بلجاجة ان يوافقهم عاجلاً ويتقلد زمام الملك وتهي بلاده من الدمار فاجابهم الى ذلك وعاد راجعاً الى بلاده واخذ حالاً باصلاح البلاد واخذ الثورات والفتن واول امر فعله هو انه غير هيئة الحكومة من الملكية الى الجمهورية وعما قليل اقتدى به كثير من ممالك اليونانيين بحيث اصبح الحكم الجمهوري غالباً في اكثر البلاد

ولما كان ليكورغس يرغب في ان يجعل تسوية بين وجاهة الملوك والاكابر والعامية رتب لذلك ديواناً مؤلفاً من ثمانية وعشرين شخصاً يتخيم الشعب من اكابر البلاد وجعل ملكي لاكونيا المتقدم ذكرها رئيسي الديوان وكان الديوان المشار اليه يسن الشرائع والقوانين ثم تعرض على جمعية العامة فان ثنها الشعب بالمصادقة عليها ثنت والاعيت . واذا اراد ليكورغس ان تكون مباديه واجراءاته مبنية على اساسات وطيدة اخذ يربط الشعب بعضهم بعضاً جاعلاً اياهم كاعضاء عائلة واحدة ولذلك قسم املاك الملكة فيما بينهم بالمساواة لكيلا يكون بينهم فقير وغني . واطل المعاطاة بالذهب والفضة وجعل عوصها قطعاً من حديد

ومن جملة الوسائط التي استعملت بين اهالي سبارطه انهم نظروا الى جميع الاطفال المولودين حديثاً فسلموا الكاملي البنية منهم الى مرضعات من طرف الجمهورية حتى متى جاء عليهم سبع سنين ادخلوهم الى المدارس وعودوهم الشجاعة والتعب ومقاساة المشقات لكيلا يبالوا بعد حين في امر من الامور . وكان المعلمون يساوون بين سائر الاولاد في التعليم بلا تمييز وكذا النساء ايضاً اكتسبن فضائل الرجال وافتخرن ببسالة اولادهن وشجاعتهم واحبين ان يموتوا في خدمة وطنهن . وقد روي عن امرأة انها عند ذهاب ابنها الى الحرب ناولته ترسة قائمة عدماً به واما عليه اي اغلب او مت كريباً في القتال . وهكذا بواسطة شرائع

وقوانين مثل هذه نشدت اركان جمهورية سبارطه وقويت جداً وتعاضلت  
واوقعت الرعب في قلوب جميع ممالك اليونان التي امست تخاف سطوتها  
وبقيت سبارطه على هذا المنوال نحو ٥٠٠ سنة

اما اثينا فكانت قاعدة ملكة اتيكا قديماً وكان حكمها اولاً من نوع الملكي  
حتى زمان احد ملوكها المسي قودروس الذي كان معاصراً لشاوول ملك بني  
اسرائيل . وفي ايام هذا الملك رجع الهيراكليدية الى المورة كما تقدم وكانوا لما اتوا  
لماربة اثينا استشاروا في هيكل ابولون الفال فانباهم انهم يفوزون بالغلبة على  
الاثينيين ان لم يقتل ملكهم قودروس في الحرب واذ كانوا يرضفون لهذه الاوهام  
اخرسوا جداً من قتله واما قودروس فلما علم ذلك تزى بلباس العامة وانسل  
بين صفوف الجنود الهيراكليدية وقتل في وسط المعركة حباً بانفاذ وطي . ولما  
علم الهيراكليدية ذلك وراوا جثة ملك اثينا مجدلة بين صفوفهم وكانوا  
معتقدين كل الاعتقاد صحة الفال يتسوا من الغلبة وانقلبوا راجعين وذلك  
سنة ١٠٨٢

اما الاثينيون فبعد موت ملكهم الذي بذل نفسه حباً ببلاده لم يجوا ان  
يولوا بعده ملكاً عليهم فابطلوا الحكم الملكي واقاموا الحكم الجمهوري . فكانوا  
يولون روساء يسمونهم اراكنة او اراخنة واول من تولى هذا المنصب ابن  
قودروس وبنوه من بعده واستمر في الحكم يد ذريته نحو ٢١٢ سنة وكان  
الاراخنة في اول الامر يولون مدة حياتهم ثم بعد حين الى عشر سنين ثم بعده الى  
سنة واحدة فقط وزيد عددهم شيئاً فشيئاً الى تسعة وكانوا جميعاً يشتركون في  
جميع مهام امور الدولة وكانت وقتئذ الشرائع غير مستوفية النظام والترتيب فقام  
رئيس الاراكنة في ذلك الوقت وشرع في تنظيمها وتعديدها ووضع قوانين ثقيلة  
صارمة جداً فجعل الموت عقاباً لكل ذنب مها كان جرمة عتجاً في ذلك بان  
ادنى ذنب او تعدد يستوجب الموت ونظراً لصرامتها قيل انها كتبت بالدم  
ولكنها اهلقت بعد حين لصعوبتها



ثم انه بقرب سنة ٥٩٤ ق م قام رئيساً للاراكنة صولون الحكيم المشهور وكان من ذرية قودروس فوضع نظامات جديدة وشرائع وقوانين عادلة مناسبة لروح ذلك العصر واحوال البلاد وجعل السلطة الاجرائية في جمعية من الشعب لا يدخلها الا من كان قد اتى عليه ٢٠ سنة واقام ديواناً عدد اعضائه ٤٠٠ شخص تزايد فيما بعد الى ٥٠٠ عضو وجدد ايضاً ديوان اربوس باغوس وقسم الشعب الى اربع رتب بحسب وجاهتهم وغناهم وانتخب ارباب الوظائف والاحكام من الثلث الرتب الاولى واما الرتبة الرابعة فاشتملت على عامة الشعب. ومن تم اهتم صولون ايضاً بتوسيع دائرة التجار وترقية اسباب الصنائع والمعامل والفنون وتكثيرها والزم كل انسان ان يباشر عملاً ما من الاء ل لتحويل ضروريات المعيشة وحرص الناس على العفة وطهارة السيرة والاقلاع عن استعمال الكلام الخجل في الآداب او غير اللائق ومن خالف ذلك عوقب اشد العقاب. ثم ان صولون بعد ان مهد الامور واشهر ترائعه واجراها طلب السياحة خارج بلاده فسافر واتى منازل اليونان في اسيا الصغرى ثم ليديا التي كان ملكها كريسوس المشهور بالغي

ولما عاد صولون الى بلاده وجد ان جميع ما كان نظمه ورتبه قد فقد نظامه وراى عوضه فتناً قائماً لم يستطع ان ينجده ييرانها وذلك لان رجلاً يدعى بيسيستراتوس كان قد اخلس الحكم من الاراكنة فبذل صولون قصارى جهده عبثاً لتخليص البلاد من يد المعتصب فلم ينجح. اما بيسيستراتوس ففتح باستمالة الشعب اليه وبعامته اهل اثينا بالطف والاحسان فرجع الاثينيون في ايام حكمه بالسعادة والراحة ورغد العيش. وكان يحيط بالملك اشهر حكماء ذلك العصر وكان بلاطه كدرسة للعلماء وهو اول من اعنى بجمع اشعار هوميروس الشاعر المشهور وبعد موته خلفه ابنه هيارخوس وهيباس سنة ٢١ ق م. قبل ان هيارخوس اهان احدى المخدرات الاثينيات فقام عليه اخوها مع رفيق له فقتلاه فقبض عليها وقتلها. اما هيباس فكان يتقل على اهل اثينا

ويظلمهم كثيراً فحنقوا عليه واستغاثوا باهالي سارطه ان يجدهم على طرد ملكهم فلما رأى هيبياس ذلك فرّ هارباً والتجأ الى داربوس ملك الفرس يطلب اليه المساعدة لترجييعه الى ملكه وذلك سنة ٥٠٠

وبعد فرار هيبياس قام اثنان من الروساء وهما كليستينوس وايساغوراس وتنازعا الحكم فقوي كليستينوس على ايساغوراس وطرده واستبد وحده في امر ادارة الاحكام فجدد نظامات صولون نفسها واعاد الراحة في البلاد. اما سارطه فاذا رغبت في ان يكون لها التقدم والسطوة على كل البلاد اليونانية جهزت جيشاً وارسلته تحت قيادة ماسكها كيومينيس لتعارض ما احدثه كليستينوس من التغييرات ولكي تعيد ايساغوراس الى الولاية فلم تات مساعيمهم بالمتصود وانصرف الاثينيون على اهل سارطه ومن تحالف معهم وكسروهم وبددوا ثلهم ولما بلغ ايضاً الولايات المتحدة مع حكومة اثينا ان كيومينيس ملك سارطه كان قد اتى بهيبياس من اسيا الصغرى لكي يوليّه عنوة على اثينا غصبوا من جراء ذلك جأ واظهروا عدم رضاهم ومصادقتهم على هذا العمل فاضطر هيبياس ان يلجئ ثانية الى داربوس. وكان داربوس وقتئذ عازماً على محاربة بلاد اليونان واستنحاحها فحسب ما جرى على هيبياس علة مناسبة لتفتح الحرب على اليونانيين فبعث يطلب الى الاثينيين ان يعيدوا هيبياس الى ملكه ولما لم يقبلوا جعل داربوس عدم قبولهم اياه سبباً لمهاجمة بلادهم

## الباب الخامس

في ما جرى بين اليونان والفرس من سنة ٥٠٠ تقريباً الى

حين تولى فيليبس على مملكة مكدونية سنة ٣٦٠ ق م

اننا قبل ان نشرع في الكلام عن الحروب التي شبت نيرانها بين الفرس واليونانيين نذكر ايضاً الاسباب التي مهدت لها السبيل وكانت مصدراً لها ثم

حوادثها بالاختصار فنقول

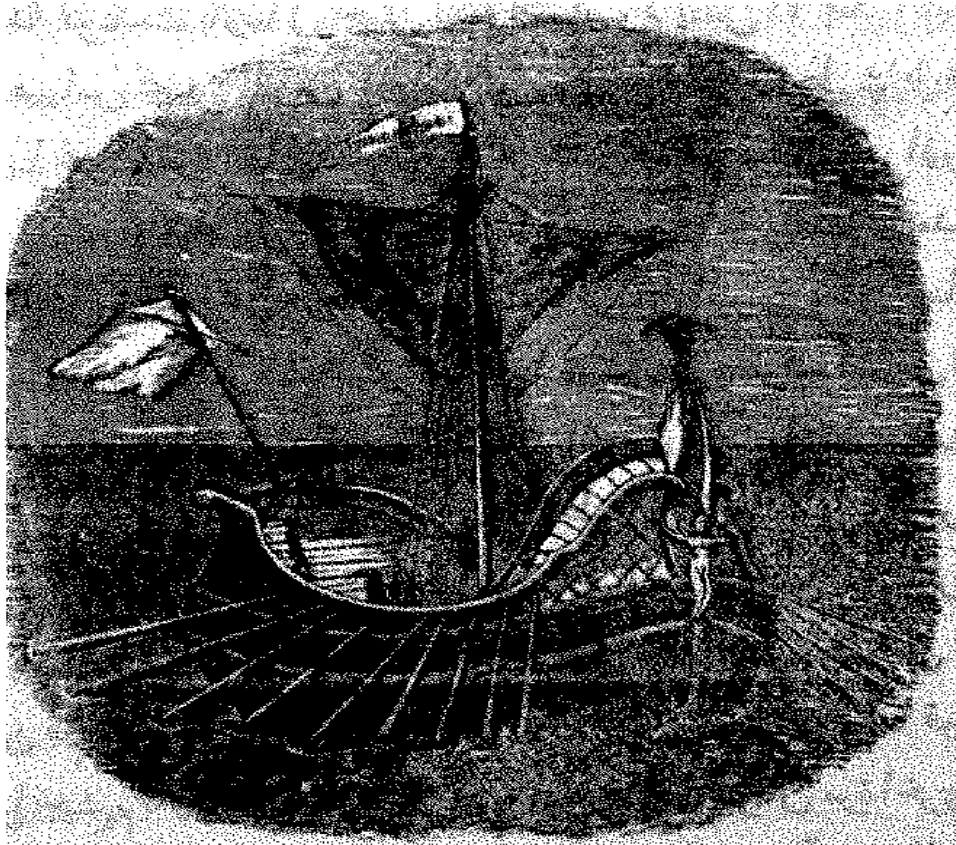
قد علمنا ما تقدم ان بعض قبائل اليونانيين كانوا قد صنعوا منازل في اسيا الصغرى وسكنوها فصارت مقاطعات يونانية منها ككاريا وابونيا وابويا وكان كريسوس ملك ليديا قد استفتح هذه الاقسام وضمها الى مملكته ولما انتصر كورش على كريسوس ملك ايديا وغلب عليه انضمت جميع هذه الاقسام الى المملكة الفارسية . وفي عصر داريوس بن هستاسب صهر كورش نهض اهل ابونيا بقلب واحد وقصدوا ان يجمعوا نير الطاعة للفرس وان يتخلصوا من عموديتهم فبعثوا الى اثينا يطلبون الامداد والمعونة ومثله الى جزائر الارخبيل الرومي فاجابوهم الى ذلك وارسلوا اليهم خمسا وعشرين سفينة مع عدد من الجيوش وشرعوا اولاً بمحاربة الاساكل البحرية التي كانت خاصة للفرس وحاصروا برآ مدينة سرديس قاعدة ولاية ايديا مقر الوالي المرسل من قبل ملك فارس واحرقوها فوافقتهم عساكر الفرس وطردتهم فارتد اليونانيون مدبرين الى بلادهم اما داريوس فلما رأى ما فعله اليونانيون شق عليه الامر جداً وعزم من ذلك الوقت على غزو بلادهم واستفتاحها . وكانت العادة في تلك الايام قبل اشهر الحرب ان يرسل الملك رسلاً الى البلاد المجاورة بالعهديان في طلب الطاعة والخضوع فارسل داريوس وفداً الى اثينا وسارطه في طلب دلائم الخضوع وهي ان يرسلوا تراباً وماء فشتهم اليونانيون ورموا بعداً منهم في بر وبعضاً في بالوعة قائلين لم خذوا ما شئتم من كليهما . واذا تأمل الاسان بعظمة الدولة الفارسية وسطوتها في تلك الايام واتساع دائرة املاكها وضعف الدولة اليونانية وصغرها يتعجب كل العجب من تجاسر اليونان وجراتهم

اما داريوس فلما بلغه ما حل برسله في اثينا وسبارطه وما كان من تجاسر اليونانيين اغناظ غيظاً لا مزيد عليه واعتمد على محاربتهم برآ ومجراً فارسل عمارة بحرية مؤلفة من ثلاث مئة سفينة تحت قيادة مردونيوس صهره فهاج عليها نوء فتكسرت في البحر قبيل جبل اثوس واما الجيوش البرية فبعد ان احضروا

مكدونية وتقدموا لمحاربة سبارطه واثنينا هاجمهم البريجيون وكسروهم فارتدوا على الاعقاب

وسنة ٤٩٠ ق م ارسل ايضاً داريوس تجريدة جديدة تحت قيادة داتيس وارثون مع عمارة بحرية مؤلفة من ست مئة سفينة فجهوا على جزائر الارخيل وفتحوا عدةً منها ونهبوا مدينة ارثريا واسروا اهلها وشيعوهم الى بلاد فارس ثم تقدموا الى تطوط اتيكا ونزل الجيش الى البر وعدده ١١٠٠٠٠ مقاتل وكان دليلهم هيباس المتقدم ذكره فارسلت في الحال اثنينا الى سبارطه نطلب منها نجدة فوعدت بارسال جيش لكنه لاسباب لم يصل الا بعد انتهاء الحرب فتقدم هيباس بجيش الفرس الى مارانون وهي بلدة صغيرة على شاطئ البحر تبعد عن اثنينا نحو عشرة اميال فقط فوافاهم عشرة الاف مقاتل من اليونان تحت قيادة القائد ميليناديس وكان رجالاً ذا دراية وشجاعة واقدم وبعد ان رتب جيشه القليل واقام الحواجز لتقبه من هجمات فرسان الفرس وكان جناحه اليمين مستنداً الى جبل عسر المسالك هم اخيراً يجيشه على صفوف الفرس هجمة هائلة صارخين جميعهم الموت او الحرية فلاقاهم الفرس ايضاً واتشبت نيران القتال بين الفريقين في سهل مارانون ولم يلبث طويلاً حتى انكسر الفرس وتشتت شملهم ابي تشتت واندفعوا جميعاً يتهافتون الى البحر والتجأوا الى المراكب طلباً للنجاة بعد ان تركوا من القتلى نحو ٧٠٠٠ قتيل ومن جماتهم هيباس اما خسارة اليونان فلم تكن سوى نحو ٢٠ رجل بين قتيل وجريح واما قواد الفرس فانزلوا جيشهم ثانية املأ بالاستيلاء على اثنينا فدفعهم اليونان مرة اخرى وكسروهم اشركرة فيثسوا من البصرة وعادوا راجعين الى بلادهم بالخيبة والشل اما ميليناديس فاكتسب بهذه البصرة شهرة لا مزيد عليها. ثم جهزته ايضاً اثنينا بعارة وجيش لكي يذهب لمحاربة الفرس في الجزائر التي كانوا قد استولوا عليها ويطردهم منها ففضي ونجح ايضاً نجاحاً كبيراً واستخلص جميع تلك الجزائر من الفرس الا جزيرة باروس فلم يقدر على اخذها ولما عاد الى اثنينا اتهمه اهلها بانه

قد ارتشى من الفرس فغرموه غرامة عظيمة ثم مات بعد ذلك بقليل  
 وكان يومئذ في اثينا رجلان معتبران احدهما اريستيديس الصديق وهو  
 افضل الاثينيين في ذلك العصر وكان وقتئذ في المنفى والثاني ثيبستوكليس ولما  
 راي هذا الاخير الخطر المحدق ببلاده من جرى هجمات الفرس وكان موقناً انه  
 اذا استجدت حرب بين اثينا والفرس تكون على الاغلب بحرية اخذ بحرض  
 قومه على تكثير سفنهم فامتثلوا مشورته وانشأوا مقدار مئة سفينة  
 وفي تلك الاثناء توفي داربوس المتقدم ذكره وخلفه ابنه زركسيس الاول



سفينة يونانية حربية قديمة

فغرم على الانتقام من اليونان وفقاً لمقاصد ابيه فاخذ في الاستعداد لذلك وصرف  
 اربع سنين في الاستعدادات فجهز عمارة بحرية عدد سفنها ١٢٠٠ سفينة وجيشاً  
 عزموا ينوف عن المليون وتقدم لمحاربة اليونانيين فلم يعادف معارضاً الى ان

صار بالقرب من اثينا حيث عزم يونان اثينا وسارطه مع بعض حلفائهم على مصادمة الفرس والثبات الى النهاية فتقدم ليونيداس ملك سبارطه بعدد قليل من الرجال منهم ثلث مئة رجل من اهالي سارطه والتي الفرقيان في مضيق ثرموبيل وهو مضيق بين جبلين في تساليا . وكان قبل شوب الحرب ان زركسيس لما رأى قلة عدد اليونان بعث الى ليونيداس يطلب اليه ان يسلم سلاحه مع اثاره النلائل فاجاب ليونيداس تعال وخذ : ثم ابتداءً القتال ودام يومين وهلك من الفرس عدد كثير ولم يستطيعوا ان ينفذوا من ذلك المصيق وكان عددهم اهلل كالعدم اذ لم يقدروا ان يجاروا جميعاً بدأ واحدة ولولا الخيانة لغاز اليونانوف الى الهابة لان رجلاً يونانياً من تساليا كان قد ارى الدرس طريقاً آخر بين الجبال هجموا على ليونيداس ورجالهم من وراءه ومن قدام وصايقوهم جنأ . ولما رأى ليونيداس عظم الخطر المهدق به وثيقن المهلاك صرف جميع من كان معه من الرجال الاً الثلاث مئة السارطيين وسبع مئة اخرين احسوا ان يموتوا معه وثبت هولاء يدافعون ويجارون حتى ملكوا جميعاً الاً رجائين . وفي نفس ذلك الوقت استتبت نيران الحرب ايضاً في البحر بين المراكب اليونانية والفارسية فغاز اليونان في اول الامر بعض الفوز ولكن لما بلغهم موت ليونيداس تاخروا واتوا شطوط اثينا فحرب جزيرة سلمينه وتقدم عسكر الفرس ناهباً البلاد ومنسداً ومغرباً حتى دخل اثينا فحرب الاهالي الى السفن فدخلها الفرس ونهبوها واحرقوها

وفي هذا الوقت طلب ثيستكليس ترجيع اريسنيديس الصديق الذي كان قد نفي فاخذ الاثنان قيادة السفن البحرية مع رجل آخر من سبارطه وحدث وقعة عظيمة بين سفنهم وسفن الفرس وكان عدد الاولى ٢٠٠ والثانية ١٢٠٠ فدارت الدائرة على الفرس وانكسرت مراكبهم . وكان زركسيس جالساً على البر في مكان عال مشرف على ساحة القتال فلما رأى اكسار سنه خاف جداً وكان قد بلغه ان اليونان مزعمون ان يقطعوا عليه الطريق باحراقهم

الجسر فهرب للبحال وقطع البوغاز وجاء الى سرديس تاركا ٢٠٠٠٠ مقاتل تحت قيادة صهره مردونيوس في ماراثون لكي يجدد الحرب في الربيع. فاجتمع جيشنا اثينا وسبارطه وكان عددها ١١٠٠٠٠ مقاتل تحت امره بوزانياس من اهل سبارطه واريسديدس الاثيني وهاجموا مردونيوس وصار بين الفريقين وقعة مهولة في سهل بيوتيا فانكسر الفرس انكساراً عظيماً وتشتت تسلمهم وقتل مردونيوس وغنم اليونان غنائم لا تحصى. وفي نفس هذا الوقت كانت الحرب قائمة بجزراً عند شطوط اسيا الصغرى وكانت الدائرة فيها ايضاً على الفرس. اما زركسيس الاول الذي كان لم يزل باقياً في سرديس فلما بلغه خبر انكساره برأ وبجراً انهزم راجعاً الى بلاده وبعد قليل قتله احد اتباعه.

واما اليونانيون فلم يرجعوا عن محاربة الفرس بعد انتصاراتهم المتندم ذكرها وحرصوا اهل ابوتيا على طرح نيرالفرس وتخلصهم من عبوديتهم واعانهم على ذلك واستخلصوا منهم جزيرة قبرس. ثم اتوا مدينة ييزانتيوم اي القسطنطينية الحالية ونهبوها ورجعوا الى بلادهم بمكاسب وغنائم وافرة ثم شرعوا في ترميم اثينا وحصنوها وزينوها بالابنية الفاخرة والمراح الجميلة ووسعوا ميناءها حتى اصححت ابيى مدائن ذلك العصر واجملها

ومن ثم اخذ اليونانيون يتفوقون ويسترجعون مدنهم في مكدونية شيئاً فشيئاً واما بوزانياس قائدهم العام فلما راي انهم يريدون ان ينكسوه ويضعوا في طريقه صعوبات اخذ يكاتب ملك الفرس سراً واعداً اياه ان يسلمه جميع بلاد اليونان بشرط ان يزوجه ابنته وان يكون نائباً مكانه على البلاد التي يسلمه اياها فاشتبه اليونانيون به ودعوه الى مجلسهم فبرر نفسه اذ لم يكن لهم حجة ظاهرة يسكونه بها ولكن اذ وقعت بيدهم بعد ذلك رسالة الى زركسيس ارادوا ان يقبضوا عليه فهرب والتجأ الى هيكل بلاس فلم يستطيعوا ان يدخلوا اليه لياخذوه منه لانه حسب عندهم حراماً مسك من التجأ اليه فسدوا عليه الباب فمات جوعاً. وقيل ان امه هي اول من اخذت حجراً فوضعت على باب الهيكل وان الباقيين

لما راوا ذلك فطنوا لسد باب الهيكل . ثم اقاموا المحجة على ثيستوكليس متهميه  
بالاشتراك في خيانتة بوزانياس فنقوه ايضاً من البلاد فاتجأ الى اعظم عدو له  
وهو زركسيس الثاني ملك الفرس الذي قتله بكل فرح وترحب به كل  
الترحاب وغمره بنعمه فاقام ثيستوكليس في بلاد الفرس الى يوم وفاته . قيل انه  
امات نفسه بالسّم لئلا يجبر على اخذ السلاح ضد وطنه مكافأة لما ابداه زركسيس  
من المعروف نحوه . وقام بعد نفي ثيستوكليس رئيساً للاراخته ارستيديس  
التمدني وبعد موت هذا تولى الرياسة سيمون بن ملتياديس وكان رجلاً  
ذاسعة وديعاً كريماً محباً لجميع الناس فاتحاً بينه ولساتينه الجميلة لمن اراد  
الدخول اليها وكانت احبابه تسعة حاملة نقوداً فكان يعطي المحتاجين من ابناء  
وطنه من صادفهم في طريقه . فاعصبت تصرفاته هذه اهل بلاده زاعمين انها  
تاتي الشعب والبلاد بخسائر اديية فنقوه وتولى مكانه بريكليس ثم دعوه بعد  
خمس سنين وولوه قيادة الجيش وكانت يومئذ المخاصمات والفتن الداخلية آخذة  
من اليونانيين كل مأخذ فلكي يلاشيهما لم يجد لها علاجاً انفع من اشهار الحرب  
على الفرس ثانية فانتصر عليهم في عدة وقائع وافتتح اجانب الاعظم من جزيرة  
قبرس التي كانت تابعة لهم . ولما راى زركسيس ملك الفرس ان مملكته قد  
صعفت في الحروب الكثيرة المستطيلة اضطر ان يطلب الصلح فاجابه سيمون الى  
ذاك تحت الثلاثة الشروط الآتية وهي اولاً انه يرفع يده عن جميع املاك اليونان  
في اسيا الصغرى وان تكون ممالك مستقلة بذاتها . ثانياً ان يمنع سفنه من السير  
في البحر . وثالثاً ان عساكره لا تخطأ اكثر من ثلاثة اميال ضمن حدود المنازل  
يونانية غير ان سيمون لم يتمتع بثمره اعماله العظيمة اذ انه توفي من جري جرح  
اسابه في حصار جزيرة قبرس سنة ٤٤٩ ق م . وبقي بريكليس رئيساً في اثينا بعد  
موت سيمون مدة عشرين سنة واهتم كثيراً بتحصين المدينة وتزيينها وفي عصره  
بلغ اهلها الدرجة القصوى في اتقان الصنائع والفنون ومعامل البناء لاسيما  
النقش والتصوير وراجت فيها سوق المعارف والعلوم فكانت مدرسة للعلماء



والعلوم ولذلك سميت ام العلوم والفلسفة. وفي اواخر ايام بريكليس وقع خلاف وشقاق بين اثينا وسبارطه كانت نتيجتها اخيراً شوب نيران الحرب الطويلة التي دامت مدة ثمان وعشرين سنة وسميت حروب اليلينوسوس اي حروب المورة. وكان السبب في ذلك انه لما وقعت حرب بين ولاية كورنثوس وجزيرة كورفو ان بريكليس عرض حكومة اثينا على مساعدة اهل كورفو فحسب هذا الامر في سبارطه تعدياً ونكناً لليهود التي كانت قد اقيمت بين ممالك اليونانيين. وكانت سبارطه تنظر الى اثينا ونجاحها بعين الحسد وتترقب الفرص لاذلالها ونكيس شوكتها فطلبت اليها ان تنفي العائلة الالكميويديّة كانها تريد بذلك نبي بريكليس. فهذه الاسباب وغيرها مما لا يسعنا ضيق المقام لاستيعابها كان من شأنها جميعاً اثاره الحرب المذكورة

ففي سنة ٤٢١ ق م شبت نيران تلك الحروب ودامت الى سنة ٢٠٤ بدون انقطاع. فكان من الجهة الواحدة سبارطه وكورنثوس وجميع ولايات المورة الى ارغوس واكثر الممالك الشمالية ومن الجهة الاخرى اثينا وثناسيا وبعض جرائ الارخبيل الرومي وكان عدد جيش اثينا يبلغ نحو ٢٢٠٠ مقاتل وعدد جيش سبارطه ٦٠٠٠٠ مقاتل تحت امر ارخيداموس ملكهم. اما الاثينيون فتفاقوهم جداً بالقوة البحرية فاشتعلت بينهم الحروب برّاً وبحراً وهلك منهم عدد عظيم جداً في مدة الثمان والعشرين سنة التي دامت الحروب فيها وكان الانتصار تارة لاثينا واخرى لسبارطه ولكن في السنة الاخيرة من هذه الحروب قام في سبارطه رجل شهير ذو حذق ودراية عارف فن الحرب وابوابه وهو ايساندروس فانتصر على جيش اثينا انتصاراً عظيماً ومن ثم تقدم وحاصر اثينا برّاً وبحراً وما زال يشدد عليها الحصار حتى طلبت التسليم فعند شروط الصلح واصبحت اثينا بموجبها خاضعة لحكومة سبارطه التي صارت بعد ذلك من اعظم الولايات اليونانية واقواها. فتكبر السبارطيون جداً وتعظمووا وشرعوا في المظالم والعدوان وابطل ايساندروس من اثينا الحكم الجمهوري ونظامها القديم

واقام عوضها ثلاثين عسواً او رئيساً تحت امر حكومة سبارطه فشرع هؤلاء يظلمون ويعتسفون الاثينيين ويجورون عليهم كثيراً وقتلوا منهم في مدة اقل من سنة عدداً عظيماً وما زالوا يظلمون ويتعدون الى ان ضجر منهم الاثينيون وشرعوا يتآمرون في ايجاد طريقة لنخاع نيره هؤلاء المرءة وكان يومئذ في اثينا رجل ذو دراية وحذق اسمه ثراسبولوس فنهض مع اهل اثينا جميعاً وطردها الثلاثين رئيساً السبارطيين ورجعوا الحكم الجمهوري وذلك بمساعدة بوزانياس ملك سبارطه نفسها لانه كان يكره ليسانديروس وبجشى سطوته واعادوا نظامات صولون

وفي هذا العصر عاش سقراط وهو اشهر فلاسفة اليونان واول من علم بوحداية الله ومخلود النفس وكان رجلاً نقياً ورعاً فاشتكى عليه اهل اثينا زاعمين بانه يفسد عقول الناس بتعاليمه فحكم عليه بالموت وذلك بشرب عصير الشوكران وقد ترك تعاليم مفيدة جداً الا انه لم يكتب منها شيئاً في حياته وانما كتب بعد موته عن يد تلميذه افلاطون

وكان اليونانيون المستوطنون في ولايات اسيا الصغرى اليونانية قد قاموا على زركسيس الثاني بن داربوس نوثوس ملك الفرس وطلبوا مساعدة سبارطه فارسلت جيشاً لتجديدهم تحت قيادة ملكهم اجيزيلاس فتجددت الحرب ثانية بين اليونان والفرس فتقدم اجيزيلاس الى اسيا الصغرى وفتح فرجيحة ومنها تقدم نحو بلاد فارس نفسها فخاف زركسيس جداً واخذ يجرض اثينا وغيرها من بلاد اليونان ممن كان بينها وبين سبارطه عداوة ان يقوموا لمحاربة سبارطه فالتزم اجيزيلاس ان يعود الى بلاده للعمامة عنها ولولا ذلك لهدم اركان السطوة الفارسية وبعد ان دامت الحرب جملة سنين عقد اخيراً الصلح المعروف بصلح انتلسيداس وهو ان يصير ارجاع اسيا الصغرى وجزيرة قبرس للفرس وان مدن هيلاس وجزائرها كافة تكون مستقلة قائمة بذاتها ما عدا جزائر لنوس وامبروس وسيروس فتنضم الى اثينا وان ملك الفرس وسبارطه يقمان

الحرب على كل من لا يعمل بموجب شروط هذه المعاهدة . وكان ذلك سنة

٢٨٨ ق م

هذا ولما كانت الحرب قائمة على ساقٍ وقدمٍ بين اثينا وسبارطه نفوت  
ثيبة جداً وصارت ذات سطوة كلية وما زالت في نجاحٍ وإقبال حتى أصبحت  
قاعدة للمدن والأراضي المجاورة لها. أما سبارطه التي كانت تحب ان تترأس على  
جميع الممالك اليونانية فلما رأت نجاح ثيبة خافت من تزايد سطوتها وقوتها  
فارسلت جيشاً واخذتها فجأة واقامت عليها ولاية من قبلها فشرعوا يقتلون  
ويظلمون ويجورون على الاهالي كما جرى في اثينا فهرب كثير من الاهالي  
وانوا اثينا فاغناظ الاثينيون من هذا الفعل البربري وتظاهروا بالميل الى ثيبة  
اما سبارطه فحجبت ايضاً من هذا الفعل القبيح وقاصت الثائد الذي فعل ذلك  
الا انها لم تتنازل عن الاستيلاء على ثيبة وملحقاتها. فقام اخيراً ايبامينونداس  
ويلويداس رجلان شهيران من اعمال ثيبة وقتلا ظالم بلادها. فثبتت من ذلك  
حربٌ شديدة بين سبارطه وثيبة ودامت زماناً ليس بقليل فناز اهل ثيبة اولاً  
فوزاً عظيماً في واقعة حدثت بقرب اركترا احدى مدن اركاديا في المورة  
وتقدموا بانتصارٍ حتى ابواب سبارطه نفسها واحرقوا مدناً كثيرة ونهبوا سبارطه  
ثم عادوا الى بلادهم فائزين غانمين . ثم تجددت الحرب ايضاً بعد مدة وجيزة  
وكانت الغلبة لايامينونداس ايضاً ولكنه قتل في الحرب وقبل موته بقليل بينما  
كان منتظراً نتيجة الموقعة التي كانت سبباً لموته لما اخبروه ان الفوز كان لم  
صرخ قائلاً كفاني حياة وزرع السهم الذي كان ما زال في جسده واسلم الروح  
فكانت به بداية سطوة ومجد ثيبة ونهايتها بنهايتها فعقدت الصلح مع سبارطه لكي  
تبقى اقلما يكون على ما كانت عليه من الاستقلال لانها امست خائفة سبارطه بعد  
فقد قائدها ايبامينونداس . واما اجيزيلاس ملك سبارطه فمع ما كان عليه من  
الشيخوخة اذ كان ابن ٨٠ سنة لم يطبله عيشاً الا بالحروب فاتي مصر لمحاربة  
الفرس فلقى الموت هناك وموته ارتاحت البلاد وعظم السلام على ان الآداب

اخذت من هذا الوقت مهاجر ربوع البلاد اليونانية وكسدت فيها سوق التقدم  
والفلاح واخذت نيل وثقها اديبا  
ويقرب هذا الوقت حدث في مكدونيا قلاقل كثيرة وذلك ان استاناس  
ملكها توفي تاركا ثلاثة بنين فشرع هولاء يتنازعون الملك فبعث المكدونيون  
وفدا الى ثيبة يطلبون مساعدتها في نزع الخصام من بلادهم فارسلت ثيبة عسكريا  
تحت امر ريلويداس لكي يصلح احوال تلك البلاد ولما اتى مكدونية ولي احد  
ملكها عليها ومهد الاحوال وعاد معه فيليس اخو الملك وهو ابو اسكندر الكبير  
وعدد من اعيان البلاد رهنا ومن حين انتصار ثيبة على سارطه المرة الاخيرة  
وعند الصلح بينهما لم يحدث بين اليونانيين امر مهم حتى زمان تملك فيليس  
المذكور آنفا على بلاد مكدونية

## الباب السادس

في ملكة مكدونية وقيام فيليس سنة ٢٦٠ ق م الى

### موت الاسكندر

ان تاريخ بداية هذه الملكة ككثر تواريخ ميادي باقي المالك والشعوب محاط  
بظلمة كثيفة اما مؤسسها واول ملوكها فرجل اسمه كرانوس عاش في اوائل  
الجيل الثامن ق م والمضنون ان المكدونيين واليونانيين هم من اصل واحد على  
ان اليونان حسبوا المكدونيين نصف ايرة كباقي الامم ولم يكن لهم صوت في  
المشورة الامفيكتيونية وكانت السلطنة في يد اشراف البلاد على نوع ما ولم  
يكن للالك شيء من الاستقلال والجنود كانوا طوعيين اذا شاعوا تبعوا الملك  
في غزواته وحرويه لاسيما اذا علموا ان في ذلك لهم فخرا او غنائم ليسلبوها .  
وكان ملوكها خاضعين للفرس زمانا طويلا غير انهم في زمن حروب البليونيزية  
اخذوا يتخلصون نوعا من ثقل ذلك النير ومن ومدة بجر الظلام والجهالة

وقد علمنا في ما تقدم ان فيليبس الذي كان ابن الملك السادس عشر من ملوك مكدونية كان قد أخذ الى ثيبة عندما اتى بيلويداس الى مكدونيا لينزع منها الفلاقل والفساد وكان يومئذ عمره نحو ١٠ سنين فاقام في ثيبة نحو اثني عشرة سنة فتعلم اموراً كثيرة مفيدة ودرس عند ايسامينونديس فن الحرب وابوابه ولما باعه خبر قتل اخيه المالك في مكدونيا هرب الى بلاده فوجدها مضطربة نائرة وكان لاهي فيليبس ولد صغير السن فأخذ عمه فيليبس على نفسه ان يكون وصياً له واعنى بامر تربيتيه وحكم باسمه ولكن عما قليل قام المكدونيون وطلبوا اليه ان يكون هو الملك الشرعي عليهم اذ لا يريدون ان وصياً يملك عليهم فاجاب طلبهم وتولى زمام الملكة وكان حينئذ عمره نحو ٢٥ سنة . وقبل ان يتبوأ تخت الملك خرج لمحاربة جيوش اعداء كثيرين كانوا يتهددون عرش ملك ابن اخيه فاتصر عليهم جميعاً وبدد تسليم واخضع حملة اماكن فاحبه قومه كثيراً ولما تمكن فيليبس في الملك اخذ يدبر واسطة لاختصاص باقي الممالك اليونانية وضمها الى ملكته . وكانت سارطه وايتينا اقوى الممالك اليونانية قد ضعفتا من الحروب التي وقعت بينها وبين الفرس . وثيبة ايضاً كانت قد وهنت من حروبها مع سبارطه وفقد قائدها الهامر ايسامينونديس فاخذ زرع التثاق والفساد بين هاتيك الممالك وكان له في جميعها اناس من اهلها واعيانها في خدمته الذين ساعدوا كثيراً في اجراء وانمام مقاصده هذا وكان قد وجد في بواحي مدينة فيليبي معادن من فضة وذهب فاستخرج منها اموالاً وكنوزاً وافرة ساعدته كثيراً في انمام مرغويه اذ استطاع ان ينتصر بواسطتها حيث لم يقدر ينتصر بجيوش السلاح . وفي سنة ٢٥٦ ق م وهي السنة الرابعة من ملكه وضعت زوجته الملكة اوليبياس ولداً ذكراً فسماه اسكندر ولما نشأ قليلاً سلمته الى الفيلسوف اريسطوطاليس الشهير لكي يعتني بتعليمه وتهذيبه فنشأ شاباً ادبياً شجاعاً كما سيأتي الكلام عنه

وبقرب هذا الوقت حدث بين ممالك اليونان حرب شديدة سميت

الحرب المقدسة مهدت لفيلس السيل الذي طالما صبا اليه لتوال مرغويه من اخضاع الممالك اليونانية لسلطوته . وكان السبب في ذلك ان قوماً من اهالي فوسيديا وضعوا ايديهم على حقل من اوقاف هيكل ابولون فحسب ذلك امراً عظيماً وحكم عليهم من قبل المشورة الامفيكتيونية بغرامة مبلغ وافر كفارة عن ذنبهم وفوضت الجمعية المشار اليها اللوكرين واهل ثيبة ان يحصلوا منهم تلك الغرامة فأبى اولئك ان يخضعوا لحكم المشورة وتمنعوا عن الدفع وجأهروا بالعصيان وحمالوا السلاح واستعدوا للحرب فشبت نيران الحرب ودامت مدة عشر سنين بين فوسيديا وسبارطه واثينا من الجهة الواحدة وثيبة وثناليا ولوكريا من الجهة الاخرى فانتهر فيليس هذه الفرصة ليكون له نوع من المداخلة الرسمية بين تلك الممالك وطلب اليهم ان يكون وسيطاً ومصالحاً فيما بينهم فقبلوه وجعلوه عضواً من اعضاء المشورة الامفيكتيونية ما عدا الاثينيين فان خطيبهم الشهير ديموستين حذرهم من فيليس الذي كان احيل من ثعلب وحرّضهم على عدم قبول مداخلته في ما يتعلق ببلادهم واراهم ان مقاصده انما هي لينزع حرّبتهم ويخضعهم لسلطته . فاغتنم فيليس فرصة هذه الحرب وتقدم بجيوشه قاصداً فتح مضيق ثرموبيل ليكون كهصاً يتوكأ عليه عند الحاجة . اما ديموستين فلما درى بذلك جهز فرقة من العساكر ولاقي فيليس عند المضيق المذكور . فلما رآه فيليس جيش اثينا اثني راجعاً تاركاً مقصده الى فرصة اسب

وكان بعد ذلك ان قوماً من اهالي لوكريا وضعوا ايديهم على بعض اراضي هيكل ابولون فتحكمت عليهم المشورة الامفيكتيونية كالحكم السابق فأبوا ان يخضعوا فتجددت الحرب المقدسة الثانية ودُعي فيليس ان يكون قائداً في هذه الحرب فكان يتظاهر بالتمنع في اول الامر لكي يخدعهم ويجعلهم يطمنون من جهته واخيراً زحف بحيشه وابتدأ بفتح المدن المجاورة بيوتيا وفوسيديا . اما ثيبة فلما رأت ذلك اندهشت واثينا اخذتها الحيرة فهض ديموستين واراهم مقاصد فيليس وحيلة التي طالما حذرهم منها واخذ يحرضهم على النهوض لمقاومته فجهزوا

جيشاً وخرجوا لملاقاة ثلاثين ألف مقاتل والتقى الفريقان بالقرب من إحدى مدائن بيوتيا الشمالية واصطدم الجيشان في سهول شبرونه واصطالت نار القتال بينهما وبعد قتالٍ شديد دارت الدائرة على اليونانيين وانتصر فيلبس عليهم وذلك سنة ٢٢٨ ق م. فلما امتست كل الممالك اليونانية خاضعة له عامل اليونانيين معاملةً حسنة جداً واطلق الأسرى بدون فدية ولكي يُنسي اليونانيين مصيبة فقد استقلاليتهم أراد أن يحول أفكارهم نحو محاربة النرس عدوهم القديم فعقدت جمعية في مدينة كورنثوس حضرها وكلاء من كل سائر الدول اليونانية وقرّر القرار فيها على تولي الملك فيلبس قيادة الجيش الأولي في الحرب التي كانوا عازمين فتحها على آسيا. فخرجت الأوامر في تحصيل المهام الحربية وشرعوا في الاستعدادات الكلية والجزئية وأرسل فيلبس القائد بارمينون مع مقدمة الجيش إلى آسيا الصغرى حيث كان مزعماً أن يلاقية ببقية الجيش على

أن العناية لم تسمح له بذلك إذ قتله بوزانياس أحد أتباعه سنة ٢٢٦

فخلفه ابنه أسكندر الملقب بالكبير وعند العرب بذي القرنين وكان عمره يومئذ ٢٠ سنة وكان على جانبٍ عظيم من الحدق والدراية والتجاعة والاقدام. ولما بلغه ذات يوم نجاح وانتصارات أبيه قال بأسفٍ وغمٍّ إن أبي قد غلب تقريباً على العالم بسيفه ولم يترك لي شيئاً اغلب عليه بسيفي

وكان بعد موت فيلبس أن الممالك اليونانية فرحت جداً أملاً باسترجاع استقلاليتها وكان ديموستين الخطيب يجذّهم من أسكندر كما كان يجذّهم من أبيه. وبعد أن تبوأ أسكندر تخت الملك جاهرت ثراقيا بالعصيان فأتاها وحاربها وانتصر عليها وأخضعها لسطوته ولما علم بمجاهرة الأثينيين وغيرهم بالعصيان تقدم إليهم بقوة عظيمة وأتى أولاً ثيبة وفتحها وخرّبها وباع نحو ٢٠٠٠٠ من أهاليها ولما رأت باقي البلاد اليونانية ما كان من بأسه وقوته خافت جداً وخضعت له. ومن ثمّ عقد جمعية دولية في مدينة كورنثوس حضرها وكلاء من كل البلاد اليونانية وأعلمهم أنه عازم على محاربة النرس كما كان عازماً أبوه قبل وفاته







الرسمية فاعتبرهم اسكندر كل الاعبار ودخل الى هيكلهم ومجد ومنهم تأمينات  
وتطمينات دامت لهم زماناً طويلاً من بعده.

ثم تقدم الى مصر التي فتحت له ابوابها بدون مقاومة وبعد ذلك اتى هيكل  
جوبيترامون الكائن في الصحراء فهلك كثير من جيوشه في تلك الرمال  
المحرقة فقدم ذبائح وطلب من الكهنة ان يلقبوه بابن جوبيتر بعد ان اعطاهم  
هدايا وافرة فلقب بابن جوبيتر ومن ثم عاد الى مصر ووضع اساسات  
الاسكندرية مسماً اياها باسمه.

وبعد ان نظم احوال البلاد تقدم ثانية نحو بلاد فارس لكي ينزل بها  
البلاء الاخير فبعث داريوس بعرض عليه عقد الصلح فيسلمه كل الاراضي الواقعة  
الى غربي نهر الفرات . فرفض اسكندر قبول ذلك قائلاً ان العالم لا يستطيع  
احتمال ريبين كما انه لم يستطيع احتمال شمسين فلما راي داريوس عناد اسكندر  
وتعظفه عزم على المداومة الى النهاية فركب بنحو ٧٠٠ الف مقاتل وقال بعضهم  
اكثر وبعضهم اقل . فوفاه اسكندر بجيش مقداره ٦٠٠٠٠ والتقى الفريقان  
بقرب اربلا احدي مدن الفرس وتقاتلا قتالاً شديداً ارنجت له قواعد الجبال  
فلم يلبث طويلاً حتى انكسرت جيوش الفرس اذ كانت قد وقع في قلوبهم  
الرعب من قتال اسكندر في المواقع السابقة فانهمز داريوس وولى هارباً الى  
بكتريا وهي جزء من بلاد التتر المستقلة وقتل هناك فساد اسكندر على المالك  
فاطبة وتزوج بروكسانا ابنة داريوس

واذ كانت المطامع مائة قبة لم يكتف بكل هذه الفتوحات فتقدم الى  
بلاد الهند وفتح اكثرها واراد ان يتقدم بعد الى جهة المشرق على ان عساكره  
لما رات ان لا حد لمطامع ولا نهاية لانعامهم ابوا ان يتقدموا اكثر من ذلك  
وطلبوا الرجوع الى اوطانهم فاشئ راجعاً ليس بدون اسف وحزن واتى مدينة  
پرسبوليس وهي من اشهر مدن بلاد فارس وانفجرها واحرقها حرقاً فانه مع ما  
كان عليه من رفعة الشأن والغلبة والمجد كان شديد الحنق سريع الغضب .

وكان قد اتى مدينة بابل قاصداً ان يرميها ويجعلها قاعدة المالك الشرقية فاقام  
 ١٠٠٠٠ الف فاعل يشتغلون فيها وقصد ان يمضي بعد ذلك الى قرطجنة  
 ويفتحها ومنها الى اوروبا ليخضع اسبانيا واطاليا ومن ثم يعود الى مكدونية ولكنه  
 بعد ذلك بفترة قصيرة مرض ومات في السنة الثالثة والثلاثين من عمره والثالثة  
 عشرة من حكمه وذلك سنة ٢٢٢ ق م

## الباب السابع

في ما حدث بعد موت اسكندر الى هذه الايام اي من سنة

٢٢٢ ق م الى سنة ١٨٧٢ ب م

فات اسكندر ولم يترك خليفة من نسله وكان عندما احس بقرب حلول  
 اجله نزع خاتمه من اصبغ واعطاه الى برديكاس احد امرائه فساله قواده  
 واكابر خواصه عن تعيين ولي عهد بعده فقال الاكثر استحقاقا . فتفاد  
 برديكاس بعد موت اسكندر باتفاق رفقائه من القواد نيابة الملك الى حين  
 ولادة الملكة روكسانا التي كانت حلي عند وفاة زوجها اسكندر اما المساك  
 فلم يرتضوا بذلك واعلموا انهم يريدون اقامة اريدي اخي اسكندر فكان له من  
 الملك الاسم فقط . ومن ثم قسم برديكاس ممالك سيده على ٢٤ قائداً من القواد  
 الاولين وكان له الرياسة على الجميع وفي تلك الاثناء وضعت روكسانا زوجة  
 اسكندر ولداً ذكراً فسي باسم ايه . فاخذ برديكاس على نفسه امر تربيته وان  
 يكون وصياً عليه ولكن لم يلبث طويلاً حتى حسده رفقائه وعزموه على قلبه  
 او اهلاكه وكان اعظم عامل في هذه الثورة اثيباتر ولكنه كان مضطراً ان يجهد  
 اولاً نيران الفتن التي كانت اخذت في الاشتعال بين اليونانيين

ولا يخفى ان اسكندر قبل خروجه من بلاده كان قد خلف اثيباتر وكيلاً  
 للملك في مكدونية فلما علم اليونانيون بموت اسكندر فرحوا جداً املاً باسترجاع  
 استقلاليتهم وحررتهم . فجهل ديموستين بمرض الاثيبين للنهوض في طلب حررتهم

وانضم اليهم كثيرون من باقي البلاد اليونانية فقاموا جميعاً يداً واحدة وحاربوا  
انتيباتر في لاميا من اعمال ثاليا فكسروه ولحقوه وحاصروه وكسر اليونان  
احد قواد اسكندر الذي جاء لنجدة انتيباتر وقتلوه ولكنهم انكسروا بعد ذلك  
في وقعة صارت بينهم وبين كراتيد قائد مكدوني عند كراتون فانهزموا  
وتشتت ثملهم . فعاد اهل ثاليا للطاعة واضطر الاثينيون الى مثل ذلك  
واشترط عليهم بدفع مصاريف الحرب واقامة جيش مكدوني في مونيخيا من بلاد  
اليونان وتسلم الخطينيين ديموستين وهباريد اللذين كانا يجرضانهم على  
المجاهرة بالعصيان . فهرب الاثنان اما الاخير فلم ينج فقبض عليه وقتل . واما  
ديموستين فانهزم الى هيكل نبتون في جزيرة كالوريا ولكن لما رأى انه لا يقدر  
ان يفلت من اعدائه ولثلا يقع في ايديهم فميتوه مهاناً شرب سماً فات . واما  
انتيباتر فبعد تمديد هذه الامور عقد الصلح ايضاً مع اهل اثوليا لكي يستطيع  
الذهاب حالاً لمحاربة برديكاس في اسيا فلاقاه برديكاس وانضم اليه ايضاً  
الفائد كراتير المتقدم ذكره فانتصر انتيباتر عليهما في وقعة عظيمة قتل فيها كراتير  
ايضاً واما برديكاس فقتله عسكره بالقرب من مدينة منفيس في مصر حيث  
ذهب لمحاربة بطليموس الذي خلفه اسكندر واليا هناك وكان ذلك  
سنة ٢٢٠ ق م

فاخذ انتيباتر نيابة الملك بعد موت برديكاس زماناً يسيراً والزم  
اوليمياس ام اسكندر ان يهرب الى ابيروس لانه كان بينها عداوة قديمة من  
زمن فيليس زوجها فاخذت معها كتبها روكمانا والملك الصغير وبعد ذلك  
بقليل مات انتيباتر وخلف مكانه صديقه بوليسبرثون عوضاً عن ابنه كاساندر  
فتمزب كثيرون ضد النائب الجديد وكان معظم السبب في ذلك كاساندر  
بن انتيباتر لانه احب ان يكون نائباً بعد ابيه واما بوليسبرثون فلما استعمل  
الاثينيين وتقدمهم حرباً لانه جدد لهم هيئة حكومتهم القديمة وانتشبت الحرب بينه  
وبين كاساندر . وبينما كانوا على هذه الاحوال كان اتيفونوس مشتغلاً في اسيا

بتعظيم سطوته وتوسيع دائرة امتلاكاته واخيراً قبض على اومين الذي كان يعضد الحزب الملكي بواسطة جنوده الذين خانوه وامانه جوداً فعظمت بذلك شوكتة وسطوته . فلما رأى ذلك بقية قواد اسكندر اضطربوا وخافوا من ازدياد سطوته فنهضوا لمحاربتة فكسروهم جميعاً سنة ٣٠٧ ق م واخذ قبل الجميع لقب ملك . وما زالوا يتنازعون بعد ذلك الى سنة ٢٠١ ق م نصارت بينهم وبين اتيفونوس وابنه ديمتريوس وقعة مهولة في ايسوس في فرجيية فدارت بها الدوائر على اتيفونوس وولده ديمتريوس وقتل اتيفونوس فيها فاقسم اذ ذاك قواد اسكندر مملكته الى اربع ممالك . الاولى مصر التي اخذها بطليموس ، سونير مع بر العرب وجزء من بر الشام اي فلسطين . الثانية مكدونية وبلاد اليونان اخذها كاساندر . الثالثة ثراقيا وبسينيا وبعض اجزاء اسيا الصغرى اخذها لسياخوس الرابعة بقية الممالك من البحر الاسود الى نهر لاندوس في الهند اخذها سلوقس وسببت مملكة سوريا وهي اعظم الجميع وقد تقدم الكلام عن كل منها في مكانه

وفي اثناء تلك المخاصات والحروب اخذت عائلة اسكندر العبيسة الحظ في الاضاحلال حتى انقرضت اخيراً وذلك انه لما كان كاساندر وبوليسبرثون يقاربان انضمت اوليمياس ام اسكندر الى الاول وفضت اليه امر تربية اسكندر الصغير ابن روكسانا ولكن اذ كان كاساندر قد اخذ اليه اربدي اخا اسكندر وزوجته ولم يلتفت الى روكسانا وابنها احتملت اوليمياس على اسر اربدي وزوجته فقتلتها ولكن بعد زمان ليس بطويل وقامت اوليمياس اسيرة في يد كاساندر مع كتبها وحنيدتها اسكندر فقتلها كاساندر ووضع روكسانا وابنها في سجن ضيق وبعد قليل قتلها بالاشترار مع اتيفونوس وبتليموس . وكان قد بقي في قيد الحية ابن لاسكندر من غير زوجته الشرعية اسمه هر كول وكان بوليسبرثون قد اخذ على ذاته امر الاعشاء به والمحافظة عنه فعرض كاساندر على بوليسبرثون ان يعطيه المورة اذا كان يبيت هر كول المذكور آناً فتمت دذه

المشاركة بينهما بقتله وهكذا بعد موت اسكندر باحدى عشرة سنة لم يبق احد من عائلته

اما هذه الامور الفظيعة كلها فلم تكن نهاية المنازعات والحروب فان ديمتريوس بن انتيغونوس بعد موت كاساندر صار ملك مكدونية وفتح حرباً على سلوقس فلقبه هذا وتغلب عليه واسره فقام لسيماخوس واخذ ملكة ديمتريوس فوافاه سلوقس وحاربه واخذ ملكته وقتله ومن ثم قتل هو ايضاً من سيرونوس بن بطليموس الذي كان قد التجأ الى بلاده وصار سيرونوس هذا ملكاً على مكدونية. وكان بعد ذلك انه هاجم بلاد اليونان ومكدونيا قبائل غالية جاءوا من نواحي غالية وجرمانيا فقتل سيرونوس في المدافعة ضد هولاء التوم البرابرة. وبعد ان افسد الغاليون ونهبوا البلاد اليونانية الشمالية طردوا اخيراً فذهبوا واقاموا في ثراقيا ومنها الى اواسط اسيا الصغرى وصنعوا لانفسهم هناك منازل سميت باسمهم وهي غلطة او غلاطيه

فقام بعد سيرونوس انتيغونوس غوناناس بن ديمتريوس الذي لم يبق له بعد موت ابيه سوى بعض اقاليم في بلاد اليونان وتبوأ تحت ملكة مكدونية بموجب معاهدة تقررت بينه وبين اطيوخوس الاول ابن سلوقس وفي ايام ملكه هاجم الغاليون بلاده ثانية فدفعهم بعزم ونشاط لا مزيد عليها. وفي اثناء ذلك رجع من ايطاليا ييروس ملك ايبيروس الذي كان قد طرده لسيماخوس فتغلب على انتيغونوس وطرده وقام مكانه بالملك سنة ٢٧٤ ق م. ولكن بعد ذلك بستين قتل في حصار ارغوس فعاد انتيغونوس الى ملكه وبقي الملك في يده ولنسله من بعده بدون انقطاع. ولما رأى ملوك مكدونية ان الدهر قد صفا لم ولم يعد لهم منازع ولا معارض وجوه افكارهم نحو بلاد اليونان ايضاً واخذهم لمدينة كورنثوس الثوية سنة ٢٥١ ق م كاد يوصلهم الى ما طالما صبو اليه. ولكن عندما تقررت المعاهدة المعروفة بمعاهدة اخائية بمساعي وهمة الشاب اراتوس الذي نبغ في ذلك العصر عاد الى البلاد اليونانية بعض رونتها

وسطوتها زماناً يسيراً . وبعد ذلك اتى الرومان وضموا جميع البلاد اليونانية الى ملكهم بعد حرب قصيرة فامست البلاد اليونانية جزءاً من المملكة الرومانية ودعيت من ذلك الوقت اخائية على اسم قسم من اقسامها وذلك سنة ٤٥٠ ق م ولثت في ايدي الرومان حتى نقل الامبراطور قسطنطين كرسية الى القسطنطينية سنة ٣٢٤ م فصارت جزءاً من المملكة الشرقية الرومانية . ثم استفتحها الاتراك في اثناء القرن الخامس عشر بم فصارت جزءاً من المملكة العثمانية ولثت في ايديهم الى سنة ١٨٢١ م ثم نهضت في طلب الحرية في السنة المذكورة ووقعت الحروب بينهم وبين العثمانيين واستمرت بدون انقطاع مدة ثماني سنين متوالية كما مر ذلك في خبر دولة آل عثمان فنجح اليونان بالحصول على بعض ما كانوا يبتغونه وذلك باستيلائهم على قسم من بلادهم القديمة بمساعدة بعض دول اوربا فاستقلوا ودعوا اميراً مسكوبياً لملك عليهم فقتله احدهم ثم ملكوا عليهم اوثون ابن ملك بافاريا فلك عليهم نحو ٢٠ سنة ثم طردوه سنة ١٨٦١ قائلين بانة لم يكن له ولد ثم ملكوا عليهم جورج الاول ابن ملك الدنيارك ولم يحدث امر يذكر من بعد ان تبوأ تخت الملك ولا نعلم ماذا تكون آخرة هذا الملك الجديد . لانه منذ القديم لم يتم رجل معتبر في بلادهم الا وقتلوه او نفوه كما فعلوا بئيمستوكليس وسقراط واريستيديس الصديق وغيرهم الله اعلم

## الباب الثامن

في ذكر بعض شعراء اليونان وفلاسفتهم وطوائفهم

ان اول شعراء اليونان واشهرهم هو هوميروس . قيل انه كان اعى بطوف متسولاً وهو ينشد قصائده وكان ينشدها قطعة قطعة في اثناء تطوفه ثم جمعت وقد ذكرنا عن اعنى جميعها . ومجموعها قصيدتان طويلتان اتقسمتا الى عدة اقسام احداها تعرف بالابلياد وموضوعها حوادث حروب طروادة والثانية

سميت اوديسي وموضوعها سفرات عولوس بعد استنتاج طروادة وهامن اجود  
الشعر وافصح. وكان وطنه ازيروعاش في اواسط القرن التاسع ق م  
والثاني من شعراء اليونان هنريودوس وكان معاصرا لهوميروس نشأ في  
ضبعة من ضبع بيوتيا ولم يصل لنا من شعره الا قصيدتان احداها سميت نسبة  
الالهة موضوعها ميثولوجية اليونانيين اي خرافاتهم واعتقاداتهم لجهة تواليد  
الهنم وما جرى بينهم من الحوادث. والثانية سميت الاشغال اليومية وموضوعها  
الزراعة ومتعلقاتها وله ايضا قصيدة اخرى تعرف بنرس هيراكليس وشعره جيد  
ومقبول لكنه لم يضا شعرهوميروس

اما حكماء اليونانيين وفلاسفتهم فاقدمهم واشهرهم ثاليس عاش سنة ٥٤٧  
ق م وهو اول فلاسفة اليونان ومؤسس الطائفة الايونية نسبة الى وطنه ايونيا  
ومن اشهر تعاليمه ان الماء هو اول الكائنات وعنه وجدت سائر الصور والمواد  
وان الله اوجد كل شيء من الماء وهو راي قديم ذهب اليه قدماء المصريين وعثم  
اخذه ثاليس لانه تلمذ في مصر وهو ما زال مقبولا ومعولا عليه عند كثيرين  
من علماء هذا العصر. الثاني صولون وقد سبق ذكره فلا حاجة الى التكرار.  
ومنهم فيثاغوروس وهو مؤسس الطائفة المدعوة باسمه ومن عقائدها التنازع  
وهو اول من علم عن استدارة الارض ووضع جدول الضرب للارقام الهندية.  
ومنهم سقراط وهو مؤسس الطائفة السقراطية نسبة اليه ومن تعاليمها المعقولات  
ووحداية الله. ومنهم اتيشينوس وديوجينس مؤسسا الطائفة الكيونية ومعناها  
الكاية لانهم شبهوا بالكلاب اذ نجوا عنهم كل الامور ولم يقبلوا بشيء منها فرفضوا  
المعرفة والعلم كشيء لا نفع منه وابتعدوا عن معاشره الناس ولذات الدنيا ولا مولا  
كل اجناس الناس ولذلك دعوا بالكليين. ومنهم افلاطون منشي الطائفة  
الاكاديمية وسميت بهذا الاسم لانه كان يعلم تلاميذه في غياض بقرب مدينة اثينا  
سميت بغياض الاكديوس. ومنهم ايكوروس مؤسس الطائفة الايكورية ومن  
تعاليمه انه يجب رفض كل شيء غير التمتع باللذات وافراح الدنيا ومنها ايضا



الرواقية ومؤسسها زينون وكان يعلم تلاميذه في رواق في مدينة اثينا ولذا سميت بهذا الاسم . وقد أُشير إلى هاتين الطائفتين في أعمال ١٧ : ١٨ . ومنهم أريستوناليس منشي الجرافتية وقد اشتهرت بعالمية جداً واعنتها وتشبث بها أهالي أوروبا زماناً طويلاً وما زالوا يعولون على بعضها . ومن أطباهم المشهورين بقراط الذي كتب عدة فصول مفيدة في الطب وظهر بعده جالينوس وروفس وغيرها فتوسعوا فيه أكثر فأكثر

—xco—

## الفصل الثالث

في تاريخ الرومانيين القدماء

### الباب الأول

في تأسيس رومية وإخبار ملوكها الأولين إلى سنة ٥٠٩ ق م حين أقيمت الحكومة القنصلية

ان السلطنة الرومانية كانت في الأزمنة القديمة من أشهر ممالك الأرض وأعظمها وتاريخها يمتد من اجيال عديدة وهو مشعور من الاخبار والحوادث الدموية وكثرة الشرور والظلم التي يبعثها السمع ويكرهها الطبع ومع ان ذكرها غير مقبول تلجئنا الضرورة الى سردها واثباتها لكونها حوادث حقيقية ومن واجبات المورخ ان يذكرها كما توقعته في اوقاتها فنقول ان مدينة رومية

الشهيرة مبنية على نهر تير في ايطاليا على بعد ستة عشر ميلاً من البحر وسميت رومية نسبة الى بابها رومولوس وتاسست سنة ٧٥٢ ق م وكان رومولوس هذا رئيساً على ثلاثة الاف نفر من اللصوص وقطاع الطريق فاتوا وبنوا بعض اكواخ على تلة هناك اسمها البلاتين واقاموا حولها حائطاً لمنع مهاجمات الاعداء فكان ذلك بداية اشهر مدن العالم . قيل ان ذلك الحائط كان واطناً حتى ان روموس اخا رومولوس احتره لوطوره وقال لاخيه يوماً انظن هذا السور سور مدينة فغضب اخوه من كلامه وطعنه بحربة كانت في يده فاماته وكان ذلك الدم اول دم سفك وانتطخت به اسوار هذه المدينة

ولما انتهى رومولوس واصحابه من بناء بيوتهم طلبوا لانفسهم نساء وكانت ايطاليا يومئذ مسكونة ببعض قبائل متوحشة منهم قوم يقال لهم الصايون كانوا قاطنين بحوار رومية فطلب رومولوس ان ياخذ من بناتهم نساء لرجالهم فابوا ولم يجيبوه الى طلبه فغند عليهم وصم على هلاكهم فاعد لهم يوماً وليمة عظيمة ودعاهم اليها فحضروا الى دعوتهم مع بناتهم ونسائهم واتفق رومولوس مع اصحابه على علامة متى اظهروا لم يجهمون على انقوم فيفتكون بهم فلما انتهى الصايون في الفرح والملاعب واداءت المااكل والمشارب وقد اعجبهم براعة الرومانيين وخفة حركاتهم في الرقص واللعب اظهر رومولوس تلك الاشارة الى اصحابه فسلوا سيوفهم وهجموا على ضيوفهم وقتلوا اكثرهم وقبض كل من الرومانيين على امرأة واخذها زوجة له . فلما بلغ طوائف الصايين هذا الخبر الفجع استشاطوا غضباً وانضم بعضهم الى بعض واستعدوا لمحاربة الرومانيين فالتقاهم رومولوس بمجموعه وابطالهم ولما التقى الجمعان وتقابل العسكران وكاد يقع بينهم القتال دخلت نساء الرومانيين الى ساحة الحرب وفرقت بين الطرفين وكن يصحن باعلى اصواتهن قائلات ارجعوا ولا تضربوا بعضكم بعضاً فاية فرقة منكما انتصرت على الاخرى لا تجلب علينا سوى الحزن والاسف لاننا بنات الفرقة الواحدة ونساء الفرقة الثانية فاشكر كلامهن في قلوب الفريقين وراى الصايون ان قلوب النساء قد

نظمت برجالهن الرومانيين فتوقفوا عن الحرب وهكذا انتهى الامر على محبة  
وسلام وعقدوا معاهدة فيما بينهم

واتخب الشعب رومولوس ملكاً عليهم فساهم احسن سياسة واقام لهم  
مجلساً مؤلفاً من القضاة والنواب لتنظيم احوال بلادهم وفض مشاكلهم واستمر  
ملكاً الى ان مات وكانت مدة حكمه ٢٧ سنة واختلفوا في موته فمنهم من زعم انه  
خطف بغتة الى السماء وقال اخرون انه كان قد صم على ان يجعل نفسه ملكاً  
مستقلاً فخلعه الشعب ومزقوه ارباً وهذا هو الاصح

وبعد موت رومولوس قام ملك ثان على رومية يدعى توما ففيليبوس  
وكان رجلاً حازماً حكماً محباً للسلام فسن شرائع عديدة حسنة وعلم شعبه الزراعة  
وعدة صنائع نافعة وكانت مدة ملكه ٤٣ سنة وخلعه طلس هستيبيوس فكان  
محباً للحرب والمغازي وفي ايامه وقع النزاع وانتشب القتال بين الرومانيين  
والالبيين الذين كانوا متجاورين ثم انتهى الحال بينهم بان كل فريق من  
العسكريين يتخب ثلاثة ابطال من شجعان عسكريه ليلارز بعضهم بعضاً وان الذي  
يتصدر منهم على الاخر يتنسب اليه انتصار الجيش وكان في جيش الالبيين ثلاثة  
اخوة اسم كل منهم كورياتيوس وكان ايضاً في جيش الرومانيين ثلاثة اسم كل  
منهم هوراتيوس فانتخب هؤلاء الستة رجال ثلاثة من كل فريق ليقوموا مقام  
الجيشين في القتال فركبوا خيولهم واعتقلوا سلاحهم ونزلوا الى ساحة الميدان  
واتشب بينهم الضرب والطعان وكان كل فريق من الجيشين واقفاً تجاه الاخر  
منتظراً النهاية فاتصر الكورياتيون في اول الامر على اخصامهم وقتلوا منهم اثنين  
فاستعظم اخوها مصابها وايقن بالتلف والعدم واذ لم يكن له استطاعة على  
مصادمة اخصامه الثلاثة اطلق عنان جواده وفر من بينهم فجدوا في طلبه  
ليقتلوه وكانوا اعيوا من هول المعركة مع خصمهم اللذين قتلوها ولذلك قصرت  
خيولهم ولم يدرك هوراتيوس منهم الا واحداً بعد واحد وكان ذلك غاية مرامه  
لانه كان كفوياً لكل واحد مفرداً فلما اقترب منه الاول ارتد اليه وهم عليه

وضربة بالسيف على عاتقه فالتأه قتيلاً ثم كرّ على الثاني والثالث فالحقهما باخيها فلما رأى الالبانيون ما حلّ باصحابهم من النكال خابت آمالهم فنكسوا اعلامهم واثقوا سلاحهم الى الارض وسلموا نفوسهم الى اعدائهم فاستبشر الرومانيون بهذا الانتصار العظيم والتفوا هورانيوس بالتعجيل والتعظيم لانه كان سبباً لانتصارهم وافتخارهم وكشف عارهم ورجعوا به الى المدينة وهم يثنون عليه . وما يستحق الذكر انه كان لهذا الشاب اخت مفرطة في الجمال كانت تحب رجلاً من الكورياتيين الثلاثة الذين قتلهم اخوها في ذلك اليوم فلما بلغها هذا الخبر مزقت ثيابها حزناً واسفاً عليه وقصدت باب المدينة وهي تندب وتنوح فالتقت باخيها في تلك الساعة وهو راجع الى البلد فاخذت تلومه وتشتمه على قتله حبيبها فغضب من اعمالها وقال لها يا عاهرة اما كان يجب عليك ان تندي اخويك المنتولين عوضاً عن حبيبك وان تظهرى حاسيات الفرح والسرور في انتصار شعبك وخلص الامة ثم انه استل سيفه وضربها به فاماتها فحكمت عليه الشريعة بالموت جزاء على هذا العمل الفظيع ولكنه حصل على العفو بواسطة الانتصار الذي جرى على يديه ولكن مع ذلك كان عاره بقتله اخيه اعظم من الشرف والاعتبار الذي ناله بسبب انتصاره وسميت تلك الحرب حرب الهورانيين والكورياتيين نسبة الى اسماء الابطال المار ذكرهم

وبعد موت طلس هسيليوس انتخب الرومانيون انكوس مرتيوس ملكاً عليهم ومن بعده خلفه تركوين الاكبر وكان ابوه تاجراً غنياً ثم جلس بعده على سرير الملك رجل يقال له سرفيوس فحكم ٤٤ سنة ثم قتله زوج ابنته المدعو تركوين الثاني وجلس مكانه فلما بلغ زوجته ابنة الملك المنتول هذا الخبر وكان اسمها طليا فرحت فرحاً عظيماً بانتصار زوجها على ابيها حباً بالملك والرياسة وركبت من وقتها في مركبتها وقصدت دار الولاية لتلاقي زوجها الشرير وبهتة بالملك وبينما كانت سائرة في احدى الشوارع التقت بجثة ابيها مطروحة هناك فلما رأى سائق المركبة جثة الملك على تلك الحالة اضطرب وخاف وعول على

الرجوع الى الوراثة فمنعته وشمته وامرته ان يتقدم واذ كان الشارع ضيقاً مرت  
المركبة على جثة الملك فداستها الخيل وتلخت عجلاتها بدم الملك ولم نبال طلباً  
بشيء من ذلك ولما تمكن تركوين من الولاية سلك على سرير المملكة كما سلك  
اسلافه بالجور والظلم وارتكاب الفواحش فلعبه الشعب بتركوين المتكبر وكان  
الرومانيون يكرهونه جداً. ويقال ان امرأة دخلت عليه ذات يوم الى الديوان  
وفي يدها تسعة مجلدات من الكتب واعرضتها عليه للبيع وطلبت في ثمنها مبلغاً  
فاحشاً واذ كانت الكتب المذكورة مجهولة عنده استعظم ثمنها وامتنع عن مشتراها  
فرجعت المرأة بالكتب الى دارها واحرقت منها ثلاثة ثم قصدته في اليوم الثاني  
واعرضت عليه الستة الباقية بنفس الثمن الاول فامتنع ايضاً فتركته ورجعت  
اليه في اليوم الثالث ومعها ثلاثة كتب فقط واعرضتها عليه بالثمن الاول فتائر  
الملك ونجب من هذا الامر وصم على ان يشتري الكتب منها ليرى ما فيها واذ  
بالمرأة القتهم بين يديه واخفت في الحال فانذهل الملك وجميع من حضر من  
الأكابر والاعيان فتحوا الكتب وطالعوها فوجدوها رسائل وإشارات تتضمن  
على حكم ونبوءات مولفة من بعض النساء فاحترمها الرومانيون غاية الاحترام  
واعتبروها كآيات منزلة وحفظوها في خزائهم وكانوا يتلونونها بكل خشوع واعتبار  
كلما وقعوا في شدة او ضيق معتقدين بانها تنبئهم بما يحدث عليهم في الازمنة  
المستقبله

وكان عاقبة امر تركوين المذكور انه طرد مع عائلته من رومية بعد ان حكم  
فحو عشرين سنة وكان السبب في ذلك ابنه سكستوس فانه كان ذمياً قبيحاً الى  
الغاية ففتنه الشعب حتى لم يعد يمكنهم ان يجتمعا قبايحهم ومعاصيتهم فنوه مع ابيه  
وكان طردها من رومية سنة ٥٠٩ ق م واستلم زمام الحكومة بعد تركوين اثنان  
من القضاة وتلقب كل واحد منها بلقب فنصل اي منفذ الاحكام وكان الشعب  
ينتخبون هؤلاء القضاة في كل سنة واول من تعين لهذه الوظيفة بروتوس  
وكولانيوس فكان بروتوس عادلاً مهيباً محباً للوطن حتى انه حكم بالموت على

ابنيه الاثني بسبب جنائيه ارتكابها ولم يشفق عليها

## الباب الثاني

في ذكر كور يولانوس واستيلاء الغالين على رومية وحروب

### قرطاجنة الثلاث

وكان سكان رومية يومئذٍ منقسمين الى حزبين الاول من الاشراف والثاني من العامة وكان جميع ارباب المجلس العالي واكثر الاكابر والعهد من القسم الاول فكان انتخاب الفناصل منوطاً لهم ولذلك قويت شوكتهم وعظمت سطوتهم وصاروا اصحاب الحل والربط فنشأ عن ذلك فتن ومشاجرات بين الطرفين حتى كادت تقع بينهما الحروب ولكنها اتفقا اخيراً بانه في كل سنة يُنتخب خمسة اشخاص من وجوه العامة بوظيفة قضاة في المحاكم وبهذه الوساطة تحسنت احوال العامة وارتفع شأنهم وانحطت سطوة الاشراف بهذا التدبير ثم اشتدت البغضة والعداوة بين الفريقين . وفي اثناء ذلك نهض رجل من الاشراف يقال له كور يولانوس وكان بطالاً صديداً وجباراً عنيداً فشرع في ابطال منصب القضاة وبذل في ذلك غاية اجتهاده فقاومه العامة وحاربوه ولما تمكنوا منه نفوه من البلاد فذهب الى مدينة انتيوم والتحق بشعب النولسيين وكانت هذه الامة من اشد الطوائف عداوة للرومانيين فاخذ يجرضهم وينشطهم على محاربة قومه ووعدهم بالغبلة والانتصار فانقادوا اليه واجابوه الى ذلك واعرضوا عليه فرسانهم وابطالم فانتخب منهم جيشاً عظيماً وقصد به مدينة رومية ولما اقترب منها وبلغ الرومانيين خبره خافوا واضطربوا وارسلوا اليه في الحال بعضاً من اعيان شيوخهم لاستعطاف خاطرهم فلم يصغ لكلامهم واستمر في مسيره ثم ارسلوا اليه جماعة من خواص كهنتهم وعند وصولهم اليه وقعوا على قدميه والتمسوا منه ان يتحول عنهم ويغض النظر عن قبائحهم فلم يتمكنوا من تغيير

مقاصدهِ ولما اقترب من رومية نزل بعساكره تجاه الاسوار والحصون واخذ  
 يتفكر في ايجاد الطرائق المناسبة لمهاجمة المدينة فبينما هو كذلك اذ اتاهُ سفارةٌ  
 ثالثة مؤلفة من اشرف نساء الرومانيين وهن لابسات ثياب الاحزان وكانت في  
 مقدمتهن امه فيتوريا وفرجيليا امراتهُ فاستغاثتا به وتضرعا اليه ان يكفَّ عن  
 هذا العمل ولا يكون سبباً لخراب وطنه وهلاك قومه فلما شاهد نذلها شفق عليها  
 والتفت الى امه وقال لها لقد انقذت يا اماه مدينة رومية بتوسلاتك ولكنك  
 سوف تعدمين ولدك هذا عن قريب ثم نهض في الحال وارند راجعاً بالعساكر  
 الى مدينة اتتيوم قضية مملكة الفولسيين فلما بلغ القوم رجوعه عن رومية حقدوا  
 عليه وصموا على قتله وعند وصوله الى ابواب المدينة امانوهُ .

ثم انه مع تماذي الزمان انتظم حال الدولة الرومانية وتعاضم امرها وقويت  
 شوكتها في الداخل والخارج وازداد عدد اهلها وبقيت في رونها وزهوتها الى  
 ان دهبها جيش الغالين سكان فرانس سنة ٢٨٩ ق م تحت قيادة الجنرال  
 برينوس وحاصروا رومية ليفتحوها فدافعت عن نفسها مدة طويلة ثم افتتحوها بعد  
 مهاجمات عديدة وعند دخول القائد المذكور الى المدينة التقى بجماعة من الشيوخ  
 جالسين في دار جميلة على كراسي من عاج وفي يد كل منهم عصاً من عاج تلوح  
 على وجوههم سمات الهيبة والشجاعة فاندش القائد وباقي العسكر من هذا المنظر  
 ولا سيما من ثباتهم وعدم فرارهم فتقدم احد الجنود وقبض على لحية احدهم وكان  
 يقال له بايربوس فانتشاط الرجل غضباً من صنيعه هذا وضرب الجندي  
 بعصاهُ فعند ذلك هجمت العساكر على بايربوس وجاعته وقتلوه جميعاً ومن  
 هناك اتشروا في المدينة واحرقوا اكثرها . وكانت رومية يومئذ مدينة عظيمة  
 فيها ابنية فاخرة وقصور شاهقة اعظمها وامنها قصر الكايتول وهو اشبه بقلعة  
 حصينة فلما افتتح الغاليون المدينة ودخلوها تجمّع في هذا القصر المذكور اكابر  
 شجعان الرومانيين وحاصروا فيه فجم عليهم مواكب الاعداء كالجراد واحاطوا  
 بذلك القصر فلم يتمكنوا منه واستمر الحال على مثل ذلك مدة وفي بعض الليالي

بينما كان عسكر الغالين قد اقترب من ابواب الحصن والحراس نيام استفاق  
رفق من الاوز في احد الهياكل القريبة من ذلك المكان فابقظ بصياحه الحراس  
فصدوا النوم عن التقدم واحترم الرومانيون هذا النوع من الطير وحرّموا على  
انفسهم اكله من ذلك اليوم . ولم يمض على ذلك وقت طويل حتى قام كاملوس  
احد ابطال الرومانيين وانتصر على الغالين وفتك بهم حتى قيل انه لم يرجع  
احد منهم الى بلاده .

وكان الرومانيون يصرفون اكثر اوقاتهم في محاربة الدول والممالك  
الاجنبية فبرعوا في فن الحرب وكانوا كثيرا ما يظفرون في حروبهم ومغازيهم حتى  
انهم اخضعوا اخيرا جميع ولايات وممالك ايطاليا واستولوا عليها

وكانت قرطاجنة الدّ عدو لرومية وهي مدينة حصينة مبنية على شطوط  
افريقية الشمالية على مسافة اربعمائة ميل الى جنوبي رومية فانصلت بينها العداوة  
الى النزاع والتتال وجرى بين الفريقين ثلاث حروب عظيمة تُعرف بالحروب  
البونيكية فقد فيها جيش كثير من الطرفين وقد استوفيناها في تاريخ قرطاجنة  
فلا حاجة لتكرارها هنا وكان الرومانيون في حربهم الاخيرة مع اهل قرطاجنة  
قد فازوا بالمجاج والغلبة بواسطة قائدهم الشجاع المشهور المدعو سيبيو فانه فتك  
بجيش الاعداء فتكا عظيما ودخل مدينة قرطاجنة سنة ١٤٦ ق م واحرقها بالنار  
ورجع الى رومية بالغنائم والاموال . وعند وصوله اليها البسوه اكاليل الغلبة  
والانتصار التي هي من اعظم جوائزهم وساروا به الى الكايتول بموكب عظيم حسب  
العوائد الجارية عندهم

وكانت العادة بين الرومانيين عند وصول القائد المنتصر الى رومية انه  
يقف قليلا في ميدان كميوس مرتيوس وهي ساحة خارج المدينة وهناك يلبسونه  
ثوبا ارجوانيا منسوجا بالذهب ويضعون على راسه نسرا من ذهب ثم يدخلونه  
الى المركبة المعدة له محاطة باصحابه واقاربه وهم في الملابس البيضاء ووراءهم  
القناصل وارباب المجلس في ملابسهم الرسمية وكان الجيش المنصور يمشي من ورائهم



لابسًا خوذًا مكلمة بغصون الدفل وحاملو البيارق رافعون في ايديهم نسورًا من الفضة مطلية بالذهب عوضًا عن البيارق ثم ياتون بالثيران التي يرسم الذبح فيطلون قرونها بالذهب ويضعون على رؤوسها أكابيل مختلفة الاشكال وبعد ذلك ياتون بالغنمة الماخوذة من العدو مع تاج او اسلحة الملك او القائد المغلوب ويسيرون بها امامهم كما حصل عند دخول تيطس بالظفر الى رومية بعد غلبته على اورشليم فانه حملت امامه المنارة الذهبية وتابوت العهد وباقي الغنمة التي اخذها من الهيكل. وفي اثناء الحروب التي اُقيمت على انطيوخوس ومتريدانس وغيرها من الملوك المشرقيين كانوا يقودون في المواكب جمالًا وافيالًا ونورًا واسودًا وغيرها من الوحوش الضارية وحيثما كانوا ياتون بها الى المراسع حيث كانوا يتممون احتفالات الفرع بانواع شتى من الملاعب. ثم بعد الغنائم المذكورة كانت تشي فرقة من الاسرى وبينهم الملوك والرجال المأسورون والنساء والاولاد جميعهم مقيدون بالسلاسل الثقيلة فكانوا احيانًا يزددون بهم ويقتلونهم بلا رحمة وحيثما يبقونهم باقى ايام حياتهم في حالة العبودية ويسلونهم لبعض الرومانيين الفاقدين اصحابهم في الحرب لينتموا منهم ويعذبونهم ثم من بعد هذه الفرقة كانت تدق آلات موسيقية بنغمات مرتفعة لتزيل تهيدات وصراخ اولئك المنكودي الحظ وامامهم جماعة من الرقاصين واصحاب المساخر بنطنطون وبهرولون وهكذا كانوا يتقدمون بالقائد المنتصر مارين في جميع اسواق رومية الى ان يصلوا به الى الكايتول

### الباب الثالث

في اخبار سِلا ومارتيوس الى قتل يوليوس قيصر سنة ٤٤ ق م

وما زال الرومانيون يفتحون البلاد والممالك الى ان اصبحت اسبانيا باسرها ولاية رومانية ثم اثاروا حربًا على مملكة نوميديا في افريقية المعروفة الآن بمجزائر

الغرب فافتتحوها واستاسروا ملكها جوكرثا واتوا به الى رومية فاماتوه في السجن  
جوعاً وعطشاً

ثم في سنة ٩١ ق م حاربوا ولايات ايطاليا المجاورة لهم فاخضعوها . ثم اقاموا  
حرباً على منريدانس ملك بطس في اسيا الصغرى ولم يتصرفوا عليه انتصاراً  
تماماً الا بعد مرور اربعين سنة وفي اثناء تلك الحرب قام في رومية قائدان من  
اهل الشهرة هما ماريوس وسلاً فكان ماريوس جندياً شجاعاً ومع شجاعته  
وراعته فصيحاً وذا تربية حسنة فتحرب لكل من هذين القائدين قوم من الاهالي  
وكانت قد وقعت بينها الغيرة والبغضة حتى الجأها الحال الى القتال فحدث  
من ذلك حرب اهلية . ومن غريب الاتفاق الذي حدث في اثناء هذه الحروب  
ان رجلاً من عسكر سلاً المذكور كان قد قتل جندياً من جنود ماريوس وعندما  
نزع عن راسه الخوذة وجد انه اخوه فخرن من هذه الصدفة حزناً شديداً ومن  
فرط غم على فقد اخيه قتل نفسه بيده اسفاً وحسرة . واستمر القتال بين الفريقين  
مدة طويلة وحدث بينهما عدة وقائع فكانت الدائرة اولاً على ماريوس وجموعه  
ولكنه انتصر فيما بعد على خصمه وهزمه واستولى على رومية ثم اخذ يتقم من اخصامه  
ومقاوميه فحدث مذبحه عظيمة بين الاهالي قتل فيها عدد كثير من ارباب  
الوظائف والمجالس واشراف الناس جهاراً في الاسواق . واما ماريوس فلم  
يتخلص من العقاب الذي استحقه بارتكابه هذا العمل لان ضميره كان يوبخه ليلاً  
ونهاراً توبيخاً شديداً ولاجل التخلص من ذلك انصب على شرب المسكرات فكان  
يتناول منها كمية وافرة ليسلي نفسه ولم تكن الا مدة قصيرة حتى اصاب بحس  
شديدة انتهت بها حياته . ولما بلغ سلاً موته قصد رومية بجيش عظيم فامتلكها  
ودعا نفسه الحاكم المطلق وقد سلك مسلك سالفه في قتل من كان متغزياً عليه  
من الاهالي فحكم مدة قصيرة ثم خلع نفسه عن معاطاة الاحكام ففرح الجميع بذلك  
لانه كان مبغضاً ومكروهاً من اكثر الناس وبعد تنازله ببرهة وجيزة مات  
فلو احب الرومانيون الحرية كالابام السابقة لما خضعوا لظلم وجور سلاً

وماريوس ولكنهم التهبوا وتولعوا باللذات الناشئة عن الغنى الذي حصلوا عليه بواسطة فتوحاتهم وانتصاراتهم على ممالك الارض فالتهبوا بالعرض عن الجوهر وعرفوا النظر عن صوالجهم الحقيقية فكانوا يخضعون لروسائهم وكبرائهم الذين قادوهم في تلك الانتصارات العظيمة ويقدمون لهم احتراماً زائداً فوق الوصف وبعد موت سلاً وماريوس ظهر في رومية قائدان عظيمان احدهما يدعى بومي والآخر يوليوس وكان بومي اكبر سناً واشهر لانه كان قد افتتح خمس عشرة مملكة واخذ ثمان مئة مدينة وتغلب على مثير يدانس اما يوليوس فلم يكن اقل همة وفروسية منه فانه هو ايضا اثار حروباً كثيرة على فرانس وجرمانيا وبريتانيا ويقال انه انتصر في حروبه على ثلاثة ملايين من الناس وقتل نحو مليون منهم . ولما قويت شوكة هذين الاميرين وشاع بين الناس فخرها وبطشها كسالت فيها سلاً وماريوس ضاقت عليها البلاد بحيث ان كل الممالك الرومانية لم تعد تسعها فدخلها الحسد والطمع وظهرت بينها العداوة وكان قد انقسم شعب رومية الى حزبين بحسب اغراض هذين القائدين فانفرد كل منهما بحزبه واقتتلا في فرساليا من اعمال تساليا وكان قسم كبير من جيش بومي مولفاً من اشراف الرومانيين الاحداث فلم يستطيعوا الوقوف امام فرسان يوليوس فولوا منهزمين خروفاً من العدم والتلف وتكن يوليوس من الانتصار على عدوه انتصاراً عظيماً وهرب بومي الى ارض مصر فقتل هناك واُتي براسه الى يوليوس فحزن على موته وناح عليه ولكنه لم يرد ان يراه . ولما بلغ ارباب المجلس الروماني انتصار يوليوس قدموا اصواتاً احتفالية لاهتهم ومنحوه السلطنة المطلقة ما دام حياً لقبوه بقيصر وحكموا على شخصه بالقداسة فصنعوا له تماثلاً واقاموه بين تماثيل الالهة والابطال في الكايتول بالقرب من تماثيل المشتري وكتبوا عليه هذا تماثل قيصر نصف الاله فانظر الى غباوة الرومانيين وجهلهم في ذلك الزمان والى الدرجة التي توصلوا اليها من الاستعباد والتوحش . ولما رأى قيصر علو رتبته ورفعة مكانه ومنزله في اعين الشعب لم يبق عليه ما كان يرغبه ويشتهيه الا شيء واحد وهو

ان يسي نفسه ملكاً فوجه افكاره وقواه لاستمالة رضا الشعب والعساكر واخذ  
 ينفق مبالغ وافرة على الولايم والضيافات وانواع الافراح والمسرات التي كان  
 يدعو اليها جمهور الناس لتقليتهم واستجلاب خواطرهم لنحوه فمن ذلك وليمة عظيمة  
 دُعي اليها الجيش الروماني جميعه فكان مدوداً في اسواق رومية اثنان وعشرون  
 الف مائدة مملوءة بالاطعمة اللذيذة والمشروبات الفاخرة ولم يمنع احدٌ من الجلوس  
 والمناولة سواء كان صعلوكاً ام حقيراً . واذ كان الرومانيون قد فقدوا تلك  
 المحاسيات الشريفة التي كانت عند اسلافهم ارتضوا ان يكونوا تحت نير عبودية  
 قيصرهم بشرط ان يحصلوا على الاطعمة اللذيذة والمناظر المبهجة فسلوا له بما اراد .  
 ولا ينكر بان قيصر كان رجلاً جليلاً مهيباً متصفاً بالصفات الحميدة والحذاقة  
 ولذلك نسي الشعب بائه كان قد خدعهم بهذه التملقات واعدمهم حرية بلادهم  
 فكانوا يسرون في مشاهدته في المواسم والولايم العمومية جالساً على عرش من  
 ذهب وعلى راسه اكليل مرصع بالجواهر النفيسة

ولكن مع كل ذلك لم يخل الامر من وجود بعض الاشخاص من الرومانيين  
 الذين استمروا متمسكين بحجة الحرية محبة مجردة فكان بعضهم يبغض قيصر  
 لظلمه وبعضهم حسداً وغيره من تقدمه فانفقوا على قتله واسرعوا في استعمال  
 الوسائط على هلاكه واعدامه وكان رئيساً هذه الفتنة رجلياً احدها يدعى  
 برونوس والثاني كاسيوس اما برونوس فكان محباً لقيصر ومحبباً منه ولكنه رأى  
 ان واجباته لنحو تحرير وطنه تلزمه ان يتظاهر بقتل صديقه قيصر واما كاسيوس  
 فمع انه كان موافقاً برونوس من جهة تحرير البلاد من نير العبودية كان له  
 اسباب اخرى تحركه للقيام وهي انه كان يبغض قيصر ويمنى هلاكه حسداً على  
 عظيمته . واشترك معها في هذا العمل ستون رجلاً قد صمموا على اجراء مصادمهم  
 جهاراً في دار المجلس العمالي خلافاً للاكثرين الذين كانوا قد اتفقوا على قتله سراً  
 عند اتصاف الليل . وكانت العلامة بينهم انه عند قدوم قيصر الى دار الولاية  
 يعطيه احدهم رقعة كانه طالب حاجة فيخثد بجمعون عليه ويقتلونه . ولما كان

الصباح الذي عينوه لقتله خرج قيصر من قصره حسب عادته محاطاً بجمهور  
غفير من اصدقائه المحالين وعند نزوله الدرج خارج باب القصر تقدم اليه  
رجل من المجيمين اسمه ارتمدوروس وناولته رقعة تتضمن خبر تلك الفتنة فتناولها  
منه وقد ظن انها عريضة فسلمها لاحد كتبه ولم يقرأها ولو قراها لامكنه ان  
يتخلص من الموت ثم مر قيصر بموكب الخاص في اسواق رومية والناس يقفون  
من حولياتهم على الجانيين اجلاً له ويهتفون في مديحه ويدعون له بطول  
العمر فخامرته الكبرياء واستعظم بنفسه شاعراً بأنه قد صار من اعظم العالم  
واستمر في مسيره الى ان وصل الى دار المجلس العالي حيث كان مصفوقاً على  
تمثيل كثيرة من مشاهير رجال الرومانيين ومن جللتهم تمثال القائد بومي  
الذي قد اتى براسه الى قيصر من مصر وعند ما اقترب من هذا التمثال تقدم  
اليه احد المشتركين في هذا الفساد يقال له متلوس سمبر فقدم له اعراضاً وجنا  
امامة اخذاً بطرف رداءه كأنه يستغيث به في قضاء حاجة له فوقف الملك  
ليرى ما في تلك الورقة ولم يعلم انها حيلة وعلامة اتفقوا عليها لانمام مقاصدهم الا  
انه لم يتو منها حتى وافاه رجل اسرع من البرق وطعنه بخنجر في كتفه فالتفت  
قيصر اليه واخطف الخنجر من يده وشمته فعند ذلك هم عليه الباكون فدافع  
عن نفسه بجسارة ونشاط لا مزيد عليها ثم ظهر بروتوس من بين الجمهور  
وطعنه بخنجره وقد ذكرنا ما كان بينه وبين قيصر من الصداقة والمودة فلما رآه  
قد رفع يده عليه توقف عن المدافعة ونظر اليه بعين التوبيخ قائلاً وانت ايضاً  
يا بروتوس ثم ستر وجهه بطرف ثوبه وسقط على الارض ميتاً امام تمثال بومي  
فغمس اولئك العصاة السختم في دمه المسفوك وخاطب بروتوس سيسرون  
احد ارباب المجلس الذي كان خطيباً شهيراً ومحباً للوطن قائلاً له تهلل وافرح  
يا ابا وطننا لان رومية قد تحررت الآن. وكان وقوع هذه الحادثة سنة ٤٤ ق م

## الباب الرابع

في حكم اوغسطوس قيصر وامتداد السلطنة في ايامه مع ذكر  
الوسائط التي سببت لها هذه الشهرة والقوة

وبعد موت يوليوس قيصر حدث خلل عظيم في احكام رومية فنهض  
اصداقائه واعوانه لاختناره والانتقام من المدنيين فاضطر بروتوس وكاسيوس  
وعيرها من المشتركين في القتلة المار ذكرها ان يهربوا من المدينة وكان ليوليوس  
قيصر المقتول ابن اخت اسمه اوكتافيوس كان صغيراً لما مات ابوه فتبناه  
خاله قيصر واعنى بتربيته وارسله الى بلاد اليونان للتعليم والتهديب فلما قتل  
خاله المذكور في رومية كما تقدم كان عمره ثماني عشرة سنة وعند ما بلغه هذا  
الخبر حضر الى رومية ليستولي على ميراث خاله فاعطاه مرقس انطونيوس احد  
روساء الجمهورية جزءاً عظيماً من الميراث وتزوج باخته اوكتاوة ثم اشركه  
معه في رئاسة الجمهورية الرومانية واشركا اميراً ثالثاً معها يقال له ليديوس  
وكانوا مثل يوليوس قيصر يكرهون الحكومة الجمهورية ويميلون الى المذهب  
الملكي فانفقوا على تشتيت شمل اعدائهم وشرعوا في توطيد سلطنتهم واخذوا  
يقتلون كل من كان مقاوماً لهم فكتبوا رقعة تتضمن ٢٠٠ اسم من اعضاء المجلس  
العالي والذين من اعيان الناس وسلموها لبعض من يعتقدون عليهم وغروهم  
بالجوارز على قتلهم وكانوا يظهرون مزيد الفرح والسرور عندما يأتهم احد براس  
من كان اسمه مكتوباً في تلك القائمة فكان اكثرهم يقتلون اباؤهم واعمامهم ومن  
يعز عليهم طمعاً ورغبةً في المال . اما بروتوس وكاسيوس فكانا قد قصدا بلاد  
اليونان والتجأوا الى ملكها واستعانوا به على حرب رومية فامدها بمئة الف مقاتل  
من شجعان قومه فانثنيا راجعين على الفور الى رومية بهذا الجيش العرمم لتقليص

الملكة من ايدي المغتصبين. وكان قد باع خبرها مرقس انطونيوس واوكتافيوس  
 فخرجا لقتالها بالجيوش الرومانية فالتقيا بهما في اطراف فيليبي ولما وقعت العين  
 على العين اشتبك القتال بين الفريقين فكانت الدائرة على روتوس وكاسيوس  
 وانهمزمت جموعهما وتبددت فالتزما ان يقتلا نفسيهما خوفاً من الاسر والانتقام  
 وبموتها راقمت احوال الملكة للشركاء الثلاثة ثم اتفق اوكتافيوس وانطونيوس  
 على طرد شريكها الثالث فطرداه من شركتها وصفا لها الوقت وراق ثم وقع  
 بينها الاختلاف والنزاع بسبب تزوج انطونيوس بكليوباترا ملكة مصر واستنزائه  
 باخت اوكتافيوس التي كانت متزوجاً بها فخاربا بعضها بعضاً وانتهى الامر  
 بانتصار اوكتافيوس على انطونيوس في بلاد مصر فقتل انطونيوس نفسه بيده  
 هناك فاصبح اوكتافيوس بدون مقاوم ولا منازع واستقل بنفسه على احكام رومية  
 واتخذ لنفسه لقب امبراطور واشتهر باسم قيصر ونسي ايضاً اوغسطس ومعناه  
 الموقر وهي القاب ثلاثة مترادفة على معنى واحد تطلق عند الرومانيين على كل  
 ملك من ملوكهم وكان المجلس العالي ايضاً اعطاه لقب باتر باتريا اي ابي وطنه  
 وغير ذلك من الالقاب على سبيل التثخيم والتعظيم ومن ذلك الوقت تحولت  
 الجمهورية الرومانية الى دولة ملكية. وكان اوغسطس من افراد الملوك عادلاً  
 حليماً يميل الى المعارف والآداب فرتب القوانين العادلة لراحة الاهالي وافتتح  
 ممالك واقاليم كثيرة بشجاعة قواده وامرائه لاسيما قائده المسي اغريبا فانه كان  
 من افراد الابطال ثم استولى على مصر وغيرها وكان مع سطوته وابته ودبعاً  
 انيساً ومع انه لم يكن يومئذ في رومية الا قليل من اهل الصلاح ومعبي السلام  
 تصرف هذا الملك باستعمال سطوته على طريقة اصليح مما استعمالها كثيرون غيره  
 لانه في كل مدة حكمه كانت رومية في غاية الهدوء والسلام وفي ايامه عاش فيرجيل  
 وهوراس واوفيد وغيرهم من مشاهير الشعراء وحازوا على انعامه وشهامه بانظاره  
 ولذلك مدحوه في اشعارهم واطنبوا في وصفه وعاش اوغسطس قيصر المذكور عمراً  
 طويلاً ثم مات سنة ١٤ بعد الميلاد وله من العمر ست وسبعون سنة بعد ان حكم

احدى واربعين سنة حكومة ملكية فضلاً عن مدة الرياسة الجمهورية. وكان العامل على اليهود بالقدس من قبله هيرودس وفي مدة حكمه صار الاكتاب العموي المذكور في الانجيل الذي بسببه ذهب يوسف ومريم الى بيت لحم حيث وُلد المسيح كانت السلطنة الرومانية في ايام اوغسطس في اعظم واعلى درجة من زهوتها وغناها وكانت متسلطة على جميع شعوب اوروبا ما عدا بعض القبائل في الجهات الشمالية الذين استمروا محافظين على استقلاليتهم. اما المالك التي كانت تحت تصرف احكام الرومانيين في اوروبا فهي انكلترا وفرنسا واسبانيا والمانيا وجميع ولايات ايطاليا واليونان وتركيا في اوروبا وغيرها وكانوا ايضاً يحكمون على اكثر البلدان الواقعة بين اسيا الصغرى غرباً والهند شرقاً مع كل اسيا الصغرى وسوريا وفلسطين وغيرها وقد امتدت قوتهم وقويت شوكتهم بهذا المقدار حتى انهم اخضعوا اكثر ممالك افريقية كصر ومراكش والحبشة وغيرها وكان لهم في كل ولاية ومملكة من هذه الممالك المذكورة ولاية وحكام وعساكر رومانية تسوسها وتحفظها وبالحقيقة ان هذا الامر من اعجب العجيب لانه لم يتيسر لغيرهم من دول الارض ما تيسر لهم من الفتوحات والانتصارات وليس ذلك الا بواسطة ادارة حكاهم وعلوهم ائمتهم. وفي ذلك العصر تحسنت صنائع البناء والنقش والتصوير وتوصلت الى درجة سامية من الكمال وامتدت في جميع اطراف السلطنة. وكانت المدن والبلدان مزينة بالهياكل المبهجة والقصور المرمرية المزخرفة الملونة من التماثيل الجميلة والصور الثمينة فاقاموا في جميع البلدان التي افتتحها الرومانيون ابنية عامة كثيرة النفع كتحصين الطرق وقيام الجسور الثمينة وبناء الاقنية لجلب الماء الى المدن والى يومنا هذا كثير من بقايا تلك المشروعات والعمليات العظيمة في اغلب البلدان التي وقعت تحت ايدي ذلك الشعب العظيم مع انها اُقيمت منذ الف سنة تقريباً. واما مدينة رومية فكانت من اعظم مدن العالم وابهجها وكانت دائرتها في زمن اوغسطس ٥٠ ميلاً وعدد سكانها اربعة ملايين وكانت محاطة بأسوار عالية متينة البناء نظير



بأقي المدن القديمة لان الضرورة يومئذٍ الزمتهم الى ذلك لاجل وقاية المدن وصيانتها من هجمات العدو. وكان لها ثلاثون باباً وكانت من عجائب الزمان منظرًا وبهجة حتى يكاد الواصف يعجز عن وصف زخارفها وحسن رونقها وزينتها لان القواد الذين افتنحو الممالك الاجنبية بانتصاراتهم كانوا يأتون بجميع الامتعة والتحف النفيسة العجيبة التي يجوزون عليها في مغازبهم ويضعونها في قصور هذه المدينة وهياكلها زينة لها فكان فيها تماثيل جاءوا بها من بلاد اليونان واعمدة من مصر وامتعة مجنسة عجيبة وغريبة من اسيا وغير ذلك من النضة والذهب والنجارة الكريمة التي كانوا يجمعونها من اقطار المسكونة . وكان فيها قصور جميلة وهياكل مستظرفة اكثرها من المرمر المنقوش نقشاً جميلاً ومرايح ومحلات مدهشة للمشاهد والملاهي العمومية وغير ذلك من الابنية الفاخرة التي تدهش الابصار وتحير بحسنها الافكار وبالاجمال كانت مشحونة بغنائم وطرائف الدنيا باسرها. اما الوسائط التي استعملها الرومانيون للحصول على هذه الشهرة والافتخار فهي الفتوحات والممالك التي استولوا عليها والغنائم الكثيرة التي اكتسبوها بواسطة قساوتهم البربرية في قتل اعدائهم وسلب اموالهم بدون ادنى رحمة ولا شفقة

ولا ينكر ان الرومانيين نظير اليونانيين والفرس والمصريين وغيرهم من الامم القديمة كانوا يتصورون تصورات من جهة الفضيلة فكانوا يعملون احياناً اعمالاً حسنة تستحق المدح ولكنهم كانوا نظير الشعوب المذكورين فاقدوا الاداب الحقيقية التي تستدعي معاملة الناس على نفس الاسلوب الذي نريدهم ان يعاملونا به . وكانت رومية ايضاً نظير غيرها من الامم القديمة فاقدة تلك الديانة الحقيقية التي تعلم الناس ان كل قوة غير مبنية على مبادي العدالة والاستقامة لا بد من سقوطها وانقراضها فلذلك كانت فاقدة المجد الحقيقي لانها لم تحصل على تلك العظمة والشهرة الا بواسطة سفك الدماء والنهب ولكن مع كل ذلك استمرت زمناً طويلاً في عظمتها وبهجتها بعد اوغسطس قيصر وزادت

تبعات اغنيائها واشرافها وتوصلت في المعارف والفنون الى درجة سامية

## الباب الخامس

### في تعداد امبراطرة الرومانيين وبعض اخبارهم

وبعد موت اوغسطس خلفه طيباريوس سنة ١٤ للميلاد وكان رجلاً جافياً فانكأ شرس الطبع قبيح المنظر اقرع الراس مولعاً بشرب المسكرات وكان فيه تيهٌ وتعاطمٌ ولذلك كان يتفخر على من تقدمه من الملوك السابقين وكان كثيراً ما يقول في خطبه انا مولى الرعايا وقائد القواد وملك الاهالي وسيدهم واستوزر من بلائم طبعة من الوزراء والامراء فاشاروا عليه بقتل عائلته اوغسطس فقتل اكثرهم وحكم على كثيرين من الناس بالموت بدون حجة ظاهرة والقي جنثهم في الازقة والاسواق ليشاهدها الناس ومن جملة قبائحه انه امر يوماً بقتل امرأة مسكينة لانها ناحت على قتل ابنها . وكان مع بطشه وفتكه في اضطراب وارتياب عظيم خوفاً على نفسه من القتل فكان ضحية يوسوسه ويتلقه ومع انصافه بهذه الخصال الذميمة كان خبيراً بالسياسة والتدبير فكانت ابامه صلحاً وسلاماً مع باقي الممالك الاجنبية ولم يحصل في مملكته ادنى اختلال في النظمات . وفي ايامه صلب السيد المسيح في اليهودية التي كانت وقتئذ ولاية رومانية . واليه تُنسب مدينة طبرية التي بناها هيرودس انتيباس بن هيرودس الكبير وكان عاملاً له على اليهودية وسماها باسمه . ومرض هذا الامبراطور مرضاً شديداً واذ كان مشرفاً على الصحة خنقة الحرس بفراشه فمات

ثم خلفه كليغولا وهو ثالث امبراطور من امبراطرة الرومانيين بعد اوغسطس تولى سنة ٢٧ بعد وفاة عمه طيباريوس فاستبشر به الرومانيون لانه كان في اول حكمه على جانب عظيم من الاستقامة والعدالة ثم لما مرض

وشفي من مرضه استعالت استقامته وعدالته الى التمدي والظلم وارتكاب الكبائر وسفك الدماء . وكان يحب اهل الملاهي والسخرية واللعب ويستحضرهم الى ديوانه ويدعو لذلك ارباب المجلس ويظهر لهم الفرح والانشراح وكان كل من رفع صوته من الوزراء والاعيان في هذا الاجتماع يأمر بضربه . ومن غريب اعماله انه كان قد اصطنع له اصطبلًا من المرمر لفرس كان يعزها وعمل لها حوضًا من العاج ورصع سروجها باللؤلؤ والجواهر وقيد اسمها في دفتر الكهنة بزعمه انها ستصير ذات يوم حاكمة على الرومانيين . وبالجملة فانه كان من افجع الناس سيرة وكان من فرط قساوته وقبائحه انه اذا امر بقتل انسان لا يكتفي بقتله الا بحضور اهله ليشاهدوا عذابه وموته . وفي ايامه كانت المحروب غير منقطعة وعلى الخصوص في بارثيا وبرثانيا . فلما كثرت جورته وعم الناس شره قتله احد قواده في قصره وراح الاهالي من ظله

ثم خلفه كلوديوس سنة ٤١ وكان على غاية من الخفة والغفلة ومع ذلك كانت له مشاركة في الادب والمعارف فقد ألف تاريخ رومية وقرطاجنة وغير ذلك من الكتب التي فُقدت وضاعت . وكان تزوج بامرأة تسمى مسالينة فكانت تبغضه وتبغضه له الموت طمعًا في زواج شاب من الامراء كانت تودده وتميل اليه فصممت يوماً على قتله لتولي محبوبها زمام المملكة فلما انكشفت له خيانتها قتلها وتزوج بامرأة ارملة من نسل اوغسطوس اسمها اغريبنة وكانت اشر واخبث من الاولى وكان لها ولد من زوجها الاول يقال له نيرون وكان لكلودايوس المذكور ولد من زوجة اخرى ابريطانيكوس فكانت تغار منه وتطمع في تولية المملكة لابنها نيرون ليكون لها نفوذ الكلمة في الحكومة بجاهه فقصدت قتل زوجها كلوديوس لتنال مرغوبها فسقته كأسًا مسمومة لتبته واذ كان قصدها ان تقيم ابنها نيرون خليفة لايه عوضًا عن ابن ضرته المتقدم ذكره اخفت عن الشعب موت كلوديوس واخذت تستميل اليها قلوب الاعيان والوزراء وقواد الجيوش حتى تمكنت منهم ووافقها الجميع على تولية ابنها نيرون وبايعوه وهو ابن خمس





منه إلا التساوة والجبروت لاسيما ما ظهر منه من كثرة القتل والنهب عند محاصرته القدس واستيلائه عليها فلما حكم سلك سبيل العدل والانصاف وحمدت خصاله فاحبه الناس ولقبوه مسرة البشر ومن جملة مناقبه انه مضى عليه يوم لم يفعل فوق شيئا من الخير لرعاياه فيينا هو يراجع نفسه بذلك في المساء هتف صارخا آه يا اصحابي قد ضيعت يوما . وفي ايامه هاج بركان جبل يزوف بقرب نابولي وخرب ثلاث مدن واحترق جانب عظيم من مدينة رومية ثم اعقبه وبأ مخيف مات به كثيرون من الاهالي وقد منهم في يوم واحد عشرة الاف نفس فكان تيطس يفتق على المصابين من خزائنه بكل سخاء ثم مرض تيطس بعد ذلك بالحمى فدخل الحمام فمات به فجأة بعد ان حكم ستين وشهرين

ثم خلفه اخوه دوميتيانوس سنة ٨١ وكان قبل نقله منصب القيصري متصفا بمكارم الاخلاق والسيرة الحسنة ولكن بعد جلوسه على كرسي السلطنة تبدلت محاسنه بالقبائح والرزائل فاشبه نيرون في ارتكاب الفواحش وقتل النفوس بدون جناية وكان اذا لم يجد من يقتله سلى نفسه بقتل الذبان حتى لا يخلو دقيقة واحدة من الاذية والضرر قيل ان احد خدامه سئل يوما هل عند الملك احد اجاب ولا ذبانه . وكان مع هذه الاوصاف الذميمة متعظا متكبرا حتى انه لقب نفسه الها وسيدا . وكان يكره اليهود ويبغضهم بغضا شديدا فقتل اكثرهم ثم اضطهد المسيحيين وامر بقتلهم كما فعل نيرون وحبس يوحنا الانجيلي . ومن غريب اعماله انه كان قد استدعى ارباب المجلس يوما الى وليمة اعداها لهم وعند حضورهم دخل بهم الى مخدع مظلم كان قد وضع فيه عدة نوايت مكتوب على كل منها اسم واحد منهم وبعد ان تهدموا بالقتل امر باطلاقهم ويقال انه دعاهم اليه يوما آخر وطلب منهم ان يتذكروا بعضهم مع بعض عن الذ الاطعمة وافضلها وان يعطوا قرارهم عن احسن الاواني المناسبة لطبع جنس من اجناس السمك . وكانت اكثر اعماله على هذا النمط فلما زاد

شره مته الشعب وخذوا عليه فاغروا على قتله اميراً يدعى اسطفانوس فحضر  
اليه بوسيلة كتاب حضر به اليه ثم ناوله الكتاب فيينا كان مشغولاً بقراءته وثب  
عليه وقتله

ثم خلفه نرفا سنة ٩٦ وهو في سن السبعين وكان جواراً انيساً ذا معرفة  
وسياسة ولكنه اذ كان مسناً صعب عليه ان يقوم بانتقال السلطنة وحده فاستدعى  
اليه تراجان حاكمار جرمانيا فتبناه واشركه في الملك معه وعينه خليفة له . وكان  
قد امر برد من كان منفيًا من المسيحيين واباح لهم التمسك بدينهم ورجع يوحنا  
الانجيلي الى افسس

ثم خلفه تراجان المذكور وكان على جانب عظيم من الحكمة والظننة وشدة  
الباس فحنف المكوس واهتم بجلب كل ما يقتضي لراحة الشعب فانشأ القناطر  
واصلح الطرق وجدد الموازي البحرية لتكثير التجارات والمعاملات وبنى في  
رومية ملعباً لسباق الخيل وجدد مكتبة عظيمة واقام العمود الرخامي الايض  
المسمى التراجيان ورسم عليه الحروب التي وقعت بين الرومانيين وباقي الدول  
الاجنبية وجميع انتصارات التياصرة في ذلك الزمان . وكان قد عبر نهري  
الفرات والدرجة بعساكره واخضع ما بين النهرين وبلاد العرب وغيرها من  
الممالك الشرقية وصيرها ولايات رومانية فاشهر ذكره في سائر الاقطار حتى  
ان ملوك الهند بعثوا اليه سفراء ليهنئوه على انتصاره . وكان مضطهداً  
للمسيحيين ومن فرط بغضه لم امر بقتل سمعان بن اكلاوبا اسقف اورشليم وعند  
زيارته انطاكية سنة ١٠٧ امر بطرح اغناطيوس اسقف تلك المدينة الى جب  
الاسود فات شهيداً

ثم جلس بعده على سرير الملك ابن عمه ادريانوس سنة ١١٧ وكان سريع  
الغضب كثير القلب لا يثبت على رأي فكان تارة حليماً واخرى قاسياً جاقياً  
وكان مبغضاً للمسيحيين واليهود فقتل منهم خلقاً كثيراً وهو الذي رم مدينة  
القدس وبنائها بعد ان كانت قد هدمت في حصار نيطس فرجع اليها اليهود

وزادوا في تحصينها وتحصينها وكان قد بلغه انهم يريدون ان يخرجوا عن طاعتهم  
فارسل اليهم العساكر وقتل اكثرهم وخرّب المدينة حتى صارت قاعاً صنفاً  
وكان هذا الخراب لثلاث وخمسين سنة من خراب نيطس

ثم تولى بعد هذا القيصر نيطس انطونيوس سنة ١٢٨ وكان حليماً عادلاً محباً  
للسلام مطبوعاً على مكارم الاخلاق وفي ايامه حصلت المسيحيون على تمام الراحة  
لانه كان قد رفع عنهم تلك الاضطهادات السابقة واعطاهم حريتهم وكانت مدة  
حكومه ٢٢ سنة

ثم خلفه مرقس اوريليوس انطونيوس سنة ١٦١ وكان متمسكاً بذهب  
زينون الحكيم احد الفلاسفة المتقنين وكان منعكفاً على المطالعات والدروس  
واكتساب العلوم والفنون ولكن اذ كانت حالة الملكة يومئذ في قلق واضطراب  
لم يعد يمكنه ان يلتفت اليها بل التزم ان ينهض الى محاربة الولايات التي كانت  
قد عصت عليه في الجهات الشمالية وبخضعها . وفي ايامه فاض نهر رومية فارغ  
الاقاليم المجاورة واضر بالاهالي ثم عقب ذلك زلزلة عظيمة ازعجت المسكونة  
وحدث وباء عظيم هلك به خلق كثير

ثم خلفه ابنه كومودوس سنة ١٨٠ وكان قد شارك ابيه في حرب البرابرة  
ولكنه بعد موت ابيه عقد معهم صلحاً وخالف في ذلك وصية والده ليغتنم فرصة  
التنعم في ملاهي رومية ولذاتها وعند موته قام مكانه بولاية الامر برتيناكس والي  
المدينة سنة ١٩٣ فضح الجند من جرى ذلك لانهم لم يكونوا يريدونه قيصراً عليهم  
فقصدوه نحو ثلاث مئة نفر منهم الى داره وهجموا عليه وقتلوه . فلما خلا سرير  
السلطنة من ملك او ولي عهد استصوب الشعب ان يضعوا المنصب الملكي  
في المزاد فينال من يدفع فيه مالاً اكثر من غيره فاجتمع الاكابر والاعيان  
وارباب الوظائف والاركان واخذ بعضهم يتزايد على البعض فاستقر البيع على  
بوليانوس وكان ذا ثروة عظيمة فبايعوه بالملك وصادقوا على ولايته بدون ارادة  
عامه الجند المنفرقة يومئذ في بريتانيا وسوربا وباني الاقاليم الخارجة الذين



عند وقوفهم على هذا الخبر خلعوا الطاعة وباع جنود كل إقليم ملكاً اخنارو من الفواد حتى كادت الملكة تمزق الى عدة قياصرة فاخترت العساكر المحافظة على سواحل ايطاليا سفيرس القائد قيصرًا على الملكة وكان موصوفًا بالشجاعة وحسن التدبير فقصد رومية بسرعة مع جيشه ودخلها بهوكب عظيم وتبوأ تخت الملكة بدون حرب ولاقتال . وكان المجلس العالمي قد اصدر حكمًا بعزل يوليانوس المذكور وقتله كجرم فقبض عليه الجند وقتلوه بعد ان حكم ٢٦ يومًا فقط وذكر بعثهم ان سبب قتله كان عدم تقديمه العطايا التي كان قد وعد بها ارباب المجلس عند مبايعتهم اياه تخت الملكة . وفي غضون ذلك حدثت حرب أهلية بين شعوب الرومانيين استمرت نحو اربع سنين

وكان سفيرس يقارب يوليوس قيصر في الشجاعة والبسالة والادارة العسكرية فاتتصر على مقاوميه وعاملهم بقساوة لا مزيد عليها وقبض على الذين كانوا قد باعوا كرسي الملكة لسالفه واثار حربًا على الاسكونسيين سنة ٢١١ ومات في مدينة يورك من اعمال انكثرا

ثم تولى بعده ابنه كاراكلا وكان دمويًا شريرًا قتل اخاه وجرح امه في ذراعيها وقتل باكاير الناس وقتل منهم نحو عشرين الف نفس ثم اضطرب واخذة الفلق والوسواس من جرى ذلك ولازمه الوهم والخوف حتى انه كان يرى كثيرًا احلامًا مزعجة فكان يلبي ذاته عنها بالولائم والالعاب المختلفة وكانت نقوده مغشوشة فكانت دنائره الذهبية من نحاس مغشاة بالذهب ومسكوكاته الفضية من رصاص مغشاة بالفضة وكان يخزن المعاملة الخالصة في خزائنه لوقت الزوم والحاجة . وكان يتربي بزري اسكندر المكدوني في اللبس والعوائد حتى انه اتخذ لنفسه ستة الاف من العساكر المكدونية تقليدًا لعساكر اسكندر وعاقى ايضًا مثال اسكندر على الهياكل والمعابد وسمى نفسه اسكندر لتكون هذه التماثيل رمزًا له ثم شرع واستعد للغزو والفتوحات على منوال اسكندر ولكنه لم ينجح فلما رأى جنده حالة المهانة وانحطاط ناموس دولتهم بوجوده قتلوه وهي

بومثذ ببلاد سور يا بدسيسة مكرينوس الحاكم الذي خلفه في السلطنة زماناً يسيراً  
ثم قام بعد مكرينوس المذكور بسيانوس هليوكوبالوس سنة ٢١٨ وكان  
غلاماً بديع الحسن والجمال وقيل له بسيانوس يعني الشمس لحسنه وجماله وكان  
في أكثر الاوقات يتزبي بزى النساء فيضع في عنقه قلادة من ذهب وفي يده  
اساور من الذهب وكان ينشر في قصره انواع الزهور والرياحين وينشر تحت  
رجليه الفضة والذهب فاستفج الناس افعالة فقام عليه الاهالي وقتلوه وكانت مدة  
حكمه اربع سنوات

ثم خلفه ابن عمه اسكندر سفروس سنة ٢٢٢ وكان ملكاً عادلاً حليماً انيساً  
وديعاً الى الغاية وكانت امه مسيحية يقال لها مامه فكان يستشيرها في جميع  
اموره ويعمل برايتها فلها ابطال عبادة الاوثان واخراج الاصنام من رومية ودعا  
الناس الى الديانة المسيحية وكان كثيراً ما يجتمع الاهالي ويعظم بالخطابات المفيدة  
ويدارك بحسن ملاحظته ما يقع من الخلل والفساد في اقطار المملكة وكان ينعم  
على اهل الفنون والصنائع بالجوائز السنية لترغيبهم وتشبيطهم ولم يكن يقبل في  
ديوانه احداً من ارباب الملاهي والالات من المغنين كباقي اسلافه وامر بدفع  
أجور العسكر في اوقاتها وكان يزور المرضى من الجند في خيامهم . وتصدى  
سفروس لحرب الهيم فقصد تلك البلاد بجيش عظيم وعند وصوله الى انطاكية  
عمت عليه فرقة من عسكره وصممت على قتله فقادها الى الطاعة بواسطة  
شجاعته وثباته ثم تقدم تجاه بلاد الهيم وحارب ملكها اردشير واتصر عليه ورجع  
الى رومية ظافراً منصوراً واستمر ملكاً الى ان قام عليه بعض العساكر وهو بومثذ  
في حرب القبائل المتبربرة وقتلوه مع امه بدسيسة مكسيمينوس . وكان السبب  
في ذلك ان سفروس قبل وقوع هذه الحادثة باثنتين وثلاثين سنة وهو اذ  
ذاك قائد الجيوش الرومانية كان قد نزل بجيشه على مدينة تراس وهي مدينة  
مكسيمينوس المار ذكره فامر المصارعين والبهلوانية وجميع ارباب الملاهي  
والحرف ان تلعب امامه ذات يوم وكان مكسيمينوس في ذلك المكان وكان

جباراً عنيداً شديد القوة شرس الاخلاق طويل القامة فتقدم هذا الى امام  
سفيروس وتمثل بين يديه وطلب منه ان ياذن له بالدخول بين زمرة  
المصارعين ليريه شيئاً من براعته فاذن له بذلك فدخل بينهم واظهر من النشاط  
والقوة الشديدة ما ادهش به العقول فاستحسن سفيروس عمله وانشرح من برازه  
وحسن حركاته فقربه اليه وادخله نفراً في سلك عسكره ثم اخذ يده وبرقيه  
في الوظائف والمناصب الى ان صيره من اكابر القواد فلما اشتهر امره وانتشر  
ذكره مجد فضل مولاه واحسانه الذي كان سبباً لارتقائه وحدثه نفسه على قتله  
واعدامه طمعاً بمنصب القيصرية فاخذ يستميل اليه القلوب والخواطر ويجرض  
الجند على قتل سفيروس قبصرهم حتى قاموا عليه وقتلوه كما وصفنا وشرحنا  
وبايعوا هذا الغدار المذكور ونادوا باسمه قيصراً . وقد ذكرنا ما كان فيه من  
القوة والبطش وشراسة الاخلاق فاحقر الناس اشد الاحقار وعاملهم بالجفا  
والاستكبار وكان قد زحف لقتال اهل جرمانيا بالجيوش الرومانية فساء ذلك  
في اعين الشعب وتمنوا له الهلاك نظراً لما شاهدوه من قبائحهم وفظائعهم فرفضوه  
وعزلوه في غيابه باتفاق المجلس العالي وسما مكانه غودريان وابنه غودريان  
الاصغر معاً لداعي لياقتها واهليتها لهذا المنصب العالي وكان غودريان وقتئذ  
عاملاً على ايبالة من اقاليم قرطاجنة في افريقية . وكان الرومانيين حكمدار في  
بلاد المغرب يسمى كابلينوس فلم يوافقهم على هذا العمل ونهض في الحال لمقاومة  
الرجلين المذكورين فقتلها بعد معركة شديدة . فلما بلغ اعيان المجلس في رومية  
هذا الخبر اتفقوا رجلين من افرادهم واقاموها على كرسي الملكة يقال لاحدها  
مكسيموس والثاني بلبينوس وعندما نمت هذه الاخبار واتصلت الى مسامع  
مكسيمينوس القيصر المعزول وهو يومئذ يجارب بلاد جرمانيا استشاط غضباً  
وغيظاً من اعمال المجلس وما اجراه في حقه فارتد راجعاً على الفور قاصداً رومية  
وفي اثناء مسيره حوّل وجهه نحو ايطاليا لينتقم من اخصامه ومبغضيه . وكان  
المجلس قد اصدر امراً الى ولاية ونواب تلك الاقاليم التي لا بد من مرور

مكسيمينوس عليها برفع الذخائر والمؤونة وبأقي اللوازم العسكرية من جميع المدن  
والقرى التي في تلك الأطراف حتى عند وصولها إليها لا يجد فيها ما يستعين به  
على قطع الطريق وكان الأمر كذلك فانه عند قدوم هذا الملك بالجيوش الجزاره  
الى تلك البلاد وجدها خالية من المأكولات ولوازم العسكر وكان قد نفذ زاده  
فساءت اموره وتضعفت احواله فهاج العسكر عليه لشدة ما قاسوا من الجوع  
ومن مشقات الحرب وقتلوه في مضرية . وبعد موته سى المجلس عوضاً عنه شاباً  
اسمه غودريان وهو من نسل غودريان المذكور سابقاً فبايعوه واجلسوه على  
كرسي الملكة . وكانت الفرس في ايامه قد غزت أكثر الولايات الرومانية التي  
في جوارها واستولت على أكثرها بطريق التعدي والعدوان فنهض هذا الملك  
لمحاربتهم وزحف اليهم بالعساكر فحاربهم وانتصر عليهم في أكثر المعارك واستخلص  
منهم تلك الولايات ثم مرض بعد ذلك ومات

## الباب السادس

في اخبار باقي قياصرة رومية الى انقراض السلطنة

وفي سنة ٢٤٤ للميلاد تولى تحت السلطنة القيصرية رجل عربي الاصل  
يدعى فيلبس وكان حاذقاً نجيباً وكان قبل ارفقائه الى هذا المنصب والياً على  
المدينة فهاج عليه الجنود اخيراً وعزلوه . واقاموا مكانه رجلاً يسمى ديسيوس  
وكان من اكابر قوادهم فتحارب الاثنان وكانت الدائرة على فيلبس المذكور فقتل  
بعد ان حكم خمس سنين . وكانت مدة حكم ديسيوس المذكور عديدة الانتظام  
كثيرة الفن والفساد وتولدت هذه الاخلالات والفساد في أكثر الولايات  
الرومانية حتى كادت الدولة تكون على خطر عظيم وتيج أكثر ذلك من سوء تصرف  
القياصرة واغصابهم كرسي الملكة بدون اهلية ولا استحقاق وفي ايام هذا الملك  
سنة ٢٥١ تحرك الغوثيون من الاقاليم الشمالية وخرجوا من بلادهم واجتازوا نهر  
الطونة وحاربوا الولايات الرومانية واستولوا عليها ونهبوها واضروا باهلها فالتزم

ديسيوس ان يسير اليهم لتخليص تلك البلاد من ايديهم فحاربهم نحو سنتين ثم  
 قُبل في تلك الوقائع وخطته قائد جيشه المسمى غالوس فعقد صلحاً مع اولئك  
 البرابرة وارضاهم بالمال لكي يرجع الى حظوظه ولذاته في رومية بدون ان  
 يلتفت الى صالح وطنه . وفي اثناء ذلك زحف الفرس لاستخلاص سوريا من  
 يد الرومانيين وتحرك اهل الشمال ثانية فكانت الحكومة في اضطراب وارتباك  
 بين الشمال والشرق . وكان مع غالوس قائد يدعى اميليانوس فتولج هذا حرب  
 اهل الشمال وبعد انتصاره عليهم طمع في لبس تاج الملك فلأب تنسبه قيصرًا  
 بين جنده وتقدم نحو مدينة رومية ليحارب مولاة فاستهد غالوس لذاته وخرج  
 بالعاكر لاستقباله ولكنه اذ كان مكروهاً من الجند وقواد العساكر قتله وسموا  
 مكانه اميليانوس امبراطورًا

وكان في رومية رجلٌ شخّ اسمه فاليريان قد نسي قاضيًا من طرف المجلس  
 الكبير في ايام ديسيوس وكان محبوبًا ومعزوزًا من جميع الناس فلما بلغه قتل  
 غالوس نهض بجيش عظيم لقتال اميليانوس طمعًا بالقيصرية فالت اليه  
 الجنود وسموه قيصرًا عوضًا عن اميليانوس المذكور . وكان سابور الاول ملك  
 الفرس قد استولى يومئذ على انطاكية ثم قصد مدينة حمص ليستخلصها من ايدي  
 الرومانيين فزحف اليه فاليريان للدفاع عن تلك البلاد واقام مكانه ابنه  
 غلينوس نائبًا في رومية وكان شابًا مهلاً عدم المعرفة في السياسة والامور الحربية .  
 فعند وصول فاليريان الى سوريا اشتبكت الحرب بينه وبين سابور المذكور  
 فانصر سابور عليه بواسطة مكيدة دبرها له فهزم جيشه واخذه اسيرًا وكان يهينه  
 ويحقره ويستصعبه معه اينما حل ويلبسه احسن الثياب الفاخرة ويقصد بذلك  
 الاستهزاء به والتهم عليه وكان اذا اراد ان يركب فرسه طرحه على بطنه وداسه  
 برجله واستمر فاليريان على هذه الحماة التعيسة عدة سنوات ثم مات في اسر  
 الفرس وقام مكانه بالملكة ابنة غلينوس وفي ايامه كانت المملكة الرومانية في  
 اسوأ حال مضطربة من خارج ومرتبكة من داخل بواسطة المغازي والثورات

حتى كادت تشرف على الخراب والدمار وقد انصب عليها في وقت واحد جميع المصائب والنكبات كالقحط وفيض الانهر والابوثة ومع هذه الدواهي كان الامبراطور غلينوس ملتجئاً بولائه ودعواته ومنكباً على مسراته وشهواته غير مبالي باغارة الاعداء ولا مكترث بخراب المملكة وكان يقول ما دام اقليم ايطاليا تحت امري وتصرف يدي فلا ابالي بضباع باقي الاقاليم الخارجية فغضب الجند من فعله وقاموا عليه وقتلوه وانتخبوا مكانه كلوديوس الثاني سنة ٢٧٠ وكان مهوداً من فحول روساء الجيوش . وكان الغوثيون قد جمعوا جيشاً عرمرماً ونزلوا على سواحل البحر الاسود واغاروا على المدن الرومانية في تلك الاطراف فسار هذا الملك لقتالهم وانتصر عليهم نصره عظيمة ومات عقب ذلك بالطاعون ثم خلفه اوريليان قيصر سنة ٢٧٠ وكان بطلاً صنديداً وجباراً عنيداً وكانت ريتانيا وفرانسا واسبانيا في ايامه في حالة العصيان فرحف الى تلك الممالك وبدد شمل العصاة وادخلهم تحت الطاعة والانقياد . وكانت زنوبيا ملكة تدمر ارملة اودينانوس احد القواد الذي كان محالفاً للرومانيين ومظاهراً لهم على الفرس قد قويت شوكتها بعد موت زوجها ومدت يدها لاستخلاص ولايات الرومانيين التي في تلك الجوار فاستولت على اكثرها وساعدتها الاقدار الى انها تملك الديار المصرية ولكنها لم تطل احكامها في مصر حتى طردت منها فقصدتها هنا القيصري الى سوريا وحاربها وانتصر عليها في موقعتي انطاكية وحمص وقبض عليها واخذها اسيرة الى رومية ودخل بها الى المدينة في موكب عظيم وهي متبعدة بزناجير ذهبية . ثم نهض اوريليان بعد ذلك لمحاربة الفرس في اسيا وعند وصوله الى القسطنطينية قامت عليه فتنة من جنده اثارها كاتب سره فقتل عقبها وتولى بعده سنة ٢٧٥ تاسيتوس احد ارباب مجلس رومية بعد فترة ثمانية اشهر بدون ملك وكان من ذرية تاسيتوس المورخ المشهور وكان شيخاً مسناً فاضلاً عاقلاً صافي النية ولكنها لم تطل ايامه فمات في كبدوكية بعد ستة اشهر من حكمه من جرى الاتعاب والهموم التي تراكت عليه .

وخلفه اخوه فلور يانوس الذي لم يكن اهلاً لهذا المنصب ودعا نفسه  
 امبراطوراً قبل قرار المجلس بشيئته قيصراً وكان قائداً جيوش الشرق المدعى  
 برونوس لا يميل لهذا القيصر فقاومه بمساعدة المجلس وتولى مكانه سنة ٢٧٧  
 ونودي باسمه ملكاً . وكانت طوائف البرابرة في اثناء الفترة التي كانت فيها  
 الكرسي بدون ملك اغارت على فرانسوا وما يليها من البلاد ونهبت مدائن  
 كثيرة فانقض عليهم برونوس وبدد شلهم واستخلص منهم المدن والاموال ثم  
 شرع في تحصين الحدود والثغور لاجل صيانة البلاد وكان لا يدع الجند في  
 البطالة بل يستعملهم في الخدمة العمومية كعمارة القناطر والجسور واصلاح شغل  
 الطرق وفتح الترع فغضب الجند من مداومة هذه الخدمة فقاموا عليه وقتلوه  
 ثم خلفه كاروس الوالي وكان قد اشرك معه في الاحكام ابنه كارينوس  
 ونوميريان واذ صم على حرب الفرس اخذ معه ابنة نوميريان واقام ابنة  
 كارينوس نائباً في غنابه وعند وصوله الى ما بين النهرين مات هناك بصاعته  
 على ما قيل سنة ٢٨٢ بعد ان اخضع عدة مدائن في تلك الجهات . فتنازل  
 الرومانيون من هذه الحادثة واقفوا الحرب ثم مات ابنة نوميريان بعد ذلك  
 قتيلاً عند رجوع الجيش من اسيا . واما كارينوس الذي كان قد تخلف على  
 تخت السلطنة بالنيابة عن ابيه فارتكب من الفبايح والشرور ما لم يرتكبه نيرون  
 في زمانه وكان مع ذلك محبوباً من الجميع ما عدا جنود الشرق فانها لم تخضع  
 له ونادت باسم ديوكليتيان الذي كان في اول امره فلاحاً من اهل دلماتيا ثم  
 ارتقى باجهاده الى رتبة قائد جيش من جيوش الرومانيين فلذلك وقع الخصام  
 والنزاع بين عساكر الولايات الشرقية والغربية ونهض الفريقان لمحاربة بعضهما  
 البعض فالتقيا في ميسيا واقتتلا اشد قتالاً وبينما كانت دلائل الانتصار تلوح  
 على صفوف عسكر كارينوس قتله احد قومه وبهوته اصبحت الحكومة في يد  
 ديوكليتيان وكان المذكور ذاهمة ونشاط وكان حكمة ابتداء نظام جديد اكمل  
 في حكم قسطنطين الكبير .

واذ رأى ديوكليتيان اتساع السلطنة وعدم امكان ادارة مهامها كما ينبغي  
 من مركز واحد اشرك معه في الحكومة صديقاً مخلصاً له يدعى مكسيميانوس وساواه  
 بنفسه في نفوذ الكلمة وجعل اقامته في ميلان وولجته زمام ايطاليا وافريقية ثم  
 انتخب رجلين وهما قسطنطينوس مكوروس وغاليريوس وولجها ادارة ولايتي  
 الدانيوب والرين واما هو فعمل دار اقامته في مدينة نيكوميديا في اسيا الصغرى  
 ليكون قريباً من الولايات الشرقية ولاسباً من الفرس ليروي غليظة ويتقم منهم  
 من اجل مهاجماتهم المتتابعة على الاملاك الرومانية ومن اجل الاهانة القبيحة التي  
 اجروها على القيصر فاليريان . واما المجلس الكبير فابقاه في رومية ولبعد المسافة  
 بينها وبين المراكز المتقدم ذكرها كان المجلس عديم الحركة اسماً بلا جسم  
 وكان هذان الامبراطوران يشتركان في تدبير المملكة معاً مع غاية الوفق  
 والحدة وكانا يرضيان وينهيان في الاشغال الكلية والجزئية من تلقاء انفسهما بدون  
 سوال فكان ديوكليتيان راس الدولة ومكسيميانوس عضدها . وفي ايام هذا  
 الملك ذهب قسطنطينوس القائد واخضع بريتانيا التي كانت قد اظهرت العصاوة  
 واستقلت بنفسها من عهد عشر سنين . وبينما كان غاليريوس مشغولاً في حرب  
 الغوثيين ومكسيميانوس منهمكاً في اطفاء نيران الثورات في افريقية كان  
 ديوكليتيان موجهاً كل عزمه ومستعداً لمقاومة الفرس فانتهاز فرصة الاضطراب  
 الكائن وقتئذ في بلاد العجم بسبب تسمية الملك نارسيس وارسل تيريادانيس ملكاً  
 على ارمينية التي كان سابور قد اقتنحها وجعلها من ملحقات مملكته ورفع مداخلته  
 الرومانيين من حق تسمية ملوكها . وكان تيريادانيس المذكور من ذرية ملوك  
 ارمينية وكان يومئذ مقيماً في رومية تحت حماية الرومانيين منهزماً من وجه الفرس  
 فلما وصل الى ارمينية ترحب به الاهالي ونادوا باسمه واستقرت له الولاية مدة .  
 ولكن لما استقام حال بلاد فارس وسكنت الفتن والاضطرابات خاف تيريادانيس  
 من هجوم العجم عليه واستغاث بالرومانيين فعند ذلك زحف ديوكليتيان لحرب  
 الفرس فانتصر عليهم في عدة مواقع ثم عقد معهم صلحاً بهم ان يستولى على جملة



ولايات وجعل ارمينية من ملحقات رومية وبعد ذلك ارتد راجعاً الى رومية وفي السنة المحادية والعشرون من ملكه تنازل عن الكرسي الملكي سنة ٢٠٤ وسكن في دلمانيا وجعل صاحبه مكسيميانوس بتغى ايضاً في نفس ذلك اليوم . ولكن مع كل الشهرة والعظمة التي اكتسبها ديوكليتيان جلبه عاراً عظيماً على اسمه بسبب الاضطهاد الفظيع الذي اثاره على المسيحيين في كل اقاليم سلطته اذ كان قصده ان يحوثرهم ويظفي خيبرهم من على وجه الارض ومن فريد اعماله انه امر يوماً وهو في مدينة نيكوميديا بحرق ٦٠٠ نفس من المسيحيين كانوا مجتمعين يوم عيد الميلاد للعبادة فات جميعهم

اما عدد الاضطهادات التي اثارها قياصرة الرومانيين على المسيحيين فهي عشرة اولها سنة ٦٤ للميلاد في زمن نيرون . الثاني سنة ٩٥ في ايام دوميتيان . الثالث سنة ١٠٧ في ايام تراجان . الرابع سنة ١١٨ في ايام ادريان . الخامس سنة ٢١٢ في ايام كاراكلاً . السادس سنة ٢٣٥ في ايام مكسيمينوس . السابع سنة ٢٥٠ في ايام ديسيوس . الثامن سنة ٢٥٧ في ايام فاليريان . التاسع سنة ٢٧٤ في ايام اوربليان . والعاشر سنة ٣٠٣ في ايام ديوكليتيان المذكور . وبعد هذا الملك انتقلت الامبراطورية الى قسطنطينوس كلوروس الذي كان اقامه ديوكليتيان مع غاليريوس كما سبق الكلام وبقي امبراطوراً نحو ١٥ شهر حين وقع مريضاً في مدينة يورك من اعمال انكلترا ولما بلغ ذلك ابنة قسطنطين اسرع سرا من نيكوميديا وقصده الى هناك فوصل قبل وفاته فسماه خليفة له وصادق له على ذلك اهل بريطانيا ونودي باسمه فيها سنة ٣٠٦ ثم زحف على فرانسوا وبعدهما دبر امورها سار الى ايطاليا وكان المجلس الكبير غير راض بقسطنطين فهيج الاهالي ضده ونادوا باسم مكستينوس بن مكسيميانوس امبراطوراً في رومية فقهره قسطنطين بعد حرب تذكر وقتله ثم انتصر على باقي المقاومين واخضع البلاد شيئاً فشيئاً حتى استبد بالسلطنة وحده بدون منازع . وكان الملك قسطنطين عظيم الهامة صحيح البنية شديد الباس لايبالي

بالمشقات والاختار ولا يكمل من الاتعاب والاسفار وكان مع ذلك مشهوراً بكمال  
الرافعة والشفقة منفرداً بالاصناف الحميدة والاراء الصائبة السديدة فلم يغفل عن  
صالح الحكومة وعن استجلاب رضا الشعب وبالجملة كان من افراد الرجال  
وصناديد الابطال . وقد امتازت ايامه عن باقي ايام القياصرة بامر من عظيمين  
اولها نقل كرسي السلطنة الى القسطنطينية والثاني اعناقته في سنة ٢١٢ اديانة  
المسيحية وشدة تمسكه بها حتى لم يكن احد من الملوك اشد حمية منه عليها فجعلها  
ديانة الولاة والحكام وهدم هياكل الاصنام واذ لم يكن في ذلك الوقت استنف  
عام على جميع الكنائس فكان هو في واقع الامر صاحب القول عليهن . وفي ايامه  
ظهر الاعتقاد الاربوسي الذي قاومه اثناسيوس رئيس اساقفة الاسكندرية فامر  
قسطنطين بالثام مجمع اكيريكي في مدينة نيس في ايطاليا فتفر به هرطقة  
اربوس وكان ذلك اول مجمع مسكوني . وقيل ان سبب نقل قسطنطين سرير  
السلطنة الى القسطنطينية هو انه لما دخل الى مدينة رومية في اول امره مؤيداً  
منصوراً لم يبق من اهلها بشاشة وجه وترحيب وذلك لتمسكه بالديانة المسيحية  
فغضب من ذلك ولا سيما من انعكاف الاهالي على العبادة الاصنامية وصم على  
ان يبنى مدينة غير رومية يجعلها مقر الحكومة ودار السلطنة فاختر مدينة  
بيزانتيا لتزاهتها وحسن موقعها بين اوروبا واسيا ولكونها مشرفة على ثلاثة اجز  
فرسها وبنى اسوارها وقصورها وانها على احسن حال فرغب الاهالي فيها لكثرة  
منافعها وفوائدها وقصدها الناس من جميع الاقطار واشتهرت بالقسطنطينية  
نسبة لقسطنطين . وكان قسطنطين هذا قد افرز من خزائنه مبالغ جسيمة من  
الاموال لاجل قيام الكنائس في مدينة اورشليم وفي الاراضي المقدسة فاتخذت امة  
هيلانة على ذاتها العناية بذلك فسافرت من القسطنطينية في بعض شهور سنة  
٢٢٦ الى اورشليم وكان سفرها المذكور علة لسعادة سكان تلك البلاد الذين  
كانوا يلتجئون اليها من اغنياء وفقراء وارامل وايتام ومديون ومرضى ومحبوسين  
فانها كانت تعولهم وتنقدهم وتوزع عليهم الاموال الكثيرة وعند وصولها الى

القدس هدمت معبد الزهرة الذي كان الوثنيون قد شيّدوه على جبل الحجلة  
ثم اعثنت بكشف قبر المسيح ويقال انها وجدت بقايا من الصليب فجاءت بها  
الى القسطنطينية. وكانت هذه الامبراطورة قبل اعتناقها الديانة المسيحية متزوجة  
بقسطنطينوس كلوروس ابي قسطنطين الذي لم يكن وقتئذ سوى قائد من  
القواد الرومانية. فلما صار قيصرًا أطلقها بحسب عادة الرومانيين الوثنيين طمعا  
بزواجه ثاودورة ابنة الامبراطور مكسيميانوس فلما ارتقى ابنها قسطنطين الى  
كرسي القيصريّة بعد موت ابيه ارسل فاحضراة ميلانة الى البلاط الملكي  
وشرفها بتسمية اوغسطا اي ملكة ثم عرفها بمجديقة الديانة المسيحية التي كان قد  
اعتنقها فتنصرت من يومها وانعكفت على العبادة وكانت غبورة على اقتناء  
الفنائل الانجيلية

وعند وفاة قسطنطين سنة ٣٣٧ انقسمت الملكة بين اولاده الثلاثة وهم  
قسطنطين الثاني وقسطنطيوس وقسطنس وكانوا قساة القلوب منعكفين على  
الملاهي والتنعّات التي من شأنها ان تهدم اركان النجاج وتفسد الازهان فكان  
اول شيء فعلوه انهم اصدروا امراً يقتل سبعة اشخاص من اقربائهم خوفاً منهم  
على الاحكام ثم اخذوا يعدمون باقي اعضاء عائلتهم شيئاً فشيئاً حتى لم يبق منها  
سوى ولددين ضعيفين من ابناء عمهم ثم وقع بينهم الشقاق والخلاف وعادي كل  
واحد منهم الآخر. وفي تلك الاثناء نهض سابور الثاني ملك الفرس لغزو الولايات  
الرومانية فوافاه قسطنطين احد الاخوة المذكورين الذي كان سهمه في القسم  
الشرقي من الملكة واتشبت بينها حرب شديدة استظمرت فيها الفرس ثم انتهى  
الحال بوقوع الصلح بين الفريقين. وعند رجوع قسطنطين الى بلاده وقع بينه  
وبين اخيه قسطنس منازعة مات بسببها سنة ٣٤٠ وبقي قسطنس وحده حاكماً  
على الاقطار الغربية مدة عشر سنوات الى ان قتله مغنطيوس قائد الجيوش  
الرومانية في غالبا طمعا باخلاس منصبه. ولما بلغ قسطنطيوس قتل اخيه  
استشاط غضباً ونهض في الحال بجيش عديد للانتقام من مغنطيوس فاتصر

عليه بعد عدة وقائع هائلة قُتل فيها اربعة وخمسون ألفاً من خاص عسكره واذ  
 رأى مغلنطيوس ما حل به من الذل والنكال قتل نفسه  
 فهذه الثورات المتتابعة زعزعت اركان الدولة الرومانية وجعلتها في خطرٍ  
 عظيم فكانت برابرة الشمال تهجم عليها من جهة المغرب واكاسرة الفرس تنهددها  
 من جهة المشرق فتضيق قسطنطيوس من جري ذلك ولم يعد يرى نفسه كفواً  
 للقيام بجميع مهام المملكة فاشرك معه ابن عمه يوليان وسماه قيصرًا على الولايات  
 العالية فسار يوليان الى قتال الافرنج وحلفائهم الذين كانوا قد غزوا البلاد  
 فحاربهم وانتصر عليهم واشتهر اسمه بين الجنود ومالت اليه القلوب حتى انه اقيم  
 امبراطوراً سنة ٢٦٦ . وكان قد صم على قتال قسطنطيوس طمعاً ان يستقل  
 بنفسه على اقطار المملكة فجدد الجنود وسار بنفسه قاصداً القسطنطينية وكان  
 قسطنطيوس يومئذٍ مشغولاً بحرب الفرس فات قبل وصول يوليان اليه وموته  
 انفرد يوليان باحكام المملكة وتلقب بالجاحد لانه حجد الديانة المسيحية واعاد  
 الديانة الوثنية سنة ٢٦٢ ولما صفا له الوقت وراق استعداد لحرب الشرق فتقدم  
 نحو اسيا فشتى في انطاكية ثم حوّل وجهه نحو القدس فاقوع بسوريا الوبال  
 واخذ يجمع اليهود الى اورشليم وابتدأ بعمار هيكلهم لكي يبين بذلك فساد الكتب  
 المقدسة ويكذب نبوة المسيح بهذا الشأن وذكر اميانوس احد مورخي الامم الذي  
 عاش في تلك الايام انهم اذ كانوا يبخرون الاساس خرجت نارٌ من الارض  
 وحرقت القعلة وسمعوا رعوداً وشرارات نارية تخرج من الصخور فكفوا عن العمل .  
 ثم قصد بلاد الشرق فاجتاز الفرات وحارب الفرس فانتصر اولاً ولكنه انكسر  
 اخيراً وبينما كان يحاول الفرار جرح جرحاً بليغاً مات به . وموته نودي باسم  
 يوفيان امبراطوراً مكانه سنة ٢٦٣ فعقد صلحاً مع الفرس بعد ان اعطاهم اربع  
 ولايات رومانية . وفي ايامه تشيدت النصرانية ثانية ولكنه توفي قبل رجوعه الى  
 القسطنطينية

ثم خلفه فالنتينيان قائد الحرس سنة ٢٦٤ وكان فظاً غليظاً فاشرك معه

في المملكة اخاهُ فالانس وخصه باحكام البلاد الشرقية وابقى لنفسه الممالك المغربية ثم سار بنفسه لقتال البرابرة في شمالي اوروبا فخاربههم واتصر عليهم ولكن مع كل ذلك كانت المملكة تزداد سقوطاً يوماً بعد يوم لان الحروب الداخلية التي حدثت في مدة حكم اولاد قسطنطين الكبير اهلكت جانباً عظيماً من العساكر وتركت حدود المملكة عرضة لمهاجمات الاعداء وغاراتهم . وكان هذا الملك يعاقب على الذنب باشد العقاب ولذلك كان قد حبس دينين مقترسين في قفص واجاعهما حتى اذا اراد قتل احد اطلقها عليه

ثم مات هذا القيصر سنة ٢٧٥ بعد ما حكم ١٢ سنة تقريباً وترك المملكة الغربية لابنه غراطيان بينما كان فالانس متولياً على الشرقية وكان قد اشترط على غراطيان ان يشارك معه اخاهُ الاصغر فالثينيان الثاني الذي كان وقتئذٍ قاصراً . وفي تلك الاثناء قام الهونيون ( وهم قوم برابرة اشداء من سكان اسيا الشمالية ) على الغوثيين الذين كانت احكامهم ممتدة من بحر البلتيك الى حدود نهر الدانوب فخاف منهم الغوثيون والتجأوا الى فالانس المذكور وطلبوا منه ان يبيدهم ويأذن لهم ان يسكنوا في بلاده فاجابهم الى سواهم واقبلهم في ملكه وسخ لهم ان يتاجروا ويتعاطوا اسباب التجارة وكان عددهم نحو مليون نفس . وكان الرومانيون يجورون عليهم ويعاملونهم بكل قسوة حتى لم يعد لهم استطاعة على الاقامة بينهم فخلعوا طاعتهم وصموا على استخلاص المملكة من ايديهم فاعتزلوا بسلاحهم وزحفوا بجمعهم على القسطنطينية وحاصروها فخرج الامبراطور فالانس لقتالهم بعساكر المدينة وانتشب القتال بين الفريقين فكانت الدائرة على الرومانيين فانهزمت جموعهم وجرح امبراطورهم ثم مات عقب ذلك . ولما اتصل هذا الخبر الى غراطيان امبراطور المملكة الغربية نهض لانتقاذ المملكة الشرقية والانتقام من القوم ولكنه اذ راي ضعف حاله وانحطاط سطوة حكومته اشرك معه رجلاً يسمى ثيودوسيوس وكان اسبانيولي الاصل موصوفاً بالحذافة وحسن التدبير فولاهُ عوض فالانس فنجح ثيودوسيوس واصلح الاحوال في اثناء اربع سنين بحسن

سياسة وتديره وعند صلحا مع الفوثيين بعد ان اخضعهم وفي غضون هذه الحركات قام في الغرب القائد الروماني المدعو مكسيموس وزحف بجيش جرار على فرانسوا ونسى امبراطورا وكان غراطيان وقتئذ في بارنزفرفر هاربا الى مدينة ليون وهناك قتل بوشاية مكسيموس المذكور ثم نهض مكسيموس بعد ذلك لمحاربة ايطاليا طمعا باشهار نفسه امبراطورا على جميع الممالك الرومانية . وكان لغراطيان زوجة تدعى جوستينا وولد يسمى فالنتينيان الثاني وابنة اسمها غلا فهربت جوستينا مع ولديها الى ثيودوسيوس واستجارت به فالتقاهما بالترحاب والتجميل وتزوج بابنتها غلا ثم استعد لحرب مكسيموس فنهض بجيش عديد وحاربة فظفريه وقتله واعاد الملك الى فالنتينيان بن غراطيان سنة ٢٨٨ غير انه لم تطل ابامه حتى مات وبهونه انفرد ثيودوسيوس بحكومة السلطنة الرومانية وحده ومات سنة ٢٩٥ في مدينة ميلان

## الباب السابع

في انقسام الدولة الرومانية الى سلطنتين وانقراض الغربية منها

وكان لثيودوسيوس المذكور ولدان احدهما يسمى اركاديوس والاخر يسمى هونوريوس قسم بينهما السلطنة في حياته وجعلها امبراطوريتين مستقلتين احدهما امبراطورية المشرق وكرسيها القسطنطينية والثانية امبراطورية المغرب وكرسيها رومية فتولى هونوريوس على المغرب واخوه اركاديوس على المشرق . وكان لهونوريوس وزير من افاضل الناس يقال له ستيلىكو من قوم الفنجال فكان يوده ويستشير في جميع اموره نظرا لادارته وحسن سياسته . وكانت الممالك التابعة رومية وقتئذ ايطاليا وافريقية وفرانسوا واسبانيا وبريتانيا وعدة ولايات في بافاريا والنمسا وغيرها ولكن مع كثرة هذه الولايات والتلكات التي

تدل على عظم السطوة الرومانية لم يعد الرومانيون قادرين على المدافعة عن انفسهم  
وحفظ بلادهم من غزوات البرابرة المتصلة لان انقسامهم وتحزبهم من الجهة  
الواحدة وانعكافهم على الملاهي واللذات من الجهة الاخرى استاصلت منهم تلك  
الحماسة والبسالة التي اشتهروا فيها قديماً وجعلتهم يرتضون بمجالتهم مما كانت  
دنية ويسلمون انفسهم للفدر فكانت الاعداء تغزومهم وهم وقوف وان نهضوا  
لمقاومتهم خسروا وتهقروا بحيث لم يبق ادنى ريب من جهة سرعة انقراض  
تلك السلطنة العظيمة لاسيا بعد انقسامها . وحدث في سنة ٤٠٢ ان قوماً من  
الغوث المقيمين في الغرب تحت رياسة قائد يقال له الاريك دخلوا بلاد اليونان  
ونهبوا اكثر مدائنها وهدموها وكان لامبراطور الشرق وزير يدعى روفينوس  
موصوفاً بالحفاقة وحسن التدبير فاقنهم بحسن سياسته ان يخرجوا من بلادهم  
ويقصدوا بلاد ايطاليا حيث الغنائم الكثيرة ووعدهم سراً بالمساعدة والامداد  
فبيده الراسطة ابعدهم عن اراضي الملكة الشرقية والتي سخطهم على هونوريوس  
الذي بمساعي وإدارة وزيره ستيليكو امكنه ان يصادم غاراتهم وهجاتهم المتتابعة  
ويبعدهم عن بلادهم مؤقتاً . ثم بعد هذه الحادثة بايام يسيرة نقل هونوريوس  
سرى السلطنة من مدينة ميلان الى رافينا وفي غضون ذلك اغار على الرومانيين  
اقوام من قبائل جرمانيا المتحالفين وكانوا نحو مئتي الف رجل تحت رياسة ملكهم  
رودوغاست فالتقاهم ستيليكو الوزير بعساكر الرومانيين وبعد قتال شديد  
انتصر عليهم فقتل ملكهم وبدد جموعهم ثم قصد بلاد غاليا بعد هذه النصره  
فاوقع باهلها وامتلكتها من حدود الرين الى جبال البرن . ولما اشتهر امر هذا  
الوزير حسده اكثر الناس فوشوا به الى هونوريوس واتهموه بخيانه كاذبه فامر  
بقتله بدون فحص ولا اثبات وموته تشددت عزائم ملك الاريك على قتال  
الرومانيين فرحف ثانية على رومية بجيش جرار ونهدد اهلها بالهلاك والخراب  
فخاف الشعب من كثرة الاعداء المتجمعة عليهم واذ لم يمكنهم المدافعة تعهدوا لملك  
الاريك بدفع مبالغ وافرة اذا رفع عنهم تلك البلية فاجابهم الى ذلك وانسحب

عنهم ولكنه اذ رأى منهم عدم الوفاء في ما اتفقوا عليه عاد اليهم بعزم اشد من الاول فخارهم وافتتح لبلدته عنوةً واتى فيها النهب والسلب بعد ان قتل الوفا من الاهالي واحرق جانباً منها . ثم قصد جنوب ايطاليا حيث كان مزعماً ان يركب البحر المتوسط ويجتاز الى افريقية ليفتحها ولكنه مات في اثناء ذلك وخلفه اخوه ادولفوس . وكان قصد هذا الملك ان يجعل رومية سرير سلطنة الغوثيين ثم عدل عن هذا الفكر خوفاً من عدم امتزاج شعبه المتوحش مع شعب الرومانيين المتمدن فاختر السكن في مكان اخر يناسب حالة شعبه فنكرو ايطاليا وسار مع جنده وانتوطن في اسبانيا بعد ان تسمى ملكاً على ايطاليا اربع سنوات وتزوج يلاسيلا اخت هونوريوس . اما الرومانيون فكانت سطوتهم وشوكتهم تضعف يوماً بعد يوم بحيث التزم هونوريوس ان يتنازل عن زمام احكام بريتانيا وعن اراضي جرمانيا العليا والسفلى ثم توفي عقب ذلك بعد ان حكم ٢٨ سنة وخلفه قسطنطينوس احد قواد الرومانيين المشهورين . وكان هذا القائد قد تزوج بيلاسيلا المذكورة عقب رجوعها من ايطاليا بعد وفاة زوجها في اسبانيا ولكنه لم يستقر بالخلافة الا زماناً يسيراً حتى قام عليه البعض وقتلوه فخلفه ابنه فالنتينيان الثالث واذ كان عمره ست سنوات كانت امه تحكم بالوكالة عنه وفي تلك الايام زحف جنساريك ملك القندال في اسبانيا الى افريقية فغزاها واستخلص جميع الولايات الرومانية من يد بونيفاس الوالي الروماني . وفي اثناء ذلك خسرت رومية ايضاً ملكاتها الاسبانيولية والفرنساوية حتى لم يبق لها الا بلاد ايطاليا التي انسلخت عنها بعد ذلك بقليل

وفي ايام هذا الملك سنة ٤٥٢ غزا ايطاليا اتيلا ملك قبائل الهون وبينما كان قاصداً مدينة رومية ليفتحها توفي قبل وصوله اليها فلم يلحقها منه اذى . ثم قتل فالنتينيان الثالث سنة ٤٥٥ وخلفه عشرة ملوك لم نذكرهم حياً بالاختصار وكان اخرهم رومولوس اوغستولوس وفي ايامه تجمعت قبائل الهول القاطنة يومئذ على شطوط بحر البلتيك وزحمت تحت راية ملكها اودواكر فغزت بلاد



بافاريا والنمسا ثم تقدمت على رومية واستفتحها ومات رومولوس المذكور عقب ذلك سنة ٤٧٦ وانقضت به الدولة الرومانية بعد قيامها ١٢٢٩ سنة . وما يستحق العجب ان اول ملك اسس هذه المملكة كان رومولوس الاول واخر ملوكها هو رومولوس الثاني وهذا من غريب الاتفاق .

## الباب الثامن

### في عوائد الرومانيين القدماء وبعض اصطلاحاتهم

ان الرومانيين كانوا ينقسمون الى قسمين اي الاشراف والعوام ثم بعد ذلك أُضيف الى هذين القسمين قسم ثالث يُعرف بمجرب الاسياد وهو في درجة وسطى بين الاشراف والعوام وحدث بينهم من جرى ذلك منازعات ومخاصمات كثيرة . واما روساء الدين فكانوا يُنتخبون من اعيان الاهالي وكانت وظائف روساء الكهنة ذات اهمية سياسية عظيمة لانهم كانوا مولجين بتقديم الذبائح البشرية للآلهة ويعتنون بالطقوس الدينية ولكنة الخرافات الكثيرة وقسدا قاموا جمعية من الناس المنجمين والمبصرين لاجل تفسير الاحلام والالهامات والمناظر الغريبة والانبياء عن امور مستقبلية وكانوا يستندون في تفليكاتهم على هيئة السماء وهيئة امعاء الحيوانات والطيور وغير ذلك وكان الرومانيون يعتقدون بها كل الاعتقاد . وكان اولئك المنجمون في رومية يفسرون للشعب ارادة الآلهة من جهة اشهار الحرب او عند الصلح حتى لم يكن احد يجسر على مناقضتهم ومن فرط اعتقاد الناس بهم لم يباشرا احد عملاً مما قبل ان يستشيرهم وياخذ رأيهم فلذلك كانت وظيفة المنجم ذات اهمية عظيمة حتى كان كثيرون من خواص ارباب المجلس العالي يجتهدون في الحصول عليها . وكان كانوا وسيسرون المعدودان من افراد رجال رومية في العالم وذكاة العقل من جملة اولئك المنجمين ولكنها لم يكونا يعتقدان في تلك الخيل والخرافات الكاذبة ويقال ان

كانوا المذكور قال يوماً لأحد اصحابه كيف يمكن ان ينظر مني الى وجه مني اخر  
ولا يضحك

اما ديانة الرومانيين فهي مستعارة من الديانة اليونانية وكانت عبادة  
جوبيتراي المشتري وغيره من الآلهة متضمنة فيها . وكانوا يعتقدون باله  
خصوصي لكل من فضائل الناس ورزاياهم وقواهم الجسدية والعقلية ولكل شيء  
مادي او جوهري من العالم المنظور وغير المنظور وكان لهم ايضاً الهة خصوصية  
لكل واد وجبل وساقية وكثيراً ما كانوا يؤتاهون علماءهم وابطالهم العظام  
وبالاختصار ان جميع انواع العبادات الوثنية كان نجائزاً استعمالها في رومية .  
اما اليهود والمسيحيون الذين لم يكن بينهما فرق عند الرومانيين فكابدوا مشقات  
كثيرة بسبب الاضطهادات البربرية التي اثارها عليهم اولئك القوم واستمرت  
الحال على مثل ذلك مدة طويلة حتى انتصرت اخيراً العقائد النصرانية على  
تلك الخرافات الباطلة وصارت ديانة السلطنة . وكان للرومانيين هياكل كثيرة  
جميلة البناء مزخرفة بالمخوتات المستخرقة وملوذة من التقدّمات التي كان الشعب  
ياتي بها وكان عدد اكبرها واشهرها ما ينوف عن الاربعة مئة وكان الكهنة  
يخدمون في تلك الهياكل ويقدمون ذبائح من الثيران والغنم وغيرها من  
الحيوانات . وكان لهم هياكل اخرى برسم الآلهة التي من الطبقة الثانية وهي اقل  
ظرفاً من الاولى ودعوها البيوت المقدسة وكان في بيت كل عائلة غنية معبد  
مخصص بها لاجل عبادة الهتها الخصوصية

اما الزواج فكان عندهم من الامور الضرورية وعاقبوا من امتنع باشد  
القصاصات الصارمة وفي بعض الاجيال فرض قضائهم وقتاً مخصوصاً لزواج  
الشبان فيلتزم من بلغ السن المعين ان يتزوج في برهة محدودة وجعلوا ذلك  
فريضة شرعية . وكان اوغسطس ايضاً يشدد القصاصات على الذين يتوقفون  
عن الزيجة ويمنع كثيري النسل عطايا كثيرة . وكانوا يخطبون البنات مدة  
طويلة قبل عقد الزواج الذي يجرونه باحتفال عظيم بحضور الكهنة والمنجبين

ويحرقون شروط الزيجة بحضور جمهور من الشهود وكان الثريان يثبتان تلك الشروط بقشة يكسرانها امام الحاضرين وبعد ذلك ينادي العريس عروسة خاتماً تلبسه في الوسطى من يدها اليسرى لاعنقادهم انه يوجد عرق يمتد من تلك الاصبع الى القلب ثم يختمون احتفالهم بضيافة بقيتها ابو العروس . وعند تنشيط العروس وقت الزفاف كانوا يفرقون شعرها بسنان ربح اشارة بانها



هيئة ملابس الراس عند نساء الرومانيين القدماء

ستكون عن قريب قرينة مقاتل ثم يتوجونها باكليل من زهور ويضعون على راسها مندبلاً يليق بها وعند نهاية لابسها يرافقها الى بيت العريس ثلاثة صبيان من كان والدوهم احياء وتُجمل امامها خمسة مشاعل ومردن ومغزل . وعند وصولها الى البيت تربط جوانب الباب بحبال من صوف مغمسة في شحم مذوّب لاجل منع قوة السحر وبعد ذلك يجملونها ويدخلون بها الى الغرفة اذ لم يكن يسمح لها ان تدوس العتبة برجليها ثم يتقدم العريس ويهديها مفاتيح البيت

مع اناءين فيها ماء وناز . ثم يصنع ضيافة عظيمة لجميع اهل العرس مصحوبة  
بالاث الطرب والرقص وكان المدعوون ينشدون مدائح للعريسين  
وكانت العادة عند الرومانيين ان يحرقوا موتاهم كما كانت تفعل اليونان  
في الازمنة القديمة غير ان هذه العادة القبيحة لم يكونوا يستعملونها الا في ايام المشيخة  
الاخيرة وبعد ذلك ادرجت في اقطار الملكة واستمرت الى حين دخول  
الديانة المسيحية وكانوا يفركون جثث الاموات بانواع الطيب ولبسونهم الثياب  
الفاخرة وياقونهم على فراش مغطى بالزهور ويزينون ابواب البيت باغصان  
السرو . واذ كانوا يعتقدون ان شارون الموكل بارواح الاموات لا يحمل روح  
الميت ويعبر بها نهر الموت ما لم ياخذ الرسم المعين كانوا يضعون قطعة صغيرة  
من النقود في فم الميت رسم شارون المذكور . وكانوا يوقدون المشاعل ويحلقونها  
امام الجنازة واقرباء الميت واصدقاءه يحلقون جسده على نعش مكشوف  
مغطى باثن الاقمشة وموكب الجنازة يسير تحت ادارة شرط الرومانيين . فاذا  
كان الميت جنديا يضعون عليه علامات رتبته وترافقه الجند منكبي الاسلحة  
امامه حسب العادة الجارية الآن وكانوا يحلقون امام النعش تماثيل الميت وتماثيل  
سلماته وبعد ذلك ياتي الموسيقيون والندابون والرقاصون والمهرجون ويمشون  
امام الميت ثم يسير وراء النعش اهل الميت وبنائه في الملابس المحزنة بلطن  
ويهدبته مكشوفات الرؤوس ومحلولات الشعور ثم القضاة والاشراف بدون  
ثياب رسمية ثم عبيد الميت الذين كان قد حررهم في مدة حياته لابسين طرايش  
الحرية . اما جنازة العطاء والاعيان من ذوي الرتب فامتازت عن غيرها في  
الاحفال والمناح التي تتناشدها اصحاب الميت فوق جثته في الكايتول وكان  
ذلك كثير الاستعمال في اواخر مدة المشيخة وعند نهاية هذه الاحفالات كانوا  
يرشون القبر وينثرونه بالزهور ويودعون الميت وداعا اخيرا وبعد ذلك  
يرش الكهنة جميع الناس الحاضرين بالماء ويصرفونهم الى بيوتهم . ولكن لما  
ادخلت عادة حرق اجساد الموتى كانوا يطرحون الجسد على حزمة من حطب

على شبه مذبح ثم يدور الجمهور حوله بكل هدو على صوت آلات الموسيقى ثم يتقدم احد الاقرباء بمشعل ويضرم النار في ذلك الخطب ثم يلقون الاطياب في اللهب ويطفئون الوقيد المشتعل بالخمر ثم يجمعون الرماد في آنية ثينة وياقونها في قبر العائلة . واذا كان الميت من طغمة الجنود فيضرون سلاحه والغنائم التي يكون قد سلبها من العدو على الخزنة المقدم ذكرها لتحرق مع البقية

واذ كان الاعتقاد العام عند الاقدمين بان ارواح الاموات يسرها سفك الدم كانوا يذبحون على قبر الميت تلك الحيوانات التي كان يميل اليها في مدة حياته . واما في الازمنة القديمة المتوحشة فكانت تلك الذبائح بشرية فكانوا ياتون بالعبيد والاسرى ويزبحونهم على قبور ساداتهم واحيانا كان ياتي بعض الاصحاب ويقدمون انفسهم للذبح حبا بالمتودين وجرث بعض حوادث نظير هذه بين الرومانيين الاقدمين لكنهم مع تمادي الايام ابدلوا تلك العادة القبيحة عندما ابتدأوا يتدنون

اما صنائع الرومانيين القدماء فانحصرت في حراثة الارض وبعض مهن بسيطة متعلقة بها وكانوا يعتبرون امهر الحراثين كافضل الناس . وكان الحراثون يميلون الى الخرافات فكانوا يمتنعون عن الاشغال كافة في خامس يوم من الهلة . وفي السابع والعاشر منه كانوا يزرعون الدوالي ويضعون البير على صغار البقر لاجل الطبيع . وفي العاشر منه يباشرون في السفر . وكانوا ياتون بحجبة حمار ويعلقونها على حدود الحقول لاعتقادهم بان ذلك ما يحسن تربتها ويمنع عنها الجمل . وفي زمان المشيخة الاولى لم يكن في بساتين الرومانيين سوى قليل من انواع البقول واشجار الفاكهة واما التفاح والكرز وغيرها من الاثمار اللذيذة والزهور الجميلة فقد استجلبوها من بلاد العجم واسيا الصغرى بعد مدة طويلة . وكانت العادة عندهم ان يظلوا مساطب جنائهم وماشيها باغصان الدوالي ويعلقون فيها التماثيل ويحيطونها بسياج من مرتفعة من الشوك والعليق . والمرجح ان الرومانيين اكتسبوا معرفة زرع الكروم واستخراج الخمر من اليونانيين فكانوا

وقت استخراجهم يتهمون ويفرحون ويصبون الخمر الجديد على الارض اكراماً  
للمشركي والزهرة

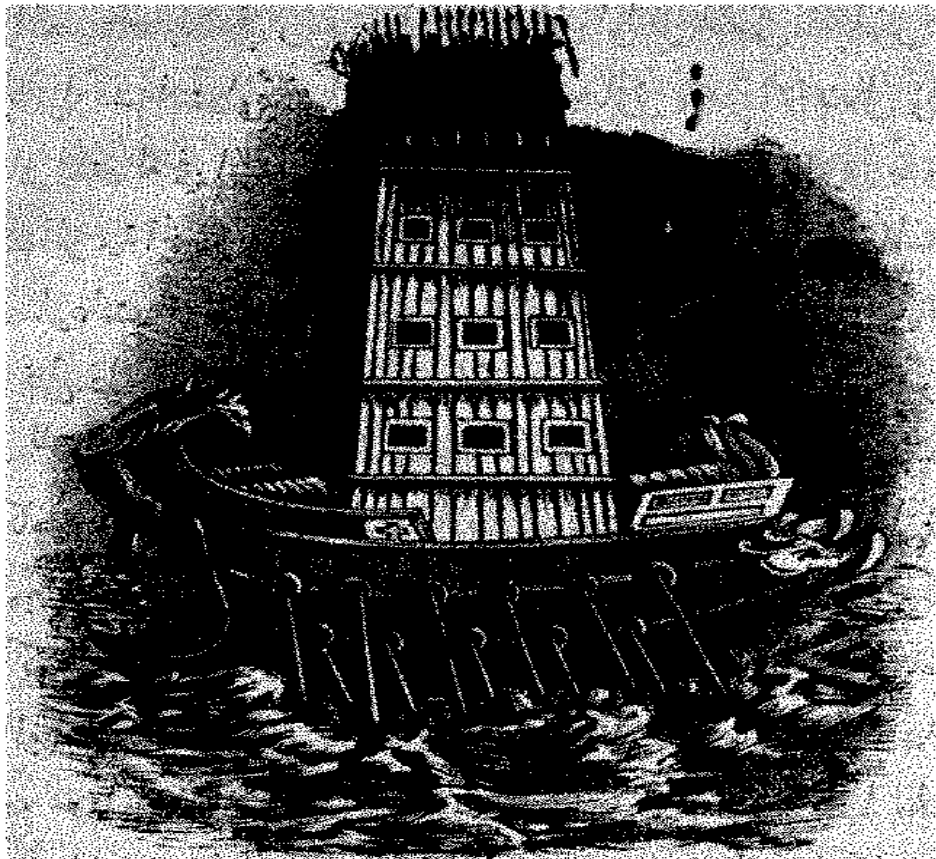
وكان للرومانيين اليد الطولى في الابنية والنقش على الحجر والمرمر وفي  
اقامة الجنائن المستظرفة. ومن اشهر ابنتهم في تلك الاعصار قصر الفيلسوف  
بيليني صاحب الثروة العظيمة فكانت له املاك عديدة منها القصر المذكور  
الذي لم تضرب صفحاً عن ذكره لشهرته في بطون التواريخ

ولما كانت حروب الرومانيين تكاد تكون متواصلة الا قليلاً كانت امورهم  
العسكرية وما يتعلق بهامها الحربية تشغل انتباه اشهر رجالهم وتوجه التفات  
الجمهور الى الاستعدادات والاختراعات التي من شأنها ان ترفع شأنهم وتلقي  
هيبتهم في قلوب اعدائهم. وحكمت الشريعة وقتئذٍ على كل رجل من احرارهم  
ان يخدم في العسكرية رغماً عنه في اي وقت كان من سن السبع عشرة الى سن  
الست والاربعين. وكانت القوات الرومانية مقسومة الى فرق ومواكب  
فاشتملت كل فرقة على ثلاثة الاف من العساكر المشاة وثلاث مئة من الخيالة  
ثم زادوا عددها بعد ذلك فجعلوها سبعة الاف وكان يبرق الفرقة نسرًا من  
فضة بجملته ضابط من ذوي الرتب على رمح. اما الخيالة فكانوا يحملون علامات  
من شريط منقوش عليها باحرف ذهبية الاحرف الاولى من اسم الامبراطور  
وعدد الفرقة. ولم يكن عندهم من آلات الموسيقى العسكرية سوى النفير. وكان  
بعض العساكر يتسلحون بحربات خفيفة والبعض بحربات ثقيلة ويتقلدون  
الانتراس والبلطات على اليمين ويتدرعون بدروع من نحاس او فولاذ وتحت  
الدرع ثوب احمر واصل الى الركبة وعلى رؤوسهم خوذ من نحاس بشراريب  
من شعر الخيل. واما القواد فكانوا يلبسون قمصاناً مدرعة بخشفات من النحاس  
او الفولاذ مصفحة احياناً بالذهب وتحتها اثواب ضيقة واصلة الى اواسط الساقين.  
وكانوا يركبون الخيل بدون ركابات وكانت سروجهم قطع قماش ملفوفة بحسب

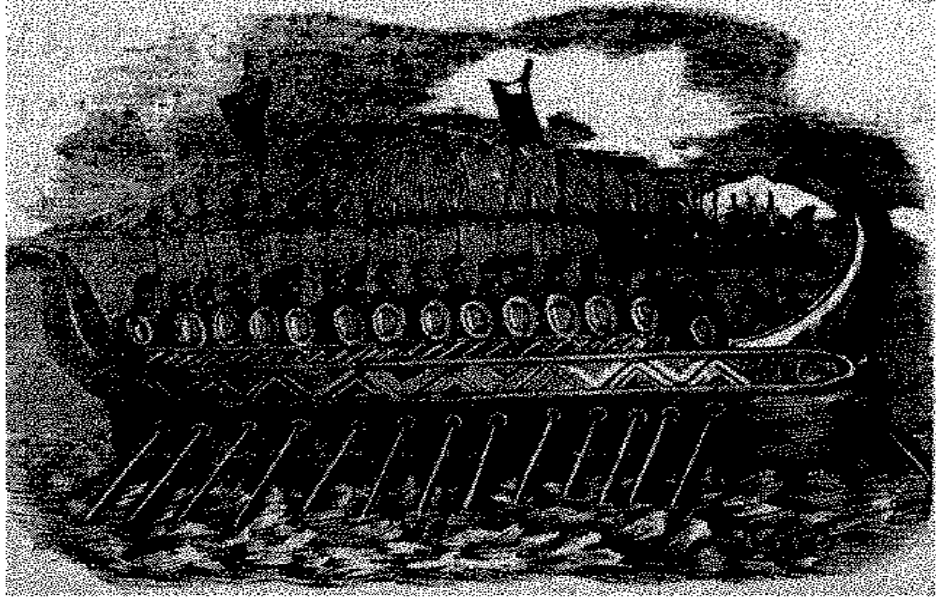
رغبة الراكب وكان تدير العساكر ونظامها متقناً غاية الاتقان وقوانينهم في غاية ما يكون من الصرامة

اما مراكب الرومانيين البحرية فكانت على شبه مراكب قرطاجنة غايظة وضعيفة البناء عالية المؤخر والجوانب ومع انها كبيرة لم تكن تصلح لمصادمة الانواء والارياح العاصفة وكان لها صفان او ثلاثة صفوف من المفاذيف بحسب عدد طبقاتها اما مقدمها فكان مدرعا بالحديد على هيئة راس حيوان وعلى ظهرها الاعلى برج غير ثابت تستخدمه العساكر كمناراس لاطلاق الاسلحة وفيه جسر يستعملونه وقت العبور والهجوم على مراكب العدو. وقبل اكتشاف آلة المحك التي بواسطتها استؤمن السفر في اواسط الابحر كان سير المراكب مختصراً في الشطوط. وحسب المركب كبيراً اذا كان محمولة نحو ثلاثة الاف كيلة. وكان تجار الولايات البحرية التي على شطوط البحر المتوسط يجلبون الى رومية جميع انواع محاصيل الشرق غير ان تلك التجارة انحصرت فيما بعد باهل رومية بعد ان فتح اوغسطس الديار المصرية وصارت حينئذ مدينة الاسكندرية مركزاً لتلك التجارة

وكان للرومانيين مراع كثيرة قد شيدوها لاجل الفرجة على الوحوش الضارية وعلى مصارعة الابطال وانواع الملاعب بالسيف. وكانوا يحفظون الوحوش البرية في اوجرة حول الفسحة الوسطى من المراع ويصونون تلك الفسحة تصويناً متيناً ويحيطونها بقناة من الماء لاجل صيانة المتفرجين وعند اجتماعهم في هذا المراع كانوا يطلقون الوحوش بعضها على بعض فكانت تضر ببعضها ويقتل كثير منها. ويقال انه قُتل منها احد عشر الفاً في مشهد الاشهر الاربعة التي اقيمت فيها الافراح لاجل انتصار الرومانيين على اهل داسيا وقتل ايضاً في حادثة اخرى نظيرها خمس مئة اسد في برهة وجيزة. وكثيرون ايضاً من المسيحيين الاولين ماتوا شهداء براسة طرحهم للوحوش في تلك المراع. ومن ملاعب الرومانيين التي اشتهروا بها المصارعة بالسيف اي لعب الحكم وهذا



مركب حربي بحري



سفينة حربية رومانية



النوع من اللعب حدث في رومية على ما قيل في اواخر الجيل الخامس من تأسيسها وكانوا قد استعملوه في اول الامر امام جنازة بقصد الاحتفال والتعظيم ومن ثم صار استعماله في الجنازات العمومية وبعد ذلك حسبوه ضرورياً وواجباً للاحتفالات الرسمية التي اقيمت في ايام المواسم والاعباد: اما الاسلحة التي استعملوها في تلك المصارعات فكانت مضرة وقاتلة وكثيراً ما وقع عددٌ وافر من اولئك المصارعين قتلى على الارض لاجل تفرُّج الآخرين. وفي اول الامر خصصوا تلك المصارعات للجرمين او للاسرى ثم للعبيد فكانوا يتصارعون باسلحة مختلفة تارة بالاسلحة الكاملة واخرى بجرية ذات ثلاث شوكات وشبكة بواسطتها يجهد احد الخصمين ان يعرقل خصمه ويشبكه بها وهكذا يتمكن من قتله. وكان الامبراطور كومودوس يشترك احياناً كثيرة في تلك المصارعات متحفظاً على نفسه باعتناله الاسلحة الكثيرة. واستمرت هذه العادة دارجة ومستعملة بينهم الى الجيل الرابع حينما ابطالها الملك قسطنطين الكبير واقام عوضاً عنها ملاعب اخرى من شأنها ان تنشط الجسد وتقوية لان تهدمة. فهذه الاخبار كافية لتظهر لنا حالة تلك الازمنة المتوحشة ونجعلنا شاكرين المرحم الالهية التي لم تسمح بان يكون نصيبنا في تلك الازمنة التعيسة

وسنة ٢٩١ من تأسيس رومية اي سنة ٢٦٢ ق م ادخلت اللعب التياترية الى رومية ولم تكن في البداية الا الرقص على انغام الناي ولم تعتبر الروايات عندهم الا بعد ذلك بمئة سنة وقيل ان اول مسرح بني لهذه المناظر كان يسع ٤٠ الف نسمة من المتفرجين. واما الصنائع اللطيفة او الرياضية فلم تُعرف عند الرومانيين الا بعد الجيل السادس من تأسيس رومية اذ اكتسبها جنودها من الامم الذين فتحوا بلادهم وادخلوها الى رومية. ثم بعد ذلك ابتداء الاغنياء ان يتفنوا دورهم ويزينوها بالتصاوير وانواع النقوش. وكان في مساكن الاشرف مخادع جميلة فيها مكاتب مباحة لمن يرغب الاطلاع عليها من الادباء والعلماء وكانت الكتب نادرة الوجود لسبب كثرتها وصعوبة نسخها فكتبت على الرقوق

وبعضها على الورق المصنوع من اوراق النبات المصري المعروف باسم بايروس فكانوا يصلون اطرافه الاوراق بعضها مع بعض وبلغونها درجاً ويحفظونها ضمن لفافة من الجلد او الحرير. واما ملابس الرومانيين الاعتيادية فكانت قميصاً واسعاً من صوف لا كمان له وثوباً آخر ابيض ضيق يلبسونه تحت القميص وقت الخروج من البيت الى السوق وعند رجوعهم الى بيوتهم يتزعون القميص. وكان رجالهم غالباً مكشوفى الرؤوس يلبسون في ارجلهم تارة احذية مكشوفة مربوطة بالرجل بواسطة شرائط وتارة جزمة قصيرة

— — —

## الفصل الثالث

في اخبار ايطاليا

### الباب الاول

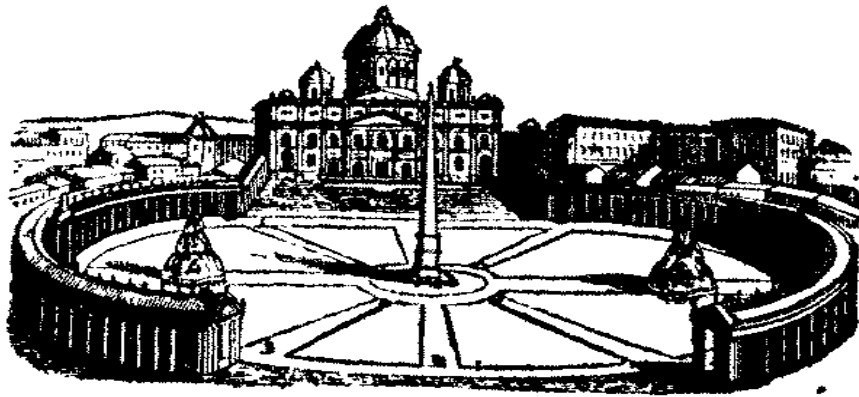
في جغرافية هذه البلاد

هذه المملكة موقعا في جنوبي اوروبا وامتدة الى داخل البحر المتوسط وهي على شكل جزيرة واشبه بفردة جزمة في وضعها وتكوينها وعدد سكانها الآن نحو سبعة وعشرين مليوناً اكثرهم على المذهب الباباوي. وحكمها من نوع الملكي المفيد. اما هواؤها فهو في غاية الاعتدال والنفاسة حتى ان صيتها لا يكاد يختلف

عن فصل الربيع . اما ارضها فمخصبة جداً وفيها كثير من الفاكهة المتنوعة كالتين والعنب والبردقان والخمر الجيد وكل نوع من المحاصيل كالارز والقطن وسائر انواع الحبوب وفيها ايضاً دود القز وانواع البرفير والمرمر والرخام . ولاهها صنائع عديدة يعنون بانقانها وتحسينها كالنصوير والنقش والابنية المزخرفة والآت الطرب وغيرها من انواع كراخين الاقمشة والفخار والفرפורي . واكثر اهلهما يجيئون الملاهي والمسرات كالغناء والرقص وجانب عظيم منهم في حالة الكسل والشقاوة والفقر يميلون طبعاً الى تصديق الخرافات والقصص التي لا طائل تحتمها

وفي هذه البلاد عدة بحيرات وانهر وجبال . منها البركان المسمى فاسوفيوس الذي بقرب مدينة نابولي وهو جبل شهير وقديم العهد ينقذف منه احياناً دخان ولهب نار ممتزجة بمواد ذائبة . وفي جزيرة سيسيليا وهي صقلية بركان آخر يدعى اتنا نظير ذاك ويوجد بقربه كروم مخصبة من العنب والتين والبردقان والزيتون وساتين وجنائن عديدة ذات زهور جميلة . وعند هذا الجبل مدينة عظيمة البنيان يقال لها كاتانيا

ومن اعظم مدن ايطاليا مدينة رومية وهي مدينة كبيرة ذات ابنية جميلة وقصور فاخرة عظيمة . وبها كنيسة مار بطرس وهي من ابهى واعظم الهياكل في



كنيسة مار بطرس في رومية

العالم وبقرتها قصر الفاتيكان الشهير المخصص لسكن الباباوات . وفي هذه المدينة

كثير من الصور والتماثيل القديمة التي تفوق على غيرها من تصاوير ومتوشات باقي الناس في الصنعة وحسن الرسم الدالة على براعة وحذاقة سكانها الاقدمين ولا سيما خرائبها المتفرقة التي تذهل العقول وتدهش النواظر ببهجتها وجمالها وعظم ارتفاعها. وقد افرزنا فضلاً بخصوصاً لذكر اخبار هذه المدينة وبعض حوادثها. ثم مدينة نابولي وهي جميلة المنظر وبها ابنة فاخرة. ومدينة فينيس وهي من اشهر مدائن تلك البلاد واجملها. ومدينة تورين عاصمة سردينيا. ومدينة فلورنسا البهجة. ومدينة جينوا واقليم تسكانا الذي هو من اجمل اقاليم ايطاليا واظرفها وغيرها من المدن المشهورة التي لا يسعنا الوقت ان نتعرض لها لان ذلك مما يخرجنا عن موضوع روح الكتاب المقصود به التلميح لا الاسهاب

وخلاصة الكلام ان مملكة ايطاليا بوجه الاجمال جميلة وظريفة جيدة الهواء يتصددها ذوا الامراض من باقي جهات اوربا واميركا في فصل الشتاء لاعندال اقاليمها. وتقصد ما السياح من جميع الاقطار للفرجة على ما فيها من الآثار القديمة والانبة الفاخرة ولكن مع كل منزهاتها وحسن هوائها وزخرفة قصور مدنها وخرائب رومية المدهشة لا يرغب السائح ان يتوطن فيها نظراً لشراسة اخلاق الجانب الاكبر من شعبيها والجهل المستولي عليه وليس ذلك الا من سوء تصرف الولاة والحكام الاقدمين وعدم التفاتهم الى تنوير الشعب. وفي هذه الايام بعد انضمام ممالكها الصغيرة وولاياتها الى مملكة مستقلة اخذ ملكها الحالي فيكتور عمانوئيل في اصلاح شأنها وتحسين حاله شعبيها بواسطة وضع الشرائع والنظامات الحسنة وتأسيس المدارس الكلية واعطاء الحرية الثلاثة حتى انه في

زمن قريب يمكن للايطاليين ان يضاهاوا باقي اصحاب

الرتبة الاولى في المدن

والمعارف



منظر المدينة فلورنسا

## الباب الثاني

في تاريخ ايطاليا ويتضمن بعض اخبار البندقية

ان هذه المملكة كانت تسمى قديماً ساتورنيا ثم غلب عليها اسم ايطاليا نسبة  
الى ايطالوس احد ملوكها القدماء الذين وفدوا اليها من اركاديا (وهي قسم  
من المورة) في الجيل الرابع عشر قبل المسيح . وكان يسكنها وقتئذ ام و قبائل

مختلفة الاجناس والالقباب يعسر تاصيلها لتقدم عهدها اذ لم نعدنا التواريخ شيئاً عنهم الى ظهور رومولوس مؤسس السلطنة الرومانية التي ضمت اليها كل بلاد ايطاليا واوروبا واكثر ولايات الشرق الامر الذي الجأنا الى فتح باب مخصوص لاجبار الرومانيين والاختصار في هذا الفصل

وبقيت ايطاليا في ايدي الرومانيين الى ان انقضت دولتهم سنة ٤٧٦ للميلاد واستولى على البلاد اودواكر ملك الهول فترع عنها اسم الدولة الرومانية ودعاها مملكة ايطاليا . ثم افتتحها ثيودور برك ملك الاستروغوث وبقيت تحت تسلط خلفائه الى سنة ٥٥٢ حينما استخلصتها من ايديهم السلطنة الشرقية عن يد القائد بليساريوس اولاً ثم بواسطة نارسيس القائد الثاني الذي اقيم والياً عليها في مقاطعة رافينا . وسنة ٥٩٨ اتى ايطاليا قومٌ يقال لهم اللونغوبارد الذين سمو فيما بعد لومبارد واستولوا على اقسامها الجنوبية فانقسمت حينئذ الى قسمين قسمٌ سي ايطاليا اللومباردية وقسمٌ ايطاليا الرومية . فاستمرت ايطاليا الرومية تحت تسلط ولاة الروم المنتصبين من طرف قياصرة السلطنة الشرقية الى سنة ٧٥٢ للمسيح عبارة عن مئتي سنة وكان عدد ولايتها في المدة المذكورة تسعة عشر والياً اولهم نارسيس المذكور واخرهم اوتيجيوس وكان كلٌ من هؤلاء الولاة يُلقب باسم اكسارخوس

وسنة ٧٢٦ حدث هياج في ايطاليا بسبب اختلافات دينية بين الكنييسة الغربية والكنييسة الشرقية انتهت باستقلال امارة رومية ودخولها في سلك الجمهورية تحت رئاسة البابا . وسنة ٧٥٢ امتد اللومبارديون الى جهة جنوبي ايطاليا فاستخلصوا من الروم جانباً من املكهم ودعوا مقاطعة بنفانتو . وبعد ذلك هاجم ايطاليا الفرنساويون في ايام ملكهم بيبيث ثم في ايام ابنه شارلمان الذي اسس سلطنة غربية مكان السلطنة الرومانية التي انقرضت وتزوج امبراطوراً عليها سنة ٨٠٠ للميلاد فكانت اغلب ايطاليا من جملة ممالك سلطنته . ولكن يموت كارلوس السمين انتقلت سلطنة الغرب من العائلة الكارلوفنجية

واختلس ايطاليا اكابر امرائها فمخص كل واحد منهم لنفسه ولاية من ولاياتها  
 وكان اشهرها نابولي ونوسكانا وبارما وجنوا ولومبارديا وسردينيا ورومية  
 وفنيس اي البندقية التي هي من اشهر مدائن تلك البلاد واجملها  
 ومع قلة العلاقات التي كانت بين الدول الخنافة وقلة وسائل الاتصال  
 كان للايطاليين ولاسيما اللومبارديين شهرة ورغبة في التجارة واتقان النون  
 وخاصة بعد مخالطهم لاهالي المشرق وقت الحروب الصليبية ومع ان الغرض  
 من تلك الحروب والمغازي انما هو مجرد افتتاح البلاد عن هوس خارج عن  
 الصواب قد عادت بالنفع على التجارة وتولع الايطاليون في اتقانها بحيث انه  
 في القرنين الثاني عشر والثالث عشر كادت تجارات اوروبا ان تكون في  
 ايديهم وكانوا يحسبون روساء التجار والصنائع ولم تحط منزلتهم الى وقت معاهدة  
 الملائي الانسياتيكية للتجارة

واذ كانت فنيس من امهات مدائن ايطاليا التي اكتسبت شهرة عظيمة في  
 الاحقاب القديمة راينا ان نذكر عنها شيئاً قبل استيفاء الكلام عن تاريخ ايطاليا  
 فنقول انه في سنة ٤٥٢ للميلاد غزا ايطاليا قوم من برايرة شمالي اوروبا وكان  
 بقرب هذه المدينة طوائف من السكان فلما دهمتهم هذه البلية فر بعضهم من وجه  
 مطارديهم وقصدوا سواحل البحر واتخذوها لهم مسكناً وكانوا يعيشون بالتجارة  
 وصيد السمك واستخراج الملح. وكان هناك عدة جزر صغيرة متقاربة بعضها لبعض  
 فاخذ القوم يقيمون فيها الابنية ويستوطنونها وكانت تتوارد اليها الناس من  
 اكرالجهات وتنضم الى ذلك القوم حتى في مدة قصيرة اكتست تلك الصخور  
 الفرعاء بالابنية والقصور الفاخرة واصبحت كدبنة واحدة متصلة بعضها ببعض  
 بالجسور والقناطر المستظرفة. وعلى نوالي الايام اشهر اهليها في التجارة والقوة  
 البحرية اشتهاراً عظيماً. وكانت هذه الجزر في اول الامر منفردة ومستقلة عن بعضها  
 ولكنها في سنة ٦٩٧ اتحدت معاً واقامت عليها رئيساً عاماً ليسوسها ويدبر  
 امورها ومن ذلك اليوم صارت تحسب مشيخة تابعة السلطنة الشرقية وبنيت

تابعة لها الى الجيل العاشر حيث استقلت استقلالاً تاماً . وسنة ٩٩٢ لما كان  
 بطرس اورسيولو الثاني رئيساً عليها قويت شوكتها بهذا المقدار حتى انها اخضعت  
 كل الاساكن البحرية في دلمانيا وايسثيريا وصارت تُعدّ اقوى واغنى دولة في  
 اوروبا لاسيا في عمارها البحرية . وما زالت شوكة الفينيسيين تزداد وتقوى يوماً  
 بعد يوم حتى انهم في الجيل الحادي عشر جهزوا عمارة عظيمة مولنة من متني  
 سفينة وارسلوها لمساعدة المشبكين في الحروب الصليبية الاولى . ثم ساعدوا  
 الصليبيين بعد ذلك على فتح مدينة القسطنطينية سنة ١٢٠٤ وحازوا منها على  
 غنائم وافرة وتحت متكاثرة من نفائس الجواهر والمعادن وابواع الصور والتائل  
 المشغولة وجاءوا بها الى بلادهم ولكن بعد ذلك بقليل اخذ طالعهم في سقوط  
 وهبوط اذ حاشرتهم مشيخة جنوا واستظهرت عليهم في جملة وقائع . وفي الجيل  
 الخامس عشر حارب فينيسيا السلطان محمد الثاني واستخلص منها عدة جزائر  
 في الارخبيل وبعض ولايات في المورة ولكن لما كانت شوكة اهل البندقية  
 لاتزال عظيمة في اوروبا وصينهم منشراً في كل اطرافها خافهم مجاوروهم وحسدوهم  
 ملوك الافرنج على ثروتهم ونجاحهم فاخذ البابا بوليوس الثاني يهيج الدول عليهم  
 وبعد ان استقال اليه بعض الملوك اعنصب معهم على اذلال تلك الجمهورية  
 فكان امبراطور المانيا وملك فرانس وملك اراغون والبابا بوليوس المذكور  
 رؤساء تلك العصبة المعروفة بعصبة كبري فاغاروا على البندقية واستخلص البابا  
 جميع المدن التي كانت للبنداقية في الاراضي الباباوية واسترجع فردينند ملك  
 نابولي المدن التي استولت عليها المشيخة المذكورة على سواحل كلابر . فلما راي  
 اهل البندقية انهم محصورون من كل جهة وليس لهم نصير التزموا ان يسلموا  
 بما انت به التقادير وانحصروا داخل اسوار ملكتهم وسنة ١٥٧١ استخلص منها  
 السلطان سليم الثاني جزيرة قبرس وسنة ١٦٦٩ استخلص منها السلطان محمد  
 الرابع جزيرة كريت فمذه المصائب مع غيرها اضعفتها واضرت بتجاريتها جنأ  
 ولكنها استمرت في استقلاليتها الى الجيل الثامن عشر حينما خضعت لفرانسا . وسنة



١٧٩٨ استولت عليها دولة النمسا وبقيت تحت تصرف احكامها الى ان الحقت  
بمملكة ايطاليا سنة ١٨٦٦ كما سيأتي شرح ذلك في محله /  
اما احوال ايطاليا فاستمرت على الحالة المذكورة آنفاً نحو سبعين سنة  
وكانت المنازعات فيها متصلة دائمة من اهل الطمع وارباب الفساد فكان الحجر  
يفزون اراضيها الشمالية بينما كانت اقاليمها الجنوبية عرضة لمغازي الاسلام الذين  
افتتحوا سيسيليا واستولوا عليها زماناً يسيراً الى ان اخرجهم منها امراء نورمانديا  
واقاموا مكانهم

وبينما كانت الاحوال مضطربة في ايطاليا استدعى البابا يوحنا الثاني عشر  
او ثون الكبير ملك جرمانيا اليه لينقذه من جوراحد ملوك ايطاليا الذي كان  
قد تعدى عليه فسار اليه وحارب خصمه وافرج عنه تلك الشدة وتوج ملكاً على  
كل ايطاليا ثم امبراطوراً على كل السلطنة الغربية وكان ذلك سنة ٩٦٣ للمسيح  
فاستمرت ايطاليا خاضعة للملوك جرمانيا الى سنة ١٢٦٨ ثم اخذت بعد ذلك  
تستقل امرياتها الواحدة بعد الاخرى . وصارت كل امرية منها قائمة بذاتها  
تحت حكم ملك او جمهورية او امرية ودام حال ايطاليا على هذا المنوال الى  
سنة ١٥٠٤ حين وقع النزاع بين فرانسوا واسبانيا في شان هذه البلاد فكانت كل  
دولة منها تود ان تضع يدها عليها وتستخلصها لنفسها . وبعد ان بذلت فرانسوا  
غاية جهدها في امتلاكها لم تنل بغيتها وفازت اسبانيا باستيلائها على مملكة  
الصفليتين سنة ١٥٠٥ ثم استولت على امرية ميلان سنة ١٥٤٠ اذ حصرت  
ايطاليا شمالاً وجنوباً وانصرفت يباقي ولاياتها كما ارادت ولم يبق مستقلاً الا  
البندقية . وفي القرن السابع عشر اخذت قوة اسبانيا في ايطاليا ان تضعف  
وتنقص حتى كادت تزول بالكلية واغضبت منها اوستريا سنة ١٧٠٦ امرية  
ميلان ومملكة الصفليتين فبقيتا تحت حكمها مدة ثم تنازلت عن الصفليتين وعن  
امرية بارما الى فرعين من عائلة البوربون الاسبانيولين بشرط ان لا تضم الى  
مملكة اسبانيا

ولكن لم يمض زمنٌ طويلٌ حتى تبدلت احوال إيطاليا بسبب حروب  
المتتالية الفرنسية ووقائع نابوليون الاول الذي بعد ان ضمَّ بيمونتي وسافوي  
الى فرنسا احدث انفصال امريّة ميلان عن النمسا وجعلها دولة جمهورية  
واستعاضت النمسا بدلا عنها بالبندقية وملحقاتها. ولكن بعد حرب اوسترلينس  
سنة ١٨٠٥ ائتم نابوليون دولة النمسا ان تتنازل عن البندقية وضمها الى امريّة  
ميلان وسأها ملكة إيطاليا واقام فيها البرنس اوجان ابن زوجته الاولى نائبا  
عنه بالملك. ثم افرز نابولي وجعلها ملكة قائمة بذاتها واقام عليها صهره الجنرال  
يوآكيم مورات. اما توسكانا ورومية وجنوا وغيرها فاضيفت الى اعمال فرنسا.  
فعلى هذا الوجه كانت كل إيطاليا تابعة لفرنسا ما عدا سردينيا وجزيرة سبيليا.  
ولكن بعد حوادث سنة ١٨١٤ رجعت رومية وملحقاتها للبابا ورجعت نابولي  
سنة ١٨١٦ الى فردينند ملكها الاول واستولت دولة النمسا على ميلان  
والبندقية وسيتام ملكة اللومارديا والبندقية وهكذا باقى الاقاليم رجعت لاربابها.  
وفي سنة ١٨٥٩ اتصرت فرنسا لسردينيا فخارتها النمسا واستخلصت منها  
اللومارديا واطيفت الى احكام فيكتور عمانوئيل الثاني ملك سردينيا. وفي سنة  
١٨٦٠ انعقد اربع جمعيات من عمد اهل إيطاليا بمدينة فلورنسا وبولونيا وبارما  
وسودينا وبعد مداوات كثيرة استقر الراي على خلع ملوكهم لتقصرهم وعدم  
اهليتهم وضم ما لهم لملكة سردينيا تحت ولاية الملك فيكتور عمانوئيل المشار اليه  
فاستحسن الاهالي آراءهم وافقوا عليها وقبل ملك سردينيا هذا الانضمام واخذت  
المالك تضم اليه الواحدة بعد الاخرى من ذلك اليوم وكان اول من انضم اليه  
نابولي وصقلية واومبريا التابعة لملكة رومية وغيرها وفي سنة ١٨٦١ نودي به  
ملكاً على إيطاليا. وفي سنة ١٨٦٦ انضمّت اليه اعمال البندقية من بعد المعركة  
الهائلة التي وقعت بين النمسا وبروسيا عندما تحزبت بروسيا لايطاليا. ثم في  
سنة ١٨٧١ وضع يده على مدينة رومية وجعلها مقر كرسى الملكة. وبعد موت  
فيكتور عمانوئيل قام مكانه ابنه هومبر وذلك في ٩ ك ٢ سنة ١٨٧٨ وجعل مكان

اقامت في مدينة فيورنسا

فهذا هو بالاختصار تاريخ ايطاليا التي كانت ميّانا وسيّعا للمشاجرات والحروب بعد انقراض السلطنة الرومانية وما تقدم يظهر ان هذه البلاد لم تصر قط دولة مستقلة كانكذرا او فراسا او غيرها تحت ولاية ملك عام او مشيخة عامة بل كانت على الدوام متجزئة بين امراء كثيرين ومنقسمة الى مالك صغيرة منها مستقلة ومنها تابعة بحيث يعسر وصف كل منها على حدة واستيناء الشرح عنها واما انضمامها الآن فهو ما لم يحصل عليه الايطاليون قبل هذا التاريخ وهذا الاتحاد يتضمن فوائد جمة نأول لنجاح الأمة ووضعها في مصاف ذوي الرتب الاولى

## الفصل الرابع

في اخبار رومية وبعض اخبارها

انه لامر معلوم ان روساء الديانة الاولين كانوا جميعا متساوين في ما يخص بامر الدين والسلطة الكنائسية غير انه امتاز اساقفة المدن الكبيرة على ما سواها نظرا لوجودهم في مراكز الحكومات واحتياج الغير اليهم لاجل المساعدات . فكانت رومية والقسطنطينية والاسكندرية وانطاكية والقدس مراكز الساطة الكنائسية وتعتبر اساقفتها على نوع ما كروساء الدين . ولكن اذ كانت رومية كرسي الامبراطورية الرومانية ونحمت الدنيا بتامها كان لاساقفتها شرف وامتياز

على غيرهم فحظوا من الاحترام والاکرام باوفرها ولم يكن لهم امتياز آخر غير ذلك. وفي اثناء الجبل الرابع هاجت عظمة رومية والقسطنطينية على باقي المدن المذكورة وانحصرت فيها سطوة اساقفتها ومن ثم اخذت كل منها تدعي السيادة والرياسة على اختها فوقع النزاع والحصام بين الكيستين اعني الشرقية والغربية واستمر البغض والحسد بينهما الى اوائل الجبل الثامن في ايام ليو الثالث امبراطور الشرق الذي قاوم مسألة عبادة الصور والتماثيل بيضا تشبثت رومية في استعمالها فانفجرت حينئذ العنارة الظاهرة بين الكيستين وحصل الانقسام الذي لم يعد يجد سبيلاً للانصمام

وفي اواسط الجبل الثامن لما لم يجد غريغور يوس الثاني اسقف رومية طريقاً لابطال تشبث الكيسة الشرقية في رفض عبادة الايقونات حول قواه الى تهيج الشعب الروماني للانتقام الى هذه المسئلة الدينية فعصت رومية ورافينا على قوادها وولاتها المتولجين ادارة الاحكام من قبل سلطنة القسطنطينية وتقدار كل سب ابطالها السلاح واثاروا هيجاناً عظيماً في كل اقطار البلاد وكسروا جميع تماثيل قياصرة الرومانيين الموجودة في رومية وقتلوا الوالي الكبير المقيم في رافينا وكل مناومي مشروع عبادة الصور واستقلت امارة رومية وصارت دولة جمهورية تحت رياسة البابا . ولكن مع ذلك لم يكف ولاية الروم عن مقاومة الباباوات ومضادتهم فكانت الاحوال في اضطراب عظيم فانتزعت فرصة هذه الثورات لويترباند ملك لومبارديا واستولى على رافينا واخضع جميع المدن التابعة لها ثم استرجعها منه عاجلاً سلاطين الروم واذ لم يستطيعوا ان يحفظوا البلاد كالايام السابقة نهض استولفوس ملك لومبارديا وافتتح رافينا من ابدي ولاية الروم وتمدد رومية بالخراب فنهض البابا استفانوس الثالث وذهب الى فرانساستغنياً بملوكها فانهجده واستخلصوا من اللومبارديين ولاية رافينا واهدوها للبر الروماني ليستولي على محاصيلها واوراداتها وينفقها في منافع الكنيسة ويكون هو رئيساً مدنياً خاضعاً لاحكام فرانساستغنياً . وصادق على ذلك الملك شارلمان

وزادة اراضي اخرى كان قد استملكها من مغازيه على لومبارديا فصارت  
تملكات الحبر الروماني عظيمة وغناه وافراً جداً وازدادت ثروته يوماً بعد يوم  
لتوارد الهدايا اليه من كل جهة ومكان وقدم له كثيرون من الامراء والاعيان  
قرى ومقاطعات برمتها حتى انه في وقت قريب اجتمع في شخص البابوات  
سطوة الدين والدنيا وصاروا ملوكاً ارضيين وروساء دين معاً بحيث ان عظمتهم  
كانت مساوية لسلطوتهم بلا حدٍ وهكذا مع تنادي الايام صار للبابوات اهمية  
عظيمة وحق كبير في تولية ملوك الارض وعزلهم حسب مشيئتهم

اما كلمة بابا فكانت قديماً تُطلق على جميع الاساقفة بدون استثناء ولم  
يخصص بالحبر الروماني الا في سنة ١٠٧٣ في زمن غريغوريوس السابع الذي  
شيد اركان سلطة البابوات السياسية فكانت سلطوتهم يومئذ في اعلى طبقة سائدة  
على كل ملوك الارض اذ كان لغيرهم من الملوك تايج واحد واما هم فكان لبعضهم  
ثلاثة تيجان احدها فوق الاخرى دلالة على السلطة المثلثة المجمعية فيهم وهي  
رياسة الكيسة العمومية واسقفية رومية والولاية المدنية على الاراضي الرومانية .  
وبلغ اعتبار هؤلاء الاحبار الى هذا المقدار حتى انهم احياناً عندما كانوا يعاون  
ظهور الخيل يمسك لهم الركاب كثيرون من الملوك والسلاطين . وكأول احياناً  
يصدرون حرماً على امه باسرهما ويامرون بمحاربتها وكان اذا انكر احد سلطة  
البابا يُحرق وهو حي . وسنة ١٠٧٧ ازم البابا غريغوريوس هنري الرابع  
امبراطور المانيا ان يقف حافياً ثلاثة ايام في فصل الشتاء امام باب قصره  
ليطلب منه الغفران وقد استوفينا هذا الخبر في ترجمة هنري الرابع كاسياني .  
وسنة ١١٧١ رفس بابا اخر برجله تايج ملك اخر من ملوك جرمانيا حتماً كان  
الملك جائئاً امامه وبالاجال نقول ان جهالة تلك الاعصار طمست بصائر  
الشعوب حتى لم يعودوا يروا في روساء الدين خطأ فكانوا يدعون لكل  
احكامهم واجراءاتهم ويخضعون لكل ما يستقر عليهم رايهم كأنه منزل لا عيب فيه .  
والى هذا المقدار انصلت سيادة البابوات وشوكهم حتى لم يبق في اوروبا مملكة

الا واضطربت من افعالهم ولا ملك الا وتعكر من مطاعمهم ولا كرسي الا وارتج  
من شوكتهم

وفي الجيل الحادي عشر وقع النزاع والخصام بين الباباوات وبين بافي  
مالك اوروبا وعلى الخصوص مع المانيا في شان السيامة الاكبريكية التي  
نشأ عنها حروب كثيرة . لانه كما لا يخفى ان الاكليروس في تلك الازمنة كانوا  
عندما يرسمون على مقاطعة او ابرشية ملزومين ان يحلفوا للملك بين الامانة  
والطاعة وبعد ذلك يلقب المالك بلقب الكنايسي ويقدمه وظيفته سواء كان  
بطريركا ام اسقفا ام غير ذلك من الوظائف ويأذن له ان يتصرف بالتملكات  
المخضمة بابرشيته لكونها مربوطه بالتزامات اميرية ثم يعطيه عكازا وسيفا دلالة  
على السلطة الزمنية ثم صليبا وخاتما اشارة على السلطة الروحية وبدون هذا  
التصرف من قبل الملك لم يمكن للاكليروس الدخول في وظيفتهم

فلم يقبل الباباوات بهذا الامر واخصهم غريغوريوس السابع فانه نهض  
سنة ١٠٧٣ للمناومة ذلك وطلب رفع مداخلة الملوك في هذا الامر واراد تخصيص  
هذه الحقوق وحصرها بالباباوات فنشأ عن ذلك مخاضات قوية ومعاربات  
شديدة اخصها بين جرمانيا وايطاليا في ايام ملكها هنري الرابع ثم ابنه هنري  
الخامس الذي غزا ايطاليا مرتين واسر البابا اوربانوس الثاني ثم اطلقه . واستمر  
ذلك الحال الى سنة ١١٢٢ حين عقد صلح بين الطرفين في ايام البابا  
كاليكتوس الثاني وقضى هذا المشكل على وجه مرض للفرقتين وهو ان يكون  
للملك حق التصرف المدني وللبابا التصرف الكنايسي . وفي اول الجيل التالي  
هاجت تلك الخصومات ثانية واضطربت نيرانها وامتزجت بين منازعات  
اخرى كانت قائمة وقتئذ بين قسدين كبيرين في المانيا وايطاليا يقال لها  
الغوائف والجيبلين وملكها انطونات اخيرا سنة ١٢٦٨ عند موت كوتراد ملك  
جرمانيا

ولكن مع كل سطوة الباباوات بومئذ ونوطيد سلطانهم على الاراضي الرومانية

كثيراً ما كانت مدينة رومية تعصم وتقاومهم عندما يتذكر اهلها مجدها القديم ويقابلونه على حالتها الدينية فكثيراً ما خلعوا الطاعة ورفعوا علم العصيان ضد رياسة الباباوات وكثيراً ما خلع الحبر الاعظم عن كرسيه ونفي من رومية حتى التزم في وقت ما ان ينقل الباباوات كرسي الحبرية الى افينيون من اعمال فرانسوا حيث اقاموا فيها نحو سبعين سنة هرباً وخوفاً من هيبتان ومقاومة الشعب . واذ لم يوجد في رومية قوة كافية لتوقيف اسباب الفتن والحركات كثيراً ما كان يظهر بعض البلغاء من ذوي النباهة والاقدام على عظام الامور وبواسطة مناداتهم واعمالهم يستميلون قلوب الاهالي الى الاتحاد معهم بطلب الحرية والاستقلال فينشأ عن ذلك تحزبات وخصومات تأول للخلل وسلب الراحة . غير ان تلك المشروعات لم تنجح حتى النجاح لان سلطة الباباوات كانت كنفوساً لاخادها واطفاء نيرانها بواسطة القاء القبض على المسيبين وقتلهم اما حرقاً بالنار او بحد السيف . ومن اشهر هولاء الهوم ارنولددي بريسكي ونيكولا دي رينزي الذي حكم مدينة رومية مدة في الجيل الرابع عشر

وكان لاجبار رومية شوكة عظيمة وهيبة قوية ليس فقط بين الناس ولكن بين الدول ايضاً حتى ان الملوك كانت تؤدي لهم مزيد الاحترام والطاعة وحسب سعيداً من كان ميل الحبر الاعظم نحوه . واذ كان للاجبار دخل في الامور المدنية واغراض في الامور السياسية كان ذلك موجباً لتعرضهم الى نتائج تلك المداخلات في اشهر الاسلحة عليهم وعلى اراضيهم وفتك حرمة دين النصرانية . فانه امر غني عن البيان انه بسبب تحزب الباباوات لبعض الملوك او الامراء او لاغراض اخرى دينوية كثيراً ما اوجبوا حروباً في بلاد ايطاليا وانشقاقاً بين الشعب وكثيراً ما قامت عليهم الملوك وحاربهم ونهبت رومية وباقي اراضيهم لاسيا سنة ١٥٢٧ في زمن البابا اكليندسن السابع حين هاجته جيوش الامبراطور شارلكان تحت قيادة الدوك دي بوربون وفتكت بجيوشه واملاكه واسرته بعدما نهبوا المدينة واحرقوا فيها وفي الاهالي ما يقصر عنه

الشرح وما لا يتصوره عقل

وكان البابا اينوسنتس في ايام فيليب اوغسطس ملك فرانسوا وابنه لويس الثامن في الجيل الثالث عشر قد اصدر امراً باضطهاد وابادة الولدنسيين والايبيغنسيين وها فرقتان من مذاهب النصرانية في جنوبي فرانسوا . وكان السبب في ذلك ان تابعي هاتين الفرقتين كانوا يندرون الشعب بالامور الدينية ويجولون من مكان الى مكان حاملين الكتاب المقدس ومبشرين به فالتصق بهم كثيرون من الناس واقتدوا بتعاليمهم من جلتهم بطرس فالدورجل من قرية فوفي فرانسوا وتاجر عظيم في مدينة ليون فحركه الغيرة والمحبة الى خلاص الالفس فباع كل املاكه ووزعها على الفقراء ثم انة ترجم التوراة الى لغة اليهود ورجال كارزا من مكان الى مكان فتبعه كثير من الناس وتلقبوا بالولدنسيين نسبة الى بطرس فالدو المذكور مقدمهم الشهير ويعرفون ايضاً باسم فودوا نسبة الى فومدينته . ومع ان ظهور فالدو المذكور كان في الجيل اثالثي عشر زعم بعض المؤرخين ان هاتين الشيعتين نبغتا في عهد الرسل ويستندون في اثبات قدميتها على شهادة معاديهارثيسي اساقفة طورين وصانكوريزاذ بقولان ان الولدنسيين هم اقدم القبائل واكثرهم تقوى . واما الولدنسيون فيؤكدون ان كنيستهم اسسها الرسل واستمرت من ذلك الوقت متمسكة بتعاليم الرسل البسيطة بدون ادنى تغير . فلما راي الحبر الاعظم نجاج هولاء النوم وانه بواسطة تعاليمهم وادعاء عامتهم في حق التبشير تنسلب حقوق الكنيسة الرومانية ويقع الخلل في نظامها شرع في استعمال الوسائط للملاشاتهم واثار عليهم اضطهادات شديدة وعدهم من المجرمين بالمهرطقة وهاج عليهم ملوك فرانسوا وباقي الشعب كما تقدم فكانوا يعذبونهم بسائر انواع التعذيبات التي لا تخطر على بال بشر فكان منهم من يجرق حياً ومنهم من يمزقون اعضاءه بالسيوف الى غير ذلك من العذابات الاليمة ودامت عليهم الاضطهادات مدة طويلة . وكان عدد من قتل منهم في اثناء هذه الاضطهادات على ما قيل نحو مليون نفس ومع كل ذلك لم يزل



موجوداً منهم الى يومنا هذا نحو عشرين الف نسمة في بلاد ايطاليا  
وفي القرن الرابع عشر والقرن الخامس عشر - حصل شقاق عظيم في امر  
الذين اورث الكنيسة عاراً كبيراً وذلك ان اثنين او ثلاثة من الباباوات كانوا  
يجولون في وقت واحد في اوروبا كل واحد منهم يستميل خاطر ملوكها اليه  
المعاضدة في مقاومة الاخر فكان ذلك سبباً لاحتقارهم وانحطاط شأنهم والازدراء  
بمناصبهم السامية فنفرت منهم القلوب وانكر الناس على رؤساء الدين تلك  
الاعمال ولا سيما وقت ظهور اسكندر السادس ثم بولبوس الثاني فانه ظهر منها  
ما كسا الكنيسة عاراً واحتراراً على مدى الاجيال بواسطة عدم استقامتها وفساد  
اعمالها ما لا نريد التعرض لذكره

اما انتخاب الباباوات قديماً فكان يجري بمعرفة الاكليروس والشعب .  
ولكن اذ كان يحدث من جرى ذلك اختلافات ومنازعات شديدة اوجد البابا  
غريغوريوس العاشر طريقة مناسبة لرفع اسباب تلك المخاصمات وهي انه عند  
انتخابهم حبراً كانت تجتمع الكردينالية في مكان معلوم ويُقبل عليهم الباب من  
خارج فيأخذون في المداولة واعطاء القرار في تسمية خليفة للكرسي وكانوا  
ملزومين ان يتموا انتخابهم في مدة ثمانية ايام فان لم يتم لم ذلك في المدة المعينة  
كانوا يمنعون عنهم المأكولات ولا يقدمون لهم سوى الخبز وقليل من الخمر فقط  
في كل الوقت الذي كانوا بصرفوته علاوة على الثانية ايام . ومن شروط ذلك  
الاجتماع ان البابا الذي سوف يقع عليه الاختيار يقتضي ضرورة ان يكون من  
زمرة المجتمعين لا من غيرهم . وعندما كان يقر الرأي على احد كانوا يحملونه على  
الاكتاف ويأخذونه في الحال الى كنيسة مار بطرس وينادون باسمه فغيب اجراء  
الاحتفالات اللازمة ويقلدونه بمفتاحين احدهما من ذهب والاخر من فضة رمزاً  
الى مفاتيح السماء الموعود بها الى مار بطرس

وللباباوات رسل عند الدول الاجنبية على نوعين احدهما يدعى قاصداً  
وهو الذي ينوب عنه في الامور الدينية والاخر يدعى نونوس وهو الذي يقوم

مقامة في الامور السياسية . واغلب متوظفي حكومة الباباوات هم من طفمة اهل الدين ما عدا العساكر الذين يبلغ عددهم اثني عشر الفا فانهم من عامة الناس وسنة ١٥١٧ ظهر مرتينوس لوثيروس من اعمال جرمانيا مناديا باصلاح الكنيسة فاهتزت مالک اوروبا باسرها من تعاليم ومولفات وقد ذكرناه واوردنا شيئا من اخباره في تاريخ جرمانيا فلا حاجة الى ذكرها هنا . ومن ذلك الوقت ابتدأت السلطة الباباوية الزمنية في السقوط والهبوط يوما بعد يوم حتى ان بعض الممالك في اوروبا رفضت كل صلة معهم سواء كانت سياسية ام دينية بعد ان وقع بينهم مخاصمات ومحاربات شديدة . ولم يزل امرهم في انحطاط وسقوط الى سنة ١٨٧١ حين دخل الايطاليون الى رومية وجعلوها عاصمة المملكة وذلك عقب انفضاض المجمع المسكوني الذي صادق ونادى بعصمة البابا بيوس التاسع . ولكن مع انه فقد السلطة الزمنية لم يزل راسا للكنيسة الرومانية . اما البابا المتولي الآن فهو ليون الثالث عشر جلس على كرسي الرياسة في ٢٠ شباط سنة ١٨٧٨

—xci—

## الفصل الخامس

في اخبار الدولة الرومانية الشرقية بعد انفصالها عن السلطنة الغربية وذلك من سنة ٢٩٥ الى سنة ١٤٥٢ عبارة  
عن ١٠٥٨ سنة

قد ذكرنا في ما مضى كيفية انقسام الدولة الرومانية الى مملكتين غربية

وشرقية بعد ان شرحنا اخبار الدولة الاولى وحوادث ملوكها الى زمن انقراضها  
 ونذكر الآن اخبار السلطنة الثانية وما يتعلق بها من اهم الحوادث والاخبار على  
 وجه الاختصار فنقول انه بعد وفاة ثيودوسيوس الاول جلس ابنه اركاديوس  
 سنة ٣٩٥ على كرسي السلطنة الشرقية . وكان من جملة مما لهما وملكتهما الخارجية  
 مصر وسوريا واسيا الصغرى ثم ثراكيا وهي قسم كبير من بلاد الرومي ثم داسيا  
 اي مولدافيا وفلاخيا وما يليها من النواحي . وكان هذا الملك ضعيف الراي  
 عدم التدبير لم يحدث في ايامه ما يستحق الذكر فكانت البلاد في راحة وسلام .  
 ومات اركاديوس بعد ثلاث عشرة سنة من حكمه وخلفه ابنه ثيودوسيوس الثاني  
 سنة ٤٠٨ وكان عمره يومئذ تسع سنين وكان كايه في ضعف العقل وقلة الادراك  
 فلذا كانت مدة ايامه تحت طاعة وزرائه واخيه بوليكريا فكانت متسلطة عليه  
 وقائمة بتدبير الملكة . وحدث في زمانه ان قبائل الهونيين اي الجر اغاروا  
 على القسطنطينية فحاصروها وضيقوا على الامالي بعد ان استولوا على سبعين  
 مدينة ونهبوها فالتمز ثيودوسيوس ان يعقد صلحا مع قائدهم تحت شروط مهينة  
 للسلطنة

وبعد موت ثيودوسيوس المذكور خلفته اخيه بوليكريا فكانت ذات حكمة  
 وفراصة موصوفة بالعقل والاداب وهي اول انثى جلست على سرير السلطنة  
 الرومانية . وكان السبب في انتخابها انحطاط مقام الدولة الرومانية والاهانة التي  
 لحقت بها في ايام اخيها وايها فاقترض الحال رفع شان الدولة وتقوية شوكتها  
 فاختر اكابر الملكة هذه الاميرة لتكون ملكة عليهم وذلك لما يهدونه من حكمها  
 وحسن تديرها فبايعوها بالملك . ولكن لما كان حكم النساء عند الروم على  
 خلاف العادة خافت من ان يخلعوهما بعد ذلك عن الكرسي فتزوجت برجل  
 متقدم في السن من اكابر المجلس يدعى مارسيان وفوضت اليه امور الملكة  
 فكانت احكامها منفردة ومتمدة مع زوجها ثلاث سنين ثم انفرد زوجها بالملك  
 الى سنة ٤٥٧ وموت الملكة المذكورة انقضت عائلة ثيودوسيوس الاول . وبعد

موت زوجها ماركسيان تيوماً ليو الاول سرير الملكة بانتخاب قواد الرومانيين وهو اول امبراطور توجه بطركاً . ثم خلفه ابنه ليو الثاني سنة ٤٧٤ وكان اولاً رئيس المحافظين في ولاية من ولايات الاناضول . ثم تولى بعده زينو ثم انسطاسيوس وكان هذا الرجل قد نشأ بمدينة من مدن ايطاليا وهو من عائلة خاملة الذكر فارثى بهارتى الى ان صار من جملة ضباط النصر الملكي فساعدته التقادير الى ان تزوج بالقيصرة اريانة ام القيصر زينو فسعت في ترفيته الى المسند القيصري وامرت المجلس الروماني بانتخابه قيصراً وكان في اول حكمه مكرماً معظماً من جميع الرعايا ثم سلك مسلك الظلم والعدوان فصار ممفوتاً ومبغوضاً من الجميع . وكان دنياً بهذا المقدار حتى انه كان يعرض بيع المناصب والرتب لمن يشترى . ثم خلفه جوستينوس واصل مولده في بلاد الروملي وكان اولاً يرعى المواشي ثم انتظم في سلك العسكرية وارثى الى اعلى الرتب في ايام ليو الاول ثم استولى على سرير الملكة بالحيلة والخداع بعد انسطاسيوس وسلك في احكامه سبيل العدل والانصاف

وبعد جوستينوس قام جوستينيانوس سنة ٥٢٧ للميلاد فزهت السلطنة في ايامه وعظمت سطوتها بسبب انتصاراته الكثيرة فاستخلص بلاد افريقية من ايدي القندال بواسطة بليساريوس القائد الشهير الذي اخضع قرطاجنة ايضاً واسر ملكها جليم واتى به الى القسطنطينية فقتل هناك في وسط معقل عظيم . ومن ذلك الوقت صارت افريقية تابعة سلطنة القسطنطينية . ثم زحف بليساريوس على ايطاليا واخضعها مع سيسيليا وقهر فينتيس ملك الاستروغوت واتى به اسيراً الى القسطنطينية مقيداً بالزنجير . فهذه الانتصارات والافتتاحات حركت حمية قباد بن فيروز ملك فارس على حرب الروم وتجهز بجيش عظيم لقتالهم . ولما بلغ خبره جوستينيانوس ارسل اليه قائده بليساريوس بالجيش الكبيرة فجرى بينها عدة وقائع تارة انتصر فيها الفرس واخرى الروم فاستمر الحال على ذلك مدة مستطيلة واذ لم يتمكن الواحد من الآخر تمكناً كافياً اوقفنا

الحرب وتمادنا مدة خمسين سنة . وكانت قبائل الغوث في ايطاليا قد اظهرت العصاة يومئذ على الملكة الشرقية واستقلت في تلك البلاد فارسل اليها الملك جوستينيانوس القائد بليساريوس ثانية ليقاتها ويخضعها . وعند وصوله الى ايطاليا وشى به بعض حساده ومبغضيه الى الملك وتكلم في محقه بما لا يليق فاستدعاه الى القسطنطينية وارسل مكانه نارسيس القائد فاستخلص البلاد من ايدي الغوث وادخلهم تحت الطاعة والانتقاد ومن ذلك العهد صارت حكومة ايطاليا منوطة بايدي الولاة الروم فكانوا يحكمون عليها ويسوسونها من طرف سلطنة القسطنطينية . وفي تلك البرهة نهض قوم من البلغار بين واتحدوا مع قبائل بلاد السرب وتقدموا بمجموعهم الى مكدونيه وثراكيا فهاجوها ونهبوها وامتدوا في غزوم وغاراتهم الى ان اقتربوا من القسطنطينية فخرج لقتالهم القائد بليساريوس المذكور فوقع بهم وشنت عليهم وكانت هذه الحروب آخر انتصاراته اذ رفضه بعد ذلك الملك واکابر الوزراء بسبب وقوع بعض مفاسد وفتن اتهموا بها فصار مكروهاً ومبغضاً من الجميع وصرف باقي عمره في الدل والهوان

واكن مع كل سطوة الملكة وشهرة عظمتها ومجدها من خارج كانت احوالها اداخلية غير مرضية بسبب المصائب التي دهمتها لاسيما بوقوع الزلازل الكثيرة التي حدثت في اقطار الملكة واضرت باكثر المدائن وعلى الخصوص مدينة انطاكية فانه كان قد هدم اكثرها وقتل فيها نحو ٢٥٠ الف نسمة . ثم عتب ذلك وبأعام دام وقتاً طويلاً . وكان يموت بهذا الطاعون في القسطنطينية يومياً نحو خمسة الاف نسمة على ما قيل ثم اتصل العدد الى عشرة الاف في كل يوم واستمر ذلك على مدة ثلاثة اشهر حتى قل عدد الجنس البشري في ايام الملك جوستينيانوس وانقضت مدائن كثيرة في الشرق من سكانها

واشهر هذا الملك في اشتغاله بمساعة تربيونيان الفقيه على استخلاص السنن والشرائع الرومانية الكثيرة المجموعة منذ اجيال عديدة وفي سن قوانين

وشرائع مدنية تعرف بالقانون الجوستينياني فكان ذلك من اعظم اعمال ذلك العصر وهو الان قاعدة واساس الاحكام المدنية المحاضرة  
ثم قام بعد جوستينيانوس ابن اخيه جوستينوس الثاني وكان في اول امره حميد السيرة موصوفاً بالعدل والاستقامة ثم ظلم وجار في الرعية واشتغل بالولائم والملاهي عن الاحكام وترك تدير الملكة بيد زوجها صوفية التي احبت شاباً يسمى طيباريوس متصفاً بالذكاء والاراء السديدة فكانت تستشيرهُ في جميع امورها ولا تعمل الاّ براءه فطلبت من زوجها وحملته ان يتبناه وان يوصي له بالقيصرية بعده قاصدة ان تزوج به فاجابها الى سواها وتبناه وعهد اليه بالملكة وجعله مستشاراً وشريكاً معه في السلطنة . وفي ايام جوستينوس المذكور هاجم شمالي ايطاليا قوم من اللونغوبارد فتلكوها واستقلوا بها بعد ان طردوا منها حكام السلطنة ودعوها ايطاليا اللومباردية . وكان ملك التتر الهبارة قد ارسل الى جوستينوس سفراء لعقد معاهدة حية بين الدولتين فرفض هذا الطلب واظهر التعاضم والكبرياء ثم اتفق بعد ذلك مع ملك التركان وتحالف معه على حرب كسرى انوشروان ملك فارس بسبب منازعتها على بلاد ارمينيا . فقامت الحرب بين جوستينوس وانوشروان واستمر القتال بين الدولتين الى موت الملكين فانقطعت الحرب بموتها مدة وكانت مدة حكم جوستينوس ثلاث عشرة سنة

وقام بعده بالملك طيباريوس السالف ذكره . وعند جلوسه على كرسي السلطنة اقام حرباً مع هرمز بن انوشروان وارسل لقتاله قائداً من خاص قواده يدعى موريس . بتانين الف فارس فخارب العجم وانتصر عليهم في عدة مواقع . فكافأ الملك هذا القائد بالمواهب الجزيلة وزوجه بابنته وعهد اليه بالملك . وبعد موت طيباريوس نبأ تحت السلطنة موريس المقدم ذكره وفي ايامه حدثت ثورة في بلاد الفرس الزمت هرمز بن انوشروان ان يفر من البلاد ويأتي اليه مستغيثاً به فترحب به واكرمه وامده بالمجيوش واعاده الى كرسي العجم

تحت اسم ابرويز خسرو الثاني . ثم حوّل هذا الملك التفتائه الى حرب التتر الهبارة الذين كانوا قد اتوا من اسيا واتحدوا مع اللومبارديين وسكوا بانونينا التي هي بلاد المجر فارسل لقتالهم قائداً من قواده واصحبه بجيش عديد فاتصر عليهم في خمس وقائع . وكان ملك التتر قد اسر من عسكر الروم في تلك الحروب اثني عشر الف فارس فاعرض على موريس اقتداء الاسرى المذكورين وجعل على كل واحد ديناراً . واذ كان موريس موصوفاً بالجلل الذي لا مزيد عليه لم يقبل بذلك ثم راجعه ملك التتر وطلب منه نصف دينار فداء كل راس فرفض سوا له وابي ان يعطيه شيئاً فاغناظ ملك التتر من فرط بخله وذبح جميع اسرى الروم فلما اشتهر هذا الامر نفرت طباع الناس من ملكهم وايضوه وخذ عليه جميع الجند واظهروا عليه العصيان واقاموا مكائده رجلاً من رعاك الجند يدعى فوكاس فبايعوه بالسلطنة سنة ٦٠٢

وكان موريس وقتئذٍ بالقسطنطينية فلما بلغه هذا الخبر فرهارياً مع عائلته الى خلكيدون فارسل فوكاس في اثره فقبضوا عليه وجاءوا به اليه مقيداً مع اولاده وكانوا خمسة فامر بضرب اعناق الاولاد بحضر ابيهم . وبينما كانوا يقتلونهم كان ابوهم ينادي ويقول عادل انت يا الله وعادلة هي احكامك ولما انتهوا من قتلهم امر فوكاس بقتل موريس ابيهم فقتل . ومن اعمال هذا الملك النظيعة انه عند جلوسه على تخت السلطنة اصدر امراً الى عامله بمصر يامره برفض جنس المصريين من الوظائف الميرية فحدث من جرى ذلك اضطراب وفتنة في الاسكندرية وكان اكثر اهل هذه الفتنة طائفة اليهود بالاسكندرية فحكم عليهم هذا الملك ان يتصروا فتنصروا واعتمدوا رغماً عنهم

اما خسرو الثاني ملك الفرس الذي هو ابرويز بن هرمز فعند سماعه بقتل موريس الذي انقذه واعاده الى ملك ابيه اظهر الحزن والاسف وانتهر الفرصة لفتح باب الحرب مع الروم متخذاً ذلك حجة وسبباً للانتقام من فوكاس فنهض واستخلص من ولايات الروم الشرقية عدة حصون وقلاع وانصلت

غارته الى بلاد سوريا وكان فوكاس قد سير جيشاً جراراً لقتاله فانكسر  
وتفرق

وكانت امة الروم قد نفرت من تصرف فوكاس واعماله القبيحة وندمت  
وزراء السلطنة وباقي الامراء على مبايعته وصموا على خلع فكتب احدهم رسالة  
من طرف اكبرهم الى هيراكليوس والي افرىية وهو المعروف عند مؤرخي  
العرب باسم هرقل ان يحضر لتخليص القسطنطينية من ايدي فوكاس . فلما  
وقف هيراكليوس على هذه الرسالة جهز عمارة عظيمة وشحنها بالمهمات والعساكر  
وارسل ابنه طليعة امامه ثم سار بنفسه الى القسطنطينية وعند وصوله اليها قبض  
الشعب على فوكاس واتوا به الى هيراكليوس وضربوا عنقه وعنق اخوته ومن  
يلوذ به وبايعوا هيراكليوس في سنة ٦١٠ للمسيح وعمره ٢٥ سنة

وقد ذكرنا ان ابرويز خسرو ملك فارس كان قد تغلب على اكثر ولايات  
الروم الشرقية في زمن فوكاس . فاستمر بافتتاح البلاد في ايام هيراكليوس ايضاً  
حتى استولى على انطاكية والقدس والاسكندرية ثم انصلت مغازيه الى ديار مصر  
وبلاط المغرب وصالح مصرًا على ان تدفع له مالا معلوماً كما كانت تدفع لفياصرة  
الروم . ثم انه بعد هذه الانتصارات قصد بلاد الاناضول واستولى على بروسه  
الواقعة على بوزاز القسطنطينية واستعان هناك بقبائل النتر الهبارة وتعاهد معهم  
على ان يغيروا على بلاد الرومي فغاروا على تلك الجهات ونهبوا المدائن والقرى  
واستمرروا في غزوه حتى اقتربوا من اسوار القسطنطينية وانتشروا في تلك الاماكن .  
فكانت السلطنة الرومية يومئذ في ضيق شديد محاطة بعساكر الاعداء من  
جميع الجهات حتى لم يبق من ملكتها اذ ذاك الا مدينة القسطنطينية وبعض  
اقاليم على سواحل البحر . فلما اشتد الحال على هيراكليوس وأيس من النصره  
لقله عدد العساكر وعدم وجود النفود الكافية لتعيين الجيوش صم ان يسافر  
الى تونس وينقل سرير ملكه اليها لانها كانت من جلة ولاياته الغربية . فصدّه  
عن ذلك بطرك القسطنطينية وفتح خزائن الكنيسة وامدّه بما يلزم من الاموال



لتعيين الجنود والابطال فصالح التندر المذكورين ورفع عنه اثنانم تحت مبلغ معلوم من المال ثم انه عين جيشاً عمرماً وزحف بنفسه لقتال الفرس وعند وصوله الى كيليكية نصب خيامه في ايسوس حيث انتصر اسكندر على داربوس فوافته جنود الفرس الى هناك فانتصر عليهم بعد قتال شديد ثم رجع الى القسطنطينية ظافراً منصوراً . وكانت عساكر الفرس بعد هذه الهزيمة لا تزال نشن الغارة عند وقوع الفرص على تملكات الروم المشرقية وتثير الفتن وتلقي الفساد في اطراف تلك البلاد فنهض هيراكليوس ثانية لصددهم وردعهم فعبر البحر الاسود وقطع جبال ارمينية وكان قد اتحد مع التركمان على قتال الفرس فامدوه بمجانب من الجند ثم قصد بلاد العجم وعند وصوله الى نينوى وقع بينه وبينهم قتال مهول انتصر فيه جنده على الفرس انتصاراً عظيماً . واتفق بعد ذلك بابام قليلة ان شيرويه وثب على ابيه ابرويز خسرو ملك فارس فقتله وجلس مكانه وعقد صلحاً مع هيراكليوس بعد ان رد له جميع الولايات التي كان قد افتتحها ابوه من الروم فانسحب هيراكليوس بعد ذلك عن حربه وارتد راجعاً الى بلاده بالعرز والنصر

ولكن لم تكن اواخر ايام هيراكليوس كواسطها فانه بعد رجوعه الى القسطنطينية اهل ادارة الاحكام وانهمك في مجادلات دينية من جهة لاهوت المسيح . وفي اثناء ذلك افتتحت المسلمون في ايام خلافة ابي بكر مدينة القدس ودمشق الشام واستولت على جانب كبير من سوريا . وكانت مدة حكمه احدى وثلاثين سنة . وكان نائبة على مصر المقوقس الذي حاربه عمرو بن العاص في ايام خلافة عمر بن الخطاب وافتتح منه البلاد

ومنذ موت هيراكليوس الى قيام جوستنيان الثاني سنة ٦٨٥ لم يحدث شيء يستحق الذكر سوى مهاجمة المسلمين القسطنطينية مراراً عديدة ورجوعهم عنها بالنشل والخيبة . وكان جوستنيان المذكور عنيداً قاسياً عديم الشفقة مضطرباً في جميع احواله فمقتته الشعب وقواد الجنود فخلعوه عن الكرسي وخلعوه

ليوتيبوس ثم طيباريوس الى سنة ٧٠٥. وكان طيباريوس نظير جوستنيان السالف الذكر فخلعة الشعب عن الكرسي فسار الى بلغاريا وهناك جمع عسكرياً ثم رجع كاراً الى القسطنطينية لاسترجاع تاج الملك فدخلها واغصب الكرسي قهراً وبقي ملكاً مدة ست سنوات ثم قام عليه الشعب وقتله

وسنة ٧٦٦ تبوأ سرير السلطنة ليو الثالث وكان اصله من ايسوريا وهي مقاطعة صغيرة في اسيا الصغرى وهو من نسب حمير الا انه كان حاذقاً نجيباً سريع الادراك للامور البعيدة فارتقى بهذه الوساطة الى رتبة سامية في العسكرية ثم تسمى بعد ذلك قيصرًا واستبد بالسلطنة الى سنة ٧٤١ وفي ايامه افتتح باب الجدل بين الكيستن الشرقية والغربية من جهة عبادة الصور ووقع بينها الاختلاف والنزاع في شان هذه المسئلة حتى انتهى بها الامر الى الانقسام وفي ايامه ايضا خسرت الروم جميع تملكاتها في ايطاليا

وكان بعد موت ليو الرابع ان زوجته ايرينا تبوأ كرسي السلطنة بالنيابة عن ولدها قسطنطين السادس الذي كان يومئذ صغير السن فلما بلغ ابنها اشدّه نزع الملك من يدها وقبض على زمام السلطنة ففسدته واضمرت له الشر طمعاً بالملك ثم اختلفت عليه فاعدمته بصره واستبدت باحكام السلطنة نحو خمس سنين وهي التي اعادت عبادة الصور الى الكنيسة الشرقية. وسنة ٨٠١ ارسات كتاباً الى شارلمان ملك فرانساً تعرض عليه ان يتزوج بها ويضم السلطتين الى سلطنة واحدة كما كانتا سابقاً فقام عليها قهرمانها نيسيفوروس واستخلص منها كرسي السلطنة وجلس مكانها بعدما نناها الى جزيرة ليسبوس حيث قضت هناك سنة كاملة في احتياج وضيق شديد وبقي نيسيفوروس المذكور ملكاً الى ان قتله كرومنوس ملك البلغار سنة ٨١١. وفي ايامه غزا المسلمون اسيا الصغرى وقهروا الروم في املاكهم الشرقية وضربوا عليهم الاموال. ثم خلف نيسيفوروس ميخائيل الاول سنة ٨١١ وكان قد حارب كرومنوس ملك البلغار لياخذ بشار سالفه نيسيفوروس فانكسر وانهزمت جيوشه والعم ان يهرب وبلغني الى بعض

الاديرة . ثم خلفه ليوا الخامس سنة ٨١٢ وهو ارمني الاصل وكان بطلاً هاماً ذا صولة وهيبة وعند جلوسه على كرسي السلطنة جهز العساكر والجنود وسار بنفسه لحرب البلغارين فانتصر عليهم وقهرهم وقتل منهم عدداً كثيراً . ثم خلفه ميخائيل الثاني سنة ٨٢٠ . ثم ثيوفيلوس قليل الحظ سنة ٨٢٩ . ثم ميخائيل الثالث سنة ٨٤٢ وهو اخر ملك تولى من ذرية هيراكليوس وكان طفلاً صغيراً فكانت امه ثيودورا تحكم عنه بالنيابة وكان لها اخ يدعى برداس كان قد اقيم وصياً على الولد في حياة ابيه فاخذته الطمع في تاج الملك ووجه افكاره الى الحصول عليه فطفق يستعمل الوسائط اللازمة لنوال المرغوب واذ نجح في مقاصده طرد ثيودورا من القصر الملكي غير مبال بالمعروف الذي كان قد ناله من يدها وتصرف بالملك مدة ٢٤ سنة . وكان برداس المذكور محباً للعلوم والفنون وهو الذي اقام فوتيوس الشهير بطريكاً على القسطنطينية سنة ٨٥٨ . ولكن لما بلغ ميخائيل سن الكمال نذر من برداس لاختلاسه الملك فعل على قتله بواسطة تابعه باسيل واستبد بالاحكام الى سنة ٨٦٢ وكانت الحروب يومئذ متصلة بينه وبين المسلمين في خلافة المتوكل بالله واخيراً مات قتلاً من يد باسيل

ثم قام بعد ميخائيل الثالث باسيل المعروف بالماكديوني سنة ٨٧٦ وهو اول سلاطين الدولة المكدونية وكان اصل هذا الامبراطور من عائلة فقيرة وسائساً عند سالن ميخائيل الثالث ماهراً جداً في تربية الخيل . فاحبه ميخائيل ومال اليه لقتله برداس واشركه معه بالاحكام واذ كان هذا الامبراطور موصوفاً بالفراسة والذكاء ومحباً لانتشار المعارف لم يحتمل اطوار ميخائيل الفظة وقساوته الشنيعة فعل على قتله واستبد بالاحكام الى سنة ٨٨٦ واعاد للسلطنة جانباً من عزها وشرفها الاولين باستخلاصه كريت والصفليتين ثم باصلاح نظامات وشرايع البلاد وتخصيبها وتقويتها بحيث صارت نستطيع ان نتخ حروباً ونقاوم مهاجمات العرب وقبائل اوروبا . ولهذا الامبراطور تاليف يعرف بفن الاحكام كتبه لابن ليوطيع في باريز سنة ١٠٨٤ وترجم للغة الفرنسية سنة ١٥٩٠ وله ايضاً مجموع

للشرايع في ٦٠ مجلدًا تعرف بالباسيلية ابتدا فيها باسيل وأكلها ابنة وهي مطبوعة  
 ايضاً في باريز حديثاً. واستمرت الاحكام في ايدي سلاطين العائلة المكدونية الى  
 سنة ١٠٥٦ للميلاد ومن أشهر سلاطينها واعظهم نيسيفوروس فوكاس ويوحنا  
 زميسيس فكانت البلاد في ايامها نامية وزاهية وكان يوحنا زميسيس  
 قد حارب المسكوب عند غارتهم على القسطنطينية فاتصر عليهم وقهرهم. ثم  
 زحف الى سوريا فاستخلص اولاً جزيرة قبرس ثم مدينة انطاكية من ايدي  
 المسلمين وبعد ان ارجف بغاراته قلوب اهل تلك البلاد زحف بالعساكر  
 وقطع نهر الفرات وافتتح مدائن وحصوناً كثيرة في تلك الجهات. ولكن بعد  
 موت هذا السلطان الشهير تولى سرير الملك عدة ملوك خايلي الذكر ضربنا عنهم  
 صفحاً وكان اخرهم ميخائيل السادس فكانت المملكة في ايامه في حالة السقوط  
 والضعف

ولما رأى الروم ضعف ملوكهم وسقوط دولتهم بايعوا امحق كومنينوس  
 بالسلطنة سنة ١٠٥٦ وكان المذكور من عائلة معتبرة من عيال الرومانيين  
 فاستبد بالاحكام نحو ستين ثم تنازل بسبب مرض اعتراه. ومن خلفائه  
 اليكسيوس كومنينوس جالس سنة ١٠٨١ وكانت البلاد في ايامه في اضطراب  
 وخطر عظيم من مهاجمات الاتراك واستغلاصهم الولايات الشرقية ومن تهديدات  
 النورمنديين وتقدمهم على القسطنطينية تحت رئاسة روبرت غيسكار بعدما كانوا  
 استولوا على جميع تملكات الروم في ايطاليا. فنهض اليكسيوس بالجيش  
 للدفاع والحمامة عن بلاده من سطوة الاعداء فالتقى بالنورمنديين الذين  
 كانوا يومئذ محاصرين مدينة دوراتسو فقاتلهم وانهمز من امامهم بعد وقائع  
 هائلة. ثم تجددت تلك الحروب ثانية بين الفريقين مجراً تجاه جزيرة كورفو  
 فكانت الدائرة على اليكسيوس. وانفق في ذلك الوقت موت روبرت  
 غيسكار فانسحب النورمنديون عن الحرب بموت ملكهم وارندوا راجعين الى  
 بلادهم وكان ذلك سبباً لجماع السلطنة الرومية وخلصها من ايدي المقتصبين.

وكان لايكسيوس الذي نحن في صدره ابنة يقال لها حنة كومينا ذات عقل  
 وادب وذكاء مفرط وكانت من احسن نساء عصرها وانجبهن واعظم من اشتهر  
 من جنس النساء في فن التاريخ . واشتهر الكسيوس هذا في صحف التاريخ  
 بحياته للصليبيين ومقاومته لهم سراً فكان يدعوهم في اول الامر من اوروبا  
 ويعددهم بالمساعدة على اعدائهم ليضعف بواسطتهم قوة الاتراك السلجوقيين  
 الذين كانوا يتهددونهم بالحروب والغارات ثم عند انتصاراتهم يعمل على ضررهم .  
 وكان جل قصده بهذه التدابير السياسية تهيج ممالك اوروبا وتشغيل افكار شعوبها  
 بتجهيز الرجال وجمع الاموال للحاربة سوريا وفلسطين ليوفي سلطنته من مغازي  
 طوائف الافرنج التي كانت طالما تشتاق الى فتح تلك البلاد طمعاً باكتساب  
 غناها . وقد جاءه الامر طبق مراده فانه بسبب حروب الاتراك مع الصليبيين  
 انتهر الفرصة فاستخلص عدة مدائن وجزائر كان المسلمون قد استنحوها منه  
 وجعل البلاد ان تكون في امن وسلام ليس فقط في ايامه بل ومن بعده ايضاً  
 زمناً طويلاً

ومن ملوك هذه الدولة اسحق انجيليوس حكم من سنة ١١٨٥ الى سنة ١١٩٥  
 وفي ايامه استقلت بلاد البلغار بعد حروب مهولة واخذت جزيرة قبرس  
 وبيعت كريت الى فينيس ثم اظهر الصليبان عليه اخوه اليكسيوس انجيليوس  
 فانزله عن الكرسي وسجنه بعدما قلع عينيه وجلس مكانه . فهرب ابن اسحق  
 المذكور وكان اسمه اليكسيوس ايضاً الى مدينة رومية واستغاث بالبابا اينوسنت  
 الثالث في اعادة ملك ابيه اليه . وكان وقتئذ مجتمعاً في مدينة فينيس جمهور  
 غفير من عضاء اوروبا واشرافها بعد ارسال تجريدة صليبية رابعة الى فلسطين  
 فارسل البابا اليهم اليكسيوس واصحبه بتوصية قوية الحث عليهم فيها ان يتذوه  
 من تعدي عمه وظلمه . فاجابوه الى ذلك وارسلوا معه جماعة من الحجاج الفاصدين  
 زيارة الاراضي المقدسة مع عشرين الفاً من الفينيسيين الى القسطنطينية وعند  
 وصولهم الى المدينة حاصروها بعد ان احرقوا عمارة الروم المحافظة عليها . ولما

اشتد الحال على اليكسيوس انجيلوس هرب سراً خوفاً من القتل فعند ذلك حلت الاهالي ملكها الاول اسحق من الاعتقال ونادت باسم ابنه اليكسيوس وفتحت ابواب المدينة الى اللاتينيين فدخلوها على سبيل الضيافة . وكان لما وعد البابا اليكسيوس بالمساعدة على هذه الكيفية اخذ منه وعداً بأنه عند نهاية الامر ونوال المرغوب يجعل السلطنة الشرقية ان تكون خاضعة لاحكام الباباوات وقوانينهم وانه يكون مساعداً في جميع الحروب الصليبية وان يعطي منقذيه تضميناً كافياً مقابلة لانعابهم . فاستعظم الروم هذه الشروط ورفضوها ولا سيما انهم نفروا من خدش استقلالية كبريتهم . فاجتمع جمهور اعيانهم وطلبوا من المجلس العالي ان يعزل لم اليكسيوس بن اسحق المذكور ويختب لم امبراطوراً اخر يكون اكثر لياقةً لذلك المنصب السامي . فلبى المجلس مرغوبهم واجابهم الى مطلوبهم واقام لم اليكسيوس دو كاس الملقب مازوفلوس ملكاً وعند جلوسه على سرير السلطنة قبض على اليكسيوس بن اسحق وقتله واما ابوه فمات بعد ذلك في شيخوخة محزنة

واذ لم يفد مازوفلوس بوعد سالفه اليكسيوس الذي تعهد به للبابا نهض اللاتينيون وحاصروا المدينة وتلكوها ونهبوها وهدموا قصورها وابنتها المستخرقة واقاموا عليها قائدهم بودوين امبراطوراً وبقي ملكاً الى ان مات قتيلاً في وقعة حدثت بينه وبين اهالي تراكييا . واستمر حكم اللاتين على السلطنة الشرقية من سنة ١٢٠٦ الى ١٢٦١ وكانت حروب الروم في اثناء هذه المدة متصلة دائمة مع اللاتين طمعاً باستخلاص العاصمة من ايديهم . وفي غضون ذلك اسست امة الروم ملكيين روميين احداها في نيقية سنة ١٢٢٢ وملكها ثيودور لاسكاريس والثانية في طرابزون وملكها اليكسيوس كومنينوس فكاتنا في نوعظيم يوماً بعد يوم بينما كانت سلطة اللاتينيين في القسطنطينية في هبوط وسقوط . وفي سنة ١٢٦٠ اذ كان ميخائيل باليولوغوس ملكاً على نيقية نهض مع صاحبه يوحنا لاسكاريس وهاجما القسطنطينية في زمن سلطانها بودوين الثاني فاستخلصها من ايدي

اللاتين واعادا اليها تحت السلطنة كما كانت في سالف الازمنة وجلس على سريرها ميخائيل باليولوغوس السالف الذكر وكان يوحنا لاسكاريس الذي اعانه واشترك معه على استخلاصها وتحريرها منتظراً الخلافة بعده . فعامله باليولوغوس بقساوة وحشية اذ قلع عينيه ونفاه من اقطار السلطنة . فخرمه البطريرك ارسانيوس على هذا الفعل القبيح واستمر باليولوغوس ملكاً الى ان توفي سنة ١٢٨٠ فقام مكانه ابنه اندرونيكوس وفي ايامه اغار على السلطنة طوائف من الاسبانويين فلم يتمكنوا منها وكانت البلاد يومئذ في قلق واضطراب بسبب ثورات داخلية

وسنة ١٢٥٥ تبوأ سرير السلطنة يوحنا باليولوغوس وكانت مدة حكمه نحو ٢٦ سنة وكان ملكاً ظالماً قاسي القلب قبيح السيرة ومن جملة قبائحها انه قلع عين ابنه الاكبر اندرونيكوس وحفيده يوحنا وسجنها وسمى مانويل ابنه الثاني وربنا له . فهاج الشعب من هذا الصنيع الشنيع واجتمع اعيانهم فاخرجوا الاعميين من السجن واعادوها رغماً الى كرسي الملكة . فالتزم باليولوغوس ان يهرب مع ابنه مانويل وبسبب ذلك وقع تمزبات وانقسامات بين الاهالي الجائهم الى ان يشهروا السلاح بعضهم على البعض واخيراً انفقوا على ان يقسموا السلطنة الى قسمين فخصصوا مدينة القسطنطينية لباليولوغوس وابنه مانويل وضموا باقي البلاد الى حدود القسطنطينية للاميرين الضربين

وفي سنة ١٢٩٥ اغار على القسطنطينية السلطان بايزيد من آل عثمان وتهدد ملكها بالخراب فعقد معه صلحاً تحت مال معلوم بدفعة له فانسحب عنه ثم هاجمها ثانية سنة ١٢٩٩ تحت حجة الاخذ بشار يوحنا الاعى فحاصرها وضيق عليها فالتزم مانويل ان يهرب الى فرانسوا بطلب الامداد والنجدة فلم يجده احد . وانفق في اثناء ذلك ظهور تيمورلنك واغارته على الولايات العثمانية فاضطر السلطان بايزيد ان يرحل عن القسطنطينية خوفاً من سطوة تيمور على بلاده

فكر راجعاً وحاربه بقرب مدينة انقره فانهزمت جيوشه وقتل هو في تلك الموقعة.  
وقام مكانه محمد الاول فاستولى على بلاد البشناق والفلاخ ثم جلس بعده السلطان  
مراد صاحب الوقائع المشهورة مع الدول الافرنجية ولاسيا في موقعة فارنا.  
ثم صعد بعده على سرير الملك السلطان محمد الثاني الملقب بالفاتح وكان من  
الشجعان الموصوفين ولم يكن دابة الا الغزو والجهاد وافتتاح البلاد وكان قد  
صم النية على استخلاص القسطنطينية والاستيلاء على السلطنة الشرقية فجهز العساكر  
والجنود وعقد الرايات والبنود وزحف اليها بثلاث مئة الف مقاتل في زمن  
ملكها قسطنطين الذي هو اخر سلاطينها فحاصرها براً وبحراً الى ان افتتحها قوة  
وقهراً في اليوم التاسع والعشرين من شهر ايار سنة ١٤٥٣ وصارت من ذلك  
اليوم كرسي سلطنة دولة آل عثمان . وقد مر استيفاء الكلام على حصارها  
وافتحها في تاريخ الدولة العثمانية ومن ذلك الوقت انقضت السلطنة الشرقية  
وهكذا بالتدرج فقدت جميع تملكاتها وولاياتها فان اثينا سقطت سنة ١٤٥٦  
ثم مولدافيا وبلاد السرب ثم المورة وطرابزون والباينا ثم بلاد القرم  
وغيرها من الملائن الاوروبية التي قد مر ذكرها في  
الكلام عن تاريخ آل عثمان فسبحان  
من يغير ولا  
يتغير



## الفصل السادس

في ملكة اسبانيا

### الباب الاول

في جغرافية هذه البلاد

ان ملكة اسبانيا هي شبه جزيرة وتحسب من الممالك الشهيرة نظراً لوضعها  
وقدميتها ومحاصيلها . اما هواؤها فحيد لا يتسلط فيها البرد الشديد كباقي البلاد  
الشمالية . وفيها كثير من الجبال المعفرة المرتفعة وودية مستظرفة مبهجة الى  
الغاية . اما حدودها فللشمال الشرقي فرانسا يفصلها سلسلة جبال الپيرانيز اي  
جبال البرن وللشمال الغربي الاوقيانوس الانلانتيكي وخليج بيسكي وغرباً  
البورتوغال وجنوباً البحر المتوسط وبوغاز جبل طارق الفاصل بينها وبين  
افريقية وشرقاً البحر المتوسط ايضاً . ومن جملة ما يبيت في هذه البلاد القمح وغيره  
من الحبوب والنباتات والبقول وانواع من الاثمار والفواكه كالرمان والتين  
والليمون واللوز خصوصاً العنب الذي يستخرجون منه الخمر الجيدة . ويوجد  
فيها من احسن اجناس الخيل ولا سيما الغنم المسماة مروية وهي ذات اصواف  
عظيمة رفيعة يصنعون منها الشالات النفيسة والاقشنة الثمينة . وبها ايضاً عسل  
النحل والحبر والقرمز وغير ذلك

اما سكانها فيبلغ عددهم سبعة عشر مليوناً عدا سكان املاكها الخارجية .  
واكثر اهلها في حالة الغباوة ويمتازون بصلابة الراي . والفقر بينهم كثير من

جرى حروبهم الداخلية التي تكاد تكون متواصلة ولكن مع ذلك توجد فيهم  
الاناسة والल्पف وهم يحبون الملاهي والمسرات

وعاصمة هذه المملكة مدينة مادريد وهي من المدن الظرفية تحوي على  
٢٧٥ الفاً من السكان يحيطها سور كبير وازقتها عريضة ونظيفة وفيها من الابنية  
والمعامل والمدارس والمكاتب ما يكفي لان يجعلها بين صفوف مدائن الرتبة  
الاولى وكانت في زمن تلك الرومانيين قرية حقيرة ولما افتتحها المغاربة سنة  
١١٠٩ اقاموا فيها الحصون والاراج واطلقوا عليها اسم مادريد . وسنة ١٤٠٠  
اعتنى بتحسينها وتكبيرها الملك هنري الثالث ولكنها لم تصر عاصمة المملكة الا سنة  
١٥٦٣ في ايام فيليب الثاني

ولهذه المملكة تملكات خارجية يبلغ عدد اهلها نحو ستة ملايين ونصف منها  
جزيرة كوبا الشهيرة وجزيرة بورتوريكو في اميركا وهي التي اكتشفها كريستوفوس  
كولمبوس سنة ١٤٩٢ ومن ذلك الوقت صارت من تملكات الاسبانوليين  
ولكنها دخلت في ايدي الانكليز مدة قصيرة ثم ارجعتها لاصحابها والمرجح بانها  
لا تبقى تابعة لاسبانيا زمناً طويلاً وسيصيرها ما اصاب باقي تملكاتنا في اميركا .  
ومنها ارخبيل الفيلين بين جزائر الاوقيانوس  
وفي هذه المملكة قصور وكنائس وابنية فاخرة من اعجب ما يوجد في العالم  
اقامها العرب في زمن تملكهم تلك البلاد . اما الديانة الغالبة فهي اللاتينية

## الباب الثاني

في تاريخ اسبانيا منذ منشأها الى ظهور فردينند وايزابلا في  
الجيل الخامس عشر للميلاد

ان اول من دخل اسبانيا الفينيقيون بقصد التجارة لكثرة معادنها وغلاتها  
فكانوا يبيعون لاهلها محصولات بلادهم ويجلبون منهم الذهب والفضة . وكثرة

ترددهم اليها بنوا عند مضيق جبل طارق عمودين كبيرين وهما المعروفان  
بعمودي هر كول فكانا علامة حدّ لاسفارهم اذ لم يتجرأوا وقتئذٍ على الدخول الى  
المحيط الشاسع. ثم بعد الفينيقيين دخل اليونان الى اسبانيا وبنوا فيها عدة مدائن.  
ثم دخل بعدهم القرطاجنيون وملكوها ولكنهم لم يلبثوا بها طويلاً حتى استخلصها  
الرومانيون من ايديهم سنة ١٢٤ ق م وبقيت في حكمهم الى سنة ٤٠٦ لليلاد  
حين اتى قوم من برابرة شمالي اوروبا يدعون سوافيين وهم قبائل مختلفة من  
شعوب جرمانيا كالكثيين والفندالين الذين باسمهم تسمت البلاد انديلوسيا  
اي الاندلس واستولوا عليها. فسكن بعض هذه القبائل فيها مدة قصيرة ثم رحلوا  
عنها وبعضهم اقاموا فيها اكثر من مئة سنة. وفي اثناء ذلك اتى قوم من نواحي  
الدينبارك واسوج ونروج سنة ٤٧١ لليلاد يدعون بالغوثيرين فدخلوا الى  
اسبانيا وتغلبوا عليها واستولوا على قسم من فرانسا ايضاً. وكان اليونانيون  
يترددون كثيراً على اسبانيا حتى صار لهم جملة مراكز على الشواطئ البحرية في زمن  
الملك جوستينيانوس فنهض الغوثيرون لمقاومتهم سنة ٦٢١ وابعدهم عن تلك  
الجهات واستقلوا في البلاد بدون معارض ولا منازع وكانت مدة اقامتهم فيها  
نحو ٢٠٠ سنة. وكان آخر ملوكهم رودريك الذي في ايامه هاجمت المسلمون  
البلاد واستلموها كما تقدم القول في اخبار العرب ما عدا اراضي استوربا التي  
على الشاطئ الشمالي. واذ كان لكل امرٍ سبب لا يأس من ذكر الاسباب التي  
هيأت الطريق لدخول المسلمين الى اسبانيا فنقول ان رئيس قبيلة الغوث  
المسي اورك كان قد نظم لاسبانيا قوانين جديدة وتنظيمات مفيدة ارتقى بسببها  
الى درجة سامية عند الاهالي فاقاموه عليها ملكاً. ثم تنصر الغوثيرون في ايام  
الملك ريكارد الاول واختلطوا بالامة اللاتينية والامة الاسبانية الاصلية فصاروا  
جميعاً امة واحدة اسبانية. وكان الغوثيرون يقيمون ملوكهم بالانتخاب فكان  
ذلك مصدراً للنزاع والتخربات والحروب الاهلية. فانفق في اواخر الجبل  
السابع ان ملكاً من هؤلاء القوم يقال له فينيترا وقع بينه وبين دوك كردوفا

نزاع فاستطال على الدوك المذكور وقلع عينيه فنهض ابن الدوك للانتقام من الملك وَاخذ بشار ابيه وكان اسمه رودريك والعرب يسمونه لزريق وقاتل الملك فينيترا وانتصر عليه واغتصب منه تاج المملكة سنة ٧١٠ للميلاد . حينئذ ذهب اولاد الملك المخلوع مع باقي اقاربهم الى بلاد المغرب والنجاد الى موسى بن نصير العامل من طرف الوليد بن عبد الملك وطلبوا منه ان يقيم حرباً على الاندلس ويتقم من ملكها رودريك فكتب موسى الى الوليد يستأذنه بذلك فاذن له . فارسل موسى جيشاً جراراً تحت قيادة طارق بن زياد فافتتح البلاد شيئاً بعد شيء . وكان الاسبانيون يفرون من امامهم منهزمين حتى انحصروا اخيراً في اراضي استوريا الوعرة الكائنة على الشاطي الشمالي واستوطنوا بها لكونها صعبة المرتقى لا يمكن الوصول اليها وكانت قلوبهم مع ذلك مملوءة خوفاً ورعباً من سطوة اعدائهم المسلمين . فهذه العيشة المتعبة مع ما تبعها من الاحنياجات والصعوبات صلّدت قلوبهم وجعلتهم قومًا ذوي اقدام وبطش لا يبالون بالاهوال والمصائب ولا يرهبون حادثات الدهر

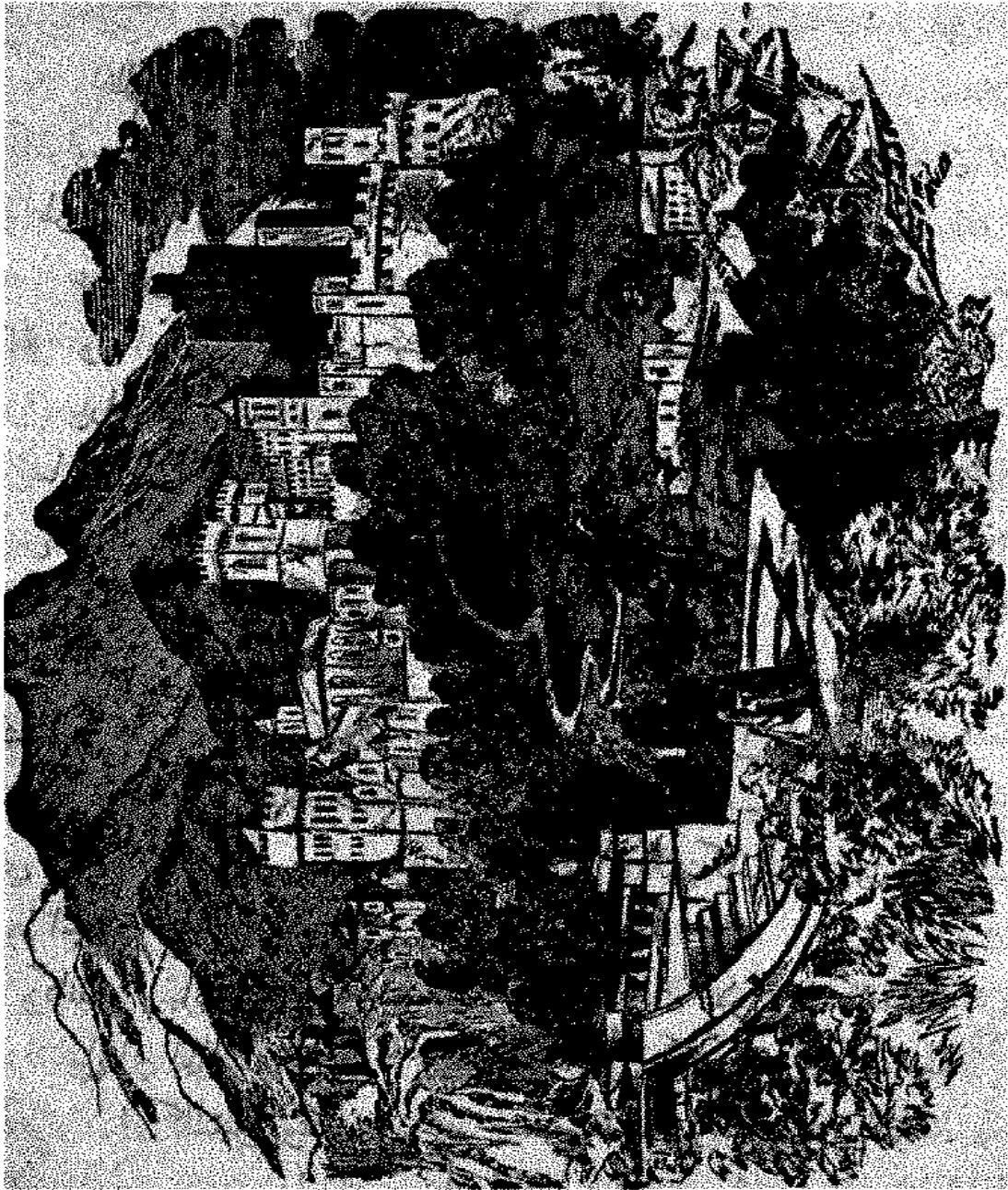
اما المسلمون تحت حكم الخلفاء الامويين فكانوا ممتنعين بالراحة والسكينة لا قلاقل بينهم تزججهم فنشأت بينهم العلوم والمعارف وازهرت وانت باثمار لم يات بها غيرهم من اقوام تلك الاعشار فانهم اتقوا فن الزراعة وعلم البحر والتجارة وغير ذلك بينما كان سكان باقي اوروبا غائضين في لجة بحر الجهالة والغباوة لا يعرفون شيئاً من الفنون والعلوم . وقد ترجم افرس بن رشد الكردي كتاب ارسطاطاليس فقرأ الكتاب في مدارس كردوفا وفي افريقية بين المراكشيين وانصبوا على درسه وعدوه قسماً من العلوم الرياضية لما فيه من الحكم والبراعة . وزها في مدارس المسلمين ايضاً علم الجبر والحساب وانصبت الطلبة على العلم من كل نادٍ وتنافست به . اما الافرنج فلم يكن منهم من يعرف ما هي الحروف الهجائية حتى ولا اشرافهم ايضاً . ولما رأى المسلمون حالم في عثر وامن انهم كانوا في التعم واللذات وانكفوا على ممارسة الفنون فاكسبهم ذلك الرخاوة ونخافة الجسم

واضعف جانباً من قواهم العسكرية وحميتهم الحربية ثم انتشبت بينهم خصومات وقلاقل فعند ذلك اغتم الاستوريون الفرصة واستحووا من شمالي البلاد خلقاً كثيراً واندفعوا على املاك المسلمين وامتلكوها مدينة بعد مدينة ومقاطعة بعد اخرى الى ان استولوا على القسم الاكبر منها. وسنة ١٢٨٣ هاجم المسلمين قوم الكاستيليين بجيش جرار تحت قيادة الفونسو السادس وفريدريكودي بيفار الملقب بسيد كامبيادور وكان بطلاً شجاعاً فوصلوا الى مدينة طوليدواي طليطلة التي على نهر تاغوس وامتلكوها بعد حصار ثلاث سنوات. فلما رأى المسلمون ما حل بهم استجدوا اخوتهم المراكشيين فبادروا لمساعدتهم وقاوموا الاسبانويين اشد مقاومة فكسروهم كسرة هائلة في الزلقة. وكان قائداً على قوم المراكشيين رجل اسمه يوسف واذ رأى ان النصر جاء على يده اخذ الطمع في الجلوس على تخت الخلافة الاندلسية فنجح في مساعيه وارتقى الى تلك الرتبة الرفيعة فكان راس دولة المرابدين

ومن ذلك الوقت لم تنقطع الحروب بين الاسبانويين والمغاربة وكان النصر مردداً بين الفريقين الى ان انتصر الاسبانويون اخيراً سنة ١٤٥٠ على اعدائهم فاقاموهم من البلاد التي انتشروا فيها وحصروهم في مملكة غرناطة التي كانت المسلمون قد اسموها منذ سنة ١٢٨٢. وكانت هذه المملكة كثيرة المدن والسكان واهلها من ذوي الغنى والمثيرة. وعاصمتها تدعى غرناطة ايضاً وكانت مزينة بالابنية الجميلة المزخرفة التي تذهل الناظرين. ومن محاسن ابنتها الحمراء وهو قصر فاق زهاء وبهجة على جميع قصور العالم ولم تنزل آثاره الى الآن

ومع ان الاسبانويين استولوا على اقسام كبرى في البلاد كانت املاكهم غير منضمة بعضها الى بعض بل منقسمة الى عدة ممالك صغيرة مستقلة وكانت الحروب بينهم متواصلة والخصومات دائمة غير عالمين ان هذا الانشقاق يكون وبالاً وتهلكة لهم ولكنه وقع اخيراً الامتزاج والالفة بين تلك الممالك واتحد اهلها

بعضهم مع بعض وكان اشهرهم واعظهم مملكة كاستيل المشتتة على استوريا  
فرضها الملك فردينند سنة ١٢٣٠ مع ولاية ليون وصيرها مملكة واحدة ثم اغتصب



الجزيرة في اسبانيا

من المراكبيين مدينتي كردوفا واشبيلية . وكذلك جيمس الاول الاراغوني احد  
ملوك ذلك العصر تغلب على بعض الجزائر وعلى ملكي فالنسيا وموريكا . كما ان  
الفونسو الحادي عشر من كاستيل استظمر على الجزائر سنة ١٣٠٩ فبذلك

صارت الملكة الاسبانية ذات شوكة وعظمة  
وبعد موت الفونسو هنا خلفه ابنه بطرس الاول وكان ملكاً ظالماً بهذا  
المقدار حتى انه قام على امراته الملكة بلانش البوربونية وقتلها ثم جار على اخيه  
هنري بالظلم والعدوان حتى الزمه ان يعاديه ويقصد اضره . فذهب هنري  
الى كارلوس الخامس ملك فرانسوا واستجار به فاجاره لانه كان يريد ان يستقم  
من بطرس لقتله بلانش وانجده بجيش من العساكر الفرنسية فحاربوا بطرس  
وخلعوه عن سرير ملكه . ففر هارباً واستجار بادورد الملقب بالامير الاسود وكان  
يومئذ متولياً اماره الانكليز في اكيين من اعمال فرانسوا . فاجاره مراعاة لتواين  
الشرف واراد ان يخلصه من اعدائه فخرج في قوم من جنده الى اسبانيا وبعث  
بالفرنساويين والكاستيليين وكسرهم كسرة مهولة واخذ قائدهم اسيراً وارجع  
بطرس الاول الى سرير ملكه . ولكنه بحال رجوعه رجع بطرس الى ما كان  
عليه من السبئات والمظالم فاهله الامير الاسود ولم يشأ ان يساعده بعد . وكان  
شارل الخامس قد افتدى قائد جيشه الذي اسره الامير الاسود فارجه اذ  
ذاك لجنده هنري فحارب كلاهما بطرس الاول واستظفرا عليه في وقعة عظيمة  
وبعد ان قبضا عليه وقتلاه صعد هنري على تخت الملكة سنة ١٢٦٩ تحت اسم  
هنري الثاني وظهر من نسله عدة ملوك حكموا ملكي كاستيل واراغون الى  
اواسط الجيل الخامس عشر

وكانت اسبانيا وقتئذ منقسمة الى قسمين كبيرين الاول مملكة المغاربة في  
غرناطة والثاني المالك الاربع المسيحية التي كانت لكلٍ منهن ملك مستقل .  
فالمملكة الاولى كاستيل وتمتد من بحر بيسكي الى البحر المتوسط . الثانية مملكة  
اراغون وتضمن على نفس اراغون وباقي الولايات التي بينها وبين البحر المتوسط .  
الثالثة مملكة البورتوغال او بوزتانيا القديمة وكانت قبل ذلك العصر بيد  
المسلمين زماناً الى ان اتاها الفونسو واستظفرا على اهلها في واقعة كبيرة واخذ مدينة  
ليسبون واستولى على اربع ولايات منها فصارت مملكة اسبانية سنة ١١٣٩ .

والمملكة الرابعة كانت مقاطعة بيرينى النافارية

### الباب الثالث

في اخبار الملك فردينند والمملكة ايزابله والتفتيش الديني الذي  
حصل في ايامها وخروج المسلمين من اسبانيا وحوادث  
اخرى الى سنة ١٨٧٤

ولما استوى حال اسبانيا واعصبت ممالكها بعضها مع بعض حصلت البلاد  
في غنى ونجاح لاسيا بواسطة نظامها المستحسنه التي اوجدت فيها الراحة  
والسلم فكانت في تقدم بينا كانت شوكة المسلمين في انحطاط . وما زاد اسبانيا  
سطوة انضم اقسامها الى مملكتين قويتين وهما مملكة كستيلة ومملكة اراغون  
اللذان انحصرتا فيما بعد في عائلة واحدة بتزوج فردينند ملك اراغون بايزابله  
ملكة كستيلة سنة ١٤٦٩ . فلما اقترن هذان الشخصان اتفقا على ضم الممالك  
الاسبانية الى واحدة وطرد المغاربة من غرناطة وغير ذلك من الامور مما سيأتي  
ذكرة

وكانت ايزابله هذه على جانب عظيم من المحذقة في الآداب والمعارف  
رقيفة الطبع انيسة لطيفة مستقيمة الراي ذات اقدام في الامور وكان لها من العمر  
بومئذ ثمانى عشرة سنة وهي ذات جمال باهر ذهل الناظر وقد طلبها كثيرون  
من ذوي الغنى والرفعة فأبت الى ان خطبها فردينند ملك اراغون وتزوجها  
وبذلك صارت مملكتا اراغون وكستيل مملكة واحدة من اقوى ممالك الدنيا  
واعظما . الا ان ايزابله كانت متولية زمام مملكتها كاستيل لانها كانت قد  
اشترطت على زوجها فردينند بان يقي حكم المملكة المذكورة بيدها . فافرغت  
هذه المملكة الجليلة كل جهدها في ترقية اسباب نجاح مملكتها ولاجل تنكيس



سطوة الاشراف وكبرياتهم قوت واحيت جمعية الاخوية المقدسة المعروفة بساتنا  
هرمندا التي تشكلت منذ القرن الثالث عشر لاجل الغاية المذكورة وسلمت  
اعضاءها زمام ضبط البلاد . فكانوا يحكمون ويعدلون بين الشعب ويقاصون  
المذنبين ويعاقبون سالي الراحة العمومية بدون نظر الى رتبهم ومقاماتهم .  
فتقوى العدل في اقرب وقت واطمان الاهالي وعادت تلك الجمعية بالضرر  
على الاشراف . فتشكوا منها للملك والملكة وطلبوا محوها فلم تستجب اتعابهم بل  
بالعكس لما راي فردبنند المنافع الصادرة عن الجمعية المذكورة سعى في تقويتها  
وبذل جهده في حمايتها وامل نوال المرغوب بواسطتها في اضعاف احكام  
البارونات وحقوقهم الالتزامية . وكانت الملكة ايزابله تعلق بنفسها متن جوادها  
وتجول من مكان الى اخر تنتقد احوال الرعايا وتنصف بينهم حسب مقتضى  
الشريعة ولم تاخذ بالوجه او تبال بذي رفعة او نعمة بل تجري القانون على  
اي تعده وبذلك رنع الاهالي بالامن والهدو وشيد حكمها وتقوى . غير ان تلك  
الظاهرة والاستقامة التي انصفت بها ذاتها الجميلة قد افسدها بعض المفسدين  
فلأوا قلبها وسواسا وخرافة وجعلوها تعد وعلنا صادقا بانها تستاصل كل هرطقة  
في ملكتها . وقد ذكرنا في الكلام عن باباوات رومية ما اجراه انيوسنت الثالث  
من الاضطهاد على الولدنسيين والاييجنسيين وكيف نظم مجلسا لفحص الهرطقة  
وابادتهم . فاذا كانت ايزابله مرتبطة بالعهد السالف ذكرة تكمن اصحاب الغايات  
من اقناعها على غير رضى قلبي منها ان تصادق على وجوب اجراء التفتيش  
الديني في اسبانيا كما كان جاريا في فرنسا فصادقت عليه واقيم التجسس في  
الملكة وبلغ حالة الى اعلى درجة من الفحش مما لم يصل اليه في اماكن اخرى .  
واول مدينة اقيم فيها التجسس المذكور مدينة اشبيلية في ١٧ ايلول سنة ١٤٨٠  
وسماه احد الناس بالخدمة المقدسة فارسل لها البابا سكستوس السادس غفرانا  
مجانيا على حسن تصرفات اهله وكان ذلك بطلب بعض الرهبان الدومينيكيين  
وموافقة الملك ايضا .

وكان اليهود خلقاً كثيراً في اسبانيا ذوي املاك وثروة وكان غنهم ظاهرة  
لعموم الناس فهاج عد ذلك حسد الحساد من الاشراف وطع الملك فيهم  
ومالوا باجمعهم عليهم وصمموا على خرابهم واهلاكهم فاقاموا عليهم حججاً وشهوداً  
بانهم في اعيادهم الاحتفالية يذبحون اولاداً مسيحيين وقد حلفت خمسة وعشرون  
من الاشراف بانهم راوا اليهود في عيد الفصح يصلبون اولاداً مسيحيين . فصدق  
الشعب كل ما قيل على اليهود واضطهدوهم حتى الموت في جميع اطراف اوروبا .  
وكان الاسرائيليون في معظم زمائهم في اسبانيا على جانب عظيم من الذكاء  
والاداب والمعارف يشاركون المسلمين في الانعكاف عليها . وبعد انقلاب المغاربة  
في اسبانيا بقي اليهود مع الاسبانيوليين وهم يتقدمون رويداً رويداً الى ان صاروا  
اغنى قوم في المملكة وكان الاشراف يستدينون منهم الاموال ولذلك لم يجدوا  
طريقاً لوفاء ديونهم الا بتدمير اليهود وابادتهم وتحويل كل املاكهم لمنفعة  
الكنيسة والشعب

وفي اثناء ذلك اصدر التجسسون امراً بقولون فيه انه من المنتضي القبض  
والشكاية على نابي المرطفة وعلى الذين يُظنُّ بهم المرطفة . فتواردت الشكايات  
من كل فجٍّ عميق . وكان اوجيد احد رؤساء التجسسين وقومه الثملة قد جعلوا  
اقامتهم في قلعة سبانا خارج المدينة لكي يتمكنوا من اجراء افعالهم الرديئة من  
قتل الانفس والانتقام من عباد الله الابرياء فكانوا كلما راوا احداً من اليهود  
يوم السبت لابساً ثياباً احسن حالاً من ثياب باقي ايام الاسبوع ياخذون ذلك  
الرجل ويلصونه ويتفقون منه ظلماً وعدواناً . وفي برهة الاربعة الايام الاول من  
اقامتهم في القلعة احرقوا بالنار ستة رجال ولغاية شهر تشرين الثاني بلغ عدد  
المحروقين ثلث مئة رجل . ولم يكتب هولاء النوم بالانتقام من الاحياء فقط  
بل نيشوا الاموات من قبورهم واحرقوا رمهم على رؤوس الاشهاد ولم يهابوا  
الاله ولا الانسان وكان اضطهادهم في الغالب متجهاً نحو الاغنياء سواء كانوا  
احياء ام امواتاً فكانوا يضبطون املاكهم وممتلكاتهم

وفي غضون ذلك ضرب الله مدينة اشبيلية بواباً اهلك من اهلها ١٥٠٠٠ نفس فلم يعتبر المتجسسون ذلك بل انتقلوا الى مكان اخر واستمروا على ما كانوا عليه من الاذية حتى اتمهم في مدة سنة واحدة اهلكوا الفؤ نفس حرقاً . واذ كان هذا المشروع يُعد من المشروعات المقدسة اقام الحبر الروماني الخوري توركيدادا معلم ذمة الملكة ايزابله رئيساً عاماً في كاستيل واراغون على ذلك التفتيش الديني واعطاه سلطاناً بان يرتب مجلساً جديداً هناك . فبادر حالاً الى ذلك الامر واقام مجلساً كبيراً مؤلفاً من عمد الناس والاشراف وكان عدد جمعيات الفرعية ثلاثين جمعية منتشرة في اطراف الملكتين

واول امر اجراء المجلس المذكور انه اشتهر اعلاناً في الكنائس ايام الاحاد مضمونه ان كل من يعرف او يشبه بشخص انه تابع الهرطقة يلزم ان يقرر عنه في الحال وان لا يجمل الكهنة كل من يهمل بهذا الامر . فالنرم الانسان ان يقرر عن معرفة بهذه الحالة ولو كان اباه او امه او احد اقاربه حتى ان الشكايات كانت تُقبل وتُسمع ولو زوراً . فكان الكاتب يسجل اسماء الشهود مع شهاداتهم وبعد ذلك يامر المجلس بالقبض على المشتكى عليه فياخذونه قبل الفحص ويسجنونه في سرداب مظلم تحت الارض حيث وُضع رُقباء من قبل المجلس قد تعاهدوا على انفسهم بقسم ان لا يدعوا احداً من المسجونين يراهم او يشعروهم لينجسوا حركاتهم واقوالهم ويخبروا المجلس عنها . وبعد ابقاء المسجون زماناً في ذلك السرداب يوتى به للمحاكمة امام المجلس فان ابي ان يقر بكونه مذنباً بوضع حالاً تحت العذاب الاليم اما بالة معدة لذلك واما بالنار وذلك في مكان منعزل بلا حنو ولا شفقة واذا اقر من شدة العذاب بان افكاره هرطقية يكفون عن تعذيبه في الحال مشرطين عليه ان يُعيد هذا الاقرار مرة اخرى في اليوم التالي اذا بقي حياً . فاذا ابي ان يفعل ذلك يعرضون حالاً جسده المتوجع الى عذاب اشد من الاول فلا يكون امانة سوى الموت المر او عيشة الذل والفاقة والمسكنة مملوءة جسده من القروح فوضعف نسلة ويكون مهتوك العرض

بين الناس

ثم ان التجسسين الحوا على فرديند وايزابله ان يصدرا امراً بنفي كل اليهود الذين لا يقبلون المعمودية فاجاباهم الى ذلك واصدرا امراً بهذا الخصوص سنة ١٤٩٢ فالتزم هؤلاء المنكودو الحظ ان يترحوا عن بلادهم ووطنهم ويتفرقوا في اقطار المسكونة تائمين من مكان الى مكان لا بيت لهم ولا ماوى مهانين ومحقرين من الجميع هذا فضلاً عن الموت الذي ابتلع الوفاً كثيرة منهم بسبب الجوع وضخامة المعيشة وضيقتها بعدما كانوا بارغد عيش ونعمة .

وفي اثناء ذلك اقام المراكشيون حرباً في شمالي البلاد واستولوا على قلعة الزهراء بعد ان فتكوا بالاسبانوليين محافظيها فتحوّلت حينئذ افكار فرديند وايزابله الى مداركة هذا الامر ومصادمة الاعداء فجردا جنودها وشنا عليهم الغارة . وكان قد وقع الانقسام والاختلاف بين المراكشين فحل بهم حينئذ الوبال والويل . وكان سيدهم المولى ابو الحسن قد خاصم امرائه الشرعية السلطانية زريدة وجار عليها جوراً عنيفاً فجمعت ذات يوم بعض الفلائد والحلى الثمينة وهربت بها من القصر في اولادها . فلما راي الشعب حالها وما اقتدى به زوجها عليها اغتاظوا جداً وبادروا حالاً الى خلع ابي الحسن عن كرسي الملك واقاموا مكانه ابنة ابا عبدالله من زوجته زريدة المذكورة واما ابو الحسن فانه قصد ملقاً فقبلوه هناك بترحاب واحفال وهبكذا اتسمت الملكة على ذاتها

ونجح الاسبانوليون في هذه الحرب اذ كانوا تحت قيادة بطلين عظيمين اي فرديند وايزابله . فان فرديند كان في مقدمة الجيش بقودهم بحسن تدبيره وجودة رايه وبشجهم على الثبات والهجوم قائلاً لهم انه اذا رآهم في ضيق او شدة لا يتخلّى عنهم بل يفتديهم بنفسه وماله . اما ايزابله فتولجت مصاريف الحرب وخدمة المعسكر وتديير المرضى والجرحين كالام الحنونة فكانت تجول في الحرب من مكان الى اخر وعندما كانت قلوب العساكر تسقط وتهبط فكانت

تسببهم وتطيب قلوبهم بالفاظها العذبة فتقلع منها الخوف والرعب وتمكن فيها  
 الفراسة والحجاسة فيجهمون على اعدائهم هجمة الاسود الكواسر فينتصرون ويظفرون  
 فكانت بالحقيقة هي روح تلك الحرب وعلّة قوتها ؛ وبعد عدة وقائع انهزم  
 المغاربة ودارت الدائرة على جموعهم فاستولى الاسبانيوليون على مملكة غراناطة  
 وطرّدوا جميع المسلمين من تلك الاطراف بعد حروب تذكر وكان ذلك سنة  
 ١٤٩٢ للمسيح وهي ذات السنة التي فيها اكتشف كولبوس الشهير قارة اميركا  
 باسعاف وامداد الملكة ايزاباثة هذه . وقد حصر بعض المؤرخين عدد الوقائع  
 التي جرت بين الاسبانيولين والمسلمين منذ دخولهم الى وقت خروجهم فلما غت  
 ثلاثة الاف وسبع مئة

وسنة ١٥١٦ توفي فردينند المذكور وخلفه ابنه كارلوس الخامس المعروف  
 بشارلكان وبعد جلوسه بصع سنين توفي جده مكسيميليان سلطان النمسا  
 والفلنك فاتتخبة الشعب امبراطوراً على كل بلاد جرمانيا كما سيأتي تبيان ذلك  
 في محله . وكانت اسبانيا وقتئذ من الدول الاوروبية الاولى . ومن مشاهير  
 ملوكها فيليب الثاني ابن شارلكان نبواً سرير الملك سنة ١٥٥٦ وسنة ١٥٨٠  
 لبس تاج مملكة البورتوغال التي بقيت تابعة لاحكام اسبانيا الى سنة ١٦٤٠  
 وكان ملكاً عظيم الشأن ذا هيبة وسطوة

وكان ابوه قد تنازل له عن مملكة نابولي والصفليتين سنة ١٥٥٤ قبل  
 جلوسه على الكرسي فاتسع بذلك ملكه وعظم امره ثم تزوج بمرم ملكة انكلترا  
 ولكن من غير ان يكون له سلطة على الانكليز . وفي السنة التالية من ملكه  
 تنازل له ابوه ايضاً عن مملكة هولاندا فازداد قوة وسطوة . وكانت افكاره  
 متجهة الى اخضاع فرانسوا والاستيلاء عليها فحاربها وكسر جيشها في عدة وقائع  
 ولكنه لم ينجح في مقاصده فعند مع ملكها هنري الرابع صلحاً سنة ١٥٩٨ وهي السنة  
 التي توفي فيها . وكان هذا الملك غيوراً في مذهبه الكاثوليكي عدواً للمذهب  
 البروتستانت الذي كان آخذاً في الامتداد والانتشار في ممالك اوروبا . واذ

قصد ان يقيم مفتشين في ولاياته الفلنكية لازالة الهرطقات حصل على مقاومات شديدة من طرف الاهالي فخلعوا طاعته واشهروا عليه علم العصيان وبعد حروب مهلكة خسر بعض تلك الولايات سنة ١٥٧٩

وجلس بعد فيليب المذكور على سربر الملك ابنة فيليب الثالث سنة ١٥٩٨ وكان ضعيف الراي فاترا الهمة عديم الدربة في سلوك طرائق الرياسة والسياسة. وبعد جلوسه بيضع سنين طرد جميع المغاربة الذين كانوا قد استوطنوا في اسبانيا واخثاروا الاقامة فيها على الرحيل وكانوا نحو ٢٠٠ الف نسمة واكثرهم من اهل الصنائع والعلوم. وما يجكى عنه انه كان ذات يوم جالسا في قاعة المجلس الشوري بالقرب من وفاق كبير مشتعل بالنار لتدفئة المكان وكانت النار مضطربة بهذا المقدار حتى انها احدثت حرارة زائدة الحد فمن شدة كبر يائه لم يتنازل الى ان يقوم ويسحب كرسية بل امر ان تطفأ النار. واذ كان الخادم المتوكل امر الوجدان غائبا لم تجسر باقي ائدم ان تجري تلك المأمورية فلبثت النار مضطربة واشتدت حرارتها في القاعة حتى اضرت بالملك ومات بسببها

ثم قام بعده بالملكة ابنة فيليب الرابع سنة ١٦٢١ فحكم ٤٥ سنة وكانت اكثر ايامه تعيسة على اسبانيا فانها خسرت بلاد الفلنك سنة ١٦٣٠ وبلاد البورتوغال سنة ١٦٤٠ وتنازلت عن جملة مقاطعات الى فرانس سنة ١٦٥٩ فاخذت الملكة من ذلك الحين في انحطاط وسقوط. وبعد وفاة هذا الملك جلس ابنه كارلوس الثاني مكانه فتوفي سنة ١٧٠٠ بدون وريث وخلته اميرة فرنساوي اسمها فيليب دوك انجو وهو حفيد لويس الرابع عشر ملك فرانس كان كارلوس قد اوصى له بالملك من بعده ليس فقط لاهليته ولكن لكونه من اقارب فدعي فيليب الخامس وهو راس عائلة البوربون الاسبانولية. فنهض حينئذ الارشيدوك شارل النمساوي وادعى بحقه لتاج ملكة اسبانيا فنشأ عن ذلك نزاع عظيم اعقبته فن حروب ليس فقط بين النمسا واسبانيا ولكن بين

بأقي دول أوروبا لان لويس الرابع عشر ملك فرانسوا احشده لمحنيده فيليب المذكور وانتصرت انكلترا وبروسيا وهولاندا للنمسا فاصطلت نيران الحرب بين الفريقين وهي الحروب المعروفة بحروب الوراثة الاسبانية وكانت الدائرة فيها على فرانسوا واسبانيا فخلع فيليب عن كرسي ملكه مدة ثم اعيد اليها وبقي ملكا الى ان مات

وقد تظاهرت اسبانيا ضد انكلترا مرارا عديدة ولا سيما وقت الثورة الاميركانية فانها اتحدت مع فرانسوا في مقاومتها ومحاربتها ولكنه اخيرا عقد بينهما صلح سنة ١٧٦٣ فنقضته بعد ذلك بنحو ١٠ سنوات حين اشركت ثانية مع فرانسوا وقت اشباكها مع انكلترا

وسنة ١٨٠٨ حينما كان نابوليون الاول في سمو مجده وسطوته الزم فرديند السابع ملك اسبانيا ان يتنازل عن تخت الملكة واقام مكانه اخاه يوسف بونابارتي بقوة السيف . قلم يقبل ذلك عموم الشعب الاسباني . فخلعوا طاعته وانزلوه عن الكرسي ولذلك اتشدت حروب مريعة بين الطرفين . واذ كانت انكلترا وقتئذ تنرقب الفرصة لكي تضعف قوة فرانسوا وتلاشي سطوة نابوليون احشدت للاسبانيون وارسلت فرقا من العساكر الى اسبانيا وبورتوغال تحت قيادة الدوك وليتون الشجاع الشهير وساعدتهم على ابعاد الفرنسيين وترجيع فرديند الى كرسيه سنة ١٨١٤ . ثم مات فرديند المذكور سنة ١٨٢٣ وخلفته ابنته ايزابله الثانية واذ كان للملكة المذكورة عم اسمه دون كارلوس كانت اماله متجهة الى نوال تاچ الملك اخذ في استعمال الوسائط التي توصله الى ذلك المتصود فحزب له عدد غير من الاهالي وبسبب ذلك هاجت الفتن والحروب بينه وبينها دامت الى سنة ١٨٦٠ ثم راقمت الاحوال واستقر لها الامر ولكن مع ذلك الهدولم تستقر احوال اسبانيا على ما ينبغي لان نيران الفتن والحركات كانت لم تنزل متقدة في صدور اهل الفساد ولم تنهد من رؤوس اصحاب المقاصد والغايات . ولما التهب شرارها واضطربت نارها التزمت ايزابله

ان مهرب من اسبانيا في ٣٠ ايلول سنة ١٨٦٨ وتذهب الى فرانساً . فاستلم زمام المملكة الماريشال سيرانو والجنرال بريم الاول نائب ملك والثاني رئيس مجلس الوزراء . اما النزاع فلبث قائماً داخل البلاد فكان البعض يطلبون المشيخة والبعض يطلبون ملكاً الى ان قرّر قرارهم اخيراً على انتخاب الابن الثاني لفيكتور عمانوئيل ملك ايطاليا . ففي سنة ١٨٧٠ نودي به ملكاً تحت اسم اماديو الاول وكان دخوله الى اسبانيا في ذات النهار الذي قتل به الجنرال بريم من احد اخصامه .

ولكن مع كل ذلك لم تسترح داخلية اسبانيا من الفتن والفساد لان الحزب الجمهوري لم يقدر عن اجراء ما يوجب الاخلال في المملكة . واذ كانت هذه الحركات والفساد متصلة بين الاهالي ولم تفعل فيها المعاملات السلمية والتهديدات الحربية وكان الملك اماديو الاول من الذين يكرهون الحركات ويحبون الهدوء والسكون تنازل عن تاج ملكه في شهر شباط سنة ١٨٧٣ ونزح من العاصمة نارگا البلاد لاهلها وهو في غنى عن هذا التعب والعناء وقام مكانه ألفنس الثاني عشر في اخر سنة ١٨٧٤ وهو الملك الحالي

—•••—

## الفصل السابع

### في وصف مملكة البورتوغال وتاريخها

ان مملكة البورتوغال تمتد في القسم الغربي من اسبانيا ومجدها شمالاً وشرقاً مملكة اسبانيا وجنوباً وغرباً المحيط الاطلنطيكي وعدد سكانها اربعة ملايين . ويتبع هذه المملكة عدة جزائر يبلغ عدد اهليها نحو ٢٦٠ ألفاً هذا ما عدا املاكها



ومستعمراتها الاجنبية فان لها في افريقية جزائر الراس الاخضر وجزائر سان توماز وموساميد وموزنيك وغيرها . وفي اسيا غوا وسالسييت وباردز وغير ذلك من البلاد في الهند ثم ما كان في الصين وجزيرة تيمور بين جزائر البحر . وعدد سكان هذه الاملاك الخارجية يبلغ ثلاثة ملايين وثمان مئة وثمانين ألفاً فيكون مجموع اهل البورتوغال ثمانية ملايين ونيفاً . وكانت مملكة البرازيل ايضاً تابعة البورتوغال قبل سنة ١٨٢٢ واذا صارت دولة مستقلة ستكلم عنها عند ذكر دول قارة اميركا

اما هواء هذه البلاد فمعتدل وترتيبها منحصبة وهي كثيرة المعادن ولكن قلماً يعتني الاهالي باستخراجها وفيها يربي من الحيوانات الخيل والمواشي ودود الفز . ومن اعظم حواصلها ملح البحر وهو من اروج تجارتها التي تجل الى خارج البلاد لاسيا الى انكترا . ومن طيب اثمارها التين والبردقان والنارخ والعنب الجيد . ومن مصطنعاتها الفخار والصيني والصباغ والنسيج والاسلحة واصطناع البلور والجوخ . ومن اعظم مدنها مدينة ليسبون والعرب يسمونها اشبونة وهي قصبة المملكة مبنية على مصب نهر تاغوس الذي هو من اكبر انهرها . وفيها ابنة فاخرة وقصور جميلة مستظرفة وكنائس عديدة وسكانها ٢٥٠ ألفاً ولها مكتبة فيها ٨٠ الف مجلد . ثم مدينة بورتو وهي من اعظم مدن البورتوغال بعد ليسبون كثيرة التجارة غزيرة المياه ولها ميناء حسن ونييذها جيد الى الغاية وعدد سكانها ٨٠ ألفاً واسم البورتوغال ماخوذ الصدر منها . اما الديانة العامة في هذه البلاد فهي الديانة اللاتينية والاديرة فيها كثيرة يبلغ عددها ٤٩٨ منها ٢٦٠ للرهبان و١٢٨ للراهبات . ولتقدم الآن لذكر بعض اخبار هذه المملكة من جهة تاريخها فنقول

ان بلاد البورتوغال كانت تدعى في الزمن السابق عند الرومانيين لوسيتانيا . وقد استولوا عليها عند افتتاحهم اسبانيا واستمرت في ايديهم ٥٧٠ سنة الى حين دخول الفندال والشواب وغيرهم من شعوب برابرة الشمال الذين

حكومتها الى سنة ٧١٢ حين استخلصها منهم العرب وضموها الى مملكتهم بالاندلس فصارت ملحمة بها . ولما قويت شوكة الاسبانويوليين في الاندلس واخذوا في استرجاع بلادهم وطردوا العرب منها استخلص هنري البورغوني من عائلة فرانسوا الملكية بلاد البورتوغال بعد ان كسر جيوش المسلمين وسبي عليها اميراً تحت حياة الفونس السادس ملك كاستيل في اسبانيا وخطبها لابنه الفونس الاول الذي بعد محاربة المغاربة واستظهاره عليهم سنة ١١٣٩ نودي باسمه ملكاً فاستقلت بورتوغال عن اسبانيا من ذلك الوقت .

ثم اخذت بورتوغال في التقدم والنجاح وتوسيع دائرة املاكها بواسطة استخلاصها الاراضي من العرب الذين في جوارها . وبواسطة اسفارها البحرية وتعرضها للاهوال والمخاطر في المحيط الشاسع اصعبت في سطوة وغنى لا مزيد عليها لاسيا في الجيل الخامس عشر وقت اكتشافها طريق الهند واستيلائها على جملة مدائن وارياضي في افريقية واسيا فكانت تعد بين ممالك الارض من الدول البحرية الاولى . ولا يسعنا ان نذكر بالتفصيل ما استولى عليه البورتوغاليون من الاملاك في القارتين المذكورتين خصوصاً في قارة اسيا بالهند والصين وجزائر اليابان لكننا نتول انهم حازوا على اراضي واملاك كثيرة وبسببها حصلوا على غنى ومجد وشهرة عظيمة . ولم يكتفوا بذلك بل مدوا ايديهم ايضاً الى قارة اميركا في بداية القرن السادس عشر واستولوا على بلاد البرازيل التي مكثت في ايديهم الى سنة ١٨٢٢

غير ان التوفيق لم يخدمهم زماناً طويلاً فانه في سنة ١٥٨٠ نهض فيليب الثاني ملك اسبانيا وهو ابن عم شارلكان واغتنب تاج دولة البورتوغال وازاد البلاد الى مملكته فكان ذلك سبباً لتأخير الدولتين في المستقبل . لان الاسبانويولين نظراً لاملاكهم الامبركانية من الجهة الواحدة ونظراً لانشغالهم في الحروب والمسائل السياسية من الجهة الاخرى اهلوا الالتفات اللازم الى فتوحات البورتوغاليين في اسيا وافريقيا فانتهز الفلمنكيون تلك الفرصة واغاروا

على املاك البورتوغاليين في اسيا فطردوهم من اليابان واستخلصوا جزائر مولوك وكادوا يستولون على برازيل ايضاً . سنة ١٦٤٠ قام اهل البورتوغال على الاسبانيولين وخرجوا عن طاعتهم وملكوا عليهم بوجنا الرابع احد دوقات ابراغنسا الذين هم من ذرية ملوكهم القدماء والذين ما زال الملك في عقبيهم الى الآن . وبعد استقلاليتهم اتحدوا مع فرانسوا واتخذوها معينة ومساعدة لهم . ولكنهم في ايام بطرس الثاني تركوا فرانسوا واستندوا على الانكليز واعندوا عليهم وعقدوا فيما بينهم عهداً سنة ١٧٠٣ فصارت انكلترا من ذلك اليوم صاحبة الكلام ويدها زمام الحل والربط في البورتوغال . وكانت الصنائع والزراعة والتجبر وسياسة المملكة في يدها بحيث لم يكن للبورتوغاليين في المملكة سوى مجرد الاسم فقط

ولما كان نابوليون الاول في سمو سعه واقباله صمم على افتتاح بلاد البورتوغال فارسل لها جيشاً تحت قيادة الجنرال جونو سنة ١٨٠٧ فتغلب عليها وامتلكها وسُمي عليها والياً تحت لقب دوك داربانتيس . فتظاهرت حينئذ انكلترا لمساعدة البورتوغال وارسلت جيشاً تحت قيادة الدوك ولينتون فحارب الفرساوين وازاحهم منها بعد ما ارسل العائلة الملكية الى برازيل لتقيم هناك وتسترىح من غوائل الحروب واهوالها فمكثوا هناك الى سنة ١٨٢١ وحكم البلاد في مدة غيابهم نواب تحت مناظرة انكلترا

وسنة ١٨٢٠ حدث في مدينة بورتوشغب وهياج من الشعب وكان قصدهم ان يجعلوا الحكومة البورتوغالية حكومة مقيدة بشرائع البلاد ونظامات المجلس . فقبل الملك بوجنا السادس بهذه الشروط ورجع الى اوروبا سنة ١٨٢١ واستبد بالملك الى سنة ١٨٢٦ . ولكن بعد خروجه من برازيل بسنة واحدة نهض البرازيليون بطلب الاستقلالية فانفصلوا عن بورتوغال واستقلوا بانفسهم وانتخبوا لانفسهم امبراطوراً يقال له دون پدرو بن بوجنا السادس المذكور وثبتت استقلالية برازيل عندهما دعي دون پدرو ليرث اباه في تاج مملكة

بورتوغال فلم يذهب بل تنازل عنه الى ابنته دوناماريا وليث امبراطوراً في  
برازيل

وعند جلوس دوناماريا على سرير المملكة نهض لمقاومتها عمها دون ميكل  
طعماً باستخلاص المملكة لنفسه فتحزب معه جمهورٌ غفير من الشعب واستمرت  
الفتن والتلاقل في اقطار المملكة نحو ستة حتى التزم اخيراً ان ياتي ابوها من  
برازيل ويحارب اخاه ويوطد كرسي ابنته . وكانت هذه الملكة عاقلة اديبة  
موصوفة بالنهم وحسن السيرة فاستبدت بالاحكام الى سنة ١٨٥٤ ثم توفيت  
وتركت اولاداً قاصرين منهم بطرس ولي عهدا . واذ كان يومئذ قاصراً اجمع  
راي الوزراء على اقامة زوجها الامير فردينند وكيلاً مؤقتاً الى ان يكون ابنها  
بلغ سن الرشد فاقاموه من ذلك اليوم وكيلاً ووصياً ومكث بالوكالة الى ان  
استوفى ابنه بطرس الاكبر سن اللياقة فتنازل له عن الاحكام واستبد بطرس  
بالمملكة تحت اسم بطرس الخامس ولكنه لم يلبث ملكاً اكثر من ستة اشهر حتى  
ادركته المنية . فقام بعده اخوه دون لويسر ، وهو الملك الحالي فتسلم

زمام المملكة في اواخر سنة ١٨٦١ وهو فني حديث السن

غير انه يعد من افراد هذا العصر في

المعارف وحسن

الاخلاق

## الفصل الثامن

في تاريخ فرنسا

## الباب الاول

في وصف فرنسا الحالي

ان هذه البلاد يحدها شمالاً بجر المانش وبوغاز كالس الفاصل بينها وبين انكلترا ثم البلجيك والمانيا . وشرقاً المانيا ايضاً وبلاد السويس واطاليا . وجنوباً البحر المتوسط وجبال البيرينه الفاصلة بينها وبين اسبانيا . وغرباً الاوقيانوس الاثلاثيني

اما الآن فليس لفرنسا من الحدود ما كان لها عندما كانت تدعى غالباً قديماً لانها بعد سقوط الدولة البونابرتية اولاً سنة ١٨١٥ للميلاد وسقوطها ثانية سنة ١٨٧١ قد خسرت حدودها الطبيعية في الجهة الشرقية والجهة الشمالية والفاصل بينها الآن وبين الجهتين المذكورتين هو خط صناعي اقامته ايدي السياسة . اما عدد سكانها قبل الحرب الاخيرة فكان نحو ثمانية وثلاثين مليوناً اما الآن فهو نحو ستة وثلاثين مليوناً ونصف . هذا بعد طرح سكان الازاس وخمس اللورين الذي انضم الى المانيا بعد الحرب وهو نحو مليون ونصف واكثرهم على المذهب الكاثوليكي والحريّة مطلقه لجميع المذاهب

وعلى شطوط فرنسا عدة جزائر راجعة اليها وهي جزيرة كورسيكا وجزائر يارس في الجهة الجنوبية من البحر المتوسط وجزائر ري واولديون واويسان

وليل ديو ولبيل في الجهة الغربية من البحر المحيط . ومن املاكها عدة مستعمرات في جهات مختلفة في غير قارة اوروبا . ففي افريقية بلاد الجزائر في الجهة الشمالية وولاية السبنيكال وجزيرة غوري في الناحية الغربية وجزائر لاريونيون وسنت ماري ومايوت وبوربون في الجهة الجنوبية الشرقية منها وعدد اهلها جميعاً نحو ثلاثة ملايين و ٢٥٠ ألفاً وهم مسلمون وكاثوليك وبروتستانت ويهود . ومن املاكها في اسيا ميناء بونديشيري وكاريكال وماهي ويناون وساندبرناخور في الهند وسايغون في الكوشين صين وعدد اهلها جميعاً نحو ٢٥٠ ألفاً . ولها في اميركا عدة جزائر اشهرها جزيرة كواديلوب ومارتينيك وسان بيير وميلكون وقسم من ولاية النيان الفرنسية في الناحية الشمالية الشرقية من اميركا الجنوبية . وفي المحيط جزيرة خلكيدونيا الجديدة وجزائر مركيز وغيرها وعدد سكان جميعها نحو ٥٢٠ ألفاً . وكان لفرنسا سابقاً في اميركا كানাذا واويريانه وسان دومينيك وسانت لوسي وتاباكو واماكن كثيرة في اسيا اعظمها مركز سورات وقد خسرت كل ذلك خصوصاً في زمان الدولة البونابارتيه الاولى

ان فرنسا هي اجمل ارض سياسية وتجارية نظراً لحسن موقعها الطبيعي وهي غنية بالمعادن والمحصولات . وفيها كثير من الفحم الحجري العظيم النفع والحديد والرصاص والنحاس والقطران الارضي اما الفضة والذهب فقليلان فيها . وبها انواع الرخام والمرمر وحجر الطبع وغيرها من الحجارة وبها انواع الجص والتراب الكبريتي والزاجي ونحوها وكثير من البنايع المعدنية المختلفة . واكثر اراضيها مخصصة جيدة تعطي اكثر انواع الحبوب والثمار . والكرم فيها في غاية النجاح يستخرجون منه كل انواع الخمر المشهورة . وبها دود القز بكثرة وانواع الطير والحيوانات المستخدمة . وصناعاتها في غاية النجاح والاتقان واهاليها متميزون عن سواهم باتقان عمل الجوخ وجميع اقمشة الحرير والصوف والكتان والقطن والجلود والبلور والصيني والفخار المطلي وعمل الحلي واكثر الآلات المفيدة ونحو ذلك . اما

دائرة المنجر فيها في غاية ما يمكن من الاتساع والنمو داخل البلاد وخارجها .  
 وفيها كثير من المدن الكبيرة المعتبرة كليون ومرسيليا وبوردو وتور واورليان  
 وغيرها وعاصمتها باريس وهي من احمل مدن الدنيا واعظها بعد لندن . وفيها  
 كثير من القصور المزخرفة باظرف اعمال البشر والمرايح المعتبرة الكثيرة وهر  
 في وسطها نهر السين فيقسمها شطرين وهو اعظم انهرها بعد نهر اللوار . وفي  
 فرانسنا كثير من الانهر والجداول والوديان والجبال مما لا يسعنا ضيق المقام  
 تعدادها وحكمها الآن من النوع الجمهوري

## الباب الثاني

في اصل فرانسنا وشعوبها القدماء واديانهم وعوائدهم وتغلب  
 الرومانيين ثم الافرنك عليهم وتاسيس الدولة الاولى  
 الملكية المعروفة بالميروفنجية سنة ٤٨١ ب.م  
 ثم سقوطها وانقراضها سنة ٧٥٢

ان فرانسنا كانت تُدعى قديماً غاليا او غاله وتند تاريخها الى القرن  
 السادس عشرق م وهو في اعصره الاولى كباتي توارنج مبادي المالك التديمة  
 لا يعلم عنه الا القليل . اما شعوبها فهم من قبائل مختلفة دخلت البلاد في  
 اوقات غير معلومة واستوطنت فيها . واخص تلك الشعوب قوم الكلتيين  
 جاءوا من الشرق من نواحي بكتريان مع الامم التي هاجرت الى البلاد اليونان  
 وايطاليا وتقدموا في شمالي غاليا حتى اشرفوا على المحيط ونزل بعضهم وقطعوا  
 البحر وعمروا جزائر بريطانيا الانكليزية . وقد وفي غاليا قبائل اخرى قاطنة  
 في جنوب البلاد وهم الايبير او الباسك الذين يظن فيهم انهم اتوا من شمالي

افريقية واسبانيا ولم يزل البعض من الفاسكون او اليباسك الفاطنين في جنوبي فرانس عند جبال البيريني يتكلمون بلغتهم . ثم اتاها ايضا الفينيقيون محراً ودخل بعضهم اواسط غاليليا واخاطبوا بالام التي وافت قبلهم . ثم آتى اليونان ونزلوا في الشطوط البحرية الجنوبية في القرن السادس ق م ويقال انهم اول من وضعوا اساسات مدينة مرسيليا

اما عوائد الغالين القدماء وملابسهم واطعمتهم فكانت خشنة كسائر الامم القديمة وكانوا على جانب عظيم من الحماسة والحدّة والشجاعة والكرم والسخاء والقيام بحق الضيافة . فكانوا بكرمون جداً من نزل بجوارهم غاضين النظر عن اصله وفصله ويتصرفون لكل من استغاث والتجأ بهم . وكانوا طوال القامة اجشاء الصوت قليلي التكلم سريعي الغضب قريبي الرضا يطلبون بعضهم بعضاً الى المبارزة الشخصية عند الغضب . وكانت اسلحتهم البلطات والحرايب وكانوا يتسربلون بالدروع وعلى رؤوسهم الخوذ واثراسهم كبيرة جداً تسترهم من الراس الى القدم . وكان لانسائهم البحرية في اختيارهن ازواجهن وكنّ ياتين رجالهن بالمهر . فكان الاب اذا اراد زواج ابنة له دعا جمهوراً من الشبان الى منزله فتمتج الابنة ويدها كاس ملآنة خمرآ فن ناولته الكاس كان عريساً لها وكان للرجل التسلط المطلق على المرأة وعلى اولاده وله حق التصرف في حياتهم جميعاً . وكانوا عند موت رب العائلة يحرقون معه كل ما كان عزيزاً لديه حتى ومن الحيوانات . ويطرحون معه ايضاً بعض المكاتب ظناً منهم ان الميت المحروق يستطيع اخذها معه الى اقاربهم المتوفين . اما اديانهم فاشبهت اديان اهل الشرق كالهنود مثلاً ولا بد ان هذه العادة المار ذكرها في حرق جثث امواتهم ماخوذة عن هولاء الهنود . وكان لهم عقائد بعضها حسنة وبعضها سيئة ومذهبهم يُعرف بالدرويديسم نسبة الى كهنتهم الدرويد . وكان لهؤلاء بعض تعاليم حسنة فكانوا يعلمون بالثواب والعقاب بعد الموت ويحرضون رعيتهم جداً في شان تربية الاولاد حسناً وعمل الخير ويقولون ان من اقترض



صاحبة مالا في هذه الحيوة ياخذة في الحيوة الآتية ومن قتل نفسه لاجل صديق  
له بلاقيه في العالم الآخر وان الابهاء في عيالهم هم بمنزلة ارباب وملوك . وعلما  
احيانا بتناخ الارواح واشياء من هذا القبيل واقاموا احتفالات عبادتهم بين  
احراش السنديان مقدمين احيانا الذبايح البشرية لزعيمهم ان الالهة لا تسر الا  
بالدم . وكان هولاء الكهنة اصحاب الحل والعقد ذوي سطوة عظيمة على الشعب  
وبعدهم الاعيان ثم العامة وبقي هذا المذهب الى بعد دخول الديانة المسيحية الى  
فرانسا وكان اوغسطوس قيصر بعد يوليوس قيصر قد اصدر امرا بلاشانه ومع  
ذلك بقي زمنا طويلا يمارس في بعض انحاء المملكة

وكان الغاليون اي الفرنسيون القدماء على جانب عظيم من البسالة  
والشجاعة ومحبة الاستقلال والحرية لا يرضخون لما ياتيهم وياتي بلادهم بالذل  
والعبودية . وكانوا يحبون الحروب والغزو فخاف سطوتهم وباسهم اكثر الامم  
المجاورة لهم حتى الدولة الرومانية التي وطدت اركان سطوتها في اغلب اجزاء  
العالم المعروف يومئذ وكادوا يهدمون اركان دولتها . وقد هاجموا ايطاليا مرارا  
من سنة ١٤٠٠ الى سنة ٥٨٧ ق م وفتحوا مدينة رومية عاصمتها سنة ٣٩٠ ثم  
قطعوا جبال الالب ونهر الدانوب وافسدوا البلاد ونهبوها ودخلوا اراضي  
اليونان ايضا واعملوا فيها السيف والنهب ثم امتدوا ودخلوا اسيا وصنع بعضهم  
فيها منازل ومستعمرات . وقد اُتيت تلك الاراضي باسمهم غلاطية نسبة الى غاله .  
ولم تتمكن الدولة الرومانية من قهر الغاليين الذين كثيرا ما كادوا يهدمون اركانها  
الا بعد ان صرفت اعواما كثيرة في اجراء استعدادات كلية ولم تتمكن من  
التغلب عليهم واخضاعهم لسطوتها الا من سنة ٥٨ الى سنة ٥٠ ق م بعد حروب  
هائلة عن يد اعظم واشهر قوادها يوليوس قيصر . وكانت الدلة الرومانية تنظر  
بعين الاهتمام الى اخضاع هولاء القوم فبعدها فتح يوليوس قيصر عليهم حروبا  
دموية طويلة منحة الدولة الرومانية انعامات وهبات وافرة ورفعت قدره  
وشانه ولكن مع ذلك لم تستطع ان تقبض على زمام التملك على هذه الامة زمانا

طويلاً جداً . فبقيت تحت تسلطها الى اواسط القرن الخامس لليلاد حين هاجمت غاليا قبيلة من قبائل المشرق كانت قد هاجرت اسيا في زمن غير معلوم تماماً ونزلت في شمالي فرانس في بلاد بلجيوم وفي تخوم المانية الغربية يقال لها قبيلة الافرنك فدخلتها ولطعت الى اسبانيا ووقعت فيها السلب والنهب مدة من الزمان ثم عبرت البحر ودخلت افريقية وتضعفت فيها . وسنة ٢٥٨ في سلطنة بوليانوس قيصر هاجم الافرنك غاليا مرة ثانية ونزلوا عند شطوط نهر الموز فنازعهم بوليانوس قيصر زماناً طويلاً ولم يقدر على اخضاعهم فتركهم اخيراً يستوطنون عند شطوط النهر المذكور

وكانت الامة الافرنكية مقسومة الى عدة قبائل كل منها خاضعة لامير خصوصي وكان جميع هؤلاء الامراء خاضعين لامير واحد قيل اسمه فاراموند وابتدأ حكم هذا الامير سنة ٤٢٠ للميلاد وبقي الى ٤٢٠ ثم خلفه ابنه كلوديون ودامت ولايته الى سنة ٤٤٨ وهو اول من اخذ في توسيع دائرة سلطة الافرنك . ثم توفي وخلفه ميروفي احد اقاربه سنة ٤٤٨ . وسنة ٤٥١ اتحدت القبائل الافرنكية مع الغالين سكان فرانس القدماء وانضموا جميعاً الى الرومانيين لمحاربة الهونيين الذين كانوا قد هاجموا غاليا ووقعوا فيها السلب والتخريب وحرابوهم وطردوهم بعد معارك شديدة فتحاولوا الى جرمانيا . وبعد هذه الحادثة وطد الافرنك اركان حكومتهم في غاليا الشمالية تحت قيادة كبير امراءهم ميروفي المذكور وهو اول امير دعاذاته ملكاً وتوفي سنة ٤٥٦ وتولى مكانه ابنه شيلديريك الاول الى سنة ٤٨١ ثم خلفه ابنه كلوفيس وقد دعي جميع الملوك الذين خلفوا ميروفي من عائلته الملوك الميروفنجيين نسبة اليه وهذه العائلة هي العائلة الاولى التي تبوأت تحت ملكة فرانس على ان المؤرخين لا يؤرخون ابتداء ملكة الافرنك الا منذ تبوأ تختها كلوفيس الاول بن شيلديريك بن ميروفي وذلك من سنة ٤٨١ للميلاد لانه اول من تغلب على جميع قبائل الافرنك التي هو منها واخضعها لسطوته وفتح الجانب الاعظم من غاليا

ولما تولى كلوفيس المذكور سنة ٤٨١ كانت الرومان والالمان والفيزيغوث والبورغنديين وغيرهم يتنازعون في غالبا فاتصر الافرنك عليهم جميعا . ففي سنة ٤٨٦ كسر كلوفيس جيش الرومانيين في سواسون وطردهم من جميع الاقطار التي كانوا لا يزالون فيها . وسنة ٤٩٦ حارب الالمان واتصر عليهم في موقعة توليباك ودفعهم الى ما وراء نهر الرين واخضع بعضهم . واذ كانت الديانة المسيحية قد انتشرت قبل ذلك بزمان طويل في تلك النجوم تنصر الملك كلوفيس عقب المعركة التي رجمها على الالمان وكان السبب في تنصر زوجته كلوتيلد فتعد في مدينة ريمس مع عائلته وجنوده واعيان دولته وكان هو الملك المسيحي الوحيد في ذلك العصر بينما انحاز غيره من الملوك الى ارنقة اربوس وبناء على ذلك حاز ملوك فرانسا التقدم الديني على ما سواهم من الملوك الكاثوليكين

وسنة ٥٠٠ الميلاد حارب كلوفيس جماعة البورغنديين واخضعهم فحلوا اليه الخراج . وفي سنة ٥٠٧ حارب الفيزيغوث واتصر عليهم وطردهم وحاصروهم في اقليم سبتيانيا وهو قسم كبير من جنوب فرانسا واخرج ما عداه من ايديهم . وبعد ذلك اذ اختلف الافرنك بالالاهالي الاصليين تغلب اسم الافرنك على كل سكان بلاد غالبا فسميت بلادهم فرانكا ثم بعد ذلك ببعض سنين بدلت الكاف بالسين فصار اسمها فرانسا وفي الاصل لم يكن اسمهم افرنك بل انما ذلك لقب غلب عليهم (من فرانكس اي شجمان)

ثم توفي كلوفيس سنة ٥١١ بعد ان حكم ٣٠ سنة وهو من اشهر ملوك هذه الدولة وله اربعة اولاد وهم شيلديبرت وكلوتير وكلودمير ونياري . فاقتسموا الملك بينهم وتبع من ذلك اربع ممالك متفرقة فاخذ شيلديبرت الاولى وكانت مدينة باريس تخنا لها والثانية قاعدتها سواسون والثالثة قاعدتها اورليان والرابعة متس . وفي سنة ٥٣٤ انضوا جميعا وكسروا شوكة البورغونديين ومحو رسوم ملكهم بالتام واخضعوا بلادهم كباقي البلاد . وبقيت فرانسا منقسمة الى ان مات ثلاثة منهم فضمها كلوتيو الاول سنة ٥٥٨ ملكة واحدة تحت حكمه لكنها

انقسمت بعدُ ثانيةً وذلك سنة ٥٦١ وصارت اربع ممالك مستقلة كالاول . وكانت باريس ايضاً تختاً للاولى وسواسون للثانية وبتس للثالثة وبورغنديا للرابعة . وفي سنة ٥٦٧ توفي كاريبيرت ملك باريس فصارت ثلثاً واستمرت هكذا منقسمة الى سنة ٦١٢ . وقد اعقب هذا الانقسام حروب اهلية طويلة نتج عنها انضمام زماناً يسيراً في عهد كلوتير الثاني وبقيت منضمة الى عهد ابنه راغوبرت الاول سنة ٦٢٨

وبعد وفاته انقسمت مرةً ثالثة الى اربع ممالك وهي اوسترازي ونوستري وبورغونيا واكتانيا وكانت الاثنتان الاوليان ممتازتين عن الاثنتين الاخرين بالسطوة والنفوذ مدةً من الزمان . ثم اجتمعت ايضاً ملكةً واحدةً من سنة ٦٧٠ الى سنة ٦٧٢ في حكم شيلدبيرك الثاني ثم في سنة ٦٨٧ نفوت اوسترازي وارتفع شأنها على نوستري وتقدم امراؤها وفازوا بباقي الولايات فادخلوا بورغونيا تحت طاعتهم ثم اكتانيا وهو القسم الرابع من ملكة فرنسا الذي استخلصه شارل مارثل من عرب الاندلس سنة ٧٢٢ في زمن خلافة عبد الرحمن بعد حرب مهلكة قيل انه قُتل فيها نحو ٢٠٠ الف رجل من جيوش العرب وربما كان ذلك مبالغةً

وسنة ٧٥٢ للميلاد انقرضت الدولة الفرساوية الاولى وهي الدولة الميروفنجية وسبب انقراضها طياشة ملكها شيلدبيرك الثالث وقلة درايته اذ كان له وزيرٌ يقال له يابين على جانب عظيم من الخدق والدرابة والاقلام وكان من اشرف رجال فرنسا وعضائهم فكان قابضاً على زمام الامور ولم يكن لشيلدبيرك المذكور من الملك الا مجرد الاسم كما كان قد آل امر سلفائه ايضاً منذ سنة ٦٨٧ فانهم كانوا ملوكاً بالاسم فقط فقبض يابين على الملك شيلدبيرك وحجز عليه في احد الاديرة واستولى زمام الملك بدون مانع ثم توفي شيلدبيرك بعد قليل ومعه كانت نهاية الدولة الاولى التي ملكت فرنسا مدة ٢٠٤ سنين وعدد الملوك الذين خرجوا منها ٢٤ ملكاً

فهذه هي الدولة الاولى التي وطّدت اركان المملكة الفرنسية وسنت لها  
نظامات موافقة لروح ذلك العصر اذ كانت قبل ذلك شوكة الملك ضعيفة  
جدًا فكان النفوذ لجمعية الملة العمومية التي اجتمعت كل سنة في وقت معين  
وكان لما الحق في انتخاب الملوك وفي اعطائهم الامدادات والاعانات اللازمة  
وكانت هي التي تشرع القوانين والشرائع وتحكم في فصل جميع الدعاوي بدون  
معارض . وكانت الخدمة العسكرية بالاختيار لا بالانصباب . وكانت القيمة  
التي يغنها الجيش تُورّع عليه بالمحصص حتى ان الملك نفسه كان لا ياخذ منها  
الا ما يخصه بالقرعة . ويؤيد ذلك ما حدث بعد معركة سواسون التي اشرنا  
اليها في ما تقدم فان جنود الملك كلوفيس الاول صاحب النصر في تلك  
المعركة كانوا قد نهبوا كنيسة سواسون واخذوا منها امتعتها ومن جانتها اناه  
ذهب كيرثين فبعث اسقف الكنيسة الى كلوفيس رسلاً يترجوه ان يرجع  
الاناء المذكور على الاقل فقال لهم ان وقع هذا الاناء في نصيبه يرجعه الى  
الكنيسة فلما جمعت الغنائم ووضعت في وسط الجنود طلب كلوفيس ان يعطوه  
قبل القسمة الاناء المذكور زيادة على حصته فاطهر جميع العساكر انهم يريدون  
اجابة طلب الملك الا انه خرج من بينهم عسكري جسور تقدم كالوحش ورفع  
بلطته وضرب بها الاناء بشدة وقال للملك باعلى صوته مالك شيء مطلقا سوى  
ما يخصك بالقرعة ولا نقره لك بامتياز خصوصي وكانوا احيانا يهينونه اذا لم يمتثل  
الى طلبهم فاشبهوا من هذا القبيل الانكشارية في الدولة العثمانية





وسنة ١١٢ اشرك معه في الملك ابنة لويس الملقب بالحليم وما زال في عزه ونجاح الى ان توفي سنة ١١٤ فتولى مكانه ولده لويس المذكور. غير ان هذه السلطنة لم تجاوز سنة ١٤٢ حتى انقسمت الى ثلاث ممالك مستقلة وهي فرنسا والمانيا واطاليا وصار تاج السلطنة يتناول بعض الذرية في ايطاليا مرة واقاربهم من امراء العائلة الكارلوفنجية اخرى حتى انتقل الى طائفة من الاعيان ليسوا من تلك العائلة ثم انتهى الامر بابقائه بيد الالمان وانقرض هذه العائلة سنة ١٨٧

اما سبب ضعف هذه العائلة وتلاشيها فهو انه لما كان الملك لويس المذكور ابن شارلمان فاترا الهمة وضعيفا غير قادر ان يقوم بحق سياسة كل المالك التي فتحها والده قسم قبل وفاته سلطته المتسعة بين اولاده الثلاثة سنة ١٤٢ كما ذكر. فلك ابنة الاكبر على بلاد جرمانيا والثاني على فرنسا والثالث على ايطاليا. الا انه لم يعين حدودا مناسبة لفصل فرنسا عن المانيا ولكنه اعطى ولده البكر لوتير الذي تولى كرسي سلطنة المانيا بلادا في الجهة الشمالية اليسارية من نهر الرين مع انها كانت من اراضي فرنسا بحسب التقويم القديمة والفواصل الطبيعية. ولما كان هؤلاء الملوك الثلاثة المذكورون غير اهل للقيام بحق ادارة ممالكهم المقسومة كما قام بحقها جدهم شارلمان شرعوا في استعمال وسائل غير مناسبة واجراءات مضرّة ردية ظالنين انها توطد اركان سطوتهم وقواعد ممالكهم وسنوا شرائع وقوانين اتت بلادهم بعدم بنوائب عديدة ودواهي كثيرة لاسيما حين صارت سطوة اشرافهم تزايد وتعاظم

امانك الترتيبات والاجراءات المضرّة التي اقاموها فهي اعطاء الذين يحسنون خدمتهم القابا عالية ورتبا سامية وامتيازات لهم ولنسلم من بعدهم وهي الترامات وراثية اي ان يحكموا على مقاطعات من ممالكهم ويورثوها لذريرتهم وان يتصرفوا فيها تصرف المالك بالملك وذلك ليستندوا عليهم عندما تمس الحاجة. فاتي ذلك باضرار ونكبات كثيرة على ممالكهم لان هؤلاء المحكام مع نمادي الايام



تقووا كثيراً حتى صاروا اصحاب شوكة وسطوة فخلعوا طاعة مواليم وجاهروهم بالعصيان واستقلوا باقطاعاتهم بعد ثورات ومنازعات وحروب كثيرة . ثم شرعوا يجارون بعضهم بعضاً ويخربون في البلاد كيفاً شاءوا فاستبدوا وامسكوا اخيراً عنان سلطة مطلقة في ما يتعلق بسياسة الرعايا واقام بعضهم المحروب على نفس الملك فاتي ذلك الدولة والامة بالضعف والتقهقر مدة سنين كثيرة . وما زالت عصية اعيانهم تتعاضم وتفتنم فرصة التسلط على السلطة الملكية حتى انه في سنة ٨٨٧ تام احد اولئك الاعيان المتزمنين يقال له اودون وهو جد العائلة الثالثة المعروفة بالكاييتانية وسلب الملك من يد العائلة الثانية التي نحن في صدها الى سنة ٨٩٨ . ومن ذلك الوقت اخذ يتناول تارة الكارلوفنجيون وطوراً خلفاء اودون المذكور الى سنة ٩٨٧ حين كان لويس الخامس الملقب بالكسلان ملكاً من العائلة الكارلوفنجية فنهض حينئذ كبير وزرائه وفعل به ما فعله سالفه الاول باخر ملوك الدولة الاولى . وقيل ان امراته بلانش دست له سماً بالاتفاق مع وزيره المذكور هو ككايت فات في السنة العشرين من عمره والاولى من ملكه وبه تالشت الدولة الثانية وقام عوضاً عنه هو ككايت راس الدولة الثالثة

## الباب الثالث

في قيام الدولة الثالثة المعروفة بالكاييتانية وسقوطها

من سنة ٩٨٧ الى سنة ١٧٨١

ان هو ككايت المتقدم ذكره الذي اغتصب الملك من يد آخر ملوك العائلة الكارلوفنجية كان من اعظم اشراف فرانسوا واشدهم باساً واكثرهم واوسعهم امالاً فقبض على عنان الملك وتبوأ تحت فرانسوا سنة ٩٨٧ واستبد في الملك

الى سنة ٩٩٦ وكان نسله كثيراً وخرج من عائلته رجال كثيرون ذور حذق ودراية واقدام وتملكوا فرنسا زماناً طويلاً اطول من الزمان الذي ملكت فيه العائلتان السابقتان . وقد تفرعت هذه العائلة الى جملة فروع وهي امراء كاييت نسبة الى خلفاء هوك كاييت المذكور الذين استمروا يتناولون الملك الى سنة ١٢٢٨ . وامراء فالوا الاولون والثانيون اولم فيليب السادس واخرهم هنري الثالث من سنة ١٢٢٨ الى ١٥٨٩ . وامراء اورليان وهم فرع من امراء فالوا . وامراء بوربون اولم هنري الرابع واخرهم كارلوس العاشر من سنة ١٥٨٩ الى سنة ١٧٩٣ ومن سنة ١٨١٥ الى سنة ١٨٣٠ . ثم فرع اورليان من السنة المذكورة الى سنة ١٨٤٨ . وقد دامت دولتهم باتصال مدة ٨٦٤ سنة منذ سنة ٩٨٧ لليلاد الى سنة ١٧٩٣ حين قُتل لويس السادس عشر عند حدوث الثورة الفرنسية العظيمة التي احدثت انقلابات كلية في الهيئة والسياسة والعوائد . وهذا هو الذي جعل الامة الفرنسية على اعتبار تاريخ الثورة المذكورة حداً تنتهي اليه تواريخ القرون المتاخرة

وعندما جلس على كرسي ملك فرنسا هوك كاييت مؤسس الدولة الثالثة كانت البلاد لم تنزل على ما هي عليه في زمن الدولة الثانية . فان الجمعيات التي اسلفنا عنها كانت لم تنزل مستمرة على عظم شوكتها وتنفيذ اوامرها فكانت هي تنتخب من العائلة الملكية الامير الذي يتولى كرسي الملكة ولا يولى ملك الا برضاها ولم تقدر الملوك ان ترتب قانوناً جديداً من غير رضا ارباب تلك الجمعيات . اما هوك كاييت فانه عند جلوسه على كرسي الملكة احدث في سياستها تغييرات عظيمة اثرت في شوكة الجمعيات العمومية المتقدمة وفي احكامها فاخذت من ذلك الوقت تنزاد القوة الملكية في فرنسا شيئاً بعد شيء حتى الى ايام الملك كارلوس السابع في الجيل الخامس عشر حين كسر شوكة الاشراف وابطل الترانيب والحقوق الالتزامية في القوانين العسكرية وانشأ فرقة من عساكر المشاة وجعل عليهم ضباطاً لاجل تعليمهم وقيادتهم فصاروا يخضعون له ويعتبرونه كولي

نعمهم . ثم ان الحروب الصليبية التي كان للفرنساويين دخل عظيم فيها ولئن هلك فيها نفوس عديدة وصرف لاجلها اموال جزيلة اورثت البلاد نتائج حسنة جداً سواء كان من جهة المشروعات والتراتب العسكرية ام من جهة انقاز التجارة والزراعة ونحو ذلك

ومن ملوك هذه العائلة فيليب الثاني الملقب اوغسطوس جلس سنة ١١٨٠ . وسنة ١١٨٩ اتحد مع ريكاردوس ملك انكلترا الملقب بقلب الاسد وقام الاثنان بجيش جرار وجاءوا سوريا لخدمة الصليبيين وهي الحرب الصليبية الثالثة . ولما وصلا الى سيسيليا اى جزيرة صقلية وقع بينهما شقاق ومناقرة افضت الى انفراقهما . على ان فيليب اوغسطوس اتى سوريا وله يوم مجيد في اخذ عكا ثم قفل راجعاً سنة ١١٩١ الى فرنسا واخذ يهيج الاحزاب ضد ريكاردوس المذكور انقاً . ولما عاد هذا الاخير الى ملكته بعد عقده الهدنة مع صلاح الدين الابوي اتشبت الحروب بينه وبين فيليب الذي لم ينل فيها فوزاً يستحق الذكر في مدة تلك ريكاردوس ولكنه من سنة ١٢٠٤ الى سنة ١٢٠٥ استخلص من ايدي انكلترا اعمال نورمنديا وانجويوانو . وقد رغب هذا الملك في ترقية اسباب المعارف والتجارة وله عدة مناقب حسنة ثم توفي سنة ١٢٢٢

وقد خلفه الملك لويس الثامن ولم يحدث في ايامه امر مهم وكانت مدة حكمه ٢ سنين فقط فخلفه لويس التاسع المعروف بالقدس لويس سنة ١٢٢٦ وهو من مشاهير هذه العائلة فهد مصالح الملكة وساسها احسن سياسة وجعل للتاج ما يستحقه من الاعنبار والسلطان واقام دعائم الملك على امن اساس . وكان نقياً ورعاً محباً للاداب والمعارف . وسنة ١٢٤٤ اعتراه مرض شديد اوشك ان يموت فيه فنذر انه اذا شفي ياتي الى محاربة المسلمين في فلسطين . فقام سنة ١٢٤٨ واتى مصرأ وفتح دمياط سنة ١٢٤٩ ثم تقدم الى داخلية البلاد وصارت بينه وبين جيش المسلمين معركة في المنصورة سنة ١٢٥٠ انتصر فيها ولكن بسبب الجاعة والمرض الذي اصاب جيشه بعد ذلك التزم ان يقفل الى

الوراء فوق اسيراً مع اثنين من اخوته في قبضة العدو فافتدى نفسه مع اخويه بمقدار من الذهب يبلغ نحو سبعة ملايين فرنك وبإخلاء دمياط ونحوه عن النظر المصري فخرج من مصر ولقى فلسطين وأقام فيها مدة أربع سنين وفي أثناء إقامته فتح قيصريه وصور وهذه كانت نتيجة جميع أعماله في هذه التجربة. وإذا كانت أمه تطلب اليه ان يرجع الى مملكته منذ مدة طويلة عاد الى فرنسا وأخذ في اصلاح احوال داخلتها. وسنة ١٢١٠ نهض مرة اخرى لنجدة الاراضي المقدسة في فلسطين لكنه اتى اولاً تونس بقصد الانتقام من التونسيين الذين كثيراً ما كانوا يتعدون على السفن الفرنسية وغيرها ويسلبونها وامسى الجرعسر السلوك بسببهم. ففتح اولاً بعض النجاج على ان الدهر لم يسأله الى النهاية اذ اصاب جيشه مرض الطاعون واضرب به جداً ثم اصيب هو ايضاً به فادركته المنية في تونس

وقد ازدادت فرنسا نمواً ايضاً في مدة فيليب الثالث خليفة القديس لويس من سنة ١٢٧٠ الى سنة ١٢٨٤ اذ اضاف المذكور مقاطعة لانفدوك الى الناج وتدخله في جميع المنازعات الحاصلة يومئذ في املاك اسبانيا المسيحية امتد نفوذ كلمته الى ايطاليا لاسيما في نابولي. وقد خلفه ولده فيليب الرابع سنة ١٢٨٤ فشرع في استرجاع الاملاك التي كانت قد أعطيت الى لوتير امبراطور المانيا واثار عدة حروب في نفس فرنسا على بعض الامراء الفرنسيين اصحاب المقاطعات ومع ادورد الاول ملك انكلترا ونجح في اكثرها ووسع نطاق المملكة ونجح في مقاطعتيه ضد سلطة البابا الزمنية وكسر شركة خدمة الدين وسلطة الاشراف وجعل بينهم وبين السيادة حاجزاً وهو مجلس المشورة فكانت تُنظر فيه قضايا الملكة والشعب. ووقع بين فيليب الرابع وبين البابا بونيفاس الثامن مخاصمات ومنازعات كثيرة فاخرج البابا المذكور ضد ثلاثة مناشير ودعاه ضالاً واراتيكياً ثم حرمة. فاغناظ فيليب جداً وارسل جيشاً الى ايطاليا فقبضوا على البابا واهانوه اهانة عظيمة واذ لم يكتف اصحاب فيليب بتنكيس البابا

بونيفاس بما حصل عليه من الاذلال اهانته لم يسمع قط بمثلا وهي انهم  
اركبوه بغلاً بالمقلوب من غير سرج ولجام ووجهه مداراً الى نحو مؤخر البغل  
وطافوا مستهزئين به فمذه الالهانة بالحبر الروماني مع فقد امواله الكثيرة التي  
وضع فيليب ملك فرانس وقواده ابيهم عليها أثرت به تأثيراً عظيماً اعدته  
الحياة

وبعد توفي فيليب الرابع خلفه فيليب الخامس الملقب بالطويل بعد وفاة  
اخيه لويس العاشر الذي لم يملك الا سنتين . فرجعت فرانس القهقري من ذلك  
اليوم . لانه بعد موت فيليب الرابع الذي اقام دعائم الملك اخذ اولاده وحذنة  
في الميل الى الاعيان بدون تبصر في عواقب الامر والتأج المضرة التي ترتب  
عليه . فجاء ذلك الاشراف طبقى المراد واغتنموا تلك الفرصة لارجاع سلطتهم  
ثانية باعانة اولئك الملوك الذين كانوا يجهلون مصالح الملك كما ينبغي . وقد  
حصل مثل هذه الاعانة للاشراف من الفرع الثاني الملكي الملقب بانثوا الذي  
اشرنا اليه في صدر الكلام عن هذه الدولة وذلك اقتداءً بخلفاء فيليب الرابع .  
فبسبب هذا التصرف المعلوم اشرفت فرانس على السقوط والاضمحلال بعد  
ذلك الفوز والنجاح وفتح الباب للدول المجاورة لها على مهاجتها واستخلاص  
املاك كثيرة منها فاغتنم الانكليز فرصة اختلال احوالها وضعفها وشرعوا في  
الحروب المعروفة بحروب المئة سنة وقهروهم في عدة اماكن بعد ان استولوا على  
جانب كبير من بلادهم . وكان مبدأ هذه الحروب سنة ١٢٦٧ وامتدت الى  
سنة ١٤٥٢ تشب نيرانها من وقت الى وقت واشهر الوقائع التي انتصر فيها  
الانكليز على الفرنسيين معركة كريسبي سنة ١٢٤٦ وواقعة بواتي سنة ١٢٥٦  
حين أخذ ملكهم يوحنا الثاني اسير حرب وتوفي رهوناً في بلاد الانكليز . وبينما  
كانت فرانس اخذة في انهوض في زمن حكم كارلوس الخامس الملقب بالعاقل  
من سنة ١٣٦٤ الى سنة ١٣٨٠ عادت القهقري في ايام كارلوس السادس اذ  
كان قاصراً بعد لا يستطيع ادارة مهام الدولة ثم لاختلال عقله فيما بعد بمرض

المونومانيا . واذ ذاك كادت فرانس تشرف على الاضمحلال بالكلية خاصة بسبب نزاع وشتاق امراء العائلة الملكية اصحاب الثروة والنوذ وتداخلهم في سياسة الممالك طمعاً في الاستيلاء على التاج ورغبة في السلطة ونفوذ الكلمة لاسيما مع ما آل اليه امر العائلة الثانية من اشراف وامراء بورغونيا الذين كانت سطوتهم تضاهي سطوة الملك لابل وأكثر من ذلك خاصة في اماره كارلوس المجازف . وما زاد فرانس ضعفاً ووهناً على ضعفها المشاجرات والمنازعات العديدة التي أهرقت فيها دماء كثيرة بين شعبي ارمبيك وبورغندا . اما الجروب مع انكلترا فكانت بلا فتور وسنة ١٤١٥ انتصر الانكليز في واقعة ازنكور وتغلبوا على اكثر الابالات البحرية الفرنسية وتوغلوا في اواسط البلاد واستولوا زمام احكامها ونودي باسم ملكهم هنري الخامس ملكاً عليها وتزوج بعده ابنه هنري السادس فكانت فرانس مملكة انكليزية محضة حجة سنوات . وبينما كانت غارقة في الحج اوقيانوس الفلق والاضطراب والبلايا محيطية بها من كل ناحية ولا ترى لها منفذاً للتخلص من ذلك الارتباك اذا بطالع سعيد بزغ في افقها سنة ١٤٢٩ وذلك بظهور الابنة جان دارك وهي ابنة احد الفلاحين متظاهرة بالتنوي والورع . فرسعت ان الله ارسل اليها ملاكاً يامرها ان تخلص فرانس من بلاياها وانه تراءى لها الملك ومريم العذراء عدة مرات وامراها ان تذهب الى الملك وتطلعه عما كان . فترددت حسب زعمها في اول الامر ثم كاشفت والدها عما كان وطلبت اليه ان يسع لها بالذهاب الى الملك فلم يجب طلبها ولكنها ذهبت اخيراً خفية عنه وانت الملك كارلوس السابع وكان وقتئذ في شينيون واطلعت على الخبر فتعجب من شجاعتها غاية التعجب ولم يكن لها من العمر حينئذ الا ١٨ سنة . وبعد مفاوضات طويلة انقاد اخيراً الملك وارباب ديوانه الى طلبها وكان الانكليز يومئذ محاصرين مدينة اورليان وكادوا يفتحونها فجهز الملك لجان دارك المذكورة جيشاً صغيراً فقادته بشجاعة تقصر دونها شجاعة الرجال وهمم ولم يرض الا بضعة ايام حتى انكسر جيش الانكليز وتقهقر بعد ان فقد منه خلق

كثير وما برحت تطاردهم وتدفعهم حتى اوصلتهم الى مدينة رَمَس ثم كسرتهم  
 هناك ايضاً مرة اخرى بعد ان كبدتهم خسائر عظيمة ثم تحولت بالجيش نحو  
 باريس لطرد الانكليز منها وفعلت اموراً ادهشت الانكليز حتى ظنوها ساحرة.  
 وبينما كانت تحاصر مدينة كومبيان هجمت امام الجيش على الاسوار فكبا بها  
 فرسها ووقعت اسيرة في ايدي الانكليز فاخذوها ومن غيظهم منها حكوا عليها  
 بالموت بدعوى انها ساحرة وامانوها حرقاً بالنار فكان ذلك فعلاً ملوماً  
 ومنظراً مجزناً جداً تشعرت منه الاجسام. وسنة ١٤٤٤ عُقد صلح مع الانكليز بعد  
 ان خسروا معظم فتوحاتهم في فرانسوا واقتصروا على بعض الاقاليم البحرية. ثم  
 في سنة ١٤٥٢ تجددت الحرب مع الانكليز ثانية ودامت الى سنة ١٤٥٣ فطرد  
 الانكليز بالكلية من اراضي فرانسوا وكانت هذه الحرب نهاية الحروب المسماة  
 بحروب المئة سنة

وبعد ان انقذت فرانسوا من ايدي الانكليز شرع كارلوس السابع في  
 تقويم أودها واصلاح شأنها وازال ما لحق حكومتها من الخلل وجدد بها وجاقاً  
 من العساكر المستمرة فكان بذلك قدوة لمن اتى بعده من الملوك حيث سلكوا  
 على منواله ولم يحتاجوا الى طلب العساكر من الامراء الملتزمين كما في الماضي  
 وكسر من شوكة الاعيان جانباً عظيماً وحصل بينه وبينهم حروب كانت له النصره  
 عليهم. ثم توفي سنة ١٤٦١ وخلفه ولده لويس الحادي عشر فحذا حذو سالفه  
 وتغلب على عصبة الاعيان واطاف الى حكم التاج احدى عشرة ايبالة كانت كل  
 واحدة منها مستقلة بالتصرف ولئن كانت ولايات حكامها بيد الملك في الظاهر.  
 وكان هذا الملك شديد الاستقامة عالي الهمة محباً للعلوم والمعارف وانشأ مجلة  
 اماكن لانتشارها وكان محامياً للآداب مكرماً العلماء واهل الطباعة والفنون  
 وكان قد اخترع هذا الفن في ماينس يوحنا غوتنبرغ سنة ١٤٥٠ ثم نقل الى  
 باريس سنة ١٤٧٠ في عهد هذا الملك فانسعت بهذه الوساطة دائرة العلوم  
 وتقدمت باقرب وقت. وكان علم الطب يومئذٍ قليل التقدم مزوجاً بالضلالات

والاعمال البحرية ولم يكن له مدرسة مخصوصة فجدد له هذا الملك مدرسة  
 مخصوصة سنة ١٤٧٢ . وكان لهذا الملك مزيد الالتفات الى التجارة فاحضر  
 من بلاد اليونان ومن بلاد ايطاليا كثيرين من ارباب الحرف والصنائع وجدد  
 المعامل لعل الاقمشة المزركشة بالذهب والفضة واقمشة الحرير . ومن عظيم  
 مشروعاته ترتيبه البريد وكانت البرد في مبدئ الامر معدة لمصالح الملك والبابا  
 خاصة ثم اتسعت دائرتها سنة ١٤٨١ حتى صارت تستعمل في مصالح الاهالي  
 ومراسلاتهم . وبالحجالة احدث اصلاحات كثيرة نافعة ووسع نطاق المملكة بدون  
 ايقاع حروب ولم يحدث في ايامه سوى واقعتين ومع ذلك اكتسب بسياسة من  
 الفتوحات مما لا يكتسبه غيره من الملوك بالاسلحة ثم مات سنة ١٤٨٢ وترك  
 جميع ثغور المملكة محصنة مستوفية سائر اللوازم

وخلفه ابنه كارلوس الثامن ولم يكن له ما كان لابي من الاوصاف والمحامد .  
 وكان والده قد ترك جيشاً يبلغ ستين الفاً على احسن حالة واكل نظام فشرع  
 في حروب ايطاليا من سنة ١٤٩٤ وامتدت الى سنة ١٤٩٨ وفتح امريّة ميلان ثم  
 خرجت من يده ولم ينج من هذه الحرب سوى المشقات وفقدان العسكر . ثم  
 توفي سنة ١٤٩٨ في ريعان شبابه ولم يترك عقباً فخلفه لويس الثاني عشر وهو  
 اقرب اقاربه اليه فتمادى في الحروب في ايطاليا حتى افنى فيها ماله ورجاله  
 وفتح سنة ١٥٠٠ امريّة ميلان ثانية وسنة ١٥٠١ استولى على بلاد لومبارديا  
 وبالحجالة نقول ان ايام هذا الملك صرفت اكثرها في الحروب ومات اخيراً سنة  
 ١٥١٥ بعد ان خسراقليم ميلان الذي كان قد فتحه

وقام باعباء المملكة بعده فرنسيس الاول وكان قد اظهر منذ صباه ما  
 يدل على حسن مستقبله . وكان ساله قد ولجته في حياته بعض ماموريات نصح  
 فيها حق النجاح فلما استلزم زمام الاحكام شرع في انجاز مقاصد سلفه من جهة  
 استرجاع ميلان وبعد ان جدد المعاهدات القديمة التي كانت بين فرنسا  
 ودواني انكلترا والبنديقية زحف الى ايطاليا بجيش لم يسبق لفرنسا الى ذاك



الوقت انها بعثت بمثلها الى ما وراء جبال الالب . وكانت الخزينة عند موت  
سلفه قد امتست في عسر الا ان ذلك لم يشو عن عزمه فسار حتى جاوز جبال  
الب واتصر سنة ١٥١٥ على سويسرة في واقعة مارينيان واستولى على بعض  
المدن الحصينة منها مدينة نوار وتخلي اهل سويسرة عن اقليم ميلان وانعدت  
شروط الصلح وصارت حكومة جنيفا تحت حمايته ثم انكسرت جيوشه في بيكوك  
سنة ١٥٢٢ في محاربة الامبراطور شارلكان فحسرا اكثر فتوحاته . وسنة ١٥٢٥  
عزم على استرجاع ما فقده من الاملاك في ايطاليا فاتصر في مبداء الامر ثم  
انكسر في واقعة بافيا وانجرح ووقع اسيرا في قبضة العدو فاخذ اسيرا الى  
اسبانيا وبقي في اسر الامبراطور شارلكان اكثر من ١٢ شهرا . ثم عقدت مشاركة  
مالها تخلية كل الاقاليم التي فتحها فرنسيس في ايطاليا ودفع مبلغ من النقود  
نظير فدية وهكذا تخلص فرنسيس من اسره بعد ان قاسى كثيرا . وسنة ١٥٢٩  
عزم هذا الملك على ارجاع اقليم ميلان وارسل جيشا لفتح فانكسر كسرة عظيمة  
وتجددت ثانية شروط الصلح وكان الوسيط في عقدها البابا اكليمنضس .  
وهكذا مع حذق فرنسيس ودرايته وشجاعته لم يتيسر له مدة ملكه ان ينال ما  
كان يصبو اليه وبالجهد استطاع ان يدفع عنه قوة الامبراطور شارلكان  
وسطوته

ومن ثم عظم السلام بالمعاهدة التي عقدها فرنسيس مع هنري الثامن ملك  
انكلترا . وكان من شروط هذه المعاهدة ان ولي عهد فرانسوا يتزوج بالاميرة  
مارية الانكليزية . وقد رغب هذا الملك في ترقية اسباب المعارف والفنون  
فراج سوقها بعد ان كان كاسدا حتى صار يلقب ابا العلوم والمعارف فكان رايه  
ان ليس لتعظيم العلماء حد ينتهي اليه وانه ما دام العلم معظما في مملكة دام عزها  
وفلاحها واذا امين فيها سقطت . واذ كان قد نشأ من صغره على حب العلم  
ومارسته كان يحب مجالسة العلماء فكانوا يصاحبونه في كل مكان ولا يفارقونه  
في اسفاره ولا في منزهاته وكان يقدمهم المناصب الرفيعة ويجزل لهم العطاء .

وقد اعتنى جداً بالفنون والصناعات وانشأ عدة ابنية عظيمة فاخرة كقصر  
فوتنبلو وقصر سان جرمن وغير ذلك من الابنية المعتبرة الجميلة الى ان توفي  
اخيراً سنة ١٥٤٧

ثم خلفه هنري الثاني . وسنة ١٥٥٢ اضاف المذكور الى حكم التاج ثلاث  
عائلات كان كل منها مرووساً باسقف وكان هولاء الاساقفة يقيمون المحروب  
على ما جاورهم لتوسيع نطاق عملاتهم واخضاع جيرانهم وكانوا يعتقلون الرماح  
والسيوف وكانوا في كل مكان في حرب مع الاهالي لان الشعب طلب الحرية  
وهم طلبوا الطاعة الهيا

وفي ايام الملك كارلوس التاسع الذي حكم سنة ١٥٦٠ حدثت مذبحة  
البرونستانت المعروفة بمذبحة ماري برثولماوس سميت بذلك لانها حدثت يوم  
عيد ماري برثولماوس في ٢٤ آب سنة ١٥٧٢ . وكان ذلك بامر الملك ووشاية  
امه ماري دي مديسيس . فاقام الكاثوليكيون التعصبون بحق تنفيذ هذا الامر  
البربري حق التيام في اكثر انحاء المملكة وكان ذلك النهار يوماً مهولاً على  
البرونستانت يفوق وبله وبل يوم ذبح الاطفال في بيت لحم ونواحيها بامر  
هيودس . فقتل في ذلك النهار عدد غفير قيل عشرة الاف في مدينة باريس  
وستون الفا في باقي مدن فرنسا والخلاصة انه كان يوماً جهنمياً وكانت فرنسا  
كانها قبر مفتوح معد لابتلاع البشر . ويؤكدون ان الملك نفسه كان واقفاً في  
احدى نوافذ صرحه في اللوفر يشاهد تلك المناظر المريعة منهلاً وانه قتل  
عدة انفس بغدارته التي كان يطلقها على اولئك المساكين . ولما بلغ البابا هذا  
الخبر سرراً جداً وامر بتيام تشكرات وابتهالات لله في جميع الكنائس الكاثوليكية  
من اجل هذا العمل . واستمر ذلك التعصب ضد البرونستانت جملة سنوات  
وكانوا يلقبون هوكينوت . ولحوادث تلك الاضطهادات كتب مطولة وشرح  
مستوفية

وفي اثناء حكم الملك هنري الثالث آخر امراء عائلة فالوا كانت فرنسا

مقسومة الى ثلاثة اقسام . القسم الاول البروتستانت ورئيسهم امير كوندي وهنري نافر الذي تبوأ سرب الملك فيما بعد تحت اسم هنري الرابع . القسم الثاني البولينيك او الكاثوليكي المعتدل وانضم هذا الى القسم الال ورئيسه الدوك دالانسون اخو الملك هنري الثالث . القسم الثالث الكاثوليكي المتعصبون او الحمر ورئيسهم الدوك دي كيز . فوقع بين الطرفين وقائع يطول شرحها وكان الفوز فيها للقسمين الاولين . فعقد هنري الثالث صلحاً مع هنري الرابع يُعرف بصلح اوش او بوليو . فهاج حزب الكاثوليكي المتعصبين واقاموا الاتحاد المعروف بالاتحاد المقدس وكانت الغاية فيه تخلص الديانة بمحو ذكر الكلفينيين اي البروتستانت وبادتهم عن آخرهم . وتقرر في ذلك الاتحاد انه من واجبات كل ابناء الوطن ان ينضموا اليه ولا فيعتبروا ويعاملوا كاعداء وان يقبضوا على الملك هنري الثالث ويضعوه في دبر ويقبضوا مكانه الدوك دي كيز ملكاً على فرانسوا . اما هنري الثالث فلما كان مرتاباً من جهة غاية ذلك الاتحاد المدعو بالاتحاد المقدس وكان ايضاً يخشى سطوة الدوك دي كيز والاضطراب تهدده فرباً من باريس واتى بلوا وارسل يدعو اليه الدوك دي كيز ولما حضر قتله . فهاج جميع كاثوليكي فرانسوا ضده من جرا هذا العمل فاضطر ان ينضم الى هنري الرابع وحاصر باريس واذا اوشك ان يتغلب عليها قتله رجل يدعى كلامان في اليوم الاول من شهر آب سنة ١٥٨٩ مات في اليوم الثاني وبو انقض آل فالوا ونودي باسم هنري الرابع ملكاً على فرانسوا من قسم عظيم من الجنود

وبتملك هنري الرابع ابتداء فرع آخر من العائلة الملكية وهو فرع من البوربون . وكانت ولادة هذا الملك في ١٢ ك ١٥٥٣ في مدينة بوجيت له قصر باق الى هذا اليوم على ما كان عليه من القدمية . وهو من سلالة الكونت روبرت دي كلارمون الابن السادس للملك لويس التاسع . وكان رجلاً حاذقاً مدرّكاً بروتستانتياً المعتقداً في بداية الامر ولكنه اتبع المذهب

الكاثوليكي فيما بعد لنوال ماري لانه بعد وفاة سالفه هنري الثالث تركه قسم  
 كبير من الجنود الكاثوليكية فاضطر ان يرفع الحصار عن باريس . ومع كل  
 اجتهاده وشدة باسه وانتصاره مرتين على مقاوميه في اراك وايثري لم يستطع ان  
 يدخل العاصمة الى سنة ١٥٩٢ حين ترك مذهبه القديم البروتستاني واعتنق  
 المذهب الكاثوليكي ولولا ذلك لاستمرت الفلاقل والحروب والمنازعات زماناً  
 طويلاً ولم يتمكن من اخضاع القوم سنة ١٥٩١ ابرز امراً يعرف بامر نانت  
 نسبة الى المدينة التي أعطي فيها اجازته للبروتستانت ان يتمتعوا بممارسة رسوم  
 مذهبهم بكل حرية بدون مانع ولا معارض الامر الذي الفاه حفيده لويس  
 الرابع عشر . وفي تلك السنة نفسها عقد صلحاً مع ملك اسبانيا ومن ثم اكب على  
 اصلاح داخلية البلاد واتخاذ الفتن وعصب الجراح التي اتت بها الثورات  
 والحروب الدينية الاهلية وتوفي اخيراً قتيلاً في ١٤ من شهر ايار سنة ١٦١٠  
 وخلفه ابنه لويس الثالث عشر الملقب بالعاقل

وكان عمر لويس ٩ سنين عند وفاة ابيه فكانت نيابة الملك في يد امو  
 ماري دي مديسيس الى ان بلغ السنة الرابعة عشرة من عمره فقبض على عنان  
 الملك . وكان ضعيف العزيمة فاترا الهمة وكان الكردينال ريشليو الشهير هو  
 الذي يدبر امر الملكة ومهامها واما الملك فكان له الاسم فقط . وفي ايام دولته  
 كثرت الحروب من داخل ومن خارج ولكنه فاز واتصرف فيها . فحارب اسبانيا  
 والنمسا واطاليا في الخارج ومن داخل كانت الحروب الدينية فتغلب على  
 البروتستانت وفتح مدينة روشيل التي كان البروتستانت محاصرين فيها من عظم  
 جور الكاثوليكين عليهم وذلك بعد حصار شديد ولكنه لم يبلغ الامر الذي كان  
 والده اجاز به للبروتستانت ان يتمتعوا بحقوقهم الدينية ومات سنة ١٦٤٢  
 وكان قد سبقه الى القبر وزيره الكردينال ريشليو بيضة اشهر وهذا الوزير  
 المذكور هو الذي اسس الملك المطلق ومهد طريقه للويس الرابع عشر بعد ان  
 كسر شوكة البروتستانت وبما اثر تصرفات الاشراف وهو الذي رفع شان

فرانسا الى ذرى المجد والفخر في المحروب المسماة بحروب الثلاثين سنة وذلك من سنة ١٦١٨ الى سنة ١٦٤٨ ونقل اليها الرجحان الذي كان قبل ذلك لدولة النمسا

وبعد وفاة هذا الملك خلفه ابنة لويس الرابع عشر الملقب بالكبير ولم يكن له اذ ذاك من العرسوى خمس سنين فكان تحت وصاية ووكالة امو حانة دوتريش والكردينال مازارين الوزير الاول الذي خلف الكردينال ريشليو وكانت المحروب بومثدي لم تزل متعاقبة فعقد سنة ١٦٤٨ صلح وستاليا ثم سنة ١٦٥٩ عند صلح البيريني فصارت فرانسا بشروط هذين الصلحين اعظم مالكة اوروبا سطوة ونفوذاً وقد تعصبت عليها اكر دول اوروبا ودافعت حتى الدفاع وازدادت قوتها وسطوتها في صلح نيم سنة ١٦٧٨ ثم اخذت اخيراً بالتهقري من طول المحروب مع اسبانيا المسماة بحروب وراثه اسبانيا . وقد رغب جداً لويس الرابع عشر في ترقية اسباب التجارة والفنون والعلوم وخفض رسوم الاموال الاميرية وفعل اموراً كثيرة مستحقة الاعتبار فزهت البلاد ونمت وكادت تخسف رونق اعظم دول اوروبا ولكن عندما اتى اوامر جده المار ذكرها من جهة البروتستانت اخذت عمال كثيرة بروتستانتية من اهل الشهرة والمعارف والفنون تهجر اوطانها عندما باتت مسلوبة الحرية من ممارسة رسوم ديانتها . ومن ثم حدثت المحروب الكثيرة التي اشرنا عنها وجلبت هذه الامور على الدولة الضعف واثاخر الادبي والمادي فاضحت فرانسا فاقدة اكثر فتوحاتها في الشرق والشمال والجنوب وانحصرت ضمن دائرة حدودها الاولى وهكذا فقدت في اواخر ايام هذا الملك العظيم الشان عزا وبهاهما ورونقها بالنسبة الى اوائلها وبالاجمال نقول ان عصره كان من الهج وازهى الاعصار السالفة وقد ظهر فيه عدة مشاهير من ارباب الحرب والعلم ككوندي وتورين ودوكازن وكويير ولوقوا وراسين وموليار ولافونتين وبوالا وبوسوي وفنيلون مؤلف نليماك ولوبرون وغيرهم . وهو الذي انشأ دار الانثاليد وقصر فرساليا

الذي انتفى عليه اموالاً جزيلة وكانت وفاة هذا الملك في الاول من شهر ايلول سنة ١٧١٥ للميلاد في السنة السابعة والسبعين من عمره والثانية والسبعين من ملكه.

وخلفه حفيد ابنه لويس الخامس عشر وكان ايضاً فاطر الهبة ضعيف العزيمة محاطاً بجمهور من النساء اللاتي ينجل الانسان ان يصف سجايهن الذميمة فبات عنان الملك يلتب في آفة امياهن واغراضهن . وحدثت في ايامه حروب كثيرة اكثرها في فائدة دولة النمسا وذلك من سنة ١٧٥٦ الى سنة ١٧٦٣ وقد حازت فرنسا في ايامه اللورين وجزيرة كورسيكا على انها ضيعت مستعمراتها في الخارج ودام حكمه من سنة ١٧١٥ الى سنة ١٧٧٤ للميلاد ثم توفي بمرض الجدري

وتبعاً بعده نخت الملك حنيدة لويس السادس عشر سنة ١٧٧٤ وقد اطنب المؤرخون في مديحه وقالوا انه كان تقياً ورعاً محباً للشعب وراغباً في تقدمه ونجاحه غير انه كان ضعيف العزيمة لا يحنى الاركان في نفسه وفي ايام دولته حدثت الثورة العظيمة في فرنسا وهذه الثورة هي ابتداء تاريخ فرنسا الحديث وسقوط الدولة الثالثة الفرنسية

## الباب الرابع

في الثورة الفرنسية واسبابها وقيام الجمهورية الى الامبراطورية الاولى من سنة ١٧٨٩ الى سنة ١٨٠٤

ان الشيء بالشيء يذكر . وقبل ان نشرع في الكلام عن حوادث الثورة التي حدثت سنة ١٧٨٩ راينا انه من اللازم ان نذكر شيئاً عن الحوادث التي مهّدت لها السبيل والتي كانت مصدراً لها فنقول . قد علمنا فيما تقدم ان فرنسا ابتدأت بالتأخر السياسي والمادي والادبي منذ اواخر مدة ملك لويس

الرابع عشر وفي زمن تملك ابن حفيده لويس الخامس عشر لان هذا الاخير لم يكن يهتم الا بالقيام بحق شهبانو وامبالو الفاسدة فاحاط به نساء كثيرات اتقن في بلاطه في فرساليا مستوليات على قلبه فامسى عنان الدولة في ايديهن وبات زمام ادارة المهام وسياسة العباد في اكف اغراضهن وامبالهن وكن مهتمات في ما ياتيهن وياتي اهلهم واعوانهن بالمجد والسطوة وكسب الاموال وتنفيذ المآرب قاطعات النظر عن صوامع البلاد والرعايا . وفي اواخر ملك لويس الخامس عشر باتت سياسة البلاد الداخلية في ارتباك عظيم وفي ايامه طرد الرهبان اليسوعيون من فرانس كما طردوا من الممالك الاوروبية الاخرى . فكان ذلك مصدراً للاضطرابات ومقالات كثيرة لان الرهبنة المذكورة كانت ذات شهرة وسطوة عظيمة . فهذه السياسة واعمال اخرى كثيرة نظيرها لا يسعنا ضيق المقام لاستيفائها اضعفت قوة الدولة ووقعت المالية في عسر لا مزيد عليه وقطعت العلاقات التي ربطت فرانس باسبانيا وناپولي ونكست شرفها واذلتها في اعين دولتي انكلترا وروسيا وهكذا امست الامة فاقدة الامل في ما يرفع عنها ذلك الجور والظلم وبات الجميع يتظرون زمان الشروع في اصلاح ما قد طرأ من الفساد . ولو لم يمت لويس الخامس عشر وطالت حياته ولو مدة يسيرة لابتدات الثورة في ايامه ولكن ما اخر حدوتها مدة خمس عشرة سنة هو نبوءة حفيده نخت الملك لانه كان محباً للشعب جداً وكان يحاول اصلاح الاحوال بتشييد اركان الدولة بالاشتراك مع مجلس نواب الامة الذي كان قد الغاه سالفة

وكانت حيثئذ الامة الفرنسية مقسومة الى ثلاثة اقسام وهي الامراء وخدمة الدين والعامه وكانت اعنة السياسة وزمام ادارة مهام الامور قد اضحت في ذلك الوقت في ايدي الامراء وخدمة الدين . اما الشعب فلم تكن له يد فيها ولا كان لهم حق في المراتب ولا في ادارة امر ما من الامور العمومية فصرف هذا الملك التعمس المحظ قصارى جهده واهتم بمساعدة وزرائه لاصلاح احوال

الامة والدولة فلم يات كل ذلك بادنى نتيجة حسنة . ولما كان روح الثورة قد انتشر بين الشعب واخذت الجرائد تتجاوز حدود الاعتدال في الكلام ضد الملك وحكومته رأى لويس السادس عشر ان لا فائدة من الاصرار على الملكية اذ لا عضد له ولا معين فعزم على الخروج من فرنسا وخرج من قصره في التوليري في ٢٠ حزيران سنة ١٧٩١ ومعته الملكة واخنة وابنة وبنته وركبوا جميعهم مركبة كانت معدة لهم وساروا سرا متنكرين ولكنه انكشف امرهم اذ عرفوهم في مدينة فارين فقبضوا على الملك وامانوه واعلوا الحكومة في باريس بذلك فارسلت امرا بترجيع الملك الى باريس للمحاكمة . فقلل ذلك اعبارة عند الشعب والجمعية الوطنية وجعل مضادي الحكومة الملكية يشددون طلب قيام الجمهورية

ولما رأيت ملوك دول اوروبا ما هو جار في فرنسا خافوا ان يباتوا هم ايضا هدفا لامور كهذه وعلى الخصوص بعدما رأوا ما حدث عندما اتى النابض على الملك اتفق امبراطور المانيا وملك بروسيا بموجب معاهدة سنة ١٧٩١ ما لها ان الدول تعتبر ما هو جار على لويس السادس عشر ملك فرنسا كانه جار عليها جميعا . فاغناظت الامة الفرنسية من ذلك واجمع رايتها مع ملكها ووزرائه على اشهار الحرب على المانيا وبروسيا وكان ذلك في العشرين من نيسان سنة ١٧٩٢ وصادقت الجمعية على ذلك فانشب نيران تلك الحروب الشديدة التي دامت مدة ثلاث وعشرين سنة ونالت بها فرنسا انخر اكايل المجد كما سيأتي ذكره في مكانه قال الجميع وقتئذ الى الملك ولكن الى مدة قصيرة ثم حدث بعد ذلك امور كثيرة لا يسعنا استيفاؤها لضيق المقام وهاج الشعب ههنا عظيما وهم على بلاط الملك وطلب اليه المصادقة على نظامات جديدة فكانت قد قررتها الجمعية المدعوة بالحكومة الاجرائية فابي وبعد ان حدثت امور يطول شرحها قبضوا على الملك وعلى عائلته وسجنوه في دار التامبل وبقي مسجوناً مدة اربعة اشهر وكان ممن حبس معه زوجته ماري انطوانت شقيقة امبراطور المانيا



والنمسا ثم ابنة وابنته وشقيقته الاميرة اليصابات وخادم . وفي اثناء سجنه اقيمت  
الحجة عليه بانه قد خان الوطن وحنقوا عليه كل الحنق لاسيما عندما راوا  
انتصارات جيوش الاعداء الالمانية والبروسية وتمهدوا العاصمة . وفي ٢١ ايلول  
سنة ١٧٩٢ اقاموا جمعية الكوثفانسيون ناسيونال اي جمعية اتناق الامة وقررت  
هذه الجمعية باتفاق اعضائها الغاء الملكية وقبضت على زمام السلطة الاجرائية  
والنظامية وكانت الجنود الفرنسية قد اظهرت ما لا مزيد عليه من الشجاعة  
والبسالة وسرعة الحركة في محاربة الدول المتحدة فسرت الحكومة الجمهورية  
الفرنساوية بهذا النجاح واعلنت وجوب الغاء المظالم الناتجة عن وجود الملوك  
في كل اوروبا ونشرت اعلاناً مائة انها مستعدة ان تساعد الامة التي ترغب في  
خلع ملكها طلباً للحرية واعلنت ايضاً انها ستلغي السلطة الملكية من كل البلاد  
التي تدخلها جنودها وتقيم عوضاً عنها سلطة الامة وتلقي الحجز على املاك خدمة  
الدين والامراء قياماً بحق مصاريف الحرب وكان كل ذلك في ١٥ كانون  
الاول سنة ١٧٩٢

وبعد انقضاء اربعة اشهر من تاريخ سجن لويس السادس عشر واقامة  
الحجة عليه كما تقدم حكم عليه بالموت فطلب الملك فرصة ثلاثة ايام ليستعد فيها  
للموت فرفض مجلس النواب ان يمنحه اكثر من ٢٢ ساعة وفي صباح ٢١ من  
كانون الثاني سنة ١٧٩٢ جاءوا بالملك الى محل القتل موثق اليدين وكانت  
تلوح على وجهه علامات الشجاعة وعدم الاضطراب . فخلع ثيابه ولما وصل الى  
اعلى المكان المعد لقتله بعد عن الجلادين وتقدم قليلاً الى جهة الساحة حيث  
كان مجتمعاً جمعٌ غفير وجيش جرار . وقال مخاطباً الشعب بصوت مرتفع .  
ايها الفرنسيون اني اموت برياً ما اتهمني به هذا الشعب واسمح من رغب  
في قتلي واسأل الله ان لا يجعل فرانساً مسئولية سفك دمي . وكان يرغب ان يطيل  
الكلام غير ان الاوامر صدرت بضرب الطبول والالات الموسيقية العسكرية  
حتى لم يقدر احد بعد ان يسمع صوت الملك فساقوه الى الذبح وضرب عنقه

وحدث بعد قتل الملك في فرنسا شغبٌ عظيمٌ وكان القتال مشتتاً خارج  
 المملكة وداخلها وكانت البلاد في ذلك الوقت كأنها قبرٌ مفتوحٌ معدٌّ لابتلاع  
 القتلى . ووقعت فرنسا في الحروب المستطيلة التي انت بها بعد قتل ملكها . إذ  
 تحالفت جميع الدول على محاربتها وابتادة شعبيها واقتسام مملكتهم . وكان في  
 مقدمة هذه الدول النمسا وروسيا . وزد على ذلك الحرب الاهلية التي اثارها  
 اهل بلجيوم وولاية فاندني بسبب سياسة جمعية الكونفانسيون الملومة الخالية من  
 الكفانية وفي ٨ شباط سنة ١٧٩٣ اشهر مجلس الكونفانسيون الحرب على اكثرا  
 وهولندا وجميع دول اوروبا ما عدا اسوج والدانيمرك وفينيسيا والدولة العثمانية .  
 فانتشبت نيران الحرب في كل فرنسا وكان ابتلاؤها في بلاد بلجيوم في ٢٠ شباط  
 سنة ١٧٩٣ ومن ذلك الحين كانت الحروب متصلة بين فرنسا واكثر دول  
 اوروبا ودامت الى سقوط الامبراطورية الاولى سنة ١٨١٥ .

وحدثت بعد ذلك امور كثيرة فظيعة نشعر منها الابدان . منها انهم  
 بعدما حكموا على الملك بالقتل اقاموا ايضا الحجة على الملكة واتهموها بانها كانت  
 مشاركة في كل اعمال زوجها وحكموا عليها بالموت ايضا فاركبوها مركبة لنقل  
 البضائع واتوا بها الى حيث كانوا قد قتلوا زوجها من مدة قريبة وبعد ان  
 صعدت على المذبحه خرَّت على ركبتيها وصرخت صوتا مرتفعا قائلة يا الهي اسالك  
 ان تسمع قاتلي . ثم نهضت فساقتها الى المذبحه وقتلوا ذلك في ١٧ تشرين  
 الثاني سنة ١٧٩٣ ودفنوها في القبر الذي كانوا قد دفنوا فيه زوجها منذ  
 تسعة اشهر واخذوا ولدها ولي العهد وسلطوه لرجل اسكاف وقوضوا اليه امر  
 تربيته . وكان رجل بُسي رويسير مشهور بالظلم والعدوان قد تولى ادارة  
 تلك العدة القاسية البربرية فاستدعى الاميرة اليصابات شقيقة الملك لويس  
 السادس عشر التي كانت لم تنزل مسجونة في دار التاميل واقام محاكمتها في ٩  
 ايار سنة ١٧٩٤ في مجلس الجنائيات حيث أصدر عليها الحكم بالموت فقتلوا ظلما  
 وعدوانا في نفس ذلك النهار

ثم ان روبسيير المذكور لكي يميل بالشعب اليه كان قد امر قبل ذلك بنهب الكنائس والاديرة وباضطهاد خدمة الدين بوجه الاجال وابعاج قتلهم فاقام القوم بحق تنفيذ هذا الامر البربري حتى القيام . ثم امر بتقرير نسق جديد لحساب الاشهر والسنين وكان قصده ابطال جميع الاصطلاحات السابقة وقرّر اول التاريخ منذ قيام الجمهورية في ٢٢ ايلول سنة ١٧٩٢ وغير اسماء الاشهر والايام مبتدئاً من شهر ايلول وقسم الاسبوع الى عشرة ايام وغير اسماء الايام فسوّى يوم الاحد الاول والاثنين الثاني والثلاثا الثالث وهلمّ جرّاً الى العاشر . وكان كل شهر ثلاثين يوماً واطراف لآخر السنة ستة ايام وبعد ان اصبح وحده قابضاً على زمام الامور شرع في نشر ما كان يجب ان ينشره من تعاليم فولتير وروسو الكافرين اللذين كانا قد هجّما حب الثورة في قلوب الفرنسيين وعجلاً وقوعها بواسطة كتاباتهم في ١٠ ايار سنة ١٧٩٤ امر روبسيير بعد ان اتفق مع اعوانه الاردباء نظيره اللذين كانوا يدعون انهم يتوبون عن الامة بابطال الديانة المسيحية وجميع الآديان واعلن انه من الواجب ان يقر الانسان بوجود الخالق وخلود النفس فقط وامر ايضاً بقتل خدمة الدين وجميع اللذين يتصرفون ويتحزبون لهم . ففاز هولاء الاردباء الاشرار مدة ولكن بعد ذلك مدة ليست طويلة حدثت ثورة في باريس وسقط روبسيير ورفقاؤه من رجال الحكومة واقامت الدعوى على روبسيير نفسه وعلى اعوانه فحكم عليهم بالموت فنالوا جزاء اعمالهم الشنيعة البربرية وماتوا موت الاندال . فانه عندما صعد ذلك الذي خضب ارض فرانساً بدماء اولادها هو واعوانه على المذبحة اظهروا من الخوف والجبن ما يعيب الرجال فكانوا يبكون كالاطفال حتى ان بعضهم ماتوا من مجرد النظر الى قتل رفقاتهم وكان ذلك في ٢٧ و٢٨ تموز سنة ١٧٩٤ وكانت جيوش الحكومة قد انتصرت وطردت جيوش الاعلاء من فرانساً واسترجعت مدينة طولون من الانكليز بالقوة وذلك تحت ادارة شاب لم يتعمّد بعد خوض المعارك ولم يحضر في ساحات القتال قبل حضوره في هذا الحصار

وهو البطل المشهور نابوليون بوناپارت وبعد ذلك امرت بجميع الاسلحة من الاهالي ورجعت الراحة الاهلية مدة يسيرة اذ حدث بعد ذلك قلاقل كثيرة. وفي ٢٧ تشرين الاول سنة ١٧٩٥ اقاموا حكومة جديدة تُعرف بحكومة المدير كنوار مؤلفة من خمسة اشخاص مديري للحكومة الاجرائية ولذلك دُعيت حكومتهم حكومة المدير كنوار اي الحكومة المدبرية ودامت هذه الحكومة من ٢٧ تشرين اول سنة ١٧٩٥ الى ١١ تشرين الثاني سنة ١٧٩٩ لليلاد وحدثت في زمانها حروب كلية نالت بها فرنسا انحر اكليل المجد والسطوة والقوة. فخاربت المانيا والنمسا اولاً ثم حاربت دول ايطاليا المختلفة تحت قيادة القائد بوناپارت الشهير فاتصرتصارات كلية وفتح كل ايطاليا ووضع عليها ضرائب واقام فيها حكومات واضعاً لها نظمات وقوانين جمهورية. وكانت وتنتشر ايطاليا مقسومة الى مال ك صغيرة ودوقيات مستقلة اكثرها خاضع للنمسا وبعد ان اتصرت في معارك عديدة وقعت بينه وبين جيوش النمسا في ايطاليا وسهد الامور وعقد معاهدات مع دول ايطاليا ودوقياتها تقدم لمحاربة النمسا في اراضيها وهناك ايضاً فاز فوزاً عظيماً وفتح اكثر مدنها غير ان الجيوش الفرنسية الاخرى التي كانت تحت قيادة غيره من اشهر قواد فرنسا لم تأت بنتيجة حسنة عندما كانت تحارب المانيا والنمسا من الجهة الشرقية وارتدت الى فرنسا بعد وقائع كلية بدون ادنى نتيجة. ومن ثم طلبت دولة النمسا الصلح فعقد بوناپارت معها صلحاً اتى فرنسا بالفخر والشرف والفوائد السياسية والمادية وعاد راجعاً بعد ذلك الى باريس فتلقاه الشعب والحكومة بمزيد الاعتراف واثنى الجميع عليه بمزيد الثناء والشكر وكان ذلك سنة ١٧٩٧. وبعد ان اقام مدة في باريس عرضت عليه حكومة المدير كنوار ان ياخذ قيادة العمارة البحرية التي كانت قد تعينت لغزو الاسا كل الانكليزية ولكنها استصوبت اخيراً الراي الذي كان قدمه بوناپارت بفتح البلاد المصرية وبلاد سوريا لكي تكونا مفتاح بلاد الهند وكان جل قصد الحكومة ان تبعده عن فرنسا لانها امست خائفة سطوته.

فجهزت له اربعة وثلاثين الف جندي مع عدد عظيم من السفن البحرية الحربية  
واخرى لنقل المهات . فركب بونابارت هو وجنده تلك السفن واقلموا  
قاصدين الاسكندرية . وفي اثناء السفر فتح جزيرة مالطة من فرسان انصاربيت  
المنس وقد مر ذكرهم في تاريخ آل عثمان . فتك بونابارت فيها ثلاثة الاف  
عسكري وتقدم الى الاسكندرية مع بقية الجيش واكثر السفن فاخذ الاسكندرية  
والاساكن البحرية ثم تقدم بجنوده الى داخلية البلاد قاصداً القاهرة فاستولى  
عليها بعد معركةين انتشبت نيرانها بينه وبين مراد بك قائد جيش المماليك .  
الاولى عند الرحمانية بالقرب من دمنهور . والثانية امام اهرام الجيزة . وفي غضون  
ذلك وردت اليه الاخبار لجهة انتصار عمارة الانكليز على عمارته الفرنسية في  
ابي قير واحتراق الجانب الاعظم من بوارجه واسر الجانب الاخر فتكدر  
واضطرب لانه امسى منفصلاً عن فرانساً ومع كل ذلك ما زال الامل بخامر  
قلبه بالتغلب على جميع الموانع والصعوبات وبعد ان مهد الامور في القطر  
المصري تقدم بفرقة من الجنود لفتح بلاد سوريا فاخذ العريش وغزة ويافا  
وتقدم واقام الحصار على عكا مفتاح هذه البلاد وضابقتها جداً ولو شك ان يفتحها  
لولا مساعدة الانكليز للجزار والي سوريا ووقع مرض الطاعون بين صفوف  
عسكره فانشى راجماً عنها ناراً فتوحات في المدن التي ذكرناها آنفاً وعاد الى  
مصر ومنها سافر راجماً الى باريس بعد معركة ابي قير الهائلة التي هلك فيها ١٢  
الف جندي من عسكر آل عثمان والانكليز تاركاً قيادة الجيش الاولى الى القائد  
المشهور كليبر الذي لم يكن دون بونابارت بالشجاعة والمهذق والدرابة وقد  
قتله فيما بعد رجل احمق بدسياسة من قبل المماليك ومُسلي مصر . فقاسى بونابارت  
اخطاراً عظيمة في اثناء سفره الى ان وصل الى فرانساً اذ اوشك ان يبيت اسيراً  
في قبضة الانكليز وذلك في اواخر سنة ١٧٩٩ للميلاد . وكانت دولة النمسا  
ودول ايطاليا تتوقف عن اجراء بعض شروط المعاهدة التي قررها بونابارت  
قبل ذهابه الى مصر وكانت انكلترا تهيج دول اوروبا على فرانساً فباتت تلك

المعاهدة متعلقة بين الموت والحياة واخذت فرنسا والنمسا ودول ايطاليا تستعد جميعاً للحرب وفي اثناء ذلك بعثت فرنسا شردمة صغيرة تحت قيادة القائد هومبرت وعمارة بحرية الى ايرلاندا من املاك انكلترا ليضرم نار العيجان بين الاهالي ويجهلهم على العصيان املاً بتخويف انكلترا لعلها تطلع عن تهيج النمسا وباقي دول اوروبا على فرنسا ثم اخذت تجهز جيشاً اخر لخدمة القائد هومبرت في ايرلاندا فتاخر ذلك فحارب هذا القائد بالنفر القليل الذي كان معه مدة ليست بقليلة واضطر اخيراً ان يسلم. وبعد ذلك انت بعض البوارج الانكليزية ببعض الجنود وانزلتها في ميناء اوستند الفرنسية لجهة الاوقيانوس فدفعهم الفرنسيون واهلكوا منهم عدداً غفيراً

هذا وكانت حكومة نابولي قد اشتهرت الحرب على فرنسا وولجت قيادة جيشها الى القائد النمساوي ماك فخاربه القائد الفرنسي في ايطاليا وكسره واستولى على مدينة نابولي نفسها والزم الملك واهل بيته واعيان دولته ان يلتجئوا الى البوارج الانكليزية التي كانت تحت قيادة الاميرال نيلسون في جزيرة صقلية وقرر القائد الفرنسي الجمهورية في تلك البلاد ولما كانت الفلقل والاضطرابات آخذة بالازدياد ودول اوروبا مُصممة على كبح عنقوان الفرنسيين اخذت فرنسا تستعد كل الاستعداد وتجنّد الجنود واخيراً لما رأت انه لا بد من فتح الحرب بعثت في ١٢ اذار سنة ١٧٩٢ الى القائد جوردان صورة اعلان اشهار الحرب ليعتك به الى دولة النمسا وامرته حكومة الديركتوار ان يهاجم جيش النمسا الذي كان تحت قيادة الارشيدوق شارل وبعثت ايضاً بمثل هذه الاوامر الى القواد الذين كانوا في ايطاليا وهكذا ثبتت الحرب وقامت على قدم وساق فنجحت الجيوش الفرنسية في اول الامر كل النجاح وكان نجاحها في ايطاليا مستديماً غير ان جيش الرين الذي كان تحت قيادة جوردان انكسر اخيراً ونهقر الى الحدود ولولا بعض الموانع التي حالت بين الارشيدوق النمساوي وبينه لانتزل به الويل والهوان. فعاد القائد جوردان الى باريس

تاركاً قيادة جيشه الى احد اركان حربه ليعرض على الحكومة سوء حالة الجيش واحتياجه الى الزاد والمهمات وفي غضون ذلك كان رجوع بونا بارت من مصر ولما اتى بونا بارت باريس وجد حكومة الدبركتوار في اسوأ حال فاقدة سطوتها واعتبارها اذ ليس لها رئيس فيه الاهلية واللياقة لان يدبر مهام امورها كما ينبغي فاخذ بمساعي اخيه لوسيين وبعض اعوانه من كانوا يميلون اليه بقلب الحكومة المدبرية واقامة حكومة جديدة فنجحت مساعيه وابطلت حكومة الدبركتوار واقام الحكومة المعروفة بحكومة الكونسولات وهي مؤلفة من ثلاثة اشخاص يدعون قناصل وتبوا هو رياستها فبقي قنصلاً اولاً الى عشر سنين وكان ذلك في اليوم التاسع من شهر تشرين الثاني سنة ١٧٩٩ ثم سمي قنصلاً مدة حياته سنة ١٨٠٢ وسنة ١٨٠٠ بعد ان تبوا المسند الاول في الحكومة الجديدة استلم قيادة جيش ايطاليا وتقدم لمحاربة ايطاليا والنمسا اذ نكثتا بالعهد التي كان عقدها معها قبل سفره الى مصر فخاربهما واتصر عليها بينما كان القائد مورو قائد جيش الرين متصراً في الجهة الشرقية . فطلبت النمسا الصلح فعقدت معها معاهدة تعرف بمعاهدة لوشيل وذلك في ١٤ تموز سنة ١٨٠٠ وسنة ١٨٠٢ عند معاهدة أميين مع الانكليز غير ان هذه المعاهدة لم تتم من الطرفين وتجدد بعد ذلك العدوان والتنافر

هذا وبعد ان انهي بونا بارت اعماله العظيمة في الخارج انكب على اصلاح داخلية بلاده وضمد جراحاتها التي انت بها الثورة والحروب الكثيرة الداخلية والخارجية وسوء ادارة مهام امور الدولة التي كان يسوسها قوم غير اهل للقيام بحق ادارة اعمال عظيمة وكثيرة الاهمية لاسيما في تلك الظروف الصعبة التي بانت فيها فرانساً فكللت مساعيه بالنجاح العظيم . وهكذا بعد ان كان سهاة المجلس القضائي (السينا) سنة ١٨٠٢ قنصلاً طول حياته على الجمهورية رفاة الى الامبراطورية سنة ١٨٠٤ وهكذا انتهت الحكومة الجمهورية الاولى في فرانساً التي دامت اثني عشرة سنة







## الباب الخامس

في قيام الامبراطورية الفرنسية الاولى وسقوطها وارجاع الملكية  
وسقوطها ايضاً الى قيام الجمهورية الثانية والامبراطورية  
الثالثة وذلك من سنة ١٨٠٤ الى سنة ١٨٤٨ .

انه لما كان هذا الفصل ذا اهمية كلية في تاريخ فرنسا وكان معظمه متعلقاً  
بالامبراطور نابوليون الاول ولم تصدّ في ما تقدم لتقرير حياة هذا الرجل العظيم  
راينا قبل ان نستوفي الكلام من جهته ان نقرر اولاً ولو بالايجاز خبر حياة هذا  
الرجل الذي لم يتم في الارض كثير من نظيره فنقول  
ان نابوليون وُلد في ١٥ آب سنة ١٧٦٩ للميلاد في مدينة اجاكسيو عاصمة  
جزيرة كورسيكا التي كانت قبل ذلك تابعة لولاية جينوا الايطالية قبل ان  
فتحها فرنسا وضمها الى بلادها. وكان والده شارل بونابارت من المشهورين في  
الجزيرة المذكورة وكان له ثمانية اولاد فخمسة منهم ذكور وهم يوسف ونابوليون  
ولوسيين ولويس وجيروم. وثلاثة منهم اناث وهنّ ليزا وباولينا وكارولينا.  
وكانت ولادة نابوليون بعد ان استولت فرنسا على تلك الجزيرة بنحو شهرين  
وكان بنمو في القامة ويتقدم في الآداب تحت ادارة امه التي كانت على جانب  
عظيم من التهذيب والثقوى والدراية لان اباها شارل بونابارت توفي حديث  
السن فاعتنى بامر عائلته اخوة لوسيين الذي كان رئيس شمامسة وكان يخصص  
بالاعتناء نابوليون اذ راي فيه ما يدل على حسن استعداداته. ولما كان هذا  
الشاس على مضجع الموت اجتمع حوله اولاد اخيه كهم فقال مخاطباً كبيرهم وهو  
يوسف انك انت اكبر اخوتك سناً غير ان نابوليون هو اكبركم درايةً ومعرفةً

ولا يفتقر في المستقبل الى اعناء احدٍ فانه قادرٌ ان يعتني بذاته  
ولما بلغ نابوليون سنَّ العشر سنوات أُدخل الى مدرسة حربية في مدينة  
برين فاقام فيها اربع سنين وانصبَّ كل الانصباب على المطالعة واقتبال العلوم  
ولاسيما العلوم الرياضية وهام بمطالعة التاريخ جاداً . وكان حاد الطباع قليل  
الكلام والحركة قليل اللعب وكثير التفكير وكان شديد الميل لمطالعة فن الهندسة  
ولاسيما ما كان يتعلق منها بهندسة الحصون والقلع ولما بلغ سنَّ الاربع عشرة سنة انتقل  
من مدرسة برين الى مدرسة باريس فبرع جاداً وفاق على جميع التلامذة رفقاءه .  
وفي اول ايلول من سنة ١٧٨٥ نال الدبلوما وهي شهادة المدرسة ورتبة وكيل  
فائقم في سلك الجندي وبعد مدة قصيرة ارسلوه الى فرقة من الجيوش مقيمة في  
مدينة فالانس فرقوه الى رتبة فائقم وبعد ذلك بستين اتى باريس ولما  
ابتدأت الثورة سنة ١٧٨٩ كان بونا بارت في مدينة فالانس ومع ان كثيرين  
من المأمورين والضباط كانوا يخرجون من الخدمة العسكرية ثبت بونا بارت  
في خدمته وقبل بالثورة وبالتغيرات التي انت بها ثم رفته جمعية الكوشاسيون  
الى رتبة فريق بعد حصار طولون وفتحها من الانكليز وهكذا ما زال نجم سعه  
يطلع في برج السعود الى ان اضحي في قبضة يده عنان اعظم شعوب العالم  
وادارة مهام امورهم وذلك عندما اقامة المجلس القضاي ١٨٠٤ امبراطوراً  
على فرانساً وبعد ذلك بسنة سبي وتزوج ملكاً على ايطاليا في مدينة ميلان  
الاطالمانية

الا ان الدولة الانكليزية منذ سنة ١٨٠٢ لم تكن تنظر الى ترفي نابوليون  
واجراءاته بعين القبول فجددت الشافر مع فرانساً وكما تترقب الفرص  
لاذلالها ولم ترض ان تعقد معه صلحاً ولا ان تعرفه رئيس الامة الفرنسية فغضب  
من ذلك واخذ يجري استعدادات وتجهيزات كلية لقطع خليج المانش وغزو  
المملكة الانكليزية وبما هو منهمك في ذلك اتحدت دولة النمسا مع دولة روسيا  
على محاربتهم فالتزم ان يترك استعداداته البحرية ويجول وجهه نحو تلك الصاعقة

الجديدة فتغلب على النمسا وروسيا ودخل فينا عاصمة النمسا وسحق الأوسترو روس في معركة اوسترليتز الشهيرة وبينما كان صدى انتصارات نابوليون مالكا واسط أوروبا سنة ١٨٠٥ كانت الاخبار مكدرة لجهة المعارة البحرية الفرنسية التي ابادها الاميرال نيلسون الانكليزي في ترافلغار حيث قتل فيها ايضا. فبعد انتصار نابوليون في اوسترليتز عقد مع النمسا الصلح المعروف بصلح بريسبورج الذي بموجب ضم الى مملكة ايطاليا املاك فينسيا المعطاة للنمسا سنة ١٧٩٨ وسنة ١٨٠١ وجعل دوقيني ورغبرج وبافاريا في سلك المالك واعطى دوكية بادن الكبرى الى صهره مورات وسلخ مملكة نابولي من فردينند الرابع ملك سيسيليا المزدوجة فاعطاه سيسيليا فقط وهي جزيرة صقلية. واعطى اخاه يوسف مملكة نابولي واقام اخاه لويس نابوليون ملكا على هولندا. وانشأ الاتحاد المعروف باتحاد الرين فبطلت امبراطورية المانيا وبات الاتحاد المذكور تحت حماية نابوليون وذلك سنة ١٨٠٦

اما انكلترا وبروسيا وروسيا فكانت تنظر الى هذه الامور بعين التفور والخوف من اخلال ميزانية أوروبا. فانفتحت بروسيا وروسيا على مقاومة نابوليون واشهرتنا الحرب على فرنسا. فقام نابوليون سنة ١ٸ٠٦ وحارب بروسيا اولاً وقهرها قهراً عظيماً ودخل برلين عاصمتها واخذ منها ضرائب وبعض اقسام من مملكتها ثم حارب اسكندر الاول الروسي وانتصر عليه ايضا ببعض معارك عظيمة وعقد معه ومع ملك بروسيا صلح تيلسيت سنة ١٨٠٧ واقام اخاه جيروم بونابارت ملكا على فاستاليا من اعمال المانيا وجعل سكسونيا في سلك المالك وفصل املاك بروسيا في بولونيا وجمها دوكية تعرف بدوكية فارسوفي الكبرى وازافها الى مملكة سكسونية. ومن جملة الشروط التي تدررت في معاهدة هذا الصلح بعض شروط سرية منها معاهدة دفاع ومهاجمة واقتسام مالك أوروبا بين القيصر الروسي والامبراطور الفرنسي خلا المملكة العثمانية والمملكة البريطانية. وان كل دول أوروبا تقبل منها على السنن الانكليزية ولا تدخل

بلادها وفي تلك السنة نفسها عقدت مشاركة بين فرنسا واسبانيا مآلها اقتسام دولة البورتوغال بينها ودخلتها الجيوش الفرنسية واستولت على عاصمتها ليسبون وهربت العائلة الملكية الى بوجينيروني برازيل ومن ذلك اليوم امتدت الحرب هناك بين فرنسا وانكلترا الى سقوط الدولة البونابارتيه . وسنة ١٨٠٨ تم كتاب التشريع الفرنسي المعروف بكود نابوليون لانه هو الذي شرع فيه وتم تحت مناظرته وفي السنة نفسها دخل مورات صهر نابوليون اسبانيا بتماين الف جندي فوقع من ذلك فيها الشقاق والفلاق حتى اضطرت العائلة الملكية ان تلجئ الى بايون . ومن ثم اقام كارلوس الرابع ملك اسبانيا نابوليون قاضيا بينه وبين ولده لفصل الخلاف الواقع بينهما فكادت النتيجة اخيرا استعناء كارلوس واولاده وتنازلهم عن الملك لنابوليون . فاقام نابوليون اخاه يوسف نابوليون ملكا على اسبانيا . وتوالت تحت مملكة نابولي عوضا عن اخيه يوسف صهره مورات . الا ان ذلك لم يات بنتيجة حسنة لالملك الجديد وللالامبراطورية . لان الاسبانيوليين لم يكونوا يرضخون لما ياتهم باذل والعبودية ومن ذلك الحين الى سقوط الامبراطورية لم تنفر الحروب بين اسبانيا وفرنسا لاسيما ان انكلترا لم تكن تنفر عن معاضدة اسبانيا طورا باخذ السلاح ظاهرا وتارة ببذل الذهب الوضاح فهلك في الحروب الاسبانيولية من سنة ١٨٠٨ الى سنة ١٨١٢ ما ينوف عن ٤٠٠٠٠٠٠ نفس من فرنسا وبين المان وايطاليان وبولونيون . ولما كانت فرنسا قد ضعفت بسبب فقدان عدد عظيم من نخبة جيوشها نهضت دولة النمسا ناكثة باليهود سنة ١٨٠٩ لمحاربتها فلاقاها نابوليون وكسر جيوشها في جملة معارك هائلة وحاصر فينا ورمها بالقنابر والكرات المشوة واستولى عليها وبعد ان فاز في معركة واغرام الهائلة فعوض ان ينسج املاك النمسا الى ولايات صغيرة ارتضى باخذ بعض مقاطعات وبعقد عهد الزواج على الاميرة ماري لويزا ابنة امبراطور النمسا فتزوج بها وطلق امراته الامبراطورة جوزيفين التي قبلت بشرب تلك الكأس المرة فخرمه البابا لاجل ذلك العمل

المذموم اما نابوليون فلم يبال بحرمه وارسل وقبض عليه واتي به الى فرنسا  
اسيراً وبقي بها الى سنة ١٨١٤ . وسنة ١٨١١ ولد له ولد ذكر من زوجته ماري  
لويزا ودعي من حين ولادته ملك رومية

وسنة ١٨١٢ اشهرت الامبراطورية الحرب على القيصر الروسي لانه نكث  
بعهد صلح تيلسيت فنهض نابوليون بجيش جرار وقطع المانيا ودخل بلاد روسيا  
فوقعت بينه وبين الروسيين معركة كيرنان وما زال يطارد العدو الى  
ابواب موسكو عاصمة روسيا في ذلك الوقت حيث التقى بالجنرال كوتوزوف  
الروسي فهزم جيشه وشتت شمله ودخل موسكو . غير ان الروسيين كانوا قد  
هيأوا طريقة لاحتراق عاصمتهم قبل ان يخلوها فاضرموا فيها النار وكاد يهلك  
نابوليون وكل جيشه . فانهزم الفرنسيون واخذوا من ذلك الوقت ينتهقون  
ويهلكون افواجا افواجا من البرد الشديد والجوع والمرض . واخيراً لما اخذ  
الضعف منهم كل ماخذ شرع القواد الروسيون في مهاجمتهم ومطاردتهم فهلك  
اكثرهم الا القليل فهرب نابوليون وعاد الى باريس متنكراً وجنّده صفاً جديدة  
وخرج سنة ١٨١٢ لمحاربة الدول المتحدة وهي روسيا والمانيا وبروسيا واكثر  
ولايات المانيا التي كانت قد هاجت عليه بسبب خيئته في حربه الاخيرة مع  
الروسيين فاتصر اولاً وفاز ولكنه غلب اخيراً ودخل المتحدون باريس  
واشهروا ارجاع الملكية من سلالة آل بوربون في ٢١ اذار سنة ١٨١٤ ودعوا  
لويس الثامن عشر وهو اخو لويس السادس عشر المقتول . فاستعفى نابوليون  
في ٤ نيسان سنة ١٨١٤ واعطوه جزيرة الالب ليملك عليها فاقام فيها عشرة  
اشهر ثم عاد ودخل فرنسا في اول اذار سنة ١٨١٥ واتي باريس بدون مقاوم  
فهرب لويس الثامن عشر ليلاً وعاد الى انكلترا

اما الدول المتحدة فلما رأت ذلك نهضت ايضاً لمحاربة فرنسا ومعها انكلترا  
فخرج نابوليون من باريس واخذ قيادة الجيش واتصر في لينبي على الجيوش  
البروسية انتصاراً عظيماً ولكنه غلب في معركة واترلو الشهيرة من الدوك

وليتون قائد الجيش الانكليزي وكانت معركة هائلة جداً فاشي راجعاً الى الوراثة ودخل باريس وتنازل عن الملك الى ابنه تحت اسم نابوليون الثاني في ٢٢ حزيران سنة ١٨١٥ غير ان الدول المتحدة لم تقبل بان يتبوا تحت فرانسوا احد من سلالة نابوليون . وكانت مدة حكمه بعد رجوعه من جزيرة الالب مئة يوم فقط وبعد تنازله عن الملك ذهب الى روشفورت وطلب من حكومة انكلترا ان تقبله ضيفاً في بلادها حيث يقيم تحت شرائع البلاد وقوانينها فركب من روشفورت البارجة الانكليزية المسماة بلروفون فانت به الى بليموت احدى المواني الانكليزية وقبل ان ينزل منها الى البر ارسلت اليه الحكومة الانكليزية معتمدين انكليزيين اطلاله انه اسير الدول المتحدة فاقام المحبة على ذلك ولكن من غير فائدة فابتغته الحكومة الانكليزية في البلروفون تحت الترسيم عشرة ايام ثم شبعته الى جزيرة القديسة هيلانة في جنوبي الاوقيانوس الاثلاثيكي فبقي هناك اسيراً الى ان توفي في ٥ ايار سنة ١٨٢١ فحُط ودُفن وبقيت جثته هناك الى سنة ١٨٤٠ ثم اتى به الفرنسيون من تلك الجزيرة ودفنوه في دار الاثقاليد في باريس وهكذا كانت نهاية الامبراطورية الاولى الفرنسية وصاحبها

وبعد سقوط نابوليون والامبراطورية انحصرت فرانسوا ضمن حدودها القديمة ودعت الدول المتحدة الملك لويس الثامن عشر ثانياً ليتبوا تحت فرانسوا فجلس على كرسي الملك ثانياً في شهر تموز سنة ١٨١٥ ودامت مدة ولايته ٦ سنوات ثم توفي سنة ١٨٢٤ بدون عقب فتبوا تحت الملك اخوه كارلوس العاشر وله عدة اجراءات حمئة وفي ايام ملكه فتح الفرنسيون جزائر الغرب في ٦ تموز سنة ١٨٣٠ وبعد هذا الانتصار بيضة ايام اراد تقرير بعض قوانينه مغايرة لروح الشعب وسلب حرية المطابع والجرائد فاغاظ هذا الامر الشعب جداً واحداث هيجاناً عظيماً كانت نتيجة سقوط كارلوس عن تحت الملك وذلك في ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ تموز سنة ١٨٣٠ فاستغنى متنازلاً عن الملك لحنيدوه الدوك دي بوربون ولكن بدون نتيجة . فذهب الى اكوس في بلاد الانكلترا ومن هناك اتى

براغ ومنها الى كورنيز مدينة نساوية وتوفي فيها سنة ١٨٢٦ في السنة ٨٠ من عمره . فتبوأ تخت الملك بعده لويس فيليب من سلالة آل اورليان في ٩ آب سنة ١٨٣٠ وكان على جانب عظيم من الحذق والدرابة والشجاعة والاقدام . وقد اطنب المورخون في مديجو . واحداث اصلاحات كثيرة في فرنسا وداست ولايته من سنة ١٨٣٠ الى سنة ١٨٤٨ اذ حدثت الثورة الفرنسية الثالثة فسقطت الملكية ثانية وأقيمت الجمهورية الثانية فذهب لويس فيليب وعائلته الى انكلترا ومات هناك سنة ١٨٥٠ في السنة ٧٧ من عمره وفي ايام هذا الملك تم فتح الجزائر في افرقية

## الباب السادس

في قيام الجمهورية الثانية من سنة ١٨٤٨ الى ١٨٥٢ وقيام  
الامبراطورية الثالثة من سنة ١٨٥٢ الى ١٨٧١ وسقوطها  
وقيام الجمهورية الثالثة سنة ١٨٧١ الى ١٨٨٤

كثيراً ما يرى ارباب السياسة من نافذة المحاضر ما يحدث في المستقبل . ان نابوليون الاول عند ما قدم له المجلس القضائي ناجح الامبراطورية قال لم بعد ان شكرهم وشكر الامة الفرنسية انه سيركب في المستقبل احد انسابي سرير هذه السلطنة ايضاً . وها قد جاء الزمان الذي اشار عنه ذلك الرجل العجيب حيث سقطت الملكية ثانية وأقيمت الجمهورية الثانية وتبوأ المسند الاول في ادارة مهام امورها لويس نابوليون ابن اخي الامبراطور نابوليون الاول . هذا ولما كان خبر رجوع الملك للسلالة البونابارتية مستحق الاعتراف لم نجد بداً من تقرير بعض الاسباب والحوادث الاكثر اهمية بهذا الشأن وذلك بالايجاز الكلي  
فتقول



انه بعد عودة نابوليون الاول بالخبية من معركة واترلو اجتهد بان يقيم ابنة الذي من امرأته الثانية والذي كان ولي عهد فرنسا امبراطوراً على فرنسا تحت اسم نابوليون الثاني فلم تسلم بذلك الدول المتحدة فأرسل الى جده امبراطور النمسا حيث ربي في بلاطه وتوفي بداء السل سنة ١٨٢٢

فلما توفي ولي عهد نابوليون الاول صار حتى التملك على تخت فرنسا للبرنس نابوليون الثالث الذي كان قد ادرج اسمه في دفتر ولاية العهد عند ولادته واذ لم يكن لنابوليون الاول عم ولد لان الشريعة التي سنت بمصادقة الامة في ولاية العهد لم تعط حتى ارث الملك اذا لم يكن للامبراطور نسل الا لاولاد يوسف ولويس واذ لم يكن لنابوليون الاول ولا اخيه يوسف اولاد ادرج اسم شارل لويس ابن لويس نابوليون تطبيقاً للشريعة المار ذكرها في راس دفتر سلالة العائلة النابوليونية وجرى احتفال عظيم عند ولادته كأنه مزعم ان يكون وريثاً لتخت مملكة فرنسا . فلما توفي ابن عم ولي العهد الشرعي واصبح هو ولي عهد الامبراطورية اخذ يعلق اماله بالمستقبل ويصرف قصارى همته ومساعدته في الوصول الى ما طالما كان يتمناه . وبعد رجوع الملكية الى فرنسا خرجت الاوامر بنفي العائلة النابوليونية من كل تخوم فرنسا

واذ كان البرنس نابوليون غير مرن بدوام حكم الملك لويس فيليب وعالماً كراهية الاعيان جميعاً للملك المشار اليه مما كان يراه من ميل العامة نحوه وشدة ميل جموع فرنسا وبين نحو الامبراطورية السابقة عزم اخيراً سنة ١٨٣٦ على الخروج من ظلمة المنفى الى ساحة الشهرة وجعل يبذل جهده باشاعة اسمه واكتساب الشهرة وذلك بواسطة التأليف الكثيرة التي نشرها من سنة ١٧٢٢ الى سنة ١٨٣٦ وباستخدام غيرها من الوسائط ايضاً ولكن بمقدار ما كان صيت العائلة النابوليونية شهيراً كانت الوسائط التي استخدمها لنوال مرغوبه قاصرة وضعيفة ولم تات به بالمرغوب ومع ذلك لم يفتر من التظاهر والاجتهاد لنوال غاية الى ان قبضت عليه اخيراً الحكومة ونفته الى البلاد المتحدة ثم عاد منها

عندما بلغه خبر مرض والدته في سويسرا فاقام عندها نحو شهرين الى ان ماتت سنة ١٨٢٧ ثم اخذ يجدد الوسائط لنوال مرغوباته وكانت فرنسا في تلك الايام مرتبكة بسبب المعاهدة التي عقدت بين الدول في اوروبا في ١٥ تموز سنة ١٨٤٠ التي كانت من شروطها منع فرنسا عن الدخول في الاتحاد الاوروي . فكان اخراج فرنسا من ذلك الاتحاد سبب خسائر سياسية كلية .

وفتح الباب للبرنس نابوليون ان يقيم ثورة في فرنسا

فاخذ البرنس بصرف جهده واهته في ذلك ولكنه لم ينجح ايضاً بل قبض عليه وسجن في قلعة هام وبقي مسجوناً مدة ست سنوات متوالية الى ان انت سنة ١٨٤٦ لما بلغه مرض والده الذي كان شيخاً ومشرقاً على الموت وانه يرغب في ان يرى ولده قبل وفاته ولو مرة واحدة . فقياماً بحق الواجبات النبوية ارتضى بان يطلب من الملك لويس فيليب ان ياذن له ليمضي ويدفن والده ثم يرجع الى السجن ليقتضي باقي حياته كما قد حكم عليه فلم يجبه الملك الى ما طلب فعزم على الفرار لكي يرى ابيه الذي كان منفياً حينئذ في مدينة فيورنسا فدبر طريقة للفرار من تلك القلعة مع ما فيها من الخنزير والجناد ونجح فيها . فخرج نابوليون من تلك القلعة بعد ان حلق شاربيو وتزبي بزبي فاعل واتى بليكا ومنها الى مدينة لندن ولما علمت حكومة فرنسا هربه كتبت الى دوك توسكانا ان لا يسمح لنابوليون بالدخول لبلاده وهكذا سد بوجهه باب الذهاب الى والده المريض وصارت انكلترا منفى جديداً له

واما فرنسا فكانت في ذلك الوقت في هيجان واضطراب عظيم وذلك لان الاهالي كانوا قد طلبوا الى الملك لويس فيليب اصلاح قوانين الانتخاب وغير ذلك فرفض طلبهم فزاد ذلك هيجان الامة وسلبت الامنية وكثر التعدي واقتل في شوارع باريس ولم يعد الملك يأمن على حياته والنزم ان يهرب الى انكلترا . فدامت الاحوال على هذا المنوال وامتد النزاع الى كل اطراف فرنسا ونودي بالجمهورية واستقر الراي اخيراً على انتخاب البرنس نابوليون

ليكون رئيساً لها فتسلم زمام الامور في ٢٠ ك ١ سنة ١٨٤٨ واخذ يصرف المهمة بجمع اصحاب الامواء المنخرقة واصلاح الخراب الذي احدثته الثورة عند سقوط الملك لويس فيليب . ولم يمضِ الا القليل حتى توطدت الامنية واخذ دولاب الاعمال يدور كجاري عادته . وسدت ابواب الفتن والفساد وفتحت المدارس . هذا فضلاً عن الاصلاحات التي احدثتها في دوائر الاحكام والمجالس والعسكرية وهكذا ما زال نابوليون يزيد سطوته ويوطد اركان دولته باستمالة قلوب الامة مع ما كان له من الاضداد والاصنام الاشداء وفرنسا تتقدم وتنمو يوماً بيوماً الى ان ارتقى الى مسند الامبراطورية في ١٤ كانون الثاني سنة ١٨٥٢ فجاز قصب السبق على كل ملوك اوربا ووصلت فرنسا في ايام دولته الى اعلى درجات المجد والشرف واصبحت ميزان العالم السياسي

وفي اوائل السنة الثالثة من تبوء نابوليون تخت الملك شبت نيران حرب القرم اي سنة ١٨٥٤ التي دامت مدة ثلاث سنوات وانتهت سنة ١٨٥٦ فكان فيها للجيش الفرنسي من الاعمال الحربية العظيمة ما اكسبها عظمة ومجداً لا مزيد عليهما . وبعد ان فتحوا قلعة سيستابول طلب القيصر الروسي الصلح وعقدت الجمعية الدولية في باريس بعد ان كانت تجري في فيانا عاصمة النمسا وقرروا معاهدة سنة ١٨٥٦ المعروفة بمعاهدة باريس . ومن ذلك الوقت اضمحت باريس مرتجماً تردد اليه اكثر ملوك الجيل التاسع عشر واعيانوه

وسنة ١٨٥٩ حدثت حرب ايطاليا فاخذ نابوليون نفسه قيادة الجيش لمحاربة اوستريا فحارب الامبراطور فرنسيس يوسف وانتصر عليه في معركة ماجانتا وسولفرينو وكسر جيوشه واخذ منه ما كان باقياً من املاك الايطالية تحت تسلطه وضمها الى ممالك ايطاليا فانفردت كل ايطاليا امة لذاتها واخذ مقابل ذلك مقاطعتي ساقوا ونيس وعقد الصلح مع اوستريا بعد ان قهرها . سنة ١٨٦٠ ذهبت الجيوش الفرنسية تحت قيادة الجنرال مونتوبان مع بعض الجيوش الانكليزية وكانوا جميعاً ١٥٠٠٠ مقاتل فدخلوا الصين ثم الكوشين صين

وكسروا جيوش امبراطور الصين الكثيرة العدد والعديد وبددوا ثماهم. فبعث امبراطور الصين بدعوتهم للصلح فصالحوه تحت شروط لو سمعها قبل ذلك الصينيون لاقشعرت ابدانهم منها . وسنة ١٨٦٢ ارسل نابوليون جيشاً الى المكسيك وفتحها واقام عليها امبراطوراً الارشيدوك فرديناند مكسيميليان شقيق امبراطور اوستريا . ولكن هذه الحرب لم تجدي نفعاً لفرنسا ولا لذلك الامبراطور المنكود الحظ لانها كانت سبب انصرام حياته ولم يجني نابوليون منها سوى القدر واللوم في سياسته والمصاريف الباهظة على خزينة الملكة . وهكذا ما زال طالع نابوليون وفرنسا سعيداً الى سنة ١٨٧٠ حين شبت نيران الحرب الاخيرة بينها وبين بروسيا والمانيا . ولا يخفى ان من جملة الاسباب التي سببت فتح الحرب هي احقاد كامنة في الصدور من عهد طويل لانه كان ان اتصر الفرنسيون في معركة ينا سنة ١٨٠٦ لليلاد ضم البروسيون على اخذ الثار الى ان اتشبت نيران معركة ليبسيك ومعركة واترلو وها المعركتان اللتان سببتا سقوط نابوليون الاول ودخول المنتصرين لاسيا البروسيين الى باريس فهكذا تمكن البروسيون من ان يخدوا بعض ما كان عدوهم من الرغبة في الانتقام . لان الدول المتحدة مع بروسيا كانت تمنعها عن تنفيذ كل ما ربهها وهكذا كانت الامتان تنتهزان كل فرصة لانتقام احدهما من الاخرى . وما زالت الاحقاد كامنة في الصدور الى ان وقع ما وقع والذي هيح هذه الاحقاد ما حصل سنة ١٨٦٧ من النزاع بين هاتين الدولتين بسبب اقامة بروسيا في لوكسمبرج ولولا مداخلة انكلترا لانتشبت الحرب بينها فان جمعية لندن الدولية اصطلحت الامر في تلك السنة وهكذا اخذت نيران الحرب التي كادت تشب في ذلك الزمان اخاداً وقتياً . لان رماد السياسة سترها بدون ان يظن بها

ومنذ حدوث الثورة في اسبانيا سنة ١٨٦٨ وخلع الملكة ايزابلة عن الملك اخذ الاسبانيون يسعون في اقامة ملك لينبأ عرش ملك بلادهم وكان الجنرال بريم الاسبانيولي قد صرف اقصى جهده بهذا الشأن الى انهم اخبروا الامير

ليوبولد البروسي . فلما بلغ نابوليون ودولته بان الامير ليوبولد ارتضى بان  
يصير ملكاً على اسبانيا وراى في عين السياسة ان ذلك ما يجمل بميزانية اوروبا  
اذ يجعل اتحاداً قوياً بين دواتي اسبانيا وبروسيا . ويعرض فرانساً ايضاً الى  
مخاوف عظيمة اذ يجعلها في مركز خطر نظراً لوضعها الجغرافي التزم ان يشهر  
الحرب ضد بروسيا فتوسطت انكلترا لانهاء ذلك الخلف بسياسة الاقلام ولكن  
بدون فائدة . ولا ريب ان بروسيا كانت تعلم جيداً ان سماحها لامير الماني  
ان يجلس على كرسي ملكة اسبانيا يسبب شوب نيران الحروب بينها وبين  
فرانساً ولكنها تظاهرت بعدم مداخلتها في ذلك بينما كانت ترغبه وتعضده سراً  
وفي ١٦ تموز سنة ١٨٧٠ اشهرت فرانساً رسمياً الحرب على بروسيا وخرج  
نابوليون من باريس ومعه قيادة الجيش وخرج ملك بروسيا ايضاً من الطرف  
الآخر قائداً جيوشه الجرارة وحدثت المعركة الاولى بين الفريقين في ٢ اب امام  
مدينة ساريبروك وكان الفوز فيها للفرنسا وبين وحضر هذه المعركة نابوليون وابنه  
وهي المعركة الاولى والاخيرة التي انتصر فيها الفرنسيون وكان سبب رجحانهم  
فيها مدافعهم الراشة التي كانت تحصد صفوف البروسيين ومن ذلك اليوم لم  
يقم للفرنساويين قائم في جميع الحروب والمعارك التي حدثت بين الفئتين وما  
زال الفرنسيون في تاخر والبروسيون في نجاح الى ان حدثت معركة سيدان  
في ٤ ايلول وانتهر الفرنسيون فيها اي انتهار واحاط بهم الالمان من كل جهة  
واخذوا برموثهم بالكرات المشوية والمحرقة فاشتعل القسم الاعظم من المدينة وكادوا  
يهلكون جميعاً لولا طلب التسليم وذلك بعد ان بذلوا ارواحهم وكل ما هو في  
طاقتهم للتخلص من الاسرالمهين فلم يجدهم نفعاً . فسلم الامبراطور نابوليون سيقته  
لملك بروسيا وكل جيوشه ايضاً واصبح اسيراً مع نحو ثمانين الفا من الجنود وبقي  
اسيراً في قصر ويلهم شوه في فاستفاليا من اعمال المانيا الى ان انتهت الحرب  
بين فرانساً وبروسيا

ولما بلغ ذلك المخبر الشعب والحكومة في باريس اضطربوا اضطراباً عظيماً

واخذوا في تحصين العاصمة والاستعداد للحصار واصلوا سقوط الامبراطورية واقاموا حكومة مؤقتة تُعرف بحكومة المحاماة عن الوطن وذلك في ٤ ايلول سنة ١٨٧٠ اما البروسيون فما برحوا ينتصرون في اكثر المعارك التي كانوا يقيمونها لابل في جميعها ويحاصرون القلع ويفتحونها وتقدموا وحاصروا باريس وفي اثناء ذلك سلم المرشال بازين في مينس مع نحو ١٥٠٠٠٠ جندي فسبقوا اسرى الى المانيا افواجا افواجا. وما زال الالمان يقيمون الحرب على قدم وساق ويشددون الحصار على باريس ويرمونها بالكرات المشوة الى ان سلمت اخيرا وعقدت شروط الصلح بين الدولتين المتحاربتين تحت شروط لم يجر لها مثيل في كل القرون الماضية . ومن جلتها سلخ ولاية الالزاس وخمس ولايات اللورين من فرنسا ودفع غرامة الحرب خمس مليارات من الفرنكات . وهذا المقدار يبلغ نحو نصف عشر مال العالم وابقاء خمسين الف جندي الماني في ولايات فرنسا الى ان تدفع التضمينات المذكورة فهذا ما جمته فرنسا من هذه الحرب الاخيرة اي هلاك عدد عظيم من الانفس والذل والهوان وقد جانب عظيم من افخر اراضيها وهكذا سقطت الامبراطورية الثالثة وعادت الجمهورية ثالثة ورئيسها ادولف نيرس

وبينا كانت هذه الامور جارية مع الاعداء في الخارج كانت القلاقل والاضطرابات آخذة كل مأخذ من داخل بين الفرنسيين انفسهم فان كثيرين من روساء الاحزاب ومحمي الثورات كانوا قد همجوا واستمالوا كثيرين من الاوباش وسفلة القوم طمعا بالارتقاء الى المراتب السامية فاقاموا جمعية بباريس تعرف بالكومون واتخذوا من حزبهم بعض القواد والجنود واقاموا الثورة في باريس واخذوا يهيجون الشعب للقيام ضد الحكومة الجديدة فوضعوا ايديهم على مخازن الحكومة ومهابتها وتحصنوا في باريس حاسين ان حكومتهم هي الحكومة الرسمية وطاعين في حكومة نيرس واعوانه واذ لم تقدر الحكومة على توقيف الثورة والثائرين بقلم السياسة اضطرت ان تلجى الى اخذ السلاح واشهار الحرب

عليهم فحاصرت باريس زماناً ليس بقليل ووقع بين الفئتين عدة وقائع الى ان فازت اخيراً حكومة تييرس بالفوز والغلبة وانت التبعض على من كان له دخل في تلك الثورة وقتلت البعض ونفت البعض الاخر وهكذا اخذت الراحة تعود الى فرنسا . على ان اولئك الثائرين لما رأوا عدم نجاحهم في ما طالما صوبوا اليه اخذوا بوقوعن السلب والنهب في باريس واحرقوا اعظم قصورها وابهجها واتلفوا كثيراً من الآثار النفيسة التي لا تعوض واحترق جانب عظيم من مكتبة اللوفر المعتبرة فكان ما اتفقه الفرنسيون انفسهم بتارب ما اتفقه الالمان في زمن الحرب بطوله

هذا وقد ظن اكثر الناس في اثناء الحرب بين فرنسا والمانيا وبعد نهايتها ان فرنسا لا تخرج من هذه القهقري التي قفلت اليها الا بعد زمان طويل جداً وظن البعض انها ربما لا تخرج منها الى ما شاء الله على اننا نرى انه لم يمض الا بعض السنين حتى رأينا هذه الامة العظيمة الشان قد نهضت نهوضاً عظيماً من سقطتها وقد وفيت غرامة الحرب الهائلة المقدار واخذت تتقدم سريعاً جداً وقد توطدت الامنية في داخلها واخذت دولاب الاعمال يدور كجاري عاده على محور جيد وفي ٢٤ شهر ايار سنة ١٨٧٢ استعفى تييرس من رئاسة الجمهورية وانتخب مكانه المارشال مكاهون الذي شهرته تغني عن ذكر صفاته وفي خلال سنة ١٨٧٨ تنازل المذكور عن الرئاسة وانتخب مكانه جول كريف في بداية سنة ١٨٧٩ وهو الرئيس الحالي . ومن اعمال الجمهورية الحاضرة اشهر سيادتها على تونس الغرب وذلك سنة ١٨٨٠ ثم استيلاؤها على تونكين ومحاربتها الصين سنة ١٨٨٤

## الفصل الرابع في تاريخ ملكة الانكليز

### الباب الاول في جغرافية انكلترا ووصفها الحالي

ان الملكة الانكليزية كانت على جزيرتين منفصلتين فالاولى تدعى جزيرة  
بريتانيا الكبرى وتشتمل على انكلترا وويلس واسكوتسيا المعروفة باسكوتلاندا .  
والثانية جزيرة ايرلاندا واذك يسمي الانكليز ملكهم ملكة بريتانيا الكبرى  
وايرلاندا . فجزيرة بريتانيا واقعة على شطوط اوروبا الغربية يفصلها عن فراسا  
الخليج الانكليزي الذي عرض مضيقة ٢٥ ميلاً . اما ايرلاندا فموقعها غربي جزيرة  
بريتانيا على مسافة نحو ٦٠ ميلاً ولكن جانباً منها اقرب جداً الى اسكوتسيا  
ومع ان هاتين الجزيرتين لا تعدان من البلاد المتسعة وبقعتها تعتبر من  
الرتبة السابعة من ولايات اوروبا بالنظر الى المساحة فاهاليها ليسوا باقل من  
٢٢ مليوناً ويتبعها ايضاً تملكات خارجية كثيرة في الفارات الاربع بحيث ان  
ملكة بريتانيا تحكم على اكثر من ٢٠٠ مليون تقريباً من الشعوب كما يظهر من  
الجدول الآتي . هذا عما هي عليه من القوة البحرية واتساع المتجر والمعامل  
والصنائع والعلوم فلذلك تُعتبر الأولى على وجه الارض في الغنى والقوة والهيئة  
الاجتماعية



عدد سكان بريطانيا الكبرى وما يتبعها

عدد	
في بريطانيا	
عدد	
في انكلترا ووالس	٢٢٧٠٤١٠٨
في اسكتلندا	٠٢٢٥٨٦١٢
في ايرلندا	٠٤٤٠٢٧٥٩
في جزيرة مان	٠٠٠٥٢٨٦٧
في جزائر نورمونديا	٠٠٠٩٠٥٦٣
عساكر ومجرية خارج البلاد	٠٠٢٠٧١٩٨
	<u>٤١٨١٧١٠٨</u>
في الهند الشرقية	١٠٩٦٦٦٤٢٨
في املاكها الخارجية ما عدا الهند	

عدد	
في اوروبا	١٦٠٢٦٩
في اميركا	٥١٢٢٧٢٢
في افريقية	١٨٦٠٠٠٠
في استراليا	١٩٥٨٦٥٠
في سيلان	٢٤٠٥٢٨٧
في هونك كونك وغير اماكن	٤٢٦٠٤٧
	<u>١١٩٤٢٥٧٢</u>
	٢٠٢٤٢٧١٠٨

اما اوصاف اهلها فلا يمكننا اطالة الشرح بالتكلم عنها ولكن يجب القول بانهم شريفو النفس اصحاب حزم وعزم في الامور محبو الوطن وعمل الخير مستقيمون

السيرة والتصرف منعكفون على التقدم في الصنائع والعلوم وعندهم الحرية الكاملة في اعيانهم وطبائعهم ومذاهبهم شديدو الرزاقه . والديانة العامة بينهم هي البرونستانية

وفي هذه البلاد انهر كثيرة منها نهر التاميس الذي تصعد فيه مراكب كثيرة الى لندن ونهر مرسي الذي يصب في بحر ايرلاندا وغيرها والهواء معتدل في هذه الولايات وارضها مخصبة واهلها يعتنون في امر الزراعة اكثر من غيرهم . وفي هذه البلاد معادن كثيرة من الفحم الحجري والحديد والنحاس والرصاص والقصدير . وفيها من المعامل العظيمة مالا يوجد في مالك اوروبا

وقصبة بريتانيا الكبرى مدينة لندن وهي اعظم مدن العالم وعدد سكانها مع ضواحيها ينوف عن ثلاثة ملايين نسمة واسواقها نحو عشرة آلاف سوق يخرقها نهر التاميس في الوسط فتعبر الناس من جانب الى اخر على جسور متقنة جئاً منها حديد ومنها حجر وليس لهذه المدينة سورٌ محيط بها كباريس وبرلين وباتي مدن اوروبا الكبيرة بل يحيطها خلافاً ظريفٌ مبعقٌ بضيع صغيرة وقصور وابنية مستظرفة لسكن فصل الصيف وفي هذه المدينة كثيرٌ من الابنية العظيمة مثل كنيسة وستمنستر وكنيسة ماري بولس وسراي بوكينهام التي هي محل اقامة الملكة . وفي هذه المدينة سكك حديدية كثيرة جانبٌ منها تحت الارض بين الاسواق يسير فيها الناس من جهة الى اخرى باسرع وقت

ومن مدن انكلترا مانشيستر حيث تعمل الاتمشة القطنية للعالم . وليثربول وهي ميناء تجاري لمراكب العالم . وسمينكهام وشفيلد محل عمل الآلات والاسلحة الحديدية وغيرها . وفي الجهة الغربية من انكلترا مقاطعة ويس يتكلم اهلها بلغة مخصوصة لانهمها الانكليز . وفيها جبال كثيرة يستخرج منها الفحم الحجري وغيره من المعادن ومع ان اهلها كانوا قديماً في غاية التوحش فالان يعيشون حسناً وهم اصحاب غيرة واجتهاد

اما اسكونلاندا فهي الى جهة الشمال من انكلترا وهي مقسومة الى قسمين .

اعلى واسفل فالقسم الاعلى يشتمل على جبال عالية باردة وبعض سكانها يتكلمون  
 الغاليكي الذي يعسر فهمه . اما القسم الاسفل فهو لجهة الجنوب يعادل انكلترا  
 في الجودة واهله يعتنون جنًا في العلوم ويرغبون في اشاعة المعرفة وتكثر في  
 هذه البلاد معادن النجم والحديد وفيها معامل عظيمة ومدارس كلية واشهر مدنها  
 ادنبرج وفيها مدرسة طيبة لا نظير لها في كل بلاد الانكليز . وكلاسكو وهي  
 شهيرة في معاملها واقمشنها

اما جزيرة ايرلاندا فيفصلها عن جزيرة بريطانيا الكبرى خليج مارجرس  
 وبحر ايرلاندا وهي جيدة التربة وهاؤها رطب معتدل واهاليها فقراء بسبب  
 علم الثفات المحكومة . فكثير منهم يهاجرون بلادهم ويستوطنون في اميركا .  
 ولكن المأمول انه بواسطة التغييرات الجديدة التي احدثتها الحكومة ستتحسن  
 احوال هؤلاء الشعوب الذين اكثرهم باباويون . ومن اشهر مدن هذه الجزيرة  
 دوبلين وبلفاست . وكانت هذه الجزيرة مستقلة قديماً لم يتغلب عليها الانكليز  
 الا سنة ١١٧٣ مسيحية ولم تدم جزءاً من الملكة الا سنة ١١٠١ حين قبالت في  
 المعاهدة مع القسامين الاخرين

## الباب الثاني

في اصل البريتانيين القدماء واوصافهم وديانتهم وتملك  
 الرومانيين على بلادهم الى سنة ٤٣٠ للميلاد

ان اصل البريتانيين لا يعرف بالتحقيق وتاريخهم القديم كباقي التواريخ  
 القديمة لا يوثق به والرجح عند العامة ان بريطانيا نشبت شيئاً بعد شيء من  
 محلات مختلفة من قارة اوروبا غير انه لا يعلم في اي وقت دخلها الناس اولاً .  
 والخبر الوحيد الذي يوثق به من هنا القليل هو ان جماعة من الكتبيين وهم

فرع من الغالين اي الفرنساويين الذين مقر بلادهم بين نهر السين ونهر غارون  
اتوا من شطوط فرانسوا ونزلوا على شواطئ بريتانيا بدون مقاومة احد وكان  
قصدهم في انتقالم توسيع دائرة معبرهم وفقاً لارادة ملكهم تيوتات الذي كان محباً  
للتجارة وتقدمها حباً مفرطاً. ثم بعد هولاء اتى ايضاً قوم من البلج من شمالي  
فرانسوا وهم ايضاً فرع من الغالين وسكنوا البلاد. فرما ينسب الى هاتين القشتين  
البريتانيون الاولون



كلتيون سكان بريتانيا الافدمون

ولم يكن للبريتانيين القدماء شيء من المعرفة والذدن فكانت ملابس  
العامة من جلود الوحوش الضارية وكانت زينتهم صبغ اجسادهم بعصير بعض  
النبات يطلون به ابدانهم واحياناً ينقشون عليها صور بعض الحيوانات. اما  
المتقدمون فيهم فكانوا يتزرون بمآزر من قماش حول وسطهم ويطوفون اعناقهم  
بسلاسل من ذهب ونساؤهم يلبسن اساور ذهبية. وكانت مساكنهم اكواخاً حخيرة  
يقيمونها تارة من اوراق الاشجار وطوراً من طين وكان شغلهم الوحيد صيد  
الحيوانات واشبهوا عرب البادية جائلين من مكان الى آخر بحسب فصول السنة

فكانوا في زمن الصيف يجلون غالباً في الاودية المخصصة حيث يجدون مرعى وماء  
لماشيمهم وفي الشتاء ينتقلون الى التلال والجبال لاجل النشاف للصحبة . وكانت  
مآكلهم لحوم الحيوانات والالبان ولكن بعد دخول البلجيين من غالبا علموا  
الاهالي ما كانوا يعرفونه من امر الزراعة ومن ذلك الوقت ابتدأوا ان يصطنعوا  
الخبز . اما احكامهم فكانت عائلية اعني ان كل رب عائلة كان مسئولاً لغيرائه  
عن عائلته

وكان الشعب ينقسم الى ثلاث رتب اشراف واكليسوس وعامة وكان اهل  
هذه الرتبة الاخيرة من ادنياء الشعب يعاملون كالعبيد اما الاشراف فكانوا  
كالامراء كل منهم يحكم على مقاطعة مستقلة واما الكهنة فكانوا ينقسمون الى ثلاث  
رتب اخصها المعروفة بالدرويد . فكانوا معتبرين عند الشعب وكان لهم حق  
المناظرة ايضاً على كل اعمال الرعية وكان لرئيس هذه الرتبة السطة والتصرف  
المطلق في كل الاشغال . فدام تسلط الدرويد على الشعب الى زمن نيرون  
امبراطور الرومانيين حين استولى على البلاد وامر بقتلهم . واما الرتيان  
الأخريان فاخصت احداهما بنظم الاشعار وانشادها على الفياثير والآخرى  
بالدرس العقلي للفلسفة والاعمال الطبيعية وفي كل علم او كار من شأنه ان  
يذهل الشعب ويجعل لهم حرمة عظيمة في عينيه . وبناء عليه اعند الشعب  
اهل هذه الرتبة انصاف الهة ممتازين بمواهب ساوية خصوصية . اما ديانة  
البريتانيين فكانت صنمية من النوع الاردى وكثيراً ما قدموا ذبائح انسانية  
لالهتهم الكاذبة وكانوا يسجدون للصخور والحجارة وينابيع المياه واما ما كان في  
مزيد الاعتبار عندهم وكانوا يعبدونه بوقار غريب فهو شجر السنديان ونبات  
آخر ينمو على قاعدته وهذه المعارف عن حالة البريتانيين القدماء وعوائدهم  
وعبادتهم اتصلت للتأخرين بواسطة الاشعار التي نظموها وانتقلت من جيل  
الى آخر

وسنة ٥٥ ق م اتى برتانيا يوليوس قيصر قائد جيش الرومانيين بقصد

افتتاحها فقاومه الاهالي وساعدهم على ذلك هيجان عظيم حدث في الجرشنت كل الفرسان فاستصوب قيصر ان يؤخر المهاجمة الى وقت آخر. ففي الربيع المقبل حضر ثانية ومعه كاسيوس قائد فرقة من العساكر المشهورة في الحروب ودخل البلاد ولكنه لم تغاب عليها تغلباً كاملاً. وسنة ٤٣ بم ارسل كلوديوس امبراطور الرومانيين الرابع بعض القواد ليملكوا الجزيرة فقاومهم كاراكتاكوس رئيس قبيلة بريطانيا فانكسر وقبض عليه وأرسل اسيراً الى رومية غير ان كلوديوس اطلقه بعد ذلك. وسنة ٥٧ للمسيح اتى سويتونيوس بولينوس من قبل الامبراطور نيرون ليستلم زمام الاحكام فوجد بين كهنة الدورويد الماز ذكرهم روح العصاة ومحبة الاستقلالية فعزم على ابادتهم واذ هربوا من امامهم لحقهم وقتل بهم فلم يسلم منهم الا طويل العمر

وكان بين البريطانيين قبيلة تدعى قبيلة ايسني مترأسة عليها الملكة بواديكيا فنهضت هذه الملكة وحركت همه الاهالي على اخذ الثار من الرومانيين لاجل قتاهم الدورويدين فاجابوها الى ذلك. وبينا كان سويتونيوس السالف ذكره منشغلاً في ملاحقة هؤلاء الكهنة نهض البريطانيون على الرومانيين القاطنين بينهم وقتلوا منهم ٧٠ الفا واحرقوا مدنهم. ولكن عند رجوع سويتونيوس من سفره ونظرو الى ما حل بقومهم انتقم من البريطانيين وقتل منهم ٨٠ الفا على ما قبل وضايق الملكة بواديكيا فاخترت الموت على الوقوع في ايدي الاعداء وشربت سماً وماتت. ولم يكنف سويتونيوس بهذا الانتقام بل استمر على مضايقة البريطانيين بقسوة شديدة حتى امرت الدولة الرومانية بعزله وارسلت مامورين غيره كانت سياستهم مجانسة الاهالي وتوطيد السلام. ومن جملة هؤلاء القواد يوليوس اغريكولا الذي بواسطة سياسته العادلة الحكيمة اكمل اخضاع ولاية بريطانيا وثبت سيادة رومية. وكان ذلك من سنة ٨١ الى سنة ٩٦ للبلاد في ايام دوميتيان امبراطور رومية الحادي عشر

وفي اثناء تملك الرومانيين كانت بريطانيا منسومة الى خمس ايلات يحكمها

مأمورون من طرف الحكم الأكبر. وكانت البلاد مضطربة على الدوام بسبب غزوات شعوب اسكوتسيا المتوحشة الذين كانت مساكنهم في جبال كاليدونيا. فالنزم اغريكولا ان يقيم سوراً كبيراً بين نهر فورث ونهر كلايد لاجل منع غزوات السكوتسيين. وبعد ذلك أُقيم سورٌ آخر اعظم من الاول يمتد على مسافة ٨٠ ميلاً اطلق عليه اسم سور ادريان نسبةً الى ادريان امبراطور رومية الرابع عشر سنة ١٢١ مسيحية. ثم بعد ذلك بحملة سنين صارت تقوية هذا السور بمعرفة الامبراطور سيروس وهو سلطان رومية التاسع عشر الذي توفي في مدينة بورك من اعمال بريطانيا سنة ٢١١. وسنة ٢٨٧ عصى الملكة الرومانية احد قوادها الجربين المدعو كاروسوس فالتحق بالبريتانيين الذين كانوا يصون الى خلع طاعة رومية فقبليوُ وسميَ عليهم ملكاً وبعد ذلك بسنين قليلة قام عليه احد اتباعه وقتله طمعاً بالولاية فعينت الدولة الرومانية قسطنطيوس الثالث لاختضاع بريطانيا فسار اليها واخضعها عنوةً لان الحروب الداخلية والافساعات سهلت عليه الامر فرجعت بريطانيا الى حالتها الاولى ولاية رومية بعد انفصال عشر سنوات ودامت على ذلك الى الجيل الخامس

و، مدة الاربعة الاجيال ونيف التي حكم بها الرومانيون البلاد البريطانية تقدم الاهالي تندماً نشيطاً في بناء المداين واتان الصنائع والزراعة وغير ذلك حتى حصلت البلاد على نوع من الثروة والتمدن. ولاسيما بواسطة دخول الديانة المسيحية التي لم تلبث الا زمناً قصيراً فقط لشدة الاضطهاد الذي اثير عليها في زمن تسلط الانكلوساكسونيين ولكنها ظهرت ثانية سنة ٥٩٦ كما ياتي

وفي الجيل الخامس قام على الملكة الرومانية بعض قبائل من برايرة الشمال وكانت احوال ايطاليا يومئذ في اضطراب فالنزم الرومانيون في ايام الامبراطور فالثينيان ان يسحبوا قوتهم العسكرية من بريطانيا لاجل الحماة عن وطنهم فانسحبوا جميعاً تاركين البلاد بيد اهاليها. وكان حدوث ذلك سنة ٤٢٠

## الباب الثالث

في ذكر تملك الدولة السكسونية وحكم الدولة الدنياركية وذلك  
من سنة ٤٢٠ الى ١٠٦٦

فلما ترك البريتانيون الى عالم وجدوا انفسهم غير قادرين على مقاومة  
غزوات جيرانهم البكتيين والاسكوتسيين لانهم في مدة خضوعهم للرومانيين  
فقدوا ذلك الروح المحربي الذي كان لهم فاضحوا عرضة لمغازي اعدائهم الذين  
كانوا يمتدون رويداً رويداً الى داخل البلاد حتى التزم اخيراً احد رؤساء  
البريتانيين سنة ٤٤٩ ان يلتمس معونة السكسونيين (قبيلة جرمانية عند شواطئ  
نهر الالب) ليسانعدهم على مقاومهم. واذ كان بين القبيلتين مودة وصلة قديمتان  
اتى البريتانيين فرقة من هولاء القوم تحت قيادة هنجيست وهورسا وساعدوهم  
على طرد البكتيين والاسكوتسيين من البلاد وارجعهم الى الجبال التي اتوا منها.  
ولكن عوضاً عن ان يرجع السكسونيون بعد ذلك الى بلادهم طبعوا في استملاك  
البلاد واستحسنوا ان يقيموا مكان المطرودين فانام الامداد يوماً وانضم اليهم  
فرق سكسونية وانكليية حتى صاروا عدداً غفيراً. فلما شعر البريتانيون بمقاصد  
مساعدهم نهضوا لطردهم ولكن لعدم اتحاد بعضهم مع البعض لم ينجحوا في مساعدهم.  
فدامت الخصومات والحروب بينهم ١٥٠ سنة حتى كاد يتقرض البريتانيون  
جميعهم والذي سلم منهم نزع والتجأ الى جبال ويلس وكورنوال وبعضهم جازوا  
المانش وذهبوا الى اموريكا من اعمال فرانسوا وسكنوا هناك وسمي ذلك المكان  
باسم بريتانيا نسبة للبريتانيين

اما الانكلييون والسكسونيون فقسما البلاد الى سبع مقاطعات تُعرف



بالسبع ولايات السكسونية وهي كنت وسوسيكس وواسكس وايسيكس ونورثمبريا  
وانكليا الشرقية ومرسيا. واقاموا ملكاً على كلٍّ من هذه المقاطعات وكان احد  
هؤلاء السبعة رئيساً على الستة لهُ حق المناظرة العمومية والسيادة على البقية . فمن  
جرى ذلك وقعت بينهم منازعات عديدة آلت اخيراً لانفكاك ذلك النظام  
وسنة ٥٩٦ دخلت الديانة المسيحية دخولاً حقيقياً بواسطة اوغسطينوس  
وغيره من الرهبان المرسلين من طرف البابا غريغوريوس وذلك في زمن  
اثلبرت ملك مقاطعة كنت حينما كان ملكاً عاماً على باقي المقاطعات المار  
ذكرها. وكانت برثا زوجة الملك اثلبرت المذكور وابنة كاربيرت ملك باريس  
قد اقبلت الايمان المسيحي قبل ذلك بقليل فسعت في ارتداد زوجها فارتد  
واعتمد هو وكثير من رعاياه بعده ومن ذلك الحين اخذت الديانة الاصنامية  
ثلاثي والديانة المسيحية تتد شيئاً فشيئاً حتى انها في مدة اجيال يسيرة عمّت  
البلاد جميعها

وكان كلما قام ملكٌ عامٌ على السبع المقاطعات يجتهد في توسيع دائرة ملكه  
واخضاع الممالك الصغيرة اليه فاخذ هذا الامر يزداد شيئاً فشيئاً حتى انه في  
سنة ٨٢٧ في زمن الملك اغبرت ملك ولاية واسيكس لم يبقَ ملكٌ مستقلٌ على  
الولايات الست الأخر فضرب عليها الخراج وصارت جميعها تابعة اغبرت  
المذكور وهو اول من استقل بالبلاد واول ملك من ملوك انكلترا من الدولة  
الانكلوساكسونية . ولكن مع ذلك لم ترخ البلاد في ايامه لان من تاريخ ملكه  
ابتدأت هجمات الدنياركيين التي انتهت اخيراً باستيلائهم على البلاد فكانوا  
يضررون في البلاد ضرراً جسيماً وخاصةً بالاديرة واماكن التربة اذ وجَّهوا كل  
قواهم نحو خرابها . وسنة ٨٦٥ لما كان الملك اثلبرت وهو الثالث بعد اغبرت  
ملكاً على انكلترا اتى الدنياركيون تحت قيادة رئيس عمارتهم الشهير المدعو  
رغزلودبروك ونزلوا على شاطي نورثمبرلاند فقواهم رئيس تلك الجهة واسر  
قائدهم وطرحه في مغارة ملوئة من الحيات فاماتته ورجع الدنياركيون

بدون فائدة ولكن بعد ذلك بقليل نهض اولاد رغنر المذكور واقاربه واخذوا  
بشاره وانتقموا له من البريتانيين اشد الانتقام بعد ان افتتحو اطراف البلاد  
واستولوا عليها

وبعد وفاة اغبرث نبواً تحت الملك ابنة ثم اولاد ابنة اثلاثة وفي مدة حكمهم  
كانت الحروب مع الدنياركين متصلة وغزوات هولاء مستديرة حتى انه في  
ايام الملك الفريد كانوا قد استولوا على ولايات نورثمبريا ومرسيا وانكليا الشرقية  
فكان مركز الفريد من اصعب المراكز لانه من الجهة الواحدة اراد استخلاص  
البلاد من المعتصين ومن الجهة الأخرى خاف من اقتدارهم واستيلائهم على  
باقي الجزيرة . فبينما كان متعباً من هذا الامر وساعياً في تدبير منعه نهض احد  
قواد الدنياركين المدعو كثروم وهاجم البريتانيين في فصل الشتاء بجموع  
كثيرة فداهم وهم غير مستعدين وانتصر عليهم فهرب الفريد ملكهم واخناً في  
بيت احد الفلاحين وفي هناك مدة متكرراً . قيل انه في اثناء اقامته في ذلك  
البيت كان يخدم اهله وانه بينما كان يوماً ما واقفاً يخبز كعكاً تاه في البحر افكار  
الداير فاحترق الكعك ولم يشبهه فومخنة صاحبة البيت نوبخاً قاسياً على اهلها .  
ولكن لم يطل الحال الا ونهض احد اشراف الانكليز وقاوم الدنياركين وقتك  
بهم وهم تحت رياسة ابن رغنر لودبروك المار ذكره . حيث نهض الفريد من  
مخباته وانضم اليه جمهور البريتانيين وحشر الدنياركين في مراكزهم وظفر بهم  
اي ظفر حتى اضطر كثروم رئيسهم ان يسلم . فاسترجع الفريد بلاده من  
ايدي المعتصين

واذ رأى الفريد ان استئصال الدنياركين من البلاد امر مستحيل نظراً  
لطول اقامتهم فيها وعددهم الغفير عقد مع كثروم معاهدة خصص له فيها ولن  
بمختلفة ولاية انكليا الشرقية وولاية نورثمبريا بشرط قبول جميع الدنياركين  
الديانة المسيحية وان يكونوا ملزومين للقيام والاتحاد مع البريتانيين في محاربة  
الاعداء لدى الحاجة . فغلب عقد هذا الارتباط التفت الفريد الى اصلاح ما

كان التحق بالبلاد من جراء حروبها واقام الفلح والتحصينات وشرع في تنويع العمارة من دون ان يغض النظر عن اسباب ترقية حال الشعب بواسطة الصنائع والعلوم وايجاد المدارس وتوسيع دائرة التنوير. ومع كل انشغاله في تدير امور المملكة كتب جملة مؤلفات وترجم عدة كتب الى اللغة الانكليزية. منها تاريخ الكنيسة للعلامة بيد وكتاب في الفلسفة. وفي وصية هذا الملك وجدت عبارة طالما الانكليز يهجون فيها وهي هذه يجب ان يكون الانكليز احراراً كافكارهم. ثم توفي هذا الفاضل سنة ٩٠٠ تاركاً لبلادهم مثلاً شريفاً في كل امر ولقب بالفريد الكبير

ثم جلس بعده ابنه ادورد وحكم الى سنة ٩٢٤. وقام بعده ابنه انايستنان فكان شجاعاً حارب الدينباركين وكسره مراراً واستبد بالملكة وحده. فذاعت سطوة انكلترا في الخارج وصارت الدول الاجبية تطلب الاتحاد معها. وفي ايامه عقدت اول معاهدة مع فرانسوا وتزوجت اخت له بكارلوس الثالث ملك فرانسوا واخرى بملك جرمانيا اوثو الكبير واخرى باخر من الدوات الفرنسيين العظام ثم توفي سنة ٩٤٠

ومن ملوك الدولة السكسونية ادغر تولى سرير الملك سنة ٩٥٩ وكانت بريطانيا في ايامه حاصلة على تمام الراحة والسلام مهيباً من الجميع في الداخل والخارج. فكان حكماً ونشيطاً في سياسته يزور كل اقطار بلاده مرة في السنة وينتقد احوالها وكانت عمارته البحرية نحو ٤٠٠ قطعة. وما يذكر عنه انه فرض على رعيته ثلاث مئة راس ذئب في السنة لانها كانت كثيرة الوجود في تلك البراري. وبهذه الوسطة قرض الذئب التي كانت مائة القطر

وفي ايام الملك اناريد اذ كان بغض الدينباركين اخذ من قلوب الانكليز كل ماخذ نظراً لمقاصدهم في استملاك بلادهم اصدر الملك المذكور امراً عاماً سنة ١٠٠٢ يقتل كل الدينباركين الفاطنين في انكلترا فقتل الانكليز منهم عدداً كبيراً وكانت اخت ملك الدينبارك من جملة المقتولين في تلك المذبحة. فهاج

الدينباركون واتوا مع ملكهم سوين الى بريطانيا واقاموا الحروب على قدم وساق  
وانفتحوا البلاد . فالنم اثلريد ان يهرب مع زوجته وابنيه والتجأ الى نورمنديا  
وهي ولاية فرنساوية كان اثلريد متزوجاً بابنة دوكة ريكاردوس الثاني واقام  
هناك الى ان توفي . ولكن لم يستقر سوين في بريطانيا حتى توفي هو ايضاً تاركاً  
فتوحاته وحقوقه لابنه كانت الذي يحسب اول ملوك العائلة الدينباركية في  
انكلترا . وكان كانت عادلاً حكماً محسناً لطيفاً فسعى في توسيع نطاق المملكة  
واحدث جملة تحسينات في نظام الاحكام والسياسة وقرض جانباً من سطوة  
الاشراف المضرة فاحبه جميع رعاياه لحسن تصرفه وخلوص نيته وفي ايامه كانت  
البلاد في هدو وسلام والشعب منعكفاً على تحصيل المكاسب والفوائد الناتجين  
من الهدو والسكينة . فانتهز كانت تلك الفرصة وذهب لزيارة الحبر الروماني  
في رومية وبينما كان في ايطاليا التقى بكونراد امبراطور جرمانيا وزوج ابنته  
بابنه هنري الثالث . وغب رجوعه الى بلاد الدينبارك من زيارته في رومية  
بعث كتاباً الى جميع قبائل انكلترا يتضمن العبارات الآتية وهي ليعلم جميعكم باني  
قد كرسيت حياتي لله ونذرت باني احكم كل مالكي بالعدل وان افعل المستقيم  
في كل امر . فان كنت في ما مضى وانا في مدة عنفوان الشبوية وعدم المبالاة  
خرقت مبادئ العدل والحقانية فاني عازم الآن بمعونة الله ان اعوض ذلك  
تعويضاً كاملاً . فبناء عليه ارجو وامر كل من سلمته زمام الاحكام ممن يريد  
طاعتي وبود خلاص نفسه ان لا يظلم احداً فقيراً كان ام غنياً . ودعوا الاشراف  
وغير الاشراف ينالون حقوقهم بالسوية وفقاً للشرائع التي لا ينبغي ايقاع الخلل  
فيها لا خوفاً مني ولا حباً برضى خاطر الاقوياء ولا لاجل ملء صناديق خزيني  
فاني لا اريد ما لا مجموعاً بالظلم

وكان بعد توفي اثلريد في نورمنديا ان زوجته رجعت الى بريطانيا وتزوجت  
بكانوت المذكور واما ولداها فبقيا في نورمنديا ولم يجاسرا على الذهاب الى هناك .  
ففي سنة ١٠٣٦ الما توفي كانت وقام عوضاً عنه ابنة هارولد حضر من نورمنديا

ابن اثريد الأكبر وكان اسمه الفريد وطلب استرجاع تاج ابيه . فنهض اعوان  
 هارولد وقتلوه واستبد هارولد بالملك مدة ثلاث سنين ولم يحدث في ايامه شيء  
 يستحق الذكر . وقام بعده اخوه هرديكانوت سنة ١٠٣٩ ولم تطل ايامه فتوفي  
 بعد سنة من حكمه وبه انقرضت الدولة الدنياركية ورجعت العائلة السكسونية  
 فاول من نبأ تخت الملك من العائلة المذكورة بعد هرديكانوت المذكور  
 ادورد احد اولاد اثريد السالف ذكره وذلك سنة ١٠٤١ . وكان المذكور يميل  
 الى اهل نورمنديا لانه صرف بينهم ٢٧ سنة من حياته فاحضر منهم الى بريطانيا  
 عددا كبيرا ووظفهم الوظائف العليا فتأثر البريطانيون من ذلك وداخلهم الغيرة  
 والحسد ونهض احد اشرافهم الامير غودوين وقاوم هذا المشروع وبواسطة ما  
 كان له من النفوذ نجح باخراج النورمنديين من البلاد وتهدد بحفظ السلام والقيام  
 بمقتضيات الملكة بدون احتياج الى الاجانب . ثم تزوج الملك ادورد بابنة  
 غودوين المذكور واذ لم يرزق نسلا ارسل فدعا ابن اخيه الاكبر (الذي كان  
 له حق بالارث قبله) بناء على ان يخلفه بالملكة فحضر مع ابنه ادغر ولكن حالما  
 وصل الى البلاد توفي تاركا ابنة في سن لا يليق بالسلطنة . وفي اثناء ذلك توفي  
 الملك ادورد سنة ١٠٦٦ وهو اخر ملوك العائلة السكسونية . فبعد موت ادورد  
 قام هارولد اخو زوجته اي ابن غودوين المار ذكره واغتصب لنفسه تاج  
 الملك فقاومه اخوه في السنة ذاتها وهاج عليه حربا غلب ان استنجد بالنورمنديين  
 لمساعدته فقتل الاثنان في اثناء تلك المواقع الكبيرة وبموت هارولد انقرض  
 حكم الدولة السكسونية . فكان عدد ملوكها من سنة ٨٢٧ الى سنة ١٠٦٦ سبعة  
 عشر ملكا يفصلهم ثلاثة ملوك دنياركيين وهم كانوت وابناه من سنة ١٠١٦ الى  
 سنة ١٠٣٩ كما مر

## الباب الرابع

في ذكر تملك الهائلة النورمندية والعائلة البلانتاجينية

من سنة ١٠٦٦ الى سنة ١٢٩٩

انه بعد انقراض الدولة السكسونية كما تقدم حكم انكلترا دولة نورمندية اعني حكام من بلاد نورمندية التي هي ولاية فرنساوية مجاورة للانكليز. فكان اول ملوك هذه الدولة وليم الاول الملقب بالظافر. وكان قبل استيلائه على تحت انكلترا حاكماً في ولاية نورمندية تحت يد فيليب الاول ملك فرانساً. فلساعد وليم كان فيليب وقتئذ صغير السن قصير المعرفة تحت وصاية بودوين احد اشراف فرنساويين وكان زمام فرانساً بيده. ومع ان بودوين المذكور كان عمّاً لفيليب فكان ايضاً حمواً لوليم وبالضرورة كان يرغب صالح صهره وابنته. فانتهاز وليم تلك الفرصة المناسبة واغار على البريتانيين الذين كانوا مهتمين في اقامة ملك عليهم ولم يترك لهم وقتاً للتذكرة في ذلك الامر وبواسطة تدبيره ومساعدته ازال كل الموانع والنم اشراف الانكليز ان يخضعوا لرياسته وشجع عليهم ملكاً يوم عيد الميلاد سنة ١٠٦٦ في كينيس وستينيستر وشرع حالاً في بناء القلع والحصون وملاها من حراس النورمنديين

ثم بعد تملك وليم زمام البلاد بوقت وجيز ذهب لزيارة نورمندية بلاده وترك ادارة الاحكام في يد اخيه اودواسقف بابو. واذ كان يخشى سطوة اشراف الانكليز ولا يامن خلوصهم اخذ معه عدداً كبيراً منهم خوفاً من حدوث فتنة في غيبتهم فلم يجدي ذلك الاحتياط نفعاً لان تعديت النورمنديين وظلمهم الزمت البريتانيين ان يتظاهروا بالعصيان فاغتموا فرصة غياب وليم وارسلوا يستدعون ملك الدنيا ملك لمساعدتهم واعديهم بتاج الملك واذ لم يات احدوا مع السكسونيين

الذين كانوا باقين في البلاد واثاروا جملة فتن ومعارك قتلوا في احداها ٣٠٠٠ من عسكر النورمنديين ذبح السيف . فلما بلغ ذلك ولم حضر عاجلاً وفنك بالعصاة وبعد ان اخذ الفتنة اجرى قصاصات صارمة على المعتصين وانتم من الاهالي اشد انتقام وذبح منهم عدداً كبيراً بعد ان احرق بيوتهم واخرب مزروعاتهم فترح كثيرون من الانكليز والتجأوا الى اسكوتلاندا المجاورة لهم وبسبب ذلك مع زما تنح عنه من عطل الارض ومحل المواسم حدث مجاعة عظيمة في انكلترا قيل انه هلك فيها فوق مئة الف نسمة من الجوع

وكان ولیم المذكور عند قيامه من نورمنديّة لافتح انكلترا انه ترك زمام الاحكام في يد ابنة روبرتوس فبقيت في يده عدة سنين حتى بلغ فيليب الاول سن الكمال واستلم سلطنة فرانس . فلما راي فيليب ما حصل عليه ولیم من التقدّم والجمّاح في انكلترا اخذته الغيرة والحسد وشرع بفصل نورمنديّة عنه وترك روبرتوس مستقلاً فيها بدون مداخله ابيه . واذ لم يرتض ولیم بذلك وقعت الحروب بين الاب والابن واستدامت جملة سنين حتى قيل انه في احدي المواقع بارز روبرتوس اياه واذ كانا في ملابسهما الحربية بحسب عوائد تلك الاعصر لم يعرف احدهما الاخر حتى غلب الاب ففجّل الابن . ثم مات ولیم من وقعة عن فرسه سنة ١٠٨٧ عندما كان ذاهباً لتخليص بعض اراضي نورمنديّة التي كان الفرنسيون قد اخلسوها وخلفه ابنة ولیم الثاني الماتت روفوس اي الاحمر من احمرار شعره . وكان ولیم روفوس المذكور يريد ان يتزع نورمنديّة عن اخيه روبرتوس ويضعها الى ملكة انكلترا فتأهب لقتاله واشتبكت الحروب بينها زماناً طويلاً ولم يحصل ولیم على ما كان يتغيه . وفي تلك الاثناء ظهرت الحروب الصليبية لتخليص الاراضي المقدسة وكان روبرتوس والي نورمنديّة من جملة الذين انضموا الى زمرة المحاربين ولكن اذ لم يكن عنده مال كافٍ للوازم الحرب استقرض من اخيه ولیم مبلغاً وافراً وارهن عنده كل الولاية وتوجه . فاتي ذلك ولم طبق المرغوث وامل نوال المراد ولكن ما كل ما يتبني المره

بدركة فانه بعد ذلك بقليل ذهب وليم ذات يوم بقصد الصيد الى المحرش  
المجديد الذي كان قد انشأه والده وبينما كان جائلاً فيه اصيب بنبله انهبت  
حياته فاتهم احد امراء الانكليز بهذا الفعل ولكن اذ لم يكن لوليم روفوس عند  
جماعة الانكليز قيمة ولا مقدار لقبائحه وجوره لم يتعن احد لفحص سبب ميته  
وسنة ١١٠٠ قام هنري الاول ملكاً على انكلترا وهو الابن الاصغر لوليم  
الظافر مع ان حق الارث كان لروبرتوس والي نورمنديه ولكن اذ لم يكن قد  
رجع بعد من سفره الى الاراضي المقدسة اغتم هنري الفرصة وسعى في لبس  
تاج الملكة وكانت سياسته مدوحة واجراءاته حسنة غير انه لم يمض على ذلك  
ثلاثون يوماً حتى رجع روبرتوس واذ وجد له حزباً في انكلترا نهض لتخليص  
الملك من اخيه واتى بقوات كثيرة ونزل في مينا بورتساوث . فوافاه رئيس  
اساقفة كتربري وعقد بين الاخوين صلحاً . فننازل روبرتوس لـ اخيه عن حقوقه  
بشرط ان يرزب له معاشاً سنوياً وان كل الذين تحالفوا معه ضده يكونون  
معافين مستامين على اراضيهم واموالهم . ولكن بعد قيام روبرتوس نكث هنري  
بشروط هذه المعاهدة واصل الضرر الى من كان نظاهري مقاومتاً . وسنة ١١٠٦  
استفخ هنري بلاد نورمنديه بعد قتال عظيم واسر اخاه وجمته في قصر  
كرديف حيث توفي في سن الثمانين وضم البلاد الى تاج انكلترا . وسنة ١١١٩  
قام ابن روبرتوس بمساعدة لويس السادس ملك فرانسلا لاستخلاص مملكة ابيه  
فاتصر عليها هنري في حرب برنيل ولم ينالا ارباً . وبعد ذلك وقع النزاع  
بين هنري وبين البابا كما كان وقع مع ملوك اخرين ايضاً من جهة السيامات  
الاكليزيكية واعطاء الاساقفة العكاز والخنم وتخليصهم بين الطاعة للملك . فان  
الملوك ارادوا ان يكون ذلك مختصاً بهم اما البابا فانكر عليهم هذا الحق مؤكداً  
انه لا يستطيع السلطان الزموني ان يمنح المقامات الدينية المشار اليها بالعكاز  
والخنم وقد دعي الملوك الذين يداومون استعمال ذلك بالسيمونيين نسبة الى  
سيمون الساحر الذي اراد ان يشتري موهبة الروح القدس بالمال



وكان هنري المذكور ولدان شرعيان فقط صبي وابنة فلاجل منع النزاع بعد وفاته استعس ان يسي ابنة ملكا على انكلترا وعلى نورمندي في حياته فاخذته الى نورمندي ليعرفه بالاشراف وابقاه هناك مدة وبينا كان الولد راجعا الى انكلترا غرق ومات. واما الابنة وهي ماتيلدا فكانت قد تزوجت بهنري الخامس امبراطور جرمانيا ولكن حين وفاة اخيها كانت ارملة بدون اولاد فزوجها ابوها بامير فرنساوي يدعى جوفروا بلاتاجنيت وهو كونت انجو ( اسم مقاطعة في فرنسا ) واقامها خليفة له على انكلترا ونورمندي ثم توفي سنة ١١٣٥

فبعد توفي هنري الاول نهض رجل من الاشراف في نورمندي يدعى اسطفان وهو ابن ابنة وليم الظافر التي كانت تزوجت بكونت بلوا واغتصب حكم انكلترا لذاته مع انه كان من جملة الذين اقرؤا وخضعوا لخلافة ماتيلدا ابنة هنري الثاني. وكان اسطفان المذكور حسن الصفات لين الجانب فعمله ذلك محبوبا عند الجميع وساعده ايضا نفوذ اخيه اسقف انكلترا اذ جعل الكنيسة تعضده. واذ كانت البلاد وقتئذ مقسومة الى عشائر كان امر تولية امرأة على مملكة امرا جديدا عند روساء تلك العشائر فلم يصدر منهم مقاومة لمقاصد اسطفان المذكور فتزوج ملكا على انكلترا وطاعه الجميع ولكن لم يرض عليه وقت طويل حتى تبدلت صفاته الحسنة بخمرة العظمة والاستكبار فاخذ يتعدى على حقوق الاهالي والاكليروس ويجري من المظالم ما لا يستطيع احد على حمله ففتنه الشعب ونهض بعضهم لخلعه فقاومهم اعوانه والمتحزبون له ومن جرى ذلك اتشبت في البلاد حروب اهلية هرقت فيها دماء كثيرة. فاعتصمت ماتيلدا تلك الفرصة وانت لمحاربتهم واستخلاص البلاد من يده فلم تنجح في اول الامر ولكنها اخيرا اسرته سنة ١١٤١ وحبسته واستولت على زمام المملكة. ولكن بعد قليل اذ لم تحسن التصرف هاج عليها الشعب فالتزمت ان يهرب ورجع اسطفان من سجنه الى تخت الملك. واذ كان ابنة الاكبر قد مات اجري عهدا مع هنري ابن ماتيلدا زوجة جوفروا بلاتاجنيت المار ذكره ماله ان اسطفان

يبقى ملكاً مدة حياته وان هنري يكون خليفة في الملك وقبل ذلك الجميع  
 ففي السنة التالية اي سنة ١١٥٤ توفي اسطنان وجلس على تخت الملكة  
 هنري المذكور وهو هنري الثاني من ملوك الانكليز والاول من العائلة  
 البلانتاجينية<sup>(١)</sup>. وكان هذا الملك على جانب عظيم من الحماة والشجاعة صاحباً  
 ومتميهاً لكل ما يأول لنجاح البلاد وكان مع ذلك غنياً جداً له جملة مقاطعات  
 في فرنسا ورنها من ايبو. فشرع حالاً بازالة القلع والحصون التي كان انشاها  
 روساء العشائر بقصد العصاوة وقت الحاجة فقلت بذلك اسباب الجروب  
 الكثيرة التي كانت تجري داخل البلاد. ثم قسم البلاد الى ست مقاطعات  
 واقام قضاة مخصوصين للفحص عن احوالها وراحة اهلها واصح الاعوجاجات  
 القديمة ونكس سطوة الاشراف فانه ذلك بالمدج والشكر من الجميع. وحدث  
 امران مهمان في مدة ولاية هذا الملك اولها مشاجرة مع توماس ابكيت رئيس  
 اساقفة كاتدريري وثانيها انضمام ايرلاندا الى انكلترا اذ كانت قبل ذلك منقسمة  
 الى خمس ولايات مستقلة. اما سبب مشاجرة هنري الثاني مع توماس ابكيت  
 فهو ان المذكور كان وزيراً فيها حاذقاً في خدمة الملك واذ كان للكنيسة في  
 ذلك الوقت مدعيات منسوبة لم يوافق عليها هنري الثاني واراد تنكيس  
 مداخلها فاتتعب وزيره توماس المذكور واقامه رئيس اساقفة املاً بنوال  
 المرغوب بواسطته. ولكنه عوضاً عن الحصول على ذلك وجد في توماس مقاومة  
 كلية جلبت عليه اكداراً بليغة. فنهض اربعة من رجال الملك هنري وذهبوا  
 الى كاتدريري وقتلوا توماس ابكيت على المدج قاصدين بذلك رضى سيدهم  
 فكان هذا العمل الفظيع سبباً لاضطرابات واتعاب كثيرة لان البابا تهدده  
 بالحرم فالنزم هنري لاجل تسكين غضب البابا ان يذهب لزيارة قبر ابكيت  
 ويظهر بذلك علامات الاسف على ما وقع. فلما وصل الى الدبر حيث كان

(١) ان هذه الكلمة هي اسم نبات اطلقت على هذه العائلة من خشبته كان بعضها

اعضاؤها في برانيطهم

التي قامت عليه زمرة الرهبان وهجموا عليه وضربوه فاحتمل منهم هنري تلك  
 المعاملة بكل طول اناة ولم ينافع عن نفسه وبناء على صبره واحتماله حصل على  
 سماج الحبر الروماني وغفرانه  
 ومن ملوك هذه الدولة ريكاردوس الملقب بقلب الاسد نتوج سنة ١١٨٩



ريكاردوس الملقب بقلب الاسد

وكان شجاعاً نشيطاً غريب القوة والبسالة محباً للحروب والمبارزات وهو الذي  
 ذكرناه في الحروب الصليبية حين ذهب مع فرقة من قومه لاجل مساعدة  
 الصليبيين واكتسب شهرة عظيمة في تلك المعارك ولكنه فيما كان راجعاً الى

بلادهم أسر في بلاد النمسا مدة سنتين ولم يتخلص من أسرهم حتى فداء قومه بمبلغ  
جسيم. ثم توفي من نبله اصابته وهو يحاصر قلعة في نورمندي. ومنهم يوحنا اخو  
ريكاردوس السالف ذكره وهو اردأ ملك قام بين ملوك الانكليز. وفي ايامه  
خسر الانكليز نورمندي والاراضي التي تملكوها في فرانس. ومن اجراءات الذميمة  
انه قتل ابن اخيه الذي كان وريث الملك عوضاً عنه فاستشاط اشراف  
الانكليز غضباً من هذه الافعال واجتمعوا في ١٩ حزيران سنة ١٢١٥ والزموا  
الملك ان يمضي نهياً على نفسه وعلى من يخلفه مآله التنازل عن السلطة المطلقة  
وهذه المعاهدة تعتبر اساس حرية الانكليز. ثم توفي سنة ١٢١٦ وخلفه ابنه هنري  
الثالث وهو في سن التسع سنين. فاستبد بالملكة ٥٥ سنة وكان صاحب مقاصد  
حسنة لكنه غير كفو للاحكام

وجلس بعده ادورد الاول سنة ١٢٧٢ ولقب بذي الساقين لطول ساقيه  
وكان فارساً مهياً حارب ببسالته في فلنطين وفي الحروب الداخلية التي انتشرت  
في انكلترا. وهو الذي تغلب على ولاية ويلس وضماها الى انكلترا اذ كانت قبل  
ذلك مستقلة. ثم انه شرع باخضاع اسكتلاندا ايضاً ولكنه لم ينجح كثيراً وقاومه  
الاهلون المرة بعد الاخرى حتى توفي وخلفه ابنه ادورد الثاني سنة ١٣٠٧ فسلك  
مسلك ابيه من جهة اخضاع اسكتلاندا ولكنه كان خالياً من فروسية ابيه  
وسياسته ومع انه زحف اليها بمئة الف مقاتل لاقاه الاسكوتسيون تحت قيادة  
رئيسهم روبرت بروس بثلاثين الفا وقتلوا جيشه فتكاد ذريعا واهلكوا منهم عدداً  
غنياً فقتل ادورد راجعاً بالخبية والقتل. ولم تكن مناقب ادورد الاخر احسن  
حالا من التي ذكرناها فان الخفة وطيشة العقل كانتا من جملة مزاياء واخيراً  
قامت عليه امرأته وحاربتة واسرته وبسبب وشايتها قتل اشنع قتله في الحبس  
ثم قام بعده ابنه ادورد الثالث سنة ١٢٢٧ وهو في سن الثاني عشرة وحكم  
ببسالته خلافاً لايه فضرب الاسكوتسيين وفاز عليهم ثم زحف على فرانس بجيش  
عظيم واقام عليها القتال مدعياً بان له حتماً في تاجها اكثر من فيليب فالوا الذي

كان وقتئذٍ على تخت مملكتها وذلك لان والدته كانت ابنة فيليب الرابع احد ملوك فرانس السالفين. فكان ذلك سبباً لتفوح الحروب المعروفة بحروب المئة سنة بين انكلترا وفرانسا التي هُرقت فيها دماء كثيرة وتأسست بسببها العداوة الشديدة بين الامتين. وفي بداية هذه الحروب طلب ادورد الثالث من ملك فرانس المبارزة الشخصية فابي فيليب واستخار ملاقاته بجيش من المقاتلين فوقع بينها قتال شديد في محل يدعى كريسي في فرانس سنة ١٢٤٦ كانت الدائرة فيه على الفرنسيين وقتل منهم في تلك المعركة نحو ثلاثين الف شخص وجعله من كبار القوم واستولى البريطانيون على عدة اماكن فرنساوية. واذ كانت مدينة كالي التي على المانش هي مفتاح فرانس للانكليز حول ادورد الثالث التفتاه نحو افتتاح تلك المدينة وبعد حصار اثني عشر شهراً استفتحها وطلب من الاهالي ان ياتوا اليه بعنة اشخاص من كبارهم لكي يقتلهم فدية عن اهل المدينة. فأول من قدم ذاته فدية عن بلاده على ما قيل رجل فاضل يدعى اوستاك ثم تبعه خمسة آخرون والحبال في اعناقهم وهم خاة الارجل. وفيما كان الملك مصمماً على قتلهم حضرت الملكة زوجة التي كانت في محاربة الاسكوتيين وتوسلت اليه بان يعفو عنهم فاجابها الى ذلك واطلهم. ومن ذلك الحين استولى الانكليز على مدينة كالي وبقيت في ايديهم نحو جيلين. وكان لادورد الثالث ابن وهو وريث عهده يلقب بالامير الاسود بسبب لون درعه والسحر الحربية فارسله ابوه سنة ١٢٥٠ لمحاربة فرانس. وكان ملكها وقتئذٍ بوحنا الصالح ابن فيليب فالوا السالف ذكره. فالتقاه بخمسين الف مقاتل ولم يكن مع الامير الاسود سوى عشرة الاف فقط فرمهم الانكليز بالنبال واتصروا عليهم واسروا ملكهم واخذوه الى مدينة لندن حيث بقي تحت الحفظ حتى مات. وسنة ١٢٧٦ توفي الامير الاسود وبعده بسنة لحقه ابوه. ومن كل هذه الحروب لم تكتسب انكلترا الا ثلاث مدن شهيرة وهي كالي وبوردو وبابون وقد ظهر في عصر هذا الملك رجل له بوحنا ويكليف من اعمال

بورك ولد سنة ١٢٢٤ وكان متفناً في العلوم صاحب عقل ثاقب فانتخب رئيساً للمدرسة الكلية في كانتربري واذ كان له آراء دينية مخالفة للمعتد الروماني لم يتوقف عن اشهارها فشرع ينادي ويعلم بها علانية منها عدم وجوب الرهبنة وانكار سلطة الباباوات الروحية والزمنية وانكار الاستحالة وعدم لزوم الاعتراف وعدم التسليم بهلاك الاطفال الذين يموتون بدون معمودية الى غير ذلك فوافقة كثير من الناس واصبحت تلك التعاليم موضوع المذاكرة والجدل عند البعض حتى صار له جملة تلامذة تابعين افكاره فكان ذلك اول صوت يودي به للإصلاح ويعدّه البروتستانت خميرة لتعاليم يوحنا هوس وجيروم دي براك ومرتينوس اوثيروس ولذلك يسمون ويكليف المذكور نجمة صبح الإصلاح. اما الكنيسة الرومانية فحسبت ويكليف المذكور من اعظم المجرمين بالهرطقة وبناء عليه صدر امر البابا غريغوريوس الحادي عشر الى اسقف لندن ورئيس اساقفة كانتربري بان يلقوا القبض على ويكليف ويظنوا خبره فدعوه الى مجمع للمحاكمة ولكنهم لم يستطيعوا ان يصدروا عليه حكماً لان احد امراء الانكليز تصدى لحمايته فاطلقوه من بعد ما حرضوه على حفظ السكوت. اما هو فازداد غيرة واخذ يعلم باكثر نشاط حتى التزم الباباويون ان يهتموا في اطفاء مناعيل تلك التعاليم فعدوا مجعاً في مدينة لندن سنة ١٢٨٢ وحكموا بالهرطقة على بعض تعاليمه واخرجوه من مدينة اوكسفورد خوفاً من ازدياد الشر. ولهذا العالم جملة مؤلفات وله ايضاً ترجمة انكليزية للتوراة

وفي ايام ريكاردوس الثاني ابن الامير الاسود الذي خلف جدّه ادورد الثالث تركت الاحكام في انكلترا لتهامل الملك وانها كره باللذات فنشأ عن ذلك ثورة كان رئيسها رجل حداد يدعى وات تايلر ومعه جملة رفقاء آخرين فمشوا على لندن بمئة الف مقاتل واضروا بالبلاد ضرراً بليغاً. فالتقام الملك ومهد الامور بحسن سياسته بعد ان قتل رئيس تلك الفتنة فانفض النزاع مؤقتاً ولكن بعد ذلك بقليل اشتعلت نيرانه ثانية وزاد مقت الشعب للملك لتساوتهم

وسوء تدبيره فانزلوه عن الكرسي وحجزوا عليه في قلعة وهناك قتل او مات  
جوعاً وبه انتهى تلك العائلة البلاطاجينية وكان عدد ملوكها ثمانية وعدد ملوك  
نورمنديّة سلفاتهم اربعة

## الباب الخامس

في ذكر ملوك عائلة لانكستر وعائلة يورك من سنة ١٣٩٩  
الى سنة ١٤١٥

انه بعد انقراض العائلتين السالف ذكرهما تناول تاج انكلترا عائلة لانكستر  
ونسبت هكذا نسبة الى دوك لانكستر اول ملوكها. وكان الدوك المذكور من  
العائلة الملكية مشهوراً بين قوميه ومقبولاً عند الاكثرين وهو المحرك للحادثة  
المذكورة في الباب السابق التي بها قتل ريكاردوس السالف ذكره. فلما بلغ  
دوك لانكستر ما كان يتمناه من قتل ريكاردوس اغضب تحت الملك لنفسه  
سنة ١٤٠٠ وقبل به الجميع ودعي هنري الرابع وفي مدة حكمه حاج عليه فقتل  
كان مناساً على واحدة منها رئيس اساقفة يورك ولم يبلغ منشأها من هنري  
مأرباً فانه قهرها ومات بسلام بعدما حكم جملة سنين

وسنة ١٤١٣ تولى سرير انكلترا هنري الخامس ابن السالف ذكره وكان  
جسوراً مهيباً فبعد جلوسه بستين زحف لمحاربة فرنسا وبينما افتتح بلادهم  
ونملكها وانتشرت في اطرافها الجنود الانكليزية واستولى زمامها الحكام البريتانيون  
واضحى الاهلون في ضنك عظيم بكابدون الذل والجور العنيف. ولكن لم ينل  
هنري ثمرة انعايه لانه في وسط انتصاراته توفي وهو في من الاربع والثلاثين. وقام  
بعده ابنه هنري السادس وهو في من الثمعة اشهر فوضع على راسه تاجا فرانساً

وانكلترا وهو في حضان مرضعة في مدينة باريس وكانت فرانسوا اذ ذاك دولة انكليزية ولكن لم يمض على ذلك الا بضع سنين حتى تخلص الفرانساويون من نير الانكليزي واخرجوهم من البلاد شيئاً فشيئاً بواسطة امراة فرنساوية كما اوضحنا في الكلام عن فرانسوا ولم يبق في ايديهم الا بعض الاماكن فقط فخلع حينئذ ناچ فرانسوا عن راس هنري السادس الذي لعدم اهليته للاحكام كان ناچ انكلترا ايضاً سبباً لفقد حياته فيما بعد. والسبب في ذلك هو انه كان لطيف المزاج بسيط القلب لا يصلح للموظائف الملكية في تلك الاعصار فكان محقرًا بين قومه وكانت امراته مرغريت انجو تحكم عليه حكم الام على ولدها . وفي ايام هذا الملك حدثت الحروب الاهلية المعروفة بحروب الورد التي دامت مدة ثلاثين سنة . وكان السبب في ذلك هو ان وريثة ريكاردوس الثاني الذين اغتصب منهم ناچ الملك الدوك لانكستر بعد ان عمل على قتل الملك كما تقدم القول انتظروا فرصة مناسبة لخلع الطاعة واخذ الثار فلم يستطيعوا على التظاهر في ايام تملكه ولا في مدة تملك ابنه هنري الخامس لانها كانا جبارين عنيدين يخافها الجميع ولكن عند تولي هنري السادس نهضوا لطلب استرجاع الملك الى العائلة السابقة وكان وقتئذ الدوك بورك هو الوريث الاقرب من تلك العائلة فقام سنة ١٤٥٥ وحمل السلاح ضد الملك وتحزب معه جمهور غفير ولولا مرغريت زوجة هنري السادس وتحزب القسم الاكبر من الاشراف لكان فاز الدوك بورك بمقاصده ورفع التاج عن راس خصمه . فمن ذلك الحين انقسمت انكلترا الى حزبين كبيرين يتنازرا رجال الواحد عن الاخر بلبس وردة من شريط مختلفة الالوان اما على برانيطهم او على صدورهم فكان حزب اليوركيين اي التابعين للدوك بورك يلبسون وردة من شريط ابيض والحزب الملكي يلبس وردة من شريط احمر ومن ذلك نسمت تلك الحروب حروب الورد مع انه كان الاولى تسميتها حروب الشوك لانها هشتت عدداً كبيراً من الفريقين وافلقت البلاد زماناً طويلاً فضلاً عن الخسائر الجسيمة التي احدثتها . وفي سنة ١٤٦١ غلب حزب



الورد الأبيض تحت قيادة الأمير وادويك حزب الورد الأحمر بعدما قتل منه  
 ٢٦ ألفاً وأسروا الملك فنودي باسم الدوك يورك ملكاً على بريطانيا العظمى  
 وأقرب ادورد الرابع ولكن بعد ذلك بقليل وقع الخصام بين الأمير وادويك  
 وبين الملك ادورد فاخرج هنري السادس من السجن واجلسه على تخت الملك  
 والتزم ادورد ان يهرب الى فرنسا ولكنه لم يفر عن مداومة الحرب حتى انتصر  
 مع حزبه على الحزب الملكي واسترجع تاج الملكة بعدما قتل هنري السادس  
 مائة سنة ١٤٦٤ وحكم الى سنة ١٤٨٢ واظهر من الفسادة ما لا مزيد عليه حتى  
 انه امر بقتل احد اخوته ولكن اشفاقاً عليه خيره بابة مينة يريد ان يموت واذ  
 كان اخوه من محبي المسكرات اخنار ان يوضع في برميل مملوء من البيذ ويقفل  
 عليه ففعل به كما طلب ومات على تلك الصورة

اما احوال الامة الانكليزية فكانت في ذلك الجيل آخذة في النجاح  
 ولا سيما زراعتها حتى ان الفلاحين الذين من اوطأ درجة صاروا اصحاب اراضي  
 وكان لهم حق الاشتراك في انتخاب وفاق الهامين . واذ كثر عدد الذين  
 يتخبون وكان ذلك موجبا للارتباك اصدرت الحكومة سنة ١٦٠٦ لائحة لاحق لاحد  
 ان يكون من ذوي الاصوات في الانتخاب ما لم يكن صاحب ايراد ليرتين  
 انكليزيتين من ملك خاص له وبما ان النفود في ذلك الجيل كانت قليلة انحصر  
 حتى اعطاء الصوت في ذوي الاقتدار من اهل الفلاحة فانت تلك الشريعة  
 بالغاية المطلوبة . وكان للنفود قيمة هذا مقدارها حتى انه من صرف ١٢ ليرة  
 في السنة حسب من اصحاب الثروة العظيمة ومن المعلوم ان الابرادات كانت  
 وقتئذ قليلة فان معاش القضاة الذين ياخذون الآن من الالفين الى الثلاثة  
 الاف ليرة كانت في ذلك الوقت ٧٢ ليرة وكانت الالبسة ايضا ذات قيمة  
 كبيرة حتى انه كان يوصى بها من سلف الى خلف كارث . وكانت ومناطق  
 المواصلات عسرة جدا بحيث لم يرغب احد في التغرب عن بلاده فانه ما عدا  
 السائح الذاهب لزيارة الاراضي المقدسة والتاجر الذي يقصد الموالد لاجل بيع

بضائمو بالكذ كنت ترى رجلاً يتجاسر على ترك وطنه. وكانت الكتابة غير معروفة  
الأ عند القليل الى ان اوجد فن الطبع رجل يدعى كاكستون فاخذت حينئذ  
المعارف في الامتداد وطبعت الكتب المقدسة وانتشرت الانارة الحقيقية التي  
كانت بلا شك واسطة للاصلاح

وسنة ١٤٨٣ توفي أدورد الرابع وترك ولدين أكبرها نسي ادورد الخامس  
وكانا كلاهما تحت وصاية عمهما ريكاردوس الدوك غلوسستر الذي بالحال وضع  
عينه على تاج الملك واعتمد بان يقتصبه لنفسه فاخذ يستعمل الوسائط اللازمة  
لذلك فزال كل ما رآه مانعاً لنوال مقصده وامات جملة من مقاوميه واخيراً  
ارسل من خنق الاخوين معاً وها في برج لندن واشهر ذاته ملكاً ونسي  
ريكاردوس الثالث ولكن لم تطل عليه السنون حتى قتل في حرب اقامها عليه  
هنري تيودر الوريث الوحيد لهنري السادس الملك السابق وكان ذلك بمساعدة  
فرانسا التي قدمت له جميع مهام الحرب . وموت ريكاردوس الثالث انتهت  
حروب الورد التي هلك فيها ١٠٠ الف نفس بعد ما دامت ٣٠ سنة . وانتهى  
ايضاً حكم العائلة الهوركية المتسلسلة من العائلة البلانتاجينية

## الباب السادس

في تملك العائلة التيودرية من سنة ١٤٨٥ الى سنة ١٦٠٢

ان الملوك الذين نبأوا تحت انكلترا من هذه العائلة خمسة . اولهم هنري  
تيودر المتقدم ذكره وهو هنري السابع قام سنة ١٤٨٥ وكان محباً للهدوكارها  
الحروب والقتل وهو اول من شرع بما هو جارٍ عليه الحال الى الآن في عدم  
اشهار الحرب عاجلاً عند وقوع النزاع بين دولة ودولة واستعمال طول الاناة  
لاجل القنابر ونعاطي وسائط السلم اولاً ثم توسط الغير لازالة الموانع اذا امكن  
ذلك قبل المبادرة لسفك الدم . وهو نعم المشروع . ودلالة لكرهه الحروب

عقد تحالفاً دائماً مع جيمس الرابع ملك اسكتلندا وازوجهُ بابتو مرغريت  
 وازوج ابنة ارثور بكاترينا ابنة فرديناند وايزابلاً ملك وملكة اسبانيا ولكن اذ  
 قُضي على ارثور بعد زواجه بوقتٍ وجيز اجتهد ملك انكلترا ان يزوج كاترينا  
 بابو الثاني هنري فاستحصل الرخصة اللازمة من البابا وعقد كتاب خطبتها  
 وكانت سياسة هنري السابع متجهة بالاختصاص الى تخفيف سطوة العشائر في البلاد  
 فادخل اواسط الشعب في الخدمات الاميرية وقدمهم حتى انه رفع الامتيازات  
 التي كانت تُدعى بها اهل العشائر الى ذلك الوقت وفي ايامه قام رجلان  
 دجالان ادعيا بحقتها لتاج الملك اكثر من هنري السابع فكان احدهما ابن  
 رجل خباز قال عن نفسه انه ابن اخ ادورد الرابع والاخر ابن رجل جزار  
 دعي بانه هو احد الاميرين الصغيرين اللذين امامها الملك ريكاردوس في  
 البرج كما سبقت الاشارة الى ذلك . فكانت هذه الثمنة سبباً لهيجان عظيم لان  
 كثيراً من الناس ومن الاشراف تحزبوا لهذين الرجلين وتظاهروا بالعصاة  
 ولكن اخيراً نجحت الحكومة بالثناء القبض عليهما فامرت بشنق ان الخباز واما  
 ابن الجزار فجعل خادماً يغسل الصعود في مطبخ الملك . وقد خسرت انكلترا  
 في ايامه مقاطعة برينانيا وهي املاكها الوحيدة الباقية لها في فرانساً وذلك بدون  
 حرب لانه اذ كان هنري السابع محبباً للمال ومبغضاً للحروب قبل من كارلوس  
 الثامن ملك فرانساً مبلغ ٤٠٠ الف ليرة لاجل تنازله عن تلك المقاطعة وكان  
 داب هنري جمع المال فكان يخصص لنفسه كل ما وصلت اليه يده حتى انه  
 بعد موته وجد في قصرة مبلغ عظيم بماكي العشرة ملايين ليرة انكليزية

ثانيهم هنري الثامن وهو ابن السالف ذكره . لبس التاج سنة ١٥٠٩ وهو  
 ابن ثمانى عشرة سنة فكان بارعاً عالماً ولكنه كان ايضاً عبيداً فاسياً سريع  
 الغضب كثيراً ما امر بقتل بعض الشعب وهو في حلة خلفه . وكان له ست  
 زوجات احدهن ماتت موتاً طبيعياً واثنان طلقها واثنان قتلها واما السادسة  
 فحضرت دفنه . وكانت امراته الاولى كاترينا وزوجة اخيه ارثور . زُف عليها بعد

جلوسه وليث معه ١٨ سنة وولدت له جملة اولادٍ ماتوا جميعاً في طفوليتهم ما عدا ابنة يقال لها ماري. واذ كان هنري يشتهي اولاداً ذكوراً ليخلفوه في الملك وكان قد وقع في حب ابنة من الاشراف سعى في تخلية كاترينا وطلب من البابا اكليمنضس الثاني ان ياذن له بذلك وكان البابا وقتئذٍ تحت الترسيم في قبضة كارلوس الخامس سلطان جرمانيا والمالك الغربية فخاف من اعطاء الرخصة في تخلية كاترينا اذ كانت ابنة اخ كارلوس الخامس السائد السلطة في اوروبا ولكنه لاجل عدم انتظامه في مقاومة ملك الانكليز ارسل قاصداً من طرفه لاستماع الدعوى في انكلترا فابت كاترينا الدخول في المرافعة ورفعت دعواها الى رومية فرجع القاصد كما اتى . حينئذٍ اجتمع روساء الدين في انكلترا واصدروا قراراً بان زواج هنري بكاترينا كان غير جائز من اوله لانها امراة اخيه فطلعت . وقد حارب هذا الملك فرانسوا ثلاث مرات مرةً باتحاد عمه ملك اسبانيا اي امراته حين استولت تلك الملكة على مقاطعة نافار الفرنسية ومرتين بالاتحاد مع شارل كان . وفي ايامه هاجم الاسكوتسيون انكلترا مرتين ورجعوا خائبين بعد ان قُتل ملكهم حمس الرابع في أثناء المعركة . وحدث في داخل البلاد جملة اصلاحات انت الشعب الانكليزي بفوائد حجة . ومن اعظم ما اشهر به هنري الثامن اعتناقه المذهب البروتستانتي من بعدما كان له عدواً ألد في اول الامر وكان كتب والف كتاباً ردّاً على لوثيروس ساه السبعة الاسرار الذي لاجله لقبه البابا ليون العاشر محامي الايمان . فعصد هنري الاصلاح الى درجة منكرة حتى انه كان يامر بقتل من لا يقبله وقد ترجمت وطبعت في ايامه الكتب المقدسة باللغة الانكليزية وانضمت مقاطعة ويلس الى انكلترا وصارت ترسل نواباً من طرفها الى المجلس الكبير ثم مات اخيراً سنة ١٥٤٧ وهو في سن الست والخمسين اما الملك الثالث فهو ادورد السادس ابن هنري الثامن وكان عمره عشر سنين عند جلوسه على كرسي الملكة فكان شاباً ظريفاً ذا معرفة وسياسة ولكنه لم يعيش زماناً طويلاً فتوفي بمرض السل وهو في سن الست عشرة

الرابع الملكة مريم شقيقة ادورد المذكور تبوأَت تخت الملك سنة ١٥٥٢  
وتزوجت في السنة التالية بفيليب الثاني ملك اسبانيا وهو ابن شارلكان المشهور  
ولُقبت بالدموية لانها اذ كانت تابعة المذهب الروماني اجتمعت ان تزيل  
المعتقد البروتستانتى فامرت بحرق من انكر سلطة البابا حتى ان كثيرين من  
الاساقفة والقسوس الانجيليين هلكوا في وسط لهيب النار في ايامها . وكان المجلس  
الكبير قد قاومها على هذه الاعمال الفظيعة فخلعت اعضاءه واقامت مكانهم اناساً  
اخرين، من خضعوا لاوامرها فوافقوها على هذا المشروع واصدروا امراً بآبادة  
وملاشاة مسيبي الهرطقة فكان عدد من قتل منهم ٢٧٧ نفرًا اكثرهم من اعيان  
الناس واكابرهم ثم قطعوا النفقات المعينة لمعاش الاكليروس المتزوج هذا ما  
عنا البلبص والدمدي الذي جرى على كثيرين . وقد اشهرت هذه الملكة الحرب  
على فرانساً مساعداً لزوجها فيليب ملك اسبانيا فلم يات ذلك انكثرا سوى  
خسارة مدينة كالي التي كان لها حينئذ ٢١١ سنة تحت تملكها . وكانت مدة  
ملك مريم المذكورة خمس سنين وماتت في حالة نعيسة من شدة الوسوس والغوم  
التي كانت قد تراكت عليها

الخامس الملكة اليسانبات ابنة هنري الثامن واخت مريم المذكورة من ام  
اخرى تتوَّجت سنة ١٥٥٨ او كانت بروتستانتية ولكنها لم تتعرض لاذية الكاثوليكين  
وقد ساعدت الاسكوتسيين على طلب حريتهم في امر الدين فاخذ الاصلاح يمتد  
وينتشر في تلك البلاد حتى عمَّ اكثر اقاليمها وبلدانها وبالاجال نقول ان  
انكثرا في ايام هذه الملكة العظيمة وصلت الى اعلى درجات المجد والفخار لان  
سياستها وحسن تدبيرها كانا احسن مما وجد الى ذلك الحين وكانت مع هذه  
الاوصاف على جانب عظيم من الحداقة والحزم والجمال والشفقة . وكان قد طلبها  
كثيرون من اشراف البلاد ليتزوجوا بها فلم تقبل واختارت ان تبقى حرة رئيسة  
على جسدها كما كانت على مملكتها وكانت بهذا المقدار تأنف من الزواج حتى انها  
كانت تظهر الاسف والحزن عندما يبلغها زواج من تعرفهن من السيدات .

وكان قد خطبها لنفسه فيليب الثاني ملك اسبانيا فابت وامتنعت فاغناظ منها  
وصم على افتتاح بلادها فجهز عمارة بحرية وارسلها سرا لتلك الاطراف لاختضاع  
الولايات البريتانية فهاجت عليها عواصف شديدة اعدمت جانباً منها واما ما  
سلم من العواصف فالتفتة العبارة الانكليزية

ولهذه الملكة بعض اعمال قاسية تحاكي اعمال ابيها هنري الثامن منها انها  
امرت بقتل مريم ملكة اسكوتسيا التي انت الى انكلترا طالبة الحماية من  
مقاوميتها بعد ان حجرت عليها نحو ١٩ سنة . ولكن نجاح الملكة وتقدمها . سواء  
كان بحسن سياستها ام بواسطة الرجال العظام الذين اشتهروا في ذلك  
الوقت واعانوا على انتشار المعارف والصنائع اخفي نقائصها وزلاتها . وفي مدة  
تلك هذه الملكة حصلت مذبحه ماربرثالموس في فرانسوا حيث قتل جمهور غفير  
من البروتستانت فكان امتداد المعتقد البروتستانتى سبباً لمقاومات وحروب  
كثيرة في اوروبا وكان اكثرهم جرمانيين وفرنساويين وهولانديين فكانوا  
يزكون بلادهم ويذهبون للاحتفاء في اماكن مختلفة اخصها انكلترا لان اليصابات  
كانت تحمي كل من استجار بها من هذا القبيل وادخلوا معهم جملة من الصنائع  
والفنون مما كان مجهولاً او غير متقن في انكلترا فكان ذلك من جملة اسباب  
التقدم والنجاح . وفي مدة حكم اليصابات ادخل الهولانديون الشاي الى انكلترا  
والجرمانيون الساعات وادخل احد امراء الانكليز التبغ والبطايا سنة ١٥٨٠  
عملت المركبات وفي سنة ١٦٠٠ تشكلت شراكة الهند الشرقية التي كانت سبباً  
لادخال كل تلك البلاد في طاعة بريطانيا الى الآن هذا ما عدا التآليف  
العديدة وترجمة الكتب الكثيرة التي اتى بها رجال ذلك العصر ثم توفيت هذه  
الملكة في سن السبعين وتركت الاسف والحزن لشعب الانكليز اذ لم يقم قط في  
انكلترا من يسوس البلاد مثل تلك الجلياة

## الباب السابع

### في تملك عائلة استوارت

ان اصل ملوك هذه الدولة من اسكوتسيا وكانت اكثر ايامهم عديمة الراحة والانتظام من جرى النزاع والمشاجرات المستطيلة التي كانت تحدث من الشعب ضد السلطة المطلقة سواء كان من طرف الحكام ام من طرف الامراء العظام الامر الذي كان قد افاق الملكة وافقد المجلس نفوذه الشرعي وفي اثناء تلك المشاجرات انتقلت الحكومة مدة من حالة الملكية الى حالة المشيخة تحت رئاسة اوليفر كروموويل كما ستقف عليه . وبعد موت اليبصابات خلفها جس استوارت وهو اول ملوك انكلترا بهذا الاسم والسادس في اسكوتلاندا وكان ابتداء حكمه سنة ١٦٠٢ وكان السبب في انتخابه ملكا هو ان اليبصابات عند موتها كانت قد اقرت له بالخلافة من بعدها لانه كان ابن ابن ابنة هنري السابع ملكة اسكوتسيا التي قطعت اليبصابات راسها . ومن ذلك الوقت انضمت اسكوتسيا الى بريطانيا العظمى وصارتا تحت حكم ملك واحد وكان هذا الملك حاذقا اديبا نجيبا بارعا في العلوم والمعارف محبا للطلعات وقد ألف كتباً عديدة مفيدة وكان متمكنا في اللغة العبرانية واليونانية واللاتينية مغرما بالتكلم بها حتى ان وزراءه كان يصعب عليهم احيانا كثيرة ان يفهموا معنى كلامه واما هو فكان يحسب نفسه من درجة سليمان في الحكمة . وفي ايامه حاول بعض الباباويين احراق مجلس البرلمان من فيه بغضا للبروتستانت الذين كانوا يزددون ويتقدمون بمقدار ما كان اولئك ينقصون ويتأخرون فصنعوا كميناً وضعوا فيه ٢٥ برميلا من البارود وبينما كانوا يترقبون فرصة مناسبة لانتماء هذا العمل اكتشف الملك جس على هذه المكيدة فبادر في الحال وارسل حراسا

يراقبون اعمال المشتركين في تلك الدسيسة فوقعت يدهم على رجل اسمه كاي فوكس وهو في نفس المكان حيث كان البارود موضوعاً فقبضوا عليه واحضروه امام الملك واخذوا يستنطقونه فاعترف بحقيقة الحال واقر عن ثمانين رجلاً من رفقائه فاحضرهم الملك وحكم عليهم جميعاً بالموت . وكان لمجلس صفة حميدة نادرة الوجود عند الملوك بنوع الاجال وهي انه كان مبعوضاً للحروب ولذلك قضى مدة حكمه في السلم وتحسين احوال الرعية ومات سنة ١٦٢٥ وخلفه ابنه كارلوس الاول

وكانت مدة كارلوس متعبة اكثر من زمان ابيه وذلك لانه كان وقتئذ كثير من البروتستانت يقاومون كيسة الملكة والاساقفة لاجل تشبههم وتسمكهم بالاحتفالات والعوائد الرومانية التي بقيت من بعد خلع الاعتقاد الكاثوليكي . وجانب اخر من الشعب كان يعتقد بان ملوك انكلترا لهم سطوة اكثر من اللازم ولذلك قصدوا ان يضعوا حداً لهذه السلطة وان يجعلوا الملك يملك لاجل مجرد انشراح ومجده بل لاجل خير الشعب . واما كارلوس فلم يخضع لهذه الاعتقادات والتصورات حاسباً ان عامة الناس خلّفوا لاجل تسلط الملوك عليهم فقط . ففي بداية حكمه اثار اضطرابات على الطائفة الانجيلية ولم يسمح لاحد من قسوسهم ان يباشرو عظاماً ولا للشعب ان يحضروا الى الكنيسة لاجل استماع الوعظ وضايقتهم كثيراً لکنه لم يجسر ان يامر بحرقهم بالنار كما فعلت الملكة مريم فسافر كثير من منهم الى اميركا طالبين حرية الدين وكان يوحنا هـ دين ويوحنا ييم واوليفر كرومويل وغيرهم من الذوات المشهورين قد صموا على السفر الى اميركا فتمهم الملك فصاروا بعد حين اقوى اعدائه

وكان البارليمنت ( مجلس الامة ) الى حين حكم كارلوس الاول لم يجسر اعضاؤه قط على مقاومة ارادة الملك واما الآن فوقع بينهم وبين كارلوس مشاجرات مستديمة واصروا على حفظ حقوقهم وكرامتهم وعدم اطلاق العنان للملك فكان ذلك سبباً لعزلهم من مناصبهم وتولية خلفهم وما يستحق الاستغراب



انه كلما اقام الملك مجلساً جديداً وجد مقاومة من اعضائه اشد من سلفائهم لان روح الحرية كان قد تمكن في صدور العامة والنور كشف عن بصيرتهم رداء الاستعباد لارادة شخص مطلق التصرف . وما زال الحال يزداد يوماً فيوماً حتى لم يبق وجه لصرف هذا المشكل بالكلام فتسلخ الفريقان ونهضا المحاربة بعضهم بعضاً وكانت اكثرية عطاء انكلترا واسكوتلاندا واساقفة الكنيسة الانكليزية واكليسوسها مع جميع شبان الملكة الفطاحل متحزبين للملك كارلوس واما حزب المجلس فكان بعض الشرفاء والاكثرون كانوا من اهل الصنائع وعامة الشعب فعزم هولاء على مقاومة الملك وحزبه وصموا انهم لا ينثنون عن عزمهم ولو صرفوا جميع اموالهم فابتدأت الحرب بين الفريقين سنة ١٧٤٢ وحدثت مواقع كثيرة بينها جرت فيها الدماء كالغدران وكان من جملة المتحزبين للمجلس رجل يقال له اوليفر كرومويل من عائلة معتبرة موصوفاً بالشجاعة وعلو الهمة فنهض لمقاومة الملك واعوانه وعين على نفقة نفسه الآيا من العساكر الجهادية كان هو مديرها ورئيسها فنجح في اعماله واشتهر في مواقع حتى ارتقى الى رتبة فريق ولامر بريدته الله انتصر في موقعين عظيمتين احدهما في مارستين مور سنة ١٧٤٤ والآخرى في ناسي سنة ١٧٤٥ فالنزم الملك كارلوس ان يسلم نفسه لاحكام القضاء والقدر اذ لم يجد مكاناً للتخلص من ايدي مقاوميه فقبض عليه اوليفر كرومويل والناه في قصره تحت الترسيم واخذ كرومويل من ذلك الحين يوجه افكاره وآماله الى الجلوس على سرير الملكة فاستعمل لذلك الوسائط المناسبة واستمال اليه قلوب العساكر وقواد الجيوش ثم اشتغل في اقناع المجلس ان يحكم بقتل الملك كارلوس واذ رأى كثيرين منهم لا يوافقونه في هذا الرأي وضع السيف في اعناق البعض ونفى البعض منهم ولم يبق في المجلس الا من كان موافقاً له ولما تم له ما اراد اقام محاكمة كارلوس بحضور اعضاء المجلس فوجد خائفاً مستغنى الموت فاضطرب الشعب من هذا الحكم واستعظوه ولكن لم يستطع احد ان يحرّك ساكناً لان هيبة كرومويل وسطوته كانتا كافيتين لمنع

العصاة والشقاق . فعند ذلك امر باحضار الملك من قصره الى محل القتل فأُتي به في ٣٠ تشرين الثاني سنة ١٦٤٩ حيث كان موضوعاً قطعة من خشب والجلاد يبلطيه واقفاً بالقرب منها وعساكر كرومويل وقواً بسلاحهم حوله فتقدم الملك نحوهم بكل ثبات وهدو وقال لقد نزعوا عني تاجي الذي بنى ولكي ذاهب لانا لتاجاً لن بنى ثم جئنا على ركبته وصلى ثم التفت نحو الشعب وودعهم وبعد ذلك وضع عنقه على تلك الخشبة المذكورة فرفع الجلاد بلطته وقطع بها راس الملك . وكان الملك قد ترك ولداً ذكراً فخاف كرومويل من عاقبة امره لئلا يهيج الشعب ثانية ويدعي بالارث فيبادر في الحال باجراء التنيش عليه ليهلكه فعثرت به الجنود وهو مع زمرة من المتحزين له فاحاطوا به وضابطوه ولكنه اخيراً تخلص من بين ايديهم وهرب

فلما خلت كرسي مملكة انكلترا من ملك او ولي عهد تجمعت عظماء الشعب واكابر الاشراف واقاموا عليها مديراً ورئيساً كرومويل المذكور واطلقوا عليه اسم محامي انكلترا وسموا حكومتهم الحالية بالجمهورية فكان كرومويل يتعاطى مهام الاحكام ورياسة الجيوش فارفع قدره وانتشر ذكره ووقعت هيبته في قلوب الناس وما زالت سطوته تمتد في البلاد حتى انه في اقرب وقت استولى على زمام المملكة فنفر اعضاء المجلس الكبير من هذا الامر واعترضوه على ذلك اما هو فلم يلتفت اليهم بل عزلهم في الحال واقام اناساً غيرهم ممن كان ياتئمنهم ويعتد عليهم الا انهم لم يقوموا بوظائفهم اكثر من خمسة اشهر حتى استعفوا جميعهم فقبل استعفائهم حالاً اذ كان ذلك اعز مشتهاه وغاية متمناه

وسنة ١٦٥٤ نودي به السيد المحامي لجمهورية انكلترا وبقي متقلداً ذلك المنصب مدة اربع سنوات وكان حاكماً حازماً ذا اقتدار وسطوة مهيبة مكرماً من اهل المملكة وسائر الدول وكان دائماً لابساً درعاً نحت ثيابه خوفاً من غدر اعدائه واستمر كذلك الى ان مات محموراً سنة ١٦٥٨ وهو في سن التسع والخمسين وخطبه ابنة ريكاردس في نفس المنصب ولكنه لم يكن كفواً له واذ لم

يمكنه ان يجعل اهل المملكة تنقاد لاوامره خلع نفسه من الوظيفة فاصبحت الحكومة في قلق واضطراب واشتاق الشعب الى ترجيع سليله ملوكهم ظانين ان الحكومة لا تفتح ثانية الا تحت زمام احكامهم وكان الجنرال جورج منك اول رجل ذي سطوة وهيبة في العسكرية بعد موت كرومويل المذكور فدعا بكر كارلوس الاول للرجوع الى بلاده ووعده بمساعدة العسكرة لأجل تسميته ملكا وكان هذا الامير المنفي قد صرف زمان غربته في اماكن مختلفة في اوروبا واتصل الى ادنى درجة من الفاقة فاسرع بالرجوع الى انكلترا ودخل مدينة لندن بكل عز واکرام ففرح الشعب بقده ووتوجوه سنة ١٦٦٠ ولقبوه بكارلوس الثاني ولما استبد بزمام الاحكام وصنت له الايام امر بشق كثيرين من الاشخاص الذين تداخلوا بقتل ابيه الملك السابق ثم اخرج جثة اوليهر كرومويل من مدفنها وامر بتعليقها على المشنقة ثم اعادها الى مكانها

وكان كارلوس الثاني هذا قد عاش عيشة رخية مدة ثمانية وعشرون سنة عند جلوسه على كرسي المملكة استمر على ما كان عليه وصرف اكثر ايامه ولياليه في شرب الخمر وفي قضاء شهواته الدنية . وافق سنة ١٦٦٥ ان انكلترا اقامت حربا على هولاندا مدعية انها تتعرض لتعطيل تجارتها فارسلت عمارة بحرية تحوي على ١٤ قطعة بحرية تحت رياسة الدوك يورك اخي الملك واعد وصولها الى تلك الاطراف اشتبك القتال بين الطرفين في ٢١ نيسان من السنة المذكورة كان النصر فيها للانكليز ثم في السنة نفسها حدث وباء عظيم في مدينة لندن اهلك تسعين الف نسمة من الاهالي في سنة واحدة ثم اعقبه حريق مهول احرق ثلثة عشر الف بيت من المدينة ولم تؤثر هاتان الضربتان ادنى تاثير في الملك بل استمر على حاله المعهودة . وكان قد سلم زمام الاحكام بايدي اناس من اهل الشقاوة عديمي المعرفة والشفقة حتى ان الديانة والفضيلة حسبما خيانة ورذيلة في مدة حكمه . وقد حدثت موقعتان اخريان بين انكلترا وهولاندا كانتا النائرة فيها على الانكليز واخيرا وقع الصلح بين الدولتين وصار امضاء المعاهدة

في بريدا في ١٠ تموز سنة ١٦٦٧ وفي تلك المعاهدة اعطت هولاندا لانكلترا مدينة نيويورك من تملكاتها في اميركا وكان مقصد انكلترا في اتحادها مع هولاندا ان تقاوم مطامع فرانسوا في افتتاحها فارسلت قاصداً من طرفها الى هولاندا وعقدت معها صلحاً واشترك معها في هذا الاتحاد مملكة اسوج ونروج فسمي ذلك الاتحاد الثلث . ومن سياسة هذا الملك المقنونة انه ابطل بعض شوائع الملكة بدون مخامرة المجلس واقام خمسة نواب من اشراف الملكة للقيام بمهام الملكة وتأييد سلطته المطلقة بدون التفات الى البرلمان فعقد هولاء عهداً مع لويس الرابع عشر ملك فرانسوا على حرب هولاندا براً وبحراً ونهب اموالها وابادة مشيختها فلم يصدق الهولانديون هذا الخبر ولكنهم تحققوه عندما اشهر الملك كارلوس الحرب عليهم سنة ١٦٦٢ باتحاد فرانسوا فكان هذا الامر يعد من اعظم العيوب نظراً للمعاهدات التي كانوا قد اتفقوا عليها . ومن ثم انتشبت الحرب بحراً بين العارة الانكليزية والعارة الهولاندية وكانت العارة الفرنسية هالك فلم تات الانكليز بالمساعدة المطلوبة وبعد عدة وقائع انسحبت عارة هولاندا من ميدان المعركة ولم تتبعها عارة الانكليز فكانت غلبة غير كاملة ثم بعد ذلك غزا الفرنسيون هولاندا براً واضروا باهلها ضرراً جسيماً كما سنذكر ذلك مفصلاً في محله . واذ لم تجن انكلترا ثمرة من هذه الحروب الا هلاك رجالها وصرف اموالها ونهب المجلس اعمال الملك على سوء تصرفه بتلك السياسة وعلى ابطاله شريعة قصاص مخالف للاصلاح الديني فان العامة اعتبرته نعمة للباباويين وتعدياً على حقوق المجلس في ابطال شيء كان قد عقده فسلم الملك لدعوى المجلس وابطل مجلس النواب المذكور ثم عقد الصلح مع هولاندا وزوج ابنته مريم بالبرنس وليم اورانج الهولاندي لتوطيد روابط المحبة والاتحاد . وكان قد حدث جملة اضطرابات في داخلية البلاد من جهة الدين والدنيا لم يتصرف بها كارلوس التصرف الحسن واستمر على حاله الى ان مات سنة ١٦٨٥ وخلفه اخوه جيمس الثاني

وكان جسم المذكور كاثوليكيًا في اعتقاده ولم يكن اهتمامه إلا في كيفية ارجاع شعب بريطانيا العظمى ثانية تحت سلطة بابا رومية وبهذا العجل جلب على نفسه بغض رعاياه حتى رذلوهُ واحترقوه وحقدوا عليه وصمموا على عزله ليتخلصوا منه ثم هاجت منهم العطاء والاشراف ودعوا وليم برنس اورانج ليأتي من هولاندا ويصير ملكًا عليهم ولم يكن لهذا البرنس حق بالتملك غير أنه كان قد تزوج بابنة اخي هذا الملك كما سبقت الاشارة فحضر وعند وصوله الى انكلترا بادر الناس لاستقباله وجاءوا به الى القصر الملكي بموكب عظيم فبايعوه بالملك وتوجوه مع امراته سنة ١٦٨٩ تحت لقب الملك وليم الثالث والملكة ماري . واما جسم فكان قد فر هاربًا الى فرانسوا وكان بعض احزابه يحاولون ان يعيدوه ثانية الى كرسي الملكة ولكنهم لم ينجحوا في ذلك فهذا التغيير الذي حدث في الملكة يسي اعنيادياً بثورة سنة ١٦٨٨ الهجدة . ومن ذلك اليوم صار وضع بعض المنظمات والقوانين لاجل تقييد السلطة الملكية وثبيت الشرائع المسنونة والتي تُسن ومن جملة تلك القوانين انه لا يباح بالتاج الملكي لاحد الا لمن كان بروتستانتياً . وفي تلك الاثناء اضطرت الملكة الى قرضة دراهم لاصلاح لوازمها فتناولته من اغنياء بلادها وكان ذلك اول دين على الدولة فتشكل لاجل سنة ١٦٩٤ البنك المعروف بينك انكلترا وهو البنك الباقي الى يومنا هذا . اما وليم فانكب على اصلاح داخلية البلاد واخماد الفتن فتمت في ايامه الاقاليم البريطانية وزهت ومن ذلك الحين اخذت تجارتها تمتد من خارج وصنائعها من داخل . وما ساعد ايضاً على هذا التقدم هو ما حدث في فرانسوا في مثل ذلك الوقت في ايام ملكها لويس الرابع عشر عند الغائه المنحة المعطاة للبروتستانت من جده هنري الرابع في ممارسة امور ديانتهم بلا معارض فانه عند ذاك اتى واستوطن في انكلترا خمسون الفا من المهاجرين الفرنسيين وكان اغلبهم من ارباب الصنائع والهن فاقاموا فيها الاشغال معلمين ما كان مجهولاً ومساعدين في ما كان جارياً فامتدت بواسطتهم دائرة الاعمال والفنون ولتقدم انكلترا اسباب

اخر كثيرة لا يسعنا ذكرها . واذ كان هذا الملك الفاضل مغرمًا في الصيد كان ذلك سببًا لتعجيل موته فانه وقع عن جواده يومًا ما في سنة ١٧٠٢ وهو يصطاد ومات بعد ذلك بشهر وكانت الملكة قد توفيت قبله بعدة سنين ثم تروا بعده تخت الملكة حنة ابنة جيمس الثاني وكان حكمها حكمًا مجيدًا لانكلترا وفي ايامها انتصر الدوك ملبروك الشهير في وقائع مشهورة على فرنسا وبين وكان ذلك بالاتحاد مع هولاندا والنمسا لاجل تنكيس سطوة فرنسا التي ارادت ان تقيم ملكًا على اسبانيا احد اعضاء ملوكها . وكان اشهر تلك الوقائع حرب بلينهم حيث كانت خسارة فرنسا وبين مع حلفائهم اهل بافاريا ٢٥ الفًا وفقد الماريشال نالار واما خسائر الانكليز وحلفائهم فكانت ١٢ الفًا . وفي ايام هذه الملكة أخذ حصن جبل طارق سنة ١٧٠٤ من الاسبانيولين وهو اعظم حصن في العالم ويعتبر مفتاحًا للبحر المتوسط وقد اجتمد الاسبانيوليون والفرنساويون مرارًا عديدة على اخذه من ايدي الانكليز فلم يستطيعوا . واشهر عصر الملكة حنة بوجود العلماء والفلاسفة المشهورين مثل نيوتون ولوك وميلتون وبنيان ودريدن الذين عاشوا وقتئذٍ والنوا مؤلفات عديدة في الفلك والهندسة والشعر والديانة وغير ذلك وبواسطتهم امتدت العلوم والفنون في اقطار المملكة وفي العالم اجمع . واستبدت الملكة حنة بالتصرف الملكي مدة ١٢ سنة وماتت سنة ١٧١٤ ولها من العمر ٤٩ سنة وكانت هي آخر من ملك على انكلترا من عائلة استوارت الذين كانت بداية احكامهم على مملكة الانكليز سنة ١٦٠٢ .

## الباب الثامن

في ملوك بريطانيا العظمى من عائلة هانوفر

وكان الملك جيمس المنفي قد توفي في فرنسا سنة ١٧٠١ وخلف ابنا هناك

فتعصب له لويس الرابع عشر ملك فرنسا وتوجه ملكاً على انكلترا فلقبه شعب الانكليز بالمدعي اذ كانوا مصممين على عدم قبولهم ملكاً كاثوليكيًا عليهم . وكان اقرب وريث بروتستانتى للملكة حنة امير الماني من آل هانوفر امة ابنة جس الاول وعمره يومئذ ٥ سنة فنودي بهذا الامير ملكاً على انكلترا تحت لقب جورج الاول وهو اول ملك من العائلة الهانوفرية ولم يكن يعرف اللغة الانكليزية ولا شيئاً عن احوال المملكة التي كان مزماً ان يتقلد زمامها . فصرف اكثر اوقاته في هانوفر لانه احب وطنه محبة شديدة ولم يكن له ميل ورغبة في السكن في قصر ملوك الانكليز . وفي ايام هذا الملك حدث جملة حروب مع اسبانيا لانها ارادت ان تمنع اتصال التجارة الانكليزية مع تملكاتها الاميركانية وان تستخلص منها جبل طارق فلم تفتح ولا في واحدة منها ثم مات سنة ١٧٢٧

وخلفه ابنه جورج الثاني الذي ولد ايضاً في جرمانيا وكان في حياة ابيه متأنياً رياضة العساكر الانكليزية . وفي ايامه كانت الحرب مع اسبانيا لا تزال سائرة على قدم الاسراع فاتصر جورج في موقعة ديتين ولكن خسر في موقعة فونطينوي ثم حارب فرنسا وبيت لاتحادهم مع اسبانيا وانتصر عليهم . وسنة ١٧٤٥ حاول ابن جس الثاني ان يعيد اليه تاج آباءه فجهز بجيش قليل مؤلف من فلاحى اسكوتلاندا وتقدم الى نحو انكلترا ولكنه لم ينجح في مشروعه واضطر اخيراً الى الفرار ووقعت جموعه في ايدي الانكليز فقتلوه عن اخرهم . ثم في سنة ١٧٠٥ انتشبت الحروب ثانية بين فرنسا وبيت والانكليز بسبب تملكاتهم الاميركانية فان كلاً من الدولتين ارادت استخلاص تملكات الدولة الاخرى والسيادة في تارك الاقطار . وكان وقتئذ في وزارة انكلترا وليم بت الشهير بالسياسة وحسن التدبير فجعل انكلترا تتحد مع بروسيا وتساعدتها في الحروب القائمة وقتئذ بينها وبين اوستريا وروسيا بسبب بولونيا وبعض املاك جرمانية واذ كانت فرنسا من المتحالفين ضد بروسيا التزمت عندما رأت معاضدة انكلترا لفريدريكوس الكبير ان تزيد قوتها العسكرية في اوربا لمقاومة المتحالفين ففتح

عن ذلك ضعفها في اميركا وكان ذلك غاية مراد وليم بت فاغتم الانكليز  
الفرصة المناسبة وجرى بين الطرفين عدة وقائع مهولة في اميركا انتصرت فيها  
الانكليز واستولت عساكرها على مدينة كويك تحت قيادة الجنرال ولف وعلى  
مقاطعتي كندا اللتين كانتا من تملكات الفرنسيين وازافتها الى املاكها  
الكثيرة فصارت كل البلاد المتحدة تملكات انكليزية . وبعد نهاية هذه الحروب  
بدا وجيزة توفي جورج الثاني وله من العمر ٧٧ سنة

ثم قام بعده ابنه جورج الثالث سنة ١٧٦٠ وله من العمر نحو ٢٢ سنة  
وكانت احوال الملكة وقتئذ جيدة جداً فراكمت عليها مصائب شتى حتى انه  
كان خيراً له لو مات يوم تنويجه . وكان عاقلاً حكماً ذا سيرة حسنة يعد من  
افضل عموم الملوك ولكنه كان عنيداً بهذا المقدر حتى انه كان احياناً كثيرة يرفض  
مشورة من كانوا احكم منه . وفي ايام حدثت الثورة الاميركانية واستقلت تلك  
الملكة العظيمة وخضعت طاعة الانكليز كما سيأتي تنصيل ذلك عند ذكر اخبار  
دولة اميركا وتظاهرت فرانساً بمساعدة الاميركان ومقاومة الانكليز واغتمت  
اسبانيا ايضاً تلك الفرصة لاستخلاص جبل طارق من ايدي الانكليز فلم ياتها  
ذلك بادنى فائدة للمهارة وبراعة واليها اليوت الشجاع المشهور الذي دفع عنها  
مصادمة العدو بشرف جريل . وبسبب بعض تعصبات دينية في مدينة لندن  
بين الكاثوليكين والبروتستانت حصل نوع من الهيجان بواسطة الثغزب فاخذ  
البعض يحرق بيوت البعض فكانت ٣٦ حريقاً في وقت واحد في كل اطراف  
المدينة . سنة ١٧٩٨ تظاهرت ايرلاندا بالعصاة وكان السبب في ذلك  
استقلالية اميركا وجمهورية فرانساً فهيجنا فيها الرغبة والاشتياق الى الاقتداء بها  
ولكن اذ لم يكن بين شعبيها روح الحزم والانضمام بسبب اختلاف المذهب ولم  
يوافق البروتستانت الكاثوليكين على مشروعهم تحولت تلك السياسة الى قضية  
دينية بين الطرفين

وقد اشتهر في ذلك العصر الاميرال نيلسون احد رساء العارة الانكليزية



باتتصاراته الكثيرة منها غلبته في ابي قير على العمارة الفرنسية التي جاءت بنابوليون وجيوشه لافتحا الديار المصرية والتقدم على الولايات الانكليزية الهندية فوافاها في ٢١ آب سنة ١٧٩٨ واصطلت نيران الحرب بين الطرفين وكانت القوة متساوية وفي اقل من ست ساعات انتصر عليهم انتصاراً كاملاً ولم يسلم من سفن الفرنسيين التي كانت سبع عشرة قطعة غير اربع فقط فانها فازت بالفرار والبقية أُسرت وحُرقت وكان من جملتها مركب الاوربان المعروف بمركب نصف الدنيا فان لهيبه حوّل ظلام الليل الى نهار واذ كانت رجالة في اشد الضنك والخطر ارسل لهم نيلسون القوارب وخلصهم . وفي اثناء هذه المعركة أُصيب نيلسون برصاصة في جبهته ولكنها لم تكن قاتلة . وكان هذا الاميرال المذكور من عجائب الدهر ذكاءً وفهماً وشجاعةً لا يبالي بالاختطار ولا يقدر العواقب وقد ارتقى الى هذا المنصب الرفيع بمهارته ودرايته لانه كان من عائلة خاملة الذكر . وما يستحق ان يحكى انه كان بين واحدة ويد واحدة فقدما في بعض وقائع السابقة وكان من اشد الناس بغضاً للفرنساويين حتى انه اصطنع لنفسه تابوتاً من خشب السفينة المدعوة بنصف الدنيا واوصى ان يدفن به عند موته وهذا من اغرب الامور

وسنة ١٨٠١ اتحدت دولة الدنيارك مع دولة اسوج ونروج على حرب الانكليز مجراً وكان ذلك باتفاق وراي روسيا وفرنسا فجهزت انكلترا عمارة بحرية وارسلتها الى بحر البتيك تحت رياسة سارهيد باركر وكان نيلسون حينئذ متقلداً الرياسة الثانية فلما اشرفا على خليج مدينة كوبنهاجن عاصمة الدنيارك وجدا تحصينات قوية جداً برّاً ومجراً تمنعها عن العبور في ذلك الخليج نظراً لكثرة حصونه وقلة مائه فوّلج سارهيد باركر الاميرال نيلسون ان يتعاطى امر الهجمة فامر نيلسون بفتح البناجر واطلاق النار من بعد ما قسم مراكبه الى فرق ورتب كيفية المعركة فاشتبك القتال بين الفريقين واضطربت نيران الحرب وصعد لهيبها على نوع مهول جداً حتى ان نيلسون عند اجتماعه بولي العهد بعد هذه

الواقعة قال انه في المئة وخمس مواقع التي حضرها لم يشاهد قتالاً مريباً مثل ذلك القتال نظراً لعدم وجود عمق كافٍ والتزام المراكب ان تقدم الى قدام لكي تتمكن من العدو. وما زالت الحرب قائمة على قدم وساق حتى مست بعض سفن القاع ولم يعد يمكنها الحركة فحسرت نيلسون في اثناء ذلك ربع قوته ووقع في خطرٍ عظيم فحينئذٍ رفع له سارهيد باركر علامة الرجوع خوفاً من حلول الاذى عليه واما نيلسون فلما أُخبر بان الرئيس الاول يدعو للانسحاب انتزع النظارة ووضعها على عينه العوراء ووجهها نحو الاشارة وقال اني لا اري شيئاً ما نقولون فابقوا راية الحرب منشرة وواظبوا على اشغالكم ثم رجع الى ما كان عليه من تشديد الحرب والهجوم على الاعداء حتى اعدم جملة من مراكب الاعداء ونكس راياتهم وضعضع احبالهم وبعد انتصاره هذا عليهم عقد معهم صلحاً تحت شروط معلومة. ومن ذلك الوقت ارتفعت منزلة نيلسون ووقعت محبة في قلوب رجال الدولة الانكليزية فسموه لوردًا وقلدوه رياسة البحر العمومية. ثم توفي هذا البطل سنة ١٨٠٥ في حرب ترافلغار الشهيرة عند ما تعاضدت فرانس واسبانيا ضد انكلترا فالتقاهما نيلسون بسبع وعشرين قطعة حربية بينما كانت عمارة العدو ٤٠ قطعة. وكان نيلسون قبل وقوع الحرب قد دخل الى غرفته فكتب وصيته ثم صعد الى ظهر المركب واعطى اشارةً لناقي ضباط المراكب بحجهم على الحرب ويعلمهم بان انكلترا تنتظر في ذلك اليوم من كل رجلٍ من رجالها ان يقوم بحق خدمته ويعمل ما يتوجب عليه ثم امر باطلاق القنابر والمدافع فاطلقت في الحال واشتد بين الفريقين القتال وكان نيلسون اسوء حظاً لابسا كل نياشينه فجلب عليه ذلك مراقبة خصوصية من طرف الاعداء. وكان بجانب بارجه سفينة فرانسوية على مسافة عشرين ذراعاً فقط فاطلق عليه احد جنودها رصاصةً اصابت ظهره فكسرت العظم وجرحته جرحاً بليغاً فوق وقع مغشياً عليه فنقلوه الى غرفته ثم افاق وهو على اخر رمق فاستدعى القبطان اليه فلم يحضر الا بعد خمسين دقيقة لانه كان منهمكاً في ادارة الحرب ولم يمكنه ان يترك مركزه الا بعد نهاية المعركة

فدخل عليه ليهينه على الانتصار التام الذي انتصرته انكلترا في ذلك اليوم فسأله نيلسون ان يعلمه عن عدد المراكب الماخوذة من الاعداء واذ لم يكن بعد واقفاً على حقيقة عددها قال ليست هي باقل من ١٢ او ١٥ فاجاب نيلسون جيداً ولكنني كنت اشترطت على نفسي عشرين مركباً وبعد ذلك الوقت بساعتين اسلم الروح وهو يقول اني لمترض ومسرور اذ تميت ما علي . ومن ذلك الوقت تلاشت قوة نابوليون البحرية ولم يبق لها قائم بعد

ولكن مع ذلك لم تنزل انكلترا في خوف واحساب من سطوة ذلك الجبار العنيد فكانت تراقب خطواته وتنتهز كل فرصة لتضعفه وتكسر شوكة فساعدت ملك نابولي عليه برأ وخوقاً من ان نابوليون يستعين عليها بمراكب الدينبارك ارسلت عمارة قوية فضربت كوبنهاجن واخذت مراكبها الحربية رهينة بشرط انها ترجعها لها عند ما يتم الصلح العام في اوروبا

فبينما كانت انكلترا تكتسب مجداً وفخراً من خارج بواسطة انتصاراتها العديدة وتوسيع ملكاتها وتوطيد قواعد حكمها في الهند كانت من داخل تزداد نمواً ونجاحاً وغنى بواسطة تقدم المعامل وسائر الصنائع فصار يمكنها ان تظن وبيعها باثمان بخسة اذ لم يكن لاحد غيرها ان يسابقها على ذلك فصارت رئيسة سوق العالم في السطوة والتجارة هذا فضلاً عن تقدمها بالاختراعات الميكانيكية وبالاستخراجات الكيماوية وفي اصلاح الطرق الكثيرة وايجاد العربات العمومية لتسهل منتولاتها في داخل البلاد وفي فتح الترع الكثيرة حتى انه في ظرف اربعين سنة فتحت مئة وخمسة وستين ترعة هذا فضلاً عن عزمها الشديد في امتداد علومها واكتشافاتها الجديدة فانها اكتشفت شطوط اوستراليا وزيلاندا الجديدة التي قصدتها كثير من الناس سنة ١٧٨٨ وسكنوها وغير ذلك من البلاد . واما العلوم والفنون فكانت سوقها في رواج لا مزيد عليه ولا سيما علم الهيئة الذي بواسطة نظارة الفيلسوف هرشل تقدم تقدماً بايقاً وكذلك علم الكيمياء بواسطة بريستلي وكافنديش . واما النقش والتصوير والشعر فقد بلغت

درجة سامية وما يستحق الذكر أكثر من كل ذلك ابطالها التجارة بالعبيد  
ولنرجع الآن الى ما كنا بصدده من اخبار الملك جورج المذكور فنقول انه  
كان قد اعترأه اخنلال في عقله ابتداءً في سنة ١٧٨٨ ودام معه عدة شهور ثم  
اشتد عليه الحال سنة ١٨٠٤ وما زال في ازدياد حتى اخنل بالكلية ولم يعد يعلم  
ما هو جار في المملكة فتولج ادارة الملك ابنة الاكبر . وفي زمن وكالتو كسرت  
انكلترا شوكة بونا بارت باتحاد بعض دول اوروبا ولا سيما في واقعة واترلو  
الشهيرة التي بها انقض حكم نابوليون الاول وكان وقتئذ قائد جيوش الانكليز  
الدوك ولينتون الشهير الذي ذاع صيته واشهر في اقطار العالم بالبسالة والادارة  
الحربية والانتصارات العديدة في بلاد الهند واوروبا ولا سيما في واقعة واترلو  
المذكورة . ثم توج هذا الملك سنة ١٨٢٠ تحت اسم جورج الرابع ولم يحدث في  
ايامه من الامور المهمة سوى ملاحظة انكلترا مع فرانس وروسيا في اطفاء نيران  
الحرب التي كانت متقدة بين الدولة العثمانية والدولة اليونانية عندما نهضت  
طالبات استقلاليتها . وسنة ١٨٢٠ توفي هذا الملك وخلفه وليم الرابع وفي ايامه  
اتسعت دائرة المعاملات التجارية وتحسنت احكام المملكة وصدرت نظامات  
جديدة مستحسنة اوقت الحكومة من الثورات الداخلية . وفي السنة الاولى من  
حكمه صار انشاء السكة الحديدية الاولى بين ليثربول ومانشستر . وسنة ١٨٢٤  
صدر قرار المجلس الكبير باعناق عبيد الهند الغربية واعطاء ساداتهم على سبيل  
التعويض مبلغاً قدره ٣٠ مليوناً من الليرات الانكليزية  
ثم خلف وليم الرابع فيكتوريا الملكة الحالية وذلك سنة ١٨٢٧ وهي ابنة  
الدوك كنت الابن الرابع لجورج الثالث تزوجت في ١٠ شباط سنة ١٨٤٠  
بالبرنس البرت من جرمانيا . وفي ايامها حدث جملة حركات في تملكات انكلترا  
لا سيما في الهند لم تنل اصحاب المقاصد والغايات فيها ما ربه بل اخمدت هذه  
الملكة نيرانها بالقوة الفائقة وامتدت سطوتها وهيبتها في كل جهاتها . وكذلك  
اشهرت الحرب على بلاد افغانستان واستولت عليها بعد وقائع هائلة . وقد

اشتركت ايضاً في محاربة الدولة المصرية واخراجها من الديار الشامية سنة ١٨٤٠. وفي سنتي ١٨٤٠ و ١٨٤١ حاربت بلاد الصين وفتحت الباب لدخول التجارة الانكليزية اليها. ثم حاربت الروسيين في القرم سنة ١٨٥٤ واستظهرت عليهم كما ذكرنا ذلك باكثر تطويل في اخبار الدولة العثمانية. واخضعت بلاد الهند عندما عصت عليها سنة ١٨٥٧ واستلمت زمام حكومتها من ايدي الشراكة التي كان قد صار لها فوق المئة سنة مسئولية زمامها وبذلك انتظمت الاحوال نظاماً لا يشوبه فساد ونودي باسم فيكتوريا سلطانة الهند. ثم حاربت ثانية ملك الصين واحرت معه معاهدات افضل من الاولى يمكنها بواسطتها ان توصل تجارتها الى اقصى تلك البلاد وتزيد غناها. ثم حاربت المصريين وقت الثورة العراقية خوفاً على طريق الهند ودخلت مصر سنة ١٨٨٢ وما زالت فيها الى الآن ساعية في اصلاح شؤونها ولكنها سنارحها مجال ايجاد الراحة فيها وبالاجمال ان احوال انكلترا في ايام هذه الملكة في غاية النجاح والاقبال من داخل ومن خارج ولذلك ترى رعاياها يحبونها ويعتبرونها ويشنون عليها وهي في الواقع تستحق ان تنظم في سلك اكبر الملوك العظام نظراً لحكمتها وجودة رايها وحسن سياستها

## الباب التاسع

### في ذكر مقاطعة ويلس اي غال

ان الذي يزور هذه المقاطعة ويختلط مع شعبها لا يخطر في باله قط انه موجود في قسم من بريطانيا العظمى نظراً لاختلاف اسماء مكانها ولغتها عن اسماء الانكليز ولغتهم ولكن اكثرهم في هذه الايام صاروا يتكلمون اللغة الانكليزية حتى ان لغتهم الاصلية كادت الآن تزول وتفصحل وهي اشبه باللغتين الايرلاندية

والغالية فهذا أكبر دليل وبرهان بان اهلها واهل ايرلاندا او جبال اسكوتلاندا هم من جنس واحد. واما تاريخ ويلس القديم فهو مجهول غير معروف. ولما دخل الرومانيون الى بريطانيا كان سكان جبال ويلس اناساً اشداء غلاظ الرقاب ماهرين في استعمال ضرب النبوت فلدافعوا عن جبالهم ومواطنهم بشجاعة وبسالة لا مزيد عليها فلم يتمكن الرومانيون من الاستيلاء عليهم. ولما اتى السكسونيون لحرب انكلترا اخضعوها باسرها ما عدا ويلس فانهم لم يتمكنوا منها الا على جانب صغير فقط وبقي القسم الاكبر منها مستقلاً تحت حكم امراءهم واشرافهم كما فعل سلفاؤهم في زمن الرومانيين فيظهر ان اولئك الامراء كانوا ساكنين في قصور منيعة وحصينة كان الاهالي يحامون ويدافعون عن انفسهم فيها في زمن الحرب. ولم يزل اثار بعضها باقياً الى الآن. وجاء الى ويلس في تلك الازمنة قوم من الغرباء فتوطنوا فيها واذ كانوا من الشعراء نظمو اشعاراً نغيسة وقصوا قصصاً تضمن غارات ووقائع امراء وابطال ويلس فكان عامة الشعب يسر ويطرب من استماعها لتضمنها اخبار وحروب قوادهم ومواقعهم المهولة الدموية. وكانوا يدعون اولئك الشعراء الى قصور الامراء فيعيشون بكل رفاهية وسرور. وقد توصل اهل ويلس الى درجة قبيحة بهذا المنذار حتى انهم كانوا يدعون النبوة نظراً لسلطوتهم وقوة باسهم وشجاعتهم

ولا يخفى ان وجود عشيرة صغيرة مستقلة في جوار مملكة ذات شوكة عظيمة ما يصعب احتمالها عليها فلذلك رأت ملوك انكلترا ان السكوت عن هذه المقاطعة وعدم ادخالها تحت الطاعة والانتقاد ما يشين شرفها ويحط مقام عظمتها فصممت على محاربتها وارسلت جيشاً عرمرماً لتناولها واخضاعها فلم تتمكن منها الى سنة ١٢٥٨ حين كان ادورد الاول ملكاً على انكلترا وأوين اميراً على ويلس. فجهز ادورد عسكرياً جزاراً للحرب ويلس واذ كانت شعراء ويلس يجبون المحروب الشديدة هيجوا امراء البلاد ليظهروا نشاطهم وشجاعتهم في تلك الوقائع وكان احد الشعراء قد اخبر أوين المذكور بانة سوف يسود ويملك على

جزيرة بريطانيا واذلك عندما اشرفت مواكب الملك ادورد على تلك الاطراف  
خرج للقائه الامير اوين بعسكر قليل فانكسر وقتل ثم قام مكانه اخوه داود  
فدافع عن وطنه بكل بسالة وبعد عدة وقائع انهزمت جموعه وتفرقت اما هو  
فوقع في اسر الملك ادورد فامر بشنقه . وبموته انقرضت سلالة امراء ويلس  
وزالت استقلاليتها وصارت اباثة انكليزية من ذلك اليوم . وكان الملك ادورد قد  
غضب على اولئك الشعراء بسبب تهيجهم الشعب ضده فامر بجمعهم وقتلهم على  
ما قيل . واما الملك الذي قام بعده فكان مواده في ويلس واُعطي لقب برنس  
اوف ويلس المعروف ببرنس دي غال ومن ذلك الوقت الى الان صار هذا  
الاسم لقباً لابكار ملوك انكلترا . واهل ويلس الآن يعتنون بزراعة ارضهم  
وبالصناعات المختلفة وفي بلادهم بعض معادن ثمينة من الفحم والحديد

## الباب العاشر

### في تلميح اخبار اسكوتلاندا اي اسكوتسيا

ان سكان اسكوتلاندا على ما يستفاد من التواريخ كانوا من الامة الغالية  
والمظنون انهم من نفس الشعب الذي سكن بريطانيا وويلس وارلاندا في الازمنة  
القديمة وكانوا اصحاب سطوة وبأس حتى انهم قاوموا الرومانيين وحاربوهم عند  
هجومهم على بلادهم ولما تغلبت الرومان عليهم لم تمكن قط من اخضاع اهالي  
الجبال وكانوا مضايقون الرومانيين بهذا المقدار حتى انهم التزموا باقامة سور من  
نواحي صلوى فريث الى نهر التين ليتخلصوا من مضايقتهم ومع كل هذه  
الاحتياطات لم يكن ذلك السور كافياً لمنع تعديات احدهم على الآخر . وفي  
الجيل الثالث او الرابع اتى قوم من الغوثيين من اوروبا واستوطنوا في  
اسكوتلاندا في الاراضي الواطئة واستعملوا الزراعة وكانوا يعيشون منها . واما

الاسكوتسيون فكانت مساكنهم في الجبال وكانت معيشتهم بواسطة القنص وهكذا  
انقسم الشعب الى اهالي الجبل واهالي الوطا وكثيراً ما وقع بينها حروب  
ومنازعات ولم يزالوا على هذه الحالة نوداً الى يومنا هذا

قبل انة سنة ١٢٩٩ نهض كيث الثاني الذي كان من قواد اهل الجبال  
وحارب عشيرة البكت واخضعها وصار ملكاً على اسكوتلاندا وكان هو اول من  
استولى على تلك المملكة ومن ذلك الوقت الى زمن ادورد الاول ملك انكلترا  
قام ملوك كثيرون ولكن ليس في تواريخهم شيء مهم

وقد تقدم القول في تاريخ انكلترا ان ملكها ادورد الذي اخضع ويلس  
اثار حرباً على الاسكوتسيين وجهز جيشاً لاختراع ما بقي من الايلات العاصية  
في اسكوتلاندا وكيف مات قبل انام قصده وذكرنا ايضاً عن كسرة ابنه ادورد  
الثاني في موقعة بانوكبرن على يد روبرت روس سنة ١٢١٢ وكانت تلك  
الحادثة سبباً لتحرير اسكوتلاندا التي كانت ملوك انكلترا تهددها . فن ذلك  
العصر الى زمن جيمس الخامس ليس في تاريخ اسكوتلاندا سوى حوادث حروب  
اهلية ومقاتلات شديدة مع انكلترا . اما جلوس جيمس المذكور على كرسي المملكة  
فكان سنة ١٥١٢ وله من العمر ١٢ سنة . وفي اخراياه مقتله الشعب ورذلة حتى لم  
يعد احد يطيع له امراً . فشق ذلك عليه وانتهت به الحال الى انه امات نفسه  
جوعاً وعطشاً وهو ابن ٢١ سنة . وكان للمذكور ابنة اسمها ماري ولدت قبل  
موتها بايام يسيرة فتسمت بعد ابيها ملكة تحت وكالة امها التي كانت قد ارسلتها  
الى فرانساً للتهديب والتعليم . فانتنت العلوم والاداب وبرعت فيها وفضلاً عن  
ذلك كانت على جانب عظيم من الجمال حتى قيل انها كانت اجمل نساء  
عصرها . ولما بلغت سن الست عشرة تزوجت بامير فرنساوي صار ملكاً على  
فرانساً بعد زواجها به بسنة واحدة وهو المعروف بفرنسيس الثاني واسوء حظها  
لم تطل حياة زوجها اكثر من ثمانية عشر شهراً حتى توفي فالتزمت ان ترجع الى  
اسكوتلاندا حيث لبست تاج ابيها المحفوظ لها



ثم تزوجت برجل من اقاربها يدعى لورد هنري دارنلي فغار عليها واتمها  
 برجل ايطالياني يسمى دافيد رينسيو كان مستخدماً عندها بوظيفة معتمد وكانم  
 اصرار فاستدعى به ذات يوم وقتله بحضورها . وانفق بعد ذلك بايام قليلة انه  
 مرض مرضاً شديداً فنقلته من سرايتها الى قصر منفرد خارج المدينة كان ملغوماً  
 بالبارود ففي صباح ٩ شباط سنة ١٥٦٧ اشتعل ذلك القصر بالنار فالتهب  
 البارود واقترع ذلك البيت بن فيه فكانت جثة الملك ممزقة ومطروحة في احد  
 الحمول . فاستعظم الشعب ذلك الامر واتمها به اللورد بوثيريل الذي كان  
 تزوج بماري بعد تلك الحادثة بثلاثة اشهر وانه لم يقتل الملك الا بسعيه . فقام  
 عليه البعض وارادوا ان يقتلوه فهرب الى نورمنديا حيث مات بعد عشر سنين .  
 ومن ذلك اليوم وقعت بغضة ماري في قلوب الناس ولا سيما لتمسكها بالذهب  
 الكاثوليكي بينما كان الاصلاح قد امتد بين الاهالي فقاموا عليها وانفقوا على خلعها  
 ولما علمت منهم ذلك بادرت في الحال وقصدت انكلترا خوفاً على نفسها من  
 القتل والنجات الى الملكة اليصابات قريبتها ولسوء حظها عاملتها اليصابات  
 بس المعاملة فانها قبضت عليها واقبتها تحت الترسيم نحو ١٩ سنة ثم قتلها  
 بعد ذلك

وكان لماري ولد من اللورد دارنلي خلفها على ملك اسكوتلاندا تحت اسم  
 جيمس السادس . وبعد وفاة الملكة اليصابات صار ملكاً على انكلترا ايضاً تحت  
 اسم جيمس الاول فكان محباً للعلوم واتشار المعارف واقام عدة مدارس في  
 اسكوتلاندا لم تزل آخذة في التقدم الى عهدنا هذا . واستمرت اسكوتلاندا من  
 سنة ١٦٠٢ الى هذه الايام خاضعة لاحكام انكلترا مع انها عصت احياناً وحاربت  
 حروباً عديدة لاسترجاع الملك الى عائلة استوارت ولكنها لم تنجح

## الباب الحادي عشر

### في تلميح اخبار ايرلاندا

ان تاريخ ايرلاندا او ايرن الخضر كما تسمى احياناً هو مملوء من الحوادث اللاذة . ولكننا نقول بوجه الاختصار ان سكانها الاولين كانوا من الكلتيين الاشداء نظير البريتانيين الذين كانوا يقاتلون بالنبايت ويميلون الى القتال اكثر من التمتع والرفاهية . وكانوا ينقسمون الى عشائر عديدة ويدعون رؤسائهم ملوكاً وكانت ملوكهم في نفور ومشاجرات مستديمة بعضهم مع بعض . اما ديانتهم الاصلية فنظير بقية العشائر الكلتية كديانة الدرويد ولكن سنة ٥٥٠ اناهم رسول مسيحي اسمه پيريك وكان رجلاً ثقيلاً حكيماً فاجبوه واثلثوه واقتبلوا منه الديانة المسيحية وابتدأوا يقدنون بالتدرج وعاش پيريك المذكور عمراً طويلاً ومات عندهم وبعد مائة شرع الناس ينسبون اليه اعمالاً عجائبية الى انهم اخيراً حسبوه قديساً ويزعمون حتى الآن انه يجامى عن صواح بلادهم في السماء ويفرزون يوماً في كل سنة لاجل تقديم الصلاة والاكرام له فيذهبون الى الكنيسة ويشربون الخمر ويقتلون بعضهم مع بعض بالنبايت . ومن جملة نوهاتهم الغربية الباقية الى هذا اليوم اعتقادهم بان القديس المذكور قد اهلك وباد جميع الافاعي والدبابات المصرة التي كانت في ايرلاندا واما السبب الذي جعلهم يعتقدون بذلك فهو عدم وجود شيء من تلك الحيوانات عندهم حتى ان الفلاحين القاطنين بقرب بحيرة كلارني يعتقدون بخرافة مصحكة عن هذا القديس وهي انه في اواخر حياة پيريك هذا وجدت حية عظيمة في تلك البلاد تمنعت عن النزاع مع باقي الدبابات المذكورة فحاولها پيريك زمناً طويلاً ولم يقدر عليها . وكانت تلك الحية تتردد كثيراً الى شواطئ بحيرة كلارني فلما اعياه امرها احضر

صندوقاً كبيراً من خشب السنديان ذا اقفال قوية وجاء به الى تلك البحيرة  
ولما اقترب من تلك الحية حيأها بالسلام ولاطفها بالكلام وقال لها قد اتيتك  
بهذا البيت الجميل لتسكني فيه وتعيشي باقي عمرك في ارغد عيش واحسن حال  
واما الحية فلم تسلك عليها تلك الحيلة ولكنها اذ لم ترد ان تهينه وتصده نظراً  
اصداقته المتظاهرة اعذرت قائلة ان الصندوق لا يسعها فأكد لها بانها كافية  
لسكنها ثم خاطبها قائلاً ان كان عندك يا عزيزتي ادنى شبهة في كلامي فادخلي  
وجربي واما هي فلما غشيت وتظهر خضوعها له دخلت ذلك الصندوق تاركة  
قيراطاً او أكثر من ذنبها خارج الصندوق وقالت ألم اقل لك انه لا يسعني  
فقال لها احترصي دلي ذنبك يا عزيزتي ثم اطبق العطاء عليها فاضطرت ان  
تجذب ذنبها الى داخل الصندوق فعند ذلك قفلة وجملة على كنفه فصرخت  
الحية اطلقني فقال لها مهلاً اني ساطلقك غداً ثم اتى الصندوق في البحيرة ففرق  
وذهب القديس الى حال سبيله . ومن العجب ان الصيادين المقيمين بقرب  
تلك البحيرة ينفلون هذه الخرافة الغريبة ويعتقدونها ويؤكدون بانهم ما زالوا  
يسمعون صوت الحية الى هذه الايام وهي تقول ألم يات الغد بعد ألم يات  
الغد بعد

وكان هنري الثامن ملك انكلترا قد حارب ايرلاندا واخضعها ولم تنزل  
الى الآن تحت حكم الانكليز ولكنهم لم يلتفتوا اليها كما يجب الى زمن جيمس الاول  
فانه شرع في اصلاح حاله شعبيها وارباب الشرائع والحكام في ايامنا هذه قد  
اجتهدوا ايضاً في تمدنها وتحسين حالها

## الفصل العاشر

### في وصف مملكة البلجيك وتاريخها

هذه المملكة يحدها شمالاً مملكة هولاندا . وشرقاً بلاد جرمانيا . وجنوباً  
فرانسا . وغرباً البحر الشمالي . اما ارض هذه البلاد فمبسطة وهاؤها معتدل  
وفيها كثير من الاشجار المتنوعة والرياض والمزارع المخصبة وبها عدة اودية  
وجبال وفي ارضها كثير من معادن الرصاص والحديد وحجر الفحم والزنك .  
ومقاطع البلاط الاسود والرخام وغير ذلك . ومن حواصلها القمح والشعير  
والكتان . والصنائع فيها رائجة من ذلك الاقمشة الجيدة والجوخ والصوف . وعدد  
اهل هذه المملكة خمسة ملايين اكثرهم لاتينيون . وبالنسبة الى مساحة البلاد  
لا يوجد مملكة في العالم مزدهجة بالناس مثل هذه المملكة . وحكمها من نوع الملكي  
المتيد . ولاهها شهرة عظيمة في التجارة وصنع الاقمشة المتنوعة واستخراج السكر  
وعمل البيرة وهم اشداء الباس لطفاء الطباع يميلون الى اكتساب العلوم واتقان  
الصنائع ويعتنون بالفلاحة والزراعة

واعظم مدن هذه المملكة مدينة بروكسيل وهي قاعدة البلاد وعدد اهلها  
نحو مئة الف نسمة وفيها مكتبة عظيمة تحوي على جميع انواع العلوم والفنون  
تنيف عن ١٠٠ الف مجلد . وعلى اربعة فرائخ الى الجنوب الشرقي منها قرية  
واترلو التي انهزم فيها نابوليون الاول وكسره المتعاهدون بجنودهم بعد موقعة  
سنة ١٨١٥ كما مر

اما تاريخ هذه البلاد فلا يمتد الى التطويل لقصر عهده وقلة اهميته لان  
المملكة لم تناس وتستقل الا من سنة ١٨٣٠ فقط . وكانت قبل ذلك العهد

تابعة ممالك اخرى . فان يوليوس قيصر كان قد ضمها الى احد الاقسام التي قسم فرانسوا اليها عند استيلائه عليها ومكثت في ايدي الرومانيين الى سنة ٤٠٩ . ولما دخلت الافرنك الى فرانسوا كانت بلجيكا وقتئذ تابعة سلطنتهم التي كانت ممتدة في ايام الملك كلوفيس من حدود الرين الى اللوار . وعقب توفي هذا الملك سنة ٥١١ تقاسمها بنوه الاربعة وتناولها خلفاؤهم الى سنة ٨٠٠ حين ضمها شارلمان وجعلها قسما من سلطنته . وبعد انقراض سلطنته انقسمت بلاد البلجيك الى جملة امريات اخصها امرية برابان فانها كانت اعظم الجميع ثم اخذت في التوس والامتداد يوما بعد يوم حتى ابتلعت باقي الامريات وانحصرت البلاد فيها . وبسبب الوراثة انتقلت سنة ١٤٠٦ الى العائلة البورغونية ومنها سنة ١٤٧٧ الى عائلة اوستريا الملكية بسبب الزواج وبعد ذلك بقليل صارت من املاك سلطنة شارلكان الذي قسمها الى ١٧ ولاية متحدة تعرف بدائرة بورغونيا

وبعد شارلكان تناول البلجيك ورثة ملوك اسبانيا وبقيت في ايديهم الى سنة ١٧١٤ ثم رجعت الى اوستريا واستمرت تحت احكامها الى سنة ١٧٩٢ حين دخلت اليها جيوش الجمهورية الفرنسية وامتلكتها وقسمتها الى ٩ مقاطعات ولبثت في يدها الى زمن سقوط نابوليون الاول سنة ١٨١٥ عند ما انتقلت الدول المتحدة يومئذ على ضم بلجيكا وهولاندا معا . فانضمتا تحت راية غليوم الاول ملك هولاندا وصارتا دولة واحدة معروفة بمملكة البلاد الواطية ولكن اذ لم يحصل الاتفاق في ذلك الاتحاد بين الفريقين انتهز اهالي بلجيكا فرصة طرد البوربونيين من فرانسوا سنة ١٨٣٠ فرفعوا راية العصيان على الحكومة الهولاندية وحاربوها وجرى بين الطرفين عدة وقائع مهلكة افضت اخيرا الى انفصال احداها عن الاخرى . ومن ذلك الوقت صارت البلجيك دولة مستقلة بذاتها وكان اول من تولى عليها ملكا ليوبولد الاول امير ساكس كوبورج سنة ١٨٣١ ثم خلفه ابنه ليوبولد الثاني سنة ١٨٦٥ وهو الملك الحالي

## الفصل الحادي عشر

في وصف هولاندا المعروفة ببلاد الفلمنك وتاريخها

هذه البلاد يحدها شمالاً وغرباً بحر جرمانيا وشرقاً هانوفر وروسيا الرينية وجنوباً مملكة بلجيكا. ويقال لهذه المملكة ايضاً البلاد الواطية سميت بذلك لوطوا ارضها عن مساحة البحر. ويخترقها نهر الرين في عدة اماكن وفيها انهر عظيمة ومجاري كثيرة تسلك فيها السفن الصغيرة في ايام الصيف ولكنها تجلد في فصل الشتاء. اما هواه هذه البلاد فردي على الاغلب لكثرة البحيرات والانهر التي تمر فيها ولولا مجاورتها البحر ونظافة سكانها لكان مضرًا للبدن. وفيها كثير من المروج والاوادية المستنظفة البهجة والمراعي الخصبة للمواشي التي يتخذون من البانها السمن والجبن والزبدة. ومن محصولاتها القمح والشعير والفوة والدخان. وفي ارضها كثير من معادن الحديد وغيره. وفيها كراخين ومعامل كثيرة يصنع بها قماش الكتان والصوف والحزير والجوخ والقطن والورق. وعدد اهلها بحسب تعداد سنة ١٨٧٠ بلغ ٣ ملايين و٦١٨ الفا اكثرهم من البروتستانت. ولهذه المملكة املاك خارجية كثيرة في اسيا وجزائر البحر وافريقية واميركا اخصها في الهند الشرقية يبلغ عدد سكانها نحو ٢٢ مليوناً ونصفاً

واهل هذه المملكة بوجه الاجمال من اهل السخاء والكرم واكثرهم مغرمون بشرب الدخان وموصوفون بالشجاعة والفتنة وعمل الخير. ولهم رغبة كلية في المطالعات والتعليم حتى ان اكثر شبانهم على جانب عظيم من التهذيب والمعرفة لاجتهادهم وكثرة مدارسهم. وحكمهم من نوع الملكي المفيد. ومن اعظم مدن هذه المملكة مدينة امستردام وهي مدينة ظريفة ذات ميناء حسن واسواق جميلة مبنية

على راس خليج وعدد سكانها ٢٣٠ ألف نسمة وكانت قديماً من اشهر مدائن الارض في التجارة . ومدينة هاي وهي قاعدة البلاد ومقر كرسي الملك واهلها يبلغون نحو ٧٠ ألف نفس

اما تاريخ هولاندا فهو سهل المناولة لعدم قدميته واهميته وكان الرومانيون يسمون بلاد الفلنك مجزائر البانافيين نسبة الى قبيلة جاءت قديماً اليها وسكنت فيها حتى انه في ايام بوليوس قيصر اشتهرت وصارت امة عظيمة . وكانت قبل دخول الناس اليها مهجورة تغطيها المياه ستة اشهر في السنة وفي السنة الاخرى يكثر فيها العشب والنبات فتصير اراضيها رطبة ومضرة الى الغاية . فعند دخول الناس اليها شرعوا في بناء سدود عظيمة في بعض الاماكن لوقاية ارضها من الفيضان عند علو المد فاخذها صطلح بهذه الوساطة ثم قصدها بعد ذلك قبائل اخر كالفريزيين والبروكتاريين وانضموا الى البانافيين اي الهولانديين واتخذوها لهم مسكناً . ففي الجيل الثامن لما كانت امة الافرنك مستولية على فرانسوا حارب ملكها شارل مارتل هولاندا فاتصر عليها واخضعها . وفي ايام شارلمان صارت جزءاً من املاك سلطنة الغربية وادخل اليها الديانة النصرانية . ولكن لضعف خلفاء شارلمان ولازدياد سطوة الاشراف حسب روح ذلك العصر انقسمت هولاندا الى ١٧ قسماً كل قسم منها تناوله امير واستقل به . فمما كانت امرية الفلدرين وامريات برابان ولوكرمبورج وليمبورج واسقفينا غرونينجين واوترخت وغيرها . واستمر حال البلاد على هذا المنوال الى الجيل الخامس عشر حين ضمها معاً فيليب الثالث الملقب بالصالح احد امراء بورغونيا وتناولها بعده ابنه كارلوس الملقب بالجسور

وفي سنة ١٤١٧ تناول امرية بورغونيا ماريا ابنة كارلوس الجسور وورثت جميع املاك ابيها . وكان لويس الحادي عشر ملك فرانسوا قد صم يومئذ على ان يتغلب على تلك الامرية ويضفيها الى ملكته واذ كانت رعايا ماريا المذكورة غير منقادة اليها ورافعة راية الخروج عن طاعتها خافت من عواقب الامور

وطلبت ان تزوج بن يقدر على حمايتها فتزوجت بمكسيميليان اريشدوك  
 اوستريا وبسبب هذا الاتحاد انتقل الى عائلة اوستريا الملكية جميع املاك وحقوق  
 امراء بورغونيا ومن جراء ذلك وقعت بينها وبين فرانسوا الخصومات والفتن  
 التي لم تخمد نارها الا بعد عدة اجيال . ولكن بعد توفي الامبراطور شريكان  
 انتقلت هولاندا الى ورثته في اسبانيا واستمرت تحت تسلطهم مدة طويلة . ولما  
 عول فيليب الثاني ملك اسبانيا ان يلاشي مذهب البروتستانت الذي كان  
 منتشرًا وممتدًا في بلاد الفلمنك ساء ذلك الاهالي وصمموا على خلع طاعة  
 الاسبانيول فانحد سبع من ولاياتها سنة ١٥٧٩ ونادوا بالمشيخة وقاوموا  
 الاسبانيولين ببسالة لا مزيد عليها وحرروا انفسهم واستقلوا ببلادهم . ولما كان  
 الاسبانيوليون لا يفترون عن مقاومة الفلمنكيين طمعًا باخضاعهم والانتقام منهم  
 كانت الحروب بين الطرفين متصلة فالتزم الهولانديون ان يستجدوا بالانكليز  
 ويطلبوا مساعدتهم في ايام الملكة اليبصابات فارسلت لمعونتهم عمارة بحرية  
 مشعونة بالمهمات والعساكر الحربية فالتقت بالعمارة الاسبانيولية في بوغاز قادس  
 فخارتها وانتصرت عليها واستولت على المدينة عنوة سنة ١٥٩٧ . وسنة ١٦٠٠  
 حاربوا النمساويين وفازوا عليهم في نيوبورت وغنموا منهم غنائم جسيمة ومع انهم  
 كابدوا مشقات واهوالًا شديدة وفقدوا رئيسهم وليم برنس اورانج نجحوا في نوال  
 مفاصلهم حتى التزمت اسبانيا والنمسا ان تقرّ لهم باستقلاليتهم اقرارًا نهائيًا في  
 مصالحة وستفاليا سنة ١٦٤٨

وكان يومئذ الهولانديون في رفاهية وعيش رغيد وتجارتهم في انساع ونجاح  
 حتى ان مدينة انتورب كانت تعد في ذلك الوقت كاعظم مدائن العالم في  
 التجارة والشهرة ولكن بسبب الحروب المار ذكرها التزم تجار هذه المدينة ان  
 ينتقلوا الى امستردام ويجعلوها مركزًا لهم فكان ذلك سببًا لتقدمها . وكان  
 للهولانديين عزم واقدام غربيان في جميع اعالم . وقوة وشجاعة عظيمنتان في  
 حروبتهم . فكانوا اعظم دولة اوروپية في النجاح والاقبال وتقدم التجارة اذ اقتنوا



اثار البورتوغاليين في اسفارهم الى الصين والهند واستولوا على جملة اراضي فيها ثم تبعوهم ايضاً الى اقطار قارة اميركا وكادوا يستخلصون منهم مملكة برازيل . وكانت احوالهم الداخلية مع كل ذلك في تقدم وارتقاء وعمارتهم البحرية في ازدياد واقتدار فحسدتهم اكثر الدول وخافهم بعض الملوك وقد وقع بينهم وبين الانكليز عدة وقائع بحرية فكانوا يصادمونهم بنوع غريب حتى كان الانكليز بكل صعوبة يستظفرون عليهم في بعض الاحيان

ولما نشأت حروب الوراثة الاسبانية في اوروبا وكانت فرانساً ساعية في توسيع دائرة اراضيها عقد الهولنديون مع الانكليز والاسويجيين اتحاداً على مقاومتها وهو المعروف بالاتحاد الثلاثي فالتزم لويس الرابع عشر ملك فرانساً ان يتوقف عن عزمه ويجري مخابرة الصلح مع باقي الدول فتمت شروطه في ايس لا شابل سنة ١٦٦٨ وبوجوبها ترك لفرانساً جميع الاراضي التي كانت امتلاكها الى ذلك الوقت واشترط عليها ان تنازل عن كل دعاويها بالولايات الاسبانية . ولكن اذ كانت بغية الملك لويس الانتقام من هولاندا على ما بدا منها في مقاومتها له سعى في حل ذلك الاتحاد المذكور واخذ يستميل انكلترا اليه حتى استجلب خاطر ملكها كارلوس الثاني نحوه بعدما غره بالدرهم الجزيلة فنهض لمعوتته وحارب معه الفلمنكيين براً وبحراً واضروا بهم ضرراً جسيماً وربما كانوا ابادوهم لو لم يتصر لهم امبراطور جرمانيا ومنتخب براندبورج وملك اسبانيا . ولكن اذ لم يكن شعب انكلترا راضياً باعمال الملك كارلوس باتحاده مع فرانساً على حرب الهولنديين نهض المجلس الكبير في السنة التالية وقاوم الملك على صنيعه المذموم والزمه ان ينسحب عن ساحة القتال فانسحب من يومه واعتزل وبعد ذلك انسحبت فرانساً ايضاً

وسنة ١٧٩٥ استولى على هولاندا المشيخة الفرنسية ولقبها بمشيخة باتاف .

ولما جلس نابوليون الاول امبراطوراً على كرسي مملكة فرانساً اطلق عليها لقب مملكة سنة ١٨٠٦ بعدما اقام اخاه لويس بوناپارت ملكاً على كرسيها .

وسنة ١٨١٠ انضمت الى فرنسا وصارت قسماً من املاكها فتعطل متجرها وتوقفت  
 حركتها فانتهزت الانكليز تلك الفرصة واستولت على املاكها الخارجية ولكن  
 عند سقوط نابوليون سنة ١٨١٤ حصل لهولاندا الفرج من ذلك الاسر ورجع  
 اليها برنس اورانج الذي هرب منها سنة ١٨٠٥ فضم اليه بلاد البلجيك وتسي  
 على الملكين ملكاً تحت لقب غليوم الاول ودُعيت البلاد من ذلك اليوم مملكة  
 البلاد الواطية . فارجع الانكليز حينئذٍ للهولانديين كل املاكهم الخارجية التي  
 كانوا استولوا عليها ما عدا راس الرجاء الصالح وسيلان وغيانا  
 وسنة ١٨٢١ حدث ثورة عظيمة في بلاد البلجيك لم تستطع حكومة هولاندا  
 على اخماد نارها فالتزموا ان يعترفوا عن البلجيكيين وجعلوا بينهم حدًا فاصلاً  
 بمعاهدة جرت سنة ١٨٣٢ . وسنة ١٨٤٩ نبأ سرير مملكة هولاندا الملك غليوم  
 الثالث وهو الملك الحالي ولم تنزل هذه المملكة حتى الآن تدعى مملكة البلاد  
 الواطية

## الفصل الثاني عشر

### في الممالك الجرمانية او السلطنة الالمانية

#### الباب الاول

في وصف هذه البلاد واقسامها

ان بلاد جرمانيا وتعرف ايضاً بالمانيا مجدها شمالاً البحر الجرمانى وتخوم دنيارك وبحر البتيك وشرقاً بروسيا واوستريا وجنوباً اوستريا وسويسرا وغرباً فرانساً وبلجيكا وهولاندا واماها يبلغون نحو ٤١ مليوناً ونيّف مما فيه بروسيا وملحقاتها الجديدة. واذ كانت جرمانيا تنصن ممالك وامريات عديدة وليس لنا محل هنا ان نصف كلاً منها على حدتها ونحدد وضعها ونذكر حالة شعوبها واوصافهم اقتصرنا على وضع الجدول الآتي لينيب منهُ اسماء وعدد الممالك والدول التي تتكون منها السلطنة الجرمانية واية منها مملكة واية امرية وعدد شعوب كل منها لتكون الفائدة تامة

#### جدول الدول الجرمانية وعدد شعوبها

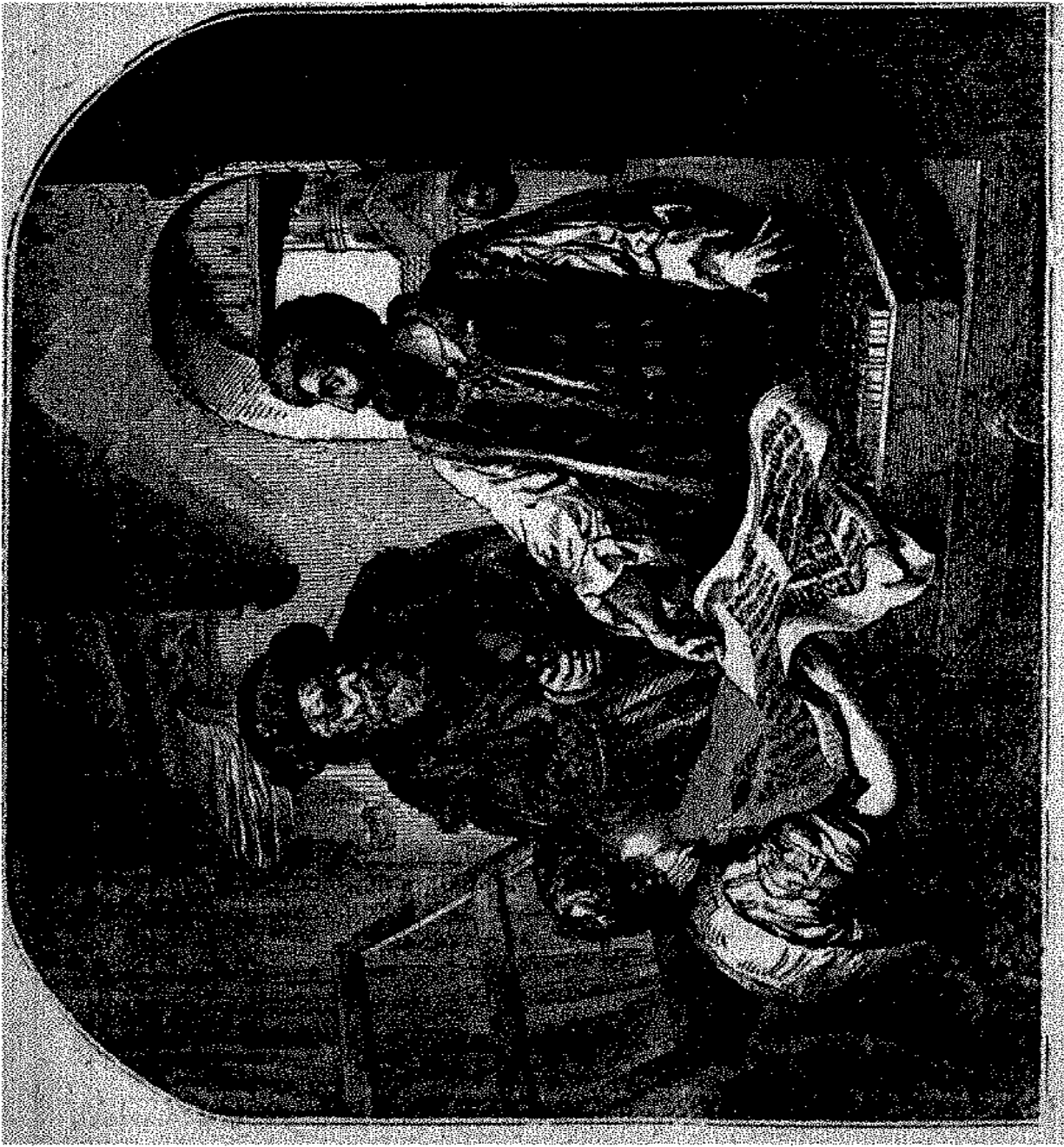
اسماء	عدد
مملكة بروسيا وملحقاتها	١ ٢٤٧٠٠٠٠٠
بافاريا "	٢ ٤٨٦٥٠٠٠
ساكس "	٣ ٢٥٦٠٠٠٠
ورتمبرج "	٤ ١٨٢٠٠٠٠

كراندوكات بادن	٥	١٤٦٥٠٠٠
هس "	٦	٨٥٥٠٠٠
مكلنبورغ سويرين	٧	٨٦٠٠٠٠
ساكس وايمر	٨	٢٧٠٠٠٠
مكلنبورغ استريلينس	٩	١٠٠٠٠٠
اولدنبورغ	١٠	٢١٧٠٠٠
دوكات برونزويك	١١	٢١٢٠٠٠
ساكس مينجن	١٢	١٨٨٠٠٠
ساكس التنبورغ	١٣	١٤٢٠٠٠
ساكس كوبورغ غوطا	١٤	١٧٥٠٠٠
دانهالت	١٥	٢٠٥٠٠٠
امرية شوارسبورغ رودولستاد	١٦	٧٦٠٠٠
شوارسبورغ سوندرسهاوزن	١٧	٦٨٠٠٠
والديك	١٨	٥٧٠٠٠
روس (في سلالة الالبكار)	١٩	٤٦٠٠٠
روس	٢٠	٩٠٠٠٠
شوامبورغ ليب	٢١	٢٢٠٠٠
ليب ديتمولد	٢٢	١١٢٠٠٠
مدائن حرة لويك	٢٣	٥٣٠٠٠
بريم	٢٤	١٢٢٠٠٠
هيبورغ	٢٥	٢٤٠٠٠٠
مكتسبات جرمانيا من فرانسوا الالزاس واللورين	٢٦	١٥٥٠٠٠٠

ومن اعظم مدائن الممالك الجرمانية همبورج وهي مدينة شهيرة لتجارتها . ثم مونخ قصة مملكة بافاريا . ودرسدن عاصمة ساكسونيا وهي من اطرف مدن اوروبا . وايسيك وكالسروخ عاصمة امرية بادن حيث يجتمع بها كثير من عطاء واغنياء العالم في كل سنة للنترة في زمن الصيف ويصرفون اكثر اوقاتهم في الملاهي ولعب الفار وهذه الوساطة يتبعهم جمهور غفير من الناس المتوسطي الحال من ذوي المطامع في المكاسب السريعة فكثير منهم يفقدون اموالهم وبعضهم الحياة بسبب خسائرهم الباهظة . وما عدا مدائن جرمانيا الظريفة فيها انهر عديدة اكثر من خمسين اكثرها عظيمة وكبيرة بحيث تجري فيها السفن واشهرها الدانوب والرن وانهلب والاودر والمين

واكثر اهالي جرمانيا على مذهب البروتستانت والحرية مطلقة لجميع المذاهب . وهم موصوفون بالحزم والثبات في الاعمال والحرص والامانة . وهم الذين اخترعوا البارود وعل النظارات وصناعة الطبع التي هي افضلها اخترعها غوتنبرج الشهير في اواسط الجيل الخامس عشر بمساعدة رفيقيه بطرس شافر ويوحنا فاوست . ولم اليد الطولى في اصطناع الآلات الموسيقية والالعاب المتنوعة للاولاد . وعلماءهم مشهورون بالغيرة في تاليف الكتب والتدقيق في اللغات الاجنبية . ولم انصباب غريب على المباحث في العلوم والفنون والتدقيق في الامور البعيدة فلا يكفون عن الاجتهاد في تحصيل المعارف وايجاد الفوائد للبشر . وبينهم انتشر الاصلاح الديني في الجيل السادس عشر . وقد تقدم الجرمانيون تقدماً عظيماً في معرفة فنون الحرب فيعدون الان من اعظم الدول واشدها قوة في اوروبا وما ساعدتهم في تقدمهم انما هو انضمامهم لبعض واقبادهم لروسائهم

وانقسمت بلاد جرمانيا قديماً الى ٢٩ قسماً وكل قسم منها له حاكم مخصوص اما من رتبة الامراء او من رتبة القواد المشهورين ثم جرت العادة بين اهالي تلك الولايات من بداعة سنة ١١٢٠ ان يتخبوا ملكاً من اولئك الامراء ويسمونه امبراطوراً



بوحنه غونديج وفاوست عتره من الطبع

على كل أعمال جرمانيا فيكون مطلق التصرف ورئيساً على الجميع وبعد موته يتخبون اخر واستمر الحال كذلك الى سنة ١٤٣٨ حين انتهت هذه العادة وصار ناچ الملكة وراثه في عائلة هابسبورج الى سنة ١٨٠٦ عندما انحلت السلطنة الجرمانية واتحدت مالكةا الغربية وأُنشئت المعاهدة المعروفة بمعاهدة الرين تحت حماية نابوليون الاول. ولكن بعد سقوط المذكور سنة ١٨١٥ تبدلت تلك المعاهدة باخرى جديدة بين اربع وثلاثين دولة وتلقت بالمعاهدة الجرمانية تحت رياسة امبراطور النمسا. اما الخمس مالك الاخر نمة التسع والثلاثين فالتحت بمالك اخرى اما بالارث او بانقراض سلالة الملك. وكانت كل مملكة من الاربع والثلاثين المذكورة مستقلة في داخلها الا انها خاضعة الى مجلس عام منظم من وكلاء كثيرين يرسلون من طرف المقاطعات المختلفة الى مدينة فرانكفورت لاجل الحاماة عن حقوق المالك الداخلية وتحسين حالة الامة وسن الترابيب والقوانين العمومية. وبسبب ذلك الاتحاد والارتباط كانت المالك الجرمانية ملتزمة ان تساعد بعضها البعض وقت الحاجة حتى ان جميع رجالها كانت تجر الى الحرب عند الطلب بدون استثناء وليس ذلك الا احتياطاً من مهاجمات الاعداء على بلادها وحذرأ من سطوة فرانس التي كانت قد اضرت بها ضرراً عظيماً في ايام نابوليون الاول. فدام هذا الترتيب الى سنة ١٨٦٦ حين اضطرت نيران الحرب بين بروسيا والنمسا واتصرت فيها الاولى بعد حرب وجيزة فانصلت دولة النمسا من المعاهدة الجرمانية واسست دولة بروسيا معاهدة تعرف بمعاهدة المانيا الشمالية فتحالف معها احدى وعشرون دولة من الدول الجرمانية واما البقية فعقدت معها معاهدة تحت رياسة دولة بافاريا تعرف بالمعاهدة الجنوبية وست ضمها بروسيا الى املاكها واثنان بقينا تحت تسلط ملك هولاندا وهما دوكانو لوكرمبورج ودوكانو ليمبورج

## الباب الثاني

في اخبار الجرمانيين القدماء وما حدث في ايام سلاطينهم من  
سنة ٩١٢ مسيحية الى ظهور مرتينوس لوثيروس.

ان قبائل جرمانيا الاولى كان يقال لها براهرة منها قبيلة الغوثيين  
والفيزيغوثيين والفنراليين والسويغيين والكمبريين والتوطونيين والهروليين  
والالمانيين وغير ذلك من القبائل والطوائف التي جاءت من اسيا وسكنت  
تلك البلاد . وكانوا على جانب عظيم من الوحش والتمرد يلبسون جلود  
الوحوش الضارية ويشنون الغارات في كل جهات اوروبا حتى انهم استولوا  
على عدة مدائن واستخلصوا جملة ممالك واضروا باكثر السلطنات العظيمة  
واقفلوا الارض بحروبهم ووقائعهم المتصلة حتى ان السلطنة الرومانية مع كل  
سطوتها وقوة بطشها وشوكتها كانت تنهار وتفسد بحسابهم وما زالوا كذلك الى  
زمن قيصر فخارهم واخضعهم بعد حرب شديدة ووقائع عديدة

فبواسطة دخول الرومانيين الى جرمانيا تحسنت احوال هولاء البرابرة  
فانهم اقتبسوا عنهم جملة صنائع وعوائد مفيدة جعلتهم متقدمين نوعاً سواء كان  
في معيشتهم ورفاهيتهم ام في امورهم وسياستهم الحربية واصطناع الحنم . وازدادوا  
بومياً في التقدم والنجاح بينا كان الرومانيون يضعفون ويستطون ولم يمض عليهم  
اربع مئة سنة حتى اغتتم الجرمانيون تلك الفرصة فاستعدوا ونهضوا لافتتاح  
البلاد التي كانت خاضعة لرومية فدخلوا اسبانيا واطاليا وبلاد اليونان وغيرها  
من الممالك واستوطنوا بين تلك المداين الزاهرة الغنية حيث جمعت رومية غناها



ومجدها . واما ما بقي من اولئك البرابرة في بلاد جرمايا الذين لم يخرجوا مع القوم للغزو فاخذوا يتقدمون وينمون حتى انهم في ايام شارلمان ملك فرنسا الشهير صاروا امة عظيمة ذات شوكة وبأس . ولكن مع كل ذلك استظهر عليهم هذا الملك فاخضعهم في الجيل الثامن واستولى على بلادهم ونسب سلطانا عليها واقام فيها واصلح شأنها وتناولها خفاقه من بعده وبقيت متحدة بالسلطنة الغربية الجديدة التي اسماها شارلمان المذكور الى سنة ٨١٧ نهاية امبراطورية كارلوس السمين . فمن ذلك الوقت اخذ بنيان الامبراطورية في ارتجاج واعتب ذلك سقوطها التام فاضمعت وتلاشت كانهما اضغاث احلام وانفصل تاج المانيا عن تاج فرنسا وصارتا دولتين ممتازتين عدوتين لبعضهما الى هذا اليوم . وبعد ذلك بقايل اتحد بعض مالك جرمانيا وابطلوا حقوق الوراثة الملكية واستقر الراي على قيام الملوك بالانتخاب

ولم يكن الاتحاد الالماني في اول الامر عاماً بين كل مالك جرمانيا بل كان منحصراً بين خمس مالك فقط وهي فرانكونيا وساكسونيا وسوابيا وبافاريا ولورين . وكان القصد في ذلك الانضمام ليكونوا بدياً واحدة للحمامة والمدافعة عن بلادهم من غزو الهونيين الذين كانوا منتشرين في كل جهات بانونيا التي اُثبتت يهونكاريا نسبة لهم وهي بلاد المجر . فتخالف شعب هذه المالك وامراؤها واقاموا عليهم ملكاً يدعى كونراد امير فرانكونيا وذلك سنة ٩١٢ وهو الاول من ملوك جرمانيا فاستبد بالسلطنة العامة الى سنة ٩٣٠ واذا رأى نفسه متعباً من مهام السياسة والحروب تنازل عن تاج الملك الى خصمه هنري الاول امير ساكسونيا الذي به ابتدأت عائلة ملكية جديدة فاقهر مزيد الشجاعة والبسالة في محاربة المجر اذ كسر شوكتهم ودفع ضررهم عن بلاده

وكانت جرمانيا وقتئذ بعد سقوط سلطنة شارلمان رئيسة السياسة في اوروبا ولها التقدم العام على باقي المالك في اهم الامور والاعمال ولاسيما في ايام اوثون الكبير الذي خلف ابيه هنري الاول سنة ٩٣٦ فانه كان ملكاً مهيباً ذا سطوة

وشوكة فاوجد للسلطنة رونقاً جديداً وبهجة غربية فاعظم بأسها وخيف بطشها في اوروبا. ولكن لم تكن الراحة تامة داخل البلاد لانه اذ كان الاشراف يشتغلون في توطيد شوكتهم التي اكتسبوها في ما مضى كان الامبراطور اوثون وخطاؤه بعده يسمون في كسر تلك الشوكة فنشأ عن ذلك منازعات اهلية اوجبت اشهار السلاح بين الامبراطور وبعض الاشراف المذكورين

وكان السبب في اكتساب اشرف المانيا الشوكة والامتتال هو انه بعد موت الامبراطور كارلومان ( احد خلفاء شارلمان في السلطنة الغربية ) حصل لبعض خلفائه عجز وعسر عظيمان . فانتهزت تلك الفرصة الاشراف ومن هو اقل منهم ايضاً وادعوا لانفسهم حقوقاً وامتيازات جديدة فحماوا عليها لعدم وجود من يقاومهم . وكان ايضاً البعض الآخر من اولئك السلاطين مشغولين بحروب دائمة من داخل فاضطروا ان يطلبوا مساعدة الاكابر واحزابهم فاذلك كانوا براعون خاطرهم ويتغافلون عن تعدياتهم الكثيرة ويخونهم حقوقاً فوق العادة . فبهذه الوسيلة صار للاشراف مقام كبير وشوكة عظيمة وبالدرج صارت الالتزامات وراثية في العائلة يطلبها ويتناولها الوارثون كحقوق شرعية . وفضلاً عن ذلك كان هؤلاء الاشراف يرتبون في اراضيهم قوانين واحكاماً خصوصية مخالفة لنظام المملكة حسب استحياسهم . وكان السلاطين يرون ذلك ويفضون النظر عنه لاحتياجهم اليهم ولكي يطمئن اوثون من ثورات اولئك الاشراف وهياجهم ارتأى ان يقيم في البلاد حزباً اخر يوازي ويعادل حزب الاشراف ليقمع به شوكتهم عند اللزوم فاخذ ينشط حزب الاكايروس ومنهم حقوق الاراء المدنيين وامتيازاتهم وغمرهم بالانعامات وساواهم بالعنف الآخر فكان ذلك من بسس السياسات لانه ولئن اتى هذا التدبير موقتماً ببعض النوائد واوقف سير شوكة الاشراف ولكنه عاد اخيراً بنتائج ردية لانه لما اتوى حزب الاكايروس واغتنى رجاله وجد ملوك المانيا فيهم عداوة مرة ومقاومة شديدة لمصادمهم فعوض العدو الواحد صار لهم اثنان وكان الاخير اضراً من الاول

وقد قهر اوثنون مملكة بوهيميا واطافها الى احكام جرمانيا وضرب عليها المال . ثم حارب المجر في اوكسبرج وانتصر عليهم وحارب الدينبارك وفرانسا وقهرها وبالجملة كان رجلاً مسعوداً ومنصوراً في جميع حروبه ومغازبه . وقد تزوج بعدلايد ارملة لوثير ملك لومبارديا واذ صار له بسبب هذا الزواج حق المداخلة في امور ايطاليا دعاه البابا يوحنا الثاني عشر ليخلصه من جور بيرنجر ملك ايطاليا فذهب اوثنون اليه وخلعه عن كرسي الملكة وصم ايطاليا الى امبراطورية المانيا بعد ان توج ملكاً عليها سنة ٩٦٢ . فلما راي اوثنون ما هو فيه من النجاح والظفر عمت بصائره واغترت بفتوحاته ولقب نفسه اوغسطوس قيصر زاعماً انه خليفة امبراطرة الرومانيين القدماء وانه ورثهم في حقوقهم وسلطنتهم فلم يسر البابا يوحنا الثاني عشر من انتصار اوثنون الغريب ومن دعواه بالامبراطورية الرومانية وخاف ان يفقد رياسته الزمنية فجاهر ضده وحرك الآخرين ايضاً فانقض اوثنون عليه وخلعه عن كرسيه ونصب مكانه ايو الثامن وصم من ذلك الوقت ان يجعل السلطة المدنية تسود على السلطة الكنائسية وان تسمية الباباوات وتفويض الاساقفة بخصران فيه وفي خلفائه من بعده . ولكن بعد رجوع اوثنون الى بلاده وتوفي البابا ليو انكر اهل رومية على اوثنون حتى تسمية الخليفة الجديد فالتزم ان يجاريهم فوافقهم بالجنود والرجال واخضعهم واقام من اراد ثم مات هذا الملك الشهير سنة ٩٧٣ مكلاً بالجد والظفر

وخلف اوثنون الكبير ابنة اوثنون الثاني الذي كان قد نسي خليفة في حياة ابيه وكان قد قام له خصم من اقاربه وهو امير مملكة بافاريا فاظهر له العداوة والعصاة طمعا بالملك ولكنه لم يقدر عليه . واذ كان قد صم لوثير ملك فرانسا على امتلاك مقاطعة اللورين ارسل جيشاً واستولى على مينس وغيرها من الولايات التابعة لاحكام جرمانيا فرحف اليه اوثنون وحاربه ودخل بجنده الى وسط مدينة باريس قوة وجبراً والزم فرانسا على التباعد والسكوت عن تلك

الدعوى ثم زحف من هناك الى ايطاليا واخضع بعض البلاد التي اظهرت العصاة. وكان يومئذٍ شعبٌ عظيم بين اهالي رومية بسبب انتخاب ثلاثة باباوات في وقت واحد وكان كل واحد منهم مجرم ويلعن الآخر فاعاد اوثون بنديكتوس الساع الى كرسي الحبرية وبعد ذلك بمدة يسيرة توفي في رومية وعمره ٢٨ سنة وخلفه ابنه اوثون الثالث سنة ٩٨٣ فكانت بداية ايام متعبة بسبب تمرد الايطاليين لانه كان قد ظهر يومئذٍ في رومية رجل يقال له كريستينوس لقب نفسه فنصلاً وشرع بارجاع المشيخة الى رومية بعدما خلع البابا غريغوريوس عن كرسيه فوافقه عامة الشعب على هذا المشروع ولكنه لم يتمكن من اتمام مناصده اذ لم يجد بين الشعب الروماني محبة الحرية . فوافاه اوثون الثالث وحاربه في مدينة ميلان وقبض عليه وقتله بعدما استولى على المدينة ثم اعاد البابا غريغوريوس الى كرسيه . وقد استظهر هذا الامبراطور على الدينارك وعند معاهدة مع ملكها ابريك الذي كان ملكاً ايضاً على اسوج ونروج ومن جملة الشروط المدرجة فيها ان يسمح الملك ابريك للمسلمين المسيحيين بالدخول الى بلاده وتكون لهم الحرية في تعليم الشعب فاني ذلك بفوائد جليلة . ومن جملة اعماله ايضاً انه طرد المسلمين من جنوبي ايطاليا حيث كان صار لهم ٤ سنة يغزون البلاد

وبعد موت اوثون الثالث وقع الانتخاب على هنري الثاني حفيد اوثون الثاني فاقاموه امبراطوراً عليهم وكان المذكور على جانب عظيم من التواضع والزهد حتى قيل انه نزع تاج السلطنة عن راسه وذهب الى بعض الاديرة قاصداً ان يصرف باقي عمره في العيشة المنفردة . فقال له رئيس الدير ذات يوم وكان قد قبله كاحد الرهبان اعلم ايها الاخ انه من شروط الرهبنة الطاعة والخضوع لاوامر الرئيس فحسب كوني رئيسك آمرك الآن ان ترجع الى كرسيك فان ذلك افضل جداً من انسحابك فاجاب هنري سؤاله ورجع الى سريره ملكه واستمر امبراطوراً الى ان توفي سنة ١٠٢٤ . فاجتمع امراء جرمانيا

للمفاوضة والمذاكرة في انتخاب خليفة له وبعد مرور ستة اسابيع اتفق رايهم على كونراد الثاني امير مقاطعة فرانكونيا فبايعوه بالملك والبسوه التاج وفي مدة حكمه الحقت برغونيا بالسلطنة الجرمانية . وبعد موته خلفه هنري الثالث فكانت ايامه في بداية الامر مشدبة بحروب متصلة مع المجر واهالي بوهيميا وبولونيا فانصر في جميع وقائعهم . وكانت سطوته مظلمة اكثر من جميع سلفائه من سلاطين جرمانيا فتدمر اشراف الشعب من صنيعة وخذوا عليه ولكنهم لم يستطيعوا النظار بالعداوة الى ايام ابنه هنري الرابع الذي تبوأ سرير السلطنة سنة ١٠٥٦

واشتهر حكم هنري الرابع بالحروب والفتن التي وقعت بينه وبين بابا رومية بسبب حتى تسمية وتقليد الاكليروس ووظائفهم . وقد ذكرنا فيما تقدم ان اوثون الكبير ومن خلفه قد جعلوا هذا الامر تحت سلطة كرسي السلطنة ولكن في ايام هنري الثالث انكر عليهم هذا الحق البابا اسكندر الثاني واصدر منشوراً يصرح به انه بما ان السلطنة الروحية هي اعظم من السلطنة العالمية فلا يبق للاكليروس ان ياخذوا اسميتهم وحق التصرف بوظائفهم من رؤساء عالميين بل انهم ينالون ذلك راساً من الله وبناء عليه ينبغي ان الامبراطور يخضع للسلطنة الكنائسية ولا يكون له حق ان يتصرف بملكه الأبرخنة من البابا . ففي ايام هنري الرابع الذي نحن بصدده ارسل اليه البابا غريغوريوس السابع رسولاً يبعثه عن التثبث في دعواه بحق السيامات الاكليريكية ويطلب اليه ان يجنب التعدي على ما هو من وظائف الباباوات فلم يقبل هنري ترك هذه الحقوق لانها كانت ثابتة لاسلافه فرفض مداخلة البابا في ذلك واحترق رسوله ورده خائباً . فغضب غريغوريوس من معاندة هنري واذ كان يعلم ما في قلوب اشراف الجرمايين من البغضة والعداوة المتسلسلة من ايام هنري الثالث وما قبل اشهر حرماً ضد هذا السلطان مانعاً اياه عن التصرف بحكمه ومحرضاً الشعب للخروج عن طاعته فبعثاً عن ذلك منازعات شديدة افضت لاخذ

الاسلحة وسفك الدماء زمناً طويلاً . وتُعرف تلك الحروب بحروب السيامات  
الأكليزيكية . وكان من جملة من خرج عن طاعة هنري الرابع امراء المانيا  
واعيانها واكابر قسوسها فاخذوا في قتاله وحرصوا عليه امه وزوجته واولاده  
حتى انقضوه وتبرأوا منه وانضموا الى حزب اعدائه . فاصبح هذا الامبراطور  
مخاطباً بالاطظار من جميع قومه ومتروكاً من اهله ولم يجد سيلاً للتخلص من  
تلك الورطة الا بواسطة تهديد غضب الحبر الروماني فذهب اليه سنة ١٠٧٦  
الى ايطاليا ليطلب العفو والسماح على ما صدر منه فلم يقبله البابا في اول الامر  
بل ابقاه ثلاثة ايام داخل الدار الخارجية ملفوقاً بعبادة وحافي الرجلين في شهر  
كانون الثاني ثم بعد ذلك اذن له بالدخول عليه . وبعد ما اخذ عليه  
عهد الطاعة واشترط عليه شروطاً مفصحة حله من الحرم واطلقة . ولكن بعد  
ذلك بستين نهض هنري للاتهام من البابا وكان قد تحزب معه جمهور غفير  
من اللومباردين وبينما كان مشتغلاً في محاربتهم عصته رعاياه فخرمه البابا ثانية  
ونادى بتزليده بعد ان عين مكانه رودولف امير الصوابيين فلم يثن عزم  
هنري عن الاستمرار في سبيل تميم مقاصده فاخذ عاجلاً في تقوية قوته الحربية  
وكان قد استمال اليه بعض الاساقفة الذين لم يسروا من صبيح غريغوريوس  
فانزل البابا عن كرسي الحبرية بالقوة الجبرية واقام مكانه اكليمنضوس  
الثالث . ثم ان هنري بعد ما اخذ الفتن الداخلية في جرمانيا وقتل رودولف  
اشفى على ايطاليا واقام الحصار على رومية حتى افتتحها بعد سنتين متواليتين  
اما غريغوريوس فهرب والتجأ الى روبرتوس ملك نورمديا ومات هناك .  
وبعد رجوع الامبراطور الى جرمانيا نهض جماعة من اهل رومية ممن كانوا  
يعادون هنري المذكور فانزلوا البابا اكليمنضوس الذي كان قد اقامه واقاموا  
مكانه البابا فيكتور الا انه لم تطل ايامه حتى توفي وبموت فتح الباب لدخول  
اوربانوس الثاني

اما هنري فكانت مصائبه الاخيرة اشر من الاولى لان البابا اوربانوس

هجم عليه الحروب من كل جهة وجعل ابنه كونراد يقوم عليه ويعصيه ويتخذ مع باقي اعدائه فاستخلص أكثر ولايات ايطاليا بمساعدة البابا المذكور واقام عليها ملكاً ولكن لم يصفُ الزمان لا للبابا اوربانوس ولا لكونراد لان الموت فاجأها في وقتٍ قريب . فخلف اوربانوس البابا باسكال الثاني وقد حدا حدوسالنه فانه عند جلوسه على كرسي الحبرية اشهر حرماً ضد هنري الرابع واغري هنري ابنه الاصفران يعصي ابيه ويجلس مكانه كما اغري اوربانوس كونراد قباه ففج الابن بهذا المشروع وخلع والده عن سربر السلطنة واذاه وجلس مكانه تحت اسم هنري الخامس فهرب هنري الرابع الى بلاد البليك وهناك صرف باقي عمره باحتياج شديد

وقد نشأ عن المشاجرة التي حصلت بين هنري المذكور وبين البابا غريغوريوس عداوة مرّة وحروب كثيرة بين حزبين عظيمين احدهما يقال له حزب الغوالف والاخر حزب الجييلين . فمكثت نيران تلك الحروب مضطربة بين المانيا واطاليا ثلاثة قرون من غير خمود فكان حزب الغوالف يعضد الباباوات ومدعياتهم وحزب الجييلين يجاهي عن شوكة الامبراطورية ولا محل هنا لذكر الوقائع والخسائر التي حدثت بسبب تلك الحروب

اما هنري الخامس فلم يستقرّ زماناً طويلاً مكان ابيه حتى اخذ يسلك سلوكه في مقاومة الكنيسة وروسائها وذلك لان البابا باسكال كان لا يزال مصرّاً على رفض حقوق السلاطين والملوك في المداخلة بمسئلة السيامات الاكثريكية . فاستمر هنري الخامس في تلك المنازعات عدة سنوات يغزو ايطاليا ويضربها حتى اضعف شوكة البابا بتكرار مغازبه وحروبه واخيراً اسره والزمه قهراً ان يقر له بتلك الحقوق ويخضع لسلاطين غير ان البابا بعد تخلصه من قبضة الاسر اقام الحجّة على تلك المعاملة الاغصائية التي اجراها معه الامبراطور هنري وحرمة واستنشاط هنري غيظاً وقصد مدينة رومية بالعساكر والابطال فاضرّ بها وباملاكها ضرراً جسيماً وطرّد البابا منها واقام حبراً اخر مكانه وكسر شوكة

المعادين. واستمرت تلك المنازعات مدة ليست بيسيرة حتى قام البابا كاليكتوس الثاني واصلى الامور بواسطة مجمع عقده في مدينة وُرس حيث تنازل الامبراطور هنري الخامس لكرسي رومية في حق التصرف الديني للاكاكيروس. وكان هذا الامبراطور قد اقام حروباً كثيرة مع المجر واهل بولونيا وفرنسا وغيرها فعُدَّت مدة احكامه من جملة الاحكام الدموية التي جرت في ممالك اوروبا ثم توفي سنة ١١٢٥ ولم يترك نسلًا

وجلس بعده على سرير السلطنة لوثير امير سوياتبرج سنة ١١٢٥ بانتخاب الشعب فخارب البوهيميين واخضعهم ثم انتصر للبابا اينوسنت الثاني ضد اناكيتوس الذي ادعى بالباباوية وزحف على ايطاليا لاجل توطيد ساطة البابا في رومية. وكان روجير امير مملكة ابوليا متعصبًا لاناكيتوس فوقع بينهما حربٌ بهذا السبب الجأت روجير ان يترك املاكه في ايطاليا ويقصد سبيلها التي كان قد تملكها مؤخرًا من المسلمين واما اناكيتوس فكان قد قبض عليه وسجن

وتبوء تحت السلطنة بعد لوثير المذكور كونراد الثالث سنة ١١٤١ وفي ايامه وقعت حروب اهلية كان سببها امير ولاية بافاريا الذي انكر على كونراد حق السلطنة فنهض الحاربة بعضها بعضًا واستمرت بينهما الحروب زمانًا طويلًا. وبعد نهايتها اشترك كونراد في الحروب الصليبية فسار بجيش عديد الى بيت المقدس ولكنه رجع بالخبية كما مرّ ذلك في تاريخ الصليبيين. ثم تولى بعده زمام السلطنة فريدريك بارباروس سنة ١١٥٢ بانتخاب الشعب وكان شجاعًا مقدامًا وبطلًا هامًا حارب البولونيين واخضعهم ووقع الرعب في قلوب البوهيميين الذين كانوا لا يفترون عن الظاهر بالعصاة والتمرد. ثم حارب ملك الدنيارك واذله. وكان وقتئذ اللومبارديون يصبون لاستنشاق نسيم الحرية والتخلص من جور جرمانيا فشجعهم على ذلك البابا اسكندر الثالث فخلعوا الطاعة ورفعوا راية العصيان على السلطنة فخاربهم فريدريك ولم يفر منهم بطائل ثم



زحف الى ايطاليا بجيش جرار لاخذ النار والانتقام من اهلها لانهم كانوا سبياً  
لهذه الحروب فحاصر بعض مدن تلك البلاد وهدمها ولاسيما ميلان فانه على ما  
قيل محامها بالكلية وزرعها ملحاً

ثم خلفه ابنه هنري السادس سنة ١١٩٠ وكان كايه موصوفاً بالنبجاءة  
وقوة البأس فادعى بناج ملك صقلية بعد موت وليم ملكها لان زوجته كانت  
اخت الامبراطور المذكور فانكرت عليه ما لك ايطاليا هذا الحق واذ اعترضوه  
في هذا الامر جرد عسكرياً وزحف به على ايطاليا واستولى تقريباً على كل كامبانيا  
وكالابريا واپوليا ثم افتتح في تجريدة اخرى ملكي صقلية وناپولي ونال ما كان  
يؤمله. وكانت مقاصد هذا الملك متجهة الى اطال عادة انتخاب السلاطين وان  
يجعلها وراثية في عائلته فسحوا له بعد مشاجرات طويلة بتسمية ابنه فريديريك  
الثاني امبراطوراً من بعده. وكان فريديريك المذكور صغير السن عند موت  
ابيه فأقيم عمه فيليب وصياً عليه الى ان بلغ العمر الثلاث فاستلم زمام السلطنة.  
وكانت وقتئذ الحروب الصليبية منتشرة في بلاد الشرق. واذ رغب البابا في ان  
يستميل هذا الامبراطور لمعاودة الصليبيين ازوجه بابنة يوحنا بريان ملك  
القدس بعد ان وهبها ابوها تلك الملكة في مقابلة جهازها وكان البابا بلغ عليه  
للتيام الى تلك الجهات فوعد فريديريك بالذهاب ولم يذهب. ولما طال  
الوقت وانتطع الامل لم يعد الخبر الروماني يجدي سبيلاً سوى اشهار الحرم على  
فريديريك الامر الذي دعى هذا الامبراطور الى اشهار الحرب على ايطاليا.  
فزحف اليها وضيق عليها فالتزم البابا ان يهرب من رومية ووضع فريديريك يده  
على كل املاك الكرسي الروماني. ثم وفي بعد ذلك ندره وذهب الى الاراضي  
المنقوسة فنجح في سفرته اكثر من سلفائه اذ عقد صلحاً بدون حرب على عشر سنوات  
مع الملك الكامل الابوي تحت شروط معلومة منها استرجاع مدينة القدس مع  
بعض البلاد المجاورة. ولما صم فريديريك ان يتوج نفسه ملكاً على مدينة القدس  
اعترضه البابا غريغوريوس التاسع في ذلك ومنع الاكليروس عن تويجه

فالترم فريدريك ان يتناول التاج عن المذبح ويتوج نفسه بيده. فخرمة البابا  
ثانيةً وبهذا السبب امتشبت الحروب مرة اخرى بينه وبين ايطاليا واشتدت بهذا  
المقدار حتى جرت فيها الدماء كسواقي الماء . وبينما كانت جرمانيا في تلك  
الايام مضطربة الاحوال وعذيمة الانتظام من جرى الحروب والوقائع نهضت  
بعض الممالك المخالفة مع السلطنة الجرمانية وهي دنبارك وهولاندا وهنكاريا  
وخامت الطاعة واستقلت

وسنة ١٤١٠ جرى الاتحاد المعروف بالاتحاد الانسياتيكي بين اكثر مدائن  
جرمايا الجنوبية مثل هامبورج ولوبيك وروزويك وغيرها قصداً لحفظ حريتهم  
وردع سطوة امراء الولايات واعمل الطمع عن اذيتهم . وقد سميت تلك المدن  
بمدائن الهاس التي معناها باللغة الجرمانية المدائن المشتركة واتى هذا الاتحاد  
بنتائج مفيدة للتجارة بهذا المقدار حتى انه دخل تحت لوائه ثمانون مدينة من اعظم  
المدائن الكائنة على بحر البتيك ونهر الرين واقتطف اهلها اثار المكاسب  
والسلم والقوة الناتجيت ضرورةً من التوافق والتعاقد . وكانت المعاهدة  
الانسياتيكية مكرمة ومهابة عند الجميع حتى ان اعظم الملوك كانوا يودون  
مصاحبها وبخشون بأسها ويحافظون على علاقاتها الحبية معها . ولكن عند  
اكتشاف اميركا وافتتاح باب جديد للتجارة اخذت صوايح المدن الانسياتيكية  
ترجع الى الورا فأنحل عند ذلك الاتحاد سنة ١٦٣٠ ولم يبق مشتركاً في سوى  
ثلاث مدن فنط وهي هامبورج وبريم ولوبيك وانضمت هذه ايضاً الى بروسيا  
سنة ١٨٦٧ ولم يبق للحكومة الانسياتيكية اسم الآن

ثم بعد موت فريدريك الثاني حدث اضطراب عظيم بسبب انتخاب خليفة  
له فتسي جملة اشخاص ولكنه لم يقع اتفاق عام على احد منهم حتى قام اخيراً  
رودلوف هامبورج احد الامراء المشاهير من عائلة الغوالف القديمة وكان ذا  
ثروة واملاك كثيرة في بلاد السويس فبايعوه بالسلطنة سنة ١٢٧٣ ومئة نبغت

ملوك النمسا وكثير من ملوك جرمانيا ضربنا صفحا عن ذكرهم لعدم اهمية اخبارهم في مختصر كهذا الى حين ظهور الامبراطور كارلوس الخامس المعروف بشارلكان

## الباب الثالث

في بعض اخبار مرتينوس لوثيروس والاضطراب الذي حدث في جرمانيا بسبب آرائه الدينية

ان اول من تظاهر في اراء دينية مخالفة للمعتقد الروماني الكاثوليكي بعد ويكيليف الانكليزي رجل يقال له يوحنا هس من مدينة براك في بوهيميا في اواخر الجيل الثالث عشر وسبب اذاعته تلك الراء ومناداته بها بين الشعب حدث سجن عظيم في الكنيسة. ولما عظم الامر واشتد قصد سيجيسموند سلطان جرمانيا ان يزيل تلك الاسباب ويصلح حال الكنيسة فانفق مع الحبر الروماني على عقد مجلس للنظر في تلك الامور فعقد مجمع في مدينة قسطنسية التابعة امرية بادن سنة ١٤١٤ وأخضر يوحنا هس للرافعة فحكم عليه بالهرطقة ومن تم بالموت فحرق ولم يرتد عن آرائه. وكان ليوحنا هس صديق عالم يقال له جبروم فوافقه في آرائه وعلم بها فاصابه ما اصاب صديقه ومات حرقا بالنار بعد رفيقه بستين ولكن لم تمت تلك التعاليم هوت ذينك الرجلين فانها امتدت اكثر فاكثر واشغلت افكار الشعوب حتى انفجرت اخيرا في الجيل السادس عشر بمناداة مرتينوس لوثيروس

وكان لوثيروس المذكور من مدينة اسلابان من اعمال سكسونيا ولد سنة

١٤٨٣ ومع ان اهله كانوا من ذوي الفقر والفاقة تربى تربية جيدة وتمكن من العلوم وكان له صفات خصوصية تدل على نباهته وندور قريحته وكانت نفسه تميل طبعاً الى معرفة الامور الصعبة التي تنصرف عنها هم الرجال وكان زاهداً في امور الدنيا يجب الوحدة والانفراد . فدخل الى دير من اديرة الرتبة الاوغسطينية وترهب واشتهر بالتقوى والصلاح والاجتهاد الغريب في المطالعات والعلوم اللاهوتية وغير يوماً على نسخة من الكتاب المقدس في مكتبة الدير فاخذها وبذل جهده في تصفحها ومراجعتها المرة بعد الاخرى حتى تمكن من تعاليمها ومعانيها فاقتبس منها ايات كثيرة لم يكن اقراءه قد اعتادوا على استعمالها فحصل على تقدم عظيم وشهرة فائقة حتى ان فريدريك امير ساكسونيا انتخبه ان يكون معلماً للفلسفة واللاهوت في مدرسة انشأها في مدينة وتبرج . وكان وقتئذ البابا لاون العاشر حبراً في رومية فتوسع سنة ١٥١٧ في منح الغفرانات التي كان سلفاً قد شرعوا فيها لمن يذهب ويساعد في الحروب الصليبية او لمن يبذل شيئاً من الدراهم لبناء كنائس او مقاصد اخرى دينية وولج اناساً مخصوصين لبيع تلك الغفرانات بالدراهم وفاء عن ذنوبهم ومعاصيهم من جلتهم احد رهبان الدومينيكيين البلغاء اسمه تزل فكان يجول مع رفقاءه بين شعوب جرمانيا منادياً بالبركات الروحية التي تعقب الغفرانات المنوحة من راس الكنيسة المنظور ببيعونها للعامة بائخس الاثمان . فنفرت قلوب الملوك والامراء من ذلك الصنيع اذ راوا اموال رعاياهم ذاهبة الى خزينة البابا لاون لينفقها في الاسراف والتبذير . وكان كثير من اقباء الناس يتأسفون على ضلال العامة في تصديق ذلك التعليم والاعتماد عليه في خلاص الانفس من جلتهم مرتينوس لوثيروس الذي نحن في صدده فانه لم يتوقف عن المناداة علناً في الكنائس والمحافل بفساد ذلك التعليم وغيره من العقائد التي حسيها من البدع المضرة بالديانة والآداب فاستولى كلامه على قلوب الناس وجمعت العامة على استماع مقالته . فاقترح ٣٥ مسألة تتضمن فحوى افكاره واراؤه في

شان الغفران ونشرها على العامة وطرحها امام العلماء ليحجوا ويشتتوا منها ما استحسنوه وعين اياماً معلومة لاجتماعهم لاجل المناكرة والمفاوضة فيها وكان مع ذلك مظهرًا غاية الطاعة والانقياد للكنيسة الرومانية

فخصت الايام المعينة ولم يات احد بل تصدى لمعارضته بعض العلماء فكتبوا ردًا على تلك المسائل ونشروها مشنعين بحق كل التشنيع . وكانت استناداتهم في احتجاجاتهم مبنية على اراء العلماء والاحبار والقوانين الكنائسية اما هو فكان قدحه بوجع الغفرانات مبنياً على نصوص وبراہين قاطعة متبسة من الكتاب المقدس ومن العقل السليم . فظهر للعامة ان مجادلة اولئك اللاهوتيين واعتراضاتهم انما كانت مبنية على اغراض نفسانية لا ثقة فيها نظراً لركابها ومخالفتها العقل والنصوص الالهية

ولما لم يفتر لوثيروس عن السمكوت في تغليط تلك الاقوال اخذ اخصامه يلجئون على ديوان رومية بتأديبه ومعاقبته لان تعاليمه كانت قد اثرت تأثيراً عظيماً في جميع الاقطار الالمانية وصارت من الامور الخطرة المقتضي مداركتها . فارسل البابا لاون يستدعي لوثيروس الى رومية للمحاكمة . فابي التوجه خوفاً من القدر والحياة والنفس فخص دعوة في نفس المانيا وساءت عليه ذلك اصدقاؤه وامير سكسونيا وكتب هو كتاباً في ذلك الشأن الى الحبر الروماني يظهر به طاعته وامتناله لاوامر ديوان رومية فعناه البابا لاون من التوجه الى رومية وامر نائبه في المانيا الكردينال كاتيجان ان يفحص تلك التشكيكات ويحكم بما يستحسنه فذهب اليه لوثيروس الى مدينة اوجسبرج وجرى بينها مساحنات ومجادلات كثيرة فسلك كاتيجان معه مسلك الكبر والعنفوان لا مسلك الحق والاذعان وتمدده بالغضب والقصاص عندما رآه متشبثاً بآرائه وغير منثنٍ عن عزيمته فخاف عليه اصحابه وعملوا على ارجاعه لوطيه فقبل لوثيروس النصيحة ورجع . اما كاتيجان فلما بلغه هرب لوثيروس غضب وكتب الى فريديريك امير سكسونيا يطلب منه ان يقبض عليه ويرسله اسيراً الى رومية فابي

فريدريك اجابة ذلك الطلب . ولكن مع كل هذه المساعدة كان لوثيروس في ريب وخوف من جهة دوام حماية فريدريك له نظراً لما بعلمه من سطوة الكنيسة في ذلك الوقت

واذ كانت حالة السياسة يومئذ في ارنباك بسبب موت الامبراطور مكسيميليان وانتخاب خليفة له والكنيسة مهوكة في ذلك لم يلتفت كما ينبغي الى لوثيروس ومقالاته فكان على نوع ما في هدوء وسكون وتمكنت تعاليمه في قلوب كثيرين في سكسونيا وباقى جرمانيا واتصلت الى بلاد السويس حيث كانت تباع الغفرانات بدون عائق ولا اعتراض معرفة رهبان الفرنسيسكانيين . وعندما كانوا يعرضون هذه البضاعة على الشعب للبيع في مدينة زورنخ نهض لقاومتهم زوينكليوس العالم الشهير ومجسار غربية اعترضهم وصدّهم ولم يقبل بدخول هذا الامر الى وطنه ولم يحسب ذلك مضراً فقط بالعباد بل عدّه سلباً واختلاساً للتموق الربانية ايضاً وساعده على الجاهرة والتصدي لمقاومة تلك الاعمال حرية البلاد وحكومتها الجمهورية غير المفيدة براس مخصوص فكان مطلق التصرف في حركاته . فسر لوثيروس بذلك اذ وجد له مساعداً يؤيد رايه في تلك المسئلة المهمة وابتداءً حينئذ يتظاهر باكثر جسارة في فساد اعتقادات الكنيسة الرومانية حتى زلزل بمبادئه واعتراضاته اركان قواعد ديوان رومية . حينئذ امتلا البابا لاون وجميع اساقفة الكنيسة ومناصبها غيظاً وحنقاً على لوثيروس فعندوا مجلساً للبحث والمشورة في تلك التعاليم التي كان قد صار لها ثلاث سنوات تنتشر وتمتد بين قبائل المانيا واصدروا منشوراً يجرمون به لوثيروس ومولفاته وكل من يطالعها ويحثون العامة على حرق كتبه ورسائله وعينوا له مهلة ٦٠ يوماً للتوبة والرجوع الى حضن الكنيسة وانه بعد مضي المدة المذكورة ان لم يرجع ويعترف بخطائه على رؤوس الاشهاد يكون مقطوعاً ومخذولاً وضالاً فلم تفرهه لوثيروس من هذا الحرم لانه كان منتظراً من قبل بل زاد تشبهاً بما عنده واخذ يذم البابا وظلمه وتعدية مسيماً اياه المسيح الدجال ويحرض

الملك على الخروج عن طاعته وعدم الانتقاد لامره وافتخر بكونه استوجب  
غضبه جبا بجرية البشر والصالح العمومي . ومع انه الى ذلك الوقت لم يتبع احد  
من الامراء وعظام الناس مذهب لوثيروس ولم يكن قد حصل تغيير في صورة  
الدين ولكنه تقرر في عقول الاكثرين مجادلات لوثيروس واعتراضاته وادركوا  
ضعف احتجاجات الاكليروس واستحسنوا التخلص من اسرديوان رومية وفرحوا  
بالفرصة التي اتهم للهرب من تحت ذلك النير . على انه يجب ان تذكر ان  
الطرق التي سلك فيها لوثيروس لاجل انتشار تعاليمه ومذمتهم من لم يوافقها عليها  
اوجبت له اللوم في العصر المتأخرة وحسبت من المثالب غير الثلاثة ولكن لم  
تفر منها القلوب في عصره بل تلقاها الجميع بفرح وقبول لان الناس كانوا  
في قلق وكرب من جور رومية وتعديتها

ولما تبوأ شارلكان سرير سلطنة جرمانيا وراى انه لا بد له من استمالة البابا  
اليه لاجل مصالحه في بلاده الخارجة عن سلطنة جرمانيا ولاسباب لاجل مقاومة  
عدوه الاكبر فرنسيس الاول ملك فرانسوا لم يجسر على الحماة عن لوثيروس  
فالزمه ان يحضر الى مدينة ورمس امام الجمعية المتعقدة فيها تحت رئاسة  
الامبراطور نفسه لكي يجاوب عن التشنكيات والدعاوي القائمة عليه . فذهب  
بكل جسارة وتلقاه الاهالي بالاكرام والاحترام وكان عدد المصدقين به من الناس  
اكثر من اجتمع حول شارلكان وقت دخوله المدينة بالاحتفال . ولما وقف  
لوثيروس امام ذلك المجلس اظهر من الشجاعة والبسالة ما يدل على ثبات جنانه  
ومع انه اعترف بكونه تجاوز الحد في طعنه وذمه الكنيسة قال اني لا احيد  
عن معتقدي الا اذا اقنعتموني بالبراهين القاطعة والادلة الواضحة من كلام الله  
عن بطلايه

واذ لم تنفع معه المحاورات والتهديدات اثار بعض النفوس على ارباب  
المجلس ان يسلكوا معه سلوك جمعية قسطنسية مع يوحنا هس وبريجوا الكنيسة  
من هرطقة هذا المبتدع . فلم يقبل ذلك الراي لانه كان حضر تحت الاستئمان

ويُحسب القدر به على تلك الصورة من الامور المنكرة فمضى لوثيروس آمناً .  
ولكن بعد ذهابه بايامٍ بسيرة صدر امرٍ من البابا باسم شارلكان وعموم مجلس  
وُرس بتاريخ ٢٦ نيسان سنة ١٥٢١ مضمونه ان لوثيروس قد استوجب القتل  
وانه لا يجوز لاحد من الامراء والاعيان ان يدخله تحت ظل حماه بعد نهاية المدّة  
المعيّنة في ورقة الامان .

واذ كان فريدريك امير ساكسونيا محباً للوثيروس وعرف انه لا بد من  
قتله اذا بقي جاثلاً حسب عادته ارسل له جماعة من الفرسان قبضوا عليه في  
الطريق وهو راجع من وُرس وجاءوا به الى قلعة ورتبورج حيث بقي تسعة  
اشهر تحت الحفظ في مكان خفي لا يطالع احدٌ عليه صارفاً اوقائه في الكتابات  
والتأليفات الدينية لاجل احياء عزم اصحابه التابعين آراءه وبواسطة صديقه  
ملاكثون العالم البالغ كانت تلك المؤلفات تُطبع وتُشرى بين الناس . وبينما كان  
لوثيروس في ذلك المنفى اخذ يترجم بعض الكتاب المقدس الى اللغة الجرمانية  
مسمياً سجنه باسم بطس اشارة الى الجزيرة التي بُني اليها يوحنا اللاهوتي . فكان  
المذهب اللوثيري في تقدم وانتشار مع كل المقاومات والاضطهادات التي  
هاجت عليه ليس فقط في جرمانيا واطاليا بل في فرانسوا وانكلترا ايضاً لان  
جمعية العلوم في باريس ( اونيفرسيته ) اصدرت حكماً قاطعاً يبطلان مذهب  
لوثيروس واعلنت ذلك بكتابات رسمية لمعرفة الجميع وكذلك هنري الثامن  
ملك انكلترا فانه كتب ردّاً على لوثيروس ساءً بالاسرار السبعة مدافعةً عن  
الكنيسة الرومانية ولكن مع ذلك كله لم يثن عزم لوثيروس ولم يكثرث بجمعية  
احبار باريس ولم يخش سطة هنري الثامن بل بادر حالاً بنشر ردّه على حكم  
جمعية باريس وعلى كتاب الملك هنري وساك في نصّ مساك الخشونة والقدح  
ولم يُحسب ذلك وقاحةً منه في ذلك العصر بل كان برهاناً ودليلاً على جسارته  
وثباته . وبعد مضي تسعة اشهر من سجنه خرج من قلعة ورتبورج ورجع الى مدينة  
وتبرج حيث قبله الجميع فرحين



واذ كان الامبراطور شارل كان يومئذ مهتماً بامورٍ اخرى اهم من امر  
 لوثيروس نستدعي كل الالفيات اليها لاجل خير سلطنته اشتهرت تعاليم  
 لوثيروس وامتدت أكثر فأكثرت في مدة الثمان سنوات التي عقيبت مشورة ورمس  
 فانصلت الى فرانسوا وانكلترا وهولاندا . ولكن لما هدأت حروب شارل كان مع  
 فرانسوا امر بالتسامم مجمع في سباريس لاجل فض الجدال الديني الذي اوجب  
 الفلق فصدر حكم المجلس المذكور بتثبيت حكم مجمع ورمس ورفض التعاليم المستجدة .  
 فاجتمع حينئذ امير ساكسونيا مع بعض الامراء والوكلاء الى مدينة من مدائن  
 جرمانيا واقاموا الحجّة على ذلك الحكم ومن ذلك اليوم غلب عليهم وعلى تابعي  
 الاصلاح لقب بروتستانت اي محاجين . ثم امر شارل كان بعقد مجلسٍ اخر في  
 اوجسبورج لم يسمح البروتستانت للوثيروس ان يحصره خوفاً عليهم من القدر  
 فحضر مكانه ملاكثون وقدم المجلس صورة الايمان البروتستانتى واجتهد ان  
 يصلح الحال بين الطرفين فلم يأت ذلك بادنى فائدة واصدر المجلس حكماً  
 صارماً ضد البروتستانت حينئذ اجتمع البروتستانت وعقدوا تحالفاً بعضهم مع  
 بعض سنة ١٥٢١ وهو المعروف بمخالفة سالكالد ( اسم مدينة في جرمانيا ) اتحد  
 بها جميع البروتستانت وتعدوا على مقاومة من يقاومهم واجروا ايضاً اتحاداً سرّياً  
 مع هنري الثامن ملك انكلترا وفرنسيس الاول ملك فرانسوا عنو شارل كان  
 الأكبر . فمن ذلك الوقت الى سنة ١٥٤٤ كانت جماعة البروتستانت في المانيا  
 في راحة وهدوء بسبب انشغال شارل كان بمحاربة فرانسوا والاتراك فكانوا يبنون  
 ويزدادون في كل اقطارها وفي البلاد الخارجية ايضاً . وسنة ١٥٤٦ توفي  
 مرتينوس لوثيروس تاركاً الاسف لجميع اصحابه .

## الباب الرابع

### في اخبار الامبراطور كارلوس الخامس المعروف بشارلكان

ان اخبار هذا الامبراطور وسيادته على اوروبا مما نستحق ان نُخَلِّد في بطون  
التواريخ نظراً لشهرته وكثرة وقائعه وحروبه ومما قصدنا ان نطيل الكلام في  
ذكر اخباره وحالة اوروبا في عصره لا نستطيع ان نستوفي الشرح اللازم عنها  
في هذه الصحف ولذلك نختصر ونقول . ان شارلكان هو الابن الاكبر لفيليب  
ارشيدوك النمسا وامة حنة ابنة فرديند ملك اسبانيا وايزابله ملكة اسبانيا . وُلِدَ  
سنة ١٥٠٠ لليلاد وترى في بلاد الفلمنك التي ورثها عن ابيه وتزوج ملكاً على  
اسبانيا ونابولي سنة ١٥١٦ بعد موت جده فرديند . وكان مكسيميليان الاول  
امبراطور جرمانيا جده ابا ابيه . فلما توفي هذا الامبراطور انتخب الشعب  
شارلكان خليفة له سنة ١٥١٩ وكان من افراد رجال الدهر ذا سطوة وشوكة  
فتمسنت احوال السلطنة في ايامه ووقعت هيبتها في قلوب ملوك اوروبا لان  
الدولة الجرمانية وقتئذٍ كان لها التقدم ونفوذ الكلمة على سائر الدول الاخرى  
لا سيما اذا كان امبراطورها من اصحاب الذكاء والمهارة

ولكن قبل جلوس شارلكان على سرر سلطنة جرمانيا نهض فرانسيس  
الاول ملك فرانسوا وزاحمه على لبس التاج اذ ارسل رسلاً الى بلاد المانيا لالغاء  
الوساوس بين الشعب وعدم قبولهم شارلكان امبراطوراً مظهرًا لم انه صغير  
السن وليس فيه لياقة واهلية لمكافحة المسلمين الذين كانوا يهددون ممالك  
اوروبا وان السلطنة تحتاج الى رئيس خبير صاحب دراية وسياسة لكي ينجد  
بمكتمه نيران الاضطرابات الممتدة في داخلها بسبب المنازعات الدينية التي  
اشغلت عقول الاكثرين . وكان مع تلك النصائح يذل المال والهدايا لمن

بيده زمام الحل والربط ليستميلهم اليه واكن كل تلك الوسائط لم تنفع لان  
الالمانيين بوجه العموم رفضوا سؤاؤه ولم يرتضوا باقامة امبراطور اجنبي عليهم  
فجسب عادتهم في اوقات كهذه اجتمع روساء المالك وعقدوا مجلساً عاماً في  
مدينة فرانكفورت حيث استقر رأي السبعة الذين لهم حق الانتخاب بمبايعة  
شارلكان بعد ما اخثاروا اولاً فريدريك امير ساكسونيا ولم يقبل

فلما اشهر في مالک اوروبا وقوع الانتخاب على شارلكان غضب فرنسيس  
الاول غضباً شديداً وداخلة من الحقد والحسد ما بداخل كل من كان طامعاً  
وصم من ذلك الوقت على معاكسته ومقاومته كما كان شارلكان ايضاً عند حصوله  
على ما كان يصبو اليه صم ايضاً على الانتقام من عدوه ومن ثم نشأت العداوة  
التي نتجت نيرانها في كل مدة هذين الملكين . على انه كان يوجد اسباب آخر  
موجة للنفور والخصام بين الطرفين . منها ان ملكة نابولي كانت في ايدي  
الفرنساويين فاستخلصها منهم فردينند ظلماً وعدواناً وضمها الى اسبانيا فكان  
فرنسيس يسعى لاسترجاع تاجها . ومنها ان امرية ميلان كانت وقتئذ في ايدي  
فرانسا وكان شارلكان يطلبها كاراضي امبراطوريتو وحسب امرية بورغونيا  
ايضاً من متروكات اجداده وان وضع يد فرانسا عليها هو من باب التعدي  
والاغتصاب . فهذه الاسباب مع ما تقدم ذكره من العداوة هيئت الفتن بين فرانسا  
والمانيا زمناً طويلاً وانتدرك فيها اكثر الدول الاوروبية

واذ كانت اكثرها وقتئذ ذات صولة وشوكة تحت حكم ملكها هنري الثامن  
اخذ كل من شارلكان وفرنسيس في استعمال الوسائط لاستيلاء خاطر هذا  
الملك اليه ففجج شارلكان بنوال غايته بواسطة الكردينال ولسي وزير هنري  
الثامن واعداً اياه بالكرسي المهرتي . فانضم هنري الى الامبراطور شارلكان  
وكان سداً عظيماً له ضد فرانسا . اما البابا لاون فكان يتردد في اول الامر  
بين الحزبين مخاراً في سياسته لان الخصمين كما قوين ولا بد للتصريح منها من  
الاستيلاء على كل مالک ايطاليا مع ان غايته العظي كانت ابعاد الاثنين عن

ايطاليا واستخلاصها من ايدي الاجانب فمكث مدة وهو يتردد ولكنه اخيراً عقد معاهدة مع الملك فرنسيس ووعده بمساعدة الايطاليين بشرط ان يقتسمها بينها مملكة نابولي التي كانت تحت تسلط شارلكان . ولكن بعد ذلك بقليل نفي البابا لاون عن فرنسيس وانضم الى حزب شارلكان وعقد معه شروطاً ضد فرانسفا فكانت تلك المعاهدة اساساً لشوكة شارلكان في ايطاليا

فبناء على هذه المعاهدة نشر المتعاهدان راية الحرب على فرانسفا وبينما كانا مستعدين على مهاجمة امريه ميلان اشبكت الحرب في مملكة نافارا التابعة اسبانيا . وسبب ذلك ان هذه المملكة كانت في ايدي عائلة والبرت على نوع من الاستقلال واستخلصها منهم الاسبانويوليون في زمن ملكها حنا والبرت . وطلب اولاد هذا الملك مراراً عديدة من شارلكان ان يردهم لمملكة ابيهم فكان يحاولون من وقت الى آخر فاقصر لهم فرنسيس ملك فرانسفا وامدهم بالجيوش الفرنسية فدخلت المملكة وتغلبوا عليها اذ لم يجدوا فيها من يقاومهم ثم تقدموا على مملكة كاستيل وناموا المحصار على بعض مدنها فوافقتهم حينئذ العساكر الاسبانيولية وانضمت الى عساكر كاستيل وهجمت عليها وقاتلتهم واذ كان قائد الجيوش الفرنسية الامير لسبار لايجسن ادارة العساكر انهزم ثم أسر مع جملة من أسرى اعيان الضباط واسترجع الاسبانويوليون مملكة نافارا في وقت اقل مما لزم للفرنساوية لافتتاحها

واذ رأى فرنسيس ما حل بجنوده ازداد حنفاً واخذ يبحث عن علة يتعلل بها ليهم على اراضي شارلكان فاخذ يهيج الامير روبرت دي لامرك ملتزم اقلبي بولون وشهبانيا ليخرج عن طاعة شارلكان فقبل روبرت النصيحة وبعث اليه يعلنه بما قد صم عليه وبعد ما ضم جيوشه الى الجيوش التي جمعها سراً من فرانسفا زحف على لوكرمبورج وحاصر قلعة ورتون فتعجب شارلكان من وقاحة ذلك الامير وعرف باطن الطوية فاخذ يشكو من مداخلة فرنسيس الاول المغايرة العمود بينها . فادعى فرنسيس بان اس له مداخلة في ذلك الامر وان

الجيش الفرنسي الذي مع روبرت لم يرسلها هو برضاة بل انضمت اليه بدون علمه. واذ كان ذلك عنراً غير مقبول ارسل شارلكان من ساعته يطلب من هنري الثامن ملك انكلترا ان يوجه جنوده لمحاربة الفرنسيين فخاف فرنسيس من عواقب الامر وامر روبرت ان يطلق سبيل العساكر الفرنسية. اما شارلكان فلم يكتف بذلك بل جهز الجنود وارسلها للانتقام من روبرت فتغلبت على سائر مدنه واقاليه ثم بعثها الى فرنسا فاستولت على مدينة موزون وامتدت من هناك الى محاصرة ميزيير فلم تنجح هناك بل رجعت مدبرة بالفشل والخيبة

حينئذ امر ملك انكلترا بانعقاد جمعية في مدينة كاليبس لاجل المذاكرة في امر الصلح بين الطرفين فاجتمع الوزراء واخذوا يتخاطرون ويتداولون ولكن بدون فائدة لان كلا من الدولتين كانت تطلب من الاخرى مطالب باهظة. وفي اثناء المذاكرة ذهب الكردينال ولسي وزير انكلترا لمقابلة الامبراطور شارلكان في جرمانيا بقصد اقناعه للمساهلة في شروط الصلح ولكن لما اجتمعا تمارا واعنصبا على حرب الملك فرنسيس وتوافقا على ان شارلكان يهجم عليه من جهة اسبانيا وهنري الثامن من جهة بيكارديا

وكان البابا لاون العاشر بناء على عهده مع شارلكان وبناء على تخصصه مع فرنسيس ملك فرنسا بحجة تعدي حكومة ميلان الفرنسية عليه وهتكها حرمة الكيسة في اغارتها على بعض اراضيها قد تجهز واستعد لمحاربة فرنسا وابتاجر عسكرياً من بلاد سويسرا وضمه الى جيوش الامبراطور فهاجوا الفرنسيين في امربة ميلان واستظروا عليهم واخيراً فتحوا مدينة ميلان واستولوا على باقي الملائن وفرّ الجنرال لوتريك الفرنسي الى ارض البندقية وانضمت مدينة پارما ومدينة پليزانشا الى الكيسة وخسر الفرنسيون جميع املاكهم في البندقية ما عدا مدينة كريمون وبعض القلاع والحصون. فلما بلغ البابا لاون اخبار تلك النصر العظيمة كاد يطرف فرحاً ولفرط سروره أصيب بحمى شديدة

لم يتدارك امرها في مبدئها فتمكنت منه ومات بها على زعم بعض المؤرخين .  
وقبل الانتقال من هذا الموضوع لا بد من ذكر الحادثة الغريبة التي اوجبت  
انكسار العساكر الفرنسية في هذه الحرب فنقول انه كان قد تعين بين العساكر  
الفرنساوية جمهور من اهالي سويسرا اما حبا بالكسب او لغاية اخرى . وكان  
ايضا البابا لاون قد استأجر منهم ١٢ ألفا وضمهم الى عساكر شارل كان . فلما رأت  
جمهورية سويسرا ان شعبها قد انضم مع الدولتين المتحاربتين وانهم سوف  
يدمرون بعضهم البعض فضلا عن العار الذي يجلبونه على بلادهم بعثت  
تطلب من قومها تحلية صفوف المعسكرين والعودة الى الوطن . فأخفي الامر  
الذي باسم العساكر التي من جهة البابا والامبراطور ولم يصل الى محل لان  
الكردينال روسيون كان ارشى الرسل حاملي تلك الرسالة . اما الامر الآخر  
الذي باسم اولئك الذين في صفوف الفرنسيين فوصل وكان السويسيون  
قد ضجروا من الحروب ولا سيما من عدم صرف اجورهم فبادروا حالاً للامتنال  
الى امر حكومتهم وخرجوا من المعسكر ومن ذلك الوقت اخذ الفرنسيون  
ينحسرون ويتأخرون

وبعد توفي البابا لاون أُقيم مكانه ادريان السادس وكان ادريان هذا  
كردينالاً نائباً للامبراطور شارل كان في اسبانيا فعظمت شوكة الامبراطورية من  
ذلك اليوم وصفت لها الايام وفازت نفوذاً على باقي دول اوربا ولا سيما على  
فرانسا التي كادت حروبها معها تكون بلا انقطاع وعلى الخصوص في واقعة باويا  
حيث انتصر جيش الامبراطور وأسر الملك فرنسيس وبقي نحو سنة في الاعتقال  
ولم يُطلق الا في بداية سنة ١٥٢٦ تحت شروط مهينة

ومن اعمال هذا الامبراطور انه تغلب على رومية وافتتحها سنة ١٥٢٧ في  
ايام البابا اكليمندوس وذلك بسبب اتحاده مع فرانسا ضد السلطنة الجرمانية  
فاسره واقامه تحت الحفظ مدة من الزمان ولم يطلقه الا خشية من زيادة التعصب  
ضده في اوربا . ومنها انه ذهب الى افريقية سنة ١٥٣٥ بعارة عظيمة وجيش

كثير فاستخلص تونس من يد مفتصها بربروس واعادها الى ملكها الاصلي المولى حسن الذي استجار به فكان هذا المشروع من اعظم اعماله واكثرها فائدة لانه خلص من الاعتيال نحو ٢٠ الف نفس من اسرى النصارى في تونس ومراكش من كان المغاربة قد قبضوا عليهم في مغازيمهم البحرية

وكان قد داخل هذا السلطان الباهر الشاب الزهد والورع بعد تلك الوقائع والانتصارات العظيمة التي جرت على يده فترع تاج السلطنة عن راسه ووضعه على راس ابنه فيليب وانقطع عن العالم واضطراباته وقصد ديراً في احدى مقاطعات اسبانيا فصرف فيه نحو سنتين منعكفاً على النسك والعبادة. وكان في اوقات تفرغه يقصد الجبينة ويلبي نفسه في شغلها وزرع النباتات. وكان له رغبة عظيمة في اصطناع الساعات وفي فن الآلات الميكانيكية فصرف فيها اوقاتاً ولكن دأبه الاكبر كان الصلاة والعبادة والتأهب للرحيل الى ديار الاخرة. ثم هجر كل تسلية واتبع الطرق المتعبة الشاقة بقصد التكفير عن ذنوبه وجرائمه فكان يجلد نفسه احياناً جازاً مؤلماً حتى كانت دماؤه تسيل على الارض ومن جرى ذلك اعتراه الفلق والخوف وتراكت عليه الاوهام والاحزان حتى انسلبت راحته واضطرب ذهنه. ومن اغرب ما فعل انه صم يوماً ما على ان يعجل له جنازة في حياته لكي يكون له سبباً قوياً فعلاً لعدم نسيان الموت فلفت نفسه بلفائف الكفن وامر اتباعه ان يحاوه الى القبر الذي كان قد اعد له لدفعه فخلوه على نعش ويدهم الشموع وهم يتلون امامه صلاة الاموات فكان هو يتلو معهم وينوح ويندب كما لو كانت جنازة حنيفة وعند نهاية الجنازة تركوه في الكنيسة وانصرفوا. فبعد انصرفهم قام وذهب الى مخدعه وهو في حالة الاضطراب الشديد متأسفاً على نفسه ومثاقراً من صورة الموت فاعتراه غيب ذلك حتى شديدة انتهت بها حياته وكان موته في ٢١ ايلول سنة ١٨٥٥

ومن سلاطين جرمانيا بعد شارل كان المذكور فردينند الثاني قام سنة ١٦١٩ وكان عدواً مرّاً للبروتستانت في كل الاقطار الجرمانية حتى دعاه

الكاثوليكيون الامبراطور الرسولي ولما كثر جورته وتعديه على البروتستانت  
 انتصر لهم فريدريك الخامس منتخب امريه اللاتين واشهر السلاح ضد فردينند  
 فلم ينجح في مساعيه . ثم انتصر لهم ايضا كريستيان الرابع ملك الدنمارك ولم ينجح  
 ايضا فالتزم البروتستانت ان يستغيثوا بغوستاف ادولفوس ملك اسوج فاعانهم  
 وزحف على جرمانيا وحاربها فاتصر في عدة وقائع فاغتنمت فرانساً تلك الفرصة  
 واتحدت مع اسوج ضد المانيا واستمرت تلك الحروب عدة سنين وهي المعروفة  
 بحروب الثلاثين سنة الى ان انتهت سنة ١٦٤٨ في معاهدة وستفاليا التي عادت  
 بالخير على بيت اوستريا وعلى الحبر الروماني . اما على الاولين فلانها انزلتهم  
 عن حقوق وارضى كثيرة تابعة السلطنة الالمانية الى فرانساً واسوج وغيرها واما  
 على الثاني فلانها اضعفت شوكة ديوان رومية ومدعيات قسوسها من جهة محو  
 الهراطقة عن وجه الارض وجعلت للبروتستانت الحرية التامة في استعمال شعائر  
 دينهم . وقام بعد فردينند المذكور جملة سلاطين ضربنا صفحا عن ذكرهم لعدم  
 اهمية ما حدث في ايامهم

وسنة ١٧٩٢ تسلطن على جرمانيا فرنسيس الثاني وفي ايامه حدثت حروب  
 نابوليون الاول فكان المذكور من جملة الملوك والسلاطين الذين خضعوا لبطشه  
 واقباله فالتزم في سنة ١٨٠٦ ان يتنازل عن سلطنة جرمانيا واقتصر على ان  
 يكون امبراطورا على اوستريا واستمر سلطانا الى ان توفي سنة ١٨٣٦ وكانت  
 سلطنة النمسا في اواخر ايامه من اعظم ممالك اوروبا . ومن سنة ١٨٠٦ لم يعد  
 يتم امبراطور على البلاد الجرمانية الى سنة ١٨٧١ حين تغلب حضرة وليم الاول  
 ملك بروسيا على فرانساً فعرض عليه الالمان لقب امبراطور فقبله وبهذه  
 الوسطة اتحدت جرمانيا ثانية تحت سلطنة واحدة



## الفصل الثالث عشر

في وصف سويسرا اي بلاد السويس وتاريخها

يحدُّ هذه البلاد شمالاً امارة بادن وشرقاً اوسنريا وجنوباً ايطاليا وغرباً  
 فرانساً وسنة ١٨٧٠ بلغ عدد اهلها ٢٦٧٠٠٠٠ وهو اؤها جيد وترينها مخصصة  
 وبها جبال الالب او البيا وهي اعلى جبال اوروبا لا يتقطع عنها الثلج من سنة الى  
 سنة وفيها من الاماكن البهجة المكتسبة بالنبات ما يسرع عيون الناظرين . ويخرقها  
 عدة مجبرات عذبة وانهر كبيرة والمراعي فيها عظيمة مشبعة فيخرج منها احسن  
 انواع السمن والزبدة والجبن ولذلك يعتني اهلهما بتربية الحيوانات والمواشي . ومن  
 معادن هذه البلاد الحديد والحاس والرخام والكبريت وفيها كثير من المياه  
 المعدنية التي تقصدها الناس للعلاج . ولاهلهما رغبة عظيمة في اكتساب العلوم  
 والمعارف ولهم اليد الطولى في جميع الصنائع ولا سيما في عمل الاقمشة القطنية  
 والحربية وفي اصطناع الساعات ودبغ الجلود . اما ديانة هذه البلاد فهي بين  
 اللاتينية والبروتستانتية مناصفة وحكمها من نوع المشيخة الجمهورية ولها رئيس  
 ينتخبه الشعب كل سنة . وتنقسم هذه المملكة الى ٢٢ مقاطعة كل واحدة منها مستقلة  
 بنفسها في مصالحها الداخلية ولها مجلس ورئيس وجميع هذه المقاطعات متحدة اتحاداً  
 عاماً كدولة جمهورية كبيرة . ومن اعظم مدنها زوريخ وبرن وولسرن وجنيفة .  
 ومع ان وسائل المعيشة في هذه البلاد كثيرة يوجد بين اهلهما فقر كثير فاندك  
 يضطرون الى ترك اوطانهم ويقصدون ممالك اوروبا في طلب معاشهم فمنهم  
 من يتجند بين عساكر الاجانب ومنهم من يجول في البلاد الغربية متعاطياً اسباب

التجارة والغناء والموسيقى بحيث لا يكاد يوجد قطر في العالم خالياً منهم  
وكانت بلاد سويسرا تُعرف قديماً عند الرومانيين باسم هلوچيا وشعبها من  
جملة قبائل برايرة الشمال استولى عليها الرومانيون سنة ٥٨ قبل الميلاد وبقيت  
تحت تسلطهم الى القرن الخامس حين انقرضت سلطنتهم الغربية فانضمت الى  
جرمانيا ما عدا بعض ولايات منها. ثم بعد ذلك صارت قسماً من مملكة بورغونيا  
(التي هي الآن ولاية فرنساوية) فتسلط عليها تارةً الفرنسيون وتارةً الالمانيون.  
وفي زمن الالتزامات في اوروبا دخلت في ايدي عدة عشائر اخصها عائلة  
هابسبورج التي منها رودولف هابسبورج سلطان جرمانيا. فكانوا يحكمون  
البلاد ويتصرفون فيها كيفما ارادوا. ولما جلس رودولف المذكور على سرير  
سلطنة جرمانيا وكان ذا ثروة وشوكة عظيمتين في بلاد سويسرا ضمّ القسم الاكبر  
من هذه البلاد الى سلطنته فصارت تابعة لها فاحسن معاملتهم وكان محبوباً منهم.  
ولكن لما قام بعده ابنه البرت سنة ١٢٩٨ اساء التصرف معهم وجار عليهم وارسل  
لم عمالاً قساة فكانوا يظلمونهم ويتعدون عليهم بحيث نفرت قلوب الناس منهم  
فابغضوهم واخذوا يسعون في التخلص من حكمهم

ومن هولاء العمال رجلٌ قبيح الخصال يقال له جسسر نصبت ذات يوم  
عموداً في احدى ساحات المدينة ووضع على راس ذلك العمود برنيطنة وامر  
بان كل الذين يمرون من هناك يخضعون امامها ويقدمون لها مزيد الاحترام.  
فامتثل الناس امره خوفاً من العقاب والاهانة الا رجلاً حرّاً يقال له ولیم نل  
فانه لم يخضع لامر جسسر ولم يحترم برنيطنة. فلما بلغ جسسر عدم انقياد نل الى امره  
غضب وصم على قتل نل فارسل واستدعى باين نل. ثم التفت وقال لانيو اني اشفاقاً  
عليك اريد ان اعطيك فرصة لتنجو من الموت فما اني ساضع على راس ابنك  
تفاحة فانت بقوسك وارم هذه التفاحة ببيلة من بعيد فان اصبته عفوت عنك  
والا فلا بد من قتلك. وكان نل المذكور من ارمى الناس بالنشاب فجاء بقوسه  
ورمى تلك التفاحة فاصابها وحصل على العفو. وكان مع نل نبلة اخرى مخبأة

بين ثيابه فابصرها جسر وسأله عنها فقال هي لكي ارميك بها وارمح الناس من  
شرك واذاك . فاستعظم خطابه فامر بقبضه وقيده وصم على نفيه ثم القاه في  
بعض القوارب وعبر به قاصداً القاطع الثاني من بحيرة لوسرن ليدنيه هناك .  
وبينا كان الملاحون يقذفون هبت عليهم ريح عاصفة حتى كاد القارب يفرق  
هم . واذ كان نل نوتياً ماهراً حلوه من وثاقه ليعينهم ويساعدهم في تدبير ما يلزم  
لنجاة القارب فعند وصولهم الى الشاطئ خرج نل اولاً من القارب وجلس على  
بعض الصخور وبينا كان جسر ساعياً في الخروج رماه بنبله القاه قبلاً ثم اخذ  
في الهرب واجتمع باصحابه في اقليم شونيز حيث كانوا جميعاً ساعين في استخلاص  
بلادهم والحصول على حريتهم

وكان للسويسيين ثلاثة رؤساء من محبي الوطن قد اجمع رأيهم على العصاوة  
وخلع طاعة السلطنة الجرمانية وكانوا مترقبين الفرص المناسبة لذلك . ولما بلغهم  
ما فعله وليم نل سروا جداً وحسبوا تلك الحادثة فرصة مناسبة للعمل فاقاموه  
عليهم رئيساً وانفقوا من ذلك اليوم على حرب القوم وجرت بينهم حروب عديدة  
ابتدأت سنة ١٢٠٤ وانتهت بانتصارهم على الجرمانيين سنة ١٢١٥ فطردوهم من  
بلادهم واستخلصوا الملكة من ايديهم

وما يستحق التعجب منه انه لم يزل الى الآن بعض جماعة من السويسيين  
يعتقدون بان وليم نل لم يميت الى الآن لكنه راقد في مغارة بالقرب من بحيرة  
لوسرن مع رفيقين له من المساعدين في تاسيس الجمهورية للمحافظة والحمامة  
عن بلادهم حتى اذا دخلت سويسرا مرة اخرى في قبضة الاسر ينهض هؤلاء  
الرجال من رقادهم ويتقلدون اسلحتهم القديمة ويحشون الشعب على القيام  
وطلب الحرية

وبعد استقلال سويسرا لم تفتد الحروب بين اهلها وبين ملوك جرمانيا  
الذين صوبوا الى استرجاعها ليس فقط لاجل توسيع دائرة سلطنتهم وثورتها

ولكن لاجل الاستعانة بهم على الاعناء لانهم كانوا من الشجعان والفرسان  
المعدودين. فدامت تلك الحروب بين الطرفين الى الجيل الخامس عشر وكان  
الاتصار فيها غالباً للسويسيين. فالتزمت حينئذ جرمانيا ان تقر باستقلاليتهم  
بعد ان انسحبت عن محاربتهم. وسنة ١٦٤٨ انعقدت الشروط العمومية بين  
الدول الاوروبية المعروفة بصلح وستفاليا وافرّ الجميع باستقلاليتها ودامت  
كذلك الى سنة ١٧٩٢ حين استولت عليها الجمهورية الفرنسية ونظمت لها  
تراتب وقوانين جديدة ولكن بعد سقوط نابليون الاول سنة ١٨١٥ رفضوا  
تلك التنظيمات ورجعوا الى قوانينهم الاصلية من بعد ما حسنوها وهذبوها. وسنة  
١٨٤٨ نظمو ترتيبات جديدة لاتحادهم واحكامهم وهي التي اشرنا اليها في اول  
الفصل

واول من نادى بالمذهب البروتستاني في هذه البلاد زوينكليوس سنة  
١٥١٩ في مدينة زوريخ ثم كلفينوس في مدينة جينيفه في الجيل نفسه وهو  
فرنساوي الاصل من اعمال بيكارديا وكان من فطاحل العلماء واعيان  
اللاهوتيين وله عدة مؤلفات مشهورة واكثر الفرنسيين البروتستانت يلقبون  
ككثنيين باسمه

## الفصل الرابع عشر

في بلاد النمسا اي اوستريا

### الباب الاول

في وصف هذه البلاد

ان مفرّ سلطنة النمسا واقع في اواسط اوروبا ومجدها شمالاً روسيا وبروسيا وساكونيا وشرقاً روسيا ايضاً ومولدافيا وجنوباً ايطاليا وبحر البندقية وتوركيا في اوروبا وغرباً بافاريا وورتنبرج وسويسرا . وسنة ١٨٦٩ بلغ عدد سكانها نحو ٢٦ مليوناً بما فيه اهالي بلاد المجر الذين يبلغ عددهم ١٥ مليوناً ونصفاً . والديانة الغالبة في اوستريا هي اللاتينية وعاصمة البلاد مدينة فيانا بتجرقها نهر اللابوب المسمى نهر طونة الذي كثيراً ما يجمد ماؤه في فصل الشتاء وتجتازهُ الناس على الجليد . وفي هذه المدينة كثيرٌ من الابنية الفاخرة والمعابد المستظرفة والساحات الجميلة وعدد سكانها بلغ سنة ١٨٦٤ نحو ٦٠٠ الف نفس بما فيه العساكر اقيمون فيها . ومن هذه السلطنة ايضاً مدينة ترينته الواقعة على شاطي بحر البندقية وهي ميناء للمتجر واهلها نحو ٧٥ الفاً

اما هواه هذه البلاد فعلى الاغلب بارد وتربتها جيدة سواء للزرع ام للرعي وهي تُعدُّ من اغنى الممالك الاوروبية من جهة المعادن فان فيها معادن الذهب والفضة والنحاس والزئبق والرصاص والحديد والملح والتوتيا والاتييون والزاج والزرنيخ وفي بعض المواضع من بلاد النمسا بعض الاحجار الثمينة كالياقوت الاحمر

وغيره وانربة جيدة لعل الخزف الفاخر وغير ذلك . وفيها كثير من العيون المعدنية فان في بلاد المجر ما ينوف عن الالف عين . اما الصنائع في اوستريا فهي في رواج وفيها عدة معامل معتبرة ولاهيا الاعشاء في اتقان صناعة الجوخ والاقمشة الحريرية والنطنية وانكاث والقرطاس والزجاج الصيني وعمل امتعة البيوت وصناعة الفراء ولكن ليس لهم خبرة كافية في الفلاحة والزراعة فلذلك الحرثة قليلة عندهم بالنسبة الى غيرها من البلاد . وفي هذه البلاد عدد عظيم من الحيوانات النافعة مثل البقر والخيول والحمر والضأن والخنزير وقد اخذ تعديلها فبلغت نحو ٥٥ مليوناً . وفيها ايضاً عدة جمعيات لتقدم صناعة الفلاحة وجملة شركات لاعانة الفلاحين وامدادهم بالمال بفوائد قليلة لانقان مشروعاتهم . وللنساويين اعشاء بالعلم والتعلم وعندهم مدارس كثيرة يبلغ عدد تلامذتها مليونين ونصفاً بين ذكور واناث ولهم مكاتب لسائر العلوم الرياضية وعدة مكاتب مخصوصة بالصنائع وغيرها من المدارس الخاصة بالفنون البحرية والعسكرية والاحكام وغيرها

وتنقسم هذه السلطنة الآن الى قسمين كبيرين اتسم الاول مملكة النمسا وما يتبعها من البلاد الالمانية والسلافية كالمريه سالسبورج وكارينول وستيريا والتيرول النمساوي ومملكة بوهيميا ومورافيا وغيرها من كانت مرتبطة بالانحد الالمانى وانفصلت عنه . والقسم الثاني مملكة المجر اثني ولئن كانت تعتبر قسماً من دولة النمسا منذ سنة ١٥٦٠ لم يابس تاجها الامبراطور فرنسيس يوسف الا سنة ١٨٦٧ وتعد هذه الدولة من الدول الاولية مادياً وادبياً

## الباب الثاني

### في تاريخ بلاد النمسا

ان هذه المملكة كانت في اول الامر ولاية من ولايات الرومانيين المسماة

نوركاو يانونيا العليا انضمت للسلطنة الرومانية سنة ٢٣ للميلاد في ايام طيباريوس قيصر. وفي الجيل الخامس بعد انقراض تلك السلطنة استولت عليها براهمة الشمال كجماعة الهون والامستروغوث والفندال واللونغوبارد. ثم اقتسمتها اهل بافاريا والثر الى ان استولى عليها شارلمان ملك فرانس سنة ٧٩١ للميلاد وأطلق عليها اسم اوستريا وبقيت في ايدي الفرنساويين الى سنة ٩٨٢ حين استولى عليها اوثنون الثاني سلطان جرمانيا وولي عليها ليوبولد الاول من عائلة بامبرج وتوارثها نسلة من بعده تحت لقب مرغراف اي ولاية ثم تحت لقب مركز ودوك. وكان عدد من تولى اوستريا تحت هذه الالقاب من هذه العائلة اثني عشر رجلاً. ثم بعد انقراض هذه العائلة سنة ١٢٤٦ دخلت اوستريا في ايدي فريديريك الثاني امبراطور جرمانيا ثم انتقلت بعد سنين الى اوتوكاد ملك بوهيميا ثم انضمت الى المانيا سنة ١٢٧٦ في زمن الامبراطور رودولف هابسبورج الذي ولي عليها ابنة البرت سنة ١٢٨٢ وبقيت تحت تسلط تلك العائلة يتداولها الخلف عن السلف تحت لقب دوك الى سنة ١٤٥٢. ثم بعد ذلك العهد أطلق عليها لقب ارشيدوك بدون ان تنفصل عن السلطنة الجرمانية وقد قام من ارشيدوكاتها الذين هم من عائلة هابسبورج عدة اشخاص نبواً و اسرير السلطنة الالمانية ولكن لم يستقر لهم حق الوراثة فيها الا الى سنة ١٤٣٨ حين انتخب لسريها البرت الخامس ارشيدوك اوستريا تحت اسم البرت الثاني وفي ذلك الوقت كانت اوستريا قد تعاطمت جداً اولاً بانضمام ستيريا والالزاس والصواب المعطاة اليها من الامبراطور رودولف وثانياً بسبب اقتران الامبراطور مكسيميليان بماريا من عائلة بورغونيا سنة ١٤٧٧ فأضيف اليها بلاد هولاندا وقسم كبير من بورغونيا اي برغنديا. ولما استولى شارلكان على السلطنة الجرمانية واوستريا اضاف اليها مملكة اسبانيا مع كل تملكاتها الخارجية ولكن بالقسمه التي جرت بينه وبين اخيه الارشيدوك فردينند سنة ١٥٢١ وقعت هولاندا ودائرة بورغونيا في سهم شارلكان وارشيدوكانو اوستريا مع نوابها في

سهم فردييند الذي في سنة ١٥٢٦ سُمي ملكاً على بوهيميا عقب موت ملكها لويس فضمها الى اوستريا مع ولايات مورافيا وسيليزيا ولوزاس مع الاستغيات الثلاث التي كانت تحت حكم المطارين وهي نول ومنتس وفردون . ولما تنازل شارلكان عن الاحكام سنة ١٥٥٦ وجلس اخوه فردييند مكانه على تخت السلطنة الجرمانية قاومه البابا بولس الرابع تحت حجة ان تنازل الواحد وانتخاب الثاني بدون مصادقة مجلس رومية لا يصح فلم يعبا فردييند بهذا الكلام ورفض لزوم التثبيت من الكرسي الروماني كما كانت العادة جارية في تلك الايام . وكانت احكامه في غاية من الهدو والسلم حتى انه صرف اكثر ايامه الاخيرة في الاجتهاد بان يصلح الكاثوليك مع البروتستانت ولم ينجح

وسنة ١٦٤٨ في ايام سلطنة فردييند الثالث عند انعقاد صلح وستغاليا الذي هو نهاية حروب الثلاثين سنة بين المانيا وفرنسا واسوج انتزعت من اوستريا ولايتا اللوزاس والالزاس والاستغيات الثلاث ولكنها استعاضت تلك الخسارة فيما بعد باستيلائها على ترانسلفانيا اي الاردل في ايام الامبراطور ليوبولد الاول سنة ١٦٩٩ وعلى كرواتيا . وفي سنة ١٧١٣ ورثت اوستريا من كارلوس الثاني ملك اسبانيا اراضي بورغونيا وامرية ماتو ومملكتي نابولي وسردينيا ولكنها استبدلت سردينيا بمملكة صقلية سنة ١٧١٤ ثم بعد ذلك بيضع سنين ارجعت الصقليتين اي نابولي وصقلية الى دون كارلوس الاسبانيولي واخذت عوضاً عنها امرية پارما وبلاشيسا وكواستالا

وعند موت كارلوس السادس ارشيدوك اوستريا وامبراطور المانيا ورثته ابنة ماريا تيريزا في السلطنة سنة ١٧٤٠ اذ لم يترك نسلًا من الذكور فتزوجت بفرنسيس دوك لورين وجعلته شريكاً بالاحكام . وكان وقتئذٍ مُتخب امرية بافاريا يصبو للحصول على السدة الامبراطورية وعضده فرانسا فقاومه فرنسيس اشد مقاومة وبعد منازعات ومتاعب كثيرة نودي باسم فرنسيس الاول امبراطوراً سنة ١٧٤٥ وهو جد العائلة المعروفة بعائلة اوستريالورين المستولية



الآن . ثم توفي بعد ان حكم ٢٠ سنة وخلف ستة عشر ولداً منهم يوسف الثاني الذي خلفه على الكرسي من بعد موت امه ماريا تريزا سنة ١٧٨٠ ومنهم ماري انتوانيت المنكودة المحظ التي تزوجت بلويس السادس عشر ملك فرانسوا وقتها الشعب اشنع قتله

ثم ان حروب الجمهورية الفرنسية مع المانيا في آخر الجيل الثامن عشر وحروب نابوليون الاول في اوائل الجيل التاسع عشر حين فاز على النمساويين ودخل مدينة فيانا بالقوة والافتدار سلبت من اوستريا قسماً كبيراً من املاكها في المانيا وايطاليا مع جانب عظيم من سطوتها وسيادتها وانزلت فرنسيس الثاني عن سلطته الجرمانية وحصرته حكمة في المالك التي له فيها حتى الوراثة فقط . فمن ذلك الوقت نبغت الامبراطورية النمساوية ولقب فرنسيس الثاني بفرنسيس الاول وانحلت السلطنة الجرمانية . ولكن عند سقوط نابوليون ووقوع حوادث سنة ١٨١٥ استرجعت اوستريا ولاياتها القديمة ما عدا دائرة بورغونيا فانها استعاضتها بمملكة لومبارديا وفنيس اي البندقية

وسنة ١٨٤٨ عقب الثورة الفرنسية نبغ في اوستريا ثورة تعرف بثورة اللومباردية والبندقية كان المقصود فيها خلع سلطة النمسا والاتصاق بايطاليا لانها فرعان منها . واذ كان النمساويون غير مرتضين من سياسة مترنيخ الوزير قاموا هم ايضاً في مدينة فيانا واظمروا العصيان . فالتزمت العائلة الامبراطورية مترنيخ ان يتنازل عن وظيفته فتنازل وهرب الى انكترا . اما الامبراطور فردينند الاول فاذا لم يندر على تهدئة الشعب ترك هو ايضاً وبانا وذهب الى اينسبروك حيث اقام نحو ثلاثة اشهر . ثم رجع الى العاصمة بطلب من الاهالي ولكن اذ رأى ان روح الثورة لم يزل متقناً في قلوب الشعب اخذ عائلته ووزرائه وذهب الى اولوتز واقام الحصار على فيانا وبعد قتال شديد دخلتها جنوده واخضع اصحاب القن . ولما حصلت الراحة في البلاد تنازل فردينند الاول عن تاج السلطنة لابن اخيه فرنسيس يوسف في ٢ كانون اول من سنة

١٨٤٨ وهو الامبراطور المستولي الآن

وسنة ١٨٥٩ نبغ النزاع بين سردينيا والنمسا بسبب بعض املاك ايطالياية واغراض سياسية افضى بهم الى القتال رغماً عن كل الوسائط التي اسعملتها الدول المتحابة لحفظ السلام. واذ كانت فرانساً تريد مساعدة الايطاليانيين في حصولهم على حريتهم نهض نابوليون الثالث لمساعدة سردينيا واستظهرت الدولتان المتحالفتان على اوستريا في واقعتي ماجنتا وسولفرينو ثم عقد نابوليون صلحاً مع امبراطور النمسا بعدما حصل منه على تنازل عن الجانب الاكبر من لومبارديا الى ايطاليا وانسحب عساكر الفريقين بعدما نودي باسم فيكتور عمانوئيل ملكاً على لومبارديا. اما فيس فمع انها بقيت تحت تسلط اوستريا اشترط بدخولها في الاتحاد الايطالياني

ولما كانت العلاقة بين دولتي النمسا وروسيا متأسنة من قديم الزمان بسبب الرياسة على الممالك الجرمانية. وكانت ايطاليا ترغب استخلاص عمالة البندقية من النمسا وقعت المعاهدة بين ايطاليا وروسيا على محاربة النمسا فاصطلت نيرانها سنة ١٨٦٦ واتصر البروسيون على النمساوين في معركة شهيرة في سادونا واستخلصوا منهم جملة اماكن انضمت الى بلادهم وصار التنازل لايطاليا عن البندقية وباقي لومبارديا. وبسبب الحروب المار ذكرها ترتب على النمسا ديون كثيرة ووقعت في الارتباك ولكن لحسن التفات امبراطورها وتدابيره الحكيمة اخذت البلاد تتخلص من ذلك الارتباك وتقدم في سيرها ونموها في الثروة والافتقار. وفي ٨ حزيران سنة ١٨٦٧ توج هذا الامبراطور ملكاً على بلاد المجر فصار لقبه سلطان النمسا وملك المجر فازداد بسبب ذلك دخل الدولة وسطوتها

## الفصل الخامس عشر

### في مملكة بروسيا

### الباب الاول

#### في وصف هذه البلاد واهلها

هذه المملكة يجدها شمالاً بحر بلتيك ومملكة الدنمارك وشرقاً روسيا وجنوباً بلاد النمسا وبعض الممالك الجرمانية وغرباً مملكة البلجيك ودوكانو لوكزامبورج الكبرى وفرنسا. وكان عدد اهلها قبل حربها مع النمسا سنة ١٨٦٦ تسعة عشر مليوناً ولكن بعد ان انضمت اليها مملكة هانوفر وارضى شليسويك هولستين ولاونبرج وهس كاسيل وهس هامبورج وامرية ناسو ومدينة فرانكفورت وبعض اقسام بافاريا وغير ذلك من الولايات والاقاليم اتسعت املاكها وزاد عدد سكانها فصارت تُحسب نحو ٢٥ مليوناً. اما انهرها وجبالها فتوسطة وهواؤها بارد رطب ولكن في النواحي الجنوبية معتدل وترينها بالاجال قليلة الخصب وانما ما يخرج من زرعها يكفي لوازم اهلها وليرد اقلها ثقل بها زراعة العنب. ولكن الاقاليم التي على شاطي نهر الرين تكثرفيها الكروم ويخرج منها العنب الجيد. ومن محصولاتها البطاطا واللفت والدخان وقصب السكر والعسل والتمب والزعفران وفيها ايضاً الخيل والحريير والكهرباء. ومن معادنها النحاس والرصاص والشب وملح البارود والزاج والحديد والملح. والصناعات في بلاد بروسيا عظيمة متقدمة حتى انها تضاهي تقريباً صناعات فرنسا وانكلترا خصوصاً

فماش الكتان والصوف والحريز والقطن واصطناع الاسلحة المتنوعة والقرطاس والساعات والبلور والخزف . والمطابع فيها عديدة والعلوم ناجحة والمدارس كثيرة بحيث قوانين البلاد تلزم الاهالي ان يرسلوا اولادهم للمدارس عقب بلوغهم سن الست سنين وقد بلغ عدد التلامذة سنة ١٨٦١ ثلاثة ملايين والديانة العامة في البروتستانية

ومن امهات مدن بروسيا مدينة برلين عاصمة المملكة وهي من المدن الظريفة ذات ابنية وقصور جميلة واسواق واسعة يحيطها سور لث ستة عشر باباً واهلها يبلغون ٥٠٠ الفاً . ثم مدينة برسلو وهي ثانية برلين في الاتساع وكثرة الاهالي وبها معامل وصنائع عديدة وتجاريتها كثيرة . ومدينة كونيسبرج وهي مدينة ظريفة وعدد اهلها نحو ٨٠ الف نفس وبها قصر جميل للملك وكيسة عظيمة جيدة البناء

اما الحكم فمن نوع الكي المقيد . وعساكرها كثيرة العدد نظراً لقوانينها وشرائعها لان كل رجل من الاهالي عند بلوغه السبع عشرة سنة يجب ان يدخل في العسكرية ثلاث سنوات وبعد ذلك يبقى رديفاً الى سن الثلاثين سنة وفي اثناء هذه المدة يلتزم ان يتعلم مرة واحدة في كل اسبوع وبهذه الوسطة ترى اكثر رجالها عسكرياً عند اللزوم والاحتياج وبالجملة ان عساكر هذه البلاد وشهرة قوادها وخبرتهم في امور الحرب تفوق باقي جنود اوروبا كما انفتح من حروبها الاخيرة مع النمسا وفرنسا . ولكن بمقدار ما قوتها البرية عظيمة ومنظمة بعكس ذلك عمارتها البحرية . اما الآن فهي مجتهدة في تكثير مراكبها البحرية وقد خصصت مبلغاً جسيماً لبناء سفن جديدة مدرعة اقتداءً بباقي الدول

وتنقسم هذه المملكة الآن الى تسع ايالات وهي بروسيا وبوزن وبرندا بورج وبوميرانيا وسيليزيا وساكسونيا وستفاليا والريف وهو هنزلورن . ولغة هذه المملكة هي اللغة الجرمانية ولكن يوجد في اطرافها اقوام من الصقالبة الذين لم يزالوا يتكلمون بلغتهم الاصلية

## الباب الثاني

## في تاريخ مملكة بروسيا

انه في القرن الاول من الميلاد جاء قوم من اللومباردين وجماعة من قبائل الصواب والفندال واستوطنوا ايالة براندبورج التي هي من جملة ايلات بروسيا المار ذكرها ومكثوا سوية الى القرن الخامس حينما نهض الينداليون وطردوا تلك الشعوب من بينهم واستقروا في تلك الايالة واخذوها لانفسهم الا انهم لم يمكثوا بها زماناً طويلاً حتى دهم الرومانيون فاخذوهم واستولوا عليهم . ثم جاء بعد ذلك شارلمان ملك فرانساً وضم تلك البلاد الى سلطنته ومن بعده اخذت تناوولها بعض امراء المقاطعات الجرمانية الى ان دخلت في ايدي البرت الملقب بالذب ففي ايامه تهذبت اخلاق اهلها واعنقوا الديانة النصرانية بعد ان كانوا وثنيين ثم في الجيل الخامس عشر لما كان سيجرموند امبراطوراً على المانيا اقام فريدريك السادس من عائلة هوهنزوارن حاكماً على ايالة براندبورج فاشتراها منه بمبلغ ٢٠٠ الف فيوريني واخذ لقب اليكنور حسب العادة الجارية في تلك الايام وتسمى بفريدريك الاول من براندبورج وجميع حكام بروسيا وملوكها من ذلك الوقت الى الآن هم من ذرية هذا الامير وكانت يومئذ ايالة براندبورج منقسمة الى ثلاثة اقسام وهي المارش القديمة الكائنة غربي وادي الالب والمارش المتوسطة بين وادي الالب ونهر الاودر . واما المارش الجديدة فلم تنضم اليها الا سنة ١٤٤٥ في ايام فريدريك الثاني الملقب بسن الحديد عندما استخلصها من الكفالاتية النوطونيين الذين كانوا مستولين على ايالة بروسيا المنفصلة عن باقي الايلات الجرمانية واما السبب في تسمية هذه الايالة ببروسيا فهو انه بعد خروج الامم الغوثية

منها اغار عليها جماعة من السلاف الذين كانوا يسكنون وادي التيستول وكان يقال لهم بروسي فامتلكوها وتسمت باسمهم وكانوا من البرابرة عابدي الاوثان . وفي اواخر الجيل الثالث عشر اخضع هولاء القوم قبيلة التوطونيين التي كانت في محاربة المسلمين في فلسطين واستولوا على بلدانهم وحكموها . وكان قائدهم يسي هرمن سالزا فجعل دار اقامته في مرينبورج سنة ١٢٠٩ . ثم تواردت عليهم طوائف الالمان التي في جوارهم فسكنت بينهم وفي مدة قصيرة تحسنت احوالهم وكثر عددهم ونمو قوتهم وغنى وابتنوا لهم مدناً وقرى . ولكن اذ كانوا لا يحسنون التصرف مع الرعايا ويكثرون في ظلمهم نهض الاهالي للتخلص منهم واستعانوا باهل بولونيا عليهم فساعدوهم على قتالهم حتى ظفروا بهم وتخلصوا من حكمهم سنة ١٤١٠ . وبعد محاربات اخرى بينهم وبين باقي طوائف البلاد المختلفة انقسمت بروسيا الى قسمين غربي وشرقي فالاول تبع ملكة بولونيا والثاني بقي يد ولايته باسم بروس التوطوني تحت حماية بولونيا

وسنة ١٢٥٠ استولى زمام القسم الشرقي الامير البرت من عائلة براندبورج السالف ذكرها فاستقل به واورثه لذريته ومن ذلك الوقت صارت تلك الايالة معروفة بدوكاتو بروس . يتناولها حكام ايالة براندبورج الذين اتقنوا ادارتها وسعوا في تقويتها حتى صارت من الامريات المتسعة ذات سطوة وشوكة يتبعها جملة ملحقات . ففي سنة ١٦٨٣ لما كان فريدريك الثالث اميراً على امرية بروسيا وايوبولد امبراطوراً على السلطنة الجرمانية اعان فريدريك ليوبولد على محاربة الاتراك وتحالف معه سنة ١٧٠٠ ضد لويس الرابع عشر ملك فرنسا في حروب وراثية اسبانيا فمقابلته لتلك الخدمة طلب من الامبراطور ان يلقبه ملكاً فاجاب طلبه وسنة ١٧٠١ لقبه ملكاً تحت اسم فريدريك الاول فصارت بلاده ملكة مستقلة من ذلك اليوم واعترف بتتويجه جميع دول اوروبا بحكم وعدل واتن احوال الملكة وسعي في ترقية اسباب تقدمها ثم توفي

وجلس بعده على كرسي الملكة ابنة فريدريك غليوم الاول ولم يكن ميلة كايه الى امتداد التمدن والمعرفة بل اتجهت امياله الى الامور الحربية والترانيب العسكرية والاعمال الجسدية . وكان دابة التفتيش على من كانت ابدانهم واجسادهم قوية وقاماتهم طويلة فياتي بهم ويدخلهم في سلك عسكره . وكان لهذا الملك الاي مخصوصاً لخدمته من نخب الرجال واطولهم قامه يبلغ طول الرجل ثلاثة اذرع ونصفاً . ومن جملة مزاياه انه كان محباً للمال لا يطبق ان يرى انساناً كسلاناً بدون شغل وكثيراً ما كان يحمل عصاه ويدور في اسواق برلين وحيثما وجد شخصاً بلا شغل ضربه ضرباً مؤلماً

وبعد موت فريدريك غليوم الاول خلفه ابنة فريدريك الثاني الملقب بالكبير سنة ١٧٤٠ وكان شديد الباس عالمي الهمة وفي السنة الاولى من حكمه توفي الامبراطور كارلوس السادس من عائلة اوستريا تاركاً السلطنة لابنته ماريا تيريزا واذ كانت المذكورة في ارتباك عظيم من جهة احوال الملكة وسياستها انتهر الملك فريدريك تلك الفرصة وادعى بحقوقه في ايالة سيليزيا فزحف اليها بالساكر وامتلكها وضمها الى مملكته . واذ نهضت الملكة المذكورة لقتاله واسترجاع تلك الايالة حاربها وانتصر على جيوشها في فريدبرج سنة ١٧٤٥ ثم عقد معها شروطاً في مدينة دريسد تتضمن تنازلهما له عن الايالة المذكورة . وكانت همة فريدريك لا تنفر عن اصلاح حال الملكة طرفه عين فبذل غاية جهده في ترقية التجارة والصنائع المختلفة والفنون والعلوم خصوصاً في التنظيمات والترتيبات العسكرية . فاصبحت البلاد في ايامه في اعلى درجة من المجد والعز والشوكة والغنى فاحدقت بها اعين الجميع وحسدها الحاسدون وخافها اكثر الملوك وتظاهروا ضدها ولاجل تنكيس سطوتها اتحد على حربها ومقاومتها فرانسوا والنمسا وروسيا ثم ساكسونيا واسوج فانضمت جيوشهم بعضها مع بعض واشهروا على فريدريك الحرب وهي المعروفة بحرب السبع سنين وقاتلوه فانتصر عليهم في بعض الوقائع ولكنهم اخيراً استظفروا عليه واستخلصوا منه عدة اماكن ومدائن

حتى اوشكت ملكة نفع فريسة في ايدي المتحدين ولكنة شمر اخيراً عن ساعد العزم والثبات واقتم صفوف النمساويين والفرنساويين سنة ١٧٥٧ في روسباخ فنتك بهم فتكاً عظيماً واخذ في استرجاع املاكه شيئاً فشيئاً وسنة ١٧٦٣ عند صلح مع الدول المذكورة واقروا له بابالة سيليزيا التي كانت في اول الامر سبباً لهذه المنازعة . وبعد خروج فريديريك من هذه الحرب المستطيلة حوّل الثغاة الى داخلية بلاده ورجع الى ما كان عليه من الاصلاح والتحسين فوجد فيها السعة والنجاح وضم اليها سنة ١٧٢٢ القسم الغربي من بروسيا وبعض الاقاليم والمخيمات وذلك عند انقسام اراضي بولونيا . وما يستحق الذكر انه كان قد شرع يوماً في بناء قصر عظيم للترفة في بستان كثير الاشجار والزهور وكان بجانب ذلك البستان طاحون تدور بالهواء لرجل من عامة الناس وكان يضرب نظارة القصر لقربها منه فارسل فريديريك بعض غلامه ليشتريها له من صاحبها بالثمن فابي ولم يقبل فضاغف له في ثمنها فامتنع ايضاً ولما بلغ فريديريك ذلك استعظم الامر واستدعى الرجل اليه وقال له ماذا يمنعك عن بيعها وقد ضاعفت لك في ثمنها فاجابه يا سيدي انها عزيزة علي وهي عندي بمنزلة فصرح بوتسد . فازداد الملك تعجباً من جسارتو وقال له يا جاهل الا تعلم اني قادر على اخذها منك غصباً وقهراً . فاجابه الرجل نعم كان يمكنك ذلك لو لم يكن عندنا قضاة في برلين . فتبسم الملك والتفت الى من حوله من الوزراء والاعيان قائلاً لقد صدق الرجل في كل كلامو ثم اطلقه وبقيت الطاحون كما كانت الى هذا العصر شاهدة على حلم هذا الملك وعدله واستمر فريديريك المذكور بالملك الى ان مات سنة ١٧٨٦ في عزٍ واقبال

ثم خلفه ابن اخيه فريديريك غليوم الثاني وكان منعكفاً على الملاهي واللذات غير ملتفت لصالح البلاد وراحة العباد وفي ايامه انقسمت بولونيا ثانية سنة ١٧٩٣ وحازت بروسيا على جميع اقاليم بولونيا الكبرى وغيرها من الاراضي . وكان هذا الملك قد عوّل على محاربة الجمهورية الفرنسية ولكنة عدل اخيراً عن



قصده وتوفي سنة ١٧٩٧ بعدما حكم ١١ سنة. وخلفه ابنه فريدريك غليوم الثالث الذي في ايامه وقعت حروب نابوليون الشهيرة وخسرت بروسيا خسائر جسيمة اذ قتل من جيشها في معركة ياته سنة ١٨٠٦ نحو عشرين الف نسمة وكانت الاسرى اضعاف هذا العدد ودخل الفرنسيون برلين فاستولوا عليها وعلى غيرها من المداين. وسنة ١٨٠٧ فقدت بروسيا جميع املاكها في ايا التي وستفاليا وفرنكونيا ثم خسرت ايضا بواونيا الكبرى التي اعطاها نابوليون لملك ساكسونيا بعد ان جعلها امرية ولقبها بامرية فرسوفيا ولكنها الغيت سنة ١٨١٥ واقتسمتها بروسيا وروسيا. وفي سنة ١٨١٢ وسنة ١٨١٤ وقع ايضا بين روسيا وفرنسا حروب مهلكة خسرت فيها بروسيا خسائر ليست بقليلة فقل اعتبارها وسقط رونق مجدها غير انها في السنة التالية بعد انتصارها مع باقي الدول المتحدة على الفرنسيين في واقعة واترلو وسقوط نابوليون اخذت بثارها ودخلت عساكرها مدينة باريس واسترجعت اراضيها واملاكها. وشرع ملكها فريدريك المذكور من ذلك اليوم باصلاح حال المملكة وبذل غاية الجهد في ارجاعها الى ما كانت عليه. وكان غيورًا ومحبا لرعاياه لا يفتقر عن خبرهم الروحي حتى انه كان يوزع عليهم الكتب المقدسة. ثم توفي سنة ١٨٥١ تاركا الملك لابنه فريدريك غليوم الرابع

فحكم هذا الملك الى سنة ١٨٥٨ واضاف الى ملكته امار في هوهنزولرن سنة ١٨٥٨ ثم اعتراه مرض في دماغه واشتد عليه حتى انه لم يعد يمكنه الاتباه الى مهام المملكة فتولج اخوه مكانه نائبًا وما زال الحال يشتد على الملك الى ان توفي في ٣ كانون الثاني سنة ١٨٦١ واستبد اخوه بالملك بعده تحت اسم غليوم الاول وهو الملك الحالي. وكان قبل جلوسه على سرير الملك ازوج ابنة البكر وريث عهده البرنس فريدريك غليوم باينة ملكة انكلترا في بداية سنة ١٨٥٨ فكان ذلك من جملة اسباب التحالف والتعاقد بين الدولتين . وقد اشتهر هذا الملك بين الناس في حسن السيرة والسريرة ولاسيما في

انصباؤه على ترقية اسباب تقدم شعبه ونجاحهم . ولكن لما كانت البواطن غير راتقة بين دولتي النمسا وبروسيا بسبب خصومتها واختلافها على السيادة والرياسة في قيادة الممالك الجرمانية انفجرت بينها منازعات شديدة سنة ١٨٦٦ افضت بها الى اشهار السلاح ومحاربة بعضها بعضاً فكانت اللقطة في ذلك على النمسا في واقعة سادوا ، فانرفع شان بروسيا في ذلك الاستظهار وازافت الى املاكها جملة اراضي واماكن كما لمخاض ذلك في جغرافية هذه المملكة وعقدت اتحاداً عاماً مع ممالك وامريات ومدائن جرمانيا الشمالية وابطلت من ذلك الوقت اسم بروسيا واطلقت على ذاتها اسم اتحاد شمالي المانيا

فلما حصل البروسيون على هذه الشهرة والنفوذ والقوة تحرك فيهم روح اخذ النار من اعنائهم الفرنسيين الذين طالما اضروا بهم في ايام نابوليون الاول . فكان هذا الروح عاماً في بروسيا وباقي البلاد الجرمانية وكان الجميع ساعين ومنتظرين الفرصة المناسبة ليس لفتح الحرب ولكن لمقاومة فرانس التي كانت ترشتهم بنظر عكر غير سارة في نجاحهم وتقدمهم . فاستمرت هذه الاحساسات مكنونة في صدور الامتين الى ان نبغت قضية انتخاب البرنس ليوبولد هو هنرولرن الجرمانى تحت مملكة اسبانيا . فهضت فرانساً لمقاومة هذا المشروع الذي من شأنه ان يزيد جرمانيا سطوة ونفوذاً ويعرض فرانساً الى عواقب ردية اذ يجعلها بين امتين قويتين متحدين في سياسة واحدة فوقع حينئذ التراع بين فرانساً وبروسيا واعلنت هذه الاخيرة عدم مداخلتها في ذلك الامر واخيراً اذ رأى البرنس ليوبولد ما وقع من الخصومة بين الدولتين بسبب رفض انتخاب الاسبانويين له وحرر لهم بعدم قبوله وكان يُظن ان المشكل قد انقضى . ولكن لم تكتفِ فرانساً بهذا التنازل وكانت تريد ان بروسيا تعهد لها بمنع امراء الجرمانيين ان يقبلوا تاج اسبانيا في المستقبل فلم تقبل بروسيا ان تعطي تعهداً عليها في ذلك واذا نشبت فرانساً بطلب العهد المذكور بواسطة سفيرها في برلين موسيو بنديتي الح المذكور على الملك غايوم الاول الحاحاً يفوق حدود

اللياقة فزجره الملك رافضاً ذلك الطلب . حيثئذ نادى فرانساً بالحرب ونهض القومان للقتال واصطلت بينهم نيرانه سنة ١٨٧٠ فاستظهر البروسيون في اغلب وقائعهم وكانوا يتقدمون على الاراضي الفرنسية ويستولون على قلاعهم وحصونهم الى ان استولوا في ٢ ايلول على امبراطورهم نابوليون الثالث في واقعة سيدان المهلكة مع عددٍ عظيم من الاسرى . ثم تقدموا بجمعهم الى باريس وبعد حصار ١٢١ يوماً افتتحوها في ٢٧ كانون الثاني سنة ١٨٧١ . حيثئذ عقد صلح بين الدولتين تحت شروط معلومة اخصها ان فرانساً تسلم بروسيا ولايتي الالزاس وخمس اللورين وتدفع لها فوق ذلك مبلغاً مقداره خمسة الاف مليون من الفرنكات في مقابلة مصاريفها . ومن يجب ذكرهم من مشاهير رجال بروسيا في الجيل التاسع عشر الجنرال مولتك قائد الجيوش والبرنس بيزمارك قائد السياسة الفريد

## الفصل السادس عشر

في تاريخ روسيا

### الباب الاول

في جغرافية هذه المملكة

انه لا يمكن تعيين حدود لهذه المملكة في الازمنة القديمة اذ لم يكن لها حدود  
وكما في الازمنة المتأخرة نظراً لما كانت عليه من الانقسامات والتقدم

والتأخر. أما حدودها الآن فمن الشمال البحر المتجمد الشمالي ومن الجنوب البحر الأسود وأوكرانيا وسلطنة آل عثمان ومن الشرق بحر قزوين أو الخزر وجبال اورال الفاصلة بينها وبين أملاكها في آسيا ونهر دون ومن الغرب بحر بلتيك وأسوج وبروسيا وأوكرانيا وبعض البلاد العثمانية وهي أوسع ممالك الأرض لامتدادها في أوروبا وآسيا ومجدها في آسيا بعض المملكة العثمانية والفرس وتركستان والصين وعدد شعوب هذه السلطنة بحسب تعداد سنة ١٨٦٧ بلغ نحو ٨٢ مليوناً وهذا بيانهُ

الف مليون	مليون	في روسيا في أوروبا بما فيه بولونيا
٢٧٠	٦٩	في روسيا في أوروبا بما فيه بولونيا
٨٢٥	١	امرية فينلاند
٦٦٢	٤	حكمدارية القوقاس
٢٢٠	٢	سبيريا
٧٤٠	٦	اواسط اسيا
٩٢٧	٨١	

وأكثر أهالي هذه البلاد من طائفة الروم وفيها أيضاً من جميع طوائف العالم . والحكم فيها من نوع الملكي المطلق وكانت أكثر الرعية بمنزلة العبيد للإشراف وإعيان البلاد الذين كانوا يجورون عليهم ويستعبدونهم ولا يرغبون في تهذيبهم ونجاحهم أما الامبراطور الحالي فقد اعنتهم من نير هذه العبودية العنيفة بالامر الذي أصدره في التاسع عشر من شهر شباط سنة ١٨٦١ ومن جرى هذا العمل الحسن المهم الذي اجراه الامبراطور اسكندر الثاني امسى في خطر من مطامع الاشراف الذين لم يرتضوا بهذا الاصلاح لانهم لم يكونوا يهتمون سوى في صوالحهم الخصوصية قاطعين النظر عن صوالح البلاد وتقدم الرعايا وكثيراً ما تهددوا امبراطورهم وصمو على قتلهم من هذا القبيل فبما مراراً من اشراك المنية التي نصبوها له

ثم ان اهالي روسيا منقسمون الى خمس طبقات وهي الاشراف وخدمة الدين والبورجوا اي اهل الحضرة واهل البادية والقرى وهم قسما ن احرار ومستعبدون واما الآن فجميعهم احرار كما تقدم آنفاً . والامبراطور عندهم هو رئيس الكنيسة من عهد بطرس الاكبر ويعينه في ادارة مهامها السينيدوس اي المجلس الديني ويختلف المدن في هذه الملكة باختلاف البلدان ومواقعها وعاداتها اما العلوم والفنون والآداب وسائر الحرف والصناعات فليست بنامية الا في مدن مخصوصة

اما اراضي هذه البلاد فواسعة جداً وذات سهول عظيمة جداً تصلح للزرع وكثير منها مكتسبة بالعشب ترعاه المواشي ومنها مقفر لانبات فيه وغير صالح للزرع وفي اراضيها كثير من انواع المعادن والحيوانات المختلفة وحواصلها كثيرة جيدة على ان كثرة الظلم هناك اخرت الناس عن التقدم والاتساع في الغنى . وانهر هذه البلاد كثيرة وعظيمة وجبالها ايضاً لكنها قليلة بالنسبة الى اتساع البلاد . اما هواؤها فيختلف بحسب مواقع اجزائها فهو بارد جداً في الشمال ويعتدل في الجنوب ويشند البرد في ثلاثة ارباع السلطنة في الاقل مدة تسعة شهور من السنة ويعتبرها صيفاً في غاية الحر والنصر . وفيها الان عدة مدارس كلية وجزئية ولم ينزل امبراطورها مجتهداً في تحرير ادارة لائحة في ما يخص بتعليم العامة اما الصناعات فيها فلم تنزل متنازلة عن باقي الممالك الاوروبية بمراحل وفي هذه الملكة عدة مدن معتبرة قاعدتها مدينة بطرسبرج وكانت عاصمتها اولاً مدينة موسكو المائة في وسط سهل وسيع جداً في قلب الملكة . ولم ينزل الجانب الاعظم من الروسيين الى يومنا في حالة الخشونة ما عدا سكان بعض المدن المعتبرة

## الباب الثاني

في اصل الروسيين وبداية مملكتهم وديانتهم وعوائدهم من قبل  
الميلاد الى سنة ١٤٦٢ للميلاد

ان هذه المملكة الواسعة العظيمة كانت في العصور القديمة مقراً لجملة قبائل  
رُحُل مختلفة الاجناس والمذاهب والعوائد وافوا من اماكن مختلفة. بعد تفرق  
بني نوح وقيل ان بعضهم متسلسلون من جومر بن يافث بن نوح الذي سكن  
نسله عند شطوط بحر بلتيك واقدم تلك القبائل قبيلة السلاف ولم يُعرف قديماً  
من اهل هذه المملكة الا سكان الاقاليم الجنوبية وكان القدماء يسمون هذه الجهة  
باسي سكيثيا وسرماتيا من دون تحديد معلوم والقبائل المستوطنة بها كثيرة منها  
الروكسلان والسرقات والكبيريس واليازيج والاغاتريس وغير ذلك ومن ثم  
واقام لتيق من طوائف مختلفة كالتيبية والنترو والقلمون والمغول والاتراك  
 وغيرهم ولذا قيل لهذه البلاد روسيا اي القبائل المتشعبة. وكانوا قديماً على  
مذاهب مختلفة فمنهم من عبد الاصنام ومنهم من عبد النار وغير ذلك من  
العبادات الخشنة واما عوائدهم فكانت من هذا القبيل ايضاً فكان الوالدون  
يقتلون بناتهم خوف الفضيحة والعار والاولاد يقتلون والديه متى شاخوا وعجزوا  
لكي يتخلصوا من الاهتمام بالقيام في امر معيشتهم. وكانوا يحرقون جثث موتاهم الى  
غير ذلك من الامور المنكرة وكان الروسيون القدماء على جانب عظيم من البسالة  
والشجاعة وداهم الصيد والغزو وشن الغارة على ما جاورهم من الامم والقبائل  
ثم انه في القرون الاول من السلطنة الرومانية اغارت قبيلة السرقات  
( وهم فرع من السلاف سكان شمال روسيا الاصليين ) على الجهات الجنوبية  
المتقدم ذكرها واستولوا عليها واستمرت خاضعة لم الى القرن الثالث للميلاد

حين هجمت عليهم ام الغوثيين وتغلبت على اكثر القبائل النازلة بين بحر بلتيك والبحر الاسود وتكون من ذلك بين انهار القووكا والدينير والنيمن والدون ملكة عظيمة شامت جميع ما يعرف اليوم بروسيا في اوروبا واستمرت الى سنة ٢٧٦ لليلاد الى ان خرجت عليها امة الهونيين واسقطوها فاستمرت بعد ذلك مدة اربعة اجيال ممرًا للام الواردة من الشرق الى اوروبا ومرسحًا للقلقل والاضطرابات الدائمة بين الامم المتنازعة فيها . ومع تلك القلقل والاضطرابات المتعاقبة قد تأسست فيها في القرن السادس مدن معتبرة واشهرها نوفوغرود الكبرى وكييف وكانت الاولى اشهر من الثانية حتى كان يقال من ذا الذي يتجاسر على الله ونوفوغرود الكبرى . ولما آل امر الروسيين الى تلك الحالة من تزريق سلطنتهم وتنازع الامم الاجنبية فيها فلكي يتخلصوا من تلك المشاق والمضار اجعلوا على ان يقيموا لهم ملكًا ليسوس احوالم ويدبر امورهم فارسلوا وفدًا الى امة الفاراك وهي من القبائل الجرمانية الساكنين عند شواطئ بحر بلتيك وطلبوا اليها ان تعطيهم ملكًا ليملك عليهم . فاناهم ثلاثة اخوة اسم احدهم روريك والثاني سيناوس والثالث تروفور وذلك سنة ٨٧٦ لليلاد ومن هذا الوقت بيندي لروسيا تاريخ حقيقي متتابع اما المورخون فلا يحسبون بداية التاريخ الروسي الا من اواخر القرن العاشر لليلاد حين تنصر ملكها فلاديمير الاول فاقام الاخوة الثلاثة المذكورون كل منهم على مقاطعة وكان روريك احذقهم واعظمهم سطوة فاستولى على نوفوغرود بلقب الدوك الاكبر وسنة ٨٦٤ توفي في اخوة المتقدم ذكرها واستبد بالحكم وحده واتحدت جميع القبائل الشمالية تحت سلطته واستولى على مدينة كيف ومن ثم اهتم في اصلاح حال بلاده وتحصينها وقاية من هجمات الامم المتبريرة وغاراتهم الى ان مات سنة ٨٧٩ وهو بعد اول مؤسس لدولة روسيا وبقي الملك بيد ذريته من بعده زمانًا طويلًا وامتدت سلطنتهم في وقت قريب حتى استولوا على القسم الجنوبي من روسيا واستمرت حكومتهم في كيف ولم يزالوا على العبادة الوثنية الى ايام

فلاديمير الاول الملقب بالكبير الذي استولى عليهم سنة ٩٨٠ فازدادت شوكتهم وعظمت سطوتهم وقد غزا فلاديمير المذكور بعض املاك السلطنة الرومانية الشرقية وضايق على مدينة القسطنطينية فخاف اهله وساعدته القنادير ففتح بعض املاكها وعقد الصلح مع الامبراطورين باسيليوس وقسطنطين بشرط ان يتزوج بشقيقته الاميرة حنة فتم ذلك ورد الى اخويها ما كان قد استولى عليه من اراضيها ولما عاد الى مدينة كييف تنصر في محفل حافل واقتمدى بوجاناب الاعظم من رعاياه ومن ثم شرع في سحق وملاشاة الاصنام التي كانت يعبدها سابقاً

وكان يومئذ على القسطنطينية بطريرك يدعى فونيبوس فطلب اليه فلاديمير ان يرسل الى بلاده كهنة من اديته لتبصير الاهالي وتعليمهم فبعث البطريرك المشار اليه اسقفاً يدعى ميخائيل سيرا واردفه ببعض الكهنة لينذروا الروسيين وياتقوا التعاليم الارثوذكسية في كنائسهم ويضموها الى بطريركية القسطنطينية فكان كذلك وخضعت كنائس روسيا الى بطاركة القسطنطينية الى سنة ١٥٨٨ ولذا استعمل الروسيون في لغتهم حروفاً هجائية من اللغة اليونانية الا ان اساس لغتهم السلافية بقي على ما كان عليه ما عدا بعض كلمات تتعلق بامورهم الدينية الكهنوتية ومن التاريخ السالف ذكره اي من سنة ١٥٨٨ انفصلت كنائس روسيا عن الخضوع لبطاركة القسطنطينية واستقلت بنفسها وأقيم عليها بطريركٌ خصوصي من نفس البلاد فمن ذلك الوقت اخذ بطاركتها السيادة على باقي البطاركة

وبعد ان استقلت بطاركة هذه الدولة واغتنوا خامرهم طلب المجد والسطوة وزفعة الشأن فصاروا يتدخلون في الامور السياسية التي ليست من تعلقاتهم ويشاركون ملوكهم في احكامهم لا بل تطلبوا السيادة عليهم تحت برقع الديانة حتى كان الملك يمشي يوماً في السنة بين يدي البطريرك منرجلاً مكشوف الراس قائداً فرسه الى الكنيسة . واتصل بهم الحال الى ان ادعى احد هؤلاء



البطاركة المدعو نيفون بان تخت البطريركية هو اعلى مقاماً من تخت الملك وزعم انه لا يجوز فتح حرب او عقد صلح الا برايه فتج عن ذلك فنن وتعكيرات كثيرة كما حصل في مالک اخرى من جرى مطامع خدمة الدين . ودام حال هولاء البطاركة على هذا المنوال الى عهد بطرس الاكبر حين ابطال وظيفة البطريركية وايدلها بالاستغنية وجعلها خاضعة للحكم المدني كسائر الرعية الامر الجاري الى هذا اليوم

ولم تول شوكة الروسيين تزداد في مدة فلاديمير الكبير الى ان توفي سنة ١٠١٥ وهو ذاهب لاختضاع احد بنيه الذي كان قد عصى عليه . وكان لفلاديمير اثنا عشر ولداً فوق وقع بينهم الشقاق بعد موت ابيهم وبعدهما كانت البلاد قد اتحدت في الاتحاد والتقدم في عهد ابيهم امست بعد موته في حالة الارتباك ومع ذلك ارتفع شان روسيا وازدادت شوكتها زماناً قليلاً في مدة الامير الاكبر ياروزلاف الاول صاحب شرائعهم واحكامهم وذلك من سنة ١٠١٩ الى سنة ١٠٥٤ ب م ثم بعد ذلك بانث في اسوأ حالٍ فاقدة ما كانت قد حصلت من السطوة ورفعة الشان وثبت فيها نيران الحروب الاهلية التي اُهرق فيها انهر من الدماء وذلك بسبب عاداتهم السبئية من تقسيم المملكة بين امراء العائلة الملكية . فان كل امير منهم كان يستولي على اقليمٍ بما فيه ويستبد فيه على نوعٍ ما وهكذا كان يُعطى ايضاً للاناث عند زواجهن فكان ذلك داعياً لشبوب نيران الحروب الاهلية التي انقسمت بها المملكة الى اقسامٍ عديدة يتعذر بسببها اتحاد السلطنة فبقيت مدينة كيف مقرًا للدوك الاكبر وبقية الاقسام تحت سلطة امراء من تلك العائلة ومع هذا الاضطراب الذي كان داخل المملكة كانت الغارات المشرقية تداول عليها . ولكن بينما كانت اخذة ثانية في الاتحاد والنمو وسائرة في طريق النجاح دهما من سنة ١٢٢٤ وصاعداً ما لم تكن ترصده من البلايا والمصائب العظيمة التي انت البلاد بالويل والهوان وذلك انه كان في تلك الاثناء قد ظهر في العالم الشرقي جبارٌ عظيم يقال

له تيموتشين الذي تلقب فيما بعد باسم جنكيزخان اي الامير العظيم فهذا الجبار المغولي الذي كان قد نشأ من حالة بسيطة بعد ان تغلب على الجانب الاعظم من العالم الشرقي حول افكاره ونظره ووجه سهامه نحو الامصار المغربية وارسل جيشاً سنة ١٢٠٢ للميلاد تحت امره اثنين من عظماء رجاله لغزو بعض الاقاليم الروسية الشرقية . فتقدم القائدان المذكوران بجيوشهما ولما صارا على الحدود ارسلوا وفداً الى بعض القبائل الروسية يو يطلبان منهم الخضوع والامتثال الى بعض الشروط فغضب الروسيون من وقاحة التمر وتبعوا من قبول مطالبهم وقتلوا الرسل . فلما بلغ ذلك القائدين المتقدم ذكرها غضباً غضباً لا مزيد عليه ونهضا من ساعتها وزحفا بجيوشهما الجبرارة فانتشروا كالجراد في تلك البلاد واخذوا في تدمير الاماكن التي يطأونها خاريين وناهبين وقاتلين ما وجدته ايديهم غير محترمين لا شيخاً عاجزاً ولا طفلاً قاصراً ولا صبياً ولا امرأة وافسدوا مدناً كثيرة واضرموا فيها النيران وبعد ان غنموا غنائم جسيمة قتلوا راجعين الى سيدهم جنكيزخان فالتفاهم احسن ملتقى وانعم على القائدين ووهبها هبات كثيرة ووهب العساكر الجانب الاعظم من السلب

اما الروسيون فظنوا ان ما جرى كان نهاية البلايا التي حاقت بهم وان التمر لا يعودون الى عمل ما قد عملوه فلم ياخذوا الاحياطات اللازمة من هذا القبيل لاسيما في الاماكن التي لم تطأها ارجل التمر وحسبوا ان ذلك امر لا يعتد به . ولكن جاء الامر بخلاف ما توهموا اذ لم تطل مدة غياب اولئك اليوم الفاتكين حتى وافوهم ثانية وعملوا من الفطائع والخراب والتدمير وانزلوا بالروسيين من البلايا ما يعجز القلم عن حتى وصفه واسس بانوخان بن جنكيزخان في القسم الجنوبي من روسيا السلطنة العظيمة المعروفة بسلطنة كجوجاك وصار الروسيون يحملون الخراج الى التمر . ثم في سنة ١٢٤٠ استولى باتو بن توشي احد امراء المغول على امرية كييف فامست روسيا على نوع ما مملكة تترية ولم يبق منها مستقل بامر الا موسكو التي تأسست سنة ١١٤٧ والتي لقب صاحبها سنة

١٢٢٨ باسم الدوك الكبير هذا ودامت حال روسيا على هذا المنوال يودي  
امراؤها الطاعة والخراج الى خانات التتر مدة اكثر من قرنين وذلك من  
سنة ١٢٤٠ الى سنة ١٤٨١ بعد ان قام فيها ايقان الثالث فحررها من ثقل تلك  
العبودية الجائرة

### الباب الثالث

في ما جرى منذ تولي ايقان الثالث من سنة ١٤٦٢

الى سنة ١٥٨٤

قد ذكرنا في ما تقدم ان مملكة روسيا انقادت للتتر واستعبدت لم زمنا  
طويلا ثم تغير حالها بالكلية في النصف الثاني من القرن الخامس عشر باستيلائها  
على عدة امريات وجمهوريات وذلك ان خاتة هوردة الكبرى الم بها الضعف  
لما وقع فيها من الشقاق والحروب الداخلية ثم بوقوع حروب اهلية في المغول  
والتتر واستيلاء تيمورلنك على بلادهم ارتفعت عن روسيا ربة العبودية وعظم  
شان دوكاتها الذين كانوا يجلبون الخراج لتلك الحكومة وقويت شوكتهم حيث  
انضم اليهم عدة امريات خصوصية كانت ممتدة تحت حكومة روسيا الشمالية منذ  
مدة مستطيلة . ثم ان ايقان الثالث ابن باسيلوس الثالث وولي عهده الذي  
كان من اشهر امراء دولة روريك اخذ بزمام دوكية موسكو الكبرى سنة ١٤٦٢  
للمسيح وله من العمر ٢٢ سنة فاقبل عليه الدهر وسالته الايام فانتهر الفرصة من  
ذاك الوقت وسعى في تمكين حكومته وتوطيدها في داخل المملكة واخذ في  
توسيع دائرتها بالحروب والغارات وبعد عدة غزوات تغلب على نوفوغرود  
التي كانت يومئذ جمهورية قوية الشوكة نتظاهر بالاستقلال نظاهرا كليا  
فادخلها ايقان المذكور تحت الطاعة سنة ١٤٧١ ثم خرجت عن طاعته سنة  
١٤٧٨ فلحق حكومتها من الظلم والعسف ما لا مزيد عليه وفقدت مجدها

ومزاباها واملاكها وسقط رونق فخارها واخذت في الانحطاط والخمول يوماً بعد يوم حتى انه في اقل من مئة سنة اصحمت بالكليّة وصارت لا تُعدّ من المدائن العظيمة

وكان ايفان الثالث اول من ابطل من حكام روسيا ما كان جارياً عندهم من العادة الموجبة المذلة اذ كان يجب على الدوقات الكبار ان يخرجوا الى مقابلة سفراء خانات هورده التي لُقبت هورده الذهب مشاة على اقدامهم بل رفض حكومتهم بالكليّة وامتنع عن دفع الجزية التي كان يدفعها سلطانها الى حكومة كيوچاك منذ بضعة قرون . ففي سنة ١٤٨٠ بعث اليه احمد خان سفراء من لدنه ومعهم رسالة مخنومة بالختم الملكي يطلب بها منه الجزية فرمى ايفان بالرسالة الى الارض ووطنها بقدميه وقتل الرسل جميعهم الا واحداً رده الى مولاه فكبّر ذلك على الخان المار ذكره وعزم على الانتقام من ايفان في نظير هذه الاساءة فشن الغارة على روسيا وما زال يتقدم فيها حتى الى شواطي نهر اوغرا فوق هناك في ايدي الروسيين وقتلوه بعد ان كان هرب من ايديهم وامسكوه ثانياً وبوتو طفتت بهجة هورده وفخارها ولم تبق من سلطنة كيوچاك ذات الشوكة والسطوة الا بعض القبائل وهي قازان وازدراهان والقرم . وصار لابان الثالث مهابة وحرمة عظيمة عند هولاء التتر لاسيما تتر قازان الذين اخضعهم بعد مقاتلات كثيرة وضرب عليهم المال واستولى اخيراً على بلادهم ومن ذلك الوقت صارت قازان تابعة لروسيا وصار الدوك الكبير يولي عليها حكاماً من طرفه وكان ذلك سنة ١٤٨٦ . ثم ان ايفان فتح ايضاً جملة امريات وضمها الى مملكته ولم تات سنة ١٤٩٩ حتى تمت وحدة الحكومة الروسية في عهد ايفان الثالث فصار يحكمها امير واحد واكتسب ايفان شهرة عظيمة بما بذله من الجهد في جلب التمدن الى بلاده وبما صدر عنه من الفتوحات وبما انشأه من التنظيمات والابنية الفاخرة منها صرح كريملين وهو قصر عظيم في مدينة موسكو سكنه القياصرة الروسيون الى عهد بطرس الكبير واحداث في سائر مواضع اطارته

نظامًا جديدًا وترتيبًا عسكريًا وبالجملة هو اول من اسس لمملكة روسيا اركان  
عظما وفخارها ثم ادركته الوفاة سنة ١٥٠٥

ولا يخفى ان ملوك روسيا يسمون كزار او تزار ولعل ذلك ماخوذ من  
لفظة جار التي هي لقب لكل من تملك على مقاطعة قازان واول من تلتب بهذا  
اللقب ايفان الثالث بعد ان تغلب على قازان في القرن السادس عشر ثم صار  
يلقب به من خلفه في الحكم وربما ان كلمة تزار ماخوذة عن لفظة تراس التي  
يلقب بها ملوك الفرس او عن لفظة قيصر التي يلقب بها ملوك الرومان والروم .  
ولم يكن ابراد دولة روسيا في القرنين السادس عشر والسابع عشر للميلاد الا  
٢٥ مليونًا من الفرنكات فشتان بين الحالة التي كانت عليها حينئذ وبين حالتها  
الآن من الثروة والشوكة

وقد خلف ايفان الثالث ابنه باسيلوس او باسيل الرابع وفي السنة الثالثة  
من ملكه التجأ اليه امير بلاد پولونيا الذي اراد الاستقلال بالحكومة واستغاث  
به فاتصر له باسيل وشبت نيران الحرب ودامت مدة طويلة وانتهت سنة  
١٥٢٢ بانتصار الروسيين في اكثر المواقف واما قبايل ادخل باسيل تحت  
طاعته نذر قازان الذبيت كانوا قد تظاهروا بالعصيان ثم ادركته الوفاة سنة  
١٥٢٤ وفي ايامها ازدادت مملكة روسيا اتساعًا حيث انضمت اليها اميرية ريزان .  
وبعد موت باسيل الرابع خلفه ابنه ايفان الرابع الملقب بالهائل نجحت وكالة امو  
هيلانة اذ لم يكن له من العمر الا اربع سنين . وكان الروسيون قد اعتادوا على  
ان ارامل ملوكهم يعتزلن في الاديرة ويتنازلن عن ابهة المنصب الذي فقدته  
بموت ازواجهن فاغناظوا من استيلاء امرأة ولد صغير فتعكرت ايام نيابة هيلانة  
ولكنها فازت بالصعوبات التي حالت قديلاً دون المرغوب الا انها لم تتمتع مدة  
طويلة باجناء ثمرة تعبها اذ ماتت بعد ذلك بربع سنوات . واذ كان ايفان  
لا يزال حديثًا وغير كفوء للقيام بادارة المملكة بانته الدولة في اخللال عظيم  
ولكن لما بلغ ايفان السنة الرابعة عشرة من العمر اظهر من الدراية والذكاء

والثبات ما يفوق طاقة سنة فتولى ادارة المملكة وسعى في قتل ونفي ظلمته وفتح  
نعصبات اهل البغي والفساد وهكذا لما كان مضطراً منذ حادثه على اجراء  
الانتقام وإيقاع الرعب في قلوب رعاياه تعود قساوة الاخلاق التي استعالت الى  
الظلم وحب سفك الدماء ولذا لُتّب بالقاسي والمائل  
وكان تترقازان يجهلون مع الصخر ربة الخضوع التي الزمهم بها ايقان  
الثالث فنذوها عنهم سنة ١٥٥١ فزحف ايقان الرابع في جيش كبير لاختضاعهم  
ثانية وبعد ان كسرهم في جملة مواطن فتح مدينتهم عنوة وابدأ حكمهم . وسنة  
١٥٥٤ حارب اميرورغي امير استرخان واستولى على بلاده سنة ١٥٥٥ وقعت  
حرب بينه وبين خان القرم فكانت الدائرة فيها على الاخير . سنة ١٥٥٦ اشهر  
غوستاف واصا ملك اسوج الحرب على روسيا اجابة لتوسل اهل ليونيا الذين  
باتوا هدفاً لتهديدات الروسيين فارسل ايقان جيشاً الى فينلاندا فانتصر على جيش  
الاسوجيين بقرب ويربرج واذ لم يات الاسوجيين الامدادات التي كان الليونيون  
قد وعدوا بها عقدوا مع ايقان الصلح سنة ١٥٥٢ على ٤٠ سنة . ثم تغلب ايقان  
على ليونيا في السنة التي بعدها واستولى سنة ١٥٦٢ على جملة اماكن من ليثوانيا  
ولكنه انهزم في السنة التالية امام حاكم ويلنا عند سواحل نهر دنيبير . وكان  
تتر القرم قد اغاروا على روسيا بتخريب السولونيين وتوغلوا فيها حتى بلغوا  
ابواب موسكو واحرقوا ضواحيها سنة ١٥٧١ فدفعهم ايقان وعقد معهم صلحاً  
وعقد مع ملك بولونيا هدنة اجلها ثلاث سنين ثم وجه سهامته نحو الاسوجيين  
وانتصر عليهم وعقد سنة ١٥٧٥ مع ملكهم كريستيان الثالث هدنة اجلها سنتان  
وكان ايقان قاسياً جداً سريع الغضب يفعل افعالاً تنفر منها الوحوش  
وتشعر منها الابدان فانه كثيراً ما اطلق الوحوش الضارية على جماهير الناس  
الذين كانوا يقفون احياناً للمكاملة في الشوارع فكانت تلك الوحوش تهجم عليهم  
وتوقع بهم اضراراً عظيمة وتهلك بعضهم وهو جالس عند احدى نوافذ قصره  
ينظر اليهم ضاحكاً على القوم الذين كانوا يولولون ويتراكون من امام

الوحوش . واذ كان يوماً يتناول الطعام زارُهُ احد خواصه فبشَّ في وجهه متبسِّماً فدنا ذلك المسكين من كرسيه وانحنى امامه بكل وقار فاخذ ايقان سكيناً وقطع اذنه وهو يتفهقه ضاحكاً . وكثيراً ما كان يُلبس بعض المنكودي الحظ جلود الادياب ويطلق عليهم الكلاب الانكليزية الكبيرة فنجم عليهم وتنهش اجسادهم وهو ينظر اليهم ضاحكاً حتى يستلقي على قفاهُ وفضائمه أكثر من ان تذكر . فان كانت هذه افعاله في اوقات نعيمه وحظه فكم بالحري تكون في اوقات بؤسه وغيظه ومع ان ايقان كان قاسياً بهذا المقدار يعد من مشاهير ملوك روسيا بسبب التحسينات والتنظييات الكلية التي اوجدها لترقية اسباب التجارة والعلم والصنائع

ومن ثم ينسب الى ايامه استكشاف بلاد سيبيريا . وذلك ان تاجراً من اصحاب الثروة كان مقيماً في حكومة اركانكل اخبر اولاً بوجود هذا القطر وتم استكشافه رئيس من روساء الكرك يُسمى يورماك فان هذا الرئيس كان مولعاً بالغزو وشن الغارات وايقاع السلب والنهب في سواحل نهر فولكا وفي اكناف بحر الخزر فطردته فرقة من جيش روسيا ودفعته الى ما وراء الحدود . فتوجه الى نواحي سيبيريا وتجاسر على الشروع في فتحها مع فرقة قدرها ٧٠٠٠ الاف نفس من الكوزك . وبعد ان هجم مراراً على نهر سيبيريا وعلى خانهم كوتشوم تغلب ايضاً على مدينة سيبيريا التي كانت اعظم حصونهم سنة ١٥٨١ الا ان معظم اصحابه هلكوا . فلما لم تيسر له الاقامة بها مع العدد القليل من الرجال الباقين معه اشترى من الكزار ايقان العفوع عن ذنوبه القديمة بالتنازل عن فتوحه هذا . فتولت العساكر الروسية بلاد سيبيريا سنة ١٥٨٣ ومع ذلك لم يتم انقياد هذه البلاد تماماً الا في ايام الكزار فيودور ايقا نوفيتش ابن ايقان وولي عهده وبنى سنة ١٥٨٧ مدينة نوبولسك التي صارت من ذلك الوقت تحت سيبيريا للولاية الروسيين

## الباب الرابع

في ما حدث منذ وفاة ايقان الرابع وانقراض سلالة روريك  
الى ظهور بطرس الاكبر من سنة ١٥٨٤  
الى سنة ١٦٨٢

وبعد وفاة ايقان الملقب بالهائل خلفه في الملك ولده فيودور وكان عمره  
اذ ذاك سبع عشرة سنة غير انه كان فاتر الهمة قليل النشاط والصحة لا يصلح  
لادارة زمام مملكة عظيمة متسعة تكثر فيها التغييرات والانتقالات . ولما كان  
والده ايقان عالماً بعدم لياقة ولده المذكور اقام ثلاثة وكلاء مساعدين له فكان  
زمام المملكة بيدهم ولم يكن لفيودور من الملك الا مجرد الاسم فقط  
وان بوريس غودونوف اخا زوجة ايقان وخال فيودور لما رأى ما كان  
من ضعف ابن شقيقه وعدم صلاحيته للملك واتحال جسمه طمع بالاسنيلاء على  
الملك من بعده واخذ يزرع الفساد والشقاق بين الوكلاء المذكورين وغيرهم  
من الاعيان واخيراً بمساعدة اعوانه اقام الحجة على الواحد بعد الاخر فقتل  
البعض ونفى وسجن البعض الاخر واصبح ذا سطوة وهيبة عظيمة . ثم قتل سنة  
١٥٩٧ الامير دينيري ابن ايقان من زوجته الاولى الذي كان له الحق في ارث  
تخت الملك . وكانت صحة فيودور تزداد انحلالاً وامال بوريس تزداد اتعاشاً .  
وفي تلك الاثناء ولد لفيودور ابنة وتعلقت آمال الناس بها وايس بوريس من  
بلوغ الارب على انه لم تطل حياة تلك الابنة بل ماتت بعد ولادتها بسنة . ثم  
مات اخيراً فيودور سنة ١٥٩٨ وبه انتهت دولة روريك  
فاستولى بوريس على المملكة زوراً وتعدياً وتزوج بتاج الملك باحتفال



عظيم وبعد ما ارتكب كثيراً من الجرائم والفظائع لنوال مرغوبه اخذ يستميل قلوب الاهالي لتوطيد اركان دولته الجديدة . وفي غضون ذلك ظهر شاب يقال له غريغوري يورييف كان قد دخل في زمرة الرهبان فوسوس له بعضهم انه شبيه بالامير ديمتري الذي قتله بورييس . وكان هذا الراهب على جانب عظيم من الدراية والذكاء فحدثه عن قتله انه سيتبوا يوماً ما عرش امبراطورية روسيا فسمى نفسه ديمتري واخذ يستميل بكثيرين اليه زاعماً انه هو الامير ديمتري الذي شاع عنه انه قتل وانه هو الملك الشرعي للمملكة وانه لم يقتل بل فر من ايدي الذين ارادوا قتله . ولما شاع امره اخبراً عند بورييس خاف ان يفعل به ما فعله بغيره ففر هارباً والتجأ الى بولونيا . فعضد دعواه ملك بولونيا مع خلق كثير من كانوا يكرهون بورييس وامدته بجيش لمحاربة بورييس وتزليله عن الملك . ولما بلغ الامر الى بورييس خاف وارتعد وارسل جيشاً لمحاربة ديمتري الكاذب فكسر ديمتري جيشه فارسل بورييس جيشاً ثانياً فانكسر ديمتري وعاد الى بولونيا

فاجهد بورييس ان يقنع ملك بولونيا ان دعوى ديمتري كاذبة فلم يجده نفعاً . وانفق ذات يوم بعد الغداء انه اصاب بورييس ألم شديد في احشائه فمات بعد ساعتين فانتهز ديمتري هذه الفرصة وقام بالعساكر البولونية وتقدم ودخل روسيا ولبس تاج الملك بالقوة زوراً وعدواناً . ولكن لم يطل الحال حتى انكشف امره فقام عليه الاهالي وقتلوه واحرقوا جثته بالنار فتعاقب بعده كرسي الملك ثلاثة ملوك زعم كل منهم انه الامير ديمتري الورييف الحقيقي . وهذه الامور المخلة تدل على الاختلال الذي كان في هذه الدولة وعدم انتظام احوالها ولا عجب من ذلك فان كل امة كسدت فيها بضاعة العلم والنور سهل اغرازها لان من طالع مطولات الاسفار لا يخفى عليه ما ترتب على دعاوي اولئك المدعين المزورين من ازدياد اختلال دولة روسيا

ان البولونيين الذين هم اول من عضدوا دعوى المزور الاول واضرموا

نيران الفتن والشقاق اوشكوا اخيراً ان يستولوا على دولة روسيا . وتناقم اهل  
 اسوج جزءاً من بلادها في فينلاندي وزعموا ان لهم حقاً في تاج المملكة المذكورة  
 فتطلبوه فأتى ذلك الدولة بالخراب والدمار مدة طويلة وكادت تسقط الى  
 حضيض الاضمحلال . ولما كانت الدولة غارقة في وسط هذه الانواء والشدائد  
 عند اخيراً كبار الروسيون سنة ١٦١٣ واستقر الرأي فيها على انتخاب  
 شاب عمره خمس عشرة سنة يقال له ميخائيل رومانوف وهو جد بطرس الكبير  
 وقادو المنصب الملكي . وكان هذا الشاب من عائلة اكليريكية وهو ابن مطران  
 يقال له فيلاريت وامه راهبة لها قرابة من جهة نساء ملوك روسيا الاقدمين  
 ولعل البعض يستغربون كيف ان مطراناً يكون ذا اولاد من راهبة  
 فالسبب في ذلك هو ان المطران المذكور كان من اعيان البلاد المتزوجين  
 اصحاب الصولة فجهده بورييس غودونوف على التهرب كما جبر زوجته على  
 ذلك ايضاً . وكان بعد ذلك ان ديمتري الكاذب جعله مطراناً وارسله سفيراً  
 الى بولونيا فمجنه البولويون لانهم كانوا يومئذ في حرب مع الروسيين . وكان  
 انتخاب ميخائيل المذكور ملكاً في مدة سجن ابيه في بولونيا فندى والده باسرى  
 البولونيين ورفاه الى منصب البطريركية فكان في الواقع هو صاحب الامر والنهي  
 وكان الملوك الروسيين من سنة ١٤٦٠ للميلاد لا يتزوجون بنات الدول  
 الاجنبية وربما اقتبسوا ذلك عن العوائد الشرقية منذ استيلائهم على امارتي  
 قازان واسترخان . فكان اذا اراد الملك الزواج اتوا الى قصره باجل بنات  
 البلاد حسناً فتستقبلن كبيرة نساء القصر وتجعل كلاً منهن في مكان على حدها  
 ثم تجتمعن ساعة الاكل على مائدة واحدة فيشاهدن ويتنخب منهن من ارادها .  
 وكان يعين للزفاف يوماً قبل الانتخاب فاذا جاء اليوم المعين خلع على التي وقع  
 عليها الانتخاب سراً خلعة العريس ثم يوزع خلعة اخرى على باقي البنات وينصرفن  
 الى حيث اتين وعلى هذا الوجه كان زواج الكزار ميخائيل بابنة رجل فقير  
 الحال بمرث الارض

هذا ولم يكن تنصيب الملوك في روسيا بطريقة الانتخاب ولكن لما لم يبق احد من ذرية ملوكها القدماء اقتضى انتخاب ملك جديد وتبع بعقب هذا الانتخاب حروب جديدة مع الاسوجيين والبولونيين فان كلاً من الفئتين زعمت ان لها حقاً في الاستيلاء على كرسي مملكة روسيا . ودامت الحرب بينهم زمناً طويلاً ثم عُقد الصلح فاخذ اهل بولونيا امرية سمولانسك والاسوجيون اخذوا اقليم اينغريا . وبعد هذا الصلح سكنت احوال دولة روسيا ولم يعرض عليها من التغييرات ما يفسد ادارتها او يصلح حالها

وسنة ١٦٤٥ توفي ميخائيل وخلفه ولده ألكسيس وهو ابو بطرس الكبير وله من العرس عشرة سنة وقد سلك الكسيس في الزواج مسلك ابيه سنة ١٦٤٧ ثم تزوج ثانية سنة ١٦٧١ . وفي عهد الكسيس حدثت منازعات وفتن داخلية وخارجية سفكت فيها دماء كثيرة ووقع ايضاً بينه وبين اهل اسوج واهل بولونيا حروب جديدة ففاز على الفئة الثانية واسترجع منها بعض الاقاليم ولكنه لم ينجح مع الفئة الاولى . وكان الكسيس من افاضل ملوك الروسيين فانه اول من وضع دستوراً للشرائع والقوانين وادخل في مملكته المتسعة صنائع الاقمشة والحديد . وكانت العادة في تلك الايام ان الاسرى يكونون ارقاء لمن وقعوا في اسره فجعلهم الكسيس في خدمة الفلاحة وزراعة الاراضي وبذل غاية جهده لادخال النظام والتربية العسكرية بين عساكره غير ان الدهر لم يسأله الى النهاية لكي يتم مقاصده اذ ادركته المنية سنة ١٦٧٧ وبموت وقع الاختلال بتنظام الامور كلها

وكان الكسيس قد اعقب من زوجته الاولى ولدين ذكرين وست بنات وكان اسم البكر منها فيودور والثاني ايقان وكان الاثنان نحيفي الجسم لاسيما ايقان . وكان عمر فيودور اذ ذاك خمس عشرة سنة وكان شاباً فاضلاً محبوباً فتبوا تحت الملك بعد موت ابيه . وكان الكسيس قد اعقب ايضاً من زوجته الثانية ولدين بطرس وهو المعروف بالكبير وابنة يقال لها ناتالي واما البنات

الست اللواتي من زوجته الاولى فكان اشهرهن الاميرة صوفية التي امتازت على شقيقاتها بذكائها ووفور عقلها . وكان ولداً من زوجها الثانية غير محبوبين من الاهالي فلم يكن احد يظن ان بطرس سيتبوا يوماً تحت مملكة روسيا . ولما كانت عادة ملوك روسيا ان يتزوجوا بينات رعيتهن كانت هناك عادة اخرى وهي ان بناتهن كان يندر في تلك الايام زواجهن فينضي اغلبهن حياتهن في الاديرة . وكان فيودور بزداد جسمه من يوم الى اخر نحولاً وسقماً . وسنة ١٦٨٢ لما احسّ بقرب حلول اجله وكان يعلم ان اخاه الثاني ايفان لا يصلح لمنصب الملكية اوصى بوراثته الملك لاهيو بطرس ولم يكن لهذا الاخير اذ ذاك من العمر الا عشرين سنة لكنه كانت تلوح على وجهه دلائل النشاط ووفور العقل وقد سبقت الاشارة ان الاميرة صوفية كانت على جانب عظيم من الدراية وجودة العقل وكانت شاعرة كاتبة فصيحة جميلة المنظر غير ان طعها كان سبباً في خسران بختها . فلما احست ان اخاها فيودور صار على همة مفارقة الحياة ورات ان اخويها ايفان وبطرس لا يصلحان اذ ذاك للحكم لعدم صلاحية احدهما له ولصغر سن الثاني خرجت من عالم المنفى ابي الدبر الى عالم الشهرة وعزمت على ان تاخذ زمام الدولة وقصدت ان تضر باخيها بطرس لكي تسلب منه حق الملك . فاخذت تضم نيران الدسائس والفتن بقصد الوصول الى مرغوبها فوقع في وفاق عساكر الستراينس فتنة كبيرة سنك بسببها دماء كثيرة واصبحت البلاد كأنها قبر مفتوح لابتلاع الناس فكثرت التعدي والاضطراب ووقعت الحكومة في ارتباك لا مزيد عليه . وكانت الاميرة صوفية تحرض اولئك الطغاة سراً على الازدياد في الفواحش والقبائح طعماً بنوال المرغوب ففعلوا من الامور ما يجز الفلم عن وصفه فانهم فاقوا على الانكشارية من هذا القبيل . هذا وما زال الهرج والفلاقل آخذة كل مأخذ الى ان انتهت اخيراً في شهر حزيران سنة ١٦٨٢ واستقرّ الرأي بتنصيب الاميرين ايفان وبطرس ملكين سوياً واختهما صوفية شريكة لها في الملك بطريق الوكالة .

## الباب الخامس

في استيلاء بطرس الكبير وأعماله العظيمة وما حصل من  
المشاجرات والفتن في أيامه والحروب الى غير ذلك  
من سنة ١٦٨٢ الى سنة ١٧٢٥

وحدث ايضاً بعد ذلك قلاقل واضطرابات كثيرة وكانت الاميرة صوفية  
تجارل الاستبداد بالحكم وحدها وعزمت على اهلاك اخيها بطرس املاً بالوصول  
الى المرغوب . على ان مساعيها لم تات بفائدة فان اخاها بطرس تقوى وصار  
له حرب عظيم فاتصر على كل الموانع التي كانت تحول بينه وبين توطيد  
سلطوته فكشف عن دسائس اخيه صوفية واعادها الى عالم المنفى في دبرها  
بمدينة موسكو . ومن ثم تولى الملك بطرس ولم يعد لاخته اي شأن يد في مهام  
الدولة ولم تطل حياته بل مات سنة ١٦٩٦ للميلاد . فاستبد بطرس بالامر  
وحده ولم يعد له معارض ولا منازع على انه كان يخشى عليه من بعض الاحزاب  
نظراً لحداته سيه . وكان اول امر حاول اصلاحه في ملكته فقع شوكة عمال  
السترلينس وردعهم عن العصيان . وكان عازماً على محاربة تترالقرم وشن عليهم  
الغارة ولكن من دون ان يبلغ اربعة منهم وانتهى اخيراً الحال بينهم بعقد هدنة  
لم يجر العمل بموجبها الا مدة وجيزة

وفي اثناء ذلك اخذ بطرس في تحصين بلاده من داخل ومن خارج  
فاصداً بذلك ردع مهاجمات الاعداء لكي يتفرغ لادخال التمدن والفنون  
والمعارف الى ملكته اذ كان الروسيون لم يزالوا الى ذلك العصر في غابة الافتقار  
الى ذلك ولم يكن عندهم من الا القليل بالنسبة الى ما كانت عند غيرهم من

دول أوروبا المتقدمة . وكانت أفكاره تصبو إلى الفتوحات وتوسيع مملكته من جهة بحر بلتيك شمالاً والبحر الأسود جنوباً . وكانت مملكة آل عثمان يومئذ في ارتباك فانهز بطرس هذه الفرصة واخذ في تمرين جيوشه استعداداً للحرب وجهز سنة ١٦٩٤ جيشاً كبيراً تحت قيادة الجنرال شرمتوف وسار هو بنفسه مع هذا الجيش بصفة جندي طوعي وحاصروا في أوائل فصل صيف سنة ١٦٩٥ مدينة ازوف وتفحوا بعد حروبٍ وحصارٍ طويلٍ وفازوا على التتر والأتراك وغلب هذا النصر أمر بتحصين البحر عند ازوف وأقيم فيه عدة سنون حربية احتياطاً . ثم عاد إلى موسكو باحتفالٍ عظيمٍ وكان دخوله إليها بهذا الاحتفال شبيهاً باحتفالات قدماء الرومانيين عند رجوعهم من حروبهم وانتصاراتهم وغلب هذا الفوز عُميل في روسيا أول نشان للافتخار إذ لم يصنع قبل هذا العهد

ولما رأى في أثناء غزواته المار ذكرها أن سنة لم تكن عمل أهل مملكته تأسف كثيراً فاخذته المحبة من ذلك وأرسل سنة ١٦٩٧ حملة من شبان الروسيين إلى هولندا وإيطاليا وأستراليا ليقتبسوا العلوم والفنون من كل نوع ولم يكتف بذلك بل عزم على أن يتغرب هو بنفسه في الممالك الأوروبية المتقدمة يومئذ في الإصلاح والتهدن لكي يتعلم منها حسن الإدارة والتدبير وليدرس بعض العلوم والفنون . فبعد أن مهد ووطد سطوته في بلاده وأناط بأمر إدارتها وتدير مهامها بعض أعيان وكبار دولته خرج متنكراً وبصحبه خادم واحد وتديته واتوا جميعاً مدينة أمستردام قاعدة هولندا . فاتخذ له هناك منزلاً صغيراً في الترسيخانة البحرية وتزلي بزري رئيس مركب ثم أتى قرية هناك يقال لها ساردم حيث كان يصنع بها كثير من السفن فتعجب من كثرة أرباب المهن والأشغال الجارية بها فاتباع لنفسه سفينةً وكان قلبها مكسوراً فاصلمه هو ثم أخذ يتعلم صناعة بناء السفن وسلك في معيشته مسلك أهل تلك المحرفة في اللبس والمآكل والمشرب كواحدٍ منهم الأمر الذي لم يسبق له نظير من إنسانٍ في مقامه ورتبته .

وكان يشتغل مع اولئك الفعلة في معامل الحديد والحبال والطواحين وغير ذلك وقيد نفسه في دفتر الترخانة من جملة الفعلة باسم بطرس ميخائيلوف . ثم رجع الى امستردام ثانية وتعلم فيها فنّ الشريح وبعض عمليات جراحية وتعلم علم الطبيعيات والمواليد وغير ذلك . وبعد ما جال في اماكن اخرى رجع الى امستردام وعاد الى ما كان عليه من الاشغال وتمّ بنفسه بناء سفينة حربية تحمل ستين مدفعاً كان قد شرع في عملها قبل سنه واستمر على تلك الحال منعكفاً على الدروس والاعمال الى ان سافر في اول سنة ١٦٠٨ الى انكلترا في اثر سفارة كان قد بعث بها قبل خروجه من مملكته للطوائف في المالك الاوروبية الاكثر تمدناً . فاقبله الملك ولهم ورعاياه بالترحاب . فاقام بطرس مدة في انكلترا وهو على حالة البساطة واتخذ له منزلاً يقرب الترخانة الكبرى وصرف معظم وقته في الشغل والتعلم . فاتفق هناك صناعة عمار السفن على طريقة اكل ما هي في بلاد هولاندا وتعلم ايضاً فنّ الساعات واتقنه غاية الاتقان . وبالجملة انه لم يدع شيئاً من الفنون البحرية من عظيمها وحخيرها من سبك المدافع الى قتل الحبال الا وباشره بيده . وبعد ان اقام مدة طويلة في انكلترا رجع الى هولاندا ومنها أتى فيينا عاصمة اوستريا واقام فيها مدة . وبينما كان يستعد للسفر الى ايطاليا والبندقية لتتميم مشروعه ورد اليه خبر وقوع بعض قلاقل في مملكه فعدل عن مشروعه وقفل راجعاً سراً في شهر ايلول سنة ١٦٩٨ الى مدينة موسكو . ولما دخل موسكو تعجب الاهالي غاية العجب من مشاهدته على حين غفلة فاخذ حالاً في ملافاة الامر واصلاح ما قد فسد وقاصّ المدنيين باشد واصرم العقابات وكافاً الذين يستحقون المكافاة . ثم ابطل وجاق عساكر السترينس ولم يبق منهم الا نفرًا قليلاً . واقام سنة ١٦٩٩ عوضاً عن هذا الوجاق جنوداً منتظمة اشبه بالعساكر النمساوية واحداث ايضاً اصلاحات في العوائد الخشنة وفي نظام الدولة والديانة الى غير ذلك مما يستحق الاعتبار . وكنا نود ان نذكر اموراً كثيرة منها على ان ضيق المقام لا يسمح بذلك

وحدث في أثناء غياب هذا الملك أن الدولة الروسية كانت قد انتصرت على ترالقرم وتغلّبت على مدينة ريكوب المعروفة بمدينة الذهب ولم يكن بينها وبين الدولة العثمانية سلمٌ فبرجوع بطرس الى دياره عند هدنة بينه وبين الدولة المشار اليها وخوفاً من الفشل لم يجسر على ما طالما كان يصبو اليه لجهة توسيع حدود مملكته من ناحية الملكة العثمانية . واذ رأى ان بحر الخزر لا يصلح للمعارك الحربية انتهز فرصة الهدنة المذكورة ووجه مقاصده نحو بحر بلتيك ليكون له موانٍ في تلك الاطراف . وكان لدولة روسيا في الناحية المذكورة اقليمان قد فتحتهما بالحرب ثم خسرتهما ثانية في عهد الدولة الديتيرية الكاذبة واستولى عليهما الاسوجيون . فتعاهد بطرس مع فريدريك ملك دنيمارك واوغسطس ملك بولونيا وتخربوا جميعاً على كارلوس الثاني عشر ملك اسوج الذي مع صغر سنه كان يعد من افراد ابطال القرن السابع عشر . فاشتبكت الحرب بين المتحالفين والاسوجيين وجاء الامر بخلاف المظنون فان كارلوس المذكور فاز عليهم جميعاً في وقائع عديدة حتى ايس بطرس من الغلبة . ولكن مع ذلك لم يثن عن عزمه واستمر على محاربة كارلوس مدة اكثر من تسع سنوات يرجح في جهة ويخسر في الاخرى الى ان ظفريه اخيراً سنة ١٧٠٩ في واقعة بيلتوفا . ففرّ كارلوس والتجأ الى الدولة العثمانية واستولى بطرس على جملة اقاليم في الجهات الشمالية واعاد اوغسطس ملك بولونيا الى ملكه بعد ان كان قد عزله عنه كارلوس ومع انشغال بطرس في هذه الحروب لم ينفك عن الالتفات الى صوالح مملكته وتحسينها . وسنة ١٧٠٢ وضع اساسات مدينة بطرسبرج التي صارت من ذلك الحين قاعدة السلطنة الروسية الى الآن

وسنة ١٧١٠ اشهر السلطان احمد الثالث حرباً على روسيا وكانت فيها الواقعة المعروفة بواقعة نهر بروت فدارت فيها الدائرة على الروسيين ولولا تدارك كاترينا زوجة بطرس الثانية الا تي ذكرها لاشك بطرس ان ييات اسيراً في قبضة الفريق العثماني فانها الزمت زوجها على عقد الصلح الذي تقررت



شروطه بين الدولتين كما مر في تاريخ الدولة العثمانية  
 اما كاترينا زوجة بطرس المذكورة فكانت ابنة احد الفقراء من قرية  
 رنجان ولما بلغت سن الاربع عشرة سنة خدمت عند قسيس بروتستاني في  
 مدينة مريانبورغ ولما صار عمرها ثمانى عشرة سنة تزوجت بعسكري اسوجي سنة  
 ١٧٠٢ وفي غد عرسها هزم الروسيون شردمة من جيش الاسوجيين كان زوجها  
 من جناتهم ولم تقف له على خير وبعد ذلك مدة يسيرة اسرها القائد الروسي  
 بوير فخدمت عنده ثم انتقلت لخدمة السرعسكر كزرتوف ثم اعطاها للامير  
 منريكوف فانفق ان بطرس الاكبر رآها يوماً عنده فاحبها وتزوج بها خفية سنة  
 ١٧٠٧. وكان منذ مدة طويلة قد طلق امرأته الاولى لانها كانت تعارضه في ما  
 يريد اجراءه بمالكه. ولما تزوجت كاترينا ببطرس تركت الديانة البروتستانية  
 التي تربت فيها واعنتت الديانة الروسية فعدوها ثانية وبدلوا اسمها من مرثا  
 الى كاترينا

وبعد ان رحع كاراوس الثاني عشر من بلاد آل عثمان في اواخر سنة  
 ١٧١٤ حدثت وقائع جديدة بين الروسيين وبينه كان الفوز فيها لهم. فانسعت  
 حدود دولتهم من الشمال والغرب. ولما كانت سنة ١٧١٧ جدد الامبراطور  
 بطرس سياحته في الممالك التي كان قد زارها قبلاً ليمتسب منها العلوم والفنون  
 وذلك لاغراض سياسية واشاهدة ما كان متولعاً بمشاهدته في الممالك الاجنبية  
 واتى اخيراً فرانساً وهناك حصل له مزيد الاعتبار والاحترام ثم عاد راجعاً منها  
 الى بلاده

وكا بين بطرس وولده وولي عهده ألكسيس نفور من زمان طويل من  
 جملة اوجه وكان يومئذ هذا الامير في مدينة نايولي هارباً من وجه ابيه فاستدعاه  
 والده واعداً اياه اذا حضر بالعبق والسماح. فلما اتى مدينة موسكو عقد مجلساً  
 من الامراء والاعيان وخدمة الدين واشهر امام هذا المحفل حرمان ولده المذكور  
 من وراثة الملك بعده وفي هذا المعنى كلام طويل لا نقدر على استيفائه في هذا

الباب المختصر . على اننا نقول ان الامبراطور بطرس بعد حرمانه ولده من الملك امر اخيراً بقتله ايضاً لاسباب لا تستدعي هذا الامر الهائل زاعماً ان الذي حمله على ذلك الاثم حبه للوطن وللمملكة لانه كان يخشى بعد موته من ان ابنته ذا السيرة المنهورة بلاشي ويهدم كل ما بناه والده وعمله في مدة طويلة ويرجع بالملكة التمهري والتاخريه وكان ذلك سنة ١٧١٨



بطرس الأكبر

ثم ان ما بقي من ايام الامبراطور بطرس بعد قتل ولده لم يصر فيها الا في

تكميل اغراضه ومآربه العظيمة . وسنة ١٧٢٢ وقع بينه وبين دولة الفرس نزاع  
افضى الى فتح الحرب فسار في ٥ من ايار سنة ١١٢٢ مع زوجته كاترينا وجيش  
عظيم وفي ١٤ ايلول من السنة المذكورة وصل بجيوشه الى مدينة دربند وحدث  
بينهم وبين الفرس بعض مواقع كان الفوز فيها للروسين . غير انهم لم يستطيعوا  
وقتيئذ ان يتقدموا في فتوحاتهم لان سفنهم الحربية ومهاتهم وخيلهم وجيش نجدتهم  
غرقت جميعاً بقرب مدينة ازدرهان فقتلوا راجعين الى موسكو ثم جددت  
الحرب ثانية في السنة التالية وفاز الروسيون واخذوا من الفرس بعض الاقاليم  
الواقعة عند بحر الخزر وهي جيلان واستراياد ومازندان . وكان بطرس سنة  
١٧٢١ قد عقد صلحاً مع دولة اسوج يعرف بصلح الشمال اورث دولته فخراً عظيماً  
اذ توجه استولى على اقاليم ليونيا واستيونيا واينغمانيا ونصف كاريليا ووبربورج .  
فلقبه عقب ذلك الصلح كبار ذواته ووكلائها الاكبر بابا الوطن وامبراطوراً  
وما زال الدهر مسالماً له الى ان توفي في ٢٨ كانون الثاني سنة ١٧٢٥ . وعند ما  
احس بقرب حلول اجله اراد ان يكتب وصيته لكنه لم يستطع ولم يكتب الا  
بعض كلمات غير ظاهرة عسرة القراءة جداً فلم يمكن ان يُقرأ منها الا ما معناه  
اعطوا كل شيء الا .....

## الباب الخامس

في ذكر ما حدث بعد موت بطرس الكبير وانقطاع سلالة

رومانوف وقيام الدولة الهولستينية من سنة ١٧٢٥

الى سنة ١٨٨٤

قد سبق في ما تقدم ان بطرس عند موته لم يعين خليفة له وقد مات عن

حنيد بطرس الثاني وهو ابن الكسيس المقتول وعن ابنته البكر زوجة دوك هولستين غوترب . وكان هناك حزب كبير لابن الكسيس غير ان الامير منتريكوف الذي كان يميل الى الامبراطورة كاترينا زوجة بطرس الاكبر تدارك امر اخراج نفوذ المتعصين لابن الكسيس واثبت حق الوراثة لكاترينا فتبوأت تحت الملك بعاه زوجها وكانت امرأة عاقلة وعلى جانب عظيم من الدراية ووفور العقل ولثت كانت لا تعرف القراءة والكتابة على ما قيل . وكانت ذات مقاصد عالية سامية كزوجها غير ان الدهر لم يسمح لها بابرارها من حيز القوة الى الفعل اذ ماتت بعد استيلائها الملك بستين فخلفها سنة ١٧٢٧ بموجب وصيتها بطرس الثاني ابن حنيد زوجها وهو في سن الاثني عشرة سنة تحت وكالة ابنتها حنة واليصابات ودوك هولستين والامير منتريكوف وخمسة اشخاص من اعضاء المجلس العالي الى ان يبلغ سن الست عشرة سنة من العمر . فمر ان ايامه كانت قصيرة اذ أصيب سنة ١٧٣٠ بمرض الجدري فمات سريعاً فكان يقتضي بموجب وصية كاترينا الاولى ان يخلف بطرس الثاني ابنتها البكر حنة زوجة دوك هولستين وذريتها ولكنها اذ توفيت تولت الملك الاميرة حنة ابنة ايفان الخامس اخي بطرس الاكبر ودام ملكها الى سنة ١٧٤٠ ولم يحدث في ايامها امر مهم يستحق الاعتبار فخلفتها الاميرة اليصابات ابنة بطرس الكبير . وسنة ١٧٤٢ لما استقرت بالملك ارسلت وانت باين شقيقتها حنة الدوك هولستين لان له حقاً بالوراثة قبلها واعلنت بانها يكون وريثاً لها فاعنتق المذهب الرومي ودعي باسم بطرس الثالث . ثم زوجته في اول شهر ايلول سنة ١٧٤٤ بصوفيا اوغسطينا ابنة كريستيان اوغسطين التي اعنتقت المذهب الرومي ايضاً . ودُعيت كاترينا . وبعد عشر سنين من هذا الاقتران ولد لها ولد سمي بولس تولي في ما بعد تحت اسم بولس الاول . اما اليصابات فماتت في ٢٩ كانون الاول سنة ١٧٦١ بعد ان حكمت عشرين سنة وكانت حاذقة عاقلة محبة للعلم والآداب وانشأت داراً للعلوم في موسكو واكاديمية للفنون

وبعد موتها خلفها بطرس الثالث وهو دوك هولستين المذكور آنفاً فلما انتقل الملك سنة ١٧٦٢ الى العائلة الهولستينية بموت اخر وريث لدولة رومانوف وقف تقدم الدولة الروسية هنيئة ولم يعيش بطرس الثالث الا سنة واحدة ومات مخنوقاً قبل ان زوجته كاترينا اشتركت بهذا الفعل . فتبوأ عرش الملك سنة ١٧٦٢ واشهرت جداً هذه الملكة بوفور عقلها وبمحسن التدبير والسياسة وعادت الدولة في ايامها الى التقدم وارتقت الى اعلى درجات العز والتفاز حتى بلغت ما بلغت من السطوة والشهرة الى ان صارت تعد من اعظم دول اوروبا واوقعت الرعب في ما جاورها من الممالك . وحدث في زمن اسنيلاء كاترينا الثانية جملة حروب بين روسيا والدولة العثمانية وبولونيا واسوج كان الفوز والغلبة لها في جميعها ففتحت بلاد التتر الصغرى مع اقليم القرم واخذت ليتوانيا من البولونيين واستولت على كورلاد والشركس وظفرت سنة ١٧٧٢ بنصف مملكة بولونيا ودام ملكها معزراً الى سنة ١٧٩٦ وهي تعد من مشاهير هذه الدولة مع بطرس الكبير وقد فضلها بعضهم عليه

وخلف كاترينا ولدها بولس الاول فكان فاتر الهمة ضعيف الراي بينه وبين امه بون عظيم وكانت يومئذ الحروب قائمة في اوروبا على قدم وساق بين دولة فرانساً ودول اوستريا واطاليا وانكترا . فدخل بولس المذكور في الحرب الاوروبي على فرانساً وجهز سنة ١٧٩٩ جيشاً وارسله تحت قيادة القائد سوفاروف الى نواحي ايطاليا وبلاد السويس لمحاربة الفرنسيين . وسنة ١٨٠٠ لما عاد بونابارت من مصر تحالف معه على انه مات في السنة التالية والمظنون ان موته كان اغتصاباً . فخلد سنة ١٨٠١ ولده اسكندر الاول وكان شاباً نجيباً شجاعاً سافر العزم . فتجدد الفجر في ايامه بين دولته ودولة فرانساً الى سنة ١٨٠٥ وتحزب مع دولة اوستريا بمداخلات انكترا فانتصر نابوليون الاول عليه وعلى اوستريا في واقعة اوسترليتز الشهيرة وكانت وائمة دائمة حضرها كل من امبراطوري روسيا واوستريا وفرانساً ولذلك دُعيت بموقعة الثلاثة

امبراطورين . فعقدت اوستريا مع نابوليون صلح بريسبورج واما اسكندر فانسحب باقي جيشه من دون ان يعقد صلحا . وسنة ١٨٠٦ بينا كان نابوليون الاول يحارب بروسيا انتصر لها اسكندر ففهره نابوليون بعد ان قهر بروسيا في جملة معارك عظيمة اخصها معركة فريدلند التي دامت اثني عشرة ساعة وهلك فيها من الطرفين ٥٠٠٠٠٠ نفس . فطلب اسكندر الصلح فاجابه نابوليون اليه وعقدت شروطه عند نهر النيامين المعروفة بشروط تيلسبت وقد سبقت الاشارة عنها في تاريخ فراسا

ولما كان في شروط هذا الصلح ما يصعب اليام به نكث اخيرا اسكندر ببعضها فتجددت الحرب سنة ١٨١٢ بينه وبين فرانسوا ودخل نابوليون الاول روسيا بجيش جرار . فكان الروسيون يخلون البلاد ويحرقونها فاضر ذلك بالفرنساويين كثيرا ولما دخلوا موسكو وظنوا ان المصاعب قد زالت حرق الروسيون عاصمتهم حتى لا يكون لاعداهم مأوى بها ولا واسطة للتزود فكاد يهلك نابوليون مع جيشه وانهمزوا جميعا على اسوأ حال من جرى شدة البرد القاسي ولحق بهم الروسيون واعمالا فيهم السيف والنار فمك منهم مئات الوف وقد مر ذلك في تاريخ فرانسوا . ومع ما تحمته روسيا في هذه الحرب من الخسائر الجسيمة لم تكف عن اظهار البسالة في اعمالها فانها اخذت في تلك الاثناء اقليم فينلاندا واقليم الكرج وبوثلنيا الشرقية وحاربت فرانسوا سنة ١٨١٢ وسنة ١٨١٤ مع الدول المتحدة ودخل الامبراطور اسكندر باريس حين حدث تازيل نابوليون الاول عن الملك المرة الاولى وسنة ١٨١٥ استولت على اكثر من ثلثي بولونيا التي كان نابوليون الاول قبل ذلك يتان سنين عقب صلح تيلسبت انشأها دولة مستقلة فجعل لها اسكندر حكومة ذات كونستينوسيون تحت اسم مملكة بولونيا . وكانت روسيا وقتئذ من اعظم دول اوروبا في السطوة والنفوذ ورئيسة للاتحاد المعروف بالاتحاد المقدس المتعقد بينها وبين دول اوستريا وانكلترا وبروسيا وبعض دول اوروبا الثانوية على محاربة فرانسوا ونابوليون

وسنة ١٨٢٥ توفي اسكندر الاول وخلفه وادهُ نقولا ولما رسخت قدمه واستبدت بالسلطنة تبع خطوات سلفائه في محبة الافتتاح وتوسيع دائرة ممالكه فتسلطت روسيا في ايامه على القسم الاعظم من ارمينيا واخذته من يد الفرس واخذت ايضاً اياالة اخالسكي ومصب نهر دانوب من الدولة العثمانية وتظاهرت في مساعدة تحرير اليونان من سنة ١٨٢٠ الى سنة ١٨٢٧. وسنة ١٨٢٩ وقع خلافٌ بينها وبين الدولة العلية وبلغت الجيوش الروسية الى نواحي القسطنطينية فتداخلت الدول الاولى في اوروبا وفضلت الحلاف الواقع بين الطرفين بدون قتال . ثم سعت روسيا في تحرير اهل السرب والبلاخ والبيغان ولكنهما لم تنجح بومئذٍ بان تجعلهم تحت حمايتها على نوع رسمي . وفي سنة ١٨٣٠ اثار اادل بولونيا ثورة عظيمة فقهرهم الامبراطور نقولا وادخلهم في الطاعة ثانياً بعد صعوبات كثة ومن ذلك الحين امست بولونيا قسماً من مملكة روسيا بعد ان كانت حاضرة قبل ذلك على نوعٍ من الاستقلال ومراعاة الخاطر . وما زالت روسيا متقدمة في طرق النجاح والفلاح الى سنة ١٨٥٣ . ولما راي الامبراطور نقولا ان الظفر سائر في مقدمة اعلامه في كل صقعٍ وناد وان الدهر قد صفا له وسالمته الايام عزم في السنة المذكورة على محاربة الدولة العثمانية لاسباب ذكرناها في تاريخ الدولة العلية فاصطلت نيران الحرب بين الدولتين واشترك فيها بعض دول اوروبا ضد روسيا فاستدامت اكثر من سنتين وسنك فيها دمالة كثيرة وانكسر الجيش الروسي في اغلب المواطن وفي غضون هذا الحرب توفي الامبراطور نقولا وخلفه ابنه اسكندر الثاني وبعد ان تبوأ زمام السلطنة ببضعة اشهر بعث الى الدول المتحدة يطلب الصلح بعد فقد مدينة سياستبول في القرم فعقدت جمعية دولية في باريس تمت فيها شروط الصلح في اواخر شهر اذار سنة ١٨٥٦ وقد استوفينا ذلك في تاريخ آل عثمان

وبعد اتمام شروط المصالحة المذكورة اخذ اسكندر في ملافاة واصلاح ما فسد في الحروب المشار اليها وأرجاع السلم والراحة الداخلية وتوطيد وتقوم

حال سلطنته وشرع في مشروعات حسنة جداً لم يسبته اليها احد من سلفائه فابتدأ بتحرير الرعايا العامة من ثقل نير سلطة الاعيان المجائرة ووضع نظامات جديدة من هذا القبيل ونظم كيفية تعليمهم فامسى من جرى اجراءاته هذه المدوحة في خطر مبین من مطامع الاشراف لان تلك الاصلاحات كانت تباين مقاصدهم وما ربه كل المباينة وكثيراً ما تهددوه بالقتل فجاء من اشراك المنية التي نصبوها له . وبينما كان في اثر هذه المشروعات والاصلاحات متفقداً حال بلاده تجددت الثورة في بولونيا سنة ١٨٦٢ فتلافى الامر حالاً غير انه لم يتمكن من ارجاع الثائرين الى حيز الطاعة الا بعد الثورة بستين فسفكت فيها دماء كثيرة وادخلهم اخيراً في الطاعة واقام اخاه قسطنطين نائب ملك عليها فهدأت الاحوال واستكنت . وفي هذا الوقت تقدمت فتوحات روسيا في الشرق الاعلى من قارة اسيا فاستولت على اغلب خانات تركستان كبخارى وسمرقند والكشغار وغيرها . ولما كانت شروط معاهدة باريس تثقل على روسيا انتهزت فرصة اشغال فراسا بالحروب الاخيرة مع بروسيا سنة ١٨٧٠ وطلبت ابطال بعض شروط المعاهدة فعقدت جمعية دولية في مدينة لندن حيث صار تسوية الخلاف في تنفيج بعض الشروط ايجاباً لطلب روسيا

وفي سنة ١٨٧٦ اذ كانت نار الفتن مشتعلة في بعض ولايات الدولة العثمانية الكائنة في اوروبا كاهرسك والبشناق وجبل الاسود اتخذ الملك اسكندر تلك الحوادث وسيلة لاشهار الحرب على آل عثمان بغية تحرير تلك البلاد الثائرة من سلطان المسلمين فامد الاهلين اولاً بالذخائر والمؤن الحربية ثم بالمال ثم بالرجال فاصطلت نيران الحرب في كل تلك الانحاء واستدامت نحواً من سنتين وكان الظفر بها للروس بعد ان كابدوا خسائر يكل عن وصفها القلم ووصلت عساكرهم الى ابواب القسطنطينية ولولا تظاهر الانكليز لمقاومتهم وادخال بوارجم الى مرفاء المدينة لدخلوها وفي اثناء ذلك وقع الصلح بين الدولتين وتقررت شروطة بين الطرفين وتمهدت الدولة بدفع غرامة الحرب وقبدها



نحو ٢٠ مليون ليرا واما كيفية حل تحرير تلك البلاد النائرة وما يتعلق بادارتها المستقبلية فقد ترك لراي الدول الكبيرة التي اجتمعت نوابها في برلين سنة ١٨٧٨ ويمتنع ما تقرر في ذلك المؤتمر صار الاجراء بموجب وحيث قامت العساكر الروسية من امام القسطنطينية ورجعت الى الاوطان وفي تاريخ توركيا ذكرنا شيئاً عن قرارات مؤتمر برلين . وقد عاش الملك اسكندر الثاني بعد ذلك الى سنة ١٨٨١ ومات قتلاً من جماعة النيبيلست اصدده الذين كانوا يطلبون حرية الشعب وتغيير نظمات البلاد وجلس مكانه ابنه اسكندر الثالث في ١٢ اذار سنة ١٨٨١ والله اعلم ماذا يكون من امره واجراءاته

## الفصل السابع عشر

### في وصف بلاد اسوج ونروج وتاريخها

ان مملكة اسوج ونروج ويقال لها سويد ونورويج ومجدها شمالاً البحر المتحد الشمالي . وشرقاً مملكة روسيا وبحر البتليك وخليج بوتنما . وجنوباً بحر البتليك المذكور وبوغازا كاتيفات وسكاجيراك . وغرباً البحر الشمالي . وعدد اهلها اربعة ملايين ومئتا الف في اسوج ومليون و٧٥٠ الفاً في نروج . وقد كانت المملكتان منفصلتين احدهما عن الاخرى ثم اتحدتا معاً وصارتا تحت حكم ملك واحد سنة ١٨١٤ ولكلٍ منهما لغة وعوائد واصطلاحات تخالف الاخرى . وفي هذه المملكة كثير من البحيرات والانهر والجبال الشاهجة التي لا ينقطع عنها الثلج . وفيها ايضاً معادن الحديد والنفضة والنحاس والكبريت والرصاص . وهماؤها بارد والشتاء بها قاس الى الغاية ويدوم ستة اشهر بحيث لا يوجد وقت

للرياح والحريف وصيفها قصير جداً لا تزيد مدته أكثر من خمسين يوماً . وإما تربتها قليلة الخصب ولا يصلح للزراعة إلا القليل منها . وفي احراشها وجبالها اجناس كثيرة من الحيوانات يتخذون جلودها للفراء . وهناك حيوان يسمى الرنة وهو عظيم الخلقه على قدر الثور الكبير اشبه بالابل يستعمله الاهالي لنقل الامتعة وجر العربات . وفي بحيراتها كثير من انواع السمك خصوصاً النوع المسى مورو اي الحوت فانهم يصطادون منه مقادير وافرة ويستخرجون منه الشم والزيت المعروف بزيت كبد الحوت المفيد لبعض الامراض

اما الصنائع في هذه البلاد فرائجة وفيها كثير من المعامل لاصطناع اقبشة الصوف والقطن والحريز وغير ذلك . وتنقسم اسوج الى ٢٤ مقاطعة . ونروج الى ١٧ مقاطعة . ومن مدن اسوج استوكهلم وهي من امهات مدن المملكة ومقر كرسي الملك واهلها نحو ١٢٠ الف نفس وهي مدينة ظريفة ذات ميناء حسن ومعامل كثيرة . ومدينة غوتنبرج وهي بعد استوكهلم في التجارة والصنائع . ثم مدينة كريستيانيا وهي قصبة بلاد نروج واهلها نحو ٢٥ الف نسمة وهي مدينة حسنة ذات تجارة عظيمة في الحديد والخشب والسمك وبها مقر كرسي نائب الملك . وايس لهذه المملكة من الولايات خارج اوروبا الأ جزيرة ماربرثولماوس في اطراف الهند الغربي وهي جزيرة صغيرة يبلغ عدد اهلها نحو خمسة الاف نسمة

واكثر اهالي هذه البلاد من طائفة البرونستانت . وحكمها من نوع الملكي المقيد . وبما ان بردها قاس جداً تجد اهله من ذوي الشجاعة والباس وهم ايضاً حسان الخلقه اصحاب خفة ونشاط يتجدون على الاشغال الشاقة ويميلون للحرب طبعاً ولكنهم مع ذلك موصوفون بالانس والدعة ولم رغبة شديدة في العلوم والمطالعات حتى يقال انه لا يوجد بينهم واحد في الالف من يجمل القراءة والكتابة

اما تاريخ هذه المملكة فلا يعلم عنه شيء في الازمنة القديمة سوى ان اهلهما

كان اصلهم من الجرمانيين فانوا واستوطنوا فيها منذ القديم وتصرفوا في الجبل التاسع بواسطة مرسلين انكليز وفرنساويين وكان يقال لهم القبائل السكندنافية. وكانت هذه البلاد خاضعة للملك دنيبارك واول من اخضعها الملكة مرغريته والديار اذ تغلبت عليها بقوتها وحيلتها وصيرتها مع نروج ودنيبارك ملكة واحدة. ولكن بعد موت هذه الملكة هاج الاسويجون على طلب الحرية وبعد قتال يذكر تخلصوا من اسر الدنيباركيين ثم رجعوا اليهم ثانية واتخذوا لهم منهم ملوكا ومدبرين. ولما كانت سنة ١٥٢٠ اذ كان كريستيان الثاني ملكا على دنيبارك ومطران اوبسال رئيسا على مطارنة الملكة وكانا كلاهما كثيري العيوب قاسي القلب متفنين على ظلم الرعايا وتهمهم لم يعد ممكنا للاسويجين نحل ذلك الجور العنيف فاخذوا يسعون في ايجاد طريقة لتخلصهم. فلما سم الملك رائحة ذلك اتفق مع المطران على ضبط آكار مدينة استوكلم وحكامها فالتى القبض على ٩٤ رجلا من ارباب المشورة وامر بتلهم معتقبا بان الما با قد حكم بكنوهم واخرجهم من دين النصرانية لعدم طاعتهم للمطران. فحينئذ نفر الاهالي من هذا العمل الفظيع ولم تعد الصعوبات تمنعهم عن طلب الاستخلاص من عبودية الدنيباركيين فاقاموا عليهم قائدا يسمى غوستاف واصا. وهو شاب من نسل الملوك القدماء كان مخبئا في وسط الغابات وكان شجاعا مشهورا فصيحيا ادبيا محبا لوطنه وجاهدا في الجهاد الحسن في مقاومة ظالمهم وبعد عدة وقائع يطول شرحها انتصروا عليهم وقبض غوستاف واصا على الملك كريستيان والمطران وطردها من اسوج فانتخبه الاهالي ملكا عليهم سنة ١٥٢٣ وحالما استامن على مركزه اخذ يتقم من الاساقفة والقسس ممن اعتقد انهم مستولون على اموال اسوج ويفقونها في ظلم الناس ومحاربة الملوك فعاقدهم ما امكن وفي مدة وجيزة نزع من البلاد الديانة اللاتينية الغالبة وجعل رعاياه يتمسكون بالذهب البرونستاتي ثم توفي في عز ونحر وله من العمر ٧٠ سنة.

. وخلفه في الملكة احد اولاده المسي غوستاف ادولف فتبوا ناجها سنة

١٦١١ وكان من اشجع ابناء زمانه موصوفاً بالحزم والفهم سعيداً في مغازبه فاخذت البلاد في ايامه تتقدم حتى اكتسبت شهرة عظيمة لاسيا بواسطة انتصاراته الكثيرة وافتتاحاته العديدة . وكانت الملكة يومثد مشتبكة في حرب مع روسيا ودينبارك وبولونيا فبعد ما عقد صلحاً مع الدولتين الاوليين استظهر على بولونيا في موقعتين عظيمتين والزمها ان تنازل له عن كل حصون ليفونيا وبولونيا البروسية . وبعد نهاية هذه الحروب اتحد مع امراء المانيا البروتستانت ونحزب للطائفة البروتستانتية ضد الامبراطور فرديند الثاني الذي كان يعاملهم بالقساوة والجننا فاشهر عليه حرباً واقتم جيوشه سنة ١٦٢١ في واقعة ليبسيك التي كانت تحت قيادة الجنرال تلي ففتك بها وانتصر عليها انتصاراً عظيماً بعدما قتل منهم عدداً وافراً . ثم في سنة ١٦٢٢ فتك ثانية بجيوش فرديند في لوتسين ولكنه قُتل في وسط المعركة . وخلاصة الكلام انه اضعف ساطنة فرديند الثاني وفتح نحو مئة محل في بلاد المانيا أرجعت بعد موته

وجلس على سرير الملكة بعد ادولف المذكور ابنته كريستينا وكانت كاثوليكية المذهب فريدة في جودة العقل والنفطة محبة للعلوم والعلماء غير ان بعضهم اتهمها ببيع السيرة فبعد ان استبدت بالملك بعض سنين تنازلت عن الكرسي لقريبها كارلوس العاشر من العائلة المسماة بالقنطرتين ففتح جملة فتوحات وانتصر على الدينباركيين مراراً واشهر بانتصاره في واقعة وارسلوا عند محاربتهم في بولونيا وازاد اقليم ايسكانيا الى اسوج

ومن اعظم ملوك العائلة المذكورة الملك كارلوس الثاني عشر وُلد في ٢٧ حزيران سنة ١٦٨٢ وكان منذ صغره فريداً بين الناس ذاهمة عالية وصفات مستيكة محباً لركوب الخيل وللرياضات العنيفة وتحمل الاتعاب الشاقة وكان مع ذلك غير ناقص في العلوم والفنائل الادبية فنشأ شاباً حكماً وجباراً متبعاً . ولما كان له من العمر خمس عشرة سنة جلس على سرير الملك مكان ابيه كارلوس الحادي عشر وقام باعباء الملكة اتم قيام ففتح فتوحات كثيرة وفعل افعالاً عجيبة

يقصر اللسان عن وصفها وتجزؤ الاقلام عن شرحها . وكان بطرس الكبير ملك روسيا قد اتحد مع فريدريك ملك دنياك واوغسطس ملك بولونيا على حربهما فالتفاهم كارلوس وحاربهما واتصر عليهم في عدة وقائع بعدما فرّق جوعهم ومزقها وانزل اوغسطس عن تخت بولونيا قوةً واقتداراً واقام مكانه ملكاً اخريديعي استانيسلاس . ثم حدث بينه وبين بطرس المذكور مواع اخرى اتصر فيها عليه لاسيا في واقعة نرفا المشهورة سنة ١٧٠١ فانه كسر فيها جيوش الروسيين اشأم كسرة فذاع صيته وانتشر بين ممالك الارض حتى امست اكثر دول اوروبا في خوفٍ وحذر من سطوته وبطشه . وما زالت الحروب بينه وبين بطرس المذكور متصلة بدون انقطاع مدة تسع سنين الى ان حدثت بينها اخيراً واقعة بيلارفا المشهورة سنة ١٧٠٩ وكانت قد كلت وضعفت جيوش كارلوس من كثرة الحروب والمشقات المتتابعة وهلك اكثرها من الجوع والبرد فاتصر بطرس عليه بعد موقعتين عظيمتين وانجرح كارلوس فيها جرحاً بليغاً وتشتت شمل جيشه كل التشتت واسر منه جانب ففر هارباً وهو على اسوأ حال والنجأ الى الدولة العثمانية واقام في بلادها مدة طويلة بعدما فقد اكثر فتوحاته وضاعت على مملكة اسوج اقاليم وولايات معتبرة . وبعد رجوع كارلوس الى بلاده نهمض سنة ١٧١٨ لمحاربة نروج واسترجاع الاقاليم التي كانت قد استولت عليها من بلاده وفي اثناء محاصرته مدينة فردريكها ل اصابته رصاصة في صدغه مات منها على الفور . ولم يبق لاسوج قائم بعد كارلوس الثاني عشر واخذت من بعده المملكة في الانحطاط شيئاً فشيئاً وغيرت الامة نظامات البلاد ورفعت من ايدي ملوكها التصرف المطلق واودعته مجالس شورية فكان ذلك سبباً لاطفاء نيران كثيرة على ان البلاد لم تخل من الفتن والمفاسد

وسنة ١٧٥١ تولى سربر مملكة اسوج ادولف فريدريك من عائلة هولستين غوتورب ثم تناول المملكة بعده كارلوس الثالث عشر واذ لم يكن له من بورثة من ذريته تبنى المارشال برندوت الفرنسي ليكون وريثاً وفي ايامه انضمت

ملكة نروج الى اسوج سنة ١٨١٤ . وبعد توفي كارلوس المذكور قام بالملك  
بعدهُ المارشال برندوت المذكورة سنة ١٨١٨ تحت اسم كارلوس الرابع عشر .  
وقام بعدهُ باعباء الملكة اوسكار الاول سنة ١٨٤٤ ثم خلفه اوسكار الثاني سنة  
١٨٧٢ وهو الملك الحالي

## الفصل الثامن عشر

### في وصف ملكة الدنيارك وتاريخها

هذه الملكة هي احدى المالك الاسكندنافية الثلاث واصغرهن مجدها شمالاً  
مضيق سكاجيراك الفاصل بينها وبين نروج وشرقاً اسوج وجنوباً هامبورج  
ونهر الالب اللذان يفصلانها عن هانوفر وغرباً بحر جرمانيا ابي بحر الشمال .  
وهي على شبه جزيرة يتبعها ارخبيل للشرق وبعض جزائر صغيرة وعدد سكانها  
قبل سنة ١٨٦٦ كان مليونين ونصفاً ولكن بعد اتصال الثلاث امريات التي  
ضممتها بروسيا اليها وهي شليسويك وهولستين ولاونبرج تنازل عدد اهلها الى  
مليون . ويتبع هذه الملكة بعض املاك في الخارج منها جزيرة ايسلاندا في اميركا  
الشمالية اكتشفها احد قرصان نروج سنة ١٦٠٠ ومن ذلك الوقت اخذ النرويجيون  
يستوطنون فيها . وبها جبل مهول يدعى هكلا وهو بركان يتصاعد منه أحياناً  
نار ودخان ومواد ملتهبة فتهدد الجزيرة من هيجانه . وعدد سكان هذه الجزيرة  
٦٥ ألفاً . ومن املاكها جزيرة كرينلاندا وهي ايضاً في اميركا الشمالية اكتشفت في  
الجيل التاسع وعدد اهلها نحو عشرة الاف نسمة يسكنون في القسم الغربي الجنوبي  
من الجزيرة . ومن املاكها ايضاً جزائر فارو في شمال اسكوتلاندا يبلغ عدد  
سكانها نحو ٩٠٠٠ نفس وثلاث جزائر صغيرة في الهند الغربية اهلها نحو ٢٨ ألفاً .

وكانت بلاد فنلندا أيضاً تابعة لاسوج قديماً اخضعها الاسوجيون في اواسط الجيل الثاني عشر وادخلوا اليها الديانة المسيحية بعد ان كان اهلها عبدة اوثان ولكن في معاهدة نيستاد الواقعة سنة ١٧٢١ استولت روسيا على ما كان يعرف باقليم فيبورج وسنة ١٨٠٩ استخلصت باقي البلاد من الاسوجيين قهراً بحيث لم يبق لهم علاقة في تلك الناحية . ومن مدن هذه المملكة مدينة كوبنهاغن قصبة البلاد وهي مدينة حصينة جميلة ذات ميناء حسن وتجارة عظيمة ممتدة في غالب بلاد اوروبا واهلها نحو ١٥٠ الفاً . ثم مدينة السبنور موقعها على البوغاز الداخل الى بحر بلتيك المسمى سند وفي هذه المدينة كانت تؤخذ قديماً الخنقارة للملك من جميع السفن التي تدخل في البحر المذكور

اما هواه هذه البلاد فرطب لان الجانب الاكبر منها محاط بالمياه وبردها معتدل بالنسبة الى موقعها . وفيها يقصر النهار ويطول بخلاف العادة المألوفة فيكون في بعض شهور الشتاء ست ساعات ونصفاً وفي بعض شهور الصيف سبع عشرة ساعة ونصفاً

اما محصولات هذه البلاد فتكاد لا تذكر بالاجمال واشهرها القمح والشعير والذرة . ومع انهم يستخرجون من الشعير البيرا التي هي مشروب عموم الاهالي ويصطنعون من الذرة اكثر خبز البلاد يرسلون من هذين الصنفين مفادير وافرة الى الخارج برسم التجارة . ولاهل دنيمارك اليد الطولى في اصطناع اقمشة الصوف والكتان والفخار والساعات الخشبية والوجاقات . وفي هذه البلاد معامل كثيرة لصب الحديد والقرطاس وعمل البلور والعريبات واللات الموسيقي والصابون والشمع والسكر . واكثر هذه المعامل تخصص بالحكومة منها معمل عظيم في مدينة كوبنهاغن لعمل الفرفوري وكرخانة جوخ في ارسود

اما الحكم فيها فهو من نوع الملكي المفيد يجري بواسطة مجالس ودواوين . والديانة العامة هي البرونستاتية والعلوم فيها ناجحة . وقد اشهر فيها جملة افاضل مثل نيجوراهي وثورسوالدنسن واندرسن وغيرهم

اما تاريخ هذه البلاد فهو كباقي تاريخ الممالك الصغيرة لا يحاط باهمية عظيمة وكانت قديماً تنقسم الى عدة مقاطعات صغيرة يسكنها شعوب مختلفة الاجناس كالغوثيين والكهريين والانغليين وكانوا قبائل متبررة بجون الحرب وشن الغارات براً وبحراً . ولكن بمعاشرتهم الرومانيين تحسنت احوالهم واكتسبوا منهم فوائد كثيرة واشتهروا في الشجاعة والثبات في الوقائع والمغازي حتى انهم قاوموا شارلمان واضروا بالسلطنة الكارلوفنجية وبالمانيا واسبايا ضرراً جسيماً وبنوعٍ خصوصي بانكثرتا حينما افتتحوها في الجيل التاسع وامتلكوها مئةين لاسيما في ايام كانت الذي ادخل اليها الديانة النصرانية في الجيل الحادي عشر كما سبقت الاشارة في الكلام على انكثرتا

وسنة ١٢٩٧ انضم الى ملكة الدنيار ملكنا اسوج ونروج تحت رياسة الملكة مرغريته ابنة والديمار الثاني التي كانت على جانب عظيم من الذكاء والبطش حتى انهم يسمونها سميراميس الشمال تشبيهاً لها بسميراميس ملكة المشرق . والاتحاد المذكور يعرف باتحاد كمار ولكن لم يكن له من الفائدة سوى الاسم فقط لان الاضطراب والاختلال كانا متصلين وانتهى الحال بانفكاكه سنة ١٤٤٩ . وسنة ١٤٢٨ انتخب الدنياريون ملكاً عليهم كريستيان الاول امير اولدنبورج الذي دام الملك في عقبه الى سنة ١٤٦٣ ومن اعماله انه كان قد ضم امريني شليسويك وهولستين . وسنة ١٥١٢ نبأ نخت الملكة كريستيان الثاني حفيد الاول وكان قاسياً ظالماً اطلق عليه لقب نيرون الشمال . واذ كانت اسوج يومئذ منقسمة الى حزبين حرك رئيس اساقفة اويسال كريستيان على افتتاح تلك الملكة فزحف اليها وجارها وقتل ملكها . وبعدهما استولى عليها نعل وليمة دعا اليها الاشراف والاساقفة فلما اجتمع الجمع وكان عددهم اربعة وتسعين شخصاً قتلهم عن بكرة ابيهم ثم اطلق العساكر على الاهالي فانقضوا عليهم كالبواشق وقتلوا من وقع بين ايديهم فكانت الدماء تجري من كل اطراف الملكة . فالنرم حينئذ الاسوجيون ان يقرؤا له بالرياسة وتوجوه ملكاً عليهم سنة



١٥٣٠ فدام كريستيان متسلطاً عليهم الى سنة ١٥٦٣ حين قام غوستاف واصا احد اشراف الاسويجين مع جمهور من ابناء وطنه وخلعوه عن كرسي ملكهم . ثم خلع ايضاً عن تخت ملكة الدينبارك ومات محبوباً سنة ١٥٦٩ ومن ذلك الوقت انفصلت اسوج عن دينبارك انفصلاً نهائياً واما نروج فبقيت منضمة اليها الى سنة ١٨١٤

ومن ملوك هذه الدولة فريدريك الثاني تلك سنة ١٥٥٩ وكان اول امر شرع به اشهار الحرب على الاسويجين طمعا باخضاعهم الى ملكه فحاربهم مدة سبع سنين بدون نتيجة . وهو الذي وهب نيجوراهي الفلكي الشهير جزيرة هون لبناء مرصد سلطاني لرصد الاجرام السموية باقى الى هذا اليوم . ومن ملوكهم ايضاً كريستيان السابع جلس على كرسي الملكة سنة ١٧٦٦ وتزوج بكارولين ماتيلد اخت جورج الثالث ملك الانكليز . وبما ان حكومة الدينبارك كانت من حرب فرانساً في زمن حروب نابوليون الاول هاجمت الانكليز عاصمتها سنة ١٨٠٧ واطلقت عليها القنابر واستولت عليها فهرب الملك الى هولستين ومات هناك في السنة التالية . وخلفه ابنة فريدريك السادس فاصح ما دمره الانكليز في الملكة . ثم حارب الاسويجين الذين كانوا مصممين على استخلاص بلاد نروج فاستظهر عليهم والزمهم في طلب المصالحة . وسلك مسلك ابيه في التحزب والميل الى فرانساً ولكنه سنة ١٨١٤ اعقد مع انكلترا واسوج صلحاً بعد ان تنازل عن نروج الى اسوج وعن جزيرة هليكولاند<sup>(١)</sup> الى انكلترا . وسنة ١٨١٥ تنازل الى بروسيا عن بوميرانيا الاسوجية وعن روغن الماخوذتين من اسوج بدلاً عن نروج واستعاضها بامرية لاونبرج التي استرجعتها بروسيا مع غيرها فيما بعد كما

١ ان جزيرة هليكولاند ومعناها الارض المقدسة كائنه في البحر الشمالي وهي ذات فائدة عظيمة لانكلترا في وقت الحرب لانها تستخدمها اذ ذاك كمين لوضع مهاجمها واورامها البحرية . وعدد سكانها ٢٨٠١ وبها عدة كديرون في هذه الايام المنزه والاستحمام في البحر

نقدم القول . وكان اخر ملوك عائلة اولدنبورج الملك فريدريك السابع تولى  
سنة ١٨٤٨ وتوفي سنة ١٨٦٣ واذ لم يترك وارثاً تولى بعده الامير  
كريستيان غلوسبورج وفقاً لمعاهدة لندن سنة ١٨٥٣  
وتلقب بكريستيان التاسع  
وهو المتولي  
الان .

# القسم الرابع

في تاريخ اميركا

## الفصل الاول

في وصفها الجغرافي واخبار اهلها القدماء

اعلم ان قارة اميركا هي قسمٌ عظيمٌ جداً من الكرة الارضية وهي الجزء الثاني من اجزاء الدنيا الخمسة . اما حدودها فمن الشرق الاوقيانوس الاثلاثيني الذي يفصل بينها وبين قارتي افريقيا واوروبا . ومن الغرب الاوقيانوس الباسيفيكي وهو الفاصل بينها وبين اسيا . ومن الشمال البحر الشمالي . ومن الجنوب المحيط ايضاً . وعدد اهلها ٩٠ مليون نفس منها ٥٥ مليوناً في اميركا الشمالية وخمس ملايين في الهند الغربية و٢٠ مليوناً في اميركا الجنوبية

وهذه القارة قسماً اصلياً يُعرف احدها باميركا الشمالية والثاني باميركا الجنوبية يفصلها برزخ داريان الذي يبلغ عرضه بين ٢٠ او ٤٠ ميلاً . وبين اميركا واسيا من الجهة الشمالية الغربية مسافة وجيزة يفصل بينها بوغاز بيرين او بهرين وهو بوغاز ضيق معظم طوله نحو ٢٠ او ٤٠ ميلاً وفي بعض الاماكن ١٨ ميلاً فقط . وقد انقسمت هذه القارة الى عدة اقسام كبرى منها ستة في

اميركا الشمالية واثنا عشر في اميركا الجنوبية سنذكرها في محلاتها ان شاء الله تعالى . والمحكم في هذه الاقسام من نوع الجمهورية ما عدا برازيل فانها سلطنة . وبيت اميركا الشمالية واميركا الجنوبية عدة جزائر حسنة يقال لها جزائر الهند الغربية . واكثر هذه البلاد غنية بالمعادن الثمينة من ذهب وفضة وحديد ونحاس وورصاص وزئبق وغير ذلك . وفيها انواع الرخام والحجارة الثمينة كاللؤلؤ والزمرد والياقوت والماس . اما هواؤها فمختلف بحسب مواقع اجزائها في المنطقة الحارة او الباردة . فانه في شمالي اميركا الشمالية يشتد البرد بهذا المقدار حتى لا تنمو فيها الاشجار ولا ينبت بارضها نبات ويجد بحرهما من الجليد مدة تسعة اشهر فلا يمكن للمخلوق ذي حياة ان يسكنها حتى في الصيف ايضاً ومن النواذر ان يرى فيها دب او رنة . ولكن كلما تقدمت جنوباً اعتدلت المنطقة بحيث متى وصلت الى الولايات المتحدة والاماكن التي تجاه خليج مكسيكو وباقي الاراضي الواقعة شمالي اميركا الجنوبية تجد اعتدالاً كاملاً وهواء لطيفاً كماء الربيع والصيف . واذا تقدمت اكثر فاكثر نحو الجنوب يبرد الهواء ويطول فيها الشتاء حتى ان البلاد التي عند راس هورن يدوم شتاؤها مدة تسعة اشهر . اما حيوانات هذه القارة فكثير منها ما يوجد في بقية اجزاء العالم كالفيل والجمال والفر والكركدن والاسد والنعام وفرس النهر والزرافة ومنها ما يندر وجوده او لا وجود له في باقي القارات كالبماموس البري والماعز البري والغنم البري والوعل وانواع كثيرة من الغزلان والقروذ والدبابات والزحافات والطيور . وفيها ايضاً جبال كثيرة وانهر عديدة اعظمها نهر امازون ونهر مسيسيبي اللذان لانظيرهما في باقي قارات الكرة . وبالاجمال ان هذه القارة كثيرة المحصولات وافرة الخيرات والغلال واسعة الاراضي والفلوات حتى لو زاد اهلها على عدد عشره اضعاف لكان لهم مكان ومعاش . واكثر سكان هذه القارة من نسل اهل اوروبا الذين هاجروا اليها بعد اكتشافها واستوطنوها . وفيها بعض من العبيد الذين جلبوا اليها من افريقية وبعض من الهنود الاصليين الذين كانوا هناك

## قبل اكتشافها

ولم تكن هذه القارة معروفة عند اهل العالم القديم حتى كشفها كريستوفورس كولومبس سنة ١٤٩٢ للميلاد ووجد هناك يومئذ قبائل كثيرة في حالة الوحش يشبهون اهل الهند في اللون والصفات ولهذا سموا هنوداً . وقد اختلف العلماء في كيفية وصول هذه القبائل الى هناك اختلافاً كثيراً ولم في ذلك اقاويل عديدة فعلى حسب راي بعض المدققين ان اول من دخل قارة اميركا قوم الاسكيمو الذين يسكنون الجزء الشمالي من اميركا الشمالية وهم قوم من شمالي اوروبا سافروا اليها بسفنهم الصغيرة كما فعل النرويجيون في الجيل التاسع وقت اكتشافهم جزيرة ايسلاندا وكريتلاندا ولكنهم لم يستوطنوها . وما يؤيد ذلك امتياز الاسكيمو عن هنود اميركا ومشابهم الكلية باللاپلانديين في شمالي روسيا في اوروبا . اما دخول الهنود فليس هو الا من اسيا التي كما تقدم القول تكاد تكون متصلة باميركا فلا يبعد ان قوماً من القدر في الاعصر السالفة اتوا اميركا من تلك الجهة القريبة كما يفعل اهل اسيا حتى الآن اذ يعبرون هذا المضيق بالقرارب . ويظن ايضاً ان اهل جنوبي اسيا قصدوا اميركا عابرين بالاقويانوس الباسيفيكي ومنتقلين من جزيرة الى اخرى بسفنهم الصغيرة . وما يؤيد صحة ذلك مشابهة هنود اميركا بعض القبائل من اسيا في الهيئة وبعض العوائد وقد ظن البعض ان القرطبيين اكتشفوا اميركا الشمالية وسكنوها ونقشوا بعض كتابات عند موتي فيديو ولكن حقيقة ذلك مجهولة وبالاحرى هو وهم لا صحة له ولكنه امر محقق في هذه الايام ان الدنماركيين الذين اتوا اولاً الى جزيرة ايسلاندا ثم الى كريتلاندا دخلوا ايضاً الولايات المتحدة سنة الف للميلاد تقريباً ولم يسكنوها وبقيت اخبار دخولهم مطبوسة الى حين اكتشاف كولومبس القارة

## الفصل الثاني

في اكتشاف اميركا من سنة ١٤٩٢ الى موت كريستوفورس  
كولبوس سنة ١٥٠٦

انه بعد ان بقي نصف العالم الغربي اخطاباً عديدة مجهولاً عند اهل العالم  
القديم ونحو خمسة عشر جيلاً للتاريخ الحديث ظهر اخيراً بعناية الله رجل عجيب



كريستوفورس كولبوس

كشف الحجاب عما استتر من دنيانا ادواراً مستطيلة وهو كريستوفورس  
كولبوس . وكانت ولادة هذا الرجل في مدينة جنوا سنة ١٤٢٥ ولما بلغ سن

الخمس عشرة سنة انتظم في سلك الملاحين فارس هذه المهنة وانقضا غاية الاتقان حتى فاق فيها على اقرائه وتعود الاسفار واقتحام الاخطار. فانفق ذات يوم بينما كان في احدى سفرائه وقع بين سفينته وسفينة قرصانية معركة قوية كانت الدائرة بها على سفينته فالتى نفسه في البحر طالباً النجاة ويده مجذاف واخذ في السباحة حتى قطع مسافة طويلة وبعد ان قاسى اهللاً كثيرة الفتنه التقادير على شواطئ بلاد البورتوغال فسار قاصداً عاصمة المملكة الى ان وصل الى مدينة ليسبون وكان له يومئذ من العمر نحو ٢٥ سنة. فسكن في تلك المدينة وبعد مدة تروج هناك بابنة قبطان بورتوغالي كان ابوها قد صرف زمانه في الاسفار فاكسب منه كوليوس فوائد كثيرة وبتكرار اسفاره الى جزائر البحار اصبح من احسن ملاحى اوروبا وامهرهم. ولكن اذ كان هو وزوجته في حالة فقرية اخذ يشتغل في رسم الخارنات لاجل تحصيل معاشه

وبينما كان ذات يوم مهوگاً في رسم الخارنات انذهل متعجباً عندما افكر بالجهات المتسعة من الكرة الارضية التي لم يكن احد يعرف عنها شيئاً الى ذلك اليوم. ثم اخذ يحدث نفسه بقوله باترى هل الارض مسطحة او كرة فاذا فرضنا انها مسطحة فابن تكون نهايتها وان كانت كرة فما هو حجمها فارئى اخيراً بعد البحث الدقيق والتأمل الكثير انها كرة وحكم باستدارتها وحجمها وقد استتج ذلك عقلاً كما يستتج كل حاذق لبيب ان اوروبا واسيا وافريقية ليست الا قسماً من الكرة الارضية بلزم بالضرورة ان يوازيه قسم اخر يقابله. وما زاده اقتناعاً وتوكيداً على صحة افكاره ما كان يسمعه من ارباب الملاحة من المحووظات والتخمينات في هذا الخصوص. من ذلك ان ملاحاً بورتوغالياً حدثه ذات يوم انه كان قد توغل في بعض اسفاره لجهة الغرب وقطع مسافة طويلة من البحر لم يقطعها احد غيره من اهل ذلك العصر فوجد قطعة خشب منقوشة وعائمة على وجه الماء تدفعها نحو رباح غربية فاستتج كوليوس من ذلك انها آتية من بعض اراضى مجهولة واقعة في تلك الناحية. ثم حدثه اخر انه شاهد

على سواحل جزائر اسورة اشجاراً مقلوعة قذفتها الامواج الى تلك الجهة غيب رياح غربية شديدة وبلغت ايضا انه شوهد مرة جثتا رجلين ميتين لا يشبهان اهل اوروبا وافريقية في هيئتهما. فهذه المعلوميات مع ما استفادته من الملاحين الذين كانوا يترددون عليه بعد رجوعهم من اسفارهم البعيدة حفنت له وجود اراضٍ جديدة في العالم ذات غنى وبهجة مجهولة عند الناس

واذ كان لا بد لكوليبوس ان يستعين بمن يمدُّ بالمال للوصول الى هذا الامر لاجل بفكره اولاً ان يجعل فخار ذلك المشروع عائداً لوطنه فساهم الى جنوا واعرض للحكومة بما في ضميره ملتئماً منها المعاضدة والامداد فلم يجبه المجلس الى طلبه وحسبه ضرراً من الجنون فارتد راجعاً الى ليسبون وعرض افكاره على ملك البورتوغال يوحنا الثاني فاجابه الى سؤاله وترحب به الا انه لما اشترط عليه كوليبوس ان يكون نائبه على تلك البلاد المزمع ان يكتشفها وان يكون له عشر ايراداتها مكافأة لانعابه توقف عن الاجابة واحال روية ذلك الى عمدة خصوصية من علماء ليسبون لاجل النظر في هذه المسئلة فاستحسن بعضهم افكار كوليبوس لكن الاكثرين رفضوها وحكموا بان ما ذهب اليه انما هو وهم وهذيان

فلما لم ينجح كوليبوس لاني جنوا ولا في البورتوغال ذهب الى اسبانيا في اواخر سنة ١٤٨٤ ليعرض مشروعه على الملك فردينند والملكة ايزابله ومع انها كانا يومئذٍ مشتغلين بقتال العرب وطردهم من اقطار البلاد قابلاً بكل انس وسماع له باصغاء ولذة ثم فوضا النظر في قضيتيه الى معلم ذمة الملكة ايزابله فاخذ يبحث ويستعلم ممن له خبرة في ذلك ويستدعي كوليبوس لابراد ادلتيه وبراهينيه امامهم فمضى عليه خمس سنوات وهو يناقشهم ويبرهن لهم واخيراً حكموا بما لا يوافق غرضه . فازداد بكوليبوس الحزن والقلق وعزم على التوجه الى انكلترا ليعرض افكاره على ملكها هنري الرابع فبعت احد اصدقائه وكان رئيساً على بعض الاديرة ومعلم ذمة الملكة ايزابله سابقاً فبعث اليها بكتاب يلتمس به الالتفات



العظيم الى مقصد كوليبوس . فاطر فيها كتابه واذعنت لرايه وارسلت تستدعيه اليها فتمض مسرعاً واتي غرناطة حيث كانت الملكة محاصرتها . ولما تبطل امامها اقتنعها بحسن ذلك المشروع فطلبت حضور كوليبوس لتقابلتها فحضر حالاً وانفق وصوله في الوقت الذي انتصر فيه الاسبانيول على العرب . فعند اجتماع الملكة بكوليبوس سألته عما يريد فاخبرها بما كان في ضميره من ذلك الامر وقال اني التمس من عظمتك ان تاذني لي ببعض السفن لاكتشاف اراضٍ جديدة ذات ثروة وغنى واريد مكافأة عن ذلك ان اكون نائباً لعظمتك على ما اكتشفته من الاراضي والبلاد وان يكون لي عشر ما يتبع من تلك الاكتشافات . فاستعظم الوزراء وارباب الديوان هذا الطلب وتسيبوه منه وقاحة وجسارة فطلبت الملكة من كوليبوس تخفيض ما طلبه فلم يقبل وخرج بغضب من وسط الديوان فركب فرسه وارتد راجعاً الى الدبر في بالوس قاصداً السفر من هناك الى فرانساً

فانزعجت ايزابا من خروج كوليبوس على تلك الكيفية وخافت ان تحسر اسبانيا شرف ذلك الاكتشاف اذا تم فكشفت زوجها عما لاح في خاطرها من هذا القيل فقال لها ان الخزينة الآن في عسرٍ لكثرة الاموال التي انفقناها في الحروب مع العرب ولا يوجد فيها ما يقوم بمصروف هذا المشروع . فاجابته ايزابا قائلة اني اجري ذلك على نفقتي الخصوصية وسأرهن ما عندي من الجواهر والحلى واستحصل ما يلزم من النقود لهذا الامر . ثم ارسلت في الحال ساعياً في اثر كوليبوس تستدعيه اليها فرجع واجتمع بها فترحبت به كثيراً واجابته الى ما كان قد طلبه من الشروط المذكورة وهكذا وضع فرديند وايزابا امضاهما في السابع عشر من شهر نيسان سنة ١٤٩٣ على المعاهدة التي عقدت بينها وبين كوليبوس بهذا الصدد

وبعد عقد الشروط بين الطرفين صدر الامر الملكي للحكومة في بالوس بتجهيز سفينتين حرييتين مشحورتين بما يلزم من المؤنفة والملاحين للسفر مع كوليبوس

الى حيثما اراد . وجهاز كوليبوس سفينةً ثالثة على حساب صديق له اسمه مرتين  
الونزو . وكان جملة ما صرف على هذه العمارة المحفيرة مائة الف فرنك . وفي  
اليوم الثالث من شهر آب سنة ١٤٩٢ سافر كوليبوس من ميناء بالوس وبعد  
اسبوع اشرف على جزائر كناري المعروفة بالمخالدات التي تبعد نحو الف ميل  
عن اسبانيا وكان قد تعطل معه سفينة في اثناء الطريق فاقام في تلك الجزائر  
نحو ثلاثة اسابيع حتى جهز سفينة جديدة مكانها . ثم اقلع من هناك قاصداً تلك  
الجهات ولما توغل في البحر وصار في وسط البحر المحيط انزعج الملاحون وخافوا خوفاً  
عظيماً فاخذوا يتذمرون على كوليبوس ويلومونه على هذه المخاطرة . وكانت  
تذمراتهم تزداد يوماً بعد يوم وعزموا ان لم يرجع بهم الى اسبانيا أن يطرحوه  
في البحر ويتخلصوا منه . واما هو فكان نارة يقوهم وينشطهم بالكلام ويهدم  
بباوغ المرام وتارة يهددهم . فلما طال الامر اشتد حنقهم عليه وصموا على قتله  
لينجوا من تلك البلية فلم يبلغوا منه مراماً لان ثباته وشجاعته مع صبره ولطفه جملة  
يسود عليهم ويقنادهم الى الطاعة

وانفق في مساء اليوم الحادي عشر من شهر تشرين الثاني سنة ١٤٩٢ بينما  
كان البحر هادئاً والنسيم رائفاً لطيفاً لمح كوليبوس في منتصف الليل نوراً سطع  
عن بعد ثم اخفى حالاً فاندهل واخذ يقول في نفسه ما عسى ان يكون هذا  
النور وبينما هو مندهش حائر ظهر له النور مرة اخرى . ثم بعد ذلك بيضع  
ساعات سمع صوتاً من السفينة المسماة بيتا التي كانت تتقدمهم وقائلاً يقول  
البر البر . فاجاء النهار حتى اشرفوا على جزيرة بهية المنظر ذات اشجار وغابات  
فكان النسيم اللطيف يهب عليهم من الشاطئ حاملاً روائح الزهور العطرة . واذ  
كانوا قد ملوا وضجروا من مشقات المحيط واهوال الحجو مدة اكثر من شهرين  
كان ذلك المنظر لديهم كمنظر الفردوس فالتوا مراسيمهم واخذوا يسبحون الله  
رافعين اصواتهم بالشكر نحو ثم بكوا من شدة الفرح والتعجب وبعد ذلك خرّوا  
على اقدام كوليبوس وطلبوا منه الصلح والمسامحة على ما فرط منهم في حقهم . ثم انهم

عند طلوع الشمس نقلدوا اسلحتهم وانزلوا القوارب فنشروا فيها الرايات  
الاسبانية وقصدوا البر وكانوا كلما دنوا من الشاطئ يزيدهم منظر الجزيرة بهجة  
وفرحاً لاسيا منظر بيوت الاهالي الطريفة المتفرقة بين تلك الغابات الخضراء  
التي كستها الطبيعة باجل حلالها . وعند وصولهم الى البر خرج كولبوس اولاً  
رافعاً سيفه ثم جثا على ركبتيه ورفع عينيه نحو السماء وشكر الله تعالى على حفظه  
اياهُ وتكليله بالبحاج فكان هو اول من وطئ من اهل اوروبا ارض الدنيا  
الجديدة

وقد سى كولبوس هذه الجزيرة سان سلفادور ومعناه المخلص ثم رفع راية  
اسبانيا باحتفال عظيم على شاطئها وبعد ذلك حث له بين الطاعة جميع من  
كان معه من الملاحين والاتباع . وبينما هم في سرور وانتراح اقبل عليهم اهالي  
تلك الجزيرة وهم ينظرون اليهم متعجبين من بياض الوانهم وطول لحاهم ومن  
اسلحتهم اللامعة وراياتهم الحمرية . وكان اهالي هذه الجزيرة على جانب عظيم  
من اللطف وسلامة النية . فصرف كولبوس واصحابه ذلك النهار بالطواف  
بين الغابات والاحراش وهم يتناولون من ثمارها الشهية ويتعجبون من مناظرها  
ثم ذهب بهم الاهالي الى منازلهم وترحبوا بهم غاية الترحب وكان عندهم ذلك  
النهار يوم عيد وفرح عظيم . ورأى كولبوس اكثر سكان تلك المدينة يعلقون  
في انوفهم اقرطة من الذهب فسالم عنها وعن الاماكن التي يستخرجونها منها  
فاشاروا له الى جهة الجنوب . فاصحب معه جماعة منهم وسار قاصداً تلك الجهة  
المذكورة فاكتشف على عدة جزائر صغيرة وراضي واسعة منها جزيرة كوبا فجال  
فيها وتعجب من خصب اراضيها لكنه لم يجد فيها من الذهب ما يشفي الغليل .  
فدله اهله على جزيرة ثانية في الجهة الشرقية تدعى هايتي فقصدها كولبوس  
ووصل اليها في ٦ كانون الاول وسماها اسبانيولا ثم سماها فرنساويون والانكليز  
بعد ذلك بسانت دومينيكو ولم تنزل الى الآن تعرف بهذه الثلاثة الاسماء . واذ  
وجد كولبوس عند اهالي هذه الجزيرة ذهباً كثيراً اقام عندهم بضعة ايام وبادلهم

على ذهبهم باثياء لا قيمة لها كاجراس وخرز ودبايس ومسامير وما اشبه ذلك .

ثم اخذ يطوف من جزيرة الى اخرى فانكسرت معهم سفينة ولم يبق معه سوى سفينة واحدة صغيرة لان الثالثة كانت قد انفصلت عنه عقب هذا الاكتشاف . فارتبك في امره خوفاً من ان يكون رئيسها قد عاد الى اسبانيا ليكون اول مبلغ بنجاح مشروعه فكان ذلك سبباً لرجوعه الى اسبانيا بدون ابطاء . فترك في الجزيرة جماعة من اصحابه ليتعلموا لغة الاهالي ويستعملوهم اليهم وبني لهم حصناً من خشب السفينة المكسورة وحصنه ببعض المدافع ثم ودع اصحابه واصحب معه جماعة من اهالي البلاد وارتد راجعاً الى اسبانيا فوصل اليها بعد غياب سبعة اشهر واحد عشر يوماً . فالتفت الملكة ايزابله وزوجها الملك فردينند بالترحاب والاکرام وسالاه ان يقص عليها اخبار سفرته فحدثها بواقعة الحال وما جرى له من البداية الى حين رجوعه واراها ما كان قد جاء به من الذهب فتعجبا غاية العجب وسرا به فرغما منزله وقرباه اليها . ولما شاع في اوروبا خبر نجاح مشروعه استعظمه الناس واستغروه وكان ذلك موضوع مجتمهم ليلاً ونهاراً

وبعد ان اقام كوليبوس مدة وجيزة في دار الملك استأذن الملكة بالرجوع الى اميركا ليقوم بجنى اكتشافات جديدة فاذنت له بذلك وجهزت له سفناً حربية لتكون في خدمته وتحت طوع او امره . فاخذ معه كثيراً من البضائع واللعب التي يعلم رواج سوقها بين الهنود واصحب معه بعض المبشرين لينذروا القوم ويهدوهم الى الديانة المسيحية . وكان عدد الذين دخلوا السفن المذكورة ١٥٠٠ نفس . وفي ٢٥ ايلول سنة ١٤٩٢ اقلع كوليبوس من ميناء قادس وفي ٢ من تشرين الثاني من السنة المذكورة اشرف على جزيرة لم تكن معروفة عنده بعد واذ اتفق ان يوم وصوله الى تلك الجزيرة كان يوم الاحد سماها دو مينيكاً ومعناه يوم الاحد وفي نفس ذلك النهار اكتشف ست جزائر اخرى وكان اهليها من

البرابرة الذين يأكلون لحوم البشر. وفي السابع والعشرين من تشرين الثاني وصل الى جزيرة اسبانيولا فلم يجد بها احداً من الاسبانيولين الذين كان قد تركهم هناك فاخذهُ العجب من جرى ذلك وعند خروجه الى البر وجد الحصن خراباً. وكان السبب في ذلك ان الاسبانيولين بعد ارتحال كوليبوس عنهم سلكوا مع الاهالي مسالك الظلم والجور فقتلهم وكرههم وبادوهم عن اخرم فلما رأى رفقاء كوليبوس ما كان من امر فقد اخوانهم اخذوا يشتمونه ويصفونه بالمكر والخداع فلكي يلهمهم بعث بقومٍ منهم الى داخلية الجزيرة لكي يعثوا على معادن الذهب وشرع يبني عوض الحصن مدينة جديدة صغيرة وسماها باسم الملكة انزابلة وبعد ان فرغ من ذلك مرض مرضاً شديداً كاد يموت به. ولما شفي اخذ يطوف مقابل شطوط جزيرة كوبا حتى وصل الى جزيرة جامايكا فمعه اهلها عن الخروج فخرج قهراً عنهم واذ لم يجد فيها ذهباً اثنى راجعاً الى كوبا. ثم طاف مدة خمسة اشهر واكتشف عدة جزائر وبعد ذلك عاد راجعاً الى جزيرة انزابلة فلما وصل اليها وجد ان جماعة الاسبانيولين قد اثاروا حروباً كثيرة مع قبائل الهنود واذلوموا واستعبدوهم معاملهم بشس المعاملة وكان قد رجع الى اسبانيا بعض رفقاء كوليبوس فوشوا به الى الملك والملكة وتكلموا عنه بما لا يليق حسداً وبغضاً. فبعثا من طرفها سفراء لاجل الفحص والتحقيق عن ذلك وعند اجتماعهم بكوليبوس عاملوه بعنف وقساوة فالتزم ان يرجع الى اسبانيا لكي يبرئ نفسه من تهمهم وعند وصوله دخل الى الملكة واقنعها ببطل ما اتهمه به اعداؤه. ثم جهزت له سفناً اخرى فعاد بها الى امبركا وهي السفرة الثالثة. وبعد ان جال جنوبي القارة لينتقى اجزيرة هي ام لا رجع الى انزابلة في هايتي في ٢٠ اب سنة ١٤٩٤ فوجدها في اسوأ حال لان قومه الاسبانيولين بسبب الحروب التي اثاروها على الاهالي حولوا تلك الجثة العذبة الى قفري تقريباً وسمى القريقتان في انفس حال سنة ١٥٠٠ وشي بكوليبوس بعض مبغضيه مرة اخرى الى حكومة اسبانيا

فارسلت مأموراً من العائلة الملكية لينظر في تلك الشكايات ورخصت له في عزله والتولي مكانه ان وجد مذنباً . واذ كان لذلك المأمور كل الصالح في نجيح كوليبوس لم تعسر عليه الوسائط لتذنيه فامر بوضع الحديد في رجليه وارسله مقيداً الى اسبانيا . فلما بلغ فردينند وايزابله ما لحق بكوليبوس من الاساءة والاهانة غضبا لذلك وأمر بفكه من الاغلال . وعندما استحضراه اليها واثبت براءته لدى الديوان امر بعزل المأمور المذكور عن ولاية تلك البلاد ولكنهما لم يعيدا كوليبوس الى منصبه بل اقاما مكانه نفولادي وندو سنة ١٥٠١ .

ولكن مع كل هذه المظالم والتعديات لم تقتره كوليبوس عن مداومة الاكتشافات بل شرع سنة ١٥٠٢ في رحلة رابعة فكانت مشومة عليه وقاسى بها من المتاعب والاضطرابات ما تعجز الاقلام عن استيفائه فالتزم ان يرجع الى اسبانيا بعد غياب سنتين وعند وصوله اليها بلغه وفاة الملكة ايزابله فانقطع بموتها ما كان يؤمله من مساعدتها وامدادها . ولما كان زوجها فردينند لا يلتفت اليه زاده ذلك هما وغماً . وانتهى الحال بموته سنة ١٥٠٦ وهو في حالة الفاقة وله من العمر سبعون سنة وبعد ان دفن في مدينة اشيلية نقله الاسبانيون الى اميركا وما زالت بقاياه موجودة الآن في مدينة هافانا في جزيرة كوبا . فابن عيناه لتظن ما وصلت اليه الآن تلك البلاد الزاهرة وتلك الشعوب المتمدنة وتنسيا تلك المخاطر والمناظر المربعة التي صادفتها وذلك السهر الذي حرم اجفانها لذيذ النوم سنين عديدة

اتي رابت وفي الايام تجرئة

للصبر عاقبة محبودة الاثر

وقل من جد في امره بمحاولة

واستصحب الصبر الافاز بالوطر

## الفصل الثالث

في مداومة اكتشافات الاسبانيولين وسبب تسمية القارة  
اميركا الى حين اكتشاف مكسيكو

وكان لما رأى الاسبانيوليون نجاح ما شرع به كولبوس حسدوه وصار لهم  
رغبة عظيمة للتوجه الى تلك الاماكن فالتسوا من الملك ان ياذن لهم بالسفر  
على نفقة انفسهم ليكتشفوا ما بقي هناك من البلاد المجهولة فاذن لهم واخذ يسافر  
الواحد بعد الاخر بدون رضى كولبوس . وكان اول من سافر رجلاً ينال له  
الونزو واحد رفقاء كولبوس في سفره الثانية فسافر من اسبانيا سنة ١٤٩٩  
وبرفقاء رجل من اعيان فلورنسا يسمى اميريكوس فسبوسبيوس وكان ذا معرفة  
وخبرة بعلم سلك البحر . فلما رجع اميريكوس الى اوروبا ألف كتاباً ضمنه  
الحوادث التي وقعت له في هذا السفر وسالك في تاليفه مسلكاً حسناً ونسب به  
لنفسه فخر ذلك الاكتشاف فكان اول تخطيط اشهر في وصف العالم الجديد .  
فاخذ الناس من ذلك العهد يتعودون رويداً رويداً على تسمية العالم المذكور  
باسم اميريكوس مع انه كان يجب ان يسمى باسم كاشفه الحقيقي . وفي سنة ١٥٠٠  
وصل البورتوغاليون الى بلاد برازيل فاستولوا عليها وهي باقية الى الآن في  
ايدي حائلة ملوك البورتوغال!

وكان لما وثني بكولبوس المرة الثانية ان الملكة ايزابلا ارسالت والياً من  
طرفها على جزيرة اسبانيولا يقال له اوفانديو فكان ذا همة ونشاط واسس عدة  
مدن في اكثر جهات الجزيرة المذكورة وزرع في اراضيها مزارع متسعة من قصب  
السكر . وفي مدة قصيرة اصحبت هذه الزراعة معظم شغل اهل اسبانيولا وعلة

ثروتهم. الا ان الوالي المذكور بقدر ما كان محبوباً من الرعايا الاسبانيولين نظراً  
لحسن تصرفه معهم كان بعكس الامر مكروهاً من الهنود لسوء معاملته اياهم . فلما  
بلغ ايزابلا جور الاسبانيولين على الهنود صدر امرها برفع المظالم عنهم ومعاملتهم  
باللطف ولم يطل ذلك اذ ماتت هذه الملكة فادخلهم الوالي ثانياً في الاسر  
والعبودية ومن جرى ذلك هلك بعضهم من الاتعاب الشاقة التي كانوا  
يكابدونها وبعضهم قتلوا انفسهم بايديهم ليتخلصوا من تلك الشقاوة . ومن ثم  
صاروا يتناقصون على وجه سريع ولم يمض عليهم ١٥ سنة حتى اصبحوا نحو ٦٠  
الف نسمة بعد ان كانوا عدداً غفيراً . وسنة ١٥٠٨ عُرِل ذلك الوالي وأقيم  
مكانه دون ديبغ ابن كولبوس حيث اثبت لنفسه وراثته حقوق ابيه فلم يات هنا  
التغيير بنتيجة حسنة للهنود بل لم تات سنة ١٥١٦ الا وتناقص عددهم الى ١٤  
الفاً فانتصر للهنود جملة من الاسبانيولين والمرسلين الذين حضروا من اوروبا  
لتبشير الاهالي وتنصيرهم واعترضوا الحكومة في ذلك الامر المنكر وكتبوا الى  
الدولة في مدريد يعلمونها بواقعة الحال فلم تلتفت الى اقوالهم  
وبينا كان اهل الرافة والشفقة ينتصرون للهنود بدون نتيجة كان لا يزال  
الاسبانيوليون مستمرين على اكتشافاتهم . ففي سنة ١٥٠٨ توغل جوان  
بونس دي ليون في جوانب جزيرة پورتوريكو واستبعد اهله وعاملهم كما عامل  
رفقاؤه اهل اسبانيا ولا فلم يمض عليهم الا زمن قليل حتى انقضوا واضمحلتوا  
بالكلية . وفي اثناء ذلك طاف سيباستيان اوكميو حول جزيرة كوبا وعلم انها  
ليست ارضاً قارة كما كانوا توهموها قبلاً . وفي سنة ١٥٠٩ طاف رجلان اخران  
كبانا قد اكتشفا في السنة الماضية اقليم بوكاتان الواسع فجالا في اماكن عديدة  
حتى وصلا الى الدرجة الاربعين من العرض الجنوبي وعادت رحلتها هذه  
بالمنافع على الاسبانيولين اذ استنجوا منها في شان امتداد اميركا فواتد كثيرة  
اصح مما كانوا استنجوها سابقاً وعن لم عند ذلك ان يصنعوا لهم منازل  
ومستعمرات جديدة . وكان اول من انشأ مستعمراً نونيز بالبوا في خليج داربان



وترأس عليه . سنة ١٥١١ قصد دون دييغ كوليوس ادخال جزيرة كوبا تحت الطاعة وقد رجلاً من اتباعه يدعى فيلاسكينز ادارة هذا المشروع . فلما علم اهل كوبا قدوم الاسبانويين اليهم تمضوا لمقاومتهم تحت راية رئيسهم هاتيوي فزهم الاسبانويون وبددوا شملهم واسروا هاتدم المذكور وحكموا عليه بالموت حرقاً بالنار فربطوه الى عمود وجعلوا تحته الخطب . فبينما هو على تلك الحالة اذ وافاه راهب فرنسيسكاني فاخذ يرغبه في الديانة المسيحية ويشجعه على الموت ويطلب اليه ان يتنصر ويعدّه بنعيم الفردوس ان مات مسيحياً . فقال له ذلك المسكين هل في الفردوس الذي ذكرته لي احد من الاسبانويين . فقال له الراهب نعم ولكن لا يدخله الا الاخير الصالحون فقط . فاجابه الهندي قائلاً وهل بين الاسبانويين صالحون ان هذا من المستحيل واما انا فلا اريد قط ان اذهب الى مكان يجمعني بواحد منهم ثم مات وهو في طيب النار . فن هنا نرى درجة كراهية سكان اميركا للاسبانويين

وسنة ١٥١٢ سافر بونس دي ليون بقصد الاكتشاف فلما جاوز جزائر لوكايس قصد الجهة الجنوبية الشرقية واكتشف جزءاً من ارض القارة الشمالية فسماه فلوريدا . وكان قد بلغه من بعض الهنود ان بقرب خليج بهاما في احدى جزائر لوكايس المذكورة عين ماء كل من اغسل فيها من ذوي الامراض شفي حالاً وان كان شجناً عاد شاباً . فصدق بونس هذه الخرافة واستمر مدة طويلة وهو يطوف ويبحث عن تلك العين ولكن مع ان تفتيشه كان على اوهام خرافية نتج عنه منافع جسيمة وهي معرفة خليج بهاما على وجه حقيقي فان الملاحين بعد ذلك اخذوا في سلوكه الى اوروبا

وسنة ١٥١٣ بلغ بالبوا حاكم داريان من احد مشايخ البلاد انه على مسيرة ستة ايام للجهة الجنوب يوجد محيط آخر يكتنف ولاية عظيمة يكثر فيها الذهب حتى ان اهلها يستعملونه في الاشياء التي لا طائل تحنها . وكان هذا الخبر اول دليل للاسبانويين على وجود بيرو فيادر بالبوا لتأكيد ذلك وسار

من يومه يمّتي رجل ولم يبال بكل الصعوبات التي حالت دونه ودون المرغوب . وما برح يتوغل في مسيره حتى اشرف على الاوقيانوس الجنوبي واستولى على اطراف شطوطه وتحقق من هنود هذا الساحل انه يوجد على البعد من الساحل المذكور في الجهة الشرقية مملكة قوية غنية فصم على افتتاحها ولكنه لم يجسر ان يفتحها في شؤذمة قليلة من الجنود بل آخر ذلك الى وقت آخر وارند راجعاً الى سنت ماري كرسي ولايتيه وبعث الى اسبانيا يخبر الدولة في ذلك الشأن طالباً الامداد لانجاز هذا المشروع . فبعثت الدولة بعلمة بحرية مشهورة بالمهات والعساكر تحت لواء بدرارياس وقلدته حكومة داربان . وسنة ١٥١٥ سار جوان دياز بجانب اميركا الجنوبية وتوغل في تلك الاطراف حتى اشرف على مصب ريو دولابلانا وهو نهر عظيم من هذا الجزء فقتله الهنود الذين يأكلون لحوم البشر وقتلوا ايضاً بعض اصحابه فارند من بقي منهم الى اوروبا ولم يتندوا في استكشافاتهم اكثر من ذلك خوفاً من العواقب . وسنة ١٥١٨ اكتشف الاسبانيوليون بلاد المكسيك ولزيادة الايضاح سنفتح لها فصلاً مخصوصاً

## الفصل الرابع

### في الاستيطانات الاوروبية

ولما اتشر في اوروبا خبر اكتشاف العالم الجديد والمكاسب التي كان الذاهبون اليه يحصلون عليها اخذ الناس يهاجرون اوطانهم ويفصدونه افواجاً افواجاً وبينون لم مستعمرات ويستوطنون فيها . فكان اشهر من قصد تلك القارة بعد الاسبانيولين الفرنسيون والبرتوغاليون والانكليز والفلنكيون

واول قسم استوطنوه سواحل اميركا الشمالية . فان احد الفرنسيين المدعو  
 جيمس كارتيا كان اول من اكتشف بوغاز ونهر مارلورنس سنة ١٥٤٢ فبنى  
 هناك قلعة عظيمة واقام فيها مع جمهور من قومو ثم انضم اليهم بالتدرج جواهر  
 كثيرة من فرانسفاخذوا يتدون ويحولون في تلك الاراضي والاقاليم الواسعة  
 حتى توصلوا الى كاندا وسكنوها ثم الى اسكوتسيا الجديدة واستولوا على جميع  
 اراضيها وبنوا لم فيها ابنية وحصونها . سنة ١٦٠٨ شرعوا في تأسيس مدينة  
 كويبيك وبنوا فيها قلعة عظيمة وحصونها بالسلاح والمدافع فاصبحت احصن  
 مستعمرات اميركا . وعلى تماذي الاوقات صار لهم املاك واسعة وكانت فرانسفا  
 ترسل من طرفها واليا مخصوصا لادارة احكام املاكها ورجالها . وكان الفرنسيون  
 في وادي ومجبة مع سكان اميركا الاصليين فكانوا يتزوجون من نسائهم ويتعاملون  
 معهم في التجارة ويحتمون خيرات بلادهم وبشرون منهم الفراء الثمينة بالبحس  
 الاثمان ويرسلونها الى اوروبا فيرحمون فيها ارباحا جسيمة

اما الانكليز فلم يتدثوا ان يهاجروا الا في اواسط الجيل السادس عشر  
 واول محل سكنوه مقاطعة فيرجينيا سنة ١٥٨٤ وهم الذين لقبوها بهذا الاسم  
 ومعناه عذراء نسبة الى ملكتهم الصابات التي صرفت حياتها بدون زواج .  
 ولكن لم يلبث هذا الاستيطان زما حتى اندثر بالكلية بسبب الامراض التي  
 استحوذت على سكانه ولكنه تجدد ثانية سنة ١٦٠٧ بواسطة القطان كريستوفر  
 نيويورت الذي هو اول من وضع اساسا لمدينة جيمس تاون

سنة ١٦٠٩ اكتشف نهر هدسون رجل انكليزي يدعى بهذا الاسم وكان  
 يومئذ مستخدما في مراكب الفلمنكيين فوق النزاع بين الطائفتين من جهة  
 النهر المذكور وكان كل من الفريقين يدعي حق الشفعة به فلم يقع بينهما اتفاق  
 نهائي في اول الامر الا انه دخل في حيز الانكليز فيما بعد . سنة ١٦١٤ استولى  
 الفلمنكيون على الاراضي المجاورة النهر المذكور واقاموا فيها ابنية فكان ذلك  
 اساسا لمدينتي نيويورك والباني الهالينين . اما نيويورك فدعوها امسردام نسبة

الى عاصمة بلادهم في هولاندا وبقيت في ايديهم الى سنة ١٦٦٤ حين تنازلوا عنها  
للالانكليز بعد وقائع شديدة

وسنة ١٦٣٠ ذهب الى اميركا قوم من الانكليز الانقياء مع نساءهم واولادهم  
وقسوسهم في مركب يقال له ميفلاور كانوا قد طردوا من انكلترا بسبب  
اضطهاد ديني فاستوطنوا في الجهات الشمالية من البلاد المتحدة وبنوا لهم فيها  
اكواخا وصاروا يتعيشون من الصيد والزراعة ولكن ليس بدون مشقات واكدار  
شديدة سواء كان من حالة الاحياج ام من مقاومات الاهالي المتوحشين . ثم  
انضم اليهم شعوب اخرون من اهل الفاقة والاحياج فاخذوا يمتدون في تلك  
البراري الشاسعة ويقومون فيها الابنية المختلفة فاصبحوا في برهة وجيزة اربعة  
جماهير غفيرة متفرقين في اربعة اماكن مختلفة الاول في بلباوث الثاني في  
ميساشوسنس الثالث في كونكتيكوت والرابع في نيوهافن . وكان لكل من هذه  
المقاطعات حكومة خصوصية ولا يربهن اتحاد واحد ومجلس عام يجتمع فيه كل  
سنة نواب من طرف المقاطعات الاربع المذكورة لاجل المناوضة في ما يتعلق بتجديد  
الشعب وسن النظم المتنضية لحفظ الراحة العمومية

ولما كان كارلوس الاول ملكا على انكلترا وهب احد اشراف بلاد  
المدعو لورد بالتيور اقليبا من اراضي اميركا الشمالية فانها سنة ١٦٣٤ بنتي  
نسمة من الانكليز الكاثوليكين وعمروها وسموها ولاية ماري لاندا اي ارض ماري  
نسبة لماري زوجة كارلوس المذكور . ثم سنة ١٦٨١ شرع رجل انكليزي يسمى  
وليم بين في عمارة اقليم بنسلفانيا فاخذ يشتري من الهنود بعض الاراضي ويصلحها  
للزراعة ويقوم فيها الابنية حتى صارت في وقت قصير من المستعمرات المهمة وهكذا  
بالتتابع امتلأت تلك الاقاليم بالعائر والابنية المختلفة . ولكن لم يكن للانكليز  
سلم في استيطانهم لان الفرنسيين والاسبانيوليين كانوا يقاومونهم ماشد مقاومة  
ويظهرون لهم العداوة ويوقعون بهم الضرر اما جهاراً او بواسطة الاهالي . وكان  
الفرنساويون كثيراً ما يتحدون مع الهنود على محاربتهم فيقتلون منهم ويأسرون

ومحرقون قرام فكان ذلك يزيد العداوة المتأصلة بين الامتين ويضيف على  
الاحقاد القديمة البغض الشديد وروح الانتقام . وبالجملة كانت المنازعات  
بينهم متصلة دائمة والخصومات والحروب غير منقطعة فمن اراد الوقوف على  
اخبارها وتفصيل احوالها فعليه بطولات الاسفار

واذ كانت مدينتا كويك ولوزيربورك من احصن وامنع مستملكات  
الفرنساويين في اميركا كانت اعين الانكليز متجهة اليها لاسيما كويك لانها  
كانت منتاج كل ولاية كندا . فقصدها سنة ١٦٢٩ السار دافيد كابر مجهور  
من الانكليز وافتتحها فبقيت في ايديهم الى سنة ١٦٢٢ حين التزموا ان يرجعوها .  
وسنة ١٧١١ ارسلت الحكومة الانكليزية عمارة بحرية مع ٧٠٠٠ جندي تحت  
لواء الاميرال سار هاندين والكر بقصد ضرب كويك واستخلاصها من  
الفرنساويين . فلما وصلت السفن الى فم نهر مار لورانس وشرعت في الدخول  
غطاها ضبابٌ حالك حجب عنها ضوء النهار ثم هبت ريحٌ عاصفة عقب ذلك  
التت ثمانياً منها على الصغور فكسرتيا وانلفتها فاتي ذلك بخسارة جسيمة على  
الانكليز اذ فقد منهم في تلك الحادثة نحو الف شخص ما عدا خسارة المراكب  
وما فيها من المهمات والموتوة والتزم الباقون ان يتوقفوا عن سيرهم لاخذ كندا  
وسنة ١٧٤٥ اجمع راي الانكليز على ان يستخلصوا من فرنساويين مدينة  
لوزيربورك الكائنة في راس بريتون فارسلوا اليها فرقة من الجنود بتودها رجل  
ناجر من مدينة بوستون يقال له وليم بايبريل صاحب دراية ونشاط واكثة  
عديم الخبرة في فنون الحرب وابواب القتال . وكانت جنوده تجهل ايضاً امر الحرب  
لانها ماخوذة من وراء الحراث والآت الصنائع غير معتادة على مواقف الاموال  
فاحاطت بالمدينة وبعد مهاجمة خمسة عشر يوماً افتتحتها عنوةً ولكن بعد نهاية  
الحرب ارجعتها الى فرنساويين ثم استخلصتها ثانية سنة ١٧٥٨ بمناظرة  
الجنرال ولف

وفي السنة التالية زحف الجنرال ولف المذكور بعساكره لافتتاح مدينة

كوبيك فحالت عدة صعوبات بينه وبين اخذها نظراً لمناعتها وارتفاعها وكثرة عدد محافظيها من داخل ومن خارج اذ كان بحسب املاكها امراً مستحلاً. ولكن اذ كان الجنرال ولف من ذوي الشجاعة ومتعوداً خوذ المعامع واقترام الاخطار لم يدع تلك الصعوبات تمنعه من نوال المرغوب فعزم على فتح المدينة قوةً واقتداراً ولو اضطره الامر الى فقد حياته وصم على مهاجتها. فصعد بجنده ليلاً الى جهة مرتفعة وهناك اخذ مركزاً مساوياً لمركز المدينة وعند الصباح اقتحمها بعسكره. فصدمة الماركيز موتكالم بجيوش الفرنسيين واشتبك القتال بين الفريقين فكان يوماً عظيماً انتد فيه الويل من هجمات الرجال والابطال وسقوط الكرات والرصاص المتوالية. هذا والجنرال ولف في مقدمة صفوفه يشدد الرجال بالكلام ويحثهم على الهجوم والاقترام. وكان قد جرح في موضعين ولم يرض ان يفارق ساحة المعركة حتى أصيب برصاصة ثالثة فالقته طريحاً على الارض. ولما يش من السلامة حمله العسكر الى مضربه وبينما كان في ألم شديد وهو على اخر رمق سمع رجلاً ينادي ويقول انهزموا انهزموا فسال من هم الذين انهزموا اجابه احد القواد وقال الفرنسيون فرّوا وانهمزموا ونحن انتصرنا وقهرنا فتبسم وظهرت على وجهه علامات الفرح وقال اني اموت الان مسروراً ثم اسلم الروح. وهذا السرور نفسه شمل الماركيز موتكالم ايضاً لانه كان قد أصيب برصاصة قاتلة ولعله باتتصار الانكليز قال وهو في حالة النزاع اني اموت فرحاً مسروراً بحيث لا ترى عيناى نسليم المدينة. وبعد ذلك بايام بسيرة سلمت مدينة كوبيك للانكليز. وسنة ١٧٦٣ جرت معاهدة الصلح في باريس وتنازلت فرنسا للحكومة الانكليزية عن جميع ولايات كندا وعن جميع املاكها الشمالية وهي باقية الى الان تحت نسلها

## الفصل الخامس

في البلاد المتحدة الاميركانية

## الباب الاول

في وصف البلاد المتحدة وذكر الاسباب التي هيأت  
انفصالها عن انكلترا

يحد هذه البلاد شمالاً الاملاك الانكليزية وشرقاً الاوقيانوس الانلاتيكي وجنوباً خليج مكسيكو وغرباً الاوقيانوس الباسيفيكي ومساحتها كمساحة قارة اوروبا تقريباً وعدد سكانها بحسب تعداد سنة ١٨٦٠ بلغ ٢٢ مليوناً بما فيه الهنود الذين يبلغون ٢٠٠ الف نسمة تقريباً واما الان فيؤكدون ان عدد الاهالي هو ٤٠ مليوناً. ولكن كثير من القسم الغربي من هذه البلاد اما مهجور او مسكون ببعض الناس المتفرقين بين قبائل الهنود. وكانت البلاد المتحدة تنقسم قبل الان الى ١٢ ولاية واما في هذه الايام فهي ٢٤ ولاية متحدة اتحاداً واحداً وهذه اسماؤها. الاولى مين. ثم نيوهامشير. وماساشوستس. وفرمونت. ورود ابلند وكونكتيكونت. ونيويورك. ونيوجرسي. وبنسيلفانيا. ودلاوير. وماريلاند. وفيرجينيا. وكارولينا الشمالية. وكارولينا الجنوبية. وجارجيا. وفلوريدا. والاباما. وتينيسي. وميسيسيبي. ولويسيانا. وتكساس. وويسكونسين. وايوا. وميسوري. وايلينوي. وانديانا. ومشيكان. وواهايو. وكتوكي. واركانساس. وكليفورنيا التي

ظهر فيها معدن الذهب ١٨٤٨ ومنيسوتا . وكانساس . واوريجون . ولكل من هذه الولايات حاكمٌ مخصوصٌ بقيمة الشعب بالانتخاب على مدة معينة ما عدا القضاة فانهم ينتخبون على مدة حياتهم ولا يعزلون الا تحت جنحة او ذنب . وجميع هذه الولايات متحدة اتحاداً عاماً تحت نظارة رئيس عام ومجلسين كبيرين في مدينة واشنطن العاصمة يحضرها وكلاء الولايات المذكورة لتدير امور البلاد والمخبرة في ما يتعلق بالعلاقات الاجنبية . وما عدا الولايات المار ذكرها اقاليم أخر لم تدخل بعد في المعاهدة العمومية لفئة اهلها ومقاطعة واحدة لها معاهدة خاصة بها يقال لها مقاطعة كولومبيا

وفي هذه البلاد كثيرٌ من الانهر العظيمة والترع الكبيرة والجبال المرتفعة مما لا سيل الى ذكره هنا . اما تربتها فجمدة وحواصلها كثيرة متنوعة . ومن اعظم واعنى نتائجها القطن والسكر والبن والحبوب المختلفة . وفيها كثيرٌ من المعادن اخصها الذهب فانه وجد منه مقادير وافرة سنة ١٨٤٨ في ولاية كينورنيا ولحد الان يقصدها الناس من جميع الجهات ويشغلون في استخراجها

اما الديانة الغالبة في هذه البلاد فهي البروتستانتية . والعلوم فيها ناجحة الى الدرجة التصوي ووسائط التعليم كثيرة فان فيها عدداً كبيراً من كل رتب المدارس . اما المطابع فيها فتكاد لا تُعد لكثرتها وبسبب ذلك تنازل اسعار الكتب والجرائد ونسب وسائط التنوير . واما اهلها فيعدون من الرتبة الاولى في التنوير وحسن الصفات . ولم رغبة شديدة في التقدم والتجاع وشهرة عظيمة في الحزم وقوة الجنان وهم بوجه الاجال من اهل اللطف بحبوس السلام وخير القريب . وما يستحق العجب تكاثر عددهم ونموهم الى الدرجة التي هم عليها الآن في وقت قصير اعني في اقل من ٢٠٠ سنة على ان عدد الذايمين الى تلك البلاد من الانكليز والفلنك والاسوجيين وغيرهم منذ ارتحالهم اليها الى وقت استقلالها لم يزد عن مليوني نسمة فيستبان ان تكاثرهم الى هذه الدرجة ليس من التسلسل او عقب الذرية بل من استقامة انضمام الناس اليهم ولا سيما



من الاملاك الانكليزية المجاورة لهم  
 اما الاسباب التي اوجبت الاميركانيين ان ينفصلوا عن انكلترا اهمهم فليست  
 هي الأ جور العمال الانكليز والمظالم التي اجروها عليهم في تلك الاطراف . فلا  
 يخفى انه عندما كثرت الاهالي في البلاد المتحدة وصار لهم فيها املاك واسعة  
 سواء كان بالشراء ام ما اكتسبوه في حروبهم مع الهنود قسم الحكم الانكليزي  
 البلاد الى اقسام شتى وارسل اليها عمالاً ليقوموا باعمالها ويدبروا اعمالها. فاخذ  
 هؤلاء العمال يثقلون على الاهالي ويجورون عليهم حتي الزموا ان يشكوا من سوء  
 معاملتهم ويسترحموا من الدولة الانكليزية التخفيف عنهم فاجابت طلبهم وصدر  
 حيثئذ امرها بعزل اولئك الولاة وان ينصب غيرهم بانتخاب الاهالي بحيث يبقى  
 للحكومة الانكليزية السلط العام فلم يات ذلك بعظيم فائدة ولم يحصل الشعب  
 من ذلك الامتياز الظاهر على راحة بل بقوا على ما كانوا عليه من المتاعب  
 والاثقال

وفضلاً عما تقدم لما رأت الحكومة الانكليزية نجاح الشعب وتقدمه في  
 الثروة قصدت ان تقتطف منه بعض المكاسب لذاتها فسعت في ضرب المال  
 على الاهالي. وكان اول شيء اجرتة انها اصدرت حكماً مجلسياً سنة ١٧٦٥ لاجل  
 استعمال الطوابع في البلاد المتحدة على جميع صكوك المبيعات والمضابط والمعاهدات  
 وغيرها وان كلما كان محرر على ورق بغير طوابع يكون غير صحيح ولا يعمل به  
 واقامت اناساً مخصوصين لهذا العمل وسلمتهم تلك الاوراق ليبيعوها للاهالي بالثمن.  
 فانف الاميركانيون من ذلك جداً ورفضوا هذه الاجراءات واستعظموا ليس  
 فقط هرباً من دفع ثمن الورق في المستقبل ولكن خوفاً ما سوف يحدث من  
 المنازعات والدعاوي التي تنصدر عليهم من جهة املاكهم المستولين عليها من  
 مدات مستطيلة بحق وضع اليد من دون صكوك شرعية على اوراق اميرية .  
 فلذلك عند الاهالي جمعية عمومية في مدينة نيويورك استنرت اراؤهم فيها على  
 عدم قبول ما شرع به الحكم الانكليزي ثم قدموا معروضاً للملك والمجلسي

الإشراف والعامّة في لندن يسترحمون رفع تلك الضريبة ورفضوا من ساعتهم  
 مشتري الورق المذكور وعاملوا من هو منوط في بيعه أسوأ معاملة . فالتزم  
 حيثئذ الحكم الانكليزي ان يبطل ذلك القرار  
 ولكن اذ كان لا بدّ للدولة الانكليزية من ان تربط اهالي المستعمرات  
 الاميركانية وتخضعهم لاحكامها لانهم رعاياها اصدت قراراً بالزام الاميركانيين  
 الى دفع رسم جمر على الشاي الوارد الى بلادهم وتثبتت في اجراء ذلك ولو  
 بالقوة الجبرية . فلم يقبل الاميركانيون ايضاً بهذه الضريبة الجديدة واطهروا  
 النور وعدم الامتثال فالتزمت حيثئذ الحكومة ان تستعمل القوة القاصبة  
 لاقتيادهم الى الطاعة . فلما كانت سنة ١٧٧٣ اشرف على ميناء مدينة بوسطن  
 ثلاث سفن انكليزية مشحونة بالشاي . فتزل اليها ليلاً بعض الاميركانيين وهم  
 متنكرون في زي الهنود والقوا كل ما فيها من الشاي الى البحر . فلما بلغ خبر  
 ذلك الى انكلترا استشاطت الحكومة غيظاً وحنقاً من وقاحة اولئك القوم وعدم  
 انقيادهم لاحكامها واذ رأت ان تسلطها عليهم آخذ في الضعف والانحطاط  
 عمدت على اخضاعهم بقوة الاسلحة . فارسلت جيوشاً وقواداً لحربهم واذلهم

## الباب الثاني

في استقلالية البلاد المتحدة وحوادثها الى هذا اليوم .

فلما رأى الاميركانيون ما عزم عليه الحكم الانكليزي من ضربهم واخضاعهم  
 اخذوا يتجهزون للقتال ويستعدون للترال ودفع القوة بالقوة . اما الانكليز  
 فانوا بعارثهم الحربية الى مدينة بوسطن واذ علم قائد الجيش بان للاميركانيين  
 بعض مدافع وأدوات حربية في مكان يقال له كونكورد بالقرب من بوسطن  
 بعث ٨٠٠ جندي لانتلاف تلك التجهيزات . وعند وصولهم الى تلك الجهة نجحوا

بائلافها ثم القاهم الاميركانيون وصدموهم صدمة قوية فهزموهم وارجعهم الى  
 المدينة بعد ان قتلوا منهم ٢٧٠ نفراً وكان ذلك اول واقعة جرت بين  
 الطرفين. ثم اخذ الاميركانيون يتجهزون باكثر نشاط وغيرة ويتجمعون حتى  
 انه في برهة وجيزة بلغ عدد التجمعين حول بوستن وضواحيها عشرين الف  
 مقاتل. وفي الحال اجتمع ارباب الديوان العام في مدينة فيلادلفيا وعقدوا مجلساً  
 لاجراء التدابير اللازمة فاستقر الراي على مداومة الحرب وتخريب بلادهم من ايدي  
 الانكليز فقتلوا الجنرال واشنتون وكان من شجمان الرجال في ادارة الحرب  
 وولجوه بالحماسة عن الوطن



الجنرال واشنتون

ولما كان مقصد الاميركانيين طرد الانكليز من بوستن صعدوا ليلاً على  
 تل عال يقال له تل بنكر يكشف المدينة واخذوا فيه مركزاً محكمًا وشرعوا في

تحصينه وإقامة المتاريس فيه . فقلوهم الانكليز اشد مقاومة وصعد الهم ثلاثة الاف من العسكر ووقع بينهم قتال مرعب ثم تداركت بينهم الحملات والهجمات بضرب السوف وطعن الحراب فانتصر الانكليز في تلك الواقعة على الاميركانيين وطردهم من ذلك المركز ولكم خسروا اكثر من ثلث جمهورهم . اما الاميركانيون فلم يثن عنهم من خسارتهم المركز المذكور ولشوا مشاهرين على المناضلة والمقاومة واقام الجنرال واشنطن القائد العام الحصار على بوستن بعد ان كان استولى على المستحكات والقلاع المجاورة لها . وفي ١٧ اذار سنة ١٧٧٦ التزم الانكليز ان يتركوا المدينة وينسحبوا الى مراكزهم بعد احراقهم اكثر الاساكن البحرية . وبنها كانت الحرب قائمة على قدم وساق في هذه الاطراف من البلاد ارسل الجنرال كانيون فرقتين من العساكر تحت لواء بعض القواد لافتحا كاتا وضرب الانكليز هناك فلم ينجحوا في مشروعهم وفي اثناء مهاجمتهم مدينة كويك قتل قائد جيشهم وتفرق شمل جنوهم فرجعوا بالخبية والفشل

ولما كان اليوم الرابع من تموز سنة ١٧٧٦ قرّر قرار الديوان الكبير المنعقد في فيلادلفيا بوجود استقلالية البلاد المتحدة وطرح نير الانكليز . فنادوا بالحرية بعد ان اخذوا عهداً على معاوضة الجمهور في اتمام ذلك غير مباين بالصعوبات والاطار المحدقة بهم فنشروا رايات الحرب واستعدت جماهيرهم للقتال والنزال وانتشبت الحروب بين الطرفين حتى لم يعد سبيل لاختاد نارا لان الاميركانيين كانوا قد صمموا على عدم الطاعة والانقياد لاحكام الانكليز مهاكلتهم ذلك . وكانت فرانسوا واسبانيا وهولندا نظراً لما هن من البغض والنفور لانكليزاً يجرى الاميركانيين على العصيان ويعدهم بالمساعدة والامداد عند الحاجة والازوم . فاستمرت الحروب بين الانكليز والاميركانيين مدة ثمان سنين متوالية وجرى بينهم عدة مواقع كبيرة وصغيرة يطول شرحها كانت الفوز والانتصار في اكثرها للانكليز ما عدا واقعتين عظيمتين فانها خسرت بها خسارة جسيمة واتصر عليها الاميركانيون انتصاراً عظيماً . اما الاولى فجرت في ساراتوكا سنة ١٧٧٧ وكان

قائد جيوش الأنكليز الجنرال بوركون وقائد جيوش الاميركان الجنرال كينس اشتد فيها القتال وانتهى الامر بانحصار الانكليز في مراكزهم حتى لم يعودوا قادرين على الانسحاب فالتزموا ان يسلموا انفسهم للاعداء وكان عدد من قُتل وجرح وأسر منهم نحو ٩٠٠٠٠ نفس . فهذا الانتصار انعش قلوب الاميركانيين وشدد عزائمهم وجعل فرانساً تبعث جنوداً ومراكب لمساعدة منهم . واما الواقعة الثانية فجرت سنة ١٧٨١ بين الجنرال واشنتون وبين لورد كورنواليس في مدينة بورك الناجمة ولاية فيرجينيا حيث كان اللورد المذكور معسكراً ومنتظراً الامداد من المعسكر المقيم في نيويورك . فانتهر واشنتون تلك الفرصة المناسبة واطهر من التباير ما يدل بان غاية قصده مهاجمة نيويورك . فجعل ذلك واليه السار هنري كلينتون يتأهب للمدافعة ويمتنع عن ارسال الامداد للورد كورنواليس فاتي ذلك بما رامه واشنتون . ولما تم له ما اراد حوّل عنان عزمه بسرعة غربية الى مدينة بورك وبعد ان اخنط بعسكر فرانساً الذي كان قد حضر في السنة الماضية اقتم جنود الانكليز وامسكت العارة الفرنسية عليهم فم نهر بورك لتمنع عنهم الامداد والذخائر فحصل بين الفريقين معركة هائلة وبذل اللورد كورنواليس كل الجهد في مدافعة العدو ومصادمته فلم يجده ذلك نفعاً والتزم اخيراً ان يسلم في ١٩ ث ١ من سنة ١٧٨١ مع من معه من الجنود وكان عددهم سبعة الاف نفس . واستولى الفرنسيون على بارجين حريتين وعشرين سفينة وسقية مشحونة بالمهات والذخائر

فهذه الضربة مع انها ألهمت بالانكليز واضعفت امالم لم تمنعهم عن مداومة القتال ولم تكن سبباً لانسحابهم من ميدان التزال لانهم لبثوا مثابرين على عزمهم بعد هذه الحادثة مدة سنتين من الزمان ناشرين الوية الحرب غير مباين بحسائهم ولا مقرين للاميركانيين باستقلاليتهم . ولم يكن امراً صعباً على انكلترا ان تستمر على تلك الحال زماناً طويلاً في مقاومة اعدائها ومصادمتهم ولكنها اذا رأت من الجهة الواحدة ان التشبث في ذلك الامر لا ياتيها بالمرغوب لان

الشعب لإميركاني كان مصراً على الجاهرة والمناضلة تحت اية كلفة كانت وان اتصاراتها عليهم في عدة مواقع مشهورة لم تكسبها الأراضى خربة ومستمرات خالية من السكان . ومن الجهة الأخرى اذ كانت فرانساً وإسبانيا وهولاندا منجذات على عمارتها في أوروبا وآسيا ومجتهدات في مقاومتها ونزع ما أمكن من أملاكها وسطوتها كان أمراً مستحيلاً على انكثرا ان تقابل اعدائها بقوة كافية في كل الجهات وتفوز عليهم جميعاً فلذلك عمدت حكومتها على ترك مشروع اخضاع الاميركانيين والانسحاب من تلك البلاد في صيف سنة ١٧٨٣ ابتدأت جنودها ان ترحل راجعة الى اوطانها . وفي شهر ايلول من السنة المذكورة وقع الصلح في باريس وجرت المعاهدة بين الدول المار ذكرها على ان انكثرا ترجع لفرانساً اراضى السنيكال الكائنة في غربي افريقية وان ترجع لاسبانيا اقليم فلوريدا في اميركا الشمالية وان تقر باستقلالية البلاد المتحدة وعلى هذا الوجه انتهى النزاع وترك الاميركانيون اسلمتهم والتفتوا الى اصلاح بلادهم وترتيبها

وقد اشتهر الجنرال واشنتون شهرة عظيمة في اثناء محاربة الانكليز ليس فقط لبسالته ودرايته في فنون الحرب ولكن لتدابيره الحسنة وثباته وحسن مقاصده لانه مجال انفكك الحرب قصد اكثر جماهير الشعب الاميركاني ان يقيموا عليهم ملكاً فلم يقبل . وغلب تقديمه دفاتر الحسابات والمصاريف للديوان اصرف القواد الذين كانوا تحت رياسته ثم اصرف نفسه ايضاً وانسحب الى منزله . ومن اشتهر ايضاً في الحروب المذكورة ويعتبره الاميركانيون اعتباراً عظيماً الماركيز لافايت وهو رجل فرنساوي ذهب الى اميركا اذ كان عمره ٢٠ سنة بفرقاطة على نفقة نفسه واشترك مع الاميركان على حرب الانكليز واظهر من الخلوص والبسالة ما لا مزيد عليها ولم تخصص مساعدته في تقديم ذاته فقط ولكنه قدم من امواله ما أمكن للوازم الحرب . فكان الشعب الاميركاني ممنوناً له بهذا المقدار حتى انه في سنة ١٨٢٤ عندما رافت البلاد واستراحت دعوة من فرانساً

لزيارتهم واحفظوا به احتفالاً عظيماً واهدته الحكومة مبلغاً مقداره ٢٠٠ الف ريال مع قطعة ارض ثمينة في ولاية فلوريدا

ولما استقل الاميركانيون اخذوا يسعون في ترتيب حكومة لبلادهم فنظم علماءهم وقضاةهم سنة ١٧٨٢ الترتيب الجمهوري الحالي فعملوه دستوراً لهم وقانوناً لشراعتهم. وكان اول من انتخبوه ليكون رئيساً عاماً للجمهوريتهم الجنرال واشنطن واقاموا جون ادامس نائباً له فانقضا واجبات ماموريتها واصلحا احوال البلاد فزادت رغبة الاهالي بها وانتخبوها على اربع سنين اخرى. وفي سنة ١٧٩٤ اتفخ باب النزاع ثانية بين حكومة البلاد المتحدة وانكلترا. وكان السبب في ذلك ان الاميركانيين كانوا يتعاملون مع الفرنسيين ويبيعونهم غلات بلادهم بينما كانت انكلترا مشتبكة في حرب معهم. فاغناظت الحكومة الانكليزية من هذا القبيل ونسبت الى الاميركانيين الاشتراك مع اخصامها فاصدرت الاوامر لعاراتها البحرية ان تفتش كل المراكب الاميركانية حتى اذا وجد منها ما هو مشحون بالحبوب يحجز عليه. فهذه المعاملة مع عدم تخاية الانكليز لبعض اماكن البلاد المتحدة مما كان يجب تسليمها وتخليتها للاميركانيين بحسب معاهدة سنة ١٧٨٢ اوجبت الحكم الاميركاني ان يحجز كل مراكب الانكليز الموجودة في مواني بلادهم مدة ثلاثين يوماً. فادى ذلك الى الخصام والنزاع ولكن تَنُورِك الامر بالخبايرت والمداولات وارسل الاميركانيون معتذراً من طرفهم الى بلاد الانكليز فعدوا مع حكومتها معاهدة تجارية فيها تجددت الحقوق والشروط التي من شأنها ان تمنع بواعث النزاع

وسنة ١٧٩٧ توفي الجنرال واشنطن في سن الثمانين والستين وترك الخزن والاسف لجميع ابناء وطنه لانهم كانوا يحسبونه رئيساً لاستقلاليتهم وآبا للجمهوريتهم. فانقبوا مكانه جون ادامس الذي كان وكيلاً ونائبه وجددوا التقابة عند نهاية مدة الاربع سنين. ثم خلفه توماس جفرسون الذي اشهرت مدته بمشتراه من فرنسا ولاية لويزيانا الوسيعة بمبلغ خمسة عشر مليون ريال سنة ١٨٠٢

وسنة ١٨١٢ تعكرت السياسة ثالثة بين الامتين المذكورتين وسبب ذلك ان انكلترا عندما كانت في ارتباك عظيم من جهة افتتاحات نابوليون الاول وامتداد سطوة فرانس في اوروبا كانت مجتهدة كل الاجتهاد في توقيف ذلك التقدم والنباح حباً بحفظ الميزانية العمومية ولذلك اشتركت في اشهر الحروب ضدها . وكانت تجتهد باتتباع شديد على توقيف كل ما من شأنه ان يؤدي لتقوية عدوتها ولاجل نوال الغاية المذكورة كانت كلما عثرت مراكبها بمغينة اجنبية تطاردها وتنتشها فان وجدت فيها شيئاً من الامداد والمهمات المشبوهة تضع يدها عليها ونحجزها . فحدث يوماً ان البوارج الانكليزية التفت ببعض السفن الاميركانية فقبضت عليها وقتلتها وبعد ان اخذت ما ارادت منها اشتهت في ان بعض الملاحين هم من رعاياها فاخذتهم ايضاً ومنعهم عن خدمة الاجانب ولم تلتفت الى تأكيد الاميركانيين بان اولئك الرجال هم اميركانيون ومولودون في البلاد المتحدة . فانف الحكم الاميركاني من هذه المعاملات وحسبها عاراً واهانة في حقه وفي ١٨ حزيران من سنة ١٨١٢ اشهر الحرب على الانكليز واتشرت راياتها وزحفت جيوش الاميركانيين على الاملاك الانكليزية التي في جوارهم واصطلت نيران القتال بين الفريقين ووقع بينهم عدة وقائع برأ ومحرراً كان النصر فيها نارة للفريق الواحد وتارة للآخر . وقد اشهر وقتئذ الاميركانيون في معاركهم البحرية لانهم اتصروا في اكثرها واما في الوقائع البرية فكان النجاح للانكليز لانهم استولوا على العاصمة الاميركانية واحرقوا ابنتها الفاخرة بعد ان كانوا هزموا جماً غفيراً من الجيش . واما الواقعة الاخيرة التي جرت بين الفريقين في ٨ ك ٣ سنة ١٨١٥ المعروفة بحرب نيواورلينس فنال فيها الاميركانيون فخراً عظيماً اذ فازوا على اعدائهم وقتلوا بهم وهزموهم ولكن لم يحصلوا على مرغوبهم من جهة افتتاح كندا . وبعد قليل وقع الصلح بين الامتين وتمت شروطه في كنت سنة ١٨١٥ وارجعت كل دولة منها للآخرى ما كانت استخلصته منها ولم يعد يقع بينها قتال ولا نزاع من ذلك الوقت



أما الحكومة الأميركية فاخذت بعد عقد الصلح المذكور في اجراء التدابير والتنظيمات المحسنة لاصلاح احوال البلاد وسعت في اقامة المباني والحصون وتوسيع دائرة التجارة والزراعة والصنائع وساعد على ذلك ميل الامالي وجدّهم وحبهم للوطن . فاقامت البنوك الكبيرة والشراكات التجارية وتأسست المعامل وانشئت الطرق الحديدية وغير ذلك من وسائل التقدم فانضم اليها اقليم بعد اقليم وولاية بعد ولاية حتى اصحبت البلاد المتحدة ٢٤ ولاية كما تقدم القول

وسنة ١٨٤٦ وقع الخصام بين البلاد المتحدة ومكسيكو من جهة اقليم تكساس الذي كان قد انضم للمعاهدة الاميركانية مع ان مكسيكو كانت تدعيه لنفسها وتكر على اهلها حتى الانضمام للجمهورية . فانهى الحال بوقوع الحرب بين الدولتين وتكافح الفريقان في عدة مواقع وانتصر الاميركانيون على المكسيكانيين ودخلوا عاصمتهم واذلوهم واخيرا عقدوا معهم صلحا بعد ان اخذوا منهم نيومكسيكو وكاليفورنيا بمبلغ ١٥ مليون ريال دفعوه لهم كرما وانعاما خلافا لعادة الامة الظافرة التي من اصطلاحها ان تغرم الامة المغلوبة وتضرب عليها المال . فهذه الحادثة تستحق بالحقيقة ان تورخ في بطون الصحف والتواريخ دلالة على حسن صفات الاميركانيين وصفاء نياتهم

وسنة ١٨٦١ انتشبت الحرب الاميركانية الاهلية التي دامت نحو اربع سنوات وهرق فيها دماء كثيرة . وسببها ان الحكم الاميركاني كان قد ضم على ابطال التجارة بالعبيد وملاشاتها من البلاد المتحدة فلم يوافق على ذلك اهالي الولايات الجنوبية اذ كان لهم في تلك التجارة صوايح عظيمة فوقع النفور والخلاف بين الطرفين واستمرت المنازعة بينهما جملة سنين ثم انتهى الحال بانفصال احدى عشرة ولاية من ولايات الجنوب عن الجمهورية والانفكاك من عهودها فاشتهروا ذلك علنا واقاموا لانفسهم رئيسا ونظما قانونا ودستورا فلم تقبل بذلك الولايات الشمالية وحسبته خرقا للعهود . فاضطربت الحرب بين الفريقين ثلاث سنين وانتهت بانتصار الشماليين على الجنوبيين واخضاعهم . وكان يومئذ رئيس

الجمهورية الاميركانية البرازيدنت لينكولن وكان رجلاً مدوحاً ومحبوباً من  
 ابناء وطنه فحدث انه في ساعة الانتصار التام التي خمدت بها نيران الحرب  
 دخل عليه رجل مجنون وطعنه بسكين قتله بها  
 ومن روساء الجمهورية المشهورين الجنرال غرانت وهو من شجعان  
 الرجال اشتهر في الحوب الاهلية السالف ذكرها موصوفاً بالاستقامة وحسن  
 الدراية انتخبه الجمهورية سنة ١٨٦٩ ولحسن تصرفاته انتخب ثانية عند نهاية  
 مدته الاولى

## الفصل السادس

### في وصف بلاد مكسيكو وتاريخها

يحد هذه المملكة شمالاً وشرقاً الولايات المتحدة الاميركانية وخليج مكسيكو.  
 وغرباً البحر المحيط . وجنوباً كواتالا والمحيط ايضاً . وهي عريضة في الجهة  
 الشمالية وضيقة جداً في الجنوبية . اما شطوطها فاكثرها واطبة يجترقها من البر  
 بعض خلجان صغيرة . اما الشطوط التي الى جهة المحيط فهي واسعة جداً ومرتععة  
 اكثر من غيرها . وتخرق هذه البلاد سلسلة جبال صخرية . وفيها براكين كثيرة  
 يبلغ ارتفاع بعضها نحو ٢٠ الف قدم . ويحدث فيها زلازل كثيرة . وارض  
 هذه البلاد جيدة ولكن قلما يعتني الاهالي بها ولذلك ترى اكثرها مهلاً . وفيها  
 عدة بحيرات عظيمة واثار اينية قديمة . اما هواؤها فخير في الاراضي المتوسطة واما  
 في السواحل فيشتد الحر زمن الصيف وتكثر امراض الحميات . وفيها كثير  
 من معادن الذهب والفضة والزئبق . وتقسم هذه المملكة الى ٢٧ ولاية . ومن

مدنها مكسيكو وهي كرسي الحكومة وتيبكو وكيراتيرو وغير ذلك من المدن .  
 واهلها يبلغون بحسب تعداد سنة ١٨٦٨ فوق التسعة ملايين . والديانة العامة  
 فيها هي الديانة الكاثوليكية . وحكمها الآن جمهوري . واهلها من الاسبانيولين  
 وبينهم اخلاط من سكانها الاصليين

اما شعوب هذه البلاد قبل الاكتشاف فكانت مؤلفة من قبائل مختلفة  
 اشهرها قبيلة الازتيكيين . وكانت بينهم عادة وحشية وهي تقديم قرابين بشرية  
 لالهتهم الوثنية . وكانوا يقتضون بعضهم بعضاً في الحروب والمغازي فمن وقع في  
 ايدي الآخرين ذبحوه ضحية ثم اخذوا لحمه وطبخوه وعلماوا عليه وليمة عظيمة .  
 قيل انه وجد في مكان كومة من جماجم المذوحين على الكيفية المذكورة فأحصيت  
 فبلغت ١٠٠ الف جمجمة

اما تاريخها المعروف فيمتد من سنة ١٥١٨ فقط حينما اكتشفها القبطان  
 يوحنا غريجالفا الاسبانيولي . ثم افتتحها الاسبانيول عن يد فرند كورتيز في زمن  
 الامبراطور شارلكان سنة ١٥١٩ بعد عدة وقائع جرت بينهم وبين اهاليها  
 القدماء . وكان لما ذهب اليها كورتيز المذكور لم يكن معه من العسكر سوى  
 ست مئة نفر وبعض مهمات حربية . وكان يومئذ موتيزوما ملكاً على المكسيك  
 فخاف من قدوم الاسبانيولين واشتبه في كونهم بشرأ ام الهة وتردد بين مقاومتهم  
 او الاسترحاب بهم فاستصوب اخيراً ان يتخلص منهم بالتي هي احسن . فارسل  
 الى كورتيز هدايا فاخرة من جلنها هلال من فضة وشمس مذهب وعدة برانس  
 ثمينة مشغولة ومزخرفة بريش الطيور الجميلة واصحاب هذه الهدايا بجانب من اثمار  
 تلك البلاد وزهورها وطلب اليه ان يتحول عن تخومه ولا يقترب لعاصمته .  
 فهذه الهدايا بدلاً من ان تاتي بالمطلوب اهانجت طمع كورتيز وازالت مخاوفه  
 وجملته بتصلب على عزمه . فكان يقول المكسيكيين ان الاسبانيولين طالبون  
 ذهباً لاهدية وانه معتد بهم مرض في القلب لا يشفيه الا الذهب  
 ثم ان كورتيز لشدة عزمه ولكي يقطع امل اصحابه من الرجوع احرق مراكبه

بالنار وتقدم باعوانه من مدينة فيراكروز الى العاصمة فاستقبله الملك بالاكرام  
واضافة احسن ضيافة فقدر به كورتيز وقبض عليه ونجته . ولما مات في السنة  
التالية قام مكانه ابن اخيه كواتاموزين الذي وقع هو ايضا في اسر الاسبانيولين  
فعدبوه عذابا اليما وبعد ذلك قتلوه واخضعوا البلاد

وبعد ان تم للاسبانيولين هذا الافتتاح ارسل كورتيز بعلم الامبراطور  
شارلكان باستخلاصه تلك البلاد فصدر امره بتقليده حكمونها . فاقام في مدينة  
مكسيكو وجعلها كرسي الولاية ولما استقر له الامر اخذ يرم هذه المدينة ويقم فيها  
القصور والحصون حتى اصحبت بالندرج عروسا بين مدائن العالم الجديد .  
وسميت تلك الملكة من ذلك اليوم باسم اسبانيا الجديدة . وبقيت خاضعة لاحكام  
الدولة الاسبانية حتى استقلت تحت الحكم الجمهوري سنة ١٨٢٤ ولكنها لم  
توطد فيها الجمهورية كما يجب لانقسام اهلها الى احزاب عديدة

ثم حدثت فيها حروب اهلية اضرت بها كثيرا وكانت دائما في اضطراب  
وقلاقل لاختلاف الاحزاب . وسنة ١٨٤٥ تعكرت السياسة بينها وبين الولايات  
المتحدة واتشبت الحرب بين الدولتين سنة ١٨٤٦ ودامت سنتين فانصرت  
جيوش الولايات المتحدة في كل وقائنها وافتتحت جملة مدائن واخيرا دخلت  
مدينة مكسيكو قوة واقتدارا . فاضطرت حينئذ دولة المكسيك الى المصالحة .  
وسنة ١٨٤٨ تقررت شروط الصلح فاخذت الولايات المتحدة منها الاراضي  
الكائنة شرقي ربونورتي ومكسيكو الجديدة وكاليفورنيا الجديدة واعطتها في مقابلة  
ذلك ١٥ مليون ريال اميركاني

وسنة ١٨٦٠ ايضا كان جوارز رئيس الجمهورية اجهد بعض الاحزاب في  
اقامة سلطنة في المكسيك بدل الجمهورية ومن جرى ذلك وقع الاختلال في  
اطراف البلاد . ولما اشتد الحال انتخب له وزيرا من اهل الشرف والدرابة  
ليكون له معينا ومساعدنا على توطيد حكمه . ولكن اذ كانت الملكة يومئذ  
مديونة لانكلترا وفرنسا واسبانيا دينا باهظا وكان صندوق الجمهورية في عسر

وضرورة الحال تحتاج الى ملافاة الامر وتدييرما من شأنه ان يسكت طلبات اصحاب الديون لم يتمكن جوارز من نوال اريو بحيث امست الحكومة في هرج واضطراب حينئذ كتب جوارز الى الدول المذكورة يطلب منها مهلة ليتحقق مقدار الديون المطلوبة وهل في امكان الحكومة دفعها بالمفاضة ام لا الا ان هذا الطلب لم يناسب ارباب الدين وحسبوه من باب المحاولة . فتشبت حينئذ انكلترا وفرنسا واسبانيا على اجبار الحكومة لدفع الدين المذكور او انها تقدم لهم كفلاء مقتدرين في المال والشرف واذ كان الاوروبيون الفاطنون في المكسيك يتشكون من ظلم الحكومة وجورها في معاملتهم وكان لنابوليون الثالث مقصد سياسي في ابطال جمهورية المكسيك واقامة الامبراطورية فيها انفتحت فرنسا وانكلترا واسبانيا على ضرب المكسيك بينما كانت الولايات المتحدة مشتغلة في محاربة الجنوب . ولكن بعد قليل استصوبت انكلترا الانسحاب من ذلك الاتفاق وتبعها اسبانيا اما نابوليون فلم يشن عماً شرع به وارسل سنة ١٨٦١ العمارة البحرية مشحونة بالمهات والجيوش الفرنسية الى المكسيك تحت قيادة الجنرال بازين . فلم تنصر الالية الفرنسية كما كانت يظن ولم يستول الفرنسيون الا على بعض اساكل بحرية بعد خسائر جسيمة

فترتب حينئذ في المكسيك حكومة مؤقتة بدل الجمهورية . ثم اجتمع اشراف البلاد وعندوا مجلساً قرأهم فيه على وجوب اقامة سلطنة عوضاً عن مشيختهم . فوقع اختيارهم على الارشيدوك فرديند مكسيميليان شقيق امبراطور النمسا فارسلوا في ٣٠ نيسان سنة ١٨٦٣ سفيراً من طرفهم الى الارشيدوك المشار اليه يطلبون منه قبول هذا الانتخاب فامتنع اولاً ثم اجابهم الى ذلك وسافر مع زوجته الاميرة كارلوتة في بارجة نمساوية فوصلوا في ٢٨ ايار سنة ١٨٦٤ الى مينتا فيراكروز ومنها سافروا براً الى مدينة مكسيكو فاستقبلها الاهالي بالفرح والسرور ودخلا المدينة بموكب عظيم

وكان هذا الامبراطور متغافاً بجيمل الاخلاق فلما تقلد زمام السلطنة

اشتغل بتنظيمها وحسن ترتيبها فاصح قوانين الاحكام ونظم ادارة المالية وسياسة الملكية وبذل همة في كل ما ياول لخير البلاد وباشر بعمل طريق جديدة من مكسيكو الى مينا فيراكروز. ولكن مع كل هذه المشروعات لم تنجح مساعي في بلاد نظير هذه خالية من المبادي الاديبة والنظامات السياسية لكثرة تقلبات الاهالي وتخرباتهم. وكان جوارز لا يزال مجتهدا غاية الاجتهاد في ان يعيد نفسه ثانية الى رئاسة الجمهورية ولذلك لم يفتد طرفه عين من اثاره الفتن ونهيج الشعب على حرب الامبراطورية فانماز اليه جمهور غفير من الاهالي ومن جرى هذه الامور والحركات وقع الاخلال وتظاهرت الاحلاف واهست الامبراطورية في قلق واضطراب. فلما راي مكسيميليان تلك الاحوال والفلاقل تناضل بعزم ونشاط بمساعدة الساكر الفرنسية واستظهر على بعض المدائن العاصية بعد حروب شديدة. ولكن عند ذهاب الفرنسيين من مكسيكو سنة ١٨٤٦ ارسلت حكومة البلاد المتحدة الى جوارز رسولا من طرفها تعده بالمساعدة وتقره بالرياسة ان ثبت على عزمه فقوي بذلك ظهرا واشتد ساعده واشهر السلاح واجتمعت اهالي البلاد اليه من كل فج عميق

فاستعظم مكسيميليان هذا الامر وخاف من عواقبه ولذلك ارسل الامبراطورة الى اوروبا لتستعين بالدول الاوروبية على نجاحه من هذه الورطة. فانت اولاً فرانساً وبذات فيها غاية الجهد فلم تحصل على مرغوبها من نابوليون الثالث لان صوت الشعب كان ضده من جهة فتح هذه الحرب التي لم تورث فرانساً فخراً. ثم قصدت رومية واجتمعت بالبابا وطلبت منه المساعدة فلم تهتند شيئاً فضاقت عليها الدنيا بما رحبت ومن فرط همها وحزنها فقدت عنها وخابت مساعيها.

وكان مكسيميليان لما اشتد عليه الخطب وراى ان الامر لا ينتهي بدون حرب شديدة استعد للقتال وسار للملاقاة العدو ولقد كان نجيح وانتصر على خصمه لولا خيانة احد اركان حربه الذي اتفق مع الاعداء على مولاه وسله

لئلا اليهم فأخذ أسيراً وسقطت من ذلك اليوم الامبراطورية وعادت  
الجمهورية وسجن الامبراطور في صومعة في احد اديرة الكوشيين وكان محلاً قذراً  
فقاسى في مدة سجنه متاعب كثيرة . ولما يس من السلامة كتب الى اخيه  
الامبراطور فرنسيس يوسف والى انكلترا وفرنسا ورومية يعلمهم بواقعة الحال  
ويطلب منهم المساعدة بنجائه فبدلوا جميعاً مساعيتهم ادياً لتخليصه فلم يجد ذلك  
نفعاً . واخيراً حكم عليه بالقتل . وفي ١٩ حزيران سنة ١٨٦٧ قتلوه رمياً  
بالرصاصة مع اثنين من قواده في مدينة كوارترو . وبعد مكسيميليان عاد جوارز  
فاستولى رئاسة الجمهورية وبقي في الرياسة الى ان توفي سنة ١٨٧٣ فجأة . وكان  
هذا الرجل قبح الصوت كبير الراس قاسي القلب . وكان في اول امره مستخدماً  
عند احد المشرعين فتعلم عنده علم الشريعة حتى اتقنه وبهذه الوساطة ارتقى الى  
درجة القضاة في العاصمة . ثم سمي معاوناً لرئيس الجمهورية . وبعد هزيمة كومون  
فورت سنة ١٨٥٨ استلم رئاسة الجمهورية رغماً عن مقاوميه

## الانصل السابع

### في الكلام عن الهند الغربية

• اعلم ان الهند الغربية عبارة عن ارخيل يتضمن نحو ست مئة جزيرة  
كبيرة وصغيرة واقعة في النسيحة الكائنة بين اميركا الجنوبية واميركا الشمالية .  
ويقسمها الجغرافيون الى ثلاثة اقسام فيسمون الاول جزائر بهاما والثاني جزائر  
انتيل والثالث جزائر كاربي . وكثير من هذه الجزر لابل اغلبها وعرة صخرية  
خالية من السكان وما هو عامر منها هو في ايدي الاوروبيين ما عدا الجانب  
الغربي من سكان دومينكو فانه مستقل بذاته تحت حكم جمهورية هايتي . وهذا

بيان املاك الدول الاوروبية من جزائر الهند الغربية

الاملاك الاسبانية

كوبا . وپورتوريكو . والجاناب الشرقي من سان دومينكو وكل منها نحو علي عدة مدن ومقاطعات وعدد سكانها يبلغ نحو مليون وسبع مئة الف

الاملاك الانكليزية

جايكا . جزائر بهاما . جزائر قرجيف . باربودا . ماركرستوفر . انتيكوا . موتسيرات . دوالينيكا . مارلوسيا . مارفنسان . باربادوس . غرينادا . توباغو . ترينيداد وغيرها . وعدد سكانها يبلغ نحو ٩٥٠ الفاً

الاملاك الفرنسية

كواديلوب . ومارتينيك وملحقاتها . وعدد سكانها ٢٩٢ الفاً

الاملاك الفنلندية

كوراسوا . بونير . وآروبا وغيرها . وعدد سكانها نحو ٢٣ الفاً

الاملاك الدنماركية

سان توماس . ساتاكروز . سان جان . وعدد سكانها نحو اربعين الفاً

املاك اسوج وزوج

سان بورتولوميد وفيها ٢٠٠٠ من السكان

واغلب سكان هذه الجزر هم من جنس العبيد الذين اتى بهم الاوروبيون من افريقية لاجل خدمة الارض ومزروعاتها . ومع ان الدولة الانكليزية اطلت الاتجار بالعبيد في سائر املاكها بعد ان حررت ما كان منهم تحت تسلط رعاياها وسعت في اقتياد باقي الدول الى هذا الفعل الجميل لم يزل في هذه الجزائر وفي اماكن من اميركا الجنوبية عدد كبير منهم في حالة الاسر بايدي الاوروبيين يستخدمونهم في حراثة الارض وزراعتها ويعاملونهم معاملة القسوة التي يفر منها

الطبع البشري



اما هواء هذه الجزر فهو حارٌ جداً حتى ان فصول السنة فيها تعدّ كما يام  
الصيف وذلك لعدم وقوع الثلج والمطر . وترتبتها جيدة بهذا المقدار بحيث ان  
اشجارها لا تعري وثمارها لا تنقطع . ومن نتائجها قصب السكر ويستخرجون منه  
السكر والدبس ثم اللبن والقطن والنبيلة والتبغ والجزر الهندي والليمون  
والبردقان والكباد والتين والموز والصنوبر وجوز الطيب والفلفل وانواع  
كثيرة من البهار اخصها القانيل المعروف بالخزروب الاميركاني يستعملونه كثيراً  
في الحلويات الافرنجية لرائحتها وغير ذلك من الاشجار والنباتات التي لا يسعنا  
ذكرها . وفي بعض هذه الجزر شجر الخبز وثمارها اشبه بالخبز وهي من المغذيات  
القوية . وفي احراشها كثير من الاخشاب المتنوعة الاجناس منها ذات  
قيمة كالخشب المعروف بالماهوكاني . وفيها اجناس من الطيور الظريفة وانواع  
من القروذ والافاعي المضرة . ويكثر فيها الضب بحيث شوهد منه ما طوله  
ذراعان ونصف

وهذه الجزائر هي التي جاء اليها كولمبوس اولاً فان اول جزيرة اكتشفها هي  
ما ساء سان سلفادور المسماة الآن جزيرة كات ثم كوبا وسان دومينكو . وقد  
ذكرنا كيف استولى الاسبانيول على اعظم هذه الجزائر وكيف كانت معاملتهم  
للأهالي والفساوة التي اجروها في هلاكهم بحيث لم يبق اليوم اثر لسكانها  
الأصليين . اما جمهورية هايتي فهي في القسم الغربي من جزيرة سان دومينكو  
وهذه الجزيرة هي من اكتشافات كولمبوس في سفرته الاولى . وكان الأهالي  
يدعونها هايتي . اما الاسبانيوليون فدعوها اسبانيولا كما تقدم وبقيت تحت  
نصرف احكامهم زمناً طويلاً الى ان اتى الفرنسيون واستولوا على القسم الغربي  
منها فكانت الجزيرة بالاشتراك بين الامتين . وفي سنة ١٨٠٠ كان قد كثر  
عدد العبيد في تلك الجزيرة وقوية شوكتهم على ساداتهم فتمضوا لمقاومتهم  
واستخلصوا من ايديهم الجزيرة . فأرسلت فرانساً ٢٠ الف مقاتل لمحربهم وقتلهم  
ووقع بينهم عدة حروب تردد النصر فيها بين الطرفين وانتهى الحال بانتصار

العبيد على الفرنسيين وساعدهم على ذلك وقوع الحميات الخبيثة في جيوش  
الفرنساويين من الجهة الواحدة ومحاصرة الانكليز لراكيهم من الجهة الثانية فالتم  
ما بقي من الفرنسيين ان يسلاموا انفسهم الى العارة الانكليزية في ٣٠ ت  
سنة ١٨٠٢ بعد ان قتل الاهالي منهم ومن الاسبانيولين عدداً غفيراً . وحينئذ  
استغل العبيد بانفسهم واقاموا عليهم ملكاً ونظموا لانفسهم قوانين واحكاماً . ثم  
تبدلت تلك الترتيبات بجمهورية . وهم الآن في تقدم ونجاح وكثيرون منهم من  
ذوي الادراك والبصيرة . والزراعة عندهم نامية والتجرفي تقدم عظيم . اما عدد  
سكان هذه الجمهورية فيبلغ ٥٧٢ ألفاً

واما القسم الشرقي من سان دومينكو فسكانه من الاسبانيولين وبينهم  
كثيرون من العبيد . ففي سنة ١٨٢١ نهض العبيد على الحكومة طالبين  
الاستقلالية ولقبوا البلاد تحت اسم جمهورية هايتي الاسبانيولية . ولكن اذ لم يكن  
هذا المشروع مقبولاً عند الجميع وكان العبيد والجنس المختلط يرغبون الانضمام  
الى جمهورية هايتي المتقدم ذكرها نهض الهايتيون لضرب الاسبانيولين فقبلوا  
حكومتهم الجديدة واخضعوهم وضموا الجزيرة كلها تحت حكم واحد مدة ٢١ سنة .  
ولكن لم يكن هذا الاتحاد اتحاداً مخلصاً فانه في سنة ١٨٦٤ نهض الاسبانيوليون  
وخلعوا عنهم طاعة جمهورية هايتي وقاموهم واسترجعوا استقلاليتهم ولم يدعوا  
ان يستأكروا عليهم مرة ثانية . وبعد ان نجح الاسبانيولين في ردع اعدائهم لقبوا  
حكومتهم بجمهورية دومينكا واقترنت لهم فيها انكلترا وفرنسا ودينبارك واجرت  
معهم عهداً . ولكن سنة ١٨٦١ بعد ان جرب الاهالي حكم هذه الجمهورية مدة  
١٧ سنة التمسوا من اسبانيا ان تسترجع زمام احكامها فضمنها اليها وهي الآن في  
يدها ونحسب من املاكها وملحقاتها الخارجية

## الفصل الثامن

### في اميركا الوسطى

ان اميركا الوسطى هي الاراضي الواقعة في اواسط القارة بين قسميها الكبيرين مجدها شمالاً مكسيكو وخليج مكسيكو . وشرقاً بحر كاريبيان . وجنوباً اميركا الجنوبية . وغرباً الاوقيانوس الباسيفيكي . ومركزها اشبه بمركز استوائي متصل بجميع اطراف العالم لانها فضلاً عن انها توصل اميركا الشمالية باميركا الجنوبية موافقاً مفتوحة لاوروبا وافريقية من جهة الشرق ولاسيا وجزائر المحيط من جهة الغرب كما ترى بالامعان الى الخارطة

وتضمن هذه البلاد ما يتضمنه غيرها من الجبال المرتفعة والانهر والبحيرات الكبيرة . وهوائها على الاغلب جيد مع انه كثير التغير . واهلها يتقنون الزراعة احسن اتقان لان باقي الصنائع مهلة عندهم وليس لهم معول الا على محصولات الارض . اما الديانة العامة فيها فهي الرومانية ووسائل التعليم والتنوير منحصرة في بعض المدن الكبيرة فقط فلا يقال الا انها قليلة وتنقسم هذه البلاد الى خمسة اقسام كبرى وهي

عدد السكان بوجه التقريب

١٠٠٠٠٠٠	كولومبيا
٥٠٠٠٠٠	سان سلفادور
٢٥٠٠٠٠	هندوراس
٢٥٠٠٠٠	نيكاداغوا
١٥٠٠٠٠	كوستاريكا
٢٦٥٠٠٠٠	المجموع

وأكثر هؤلاء السكان هم من الهنود الاصليين ومن اجناس مختلطة واما الجنس الابيض فهو قليل بينهم لا يزيد عن ستة في المئة ولكل من الاقسام المذكورة بلاد وارض واسعة واحكام مستقلة من نوع المحكم الجمهوري له رئيس ومجالس ونظامات تقارب بعضها البعض في الترتيب والاصطلاح . ولكل منها ايضا قوات عسكرية ونظامات سياسية ومعاملات وعلاقات خارجية ومتجر متوسط ولععض الدول الاجنبية وكلاء وقناصل في هذه الاقاليم

وكانت هذه البلاد قديماً عقب اكتشافها تحت تسلط دولة اسبانيا ولكنها انسلخت عنها واستقلت بذاتها كما استقلت باقي البلاد وانفرد اهله الاسبانيون عن طاعة الدولة ونظروا لهم فيها روابط وضوابط جمهورية سالكين بقتضاها . وليس لهذه البلاد حوادث تاريخية مهمة تستحق الذكر وجل القصد في التكلم عنها انما هو لاجل معرفة وجودها ومركزها وبيان عدد اهله واحوالها تنميماً للفائدة

## الفصل التاسع

في الكلام عن اشهر اقسام اميركا الجنوبية

### الباب الاول

في وصف اميركا الجنوبية وتعداد بلادها

ان اميركا الجنوبية مجدها شمالاً بحر كاريبيان وشرقاً المحيط الاندلسي وغرباً المحيط الباسيفيكي وتضمن ما تضمنه باقي القارات من الجبال والسهول والانهر والحيوانات . وهي متسعة الاراضي تقارب مساحتها القسم الشمالي من هذه القارة ولكنها كثيرة الاحراش قليلة السكان لا يزيد عدد اهلها عن ٢١ مليوناً من الشعوب والقبائل المختلفة هذا عدا الهنود الذين الى الآن لم يتدنوا ولم يزالوا في حالة التوحش يجولون بين براريها وصحاريها لانه لا يعلم حقيقة عددهم ولكن بحسب الارحجية يبلغون مليون نسمة

، اما الجنس السائر بين شعوب اميركا الجنوبية فهو الجنس الابيض الآتي من اوروبا عقب الاكتشاف والجنس المختلط اي الذي اختلط معه الاوروبيون بواسطة الزواج . واما السكان الاصليون فليس لهم شيء من السيادة والتسلط . وقد ذكرنا في بدلة القسم الرابع عند الكلام عن جغرافية هذه القارة ان في اميركا الجنوبية اثنتي عشرة دولة منها سلطنة برازيل والبقية جمهوريات صغيرة واذ كان لا يهم التكم عن كل واحدة من تلك الجمهوريات اقتصرنا على ذكر

بعضهن مكنفين بوضع الجدول الآتي ليعلم منه اسماء تلك الجمهوريات وقصباتها وعدد شعوبها كما ترى

اسم المملكة	عدد الشعب بوجه التقريب	اسم العاصمة	عدد سكان العاصمة
سلطنة برازيل	٨ ٠٠٠ ٠٠٠	ريوجنيرو	٢٠٠٠٠٠
بلاد كولومبيا المتحدة (نيو غرانادا)	٢ ٥٠٠ ٠٠٠	بوكوتا	٥٠٠٠٠
جمهورية ايكوادور	١ ٢٠٠ ٠٠٠	كويتو	٨٠٠٠٠
" قنزويلا	١ ٥٦٥ ٠٠٠	كاراكاس	٦٠٠٠٠
" كوابانا (١)	٢٥٠ ٠٠٠	جورج تاون	٢٥٠٠٠
" بوليفيا	١ ٨٠٠ ٠٠٠	سوكرا	٢٥٠٠٠
" بيرو	٢ ٢٥٠ ٠٠٠	ليما	١٢٠٠٠٠
" شيلي	١ ٦٠٠ ٠٠٠	سانتياغو	٨٠٠٠٠
" الاتحاد الارجنتيني بما فيه بلاد بوينس ايريس	١ ٢٠٠ ٠٠٠	بوينس ايريس	١٠١٠٠٠
" باراكواي	١ ٢٥٠ ٠٠٠	اسونسيون	٤٨٠٠٠
" اوركواي	٢٤٠ ٠٠٠	مونتيفيديو	٢٨٠٠٠
" پاتاكونيا شرقي جبال انديس			

١ تنقسم كوابانا الى ثلاثة اقسام . الاول وهو الاكبر تحت تسلط الانكليز . والثاني مختص بالفلمنكيين ومحكمة وال منهم . واما الثالث فينتع فرانسا ومحكمة مجلس بلدي تنقده الاهالي

## الباب الثاني

### في جمهورية كولومبيا

إن جمهورية كولومبيا المتحدة المعروفة سابقاً باسم نيوغرانادا أي غرناطة الجديدة هي بلاد متسعة ذات اراضٍ فسحة معظم طولها من الشمال الى الجنوب الف ميل ومن الشرق الى الغرب سبع مئة وستون ميلاً يتبعها عدة جزر صغيرة وخليجان ظريفة ويخترقها جملة جبال وانهر وبحيرات كبيرة وعدد اهلهما نحو مليونين ونصف من اجناسٍ مختلفة وفيها نحو مئة وعشرين ألفاً من الهنود الاصليين في حالة التوحش والتبرر منتشرين في اطراف البلاد وصحاريها لم يدخلوا في المدن والطاعة . وما يستحق الذكر هو انه سنة ١٨١٠ لم يكن عدد اهالي هذه البلاد اكثر من ثمان مئة الف نسمة فقط . فتكون هذه الزيادة قد تمت في ظرف ستين سنة وهذا ما يدل على حسن البلاد ووجود ما يجذب الناس اليها . ويتنظم في سلك هذه الجمهورية ثمانية اقاليم او ايالات مستقلة باحكامها واعمالها ولكنها مرتبطة بعضها ببعض بارتباطٍ عام كارتباط البلاد المتحدة الاميركانية . فكل ولاية من الولايات المذكورة ترسل كل سنة ثلاثة نواب من طرفها فيجتمعون في مدينة بوكوتا العاصمة للمفاوضة والملاولة في الاصلاحات والترائب اللازمة . اما رئيس الجمهورية فيكون انتخاباً باكثرية الصوت على ست سنوات عوض الاربع اما الديانة العامة في كولومبيا فهي الرومانية ولكنه ليس للعب الروماني تسلط على اعمال تلك الكنائس لانها غير خاضعة له والذي يسوسها ويدبر امورها الدينية رئيس اساقفة مدينة بوكوتا . ولم يلتفت في السابق الى تقدم العلوم ومهذب الاهالي في هذه المملكة ولما الان فقد تحسنت احوالهم وتقدموا كثيراً في

المعارف وانواع الفنون نظراً لرغبتهم واهتمامهم وعندهم جملة مدارس بسيطة وكثيرة لتعليم الصنائع المختلفة وباقي العلوم . ويوجد في العاصمة مرصد فلكي لا يوجد له مثيل في العالم في الاثقان والارتفاع . اما تجارة هذه البلاد فلا تذكر لان مكاف الاهالي على الزراعة والصناعة غير المتفتحين ايضاً كما يجب

واول من اكتشف نيوغرانادا كولبوس في سفرته الثالثة والرابعة فسكنها الاسبانوليون تحت احكام مختلفة ولكنه اخيراً اقيم فيها حكمدارية عمومية سنة ١١٢٢ . وكانت اراضيها تمتد على كل ما يعرف اليوم تحت اسم جمهورية بلاد كولومبيا وجمهورية ايكوادور . وفي سنة ١٨١٠ خلع اهله طاعة الحكومة الاسبانية وجاهروا بالعصيان ودامت الحرب بين الطرفين الى سنة ١٨٢٤ حينما اتصر الاهالي ولم يبق للعساكر الملكية سبيل للدفاع . وكان مقدم هذه الثورة ورئيسها رجل يقال له بوليفار كان قد اثار بانحاده فنزويلا مع نيوغرانادا وايكوادور فاستحسن الاهالي رايه وامتصوبوه واتحدوا جميعاً وتلقبت الجمهوريات الثلاث بجمهورية كولومبيا . ولكن لم يدم ذلك الاتحاد اكثر من عشر سنين حتى انححل وانسحبت فنزويلا سنة ١٨٣٠ وتبعته ايكوادور وبقيت نيوغرانادا منفردة وحدها مع ولاياتها التابعة لها الى سنة ١٨٦١ حين تحولت تلك الولايات الى بلدان مستقلة وعقدت تحالفاً واتحاداً عاماً تحت اسم بلاد كولومبيا المتحدة

## الباب الثالث

### في سلطنة برازيل

ان هذه البلاد هي اعظم اقسام اميركا الجنوبية واكبر من البلاد المتحدة مساحةً غير ان جانباً عظيماً منها براري واسعة واحراش فسيحة خالية من الانيس



والجليس وعدد اهلها ثمانية ملايين والبعض يبالغون في عددهم ويجعلونهم احد عشر مليوناً. وبينهم قبائل هنود متوحشة وكثيرون من العبيد يستخدمهم الاهالي غالباً في الزراعة وفي التناط حجر الماس والياقوت الاصفر من بين رمال انهرها لان هذين المعدنين كثيرا الوجود في تلك البلاد والذهب والفضة لا يتقصان ايضاً. اما الزراعة فقلما يعتني الاهالي بها. وبين احراشها كثير من الاشجار التي لا توجد في غيرها الا نادراً كشجر صمغ المرن والماهوكاني والشوكولانا. اما تجارها فاغلبها بيد الاجانب. ومن محاصيلها التي ترسل الى الخارج البن والسكر والقطن والخشب والصمغ والماس والياقوت الاصفر. والحكم فيها من نوع الملكي المفيد والديانة الغالبة اللاتينية وعاصمة المملكة مدينة ريو جنيرو واهلها نحو ثلاث مئة الف نفس

اما تاريخ هذه المملكة فحديث كما لا يخفى واول من اكتشفها رجل اسبانيولي يسي ينسون ولكنه نسب اكتشافها الى رجل بورتوغالي يقال له كابرال ذهب اليها سنة ١٥٠٠ فجال في اراضيها وتوغل في صحاريها وقدم عنها شرحاً مطولاً لم يكن معروفاً عند احد من الناس. ولم يكن للبورتوغاليين في اول الامر ادنى رغبة ولا اعتناء في برازيل ولم يقصدها احد من الناس الا من كان مجرماً فينفيه الحكم اليها وكان يحسب مفقوداً. سنة ١٥٤٨ نفي الى برازيل جمهور من اليهود فاخذوا يزرعون قصب السكر ونجحوا فيه فصارت توارد اليها الناس وتقيم فيها. ولما راي ملك البورتوغال ان البلاد في تقدم ونجاح اراد ان يشترك في مكاسبها وياخذ ما نابه من ايراداتها فارسل حاكماً من طرفه ليحكم البلاد ويضرب على اهلها المال. ولما تمكنت احكام البورتوغاليين فيها حسدهم عليها الانكليز والفرنساويون والفلنكيون والاسبانيوليون وسعوا في استخلاص البلاد منهم فلم يتمكنوا من ذلك لان ماملة البورتوغاليين للاهالي كانت حسنة فكانوا يملون اليهم. ومع ان الفلنكيين كانوا قد استولوا على اكثر اطراف البلاد طردهم الاهالي منها واخذ البورتوغاليون مكانهم

ولما هاجم الفرنسيون مملكة البورتوغال في أوروبا سنة ١٠٠٨ هرب ملكها يوحنا السادس الى برازيل واقام فيها ولم تكن بعد تدعى مملكة . وعند ما سقط نابوليون الاول لقب يوحنا المذكور نفسه ملك بورتوغال و برازيل وبقي مقيماً هناك الى سنة ١٨٢١ حينما حدثت الثورة في مملكته في أوروبا فالتزم ان يذهب الى ليسبون وترك ابنه دون بدرو نائباً مكانه . ففي سنة ١٨٢٢ طلب شعب برازيل تحرير البلاد وانفصالها عن بورتوغال فانفصلت ونودي باسم دون بدرو المذكور امبراطوراً واقر له الجميع في ذلك . ولما كانت سنة ١٨٢١ اذ لم يكن الشعب مرتضياً من سياسة امبراطورهم تنازل دون بدرو عن تاج السلطنة لابنه واصغر سنه اقيم له وكلاء الى سنة ١٨٤٠ حين نودي بامبراطورته تحت اسم بدرو الثاني وهو المستولي الآن . وقد ابطل مؤخراً الحكم البرازيلي التجارة بالعبيد من بلاده على انه لم يزل يوجد من يتعاطاها اما سرا او بوجه آخر

## الباب الرابع

### بلاد بيدرو

اما بلاد بيدرو فيجدها شمالاً جمهورية ايكوادور و برازيل و شرقاً بوليفيا و برازيل ايضاً و جنوباً احدى ولايات بوليفيا و غرباً المحيط الباسيفيكي . وهي واسعة الاقطار كثيرة الجبال والانهار وعدد سكانها نحو مليونين ونصف ثلثهم من الهنود والثلث من اصل اوروبي والبقية من جنس مختلط وما عدا هؤلاء يوجد بعض العبيد في السواحل البحرية . وقصبة هذه المملكة مدينة ليا واهلها نحو مئة الف نسمة . وتكثر في هذه البلاد معادن الفضة والذهب والنحاس ولا سيما

الفضة فاة من سنة ١٦٣٠ الى الان بلغ قيمة ما استخرج منه ١٥٠٠ مليون ريال .  
 اما الزراعة فيها فقلما تذكر وترتبتها تحتاج الى اعاب جزيلة واخص 'محصولاتها'  
 السكر والارز والصوف والجلد وبعض اصناف طيبة تخرج برسم التجارة . اما  
 نظام الاحكام فهو على النسق الجمهوري والرئيس يُنتخب على ست سنوات . وقوتها  
 البرية ١٢٠٠٠ جندي والبحرية ١٤ مركباً تحمل ٧٤ مدفعاً . والديانة الغالبة فيها  
 اللاتينية ووسائط التنوير في داخلتها قليلة .

اما تاريخ هذه البلاد فيبتدئ منذ اكتشافها فرنسيس پيزارو سنة ١٥٢١  
 وهذا الرجل من جملة قواد الاسبانويين الذين ذهبوا الى الهند الغربية . وكان  
 في اثناء اقامته هناك قد حصل على بعض معلومات من جهة هذه المملكة فرجع  
 الى اسبانيا ليطلب الرخصة والوسائط لافتتاح تلك البلاد فاذنت له الحكومة  
 في ذلك ومدته كورتيز الذي اكتشف مكسيكو بمبلغ من المال ليستعين به على  
 انمام تجهيزاته . فجهز ثلاث سفن صغيرة وجند مئة وثمانين رجلاً وسافر بهم مع  
 رفيق له يدعى الماكرو . فلما وصل الى پيرو راى تمدن الاهالي وحالتهم العمومية  
 ليست باحسن حالة من حالة ادالي مكسيكو وراى بينهم اشتقاقاً فانهم كانوا  
 منقسمين الى حزبين احدهما مع الملك المستولي والثاني ضده وكانت الحرب قائمة  
 بينها . فسر پيزارو من تلك الحالة واظهر بانه يريد الانضمام الى حزب الملك  
 ويعينه على قتال عدوه فقبله الملك وترحب به الجميع وبهذه الوسيلة دخل مع  
 جماعته الى داخل البلاد فصادف حسن الاستقبال ويزيد اللطف والاکرام  
 من الاهالي . ولما تمكن منهم وعرف حقيقة احوالهم غدر بهم فقاتلهم واسر ملكهم  
 وكان اسمه اناباليبا فعرض عليه الملك مبلغاً وافراً من المال ليعتقه من الاسر  
 فاخذ منه الفدية ثم غدر به وقتله وحارب الاهالي فاخضعهم وجار عليهم جوراً  
 عنيفاً . وسنة ١٥٤١ وقع الخصام بين پيزارو ورفيقه الماكرو المذكور افضى بهما  
 الى القتال فانقسم العسكر بين الاثنين وجرى بينها عدة وقائع كانت اللائرة بها  
 على الماكرو فقبض عليه پيزارو وقتله . ولكن لم تذهب تلك المعاملة بدون

مجازاة فانه بعد تلك الحادثة ببرمة قصيرة اخذ ابن الماكرو بثار ايو اذ وثب على بينارو وقتله

واستمرت بلاد بيرو تحت تسلط الحكومة الاسبانيولية نحو ثلاث مئة سنة وكانت نامية وماجحة اكثر من باقي البلاد الكائنة في اميركا الجنوبية ولم تنفصل عنها الا سنة ١٨٢١ وذلك بمساعدة جمهوريتي شيلي وويونس آبريس فانها ارسلنا عسكرياً الى تلك البلاد تحت قيادة الجنرال سان مرتين فخارب الاسبانيولين وهزمهم ونودي باستقلالية بيرو في ٢٨ تموز من السنة المذكورة . واذ لم يرضخ الاسبانيوليون الى ذلك دام القتال بين الفريقين الى سنة ١٨٢٤ حين حدثت واقعة اياكوشو فانتهت النزاع باستقلال البلاد استقلالاً تاماً وبابعاد الاسبانيولين ابعاداً نهائياً

وسنة ١٨٢٦ وقع بين الحكومة والاهالي خصام ونزاع فاستعانت الحكومة بجمهورية بوليفيا التي في جوارها فانها سانشاكروز رئيس الجمهورية المذكورة بحيث من الجنود وضرب العصاة فادخلهم تحت الطاعة . ثم قسم بيرو الى قسمين شمالي وحتوي وضمها الى بوليفيا واقام ذاته محامياً لها . غير انه في سنة ١٨٢٩ طرد المذكور من بيرو وبطلت المعاهدة السالف ذكرها ورجعت كل دوائره من بيرو وبوليفيا الى حدودها الاصلية ونظامها الاول ومع كل ذلك لم تتوطد الراحة التامة في بيرو . وكثيراً ما يتنازعون الرياسة والاحكام الى الان بحيث لم يوجد رئيس من روسائهم من اكمل مدة احكامه المعينة على التمام بل خلع الجميع عن كراسهم بدون استثناء قبل نهاية ايامهم . ولكن هذه المنازعات لم تمتد في كل البلاد بل هي منحصره في العاصمة فقط واحياناً في جوارها

# القسم الخامس

في اوسيانيكيا او اوسيانيا

ان هذا القسم يشتمل على عدد وافر من الجزر الكائنة في المحيط الباسيفيكي والمحيط الهندي قد اكتشفها الناس في اوقات مختلفة بعد اكتشاف قارة اميركا ولذلك يجوز تسميتها بالعالم الجديد . وقد سمت اوسيانيا او اوقيانيا نسبة الى الاوقيانوس المحيط بها . وهي جزائر كثيرة متفرقة في اماكن مختلفة لو التصفت بعضها ببعض لبلغت مساحتها بين اربعة او خمسة ملايين من الاميال المربعة . اما عدد اهلها فتمانية وعشرون مليوناً من شعوب وقبائل متنوعة الاجناس كثير منها تحت تسلط الاوروبيين . وتنقسم هذه الجزر الى ثلاثة اقسام كبرى الاول يقال له ماليزيا والثاني اوسترالازيا والثالث بولينيزيا وستكلم عن كل منها على حدة

## الفصل الاول

في الكلام على ماليزيا

ان ماليزيا او الارخبيل الماليزي اسم يُطلق على عدة جزائر كبيرة في بحر

الهند بالقرب من قارة اسيا دُعيت بهذا الاسم نسبةً الى اهلها فانهم من جنس ماليزي او ماليكازي نظير اكثر سكان جزيرة مداكسكو وهذا الجنس هو فرع من العائلة المغولية . واذ لم يكن للاهالي قيدٌ لتسجيل حوادثهم الماضية فلا يقدر احد ان يهتدي الى معرفة احوالهم وحوادثهم السابقة الا من زمن الاكتشاف فقط . ويحتوي هذا القسم على عدة جزائر كبيرة تستحق الاعتبار . منها بورنيو وهي اعظم جزيرة في العالم بعد اومتراليا تبلغ مساحتها نحو ٢٣٠ الف ميل مربع يخترقها سلسلة جبال من الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي يحدُّ منها جملة بنايع فتتكون منها انهر كبيرة . ويكثر بين معادنها الماس والذهب وقد وجد مرةً بين صخورها حجرٌ من الماس بلغ وزنه ٢٦٧ قيراطاً . وما عدا ذلك يوجد في اراضيها النخس الحجري والحديد والحاس والتصدير واللاتيمون . اما هواه هذه الجزيرة فخارٌ لوقوعها تحت خط الاستواء . ومن حواصلها جوز الهند وقصب السكر وجنس من جوز الطيب لا رائحة له وجنس من الفرفة وشجر صمغ المرن وغير ذلك . ومن حيواناتها اجناسٌ من القرود والسعادين قلما توجد في غيرها ثم النمر الكاسر وجنس غريب من الخنزير قبيح المنظر ذو لحية كبيرة ثم الجاموس البري واجناس من الابل . وهذه الجزيرة تحت تسلط الفلمنكيين وعدد اهلها نحو مليونين ونصف وهم اجناسٌ مختلفة ينقسمون الى عدة قبائل يتراأس عليها شيوخها وبينهم مئة واربعون الفاً من الصينيين

ومن جزائر ماليزيا ايضاً سوماترا وهي تقارب بورنيو في الكبر والاتساع ولكنها اكثر منها سكاناً فان عدد اهلها يبلغ اربعة ملايين ونصفاً تقريباً منها ثلاثة ملايين ونصف تحت حكم الفلمنكيين والباقي مستقلٌ بذاته . ولكن عين دولة هولاندا ما زالت منجبهة نحو امتلاك كل الجزيرة وقد وصلت غزواتها الى جوار مدينة انشيت واستولت على جميع الاساكن البحرية . طاما الديانة العامة بين السوماتريين فهي الاسلامية واللغة الخارجة الماليزية ومع ان التقدم بينهم في تاخر والتهديب يكاد يكون مفقوداً فهم على جانب عظيم من الانس والالطف يحبون

السلام ويتجنبون الاذية والضرر. واما هواؤها فلا يختلف عن هواء جزيرة بورنيو لانها واقعة تحت خط الاستواء نظيرها. ومن محصولاتها الارز وجوز الهند وقصب السكر والذرة والفلفل والكافور والقطن وشجر القنب وفيها من الحيوانات الفيل والنمر وخنس من الدب الاسود والاييل واجناس من القرود الغربية الشكل والاسم وفيها ايضاً الكسلان والفرقدان والظربان وحيوان الزبد والارمدبل والتمساح. ومن اشهر طيورها الطايروس ومن زحافاتهما الافعى المعروف بالبول والحرياء الشابة ويكثر فيها النحل بحيث يحسب العسل والشمع من جملة صادراتها. ومن معادنها الذهب والنحاس والحديد والكبريت والظرون وفيها عدة بنايع معدنية ويتبع جزيرة سوماترا عدة جزر صغيرة مجاورة لها يبلغ عدد اهلها نحو خمس مئة الف نسمة

ومن جزر هذا القسم ايضاً جزيرة جافا وهي اعمرهن ارضاً واكثرهن سكاناً واعظمهن متجراً اكتشفها البورتوغاليون سنة ١٥١٠ واخذ الهولنديون بعد ذلك في امتلاكها وهي من جملة املاكهم الشرقية الى هذا اليوم. وكان قد استولى عليها الانكليز سنة ١٨١١ ولكنهم ارجعوها لاصحابها بعد ان بقيت في ايديهم مدة خمس سنين. اما عدد سكان هذه الجزيرة فليس اقل من ١٤ مليوناً واغلبهم من العائلة الماليكازية ولكنهم يفوقون عليهم معرفة وتمدناً ولهم اليد الطولى في اتقان الزراعة وبعض الصنائع كصناعة التجارة والصباغة والدباغة والغزل وغيرها. ومن اشهر محصولاتها الارز والبن والسكر والتبغ والقرقة والفلفل والشاي. واكثر تجارة الامالي في اوروبا هي مع هولاندا وانكلترا. وعاصمة هذه الجزيرة وباقي املاك الفلنك في الشرق مدينة بانافيا وهي مركز الحكومة ومحل اقامة الوالي وعدد سكانها بحسب تعديل سنة ١٧٨٠ بلغ ١٦٠ الفاً واما الآن فلا يزيد عن ١٢٠ الفاً وسبب هذا النقصان هو مهاجرة الاجانب وعدم رغبتهم في الاستيطان فيها لرداءة هوائها لانها مبنية عند مصب نهر جوكاترا على ارض منخفضة ويخرقها مياه كثيرة فيجث فيها حميات خبيثة قاتلة بحيث شوهد احياناً ان بعض

المراكب الراقية في مينائها فقدت كل رجالها بسبب الامراض المذكورة  
ثم يتبع هنا القسم من اوسيانيكيا جزائر الفيليبين الواقعة شمالي الارخبيل  
يبلغ عددها على الاقل ١٢٠٠ ما بين كبيرة وصغيرة وعدد سكانها نحو خمسة  
ملايين وهي تحت تسلط الاسبانوليين الذين اكتشفوها سنة ١٥٢٠ واستوطنوها  
وتحسب من افضل املاكهم الخارجية واحسنها نظراً لحصص اراضيها وكثرة  
محاصيلها ولا حاجة الى وصف هوائها وتعداد اجناس حيواناتها ومتوجاتها لانها  
لا تختلف عن باقي الجزائر التي ذكرناها . اما سكانها فاجناس مختلفة منهم مليون  
نفس من الجنس الببوايني و ٢٧٠٠٠٠٠٠ من الهنود الماليزيين و ٥٥٠٠٠٠ من  
الصينيين و ٢٤٥٠٠٠٠ من الجنس الابيض والديانة العامة بينهم الرومانية . ولم  
اليد الطولى في اصطناع بعض الاقمشة الرفيعة والحصر والبرانيط والسيكارات  
النفيسة المعروفة بسيكارات منبلاً وهو اسم لمعاصمة جزائر الفيليبين ومركز  
الولاية الاسبانولية . ويتبع اوسيانيكيا ايضاً سيليب وهي جزيرة كبيرة تحت تسلط  
الفلنك يبلغ عدد اهليها ٢٥٠ الفاً وكثير غيرها اقتصرنا عن ذكرها خوف  
الاطالة والملل

## الفصل الثاني

### في اوسترا ليزيا

ان القسم الثاني من اوسيانيكيا يدعى اوسترا ليزيا وهو يتضمن اوستراليا  
وتزمانيا اي ارض فانديمان وغينيا الجديدة وزيلاندا الجديدة . واذ كانت  
اوستراليا من اعظم جزائر هذا القسم واشهرهن راينا ان نوجه اكثر كلامنا اليها  
فنقول



ان أستراليا وتعرف أيضاً باسم هولاندا الجديدة هي اعظم جزيرة في العالم  
ولذلك يسوغ ان تعد من جملة القارات نظراً لاتساعها فان مساحتها نحو  
ثلاثة ملايين من الاميال المربعة وذلك اكثر من ثلاثة ارباع مساحة قارة  
اوروبا . وموقعها بين بحر الهند والمحيط الباسيفيكي وعدد اهلها بحسب التعداد  
الاخير بنوف عن مليون ونصف وهي تحت تسلط دواة انكلترا . وتنقسم هذه  
الجزيرة الى ستة اقسام كبرى وهي ويلس الجنوبية الجديدة وفيكتوريا وكوينسلاند  
واستراليا الجنوبية واستراليا الشمالية واستراليا الغربية ولكل من هذه الاقسام  
والخاصة وحكومة خاصة من طرف الدولة الانكليزية

وأول من اكتشف أستراليا الفلمنكيون سنة ١٦١٠ ولم تملكها الانكليز  
حتى سنة ١٧٧٠ بواسطة القبطان جيمس كوك الساحح الشهير الذي جال بين  
شواطئها الشرقية وكثيرة ما وجد فيها من النباتات الخنيفة دعاها بوتاني باي  
اي بوغاز النبات ولكن تحول ذلك الامم فيما بعد الى ويلس الجنوبية الجديدة .  
وكانت الانكليز ترسل اليها في اول الامر على سبيل النفي والقصاص كل  
المدنيين والمجرمين فجمع فيها في وقت قصير عدد كبير من اوباش الانكليز  
وصعاليهم فكانوا يتعيشون بواسطة فلاحه الارض ومتوجاتها . ومع توالي الايام  
وتردد الناس اليها سواء كان على سبيل النفي ام على سبيل الاستيطان الاختياري  
نوا وكثروا واستولوا على جميع اطراف الجزيرة واخضعوا الاهالي الاصليين . ثم  
اخذت الحكومة الانكليزية تعني في ترقية اسباب التندم واصلاح سيرة القوم  
فأسست بينهم المعامل والمدارس واقامت المستشفيات والبيمارستانات وانشأت  
الترع والجسور والطرق الحديدية حتى صارت بلاداً زاهية لا يأنف الاجانب  
ان يسكنوها . اما المدارس فيها فليست باقل من ٢٠٠٠ مدرسة بين كلية  
وبسيطة والحكومة تدفع لهذه المدارس مبالغ جسيمة في كل سنة على سبيل الاعانة  
اما هواه هذه الجزيرة فبالاجمال معتدل ومياها قليلة وليس فيها من  
الانهر الكبيرة الا قليلاً . واما تربتها فهي عديمة الخصب وثلاثها سباخ لا يصلح

الألمري ولا يُرجى اصلاحه للزراعة اصلاً ولذلك تعد تلك البلاد من الاقاليم الفاحشة لقلة محاصيلها ما عدا الحنطة وباقي الحبوب فانها تعطي منها مقدار برفرة . ويتج في اقسامها الجنوبية التبغ الجيد والعنب والزيتون والتوت والبلوط . ويوجد في بعض اراضيها عدة معادن ثمينة اخصها الذهب الذي اكتُشف سنة ١٨٥١ وفي مدة عشر سنوات بلغ مقدار ما استخراجهُ الناس منه ٢٠ مليون اوقية وما عدا الذهب فيها معادن ثمينة من النحاس والحديد والرصاص والفحم وغير ذلك . ومن العجيب انه لا يوجد في هذه الجزيرة حيوان مفترس كالسبع والنمر وقرس البحر والفيل حتى ولا الابل والفرد ولكن من الجهة الثانية يدب فيها بعض حيوانات تخاص بها لا توجد في غيرها من البلاد كالفتقر والابوسوم وانواع كثيرة من ذوي الاكياس والكلب البري والثعلب الذي يشب وغير ذلك من الاجناس المختلفة المجهولة الاسماء . وبين طيورها النسر والباز والشاهين والبيغاء والبوم . ومن زحافاتهما التمساح والافاعي الجحسة السامة

اما اهالي استراليا الاصليون فهم من العائلة السودانية من الجنس الهنوي والوائهم شديدة الاسرار اشبه بلون الشوكولاتا وهم بوجه الاجمال قصار القامة صغار الرؤوس وشعورهم كثيفة وايديهم وارجلهم سلعة ولكنهم مع هذه الاوصاف القبيحة اصحاب قوة وحركة خفيفة وما زال بعضهم الى الآن في حالة البربرية والتوحش يجولون بين صحاري البلاد المتفرقة مع ان كثيرين من رفقائهم قد دخلوا في سلك التمدن والمعرفة

ومن جملة ملحقات وتوابع استراليا جزيرة ترمانيا وكانت تدعى قديماً ارض فانديمان وهي على مسافة ١٠٠ ميل منها الى جهة الجنوب يفصل بينها بوغاز باس وهو اسم ضابط انكليزي تخفق بانها جزيرة . ثم أطلق عليها اسم ترمانيا نسبة لترمان الذي اكتشفها سنة ١٦٤٢ وهي تابعة للدولة الانكليزية وسكانها نحو تسعين الفا . ويقال في هوائها وترينها وحيواناتها واهلها ما قيل

في أستراليا . وكان يُرسل الى هذه الجزيرة ايضاً بعض المذنبين المنفيين من بريطانيا ومن أستراليا ولكن من بعد سنة ١٨٥٢ الغيت تلك العادة . ومن اشهر معادنها الذهب فانه لغاية سنة ١٨٦١ صار تعديل قيمة المستخرج منه فبلغت ٧١٢١١٥٠ ليرة انكليزية . والديانة العامة فيها البروتستانتية

واما غينيا الجديدة فهي الى الشمال من أستراليا لم تزل داخلتها مجهولة الى الآن لعدم وجود من دخلها وبجث عن احوالها . وتخصر معرفتها بالسواحل البحرية فقط . وقد تنازع البورتوغاليون والاسبانيوليون من جهة اكتشافاتها وكل منها يدعي حق الاكتشاف لنفسه . وسنة ١٨٢٨ وضع الفلمنكيون ايديهم عليها واستلموها ولا يوجد فيها الى الآن استيطان اوروية . اما اهليها فهم من الجنس اليوناني المذكور انفاً ومن جنس ماليزي مختلط . والى الشرق من أستراليا زيلاندا الجديدة وهي جزيرتان كبيرتان تابعتان دولة الانكليز وعدد سكانها يبلغ ١٤٠ الفا منهم ستون الفا من الاهالي الاصليين والبقية من الاوروبيين اكتشفها تزمان المذكور انفاً سنة ١٦٤٢ ثم قصدها بعد ذلك القبطان كوك سنة ١٧٦٩ وجمال فيها ولكن لم تبتدئ فيها الاستيطان حتى سنة ١٨٢١ وكانت اذ ذاك تابعة أستراليا ولكن سنة ١٨٤٥ انفصلت عنها وصارت حكومة مستقلة . اما اهالي هاتين الجزيرتين فهم من العائلة المغولية وقد دخلت بينهم الديانة المسيحية ولم يبق من عوائدهم الوثنية الا ما ندر وهم آخذون الآن في التقدم

## الفصل الثالث

### في بولينيزيا

ان القسم الثالث من اوسيانكا يدعى بولينيزيا وهو اسم مركب من كلمتين

يونانيتين معناها جزر كثيرة . ويشتمل هذا القسم على جميع جزائر المحيط  
 الباسيفيكي الواقعة شرقي أستراليا وتمتد الى قرب الشاطئ الغربي من قارة اميركا .  
 واكثر هذه الجزائر لا يعرف لها عدد حقيقي . وتنقسم هذه الجزائر الى ثلاثة  
 مراتب طبيعية ممتازة الاولى الجزائر ذات الجبال الثانية الجزائر ذات التلال  
 الثالثة الجزائر الواطية المرجانية . اما جزائر الرتبة الاولى فهي احسن مظهرًا  
 واظرفن رونقًا تكسوها الطبيعة جمالًا لا تستطيع يد الصناعة ان تأتي بمثلها وما  
 يزيد بها بهجة بعض جبالها المرتفعة التي تتحجب رؤوسها بين الشجوب المارة بها  
 بينا واسطها مكسوة باحراش متنوعة الاتناس واوديتها مملوءة بشجر ثمرا الخبز  
 واشجار اخرى مفيدة . وفي كل هذه الجبال اثار بركانية تنطبخ في داخلها الى  
 ان تنفث فتتدفق الى الخارج وتضر بالاماكن المجاورة . وقد وجد في رؤوس  
 تلك الجبال كثير من الصدف والمرجان ومواد اخرى بحرية تدل على  
 ان تلك الجبال كانت قديمًا مغطاة بالمياه . اما جزائر الرتبة الثانية فلا ترتفع  
 جبالها اكثر من خمس مئة قدم وهي اقل ظرفًا من تلك وصخورها من كربونات  
 الجير البلوري ومحاصيلها كمحاصيل جزائر الرتبة الاولى . واما جزائر الرتبة  
 الثالثة فهي واطية جدًا لا تعلو عن البحر الا بعض اقدام فقط ولوطو تربتها  
 يقل فيها النبات ما عدا جزائر الاصدقاء فانه يتبع فيها ما يتبع جزائر الرتبتين  
 الاوليين وذلك لعنى تربتها . واما الجزائر المعروفة بجزائر الشركة وكثير غيرها  
 فهي محاطة بصخور مرجانية عرضها من اربع اذرع الى ٢٠ ذراعًا منها على  
 مسافة قريبة من البحر وبعضها على مسافة ميلين وعلى هذه الصخور تلطم أمواج  
 المحيط العجاج بشدة مخيفة

اما اهالي بولينيزيا بوجه الاجمال فهم من اجناس ماليزية مختلفة وبينهم  
 مشابهة كلية تختلف قليلاً بحسب الاقاليم والعوائد وهم على الاغلب قصار القامة  
 معتدلو السانة اصحاء البدن ذوو اوجه مستديرة محوطة الحدود لارتفاع عظم  
 الخد وعيونهم سود صغيرة كالصينيين . ومن عوائدهم استعمال الوشم على ابدانهم

وأوجههم فينتشون عليها اشكالا من الاشباح والاشكال الغريبة بحيث كثيرا ما تخفى صورة الانسان الاصلية . ومن اقبح عوائدهم اكلهم اللحوم البشرية واقتراس من وقع في ايديهم وتقدمة الذبائح البشرية لاصنامهم ولكن في هذه الايام قد اصطلح حال بعضهم وتنور كثيرون منهم لاسيما اهالي جزائر سندويج بواسطة المبشرين بالانجيل واعتنق كثيرون منهم الديانة المسيحية

ومن اشهر جزائر هذا القسم جزائر سندويج وهي ١٢ جزيرة ثمانية منها مسكونة والبقية خالية من السكان واعظهن جزيرة هاواي المشهورة بجبالها النارية وفيها جبل ارتفاعه ١٢٦٠٠ قدما انقذت نيرانه سنة ١٨٥٥ واضرت بكثيرين من الناس . وقد اكتشف هذه الجزائر القبطان كوك الانكليزي سنة ١٧٧٨ فترحب به الاهالي في اول الامر اذ حسبه الها وكرموا اكراما فوق العادة الى ان كان ذات يوم فسرق احداهم له قارباً فقتل اليهم القبطان المذكور في جماعة من اتباعه وكان قصده ان يقبض على ملكهم ويبقيه عنده الى ان ياتوه بالقارب . فعند وصوله الى البر اجتمع اليه عدد غفير من الاهالي فارتد راجعا من امامهم حتى اشرف على اصحابه الذين كانوا ينتظرونه على الشاطي فتبعه القوم بضيح عظيم ورموه بالحجارة ولما اشتد عليه الامر اطلق بارودته على احداهم فقتله فعند ذلك انطبقت عليه جماهيرهم من كل ناحية وضربه رجل منهم بقطعة خشب القاه على الارض ثم طعنه بجرته انتهت حياته . فاجتهد رجاله على تخليصه من بين ايديهم فلم يستطيعوا وولوا مدبرين وهكذا انتهت حياة هذا الرجل الفاضل الذي ترك ذكرا حميدا على احتمال المشقات والاطوار في سفراته الثلاثة التي احاط بها الكرة الارضية ولاكتشافاته العديدة التي لاجلها اصبح العالم مديونا له . اما عدد سكان جزائر سندويج الآن فيبلغ مئة وخمسين الفا بعد ان كان اربع مئة الف وليس هذا الناقص ناتجا الا من شرور الاهالي وكثرة قبائلهم التي تجلب طبعا الامراض والموت فان لم تأت الوسائط المستعملة الآن بين اولئك القوم بالفوائد المطلوبة فلا بد انهم يموتون من على وجه الارض

ونبقى تلك الجزر بدون سكان

ثم تباع بولينيزيا ايضاً جزائر لادروني وهي نحو ١٨ جزيرة تكثر فيها  
البراكين وعدد اهلها ٧٥٠٠ نسمة وهم من الاسبانيولين المتقلين من مكسيكو  
واهالي هذه الجزر يعيشون في الاكواخ ويقتاتون من محصولات الاراضي الخصبه.  
وقد اكتشف هذه الجزر رجل بورتوغالي كان في خدمة الاسبانيولين سنة  
١٥٢١ ودعاها لادروني وهي كليه اسبانيولية معناها لصوص ثم دُعيت فيما بعد  
جزر مريانا نسبة الى اسم ملكة اسبانيا زوجة فيليب الرابع . .

ويتبع هذا القسم ايضاً جزائر كارولين وهي عدة جزر بعضها خالية من  
السكان وبعضها يسكنه اجناس من البشر من رتبة مختلفة في التنوير يعيشون  
من غلات اراضيهم وليس لهم من التجارة الا ما لا يذكر. ومن اخص اشجار تلك  
الاماكن شجر جوز الهند وله عندهم منافع حمة فانهم يستظلون بظل اشجاره  
وياكلون من اثماره ويتعشون من شرب عصيره ويصطنعون من قشره اوعية  
الماء ومن سلوخ الاعمدة سلالاً ومن القراي حطباً ومن الوبر حبالاً وخيطاناً  
لصيد السمك فضلاً عن الخشب الذي يستخدمونه لقيام اكواخهم ولوازم سفنهم .  
وقد اكتشف هذه الجزر احد الاسبانيولين سنة ١٥٤٢ ودُعيت بجزائر كارولين  
نسبة الى كارلوس الثاني ملك اسبانيا

ومن الجزر التابعة لبولينيزيا جزائر الشركة اعظهن جزيرة ناهيتي يبلغ  
طولها ٢٢ ميلاً ويعلوها جبال مرتفعة مكسوة بالنبات والاشجار فيرى منظرها  
من البحر في غاية الحسن والظرف ويكثر فيها شجر الخبز. وقد اكتشف هذه  
الجزائر في اول الامر كوبروس الاسبانيولي سنة ١٦٠٦ فدعا جزيرة ناهيتي  
لاساجيتاريا ولكن لهقد الكاشف المذكور بقي ذلك الاسم مجهولاً في العالم الى  
سنة ١٧٦٧ حين ارسلت انكلترا القبطان واليس لبعض اكتشافات في المحيط  
وعند وصوله الى هذه الجزيرة ظن في نفسه بانه هو اول من اكتشفها فلحقها  
بجزيرة الملك جورج نسبة لاسم ملك انكلترا . ولكن سنة ١٧٦٩ ذهب اليها

القبطان كوك مصحوباً ببعض العلماء بقصد ان يرصد مرور الزهرة على قرص الشمس وفي اثناء ذلك جال القبطان المذكورين تلك الاطراف واكتشف عدة جزائر في جوارها فلقبها جميعاً بجزائر الشركة ولم يزل هذا اللقب الى الآن. فصادفت هذه الاكتشافات مزيد السرور في انكندرا وتحركت همة اهل الخبر والاحسان فارسلوا لاهالي تلك الجزائر مرسلين لينتورهم ويهدوهم الى معرفة الله فنجحوا نجاحاً كاملاً ومع توالي الايام ترك الوثنيون عبادة اصنامهم وقبلوا الديانة المسيحية قبولاً حقيقياً. فحسد ذلك النجاح مجمع البروباكاندا الروماني وارسل قسيسين رومانيين للمعارضة كعادتهم فلم يقبلهم الاهالي بل اساءوا معاملتهم فاجب ذلك وقوع التشكي من طرفهم وتدخلت الحكومة الفرنسية في تحصيل الترضية وتهدية الحال فسلبت من الاهالي حريتهم واستقلاليتهم واقامت عليهم محامياً بحيث لم يبق للشعب حرية التصرف. اما عدد سكان هذه الجزائر فهو سائر في سبيل التناقص كثير من جزائر المحيط وقد حسب القبطان كوك سنة ١٧٧٤ فيبلغ ٢٠٠ الف نسمة اما المرسلون فعُدلوه سنة ١٧٩٧ بلغ ١٦٠٥٠ نسمة ولكن بحسب تعداد سنة ١٨٥٧ لم يزد عن ٦٩٠٦ نسمات فقط منه ٥٩٨٠ سكان جزيرة تاهيتي والباقي سكان باقي الجزائر

ويتعلق بهذه الجزائر حادثة غريبة تستحق الذكر وهي انه في سنة ١٧٨٨ ارسلت الحكومة الانكليزية ابريقاً حريباً الى جزائر الشركة لكي ياخذ منها مقداراً وافراً من شجر الخبز وينقله الى الهند الغربية. فلما وصلت السفينة الى جزيرة تاهيتي استقبل الاهالي رجال المركب بكل بشاشة ولطف وترحبوا بهم غاية الترحب بحيث لم يبق لبعض النوتية ميل ان يفارقوا الجزيرة واختاروا ان يصرفوا حياتهم فيها على ركوب الاجار. ولكن اذ كان لا بد لهم من السفر امثالاً لامر القبطان التزموا ان يخضعوا فتركوا الجزيرة باسف شديد وكانوا كلما ابتعدوا ازدادوا تأسفاً وشوقاً الى اصحابهم حتى انهم صموا على الرجوع باي وجه كان. وكان بينهم ضابط يقال له كريسيان يكره القبطان ويغضه فهج القوم

على ان يقوموا عليه ويعصوه ويستولوا زمام السفينة . فوقع بينهم الاتفاق على ذلك الأمر ونهضوا ذات يوم صباحاً بينما كان القبطان راقناً ودخلوا عليه وقيدوه وتهددوه بالقتل ان اظهر المقاومة ثم طرحوه في قارب مع ١٨ شخصاً من رجال السفينة ممن لم يوافقهم على العصيان وسلوهم لامواج المحيط وارتدوا راجعين الى جزيرتهم المحبوبة فاقاموا فيها اياماً . اما كريستيان رئيس ومقدم تلك الفئدة فلعلهم هزم وصرامة حكومة بلاده وعصم غض نظرها عن امر مثل هذا لم يستصوب الاقامة في الجزيرة خوفاً من العاقبة فاقطع هو واصحابه مع عدد من رجال ونساء تلك الجزيرة قاصدين مكاناً اخر يستوطنونه ما عدا اربعة عشر نفرًا من جماعتهم فانهم تخلفوا في الجزيرة ولم يرافقوه هذا ما كان من امر هؤلاء . واما القبطان فلسعادة حظهم وصل الى انكلترا مع رفقاءه في حال السلامة واعلم الحكومة بتلك الحادثة فاستعظمت الامر وفي الحال ارسلت بارجة حربية تدعى بانديور للتفتيش على العصاة والقبض عليهم وعند وصولها الى الجزيرة المذكورة لم تجد من القوم الا الاربعة عشر الذين كانوا قد تخلفوا هناك كما تقدم فالتفت عليهم القبض وارتدت راجمة قاصدة انكلترا . وفي اثناء مسيرها صدمت صخرًا كبيراً فانكسرت وفقد بعض رجالها من جملتهم اربعة من العصاة اما العشرة الآخرون فنقلوا الى انكلترا وهناك شنقت الحكومة منهم ثلاثة . فمضى على تلك الحادثة مدة عشرين سنة ولم يسمع احد خبراً لا عن كريستيان ولا عن السفينة حتى كان يُظن بانهم غرقوا وفقدوا جميعاً وعلى نمادي الايام تناسى ذلك الخبر بالكلية حتى لم يعد يختر على بال احد .

واتفق سنة ١٨١٣ ان بارجة حربية انكليزية كانت سائرة من بعض جزائر المحيط قاصدة احدى موانئ اميركا الجنوبية فمرت في طرفتها على جزيرة صغيرة كثيرة النبات والاتجار تدعى بيتكرن تبعد عن جزيرة ناهيتي جملة فراسخ للجنوب الشرقي . فاستحسن القبطان ان يرسو هناك قليلاً ليرى ما هي تلك الاشجار والمزروعات التي كان يشاهدها من المركب ومن هم القوم الساكنون في تلك



الابنية التي كانت تفوق حسناً على مساكن شعوب تلك الجهات وأكواخهم . فبينما كان القبطان وجماعته يتاملون في ذلك اذ راوا قارباً مقبلاً من البر وفيه نفران من الملاحين يجذفان بكل عجلة قاصدين السفينة . فلما اقتربا منها وكان البحر هائجاً لا يسمح لهما ان يدنيا منها صاح احدها باعلى صوتو الى ملاحي الفرقاطة قائلاً باللغة الانكليزية ألا تلتقون لنا جبلاً يا اصحاب . فاندھشوا جميعاً عندما سمعوا من يتكلم بلغتهم في تلك الاباكن المهجورة وبادروا حالاً والقوا لها جبلاً فتناولوه واستمانا به على الصعود الى السفينة ولما تمثلا امام القبطان سألها عن حالها وقضتها فاخبراهُ بانها من جملة ذرية كريستيان واصحابه وان كريستيان عندما عصى رئيسه ورجع الى جزيرة تاهيتي لم يستطع على الاقامة بها خوفاً من قصاص دولته فقصده هذه الجزيرة مع جماعته وعدد اخر من الاهالي ذكور واثاث وسكنوها بعد ان احرقوا السفينة خوفاً من انكشاف امرهم ثم غرسوا هذه المزروعات والاشجار التي ترونها وتزوجوا بالنساء اللواتي حضرن معهم وها نحن من نسلهم . وقد مات كريستيان وباقي جماعته ولم يبق منهم غير شيخ كبير يقال له جون ادامس وهو معكف الآن على تهذيب الناس وتعليمهم قراءة كتاب الله وان يكونوا مستقيمي السيرة والسريرة فتعجب القبطان ومن حضر من ذلك الاتفاق الغريب واحسنوا الى القوم بما امكن

## جدول

يتضمن ملخص الاختراعات والاكتشافات الكلية

الفخار والصيني  
الفخار قديم جداً واول ما اصطنع منه الطوب في بناء  
برج بابل سنة ٢٢٠٠ ق.م ولا بد انه كان قبل الطوفان  
ثم تفنن فيه الناس وعلوا منه الآنية . وكان للفرس  
والعرب معرفة باصطناع الفخار الشبيه بالصيني وقد  
اخذه الاوروبيون عنهم سنة ١٤١٥ ب.م . اما الخزف  
المعروف بالصيني فكان يصطنعه اهل الصين وياپان  
في القرن الاول للمسيح وادخله البورتوغاليون الى  
اوروبا سنة ١٥١٨

النحاس والحديد  
ان وجود هذين المعدنين قديم جداً فقد ذكرا في  
الاصحاح الرابع من سفر التكوين قبل الطوفان حيث  
قيل ان توبال قاين الصارب كل آله من نحاس  
وحديد . واما كيفية استخراجها واصطناع الآنية والآلات  
منها فمجهولان والعلوم عند المتأخرين انه عند احتراق  
احراش جبل ايدا في كريت سنة ١٤٠٠ ق.م سال  
بعض تراب هذا المعدن الحديدي ووجد فعرفوه  
وينسبون الى ذلك اول اكتشاف الحديد غير انه  
لابني قديمته

## الزجاج

الزجاج قديم ايضاً وقد ذكر في الكتاب المقدس في سفر ايوب وامثال سليمان. وينسب بعضهم اختراعه الى الفينيقيين وبعضهم الى المصريين. والمرجح ان المصريين اخترعوه اولاً وتفننوا في اصطاعه ولونوه وذهبوه. وادخله الرومانيون الى بلادهم سنة ٢٠٠ ق.م واخذ عمله يمتد في اوربا. سنة ٥٥٠ للميلاد اصطنعوا منه الواحاً للشبايك. سنة ١٢٠٠ ب.م عمل اهل البندقية المرأة الاولى من الزجاج. وفي اوائل القرن السابع عشر نقش كازير ليهامان الزجاج وخرطه وما زال يتقدم الى هذا اليوم

## الاحرف والكتابة

لا يعلم يقيناً من اخترع اولاً احرف الهجاء فالبعض نسبه الى ممنون المصري نحو سنة ٢٠٠٠ ق.م. وظن البعض انه كان قبل ذلك وبعضهم يظن ان الفينيقيين اول من اخترعها والامر دائر بين هاتين البلادين فاما ان تكون هذه واما تلك والمعروف بان كادموس ابن احد ملوك فينيقية وضع لليونانيين ستة عشر حرفاً اكملها فيما بعد بلاميدس وسميونيدس

البوصلة او بيت الابرة يقال ان الصينيين اول من استعمالها في البر منذ نحو ٤٠ جيلاً ولا يوجد دليل لاستعمالها مجرماً الا في القرن التاسع ب.م في اسفارهم الى خليج الفرس والبحر الاحمر. وعن الصينيين اخذها الهنود. وعن هولاء اخذها العرب ثم اخذها عنهم الاوروبيون في القرن الثاني عشر ب.م وتفننوا في اتقانها ولم تستعمل عندهم قبل اواسط القرن الثالث عشر

ان ضرب النقود يُنسب الى اليونانيين قال  
هيرودوتوس في كلامه عن اهل ليديا انهم اول شعب  
ضربوا النقود ولكن قد اتضح بان ذلك غلط وان اهالي  
ايجينا في زمن فيدون ملك ارغوس اول من اخترعه  
سنة ٦٢٥ ق.م. ثم تطرق من بلاد اليونانيين الى بلاد  
الفرس والعرب وغيرها

ضرب النقود  
والمعاملات

ان لعب الشطرنج قديم العهد وعُرف منذ سنة ٦٠٨  
ق.م. فالبعض ينسب اختراعه الى الصينيين والبعض  
الاخر الى الهنود والارجح ان هولاء اول من اخترعه  
وقيل ان واضعه الحكيم صصه ويسمونه شانورانكا. وادخله  
الصابليون الى اوروبا بعد خروجهم من فلسطين.

الشطرنج

لا يُعلم بوجه الحصر بداية وضع الارقام الهندية ولكنه  
محقق ان اول استعمالها كان بين اهل الهند وعندهم  
اخذها الفرس والعرب وهولاء اتوها للاوروبيين سنة  
١٢٩١ ب.م

الارقام الهندية

الورق قديم ايضا كان المصريون يصطنعونه من نبات  
البابيروس الذي ينبت على شاطئ النيل وكان صالحا  
لقبول الكتابة عليه. واما الورق الحالي فاول من  
اخترعه اهل الصين واليابان وكان الصينيون يصطنعونه  
من الحرير واليابانيون من القطن والكتان وقشر  
التوت وقشر الارز. وادخل العرب صناعة الورق الى  
اسبانيا في القرن الحادي عشر ثم اخذ عنهم الاوروبيون  
وتفننوا فيه حتى اوصلوه الى الحالة الراهنة

الورق

كان استعمالها في بلاد اليونان سنة ٥٥٤ ق.م

المنافع

ان الاجراس الصغيرة قديمة جداً بدليل ما جاء في سفر الخروج من انها كانت من جملة ما يتزين به رئيس الكهنة. اما الاجراس الكبيرة المستعملة في الكنائس فاول من اخترعها باولينوس اسقف مدينة نولا في ولاية كامبانيا من ايطاليا سنة ٤٠٠ م.ب.

الاجراس

اول الساعات التي استعمالها الناس هي الساعات المائية واول من اخترعها اليونان وهي اشبه بالساعات الرملية المستعملة لحد هذا اليوم. ثم اخذها عن اليونان الرومانيون واستعملت في رومية سنة ١٥٨ ق.م وقد اخذها العرب ايضاً عن اليونان وتفننوا في صناعتها فان الخليفة هرون الرشيد اهدى الامبراطور شارلمان في اواخر القرن الثامن م.ب ساعة مائية ذات ثقل لم يكن لها مثل في اوروبا. سنة ١٢٧٠ م.ب اخترعت اول ساعة غير مائية استنبطها رجل الماني يدعى هنري روفيك. اما الساعات الصغيرة التي يجملها الناس فلا يعلم يقيناً اول مصطنع لها ولا زمن اختراعها تماماً

الساعة

بلاء استعماله في الكتابات والمعاملات كان سنة ٥١٦ م.ب وواضعه ديونيسيوس السكيثي

التاريخ المسيحي

الطن بواسطة قوة الماء ينسب اختراعه الى بليسار بوس الروماني سنة ٥٥٥ م.ب

الطاحون المائية

طواحين الهواء ادخلها من الشرق الصليبيون الى اوروبا سنة ١٢٩٩ ولا يعلم بالتحقيق زمان استعمالها في المشرق

الطاحون الهوائية

اخترعها راهب من مدينة پيزا في ايطاليا يقال له اسپينا سنة ١٢٩٩ م.ب

الموينات

البارود	<p>المقرر اليوم ان الصينيين استعملوه في بداية التاريخ المسيحي وقيل ان العرب استعملوه في حصار مكة سنة ٦٩٠ ب.م ولكنه لم يُعرف في اوروبا الى سنة ١٢٥٧ ب.م. واول من فطن في قوة انفجار البارود في اوروبا هو روجير باكون احد علماء القرن الثالث عشر ثم اتقن صناعته راهب الماني سنة ١٢٢٦ ب.م</p>
النار اليونانية	<p>النار اليونانية كان بداية استعمالها في القسطنطينية سنة ٦٧٢ ب.م ومخترعها كاليبكوس السوري. وهذه النار كانت تحرق في وسط الماء والمظنون ان اختراعها كان قبل هذا العهد. يرجحون ذلك لاهل الصين</p>
المدافع	<p>المؤكد الآن ان اول من اخترع المدافع هم الايطاليون من اهاالي فلورنسا سنة ١٣٠٥ ب.م. واول من استعمالها في الحرب ادورد الثالث ملك الانكليز ضد الفرنسيين وذلك في موقعة كريستي سنة ١٢٤٦. وكان في المدفع اوسع من اسفله</p>
البرانيط	<p>اخترعها رجل سويسري في فرنسا سنة ١٤٠٤ ب.م المظنون ان الطباعة قديمة عند اهل الصين تقراً على الخشب. اما صناعة الطباعة على ما هي عليه الآن فقد اخترعها يوحنا غوتنبرج من مدينة ماينس في المانيا سنة ١٤٢٦ وتم اختراعها سنة ١٤٥٠ واول كتاب طبع هو التوراة</p>
الليثوغرافية	<p>وهي مطبعة الحجر كان اختراعها سنة ١٧٩٩ والمخترع لها ألويس سنفلدر من مدينة براغ في المانيا</p>
حفر الصور	<p>حفر الصور على الفخاس والخشب التي يضعونها في</p>

الكتب اخترعت سنة ١٤٥٢ وواضعها مازو فينيورا  
من فلورنسا

النظارات

اول نظارة فلكية اخترعها بوخا ليرسي من ميدلبورغ  
في هولندا سنة ١٦٠٨ ثم تفنن فيها الفيلسوف اسحق

نيوتون والبارون هرشل والامير روس وغيرهم  
الميكروسكوب او النظارة المكبرة اخترع سنة ١٥٩٠

الميكروسكوب

ب.م من رجل هولاندي بدعي زخريا جانسن وقال  
بعضهم بل هو كرنيليوس دريبل وهو هولاندي ايضا  
وذلك سنة ١٥٧٢ ولعله فكر فيه

البارومتر

وهو ميزان ثقل الجو او الهواء واول من اهتدى الى  
معرفة ثقل الجو توريشلي تلميذ غاليليا سنة ١٦٣٠ ثم  
انجز هذه المأثرة العالم الفرنسي پاسكال الشهير سنة  
١٦٤٨ وفي اثنائها استعمل اولاً بارومتر منتظم

الترمومتر

وهو ميزان الحرارة كان اول استعماله في جرمانيا سنة  
١٦٢١ ومخترعه كرنيليوس دريبل الهولاندي ثم تفنن  
فيه العلماء نيوتون واموتون وفهرنهيت وريومور وهم  
الاشهر

الكهربائية

الكهربائية لفظه فارسية معرنة ومعناها جاذبة الشمس وقد  
عرف القدماء بعض حوائضها واول اكتشافها في اوربا  
كان سنة ١٤٦٧ . اول آلة اصطنعت منها كانت  
سنة ١٧٠٠ ب.م من رجل الماني من مدينة مكذبورج

اسمه اتو دو كويريك ثم تفنن فيها العلماء فتقدمت كثيرا  
وتم عنها فوائد جزلة كالتلغراف وغيره كما سيأتي

اصطناع الابر

اول اصطناع الابر كان في انكلترا سنة ١٥٤٥

جاذبة او مانعة الصاعقة اخترعها فرانكلين الاميركاني الشهير سنة ١٧٥٢ واستعملت سنة ١٧٦٠	جواذب الصاعقة
اول معمل لنسج الحرير ظهر في مدينة ليون من فرنسا سنة ١٦٦٦	معمل نسج الحرير
اول معمل لنسج القطن ظهر في انكلترا ثم في فرنسا في القرن السابع عشر	معمل نسج القطن
اول معمل لصب الحديد اُشفي في انكلترا سنة ١٧٤٠	صب الحديد
اول ساعة برقية ظهرت في تلك التي اخترعها ستاينهل من مونيخ عاصمة بافاريا سنة ١٨٢٩ ثم انقضا وانستون الانكليزي سنة ١٨٤٠	الساعة البرقية
لقد تنازع الانكليز والفرنساويون والاميركانيون من جهة اول مخترع الآلة البخارية وليس هنا مكان لتفصيل مواقع الخلاف ولكن نقول ان اول من شرع في عمل الآلة البخارية هو طيب بروتستاتي فرنساوي الاصل اسمه دينيس بابن سنة ١٦٩٠ وهو اول من ركب تلك الآلة على سفينة صغيرة في وادي فولدا في كاسل سنة ١٧٠٧. ولكن لسوء حظها قام على سفينة بعض الاوباش في وادي الويزر وكسروها له ولم يعد في وسع تجديدها ثم اعنى في هذه المأثرة جس وات الانكليزي المشهور وحسن الاختراع وكاد ينجح نجاحا تاما في عمل السفينة البخارية. من ثم تداولت هذا العمل ايادٍ كثيرة ولكن لم تات تلك المساعي بتمام المرغوب حتى سنة ١٨٠٢ اذ وضع روبرت فلطن الاميركاني الذي كان في فرنسا اول سفينة بخارية تامة بدو اليب على نهر السين في	الآلة البخارية



باريز ولكن لم يتم انجاز هذه الماثرة في فرانسافذهب  
فلطن الى اميركا وطنه وهناك صار انجازها وفي ١٠ آب  
سنة ١٨٠٧ انزل الى البحر السفينة الأولى البخارية المسماة  
كلارمون وسافرت من نيويورك الى فيلادلفيا

آلة الذنب للفاهورات ان آلة الذنب المسماة عند الافرنج هاليس او آليس  
وهي المستعملة الآن في السفن البخارية عوضاً عن الدواليب  
فاول من فكر فيها دوكي الفرنسي سنة ١٧٢٧ . ولكن  
لم يتفق انجازها الا عن يد المهندس اريكسون من اهل  
اسوج في البلاد المتحدة الاميركانية سنة ١٨٤٤ واستعملت  
في السنة التي بعدها

نطعم او تلقح الجذري اخترعه الطبيب هنري جنر الانكليزي سنة ١٧٧٦  
وانعمت عليه الدولة في مقابلة ذلك الاكتشاف التمين  
بثلاثين الف ليرة انكليزية

المركبة الهوائية وهي المعروفة بالابروستا والبالون كان اختراعها سنة  
١٧٨٣ وصانعها الاخوان مونغوفيه وصعدا بها في الجو  
تلك السنة

التلغراف انه بعد ان وقف العلماء على خصائص الكهرباء فكر  
كثيرون منهم بإمكان اختراع التلغراف. وسنة ١٧٦٠  
افتكر جورج ليزاج الفرنسي الاصل باصطناع  
تلغراف وانها سنة ١٧٧٤ ولكن لم يتوفق العمل به حيث  
لم يكن مستوفياً الشروط . وما برحت الايدي تتناولها  
حتى سنة ١٨٢٢ اذ باشر العمل به الطبيعي صموئيل مورز  
الاميركاني وهو يعد المستنبط الاول للتلغراف . وسنة  
١٨٤٤ نصب السلك الاوربي واشيتون وبالتيهور .

واستعملت من ثم أكثر دول أوروبا ما عدا انكلترا فانها لم تستعمل إلا الطريقة التي وضعها المهندس الانكليزي وانستون . وسنة ١٨٥٠ انتظم اول تلغراف بحري بين فراسا وانكلترا

آلة النسيج الميكانيكية  
اخترتها جاكز الفرنسي وهي التي تنسج من نفسها من دون واسطة الايدي سنة ١٨٠١

الستينوغرافي  
الستينوغرافي كلمة يونانية معناها كتابة ضيقة او مختصرة وهي كيفية تمكن السامع استيعاب كل ما يتكلمه الخطيب وتدوينه باصطلاح مخصوص . والواضع لها رامزي من اسكتلندا في بريطانيا سنة ١٦٨١

الفوتوغرافية  
او تصوير الشمس ان اول من باشر هذا الاختراع يوسف نيسيفور نيپس الفرنسي من سنة ١٨١٢ وغم هذا الاختراع بالاشترك مع داغير الباريزي وظهر للوجود سنة ١٨٢٩ . وكان هذا الاستنباط مقصوراً في اول الامر على الصفائح الخاسية وقد سمي داغير يونيب نسبة الى داغير . اما طريقة اخراج الصورة على الورق كما هو جارٍ الان فقد اخترعها فوكس تالبوت الانكليزي سنة ١٨٢٩ وظهرت للوجود سنة ١٨٤٥

الستيريوسكوب  
الستيريوسكوب وهي النظارة ذات العينين التي مجسم بها الصور وتستعمل في البيوت لاجل الفرحة اخترع سنة ١٨٢٨ وواضعه وانستون الانكليزي

الطريق الحديدية  
اول طريق حديدية تامة محكمة مجريه عليها العربات بالبخار تمت سنة ١٨٢٩ وسافرت سنة ١٨٢٠ من

ليثربول الى منشستر وهي من اختراع جورج وروبرت

ستيفانسون من انكلترا

اول مطبعة ميكانيكية اي التي تطبع من نفسها اختراعها

نيكولسون الانكليزي سنة ١٧٩٠

المطبعة الميكانيكية

## جدول تاريخي

يتضمن اهم الحوادث العظيمة التي جرت في العالم

	قبل المسيح
الخلق	٤٠٠٤
الطوفان	٢٣٤٨
تبليل الالسن	٢٢٤٧
تأسيس آشور الملكة الاشورية وبناء نينوى	٢٢٢٩
تأسيس نمرود لبابل	٢٢٠٤
قيام نيباس ملك الاشوريين بعد امه سميراميس	٢٠٠
ولادة ابراهيم	١٩٩٦
دعوة ابراهيم من اور الكلدانيين الى ارض كنعان	١٩٢١
احترق سدوم وعمورة	١٧٩٩
بيع يوسف للاسمعيليين	١٧٢٩
نزول يعقوب مع عائلته الى مصر	١٧٠٦
موت يعقوب	١٦٨٩
موت يوسف	١٦٣٥
ولادة موسى	١٥٧١
تأسيس سيكروب المصري ملكة اثينا . وكدموس الفينيقي	١٥٥٦
مدينة ثيبة اليونانية في هذا القرب	

ق م	
١٤٩١	خروج الاسرائيليين من مصر وعبورهم البحر الاحمر واعطاه العشر الوصايا
١٤٥٣	موت موسى
١٤٥١	خلافة يشوع بن نون وتغلب الاسرائيليين على ارض كنعان واقتسامهم اياها
١٤٤٣	موت يشوع بن نون وابتداء حكم القضاة
١١٨٤	اخذ اليونانيين تروادة
١١٤٨	انتقال ايليا
١٠٩٥	مسح شاول ملكا على اليهود
١٠٨٣	حرب الهيراكليدية وموت ملكهم كودروس
١٠٥٥	تملك داود النبي على بني اسرائيل
١٠١٤	تملك سليمان ابنه
١٠١٤-١٠٠٤	بناء هيكل سليمان
٩٨٠	موت سليمان
٩٧٥	انقسام اليهود مملكتين اعني يهوذا واسرائيل
٩٠٠	ولادة هوميروس الشاعر اليوناني
٨٨٤	اعطاء ليكورغوس شرائعه الى اهالي سبارتا
٨٥٦	ذهاب يونان النبي ليعظ اهل نينوى
٨٤٠	تأسيس قرطاجنة وقبل سنة ٨٧٨
٧٧٦	الملاعب الاولمبية اليونانية
٧٥٩	انقراض مملكة اشور الاولى
٧٥٣	تأسيس رومولوس مدينة رومية

ق ٢	
٤٧٧	تملك نابونصر بن ييليزيس على بابل ووضعها التاريخ الجديد المعروف بالتاريخ الكلداني
٧٢١	اسر شلمنصر عشرة اسباط اسرائيل
٧١٥	موت نومولوس
٧١٢	هلاك جيش سنحاريب حول اورشليم
٧١٠	ديجوسيس مؤسس مملكة مادي
٨٦٠	اخذ اسرحدون اورشليم وضمة مملكة بابل الى مملكة آشور
٦٧٢	حرب المورانيين والكورانيين
٦٢٦	اخذ نابوبولصر بابل
٦١٢	خراب نينوى من نابوبولصر واستياح بن كياكسار
٦٠٥	تملك نبوخذ نصر الثاني المعروف بالكبير
٥٩٤	شرائع صولون للاثينيين
٥٨٨	اخذ نبوخذ نصر اورشليم وخرابة الهيكل وسية اليهود الى بابل. واخذ صور
٥٨٥	تملك استياح على مادي
٥٥٩	تملك كريسوس ملك ليديا الشهير بالغني
٥٤٧	تغلب كورش ملك فارس ومادي على كريسوس ملك ليديا
٥٢٧	اخذ كورش بابل وجعل ملكتي مادي وفارس مملكة واحدة
٥٢٦	اصلاحة امرا ببناء الهيكل في اورشليم
٥٢٩	موت كورش وتولي كميثر ابنه
٥٢٥	تغلب كميثر بن كورش على الديار المصرية

اتمام بناء الهيكل في زمن داريوس بن هستانب	٢٥٥
افتتاح داريوس الاول بلاد السكيثيين	٤٩٦
اخذ اليونان سارديس من الفرس واحراقها	٤٩٤
تغلب اليونان على جيش داريوس في ماراثون	٤٩٠
انتحاب كوربولانوس من رومية واتحاده مع الغولسيين	٤٨٩
موت داريوس الاول	٤٨٥
ظهور هيرودوتوس	٤٨٠
حروب زركسيس بن داريوس مع اليونان وانكساره وهربه	٤٨٠
قتل ارطبانيس زركسيس وتولي ابنه ارتكزارسيس	٤٧٠
النجاء ثيمستوكليس القائد اليوناني المشهور الى ارتكزارسيس	٤٦٤
بناء نحميا اسوار اورشليم بامر ارتكزارسيس	٤٥٧
سينسناتوس مدير في رومية	٤٥٠
قتل فيرجينيا بيد ايها في رومية	٤٤٩
سوقراط الفيلسوف في اثينا	٤٤٠
موت سوقراط	٣٩٦
بداية حرب البوليبونيسوس اي حرب المورة	٤٣١
موت پريكليس رئيس احكام اثينا	٤٢٩
هجوم الغاليين الاول على رومية واخذهم اياها وحرقها تحت قيادة برينوس	٢٨٩
تعليم پلاتون في اثينا	٢٨٠
حرب لوكترا بين سبارتا واثينا	٢٨٢
ظهور اريسطوطاليس وتعليمه في اثينا	٢٣٠
تملك فيليب المكديوني على بلاد اليونان	٢٣٨

موت فيليب المكدوني وقيام ابنه اسكندر	٢٢٦
تغلب اسكندر الكبير على داريوس وافتتاحه سورية وصور ومصر والهند ثم موته وهو في سن الثلاث والثلاثين	{ ٢٢٤ ٢٢٤
حرب ابيشوس واقتسام ملكة اسكندر بين قواديه الاربعه	٢٠١
مهاجمة الرومانيين البلاد اليونانية	٢٨٠
اول حرب الرومانيين قرطاجنة	٢٦٤
حرب قرطاجنة الثانية وانتصار هنيبال اولاً وثانياً على الرومانيين	٢١٨
تأسيس مجمع اليهود الكناسي المسي سخرم	١٩
تغلب الرومانيين على انتيوخوس الكبير في ثرموبلي	١٩٢
مقاومة المكانيين لانتيوخوس الكبير ملك سوريا	١٦٦
حرب قرطاجنة الثالثة وخرابها من الرومانيين تحت قيادة سيبيو او شيبو	{ ١٤٥ ١٤٦
حرب كورنثوس وخرابها وتغلب الرومان على بلاد اليونان وجعلها ولاية رومانية	١٤٦
استيلاء الرومانيين على اسبانيا وجعلها ولاية رومانية	١٢٣
صيرورة ميثريدات الكبير ملكاً على بنس	١٢١
تغلب الرومانيين على كل ايطاليا	٩١
حرب ماريوس وسيلا القائد بن الرومانيين	٨٦
تغلب بومباي القائد الروماني على ميثريدات ملك بنس	٦٦
اقامة يوليوس قيصر وبومباي وكراسوس حكاماً على المملكة الرومانية وهو المحكم الثلاثي الاول المعروف بالثلاثي	٦٠



مهاجمة يوليوس قيصر فرانسا	٥٨	٢٢
افتتاح يوليوس قيصر برتانيا	٥٥	
موت كراسوس القائد في محاربة البارثيين بعد فقد عساكره	٥٤	
تسمية يوليوس قيصر مدبراً عاماً للملكة الرومانية	٤٧	
صدور امره ببناء قرطاجنة وكورنثوس	٤٧	
موت يوليوس قيصر قتلاً	٤٤	
تجديد الحكم الثلاثي الثاني اوكتافيوس وانطونيوس وليدوس	٤٣	
افتتاح الرومانيين القدس واقامة انتيباتر الادومي نائباً على الملكة اليهودية	٤٠	
عزل انتيباتر عن ولاية اليهودية واقامة هيرودس الكبير مكانه	٢٧	
تغلب اوكتافيوس على رفيقه انطونيوس وكليوباترا واخضاعه بلاد مصر	٣١	
اخضاع الرومانيين بلاد مصر وصمها الى الولايات الرومانية	٣٠	
ترقي اوكتافيوس الى لقب اوغسطس وصيرورته امبراطوراً	٢٧	
موت هيرودس الكبير وقيام ابنه ارخلاوس مكانه	١	بعد المسيح
موت اوغسطس واستخلاف طيباريوس	١٤	
صلب المسيح وقيامته وحلول الروح القدس في يوم الخمسين	٣٣	
استشهاد ماري اسطفانوس	٣٤	
ارتداد بولس	٣٥	
موت طيباريوس واستخلاف كاليغولا الشرير	٣٧	
الثام المجمع المسيحي الاول من الرسل في اورشليم	٥٠	
عصاة اليهود على الملكة الرومانية ومحاربة نيرون اباهم	٦٦	

اضطهاد المسيحيين الاول من الامبراطور نيرون - (ان عدد	٢٠ ب
اضطهادات المسيحيين في ايام الدولة الرومانية هو عشرة انظر	٦٦
تبيان ذلك في وجه (٢٦٦)	
استشهاد ماري بولس في رومية	٦٦
قتل نيرون نفسه	٦٨
اخذ تيطس اورشليم في سلطنة ابيه فسباسيانوس	٧٠
صيرورة تيطس امبراطوراً على الرومانيين	٧٩
القاء ماري يوحنا في الزيت المغلي ونفيه الى جزيرة بطمس	٩٥
حيث كتب الرويا وانجيله معاً	
استشهاد اغناطيوس اسقف انطاكية	١٠٧
محاربة الاعجام الفرثيين وطردهم وتولي اردشير اول ملوك	٢٢٠
الدولة الساسانية	
دخول البرابرة الغوثيين وغيرهم اوروبا واسنيلاثوم على بعض	{ ٢٥١
الولايات الرومانية في ايام الامبراطور ديسيوس	{ ٢٦٠
قيام فاليريانوس على الفرس واسرهم اياه	٢٦٠
تغلب اوريليان على زينوبيا ملكة تدمر وتأسيس سطوته في	{ ٢٧٢
الشرق	{ ٢٧٤
تملك قسطنطين الكبير	٢٠٦
تنصر قسطنطين وجملة الديانة المسيحية ديانة المملكة	٢١٢
التيام المجمع المسكوني الاول بامر قسطنطين في نيقية ضد اراء	٢٢٦
اريوس	
نقل قسطنطين كرسي السلطنة الرومانية الى مدينة	٢٣٠
القسطنطينية	

٢٢٧	ب ٢٠٠ موت قسطنطين بعد ان قسم المملكة بين اولاده الثلاثة قسطنطين و قسطنطيوس و قسطنس
٢٥٨	مهاجرة قبيلة الافرنك فرانساً واستيطانهم فيها
٢٩٥	قسم ثيودوسيوس السلطنة الرومانية الى غربية وشرقية
٤١٠	اخذ الاربيك رومية وموته فيها .
٤٢٧	عبور جنسريك قائد الفندال من اسبانيا الى افريقية وتأسيسه مملكة فيها
٤٣٠	خروج الرومانيين من برتانيا
٤٤٩	دعوة الانكليز للسكسونيين لاجل انقاذهم من تعدي الاسكوتسيين ويعتبر ذلك ببناء استيطانهم في برتانيا
٤٥٢	تأسيس مدينة قنيس في ايطاليا
٤٥٥	اخذ جنسريك رومية ونهبها - غرق امتعة الهيكل والاواني التي اقي بها تطس من اورشليم وهي مشحونة الى قرطاجنة
٤٧٦	انقراض المملكة الرومانية في الغرب واستيلاء اودواكر ملك الهرول على رومية
٤٨١	تأسيس الملكية في فرانساً بواسطة كلوفيس احد العائلة الميروفنجية
٤٩٦	تنصر الملك كلوفيس المذكور مع عائلته وجنوده
٥٢٧	تولي جوستينيانوس امبراطوراً على السلطنة الشرقية
٥٢٢	انقراض مملكة الفندال من افريقية بواسطة القائد بليساوريوس
٤٧٠	ولادة حضرة محمد نبي المسلمين
٦٢٢	مهاجرة حضرة النبي مكة وذهابها الى المدينة
٦٢٦	حرب الطوائف او الاحزاب ضد النبي

تغلب عمرو بن اعاص على مصر وافتتاحه الاسكندرية واحراقه مكتبتها	٢٠٠ ب ٦٤٠
انقلاب يزدجرد اخر ملوك الدولة الفارسية الساسانية وانضمام بلاد اهل المملكة الاسلامية في خلافة عثمان	٦٥٢
مهاجمة الخليفة معاوية القسطنطينية	٦٦١
اختراع الحرايق النارية اليونانية وتخليص القسطنطينية من مهاجمة المسلمين	٦٦٧
تأسيس بغداد مركز الخلافة	٦٧٢
تغلب المسلمين على المغاربة في افريقية	٧٠٩
دخول طارق الى اسبانيا وتغلبه على الملك رودريك وضم اسبانيا وبورتوغال الى الخلافة	٧١٢
غلبة شارل مارتل في مدينة تور ومنعه المسلمين عن تقدمهم للملك اوروبا	٧١٤
مقاومة الكنيسة الشرقية للكنيسة الرومانية الغربية من اجل عبادة التماثيل	٧٤١
جلوس بايبن على كرسي فرنسا وهو اول ملوك العائلة الكارولنجية	٧٥٢
استخلاص بايبن ملك فرنسا رافينا من اللومباردين واعطاؤها للبابا وهكذا كانت بداية البابوية	٧٥٤
انقراض ملك اللومباردين من ايطاليا بواسطة شارلمان	٧٧٤
توحيد شارلمان امبراطورا للمغرب وانشال للكنيسة الغربية عن الشرقية	٨٠٠
صيرورة البندقية مملكة مستقلة	٨٠٩

٢٠٠ ب	اتحاد السبع حكومات السكسونية في انكلترا تحت نسلط الملك اغبرت وهو اول ملك للبريتانيين
٨٢٧	سقوط سلطنة شارلمان الغربية وانقسامها الى ثلاث ممالك
٨٤٢	اكتشاف ايسلاندا للنرويجيين
٨٦٠	ابتداء دخول الدينماركيين الى انكلترا واستيلاؤهم عليها
٩١٢	بداية السلطنة الجرمانية بالامبراطور كونراد
٩٥٥	دخول الديانة المسيحية الى بلاد المسكوب
٩٨٧	بداية تملك العائلة الكاتيبانية في فرانسوا واول ملوكها هوك كاپيت
١٠١٦-١٠٢٩	تغلب كايوت ملك دنيمارك على انكلترا وتوجد عليها ملكا مع ولديه اللذين خلفاه. وتعرف هذه المدة بدة الملكية الدينماركية
١٠٥٦	بداية حرب السيامات الاكيريكية بين هنري الرابع امبراطور جرمانيا وبين احبار رومية
١٠٥٧-١٠٧٤	تملك السلجوقيين. على اخص الخلافة الشرقية تحت راية طغرليك
١٠٦٦	تولي وليم اول ملوك النورمندين على انكلترا
١٠٧٦-١٠٧٨	تملك السلجوقيين القدس وبر الاناضول وتأسيسهم ولاية قونية
١٠٧٧	اذلال البابا غوريفور يوس السابع هنري الرابع امبراطور جرمانيا
١٠٩٩	الحرب الصليبية الاولى واخذهم القدس
١١٦٤	ظهور جنكيزخان سلطان المغول

ب ٢٠٠	
١١٧١	استيلاء الدولة الايوبية على مصر الى سنة ١٢٥٠
١١٨٧	انتصار صلاح الدين على الصليبيين في طبريا واخذه القدس منهم
١١٨٩	حصار الصليبيين عكا واخذها
١١٩١	
١٢١٠	
١٢٢٢	اضطهاد الولدنسيين والالبيجيسيين في اوروبا وقتلهم
١١٤١	الاتحاد الانسياتيكي
١٢٥٠	استيلاء المالك اي الدولة الجركسية على البلاد المصرية الى سنة ١٥١٧
١٢٥٨	استيلاء التتر تحت راية ملكهم هالكو على بلاد العجم وبغداد وانقراض الدولة العربية في خلافة المستعصم بن المستنصر
١٢٦٢	اول مجلس شعوري ترتب في انكلترا ( بارليمنت )
١٢٧٢	قيام رودولف هابسبورغ امبراطوراً على جرمانيا وهو راس عائلة اوستريا الحالية
١٢٧٧	قيام بيبرس اشهر ملوك الدولة الجركسية في مصر صاحب الفتوحات الكثيرة
١٢٨٢	انضمام مقاطعة ويلس الى تاج انكلترا
١٣٠٠	بداية دولة آل عثمان وتأسيسها ببر الاناضول
١٣٠٥	انتقال مركز الباباوية من رومية الى افينيون في فرنسا حيث بقي ٧٠ سنة
١٣١٥	استقلالية اهل سويسرا عن جرمانيا
١٢٣٧-١٤٥٣	بداية حروب الفرنساويين والانكليز المعروفة بحروب المئة سنة

ظهور يوحنا وبكليف اول مصطلح الديانة المسيحية في انكلترا	١٢٨٤
انضمام نروج الى بلاد دنياك	١٢٩٧
اكتشاف الاوروبيين يابان	١٤٠٠
تغلب نيمورلك على السلطان بايزيد واصله اياه في انقره	١٤٠٢
موت نيمورلك	١٤١٠
معارضة يوحنا هس آراء الكنيسة الرومانية والحكم عليه بالحرق في مجمع قسطنطينية	١٤١٤
احراق جروم من مدينة براك لاجل مناداته باصلاح الديانة	١٤١٦
تغلب جان دي ارك (ابنة فرنساوية) على الانكليز وتخليصها بعض اقاليم فرانسما ووقفا في ابدي الانكليز واحراقهم اياها	١٤٢٩
تويج هنري السادس ملك انكلترا ملكا على فرنساويين وهو في باريس	١٤٣١
افتتاح السلطان محمد الثاني القسطنطينية وانقراض السلطنة الرومانية الشرقية	١٤٥٢
اجلاء الانكليز من فرانسما اصالة	١٤٥٢
حروب الورد في انكلترا وهي حروب اهلية بين حريين كبيرين	{ ١٤٥٥ ١٤٨٥
قيام النغيش والتجسس الذي في مدينة اشيلية في اسبانيا	١٤٨٠
بداية التجارة بالعبيد بواسطة البورتوغاليين	١٤٨٢
حروب الاسبانيولين مع عرب الاندلس واجلاوم في ايام فرديند وايزابلة	{ ١٤٨٠ ١٤٩٢

ب ٢٠٠	اكتشاف راس الرجاء الصالح لبرنلموس دياس	٩٤٨٦
	نفي ١٦٠ ألفاً من اليهود من اسبانيا	١٤٩٢
	اكتشاف كولومبوس اميركا	١٤٩٢
	مروره البورتوغاليين الى الهند عن طريق راس الرجاء الصالح	١٤٩٨
	اكتشاف برازيل من البورتوغاليين	١٥٠٠
	استخلاص آل عثمان بلاد مصر في ايام السلطان سليم الاول من ايدي المالك	١٥١٧
	ظهور لوثيروس ومنادائه بالاصلاح في جرمانيا	{ ١٥١٧
	وزوينكليوس في بلاد السويس	{ ١٥١٩
	مسح شارلكان امبراطوراً على جرمانيا	١٥١٩
	افتتاح مكسيكو لفرنند كورتيز	١٥٢٠
	استفحاح السلطان سليمان جزيرة رودس من انصار بيت المقدس	١٥٢٢
	طرد غوستاف واصا كريستيان من بلاد اسوج	١٥٢٢
	انتصار شارلكان على فرنسيس الاول ملك فرانسوا واسره اياه	١٥٢٥
	مهاجمة جيوش شارلكان رومية ونهبها وقبضهم على البابا اكلينفيس السابع وسجنه	١٥٢٧
	اقامة مسيحيو الاصلاح المحجة على مقاومهم واطلاق لقب البرونستانات عليهم من جري ذلك	١٥٢٩
	تغلب شارلكان على قرصان المغاربة واخذة تونس	١٥٣٥
	تأسيس اغناطيوس لوبولا جمعية اليسوعيين	١٥٤٠
	الشمام الجمع التريديتيني	١٥٤٥



قيام الاتحاد المقدس في فرنسا لاجل ملاحاة الهرطقة	١٥٦٦
بداية عصيان الهولانديين على فيليب ملك اسبانيا بسبب تعرضهم لذهابهم	١٥٦٧
استفحاح آل عثمان جزيرة قبرص في ايام السلطان سليم الثاني	١٥٧١
مذبحة بروتستانت فرنسا يوم عيد ماربرثلموس	١٥٧٢
استيلاء الدولة العثمانية على تونس	١٥٧٤
بداية الجمهورية الفلمنكية واتحاد سبع ولايات منها	١٥٧٩
	١٥٨١
ضم البورتوغال الى اسبانيا بواسطة ملكها فيليب الثاني الذي تروا نخت اسبانيا سنة ١٥٥٦	١٥٨٠
تملك هنري الرابع على فرنسا بعد حجة الديانة البروتستانتية	١٥٩٢
اتحاد اسكتلاند وانكلترا في ايام جيمس الاول من عائلة استوارت	١٦٠٢
اكتشاف مهندس النهر المسمى باسمه في الولايات المتحدة الاميركانية	١٦٠٩
قتل رافاليك اليسوعي هنري الرابع ملك فرنسا	١٦١٠
طرد عدد غفير من المغاربة من اسبانيا في ايام ملكها فيليب الثالث	١٦١١
اشيطان الفلمنكيين في نيويورك والباي	١٦١٤
اثارة الكردينال ريشيلو في فرنسا حربا على البروتستانت وحصرهم في قلعة روثيل وانخاضهم	١٦٢١

٠٢٠٣	افتتاح السلطان مراد الرابع مدينة بغداد من الاعجام	١٦٣٨
١٦٤٠	انفصال بورتوغال عن اسبانيا وابتداء تلك عائلة براغانسة فيها	
١٦٤٢	مجاهرة الانكليز ملكهم كارلوس الاول بالعصيان وبتداء الحرب	
	الاهلية بينهم	
١٦٤٨	معاهدة وستفاليا	
١٦٤٩	اسر الانكليز كارلوس المذكور وقتله	
١٦٥٢	صيرونة كروموبيل محامياً للجمهورية الانكليزية	
١٦٥٤	حروب انكلترا البحرية مع هولاندا ودوامها الى سنة ١٦٦٧ حين	
	تم صلح بريدا	
١٦٥٨	موت الجنرال اوليفر كروموبيل	
١٦٦٠	اعادة الملكية الى انكلترا بواسطة الجنرال مونك وتولي	
	كاراوس الثاني وتعرف هذه المدة عند الانكليز بمدة العود	
	او الاسترجاع	
١٦٦٥	حدوث طاعون مهلك في مدينة لندن مات فيه ١٠٠ الف	
	نفس	
١٦٦٦	حدوث حريقه مريعة في مدينة لندن خرب فيها ١٢٠٠٠	
	بناية	
١٦٦٧	اخذ انكلترا مدينة نيويورك في اميركا من الفلمنكيين ووقوع	
	الصلح بين الامنين	
١٦٧٢	نكح كارلوس الثاني ملك انكلترا معاهدة مع الفلمنكيين	
	ومحاربتهم لم بعد اتحادهم مع فرنسا	
١٦٨٢	تملك بطرس الاكبر على روسيا	
١٦٨٢	ولادة كارلوس الثاني عشر ملك اسوج ونروج	

ب ٢٠٠	
١٦٨٣	انجاد سوياسكي النمساويين ومنع الاتراك عن اخذ فينا
١٦٨٦	اتحاد هولندا واسبانيا وانكلترا على فرنسا في معاهدة اوكسبورج
١٦٨٨	حدوث الثورة الانكليزية وتذيل الملك، جيمس الثاني
١٦٨٩	استدعاء الانكليز الامير اورانج الفلمنكي واقامته ملكا تحت اسم وليم الثالث
١٦٤٣	استيلاء الاتراك على مدينة ازوف
١٦٤٩	أخذ الاتراك بلغراد وبلاد المجر العليا وخوف اوروپا منهم
١٧٠٠	توصية كارلوس الثاني ملك اسبانيا بملكه الى فيليب دي انجو حنيد لويس الرابع عشر ملك فرنسا ووقوع الحروب المعروفة بمحروب الوراثة الاسبانيولية
١٧٠١	تغلب كارلوس الثاني عشر ملك اسوج على الروسيين في نارفا
١٧٠١	تغزب انكلترا وهولندا والنمسا على فرنسا واسبانيا لمنع البوربون عن التملك في اسبانيا وتغلب فرنسا عليهم
١٧٠٣	تأسيس بطرس الاكبر مدينة بطرسبرج
١٧٠٤	انتصار الدول المتحدة على فرنسا بواسطة ملبروك الشهير في حرب بلينيم
١٧٠٤	استيلاء الانكليز على حصن جبل طارق
١٧٠٧	انتصار افرنساويين والاسبانيولين على الدول المتحدة
١٧٠٧	انضمام اسكوتلاندا الى انكلترا
١٧٠٩	انتصار بطرس الاكبر على كارلوس الثاني عشر ملك اسوج في بلتوقا

٢٠٠	تغلب آل عثمان على بطرس الأكبر عند نهر پروث	١٧١١
	انتهاء حروب الوراثة الاسبانية بمصالحة اوترخت	١٧١٣
	الاتحاد الرباعي بين انكلترا وفرنسا واوستريا وهولندا	١٧١٨
	لمقاومة مقاصد اسبانيا لجهة استيلائها على فرنسا وبعض ايطاليا	
	تنازل الاتراك عن بلغراد وبعض السرب والفلاخ الى اوستريا	١٧١٨
	واستيلاؤهم على المورة من مشيخة البندقية	
	١٧٤٠-١٧٤٨ حروب الوراثة المتساوية ضد الملكة ماريا تيرزيا	
	أخذ الانكليز لوتربورج من الفرنسيين في اميركا	١٧٤٥
	حدوث زلزلة مهلكة في ليسبون عاصمة البورتوغال خرب فيها	١٧٥٥
	أكثر المدينة	
	تولية المماليك البحرية على الديار المصرية من طرف الدولة	١٧٦٥
	العثمانية في زمن السلطان مصطفى الثالث	
	سيادة الانكليز في الهند بعد حرب بلاسي	١٧٥٧
	غلبة الانكليز على الفرنسيين في حرب كويك في اميركا	١٧٥٩
	واستيلاؤهم على المدينة	
	صلح باريز بين فرنسا وانكلترا واسبانيا وتنازل فرنسا عن	١٧٦٣
	كانادا الى الانكليز	
	اقتسام بولونيا الاول بين روسيا وبروسيا واوستريا	١٧٧١
	ابطال عادة تقبيل رجل البابا	١٧٧٣
	مناداة الاميركانيين باستقلاليتهم ووقوع الحروب بينهم	١٧٧٦
	وبين الانكليز	
	مصالحة باريز ونهاية حرب اميركا واستقلاليتهم التامة	١٧٨٣

قيام الجنرال واشنطن رئيساً لولا للجمهورية الاميركانية	١٧٨٩
بداية الثورة الفرنسية العظيمة وسقوط لويس السادس عشر الذي كان قيامة سنة ١٧٧٤	١٧٨٩
اشهار الجمهورية في فرنسا وابطال الملكية ويُعتبر ذلك بداية تاريخ فرنسا الحديث	١٧٩٢
قتل فرنساويين ملكهم لويس السادس عشر	١٧٩٣
انشاء الجمعية الوطنية الفرنسية والحكومة المدبرية . وابطال يوم الاحد وترتيب السنين والشهور والاسابيع والمناداة بقلب جميع الاديان ورئيس هذا المذهب رومسبير ذهاب نابوليون بوناپارت الى مصر وفتحها واخذة جرمية مالطة	١٧٩٤
موت واشنطن محرر اميركا	١٧٩٧
انتصار الاميرال نيلسون الانكليزي وتكسيرة البوارج الفرنساوية في ابي قبر	١٧٩٨
انضمام مشيخة البندقية الى النمسا	١٧٩٨
مجيء نابوليون الى الشرق ومحاصرته عكا ومقاومة السار سدني سميت له ورجوعه عنها	١٧٩٩
رجوع نابوليون الى فرنسا وتغيير الحكومة المدبرية وصيرورهما قنصلية وتبوءه رياستها	١٧٩٩
انضمام ايرلاندا الى انكلترا	١٨٠٠
شروع الحرب بين فرنسا وبين النمساويين وانتصار نابوليون في مارانكو	١٨٠٠
حرب الانكليز للدنيا ركيين والاسوجيين المعروفة بحرب	١٨٠١

	٢٠٠
كوبنهاجن	
موت بولس امبراطور روسيا وتولي ابنه اسكندر الاول	١٨٠١
خروج الفرنسيين من الديار المصرية	١٨٠١
تسمية نابوليون قنصلاً أولاً مدة حياته	١٨٠٢
تتويج نابوليون الاول امبراطوراً للفرنساويين	١٨٠٤
معاهدة أنكترا وأوستريا وروسيا لمقاومة فرنسا	١٨٠٤
تولي محمد علي باشا خديوي مصر	١٨٠٤
انتصار نابوليون على النمساويين والروسين في اومترلينس في ك ١	١٨٠٥
انتصار الانكليز مجراً على الفرنسيين والاسبانوليين في ترافلكار وموت نيلسون في المعركة	١٨٠٥
مصالحة اوستريا وفرنسا المعروفة بصالح بريسبورج في ٢٧ ك ١	١٨٠٥
انشاء معاهدة الرين تحت حياية نابوليون وانحلال السلطنة الجرمانية واتخاذ فرنسيس الثاني لقب امبراطور اوستريا فقط	١٨٠٦
اتحاد انكلترا وروسيا على فرنسا - انتصار نابوليون على بروسيا في يانا وغيرها ودخوله متصراً الى برلين	١٨٠٦
استيلاء الانكليز على راس الرجاء الصالح من الفلنكيين	١٨٠٦
انتصار نابوليون على الروسيين لاسيا في فريدلند	١٨٠٧
صلح تيلسيت بين نابوليون واسكندر وفصله وستاليا عن بروسيا واعطائها لانيه جيسوم	١٨٠٧
١٨٠٧-١٨٠٨ مهاجمة الانكليز كوبنهاجن واستيلائهم على الهارة الدنماركية	١٨٠٧-١٨٠٨

ب.م.	
١٨٠٧	لاجل منع استعانة نابوليون الاول بها ارسال نابوليون عسكرياً الى بورتوغال ومهاجرة العائلة الملكية الى برازيل
١٨٠٨	تنازل فردينند ملك اسبانيا عن الملك الى نابوليون
١٨٠٨	قيام يواكيم مورات صهر نابوليون الاول ملكاً على نابولي
١٨٠٨-١٨٠٩	انتصار الانكليز لاسبانيا والبورتوغال لمنع فرانسوا عن نوال ماريها
١٨٠٩	انتشاب الحرب بين فرانسوا واوستريا وانتصار نابوليون ودخوله فينا وعقده الصلح وتطليق نابوليون زوجته وزواجه بأرييا لويزا ابنة فرنسيس الاول امبراطور اوستريا
١٨١٠	انضمام بلاد الفلمنك الى فرانسوا
١٨١٢	اشهار الاميركان الحرب على الانكليز لاجل بعض تعديات بحرية
١٨١٢	شروع الحرب بين فرانسوا وروسيا. دخول نابوليون منتصراً الى موسكو. احراق الروسيين موسكو. رجوع نابوليون بالخيبة وهلاك جيشه
١٨١٢	احضار نابوليون البابا بيوس السابع من رومية وثرسيمة عليه في فوتنبلو
١٨١٢	الاتحاد السادس ضد فرانسوا (جميع دول اوروبا) ودخول العساكر المتحدة الى باريس. تنازل نابوليون الاول عن الملك وذهابه الى جزيرة البيا ملكاً عليها واقامة لويس الثامن عشر ملكاً على فرانسوا
١٨١٤	ضم نوج الى اسوج

ب ٢٠٠	
١٨١٤	انضمام جينوا الى مملكة سردينيا
١٨١٤	ضم بلجيكا وهولاندا وجعلها ملكة واحدة يرأس عليها غليوم الاول ملك هولاندا
١٨١٥	مصالحة الانكليز والاميركانيين
١٨١٥	رجوع نابوليون من البانيا وتولية ثانية مدة ١٠٠ يوم . تجديد المتعاهدات الحرب عليه وانقلابه في واترلو وتعليق نفسه للانكليز وارسالهم اياه الى جزيرة القديسة هيلانة في المحيط الجنوبي من افريقية
١٨١٥	رجوع الملكية الى فرنسا
١٨١٥	انفصال برازيل عن بورتوغال
١٨١٥	الغاء التجسس الديني في بورتوغال
١٨٢٠	حدوث ثورة في اسبانيا وبورتوغال والغاء التجسس الديني من اسبانيا
١٨٢١	توفي نابوليون الاول في الجزيرة المذكورة
١٨٢٢	عصيان اليونان على الدولة العثمانية ومقتلة خيو المملكة
١٨٢٦	قتل الانكشارية في توركيا
١٨٢٧	حرب نافارين مجراً بين فرنسا وانكلترا وروسيا من جهة والدولة العثمانية من جهة لاجل تحرير اليونان وحرقتهم العاريتين العثمانية والمصرية وتسليم الدولة باستقلالية اليونان
١٨٣٠	وقوع ثورة في باريس وتزويل كارلوس العاشر وتولية لويس فيليب الاول
١٨٣٠	انتصار الفرنسيين في الجزائر في الغرب



وقوع ثورة في البلاد الواطية وانفصال بلجيكا عن هولاندا	١٨٣٠
وصدورة كل منها ملكة قائمة بذاتها	١٨٣١
مصالحة ادرنة بين الدولة العلية وروسيا	١٨٣٢
استيلاء ابرهيم باشا على الديار الشامية	١٨٣٢
ابطال الانكليز التجارة بالعبيد في مستفلكاتهم	١٨٣٣
حرب الافيون بين الانكليز والصين	١٨٣٤
جلوس فيكتوريا الحالية ملكة على انكلترا بعد ولم الرابع	١٨٣٧
جلوس السلطان عبد المجيد	١٨٤٠
خروج الدولة المصرية من الديار الشامية	١٨٤٠
حروب الامبركان على المكسيك وانتصارهم عليها	١٨٤٧-١٨٤٦
غلبة فرنسا وبين التامة على جزائر القرب وتسليم الامير عبد القادر لهم	١٨٤٧
حدوث الثورة الفرنسية الثالثة في ٢٤ شباط وسقوط لويس فيليب وقيام الجمهورية ثم انتخاب لويس نابوليون الثالث رئيسا لها	١٨٤٨
حدوث ثورات في جرمانيا وبروسيا واوستريا وفي لومبارديا وولايات اخرى ايطالية . هرب البابا الى نابولي واشهار الجمهورية في رومية	١٨٤٨
اكتشاف المعادن الذهبية في كاليفورنيا	١٨٤٨
تنازل فردينند عن تاج اوستريا الى الامبراطور فرنسيس يوسف الثاني في ٢ كانون الاول	١٨٤٨
تولي ابرهيم باشا خديوي مصر وموته وقيام اخيه عليش	١٨٤٨

٢٠٣	بلشاك مكانة
١٨٤٩	تازول كارلوس العنومس ملك سردينيا عن تاج الملك الى ابنه فيكتور عمانوئيل الحالي بعد تغلب النمساويين عليه واستيلائهم على لومبارديا
١٨٤٩	ارسال فرانسوا جيشا الى رومية وضمهم المدينة وانحلال الجمهورية واعادة البابا اليها
١٨٥٠	ظهور العصاة في الصين
١٨٥١	انشاء اول معرض عام في مدينة لندن
١٨٥٢	انحلال الجمهورية الفرنسية الثانية وارتقاء نابوليون الثالث الى الامبراطورية
١٨٥٢	بداية حرب القرم
١٨٥٤	تولي محمد باشا خديوية مصر
١٨٥٥	موت الامبراطور نقولا وجولوس ابنه اسكندر الثاني في ٢ اذار
١٨٥٥	اخذ السول المهدية سبغاستبول وانتهاء حرب القرم
١٨٥٦	معاهدة باريس من جهة شروط صلح القرم
١٨٥٦	حرب فرنسا واطاليا ضد اوستريا وتحرير ايطاليا
١٨٦٠	حادثة لبنان ومذبحة حاصبيا وراشيا ودبر القرم ودمشق وحمية العساكر الفرنسية الى سوريا وانفصال الجبل عن حكومة سوريا وترتيب حاكم نصراني له
١٨٦٠	موت السلطان عبد الحميد وتولي السلطان عبد العزيز
١٨٦٠	استيلاء الحكم الانكليزي على الهند من يد الشركة الانكليزية
١٨٦٠-١٨٦٥	حرب اميركا الاولى

٢٠٠٣	
١٨٦١	حرب فرنسا وبين في المكسيك واقامة مكسيميليان امبراطوراً
١٨٦٧	عليها ثم قتل جوارز اياه واعادة الجمهورية
١٨٦٣	نبو اسمعيل باشا العدة الخديوية
١٨٦٤	اتحاد بروسيا واوستراليا ومحاربتها دنيمارك واخذ بروسيا اقليمي شلموبك وهولستين منها
١٨٦٦	حرب بروسيا واوستراليا واتصار بروسيا في صادوقا
١٨٦٦	انفصال البندقية عن النمسا وانضمامها الى ايطاليا
١٨٦٧	حدوث معرض عام في باريز حضره بعض الملوك
١٨٦٨	وقوع الثورة في اسبانيا وهرب الملكة ايزابلا الى فرنسا
١٨٦٩	فتح خليج السويس بمحمل حافل
١٨٧٠	حرب فرنسا وبروسيا واسر نابوليون الثالث في سيدان وسقوط الامبراطورية وقيام الجمهورية الثالثة
١٨٧٠	الثام مجمع مسكوني في رومية والمناداة بعصمة البابا
١٨٧١	تتويج غايوم ملك بروسيا امبراطوراً على المانيا في قرساليا
١٨٧١	دخول الايطاليين رومية وجعلها عاصمة المملكة
١٨٧١	تثبيت الجمهورية الفرنسية واقامة تيرس رئيساً لها
١٨٧٣	موت نابوليون الثالث في انكلترا
١٨٧٢	تنازل تيرس وقيام المارشال مكاهون رئيساً للجمهورية الفرنسية
١٨٧٦	حرب توركيا وروسيا
١٨٨٦	موت السلطان عبد العزيز وقيام السلطان مراد
١٨٧٦	قيام السلطان عبد الحميد بدلاً عن السلطان مراد

صلح روسيا وتوركيا وعند مؤتمر برلين	١٨٧٨ •
استيلاء الانكليز على جزيرة قبرص بموجب معاهدة خصوصية	١٨٧٨
تترييل اسماعيل باشا خديوي مصر واقامة ابنه توفيق باشا مكاه	١٨٧٩
استيلاء الفرسان و بين على تونس	١٨٨٠
الثورة العرايية في مصر	١٨٨٢
دخول الانكليز بلاد مصر بعد ضربهم مدينة اسكندرية	١٨٨٢